موسوعة
الكلمة وأخواتها في القرآن الكريم

غ - د - ذ
غرض - ذأم

الشيخ الدكتور أحمد عبيد الكبيسي

المجلد الرابع

4

دار المعرفة
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى 1438 هـ - 2017 م

ISBN : 9953-85-369-X

دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع
DAR AL-MAREFAH
Printing & Publishing

جسر المطار شارع البرجاوي * هاتف: 834301 - 834332
فاكس: 835614 * ص.ب: 7876 ــ بيروت ــ لبنان
Airport Bridge Birjawi Str. * Tel: 834301 - 834332
Fax: 835614 * P.O.Box: 7876 Beirut - Lebanon
Email: info@marefah.com * www.marefah.com

موسوعة

الكلمة وأخواتها

في القرآن الكريم

4

تابع حرف الخاء

خرص

(خرص - إفك - بهت - زور - افتراء - كذب)

■ **الخَرْصُ:** كذب يقوم على الظن والتخمين ﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ﴾ [الذاريات: 10].

■ **الإِفْكُ:** العدل عن الحق إلى الباطل عناداً. ﴿أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ﴾ [الصَّافات: 86].

■ **البُهْتُ:** كذب يدهش الآخرين لغرابته ﴿هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾ [النُّور: 16].

■ **الزُّورُ:** تزييف الحقيقة بصيغة مزورة ﴿فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا﴾ [الفرقان: 4].

■ **الافْتِرَاءُ:** الكذب المنسوج بعناية واحتراف ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النِّساء: 48].

■ **الكَذِبُ:** التعمد في صرف الكل عما ينبغي أن يكون عليه ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافِقون: 1].

❋ ❋ ❋

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الخاء والرّاء والصّاد أُصول متباينة جدّاً.

---

(1) معجم مقاييس اللغة.

فالأوّل: الخَرْص وهو حَزْر الشّيء. يقال: خرَصْتُ النّخل: إذا حَزَرت ثمره.

والخَرَّاصُ: الكذّاب، وهو من هذا، لأنّه يقول ما لا يعلم ولا يُحقّ.

وأصل آخر: يقال للحَلَقة من الذّهب: خُرْصُ.

وأصل آخر: وهو كلّ ذي شُعْبة من الشّيء ذي الشُّعَب. فالخَرِيصُ من البحر: الخليج منه، والخُرْصُ: كلّ قضيب من شجرة؛ وجمعه: خِرْصَان.

ومن هذا الأصل تسميتهم الرُّمح: الخُرْصُ.

ومنه الأَخْرَاصُ، وهي عيدان تكون مع مُشتار العسَل.

وأصل آخر: وهو الخَرَصُ، وهو صفة الجائع المقرور، يقال: خَرِصَ خَرَصاً.

قال الخَليل(1): الخَرْصُ: الكَذِب، والخَرَّاصُون في قوله جلّ وعزّ: ﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ﴾ [الذّاريَات: 10]، الكذّابون.

ويَخْرُصُون: يكذبون.

والخَرْصُ: الحَزْر في العدد والكَيْل، والخَارِصُ: يَخرُص ما على النّخلة، ثّم يقسم الخَراج على ذلك. والخَرِيصُ: شِبه حَوْضٍ واسع ينبثق فيه الماء من نهر، ثّم يعود إلى النّهر، والخَريص مُمتلىء.

والخَرْصُ من الرّماح: رُمَحٌ قصيرٌ يُتّخذ من خشَب مَنحُوت، وقد يقال لدِقاق القناة وقصارها: خِرصَانُ؛ والواحد: خُرْصُ.

قال ابن دُرَيْد(2): الخَرْصُ: خَرْصُ النّخل عربيّ معروف، وخرَصْتُ النّخلة أخْرِصُها خَرْصاً: حَزَرتها

(1) العين.

(2) الجمهرة.

واخْتَرصَ فلان كلاماً: إذ اختلقه، وكذلك خَرَّصَه وتَخَرَّصَه، وفي التنزيل: ﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ﴾ [الذّاريَات: 10]، الكذّابون، والله أعلم بكتابه.

قال أبو هِلال(1): الفرق بين الكذِب والخَرْص: أنّ الخَرْص هو الحَزر وليس من الكذب في شيء، والخَرْص ما يُحزر من الشّيء، يقال: كم خِرْص نخلك؟ أي: كم يجيءُ من ثمرته.

وإنّما استُعمل الخَرْص في موضع الكذِب، لأنّ الخَرْص يجري على غير تحقيق، فشُبّه بالكذِب.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: 116].

قال الطّبَريّ(2): يقول: ما هم إلاّ متخرّصون، يظنّون ويوقعون حَزْراً لا يقين علم.

قال الفَخْر الرّازيّ(3): هم خرّاصون كذّابون في ادّعاء القطع.

قال البَيْضاويّ(4): يكذبون على الله سبحانه وتعالى فيما ينسبون إليه كاتّخاذ الولد، وجعل عبادة الأوثان وصلة إليه، وتحليل الميتة، وتحريم البحائر. أو يُقدّرون أنّهم على شيء. وحقيقته ما يقال عن ظنٍّ وتخمين.

● **قال تعالى**: ﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴿١١﴾ يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٢﴾﴾ [الذاريات: 10-12].

(1) الفروق.
(2) جامع البيان.
(3) التفسير الكبير.
(4) أنوار التنزيل.

قال البغَويّ(1): لُعن الكذّابون، يقال: تخرّص على فلان الباطل، وهم المقتسمون الّذين اقتسموا عقاب مكّة، واقتسموا القول في النّبيّ ﷺ ليصرفوا النّاس عن دين الإسلام.

قال ابن عَطيّة(2): الخرّاص: المُخمِّن القائل بظنّه، فتحته الكاهن والمرتاب وغيره ممّا لا يقين له، والإشارة إلى مُكذِّبي محمّد على كلّ جهة من طروقهم.

قال الفَخْر الرّازيّ(3): وهذا يدلّ على أنّ المراد من قوله: ﴿لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾ [الذاريات: 8]، أنّهم غير ثابتين على أمر، وغير جازمين، بل هم يظنّون ويخرصون، ومعناه لُعن الخرّاصون، دعاء عليهم بمكروه.

ثّم وصفهم فقال: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ﴾ وفيه مسألتان: إحداهما لفظيّة، والأُخرى معنويّة: أمّا اللّفظيّة [لاحظ س هـ و: (السَّاهُون)].

وأمّا المعنويّة فهي أنّ وصف الخرّاص بالسّهو والانهماك في الباطل يحقّق ذلك كون الخرّاص صفة ذمّ؛ وذلك، لأنّ ما لا سبيل إليه إلاّ الظّنّ إذا خرَص الخارص وأطلق عليه الخرّاص لا يكون ذلك مفيد نقصٍ، كما يقال في خرّاص الفواكه والعساكر وغير ذلك. وأمّا الخَرْص في محلّ المعرفة واليقين فهو ذمّ، فقال: ﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ هُمْ﴾ جاهلون ساهون لا الّذين تعيّن طريقهم في التّخمين والحَزْر. وقوله تعالى: ﴿سَاهُونَ﴾ بعد قوله: ﴿فِى غَمْرَةٍ﴾ يفيد أنّهم وقعوا في جهل وباطل ونسوا أنفسهم فيه، فلم يرجعوا عنه.

---

(1) معالم التنزيل.

(2) المحرر الوجيز.

(3) التفسير الكبير.

خرطوم

(خرطوم - أنف)

■ **الخُرْطُومُ:** أنف الفيل، وأطلق على أنف من أطلق عليه استقباحاً له ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلۡخُرۡطُومِ﴾ [القَلَم: 16].

■ **الأَنْفُ:** الجارحة في وسط الوجه بين الخدين، ثم يسمى به طرف الشيء وأشرفه فيقال: أنف الجبل وأنف اللحية.

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارسٍ[1]: الخُرطُوم: معروف، والرّاء زائدة، والأصل فيه: الخَطْم، وقد مرّ.

ومن الباب تسميتهم سادة القوم: الخَرَاطِيمُ.

قال الخَليل[2]: الخُرْطُومُ: الأنف. وخَرَاطِيمُ القوم: سادتهم ومقدّموهم في الأُمور.

قال الرّاغِب[3]: قال تعالى: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلۡخُرۡطُومِ﴾، أي: لزمه عار لا يَنمَحي عنه، كقولهم: جُدِعت أنفُه.

قال الزّمَخْشَريّ[4]: ووَسَمه على الخُرطُوم: أذلّه.

---

(1) معجم مقاييس اللغة.

(2) العين.

(3) مفردات الراغب.

(4) أساس البلاغة.

وهم خَرَاطِيمُ القوم: لسادتهم.

قال الفيروزآباديّ[1]: الخُرْطُومُ كزُنْبور: الأنف، أو مقدّمة، أو ما ضَمَمْتَ عليه الحنَكَيْن كالخُرطُم كقُنْفُذ، والخمر السّريعة الإسكار، أو أوّل ما يجري من العنب قبل أن يُداس.

وخراطيم القوم: ساداتهم.

وخَرطَمَه: ضرب خُرطُومَه أو عوّجَه.

واخْرَنْطَم: رفع أنفه واستكبر وغضب.

والخُرْطُمَانُ بالضّمّ: الطّويل.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾ [القَلَم: 16].

قال الفَرّاء[2]: أي: سنَسِمه سِمَة أهل النّار، أي: سنسوّد وجهه. فهو وإن كان الخرطوم قد خُصّ بالسِّمة فإنّه في مذهب: الوجه، لأنّ بعض الوجه يؤدّي عن بعض. والعرب تقول: أما والله لأسِمَنّك وسَماً لا يفارقك، تريد: الأنف.

قال الطّبَريّ[3]: اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معناه: سنَخمطِه بالسّيف، فنجعل ذلك علامة باقية، وسِمَة ثابتة فيه ما عاش.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: سنشينه شَيْناً باقياً. وقال آخرون: سيمَى على أنفه.

(1) القاموس المحيط.
(2) معاني القرآن.
(3) جامع البيان.

وأولى الأقوال بالصّواب في تأويل ذلك عندي قول من قال: معنى ذلك: سنبيّن أمره بياناً واضحاً حتّى يعرفوه، فلا يخفى عليهم، كما لا تخفى السِّمَة على الخُرطُوم.

قال القُشَيْريّ[1]: أي سنجعل له في القيامة [علامة] على أنفه تشويهاً لصورته، كي يُعرَف بها.

(1) لطائف الإشارات.

خرق

(خرق - ثقب - نقب - نفق)

■ **الخَرْقُ:** فتح الشيء الصلب بأسلوب فاسد من غير علم ولا تفكر ﴿قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا﴾ [الكهف: 71].

■ **الثَّقْبُ:** فتح الجبل والخشب بالمثقب الحراري المضيء ﴿فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ [الصَّافات: 10].

■ **النَّقْبُ:** في الحائط والجلد أو الأرض بحثاً عن شيء ﴿فَنَقَّبُوا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ﴾ [قٓ: 36].

■ **النَّفَقُ:** الشق الطويل في الأرض ﴿فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعَام: 35].

* * *

شرح المعاني:

خَــرَق: ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا﴾ [الكهف: 71] الخرق هو فتح فتحة واسعة تكفي لأن يدخل فيها إنسان وهذا الفرق بينها وبين الثقب.

الثقب: هو إدخال آلة فقط مثل ثقب الأذن. والخرق أوسع من الثقب ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ [الصَّافات: 10] الثاقب كالآلة التي تدخل الخشب فتفتح فيه منفذاً بحجم الآلة. واضح أن الثقب غير الخرق ولكل منهما مهمة خاصة.

يقال الإنسان الأخرق أو العقل الأخرق أي: الذي يكون عقله فيه فتحة لا يمسك ماء، فلو دخلت الحكمة أو العلم أو المعرفة من مكان تخرج من مكان آخر دون أن يستفيد منها شيئاً. فالخرق هو بلا تفكير ولا تدبر وهو للإفساد فقط فإذا أردت أن تفسد شيئاً اخترقته.

نفق: الفرق بينه وبين الخرق أن النفق أطول من الخرق. الخرق قصير (مثل خرق جدار) تخرقه وتنفذ منه، أما إذا كان طويلاً في الأرض أو في الجبل فيسمى نفقاً. والنفق كما قلنا أطول بكثير من الخرق. ﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأنعام: 35].

نقب: يختلف عما سبق أن النقب يكون في الأجسام الصلبة، أما الثقب أو النفق أو الخرق فيكون في الأشياء السهلة مثل الخشب أو جدار أو ثوب، أما إذا كان النقب فيكون في الحديد أو الصخر الصلب ﴿فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا﴾ [الكهف: 97]. والنقب من التنقيب في الأرض في الأعماق لأنه يدخل في طبقات صخرية عميقة وصلبة ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُواْ فِي ٱلْبِلَٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ﴾ [ق: 36].

باختصار فإن الخرق فتح منفذ صغير يكفي لمرور شخص ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا﴾ [الإسراء: 37] ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا﴾ [الكهف: 71] ولهذا الماء تدفق ومسافة الخرق أقل من مسافة النفق أما النقب فيكون في الأشياء الصلبة كجبل من الحجارة أو الغرانيت أو الحديد.

الخرق والاختراق: ما من شيء في هذه الدنيا يربك أنظمتها وحياتها كالاختراق، سواء كان اختراق دين فيصبح بدعة، أو اختراق وطن فيصبح جاسوسية، أو اختراق نظام فيصبح عمالة. وكل نوع من أنواع الاختراق له اسم في الكتاب العزيز، ولهذا تجد في الكتاب والسنة وما يرتضيه العقل

البشري يحذر الإنسان والجماعة والأمة والشعب والسلطان من الاختراق الذي هو من سنن الكون ومن أعظم أسلحة العدو. وكل عدو يصل إلى عدوه عن طريق الاختراق لأنه أشد أثراً وأشد إيلاماً من الجيش، والتاريخ مليء بحروب انتصر فيها عدد قليل على عدد كثير بقوة الاختراق. والحروب بين العالم اقتصادية أو عسكرية تعتمد على الاستخبارات، فقد تنتصر دولة ضعيفة لأنها تخترق كل دول العالم وجيوشه وتضع إرادات دول عظمى وتتحكم في سياسات تلك الدول عن طريق الاختراق. والعرب للأسف لا يحسنون هذا الاختراق لأنه يحتاج إلى مكر ودهاء وقوة على حفظ الأسرار والكتمان وقوة الولاء للوطن. منذ بداية الإسلام فالعرب مُخْتَرَقُون إلى هذا اليوم، فقبل ذهاب الرسول عليه الصلاة والسلام لفتح مكة ذهبت رسالة لأهل مكة تحذرهم أن محمد عليه الصلاة والسلام قادم إليهم ليحاربهم. وهذا الاختراق يوضح كيف قُتل ثلاثة من الخلفاء الراشدين: عمر بن الخطاب (قتله أبو لؤلؤة المجوسي) وعثمان بن عفان (قتله مجموعة من اليمن ومصر حاصروه 40 يوماً وقتلوه ومنعوا الناس من دفنه والناس تتساءل من أين أتى هؤلاء) وعلي بن أبي طالب. وهم الذين فتحوا العالم وملأوا الدنيا عدلاً. وكل تاريخ العرب مليء بغدر الباقين لهم وذلك يعود إلى أن العرب ليسوا أهل مكر ولا يصلحون للسياسة لأنها تحتاج إلى مكر ودهاء وليس فيها عواطف. فالعربي فطري عاطفي يحب الضيف ويكرمه ويألف بسرعة ويرضى بسرعة ولا يعرف الغدر. فقد حكم العرب سنوات عديدة لكنهم لم يغدروا بالناس. وفي أحد أقاليم فارس انسحب المسلمون من الإقليم بعد أن دخلوه بدون استئذان. ويقول ابن خلدون: أنه لا يقوم للعرب ملك أو سياسة إلا بالإسلام. أما أعداؤنا فهم يتربصون بنا الدوائر ويفسدون علينا ديننا واقتصادنا ومناهجنا وإعلامنا ومجتمعاتنا، وللأسف أن الأمة العربية سهلة الاختراق لأنها تتجاوب مع الكلمة الطيبة، كما صدقوا بريطانيا في خداعها

وكذبها عليهم. وللأسف أن العرب مع عدم براعتهم في اختراق أعدائهم نجحوا في اختراق بعضهم البعض، وعلى الأمة العربية الإسلامية أن تربي أبناءها وشعبها على قوة الولاء للوطن واستقذار خيانة الوطن كما يستقذرون الزنا بالمحارم وضرب الوالدين وسرقة المساجد والبغاء وغيرها من المستقذرات، لأنه ما من شيء أخسّ وأقذر من أن يخون الإنسان وطنه وحاكمه ونظامه وحتى لو لم يكن الحاكم مخلصاً لوطنه فعلى الشعب أن يغيّره بنفسه ولا يجلب للوطن من يغيّره من خارج الوطن.

وصلابة الدولة تكون بإمام عادل، والعدل المطلوب هنا بالعدل النسبي وليس عدل عمر بن الخطاب «**إن الله ليزع للسلطان ما لا يزع للقرآن**» لأنه عندما يحترم الزعيم شعبه يعامله معاملة جيدة محترمة يرتقي الشعب معه، اما إذا عذّب شعبه فتصبح الأمور معاكسة. ويجب على الدولة القوية أن تكون أمورها في غاية الدقة وأن تختار الكفاءة قبل الولاء. وما من أمة تستأثر بالناس وتغير أخلاقهم وتنفرد في العالم وتسيطر عليه بحيث يكون العالم خائفاً منها ومرعوباً لا بد أن يهلكها الله تعالى لأن هذا من سنن الله تعالى في الكون. قارون كانت مفاتيح كنوزه تنوء بالعصبة فخسف الله تعالى به الأرض.

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس(1): الخاء والرّاء والقاف أصل واحد، وهو مَزق الشّيء. وجَوْبُه، إلى ذلك يرجع فروعه، فيقال: خَرَقْتُ الأرض، أي: جُبْتُها. واختَرَقَتْ الرّيح الأرض: إذا جابَتْها. والمُختَرَقُ: الموضع الذي يَخْتَرِقُه الرّياح.

والخَرْقُ: المفازة، لأنّ الرّياح تخترقها.

(1) معجم مقاييس اللغة.

والخِرْقُ: الرّجل السّخيّ، كأنّه يَتَخَرَّق بالمعروف.

والخُرْقُ: نقيض الرّفق، كأنّ الذي يفعله مُتَخَرِّق.

والتَّخَرُّقُ: خَلقُ الكذِب. وريح خَرْقَاء: لا تدوم في الهبوب علة جهة.

والخَرْقَاءُ: المرأة لا تُحسِن عملاً.

والخَرْقَاءُ من الشّاة وغيرها: المثقوبة الأُذُن.

وبعير أَخْرَقُ: يقع مَنْسِمُه، بالأرض قبلَ خُفّه. والخِرْقة معروفة، والجمع خِرَقٌ. والخِرْقَةُ من الجراد: القطعة.

ومن الباب الخَرَقُ، وهو التّحيّر والدّهَش. ويقال خَرِقَ الغزال: إذا طاف به الصّائد فدَهِش ولَصِق بالأرض. ويقال مثل ذلك تشبيهاً: خَرِق الرّجل في بيته: إذا لم يبرح.

والخُرَّقُ: طائر يُلصَق بالأرض. ثم يُتّسع في ذلك فيقال: الخَرَق الحياء.

وحكي عن بعض العرب: «ليس بها طُول يَذيمُها، ولا قِصرٌ يُخْرِقُها» أي: لا تستحيي منه فتَخرَق. والمَخَارِيقُ: ما تَلعب به الصّبيان من الخِرَق المفتولة.

واخْتَرَقَ الدّار: جعلها طريقاً لحاجته. واختَرَقَتِ الخيل ما بين القُرى والشّجر: تتخلّلها.

وخَرَقَ الأرض يَخرِقُها: قطَعَها، وفي التّنزيل: ﴿إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ﴾ [الإسراء: 37].

قال الخَليل[1]: خرَقْتُ الثّوب: إذا شَقَقْتَه. وخرَقتُ الأرض: إذا قَطَعْتَها حتّى بلَغتَ أقصاها. وبه سمّي الثَّوْرُ مِخْرَاقاً.

والاخْتِرَاقُ: المرُور في الأرض غير طريق عرضاً، واخْتَرَقْتُ دار فلان: جعلتَها طريقاً لحاجتك.

---

(1) العين.

والخَرْقُ: الشّقّ في الحائط، أو ثوب ونحوه، فهو مَخْرُوقٌ.

والخَرْقُ: المفازة البعيدة، اختَرَقَتْهُ الرّيح فهو خَرْقٌ أمْلَس.

قال الرّاغِب[1]: الخَرْقُ: قطع الشّيء على سبيل الفساد، من غير تدبّر ولا تفكّر، قال تعالى: ﴿أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾ [الكهف: 71]، وهو ضدّ الخلق، وإنّ الخلق هو فعل الشّيْء بتقدير ورِفْق، والخَرْق بغير تقدير، قال تعالى: ﴿وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: 100]، أي: حكموا بذلك على سبيل الخَرْق.

وباعتبار القطع قيل: خَرَقَ الثّوب وخَرَّقَه، وخَرَقَ المفاوِز، واختَرَق الرّيح.

*** المعنى المشترك:**

وقد ورد الخرق في القرآن بمعنيين:

- الأول: بمعنى النقب: ﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا...﴾ [الكهف: 71] ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ [الإسراء: 37].

- الثاني: بمعنى؛ فعله بغير تقدير بل ادعاه إفكاً وكذباً ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنعام: 100].

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا...﴾ [الكهف: 71].

قال الفَخْر الرّازيّ[2]: أقدم ذلك العالم على خرق السّفينة، ولعلّه أقدم على

(1) مفردات الراغب. (2) التفسير الكبير.

خرق جدار السّفينة لتصير السّفينة بسبب ذلك الخرق مَعيبَة ظاهر العيب، فلا يتسارع الغرق إلى أهلها، فعند ذلك قال موسى له: ﴿أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾.

قال ابن عربيّ[1]: أي نقصها بالرّياضة وتقليل الطّعام، وأضعف أحكامها، وأوقع الخلل في نظامها وأوهنها، ﴿قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾ أي: أكسرتها لتغرق القوى الحيوانيّة والنّباتيّة الّتي فيها بحر الهيولى فتهلك.

قال الألوسيّ[2]: صحّ أنهّما لمّا ركبا في السّفينة لم يفجأ إلّا والخضر قد قلع لوحاً من ألواحها بالقَدُوم، فقال له موسى عليه السلام: قوم حملونا بغير نول عمِدتَ إلى سفينتهم فخرقْتها. وصحّ أيضاً أنّه عليه السلام خرقها، ووتد فيها وتداً. وقيل: قلع لوحين ممّا يلي الماء. وفي رواية عن سعد بن جُبَيْر عن ابن عبّاس مرفوعاً: (أنّهما لمّا ركبا واطمأنّا فيها، ولجَجَتْ بهما مع أهلها أخرج مثقاباً له ومِطْرَقة، ثمّ عَمِد إلى ناحية منها، فضرب فيها بالمنِقار حتّى خرقها، ثمّ أخذ لوحاً فطبّقه عليها، ثمّ جلس عليها يرقعها).

وهذه الرّواية ظاهرة في أنّ خَرْقَه إيّاها كان حين وصولها إلى لُجّ البحر، وهو معظم مائه. وفي الرواية عن الربيع أن أهل السفينة حملوهما فساروا حتى إذا شارفوا على الأرض خرقها.

ويمكن الجمع بأنّ أوّل العَزْم كان وهي في اللُّجّ، وتمام الفعل كان وقد شارفت على الأرض. وظاهر الأخبار يقتضي أنّه عليه السلام خرقها وأهلها فيها، وهو ظاهر قوله تعالى: قال موسى ﴿أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا...﴾.

● **قال تعالى**: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنعام: 100].

قال الطّبَريّ[3]: يعني بقوله ﴿وَخَرَقُوا﴾ اختلقوا، يقال: اختلق فلان على فلان

(1) تفسير القرآن لابن العربي.
(2) روح المعاني.
(3) جامع البيان.

كذباً واخترقه، إذا افتعله وافتراه. فتأويل الكلام إذن: وجعلوا لله الجنّ شركاء في عبادتهم إيّاه، وهو المنفرد بخلقهم بغير شريك، ولا معين، ولا ظهير، وخرقوا له بنين وبنات.

يقول: وتخرّصوا لله كذباً، فافتعلوا له بنين وبنات بغير علم منهم بحقيقة ما يقولون، ولكن جهلاً بالله وبعظمته، وأنّه لا ينبغي لمن كان إلٰهاً أن يكون له بنُون وبنات، ولا صاحبة، ولا أن يُشركه في خلقه شريك.

قال الزّجّاج[1]: معنى ﴿وَخَرَقُواْ﴾ اختلقوا وكذبوا، وذلك لأنّهم زعموا أنّ الملائكة بنات الله، وزعمت النّصارى أن المسيح ابن الله، وذكرت اليهود أنّ عُزَير ابن الله، فأعلم جلّ ثناؤه أنّهم اختلقوا ذلك بغير علم، أي: لم يذكروه عن علم، وإنّما ذكروه تكذّباً.

قال الزّمَخْشَريّ[2]: وخلقوا له، أي: افتعلوا له ﴿بَنِينَ وَبَنَٰتِۭ﴾، وهو قول أهل الكتابين في المسيح وعُزَير، وقول قريش في الملائكة، يقال: خلق الإفك وخرقه واختلقه واخترقه بمعنى.

ويجوز أن يكون من خَرْق الثّوب، إذا شقّه، أي اشتقّوا له بنين وبنات.

وقُرئ: (وَخَرَّقُوا) بالتّشديد للتّكثير، لقوله: ﴿بَنِينَ وَبَنَٰتِۭ﴾.

وقرأ ابن عمر وابن عبّاس رضي الله عنهما: (وحَرّفُوا له) بمعنى: وزوّروا له أولاداً، لأنّ المزُوِّر: مُحرِّف مغيرٌ للحقّ إلى الباطل.

● **قال تعالى**: ﴿وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخۡرِقَ ٱلۡأَرۡضَ وَلَن تَبۡلُغَ ٱلۡجِبَالَ طُولٗا﴾ [الإسراء: 37].

قال الطّبَريّ[3]: يقول: إنّك لن تقطع الأرض باختيالك.

(1) معاني القرآن.
(2) الكشاف.
(3) جامع البيان.

﴿وَلَن تَبۡلُغَ ٱلۡجِبَالَ طُولٗا﴾ بفخرك وكبرك وإنّما هذا نهي من الله عباده عن الكبر والفَخْر والخُيَلاء، وتقدُّم منه إليهم فيه معرِّفهم بذلك أنّهم لا ينالون بكبرهم وفخارهم شيئاً يقصر عنه غيرهم.

قال الزّجّاج[1]: قالوا: معنى ﴿تَخۡرِقَ ٱلۡأَرۡضَ﴾ تقطع الأرض، وقيل: تثقب الأرض. والتّأويل أنّ قدرتك لا تبلغ هذا المبلغ، فيكون ذلك وصلة إلى الاختيال.

قال الماوَرْديّ[2]: فيه وجهان:

أحدهما: إنّك لن تخرق الأرض من تحت قدمك، ولن تبلغ الجبال طولاً بتطاولك، زجراً له عن تجاوزه الّذي لا يُدرك به غرضاً.

الثّاني: أنّه مثَل ضربه الله تعالى له، ومعناه: كما أنّك لن تخرق الأرض في مشيك، ولن تبلغ الجبال طولاً، فإنّك لا تبلغ ما أردت بكبرك وعُجبك، إياساً له من بلوغ إرادته.

---

(1) معاني القرآن.

(2) النكت والعيون.

خزن

(خزن - حرس - حفظ - رصد - رقيب)

■ **الخازِنُ:** حماية الشيء من الضياع بالخروج ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ﴾ [الزمر: 71].

■ **الحَارِسُ:** يقف خارج الشيء ليحميه ﴿فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾ [الجن: 8].

■ **الحَافِظُ:** يكون داخل الشيء يديمه ويحميه ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ [الطارق: 4].

■ **الرَّقِيبُ:** الحارس الذي يقف في مكان مرتفع يجيد النظر فيما حوله يحصي كل حركة ﴿لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: 18].

■ **الرَّاصِدُ:** الحارس الذي لا يراه أحد ﴿فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْآنَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ [الجن: 9].

❊ ❊ ❊

النصوص اللغوية:

قال ابن فارسٍ(1): الخاء والزّاي والنّون أصل، يدلّ على صيانة الشّيء. يقال: خَزَنْتُ الدّرهم وغيره خَزْناً، وخَزَنْتُ السّرّ.

فأمّا خَزِنَ اللّحم: تغيّرت رائحته، فليس من هذا، إنّما هذا من المقلوب، والأصل: خَنِزْ، وقد ذُكر في موضعه.

---

(1) معجم مقاييس اللغة.

قال الخَليل(1): خَزَنَ الشّيء فلان يَخْزُنُه خَزْناً: إذا أحرَزَه في خِزَانَةٍ، واخْتَزَنْتُه لنفسي.

وخِزَانَتِي قلبي، وخَازِنِي لساني. قال لقمان لابنه: (إذا كان خَازِنُكَ حفيظاً، وخِزَانَتك أمينةً سُدْتَ في دُنياك وآخرتك). يعني اللّسان والقلب.

والخِزَانَةُ: الموضع الّذي يُخْزَن فيه الشّيء. والخِزَانَةُ: عمل الخَازِن. وخَزِن اللّحم، أي: تغير. «النَّصبُ: خِزانة النّحو، والبصرة: خزانة العرب»، أي مُعوِّلهم عليه أكثر من سائره. النَّصْب في الحال والقَطْع والوَقْفِ إضمار الصّفات.

قال الأزهَريّ(2): في نوادر الأعراب: يقال: اخْتَزَنْتُ طريقاً واختصرته، وأخذنا مَخَازِنَ الطّريق ومَخاصِرها، أي: أخذنا أقربها.

قال الجوهري(3): خَزَنْتُ المال واخْتَزَنْتَهُ: جعلته في الخِزَانَةِ.

وخزَنْتُ السّرّ واخْتَزْنتُه: كتَمتُه.

والـمُخْزَن بفتح الزّاي: ما يُخزَن فيه الشّيء. والخِزَانَة بالكسر: واحدة الخزائن.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَـٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَـٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَـٰزِنِينَ﴾ [الحجر: 22].

قال الطّبَريّ(4): يقول: ولستم بخازني الماء الّذي أنزلنا من السّماء

(1) العين.
(2) تهذيب اللغة.
(3) الصحاح في اللغة.
(4) جامع البيان.

﴿فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ﴾ فتمنعوه مَن أسقيه، لأنّ ذلك بيدي وإليّ، أسقيه من أشاء، وأمنعه من أشاء.

قال الزّمَخْشَريّ(1): نفى عنهم ما أثبته لنفسه، في قوله: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ﴾ [الحجر: 21].

كأنّه قال: نحن الخازنون للماء، أي: على معنى نحن القادرون على خلقه في السّماء، وأنزلناه منها وما أنتم عليه بقادرين، دلالةً على عظيم قدرته، وإظهاراً لعجزهم.

قال القُرطُبيّ(2): أي ليست خزائنه عندكم، أي: نحن الخازنون لهذا الماء، نُنزّله إذا شئنا ونُمسكه إذا شئنا. ومثله: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا﴾ [الفرقان: 48].

و﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ﴾ [المؤمنون: 18]

● **قال تعالى**: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: 49].

قال الطّبَريّ(3): لخزنتها وقوّامها.

قال الألوسيّ(4): وضع الظّاهر موضعه [الضّمير] للتّهويل، فإنّ ﴿جَهَنَّمَ﴾ أخصّ من النّار بحسب الظّاهر، لإطلاقها على ما في الدّنيا، أو لأنّها محلّ لأشدّ العذاب الشّامل للنّار وغيرها.

قال المَراغيّ(5): لخدّمها وقوّامها مستغيثين بهم من عظيم ما هم فيه من البلاء، رجاء أن يجدوا لديهم فرجاً من ذلك الكَرْب الّذي هم فيه.

---

(1) الكشاف.
(2) الجامع لأحكام القرآن.
(3) جامع البيان.
(4) روح المعاني.
(5) تفسير المراغي.

● قال تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ. . .﴾ [الزمر: 71].

قال القُرطُبيّ[1]: واحدهم خازن نحو سَدَنة وسادن، يقولون لهم تقريعاً وتوبيخاً.

قال النّسَفيّ[2]: أي: حفظة جهنّم، وهم الملائكة الموكَّلون بتعذيب أهلها.

قال ابن عاشور[3]: الخَزَنة: جمع خازن، وهو الوكيل والبوّاب، غلب عليه اسم الخازن، لأنّه يقصد لخزن المال.

● قال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ. . .﴾ [الأنعام: 50].

قال الطّبَريّ[4]: يقول تعالى ذكره: قل لهؤلاء المنكرين نبوّتك: لستُ أقول لكم: إنيّ الرّبّ الّذي له خزائن السّماوات والأرض، فأعلَم غيوب الأشياء الخفيّة الّتي لا يعلمها إلاّ الرّبّ الّذي لا يخفى عليه شيء، فتكذّبوني فيما أقول من ذلك، لأنّه لا ينبغي أن يكون ربًّا إلّا من له مُلك كلّ شيء، وبيده كلّ شيء، ومن لا يخفى عليه خافية، وذلك هو الله الّذي لا إله غيره.

قال الزّجّاج[5]: أعلمهم النّبيّ ﷺ أنّه لا يملك خزائن الله الّتي بها يرزق ويعطي.

قال الزّمَخْشَريّ[6]: أي لا أدّعي ما يُستبعَد في العقول أن يكون لبشر من مِلك خزائن الله، وهي قَسْمه بين الخَلْق، وأرزاقه، وعلم الغيب، وأنيّ من الملائكة الّذين هم أشرف جنس خلقه الله تعالى، وأفضله وأقربه منزلة منه، أي: لم أدّع إلٰهية

(1) الجامع لأحكام القرآن.
(2) مدارك التنزيل.
(3) التحرير والتنوير.
(4) جامع البيان.
(5) معاني القرآن.
(6) الكشاف.

ولا مَلَكيّة، لأنّه ليس بعد الإلٰهيّة منزلة أرفع من منزلة الملائكة، حتّى تستبعدوا دعواى وتستنكرونها، وإنّما أدّعي ما كان مثله لكثير من البشر، وهو النّبوّة.

● **قال تعالى:** ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ. . .﴾ [هود: 31].

قال الطّبَريّ[1]: ﴿. . . خَزَآئِنُ ٱللَّهِ﴾ الّتي لا يُفنيها شيء، فأدعوكم إلى اتّباعي عليها.

قال الزّمَخْشَريّ[2]: معناه: لا أقول لكم عندي خزائن الله، فأدّعي فضلاً عليكم في الغنى، حتّى تجحدوا فضلي بقولكم: ﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلِۭ﴾ [هُود: 27].

قال الفَخْر الرّازيّ[3]: أي كما لا أسألكم، فكذلك لا أدّعي أنّي أملك مالاً ولا لي غرض في المال لا أخذاً ولا دفعاً [إلى أن قال:] ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ﴾ إشارة إلى أنّي لا أدّعي الاستغناء المطلق.

● **قال تعالى:** ﴿قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ﴾ [يوسف: 55].

قال الطّبَريّ[4]: قال يوسف للملك: اجْعلني على خزائن أرضك، وهي جمع: خِزانة، والألف واللّام دخلتا في ﴿ٱلۡأَرۡضِۖ﴾، خَلَفاً من الإضافة.

وهذا من يوسف صلوات الله عليه، مسألة منه للملك أن يولّيه أمر طعام بلده وخراجها، والقيام بأسباب بلده، ففعل ذلك الملك به.

وعن شيبة الضّبّيّ: على حفظ الطّعام.

(1) جامع البيان.
(2) الكشاف.
(3) التفسير الكبير.
(4) جامع البيان.

قال البغَويّ[1]: الخزائن: جمع خِزانة، وأراد: خزائن الطّعام والأموال، والأرض: أرض مصر، أي: خزائن أرضك.

قال ابن عَطية[2]: فَهِم يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ من المَلِك أنّه عزم على تصريفه والاستعانة بنظره في المُلك، فألقى يده في الفصل الّذي تمكّنه فيه المعدلة، ويترتّب له الإحسان إلى من يجب، ووضع الحقّ على أهله، وعند أهله.

● **قال تعالى**: ﴿قُل لَّوۡ أَنتُمۡ تَمۡلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحۡمَةِ رَبِّيٓ إِذٗا لَّأَمۡسَكۡتُمۡ خَشۡيَةَ ٱلۡإِنفَاقِۚ﴾ [الإسراء: 100].

قال الفَخْر الرّازيّ[3]: خزائن فضل الله ورحمته غير متناهية، فكأنّ المعنى: أنّكم لو ملكتم من الخير والنّعم خزائن لا نهاية لها لبقيتم على الشّحّ، وهذا مبالغة عظيمة في وصفهم بهذا الشّيء.

قال الألوسيّ[4]: أي: خزائن نعمه الّتي أفاضها على كافّة الموجودات، فالرّحمة: مجاز عن النّعم، والخزائن: استعارة تحقيقيّة أو تخييليّة.

● **قال تعالى**: ﴿أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَحۡمَةِ رَبِّكَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡوَهَّابِ﴾ [صٓ: 9].

قال الطّبَريّ[5]: يقول تعالى ذكره: أم عند هؤلاء المشركين المنكرين وحي الله إلى محمّد خزائن رحمة ربّك، يعني: مفاتيح رحمة ربّك يا محمّد.

قال الزّمَخْشَريّ[6]: يعني ما هم بمالكي خزائن الرّحمة حتّى يُصيبوا بها من شاؤوا، ويصرفوها عمّن شاؤوا، ويتخيّروا للنّبوّة بعض صناديدهم، ويترفّعوا بها عن محمّد عليه الصّلاة والسّلام.

قال ابن عَطيّة[7]: الخزائن للرّحمة مستعارة، كأنّها موضع جمعها وحفظها،

---

(1) معالم التنزيل.
(2) المحرر الوجيز.
(3) التفسير الكبير.
(4) روح المعاني.
(5) جامع البيان.
(6) الكشاف.
(7) المحرر الوجيز.

من حيث كانت ذخائر البشر تحتاج إلى ذلك، خُوطبوا في الرّحمة بما ينحوا إلى ذلك. وقال الطّبَريّ: يعني بـ(الخزائن): المفاتيح. والأوّل أبين، والله أعلم.

● **قال تعالى:** ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ﴾ [الطور: 37].

قال الزّجّاج(1): وتفسير ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ﴾ أي: عندهم ما في خزائن ربّك من العلم، وقيل: في خزائن ربّك، أي: رزق ربّك.

قال الماوَرْديّ(2): فيه وجهان: أحدهما: مفاتيح الرّحمة، الثّاني: خزائن الرّزق

قال الزّمَخْشَريّ(3): ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ﴾ الرّزق حتّى يرزقوا النّبوّة من شاؤوا؟ أو عندهم خزائن علمه حتّى يختاروا لها مَن اختياره حكمة ومصلحة.

● **قال تعالى:** ﴿... وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [المنافقون: 7].

قال الطّبَريّ(4): يقول: ولله جميع ما في السّماوات والأرض من شيء، وبيده مفاتيح خزائن ذلك، لا يقدر أحد أن يُعطي أحداً شيئاً إلّا بمشيئته.

قال الزّجّاج(5): أي: إنّ الله يرزقهم، وهو رازقهم في حال إنفاق هؤلاء عليهم.

قال الماوَرْديّ(6): فيه وجهان:

أحدهما: خزائن السّماوات: المطر، وخزائن الأرضين: النّبات.

الثّاني: خزائن السّماوات: ما قضاه، وخزائن الأرضيين: ما أعطاه.

---

(1) معاني القرآن.
(2) النكت والعيون.
(3) الكشاف.
(4) جامع البيان.
(5) معاني القرآن.
(6) النكت والعيون.

● قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الحجر: 21].

قال الطّبَريّ[1]: يقول تعالى ذكره: وما من شيءٍ من الأمطار إلّا عندنا خزائنه، وما نُنزّله إلّا بقَدَر، لكلّ أرض معلوم عندنا حَدّه ومبلغه.

قال الزّمَخْشَريّ[2]: ذِكر الخزائن تمثيلٌ، والمعنى: وما من شيء ينتفع به العباد إلّا ونحن قادرون على إيجاده وتكوينه والإنعام به، وما نعطيه إلّا بمقدار معلوم، نعلم أنّه مصلحة له، فضرب الخزائن مثَلاً لاقتدار على كلّ مقدور.

قال ابن عَطيّة[3]: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا﴾ قال ابن جُرَيْج: وهو المطر خاصّة. وينبغي أن تكون أعمّ من هذا في كثير من المخلوقات.

والخزائن: المواضع الحاوية، وظاهر هذا أنّ الماء والرّيح ونحو ذلك موجود مخلوق، وهو ظاهر في قولهم في الرّيح: عَتَتْ على الخَزَائن، وانفتح منها قَدْر حلقة الخاتم، ولو كان قَدْر مَنْخَر الثّور لأهلك الأرض، إلى غير هذا من الشّواهد.

وذهب قوم إلى أنّ كونها في القدرة هو خَزْنها، فإذا شاء الله أوجدها.

وهذا أيضاً ظاهر في أشياء كثيرة، وهو لازم في الأعراض إذا عمّمنا لفظة ﴿شَيْءٍ﴾، وكيفما كان الأمر فالقدرة تسَعَه وتُتْقِنه.

● قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الحِجر: 21].

قال الشوكاني[4]: ﴿أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ﴾ [الحجر: 22] أي: ليست خزائنه عندكم، بل خزائنه عندنا، ونحن الخازنون له، فنفى عنهم سبحانه ما أثبته لنفسه

(1) جامع البيان.
(2) الكشاف.
(3) المحرر الوجيز.
(4) فتح القدير.

في قوله: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ﴾ وقيل المعنى: إن ما أنتم له بخازنين بعد أن أنزلناه عليكم: أي: لا تقدرون على حفظه في الآبار والغدران والعيون، بل نحن الحافظون له فيها ليكون ذخيرة لكم عند الحاجة إليه.

خزي

(خزي - سوء - هوان - ذم - سبّ)

■ **الخزْيُ:** انكسار الإنسان في عيون الآخرين لفعله منكرة فينفضُّ عنه الناس ﴿فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الزُّمَر: 26].

■ **السُّوءُ:** كل ما يغم الإنسان من أمور الدنيا والآخرة من فوات جاه أو مال، أو فقد حميم أو مرض خبيث ﴿وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ [طه: 22].

■ **الهَوَانُ:** أن يستخف به الآخر علانية إهانة له ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾ [الحجّ: 18].

■ **الذَّمُّ:** أن يذكر بصفات قبيحة علانية ﴿ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الأعراف: 18].

■ **السَّبُّ:** الشتم الوجيع ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: 108].

❋ ❋ ❋

النصوص اللغوية:

قال الخَليل[1]: خَزِي فلان يَخزَى خِزْياً، وهو من السّوء، والله أخزاه وأقامه على خِزْية، وعلى مَخْزاة.

والخَزاية: الاستِحياء، تقول: لا يأنَفُ ولا يَخزَى ممّا يَصنَع.

(1) العين.

وخَزِيتُ: استَحيَيتُ.

ورجل خَزْيان، وامرأة خَزْيا، أي: فعَل أمراً قبيحاً فاشتدّت خزايته لذلك، أي حياؤه؛ وجمعه: خَزايا.

وفي الدّعاء: (اللّهمّ احشُرنا غير خزايا ولا نادمين) أي: غير مُستحيين من أعمالنا.

قال الجَوهَريّ(1): وخَزِي بالكسر يَخزَى خِزْياً، أي: ذلّ وهان.

وخَزِي أيضاً يَخزَى خَزايَةً، أي: استحيا، فهو خَزْيانُ. وقوم خَزايا وامرأة خَزْياء.

قال الرّاغِب(2): خَزِي الرّجل: لَحِقَه انكِسارٌ إمّا من نفسه وإمّا من غيره.

فالّذي يَلحَقه من نفسه هو الحياء المُفرِط؛ ومصدره: الخَزاية. ورجل خَزْيانُ وامرأةٌ خَزْيا؛ وجمعه: خَزايا. وفي الحديث: (اللّهمَّ احشُرنا غير خَزايا ولا نادمين).

والّذي يَلحقُه من غيره، يقال هو ضَرْبٌ من الاستخفاف؛ ومصدره: الخِزْي، ورجل خَزٍ.

و(أخزَى) - يقال - من الخَزايَةِ والخِزْي جميعاً،

وقوله: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [التحريم: 8]، فهو من الخِزْي أقرب، وإن جاز أن يكون منهما جميعاً.

وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾ [آل عمران: 192]، فمن الخَزاية، ويجوز أن يكون من الخِزْي.

وعلى نحو ما قلنا في (خَزي قولهم: ذَلّ وهانَ، فإنّ ذلك متى كان من الإنسان نفسه يقال له: الهَوْن والذُّلّ، ويكون محموداً، ومتى كان من غيره يقال له: الهُوان، والهَوان، والذُّلّ، ويكون مذمُوماً.

---

(1) الصحاح في اللغة. (2) مفردات الراغب.

المعنى المشترك:

وقد ورد الخزي في القرآن على ستة أوجه:

1 - الذل والهوان: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾ [آل عِمرَان: 192] أي اهنته وأذللته.

2 - الطرد: ﴿إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ [النّحل: 27].

3 - القتل والجلاء: ﴿فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [البَقَرَة: 85].

4 - الاستحياء: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ﴾ [هُود: 78].

5 - العذاب: ﴿وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ [الشُّعَرَاء: 87].

6 - الفضيحة: ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [آل عِمرَان: 194].

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَـٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَـٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ﴾ [طه: 134].

قال البغَويّ[1]: بالعذاب والذُّلّ والهَوان والخزي والافتضاح.

قال الزّمَخْشَري[2]: قرئ (نُذَلَّ وَنُخْزَى) على لفظ ما لم يُسمّ فاعله.

قال أبو السُّعود[3]: بدخول النّار اليوم، ولكنّا لم نهلكهم قبل إتيانها

(1) معالم التنزيل.
(2) الكشاف.
(3) إرشاد العقل السليم.

فانقطعت معذِرتُهم، فعند ذلك ﴿قَالُواْ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ﴾ [الملك: 9].

● قال تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ. . .﴾ [البقرة: 85].

قال الطّبَريّ[1]: والخِزْي: الذُّلّ والصَّغار، يقال منه: خزي الرّجل يَخزَى خِزْياً، ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ يعني في عاجل الدّنيا قبل الآخرة.

ثمّ اختُلف في الخزي الّذي أخزاهم الله بما سلف من معصيتهم إيّاه، فقال بعضهم: ذلك هو حكم الله الّذي أنزله إلى نبيّه محمّد ﷺ من أخذ القاتل بمن قتل، والقَوَد به قصاصاً، والانتقام للمظلوم من الظّالم.

وقال آخرون: بل ذلك، هو أخذ الجزية منهم ما أقاموا على دينهم، ذلّةً لهم وصَغاراً.

وقال آخرون: بل ذلك الخزي الّذي جُوّزوا به في الدّنيا إخراج رسول الله ﷺ النّضير من ديارهم لأوّل الحشر، وقتَل مقاتلة قُرَيظة وسَبي ذراريهم، فكان ذلك خِزْياً في الدّنيا، ولهم في الآخرة عذاب عظيم.

قال الزّجّاج[2]: يعني ما نال بني قرظية وبني النّضير، لأنّ بني النّضير أُجْلُوا إلى الشّام، وبني قريظة أُبيدوا حُكم فيهم بقتل المقاتلة وسبي الذّراريّ، فقال الله عزّ وجلّ: ﴿. . . إِلَّا خَآئِفِينَ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ. . .﴾ [البقرة: 114].

ولغيرهم من سائر الكفّار الخزي في الدّنيا: القتل، وأخذ الجزية مع الذّلّة والصَّغار.

---

(1) جامع البيان. (2) معاني القرآن.

● قال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي ٱلدُّنْيَاۖ وَلَهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: 33].

قال **الطّبَريّ**[1]: هو لهم شرّ وعار وذلّة ونكال وعقوبة في عاجل الدّنيا.

قال **الزّمَخْشَريّ**[2]: ذُلّ وفضيحة.

قال **ابن عَطيّة**[3]: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى هذه الحدود الّتي تُوقع بهم، وغلظ الله الوعيد في ذنب الحرابة، بأن أخبر أنّ لهم في الآخرة عذاباً عظيماً مع العقوبة في الدّنيا، وهذا خارج عن المعاصي، الّذي في حديث عبادة بن الصّامت في قول النّبيّ ﷺ: «**فمن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب به فهو له كفّارة**». ويحتمل أن يكون الخزي لمن عوقب، وعذاب الآخرة لمن سلم في الدّنيا، ويجري هذا الذّنب مجرى غيره، وهذا الوعيد مشروط الإنقاذ بالمشيئة، وإمّا أنّ الخوف يغلب عليهم بحسب الوعيد وعظم الذّنب. والخزي في هذه الآية: الفضيحة والذّلّ والمقت.

● قال تعالى: ﴿... أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْۚ لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌۖ وَلَهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: 41].

قال **الزّجّاج**[4]: قيل: لهم في الدّنيا فضيحةٌ بما أظهر الله من كذبهم، وقيل: لهم في الدنيا خزي بأخذ الجزية منهم، وضرب الذّلّة والمسكنة عليهم.

قال **الواحديّ**[5]: خزي المنافقين: هتك سترهم باطّلاع النّبيّ ﷺ على كفرهم، وخزي اليهود: فضيحتهم بظهورهم وكذبهم في كتابه الرّجم، وأخذ الجزية منهم.

---

(1) جامع البيان.
(2) الكشاف.
(3) المحرر الوجيز.
(4) معاني القرآن.
(5) الوجيز.

قال ابن عَطيّة(1): والمعنى بالذّلّة والمسكنة الّتي انضربت عليهم في أقطار الأرض وفي كلّ أُمّة، وقرّر لهم العذاب في الآخرة بكفرهم.

● **قال تعالى**: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا صَٰلِحٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَمِنۡ خِزۡيِ يَوۡمِئِذٍۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ﴾ [هود: 66].

قال الواحديّ(2): ﴿وَمِنۡ خِزۡيِ يَوۡمِئِذٍۚ﴾ قال ابن الأنباريّ: هذا عطف على محذوف بتقدير: نجّيناهم من العذاب ومن خزي يومئذ من الخزي الّذي لزمهم ذلك اليوم، وبقي عاره مأثوراً عنهم.

قال القُرطُبيّ(3): أي ونجّيناهم من خزي يومئذ، أي من فضيحته وذلّته. وقيل: الواو زائدة، أي نجّيناهم من خزي يومئذ. ولا يجوز زيادتها عند سيبَويَه وأهل البصرة، وعند الكوفيّين يجوز زيادتها مع (لمّا) و(حتّى) لا غير.

● **قال تعالى**: ﴿ثَانِيَ عِطۡفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ لَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ﴾ [الحج: 9].

قال الطّبَريّ(4): ﴿لَهُۥ﴾ لهذا المجادِل في الله بغير علم، ﴿فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَنُذِيقُهُۥ﴾ وهو القتل والذُّلّ، والمهانة بأيدي المؤمنين، فقَتَله الله بأيديهم يوم بدر.

قال الزَمَخْشَريّ(5): وخزيه: ما أصابه يوم بدر من الصَّغار والقتل. والسّبب فيما مُني به من خزي الدّنيا وعذاب الآخرة، هو ما قدّمت يداه. وعدل الله في معاقبته الفجّار وإثابته الصّالحين.

قال الفَخْر الرّازيّ(6): وأمّا الّذين لم يُخصّصوا هذه الآية بواحد معيّن، **قالوا**: المراد بالخزي في الدّنيا: ما أُمر المؤمنون بذمّه ولعنه ومجاهدته.

---

(1) المحرر الوجيز.
(2) الوجيز.
(3) الجامع لأحكام القرآن.
(4) جامع البيان.
(5) الكشاف.
(6) التفسير الكبير.

● قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: 63].

قال الفَخْر الرّازيّ[1]: والخزي: قد يكون بمعنى النّدم وبمعنى الاستحياء. والنّدم هنا أولى، لقوله تعالى: ﴿وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ [يونس: 54].

قال أبو السُّعود[2]: الخزي: الذُّلّ والهوان المقارن للفضيحة والنّدامة، وهي ثمرات نفاقهم؛ حيث يفتضحون على رؤوس الأشهاد بظهورها، ولُحوق العذاب الخالد بهم، والجملة تذييل لما سبق.

قال الألوسيّ[3]: أي الذُّلّ والهوان المقارن للفضيحة، ولا يخفى ما في الحمل من المبالغة، والجملة تذييل لما سبق.

● قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [يونس: 98].

قال القُرطُبيّ[4]: أي العذاب الّذي وعدهم به يونس أنّه ينزل بهم لا أنّهم رأوه عياناً ولا مخايلة، وعلى هذا لا إشكال ولا تعارض ولا خصوص، والله أعلم.

● قال تعالى: ﴿لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ﴾ [فصلت: 16].

قال الزّمَخْشَريّ[5]: وأضاف العذاب إلى الخزي وهو الذّلّ والاستكانة على

---

(1) التفسير الكبير.
(2) إرشاد العقل السليم.
(3) روح المعاني.
(4) الجامع لأحكام القرآن.
(5) الكشاف.

أنّه وصف للعذاب، كأنّه قال: عذاب خزي، كما تقول: فعل السُّوء، تريد: الفعل السّيّئ، والدّليل عليه قوله تعالى: ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَخْزَىٰ﴾ وهو من الإسناد المجازيّ. ووصف العذاب بالخزي أبلغ من وصفهم به؛ ألا ترى إلى البَوْن بين قوليك: (هو شاعر، وله شعر شاعر).

قال الفَخْر الرّازيّ(1): أي عذاب الهوان والذّلّ. والسّبب فيه أنّهم استكبروا، فقابل الله ذلك الاستكبار بإيصال الخزي والهوان والذّلّ إليهم. و﴿أَخْزَىٰ﴾ أي: أشدّ إهانةً وخزياً.

● **قال تعالى**: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [آل عمران: 192].

قال الطَّبَريّ(2): اختلف أهل التّأويل في ذلك:

فقال بعضهم: معنى ذلك: ربّنا إنّك مَن تُدخل النّار من عبادك فتُخلده فيها، فقد أخزيته.

قال: ولا يُخزَى مؤمن مصيره إلى الجنّة، وإن عُذّب بالنّار بعض العذاب.

وقال آخرون: معنى ذلك: ربّنا إنّك من تدخل النّار، من مخلَّدٍ فيها وغير مخلَّد فيها، فقد أُخزي بالعذاب.

وأولى القولين بالصّواب عندي، قول جابر (إنّ من أُدخل النّار فقد أُخزي بدخوله إيّاها، وإن أُخرج منها) وذلك أنّ (الخزي) إنّما هو هتك ستر المخزيّ وفضيحته، ومن عاقبه ربّه في الآخرة على ذُنوبه، فقد فضحه بعقابه إيّاه، وذلك هو (الخزي).

قال الزّمَخْشَريّ(3): ﴿فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾ فقد أبلغت في إخزائه، وهو نظير قوله:

---

(1) التفسير الكبير.
(2) جامع البيان.
(3) الكشاف.

﴿فَقَدْ فَازَۗ﴾ [آل عمران: 185] ﴿فَقَدْ فَازَۗ﴾، ونحوه في كلامهم: (مَن أدرك مرعى الضّمان فقد أدرك، ومن سبق فلاناً فقد سبق).

● **قال تعالى**: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [الحشر: 5].

قال الطّبَريّ(1): وليُذلّ الخارجين عن طاعة الله عزّ وجلّ، المخالفين أمره ونهيه، وهم يهود بني النّضير.

قال الزّجّاج(2): بأن يُريهم أموالهم يتحكّم فيها المسلمون كيف أحبّوا.

قال الزّمَخْشَريّ(3): وليُذلّ اليهود ويُغيظهم أذن في قطعها؛ وذلك أنّ رسول الله ﷺ حين أمر أن تُقطَع نخلهم وتُحرَق، قالوا: يا محمّد قد كنت تنهى عن الفساد في الأرض، فما بال قطع النّخل وتحريقها، فكان في أنفس المؤمنين من ذلك شيء فنزلت، يعني أنّ الله أذن لهم في قطعها ليزيدكم غيظاً، ويضاعف لكم حسرةً إذا رأيتموهم يتحكّمون في أموالكم كيف أحبّوا، ويتصرّفون فيها ما شاءوا.

واتّفق العلماء أنّ حصون الكفرة وديارهم لا بأس بأن تُهدَم وتُحرَق وتُغرَق وتُرمَى بالمجانيق، وكذلك أشجارهم لا بأس بقلعها، مثمرةً كانت أو غير مثمرة.

وعن ابن مَسعود: قطعوا منها ما كان موضعاً للقتال.

● **قال تعالى**: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ...﴾ [التحريم: 8]

قال الزّمَخْشَريّ(4): ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ﴾ نصب بـ (يُدْخِلَكُمْ)، ولا (لاَ يُخْزِي) تعريضٌ بمن أخزاهم الله من أهل الكفر والفسوق، واستحماد إلى المؤمنين على أنّه عصمهم من مثل حالهم.

---

(1) جامع البيان.
(2) معاني القرآن.
(3) الكشاف.
(4) الكشاف.

قال ابن عطيّة(1): وروي في معنى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ﴾ أنّ محمّداً ﷺ تضرّع في أمر أُمّته، فأوحى الله إليه: إن شئتَ جعَلتُ حسابهم إليك، فقال: (ياربّ أنت ارحم بهم) فقال الله تعالى: إذاً لا أُخزيك فيهم، فهذا معنى قوله: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ﴾.

والخزي: المكروه الّذي يترك الإنسان حيرانَ خَجِلاً مهموماً بأن يرى نقصه، أو سوء منزلته.

قال الفَخْر الرّازيّ(2): [نحو الزّمَخْشَريّ وأضاف:]

ثمّ المعتزلة تعلّقوا بقوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ﴾ وقالوا: الإخزاء يقع بالعذاب، فقد وعد بأن لا يعذّب الّذين آمنوا، ولو كان أصحاب الكبائر من أهل الإيمان لم نخف عليهم العذاب. وأهل السّنّة أجابُوا عنه بأنّه تعالى وعد أهل الإيمان بأن لا يُخزيهم، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ ابتداء كلام، وخبره ﴿يَسْعَىٰ﴾، أو ﴿لَا يُخْزِى ٱللَّهُ﴾، ثمّ من أهل السّنّة من ردّ الشّفاعة، والإخزاء الفضيحة، أي لا يفضحهم بين يدي الكفّار، ويجوز أن يعذّبهم على وجه لا يقف عليه الكفرة.

● **قال تعالى**: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [هود: 39].

قال الزّمَخْشَريّ(3): يعني به إيّاهم، ويريد بالعذاب: عذاب الدّنيا، وهو الغرق.

قال ابن عَطيّة(4): والعذاب المخزيّ، هو الغرق، والمقيم: هو عذاب الآخرة.

قال أبو حَيّان(5): معنى يُخزيه يفضحه أو يَهلكه أو يُذلّه وهو الغرق، أقوال متقاربة.

---

(1) المحرر الوجيز.
(2) التفسير الكبير.
(3) الكشاف.
(4) المحرر الوجيز.
(5) البحر المحيط.

● **قال تعالى:** ﴿مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [الزمر: 40].

قال الزّمَخْشَريّ[1]: أي عذاب مُخزٍ له، وهو يوم بدر.

قال ابن عَطيّة[2]: هو عذاب الدّنيا يوم بدر وغيره.

● **قال تعالى:** ﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [النحل: 27].

قال الطّبَريّ[3]: يقول تعالى ذكره: فعل الله بهؤلاء الّذين مكروا الّذين وصف الله جلّ ثناؤه أمرهم ما فعل بهم في الدّنيا، من تعجيل العذاب لهم، والانتقام بكفرهم، وجحودهم وحدانيّته، ثمّ هو مع ذلك يوم القيامة مخزيهم، فمذلّهم بعذاب أليم، وقائل لهم عند ورودهم عليه: ﴿أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْ ۚ﴾.

قال الزّمَخْشَريّ[4]: يُذلّهم بعذاب الخزي ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾ [آل عمران: 192]، يعني هذا لهم في الدّنيا ثمّ العذاب في الآخرة.

قال الفَخْر الرّازيّ[5]: والخزي: هو العذاب مع الهوان، وفسرّ تعالى ذلك الهوان بأنّه تعالى يقول لهم: ﴿أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْ ۚ﴾.

المرجئة احتجّوا بهذه الآية على أنّ العذاب مختصّ بالكافر، قالوا: لأنّ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ يدلّ على أنّ ماهيّة الخزي والسُّوء في يوم القيامة مختصّة بالكافر، وذلك ينفي حصول هذه الماهيّة في حقّ غيرهم.

(1) الكشاف.
(2) المحرر الوجيز.
(3) جامع البيان.
(4) الكشاف.
(5) التفسير الكبير.

وتأكّد هذا بقول موسى عليه السلام: ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ [طه: 48].

● **قال تعالى:** ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: 14].

قال الطّبَريّ(1): يقول: ويُذلّهم بالأسر والقهر.

قال ابن عَطيّة(2): معناه يُذلّهم على ذنوبهم. يقال: خَزِي الرّجل يَخزَى خِزْياً، إذا ذلّ من حيث وقع في عار، وأخزاه غيره، وخَزِي خَزايَة، إذا استحيا.

قال الفَخْر الرّازيّ(3): قوله تعالى: ﴿وَيُخْزِهِمْ﴾ معناه ما ينزل بهم من الذُّلّ والهوان؛ حيث شاهدوا أنفسهم مقهورين في أيدي المؤمنين، ذليلين مهينين.

● **قال تعالى:** ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ [الشُّعَراء: 87].

قال الطّبَريّ(4): يقول: ولا تُذلّني بعقابك إيّاي يوم تبعث عبادك من قبورهم لموقف القيامة.

قال القُشَيْريّ(5): أي لا تُخجلْني بتذكيري خلّتي، فإنّ شهود ما مِن العبد عند أرباب القلوب وأصحاب الخصوص أشدّ عقوبة.

قال الزّمَخْشَريّ(6): يعني ولا تخزني يوم يُبعَث الضّالّون وأبي فيهم.

● **قال تعالى:** ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِيٓ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾ [هود: 78].

---

(1) جامع البيان.
(2) المحرر الوجيز.
(3) التفسير الكبير.
(4) جامع البيان.
(5) لطائف الإشارات.
(6) الكشاف.

قال الطّبَريّ[1]: يقول: ولا تُذلّوني، بأن تركبوا منّي في ضيفي ما يكرهون أن تركُبوه منهم.

قال الزّمَخْشَريّ[2]: ولا تُهينوني ولا تفضحوني من الخِزْي، أو ولا تُخجّلوني من الخَزاية، وهي الحياء.

قال الألوسيّ[3]: أي: لا تفضحوني في شأنهم، فإنّ إخزاء ضيف الرّجل إخزاء له، أو لا تُخجّلوني فيهم؛ والمصدر على الأوّل الخِزْي، وعلى الثّاني الخَزايَة. وأصل معنى خَزِي: لحقه انكسار إمّا من نفسه وهو الحياء المفرط، وإمّا من غيره، وهو الاستخفاف والتّفضيح.

● **قال تعالى**: ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخۡزِنَا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ إِنَّكَ لَا تُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ﴾ [آل عمران: 194].

قال الطّبَريّ[4]: ﴿وَلَا تُخۡزِنَا...﴾ فتفضحنا بذنوبنا الّتي سلفت منّا، ولكن كفِّرها عنّا، واغفرها لنا.

قال الزّجّاج[5]: أي قد صدَّقنا يوم القيامة فلا تخزنا، والمُخَزى في اللّغة: المذَلّ المحقور بأمر قد لزمه بحجّة، وكذلك أخزَيته، أي ألزَمته حُجّةً أذلَلْته معها.

قال ابن عَطيّة[6]: وقولهم: ﴿وَلَا تُخۡزِنَا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ...﴾ إشارة إلى قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ﴾ [التحريم: 8]، فهذا وعده تعالى: وهو دالّ على أنّ الخِزْي إنّما هو مع الخلود.

● **قال تعالى**: ﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ غَيۡرُ مُعۡجِزِي ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخۡزِي ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [التوبة: 2].

---

(1) جامع البيان.
(2) الكشاف.
(3) روح المعاني.
(4) جامع البيان.
(5) معاني القرآن.
(6) المحرر الوجيز.

قال الطّبَريّ[1]: يقول: واعلموا أنّ الله مُذلّ الكافرين، ومورثهم العار في الدّنيا، والنّار في الآخرة.

قال الزّجّاج[2]: وهذا ضمان من الله عزّ وجلّ بنصره المؤمنين على الكافرين.

قال أبو حَيّان[3]: أي مُذلّكم في الدّنيا بالقتل والأسر والنّهب، وفي الآخرة بالعذاب.

(1) جامع البيان.
(2) معاني القرآن.
(3) البحر المحيط.

خسأ

(خسأ - خيب - تبّ - تعس - خسر - فشل)

■ **الخَسَأُ:** الانقياض والتقدم مع الطرد ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ [البَقَرَة: 65].

■ **الخَيْبَةُ:** فوات المطلوب مع بذل الجهد ﴿وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ﴾ [طه: 61].

■ **تَبَّ:** الاستمرار في الخسران ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المَسَد: 1].

■ **التَّعْسُ:** عدم الانتعاش مع العثرة ﴿فَتَعْسًا لَّهُمْ﴾ [محَمَّد: 8].

■ **الخُسْرُ:** انتقاص رأس المال ﴿قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ [النَّازعَات: 12].

■ **الفَشَلُ:** ضعف مع جبن ﴿وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفَال: 46].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارسٍ[1]: الخاء والسّين والهمزة يدلّ على الإبعاد، يقال: خسَأْتُ الكَلْبَ. وفي القرآن: ﴿قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: 108].

كما يقال: ابْعُدوا.

وقال ابن أبي إسحاق لبُكير بن حبيب: ما ألحَنُ في شيء، فقال: لا تفعل.

(1) معجم مقاييس اللغة.

فقال: خُذ عليّ كِلْمةً، فقال: هذه، قل: كَلِمَة. ومرّت به سنَّورة، فقال لها: اخسَيْ، فقيل له: أخطأتَ، إنّما هو اخْسَي.

قال الخَليل(1): خَسَأتُ الكَلْبَ: إذا زجَرْتَه. فقُلتَ: اخْسَأْ.

والخَاسِئُ من الكلاب والخنازير: المُباعَد، وجعل الله اليهود قِرَدَةً خَاسِئِينَ، أي: مَدْحُورين، وخَسَأَ الكَلْب خُسُوءً. ويقال: اخْسَأْ عني واخسأ إليك.

وخَسَأَ البَصَر، أي: كَلّ وأعيا، يَخسَأُ خُسُوءً، ومنه قوله تعالى: ﴿.... خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ [المُلك: 4].

قال الأزهَريّ(2): ويقال: خَسَأْتُه فخَسَأ، أي: أبعَدتُه فبَعُد.

قال الجَوهَريّ(3): خَسَأْتُ الكَلْبَ خَسْأً: طرَدتُه، وخَسَأَ الكَلْبُ بنفسه، يتعدّى ولا يتعدّى، وانْخَسَأَ أيضاً. وتَخَاسَأَ القوم بالحجارة: ترامَوا بها. وكانت بينهم مُخاسأة.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: 108].

قال الطّبَريّ(4): أي اقْعُدوا في النّار. يقال منه: خسّأت فلاناً اخْسَؤُه خَسْأً وخُسُوءً، وخَسِئ هو يُخَسَّأ، وما كان خاسئًا ولقد خَسِىء.

قال الزّجّاج(5): معنى ﴿ٱخْسَـُٔوا۟﴾: تباعدوا تَباعُدَ سُخطٍ.

يقال خسأت الكلب أخسؤه، إذا زجرته ليتباعد.

(1) العين.
(2) تهذيب اللغة.
(3) الصحاح في اللغة.
(4) جامع البيان.
(5) معاني القرآن.

قال المَراغيّ[1]: أي: امكُثُوا فيها أذلّاء صاغرين واسكتوا، ولا تعودوا إلى مثل سؤالكم هذا، فإنّه لا رجعة لكم إلى الدّنيا، وإنما يكلمني من سَمَتْ نفسه إلى عالم الأرواح، ولبس رداء الخوف والخشية من ربّه، واحتقر الدّنيا وشهواتها، وعزف عنها، لما يرجوه من ربّه من ثواب عميم، ونعيم مُقيم.

● **قال تعالى**: ﴿ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ [الملك: 4].

قال ابن عَطيّة[2]: الخاسئ: المبُعَد بذُل عن شيء أراده وحرص عليه، ومنه الكَلْب الخاسئ، ومنه قول النّبي ﷺ لابن صيّاد: «**اخْسَأْ فلن تعدو قدرك**»، ومنه قوله تعالى للكفّار الحريصين على الخروج من جهنّم: ﴿ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا﴾ [المؤمنون: 108]، وكذلك هنا البصر يحرص على رؤية فطور، أو تفاوت، فلا يجد ذلك، فينقلب خاسئًا.

قال الفَخْر الرّازي[3]: قال أهل اللّغة: الخاسئ الصاغر المبْعَد المطرود، كالكلب إذا دنا من النّاس قيل له (اخْسَأْ) أي: تباعَدْ، وانطرد صاغراً، فليس هذا الموضع من مواضعك. قال الله تعالى: ﴿يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾، يحتمل صاغراً ذليلاً ممنوعاً عن معاودة النّظر، لأنّه تعالى قال: ﴿ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ﴾.

فكأنّه قال: ردّد البصر في السّماء ترديد من يطلب فطوراً، فإنّك وإن أكثرت من ذلك لم تجد فطوراً، فيرتدّ إليك طرفاً ذليلاً، كما يرتدّ الخائب بعد طول سعيه في طلب شيء، ولا يظفر به، فإنّه يرجع خائباً صاغراً مطروداً، من حيث كان يقصده من أن يعاوده.

قال أبو السُّعود[4]: أي بعيداً محروماً من إصابة ما التمسَه من العيب والخلل، كأنّه يُطرَد عن ذلك طرداً بالصِّغار والقماءة.

---

(1) تفسير المراغي.
(2) المحرر الوجيز.
(3) التفسير الكبير.
(4) إرشاد العقل السليم.

ولا يكون ﴿خَاسِئًا﴾ في الآية من المتعدّي إلّا أن يكون بمعنى المفعول، أي مُبْعَداً.

● قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ [البَقَرَة: 65].

قال الطّبَريّ(1): أي مُبعَدين من الخير أذلاّء، صُغَراء.

قال البغَويّ(2): مُبعدين مطرودين.

قيل: فيه تقديم وتأخير، أي: كونوا خاسئين قِرَدة، ولذلك لم يقل خاسئات، والخَسْأ: الطّرد والإبعاد، وهو لازم ومتعدّ، يقال: خسَأْتُه خَسْأً فخسَأ خُسُوءً، مثل رجَعه رَجْعاً فرجَع رُجُوعاً.

قال الزّمَخْشَريّ(3): ﴿قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ خبران، أي كونوا جامعين بين القِرَديّة والخُسُوء، وهو الصَّغار والطّرد.

---

(1) جامع البيان.
(2) معالم التنزيل.
(3) الكشاف.

خسر

(خسر - ضيّع - فقد - غرم - نقص)

- **الخُسْرُ:** ذهاب بعض رأس المال ﴿وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾ [الطّلاق: 9] (والخسران) ذهاب رأس المال كله ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ﴾ [الحَجّ: 11].
- **الضَّيَاعُ:** إخراج الشيء من مكان حفظه، ثم ضياعه من يد صاحبه بعد ذلك ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف: 30].
- **الفَقْدُ:** اختفاء المال من مكان حفظه ﴿قَالُوا۟ وَأَقْبَلُوا۟ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ﴾ [يوسف: 71 - 72].
- **الغَرْمُ:** إنقاص مال الإنسان عمداً لغير جناية منه أو خيانة ﴿فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ﴾ [القلم: 46].
- **النَّقْصُ:** الخسران في السهم أو الحظ أو النصيب أو الحق ﴿وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ﴾ [هُود: 109].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الخاء والسين والراء أصلٌ واحدٌ يدلُّ على النَّقْص. فمن ذلك الخُسْرُ والخُسْران، كالكُفْر والكُفْران، والفُرْق والفُرْقان. ويقال: خَسَرْتُ المِيزانَ وأخْسَرْتُه: إذا نقَصْتَه.

---

(1) معجم مقاييس اللغة.

قال الخَليل(1): الخُسْرُ: النّقصان، والخُسْرَانُ كذلك، والفعل: خَسِرَ يَخسَرُ خُسْرَاناً.

والخَاسِرُ: الّذي وُضع في تجارته؛ ومصدره: الخَسارَةُ والخُسْرُ.

كِلْتُه ووَزَنْتُه فأَخْسَرْتُه، أي: نقصته. وقوله جلّ وعزّ: ﴿وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾ [الطلاق: 9]، أي: نقصاً. وصَفْقَةٌ خَاسِرَةٌ، أي: غير مُربحَة.

قال الأزهَريّ(2): يقال: أَخْسَرَ الرّجل: إذا وافق خُسْراً في تجارته.

قال الجَوهَريّ(3): خَسِرَ في البيع خُسْراً وخُسْراناً، وهو مثل الفُرْق والفُرْقان. وخَسَرْتُ الشّيء بالفتح، وأَخْسَرتُه: نقَصتُه.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا﴾ [الكهف: 103]، قال الأخفش: واحدهم: الأخسَر، مثل الأكبَر.

قال أبو هلال(4): الفرق بين الوضيعة والخُسْران: أنّ الوضيعة: ذهاب رأس المال، ولا يقال لمن ذهب رأس ماله كلّه: وُضِع، والشّاهد أنّه من الوَضْع خلاف الرَّفْع.

والشّيء إذا وُضِع لم يذهب، وإنّما قيل: وُضع الرّجل، على الاختصار، والمعنى أنّ التّجارة وضَعَتْ من رأس ماله، وإذا نفد ماله: وُضع، لأنّ الوضع ضدّ الرّفع.

والخُسْرَانُ: ذهاب رأس ماله، وإذا نقص ماله فقد وُضع، لأنّ الوضع ضدّ الرّفع.

والخُسْرَانُ: ذهاب رأس المال كلّه. ثمّ كثُر حتّى سمّي ذهاب بعض رأس المال خُسراناً. وقال الله تعالى: ﴿خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ [الأنعام: 12]، لأنّهم عدِموا

(1) العين.
(2) تهذيب اللغة.
(3) الصحاح في اللغة.
(4) الفروق.

الانتفاع بها، فكأنّها هلكت وذهبت أصلاً، فلم يقدر منها على شيء. وأصل الخسران في العربيّة: الهلاك.

● **ورد الخسران في القرآن الكريم على سبعة أوجه:**

1 - النقص: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ﴾ [الرَّحمٰن: 9].

2 - الهلاك: ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعَام: 12].

3 - العقوبة: ﴿وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [هُود: 47].

4 - الضلال: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾ [العَصر: 2].

5 - العجز: ﴿قَالُوا۟ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ﴾ [يُوسُف: 14].

6 - الربح والخسارة: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [المنَافِقون: 9].

7 - الغبن: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ [الزُّمَر: 15] أي: غبنوا أنفسهم فصاروا إلى النار.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى:** ﴿... وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾ [النِّساء: 119].

قال الطّبَريّ[1]: يقول: فقد هلك هلاكاً، وبخَسَ نفسه: حظّها فأوبقها بَخْساً ﴿مُّبِينًا﴾، يُبين عن عطبه وهلاكه، لأنّ الشّيطان لا يملك له نصراً من الله إذا عاقبه على معصيته إيّاه في خلافه أمرَه، بل يخذله عند حاجته إليه.

(1) جامع البيان.

قال البَيْضاويّ[1]: إذ فاتهم النّعيم واستوجبوا العذاب المقيم.

قال ابن عاشُور[2]: الخِسارة هنا: حرمان خيرات الآخرة لا الدّنيا.

● **قال تعالى**: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا۟ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّوا۟ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام: 140].

قال الفخر الرازي[3]: أنّه تعالى ذكر فيما تقدّم قتلهم أولادهم وتحريمهم ما رزقهم الله. ثمّ إنّه تعالى جمع هذين الأمرين في هذه الآية، وبيّن ما لزمهم على هذا الحكم، وهو الخُسران والسّفاهة. وعدم العلم، وتحريم ما رزقهم الله. والافتراء على الله، والضّلال وعدم الاهتداء، فهذه أُمور سبعة، وكلّ واحد منها سبب تامّ في حصول الذّمّ.

أمّا الأوّل - وهو الخُسران - وذلك لأنّ الولد نعمة عظيمة من الله على العبد، فإذا سعى في إبطاله، فقد خسر خسراناً عظيماً. لا سيمّا ويستحقّ على ذلك الإبطال الذّمّ العظيم في الدّنيا، والعقاب العظيم في الآخرة.

أمّا الذّمّ في الدّنيا فلأنّ النّاس يقولون: قتل ولده خوفاً من أن يأكل طعامه، وليس في الدّنيا ذمّ أشدّ منه. وأمّا العقاب في الآخرة فلأنّ قرابة الوِلادة أعظم موجبات المحبّة، فمع حصولها إذا أقدم على إلحاق أعظم المضارّ به، كان ذلك أعظم أنواع الذّنوب، فكان موجباً لأعظم أنواع العقاب.

قال الألوسيّ[4]: أي هلكت نفوسهم باستحقاقهم على ذلك العقاب، أو ذهب دينهم ودنياهم.

ووصف فعلهم بالخسران، لأنّ حقيقة الخسران نقصان مال التّاجر، والتاجر قاصد الرّبح - وهو الزّيادة - فإذا خسر فقد باء بعكس ما عَمِل لأجله. ولذلك كثر

(1) أنوار التنزيل.
(2) التحرير والتنوير.
(3) التفسير الكبير.
(4) روح المعاني.

في القرآن استعارة (الخُسران) لعمل الّذين يعملون طلباً لمرضاة الله وثوابه، فيقعون في غضبه وعقابه، لأنّهم أتعبوا أنفسهم فحصّلوا عكس ما تعبوا لأجله، ذلك أنّ هؤلاء الّذين قتلوا أولادهم قد طلبوا نفع أنفسهم بالتّخلّص من أضرار في الدّنيا مُحتَملٍ لحاقها بهم من جَرّاء بناتهم، فوقعوا في أضرار محقّقة في الدّنيا وفي الآخرة، فإنّ النّسل نعمة من الله على الوالدين يأنسون به، ويجدونه لكفاية مهمّاتهم، ونعمة على القبيلة تكثُر وتعتزّ، وعلى العالَم كلّه بكثرة من يعمره، وبما ينتفع به النّاس من مواهب النّسل وصنائعه، ونعمة على النّسل نفسِه بما يناله من نعيم الحياة وملذّاتها.

● **قال تعالى:** ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ﴾ [يونس: 45].

قال ابن عَطيّة(1): ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟...﴾ حكم على المكذّبين بالخَسار، وفي اللّفظ إغلاظ على المحشورين من إظهار لما هُم عليه من الغرر مع الله تعالى. وهذا على أنّ الكلام إخبار من الله تعالى. وقيل: إنّه من كلام المحشورين على جهة التّوبيخ لأنفسهم.

قال الفَخْر الرّازيّ(2): ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ﴾ فيه وجهان:

الأوّل: أن يكون التّقدير: ويوم يحشرهم حال كونهم متعارفين، وحال كونهم قائلين: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ﴾.

الثّاني: أن يكون: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟﴾ كلام الله، فيكون هذا شهادة من الله عليهم بالخُسران، والمعنى: أنّ من باع آخرته بالدّنيا فقد خسر، لأنّه أعطى الشّريف الباقي، وأخذ القليل الخسيس الفاني.

● **قال تعالى:** ﴿فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الحج: 11].

---

(1) المحرر الوجيز. (2) التفسير الكبير.

قال الطّبَريّ[1]: يقول: غبَن هذا الّذي - وصف جلّ ثناؤه صفته - دنياه، لأنّه لم يظفر بحاجته منها بما كان من عبادته الله على شكّ، ووُضع في تجارته فلم يربح، ﴿وَٱلْأَخِرَةَ﴾: يقول: خسر الآخرة، فإنّه معذّب فيها بنار الله الموقَدة. وقوله: ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ يقول: وخسارته الدّنيا والآخرة هي الخُسران، يعني الهلاك المبين، يقول: يُبين لمن فكّر فيه، وتدبّره أنّه قد خسر الدّنيا والآخرة.

قال الفَخْر الرّازيّ[2]: ﴿خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةَ﴾ فذلك لأنّه يخسر في الدّنيا العزة، والكرامة، وإصابة الغنيمة، وأهليّة الشّهادة، والإمامة، والقضاء، ولا يبقى مالُه ودمه مصوناً. وأمّا في الآخرة فيفوته الثّواب الدّائم، ويحصل له العقاب الدّائم، ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾.

● **قال تعالى**: ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [غافر: 85].

قال الطّبَريّ[3]: يقول: وهلك عند مجيء بأس الله، فغبَنَتْ صفقته ووضع في بيعه الآخرة بالدّنيا، والمغفرة بالعذاب، والإيمان بالكفر، الكافرون بربّهم، الجاحدون توحيد خالقهم، المتّخذون من دونه آلهة يعبدونها من دون بارئهم.

قال الزّجّاج[4]: المُبطلون والكافرون خاسرون في ذلك الوقت، وفي كلّ وقت خاسرون، ولكنّه تعالى بيّن لهم خُسرانهم إذا رأوا العذاب.

قال الفَخْر الرّازيّ[5]: قوله: ﴿هُنَالِكَ﴾ مستعار للزّمان، أي: وخسروا وقت رؤية البأس.

---

(1) جامع البيان.
(2) التفسير الكبير.
(3) جامع البيان.
(4) معاني القرآن.
(5) التفسير الكبير.

● قال تعالى: ﴿...لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: 12].

قال الواحديّ[1]: أي بالشّرك بالله تعالى أوبقوا أنفسهم.

قال البَيْضاويّ[2]: بتضييع رأس مالهم، وهو الفطرة الأصليّة والعقل السّليم، وموضع ﴿ٱلَّذِينَ﴾ نَصْبٌ على الذّمّ، أو رَفْعٌ على الخبر، أي وأنتم الّذين أو على الابتداء والخبر.

﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ و(الفاء) للدّلالة على أنّ عدم إيمانهم مسبّب عن خسرانهم، فإنّ إبطال العقل باتّباع الحواس والوَهْم والانهماك. في التّقليد، وإغفال النّظر، أدّى بهم إلى الإصرار على الكفر والامتناع من الإيمان.

● قال تعالى: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: 9].

● ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: 20].

قال الطّبَريّ[3]: قوله: ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم﴾ من نعت ﴿ٱلَّذِينَ﴾ الأُولى. ويعني بقوله: ﴿خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم﴾ أهلكوها وألقوها في نار جهنّم، بإنكارهم محمّداً أنّه لله رسولٌ مرسَلٌ، وهم بحقيقة ذلك عارفون ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ يقول: فهم بخسارتهم بذلك انفسهم لا يؤمنون.

قال أبو السُّعود[4]: ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم﴾ من أهل الكتاب والمشركين بأن ضيّعوا فطرة الله الّتي فطر النّاس عليها، وأعرضوا عن البيّنات الموجبة للإيمان

---

(1) الوجيز.
(2) أنوار التنزيل.
(3) جامع البيان.
(4) إرشاد العقل السليم.

بالكلّيّة ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ لما أنّهم مطبوع على قلوبهم، ومحلّ الموصول الرّفع على الابتداء. وخبره الجملة المصدّرة بالفاء لشبه الموصول بالشّرط.

● **قال تعالى:** ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [هود: 21-22].

قال الطّبَريّ[1]: غبنوا أنفسهم حظوظهم من رحمة الله حقاً إنّ هؤلاء القوم الّذين هذه صفتهم في الدّنيا وفي الآخرة هم الأخسرون الّذين قد باعوا منازلهم من الجنان بمنازل أهل الجنّة من النّار، وذلك هو الخسران المبين.

قال الزّمَخْشَريّ[2]: اشتروا عبادة الآلية بعبادة الله، فكان خسرانهم في تجارتهم مالاخُسران أعظم منه، وهو أنّهم خسروا أنفسهم. ﴿هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ﴾ لا ترى أحداً أبين خسراناً منهم.

قال الفَخْر الرّازي[3]: وتقريره: هو أنّه لمّا أعطى الشّريف الرّفيع، ورضي بالخسيس الوضيع، فقد خسر في التّجارة، ثمّ لمّا كان هذا الخسيس بحيث لا يبقى بل لا بدّ وأن يهلك ويفني، انقلبت تلك التّجارة إلى النّهاية في صفة الخسارة، فلهذا قال: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ﴾.

● **قال تعالى:** ﴿فَٱعْبُدُواْ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الزمر: 15].

قال الطُّبَريّ[4]: قل يا محمّد لهم: إنّ الهالكين الذين غبنوا أنفسهم، وهلكت بعذاب الله أهلوهم مع أنفسهم، فلم يكن لهم إذ دخلوا النار فيها أهل، وقد كان لهم في الدّنيا أهلون. [إلى أن قال:] ﴿أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾: ألا، إنّ

---

(1) جامع البيان.
(2) الكشاف.
(3) التفسير الكبير.
(4) جامع البيان.

خُسران هؤلاء المشركين أنفسهم وأهليهم يوم القيامة - وذلك هلاكها - هو الخسران المبين هو الهلاك الذي يُبَيَّن لمن عاينه وعمله أنّه الخسران.

قال الزّجّاج(1): هذا يعني به الكفّار، فإنّهم خسروا أنفسهم بالتّخليد في النّار، وخسروا أهليهم، لأنّهم لم يدخلوا مَدْخَل المؤمنين الّذين لهم أهل في الجنّة، ثمّ بيّن حالهم، فقال: ﴿أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾.

● **قال تعالى**: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: 90]

قال الطّبَريّ(2): يقول: لمغبونون في فعلكم، وترككم ملّتكم التي أنتم عليها مقيمون إلى دينه الّذي يدعوكم إليه، وهالكون بذلك من فعلكم.

قال الفَخْر الرّازيّ(3): اختلفوا فقال بعضهم: خاسَرون في الدّين، وقال آخرون: خاسرون في الدّنيا، لأنّه يمنعكم من أخذ الزّيادة من أموال النّاس، وعند هذا المقال كَمُل حالهم في الضّلال أوّلاً، وفي الإضلال ثانياً، فاستحقّوا الإهلاك.

● **قال تعالى**: ﴿قَالُواْ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ﴾ [يوسف: 14].

قال الطّبَريّ(4): قال إخوة يوسف لوالدهم يعقوب: أَئن أكل يوسفَ الذّئبُ في الصّحراء، ونحن أحد عشر رجلاً معه نحفظه - وهم العُصْبَة - ﴿إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ﴾ يقول: إنّا إذاً لعَجَزةٌ هالكون.

قال القُشَيْريّ(5): لأنّ من باع أخاً مثل يوسف بمثل ذلك الثّمن حقيق بأن يقال: قد خَسِرْتَ صَفْقَتُه.

(1) معاني القرآن.
(2) جامع البيان.
(3) التفسير الكبير.
(4) جامع البيان.
(5) لطائف الإشارات.

قال الزّمَخْشَريّ[1]: أي: هالكون ضَعفاً وخَوَراً وعَجزاً، أو مستحقّون أن يهلكوا، لأنّه لا غناء عندهم ولا جدوى في حياتهم، أو مستحقّون لأن يُدعى عليهم بالخسار والدّمار، وأن يقال: خسرهم الله ودمّرهم حين أكل الذّئب بعضهم وهم حاضرين.

● **قال تعالى**: ﴿وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ﴾ [المؤمنون: 34].

قال الطّبَريّ[2]: يقول: قالوا: إنّكم إذاً لمغبونون حظوظكم من الشّرف والرّفعة في الدنّيا، باتّباعكم إيّاه.

قال الفَخْر الرّازيّ[3]: أي لئن كنتم أعطيتموه الطّاعة من غير أن يكون لكم بإزائها منفعة، فذلك هو الخسران.

قال القُرطُبيّ[4]: يريد لمغبونون بترككم آلهتكم، واتّباعكم إيّاه من غير فضيلة له عليكم.

● **قال تعالى**: ﴿الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [البقرة: 27].

قال الزّمَخْشَريّ[5]: ﴿هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ لأنّهم استبدلوا النّقض بالوفاء، والقطع بالوصل، والفساد بالصّلاح، وعقابها بثوابها.

قال ابن عَطيّة[6]: الخاسر: الّذي نقص نفسه حظّها من الفلاح والفوز، والخُسران: النّقص كان في ميزان أو غيره.

---

(1) الكشاف.
(2) جامع البيان.
(3) التفسير الكبير.
(4) الجامع لأحكام القرآن.
(5) الكشاف.
(6) المحرر الوجيز.

● قال تعالى: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: 178]

قال البَيْضاويّ[1]: الإفراد في الأوّل ﴿ٱلْمُهْتَدِى﴾ والجمع في الثّاني ﴿ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ باعتبار اللّفظ والمعنى، تنبيه على أنّ المهتدين كواحد لاتّحاد طريقهم، بخلاف الضّالين.

قال المَراغيّ[2]: الّذين خسر سعادة الدّنيا وسعادة الآخرة، إذ هو قد خسر تلك المواهب الّتي كان بها إنساناً مستعداً للسّعادتين الدّنيويّة والأُخرويّة.

● قال تعالى: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [النحل: 109].

قال الفَخْر الرّازيّ[3]: واعلم أنّ الموجب لهذا الخسران هو أنّ الله تعالى وصفهم في الآيات المتقدّمة بصفات ستّة:

الصّفة الأُولى: أنّهم استوجبوا غضب الله.

والصّفة الثّانية: أنّهم استحقّوا العذاب الأليم.

والصّفة الثّالثة: أنّهم استحبّوا الحياة الدّنيا على الآخرة.

والصّفة الرّابعة: أنّه تعالى حرَمَهم من الهداية.

والصّفة الخامسة: أنّه تعالى طبع على قلوبهم سمعهم وأبصارهم.

والصّفة السّادسة: أنّه جعلهم من الغافلين عمّا يُراد بهم من العذاب الشّديد يوم القيامة، فلا جرم لا يسعون في دفعها.

فثبت أنّه حصل في حقّهم هذه الصّفات السّتّة الّتي كلّ واحد منها من أعظم الأحوال المانعة عن الفوز بالخيرات والسّعادات.

---

(1) أنوار التنزيل.

(2) تفسير المراغي.

(3) التفسير الكبير.

ومعلوم أنّه تعالى إنّما أدخل الإنسان الدّنيا، ليكون كالتّاجر الّذي يشتري بطاعاته سعادات الآخرة، فإذا حصَلتْ هذه الموانع العظيمة عظُم خسرانه، فلهذا السّبب قال: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي ٱلْأَخِرَةِ هُمُ ٱلْخَسِرُونَ﴾ أي هم الخاسرون لا غيرهم، والمقصود: التّنبيه على عِظَم خسرانهم، والله أعلم.

● **قال تعالى:** ﴿لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الزمر: 63].

قال أبو السُّعود[1]: ﴿. . .هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الزمر: 63] متّصل بما قبله، والمعنى: أنّ الله تعالى خالق لجميع الأشياء ومتصرّف فيها كيفما يشاء بالإحياء والإماتة، بيده مقاليد العالم العِلويّ والسُّلفيّ، والّذي كفروا بآياته التّكوينيّة المنصوبة في الآفاق والأنفس، والتّنزيلية الّتي من جملتها هاتيك الآيات النّاطقة بذلك هم الخاسرون خسراناً لا خّسار وراءه.

وقيل: هو متّصل بقوله تعالى ﴿وَيُنَجِّى ٱللَّهُ﴾ [الزمر: 61] وما بينهما اعتراض، فتدبّر.

● **قال تعالى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: 149].

قال أبو السُّعود[2]: أي للدّنيا والآخرة غير فائزين بشيء منها واقعين في العذاب الخالد، على أنّ الارتداد على العقب علَم على انتكاس المر، ومثَلٌ في الحَور بعد الكَور.

وقيل: المراد بهم اليهود والنّصارى؛ حيث كانوا يستغنونهم، ويوقعون لهم الشُّبَه في الدّين، ويقولون: لو كان نبيّاً حقّاً لما غُلِب، ولما أصابه وأصحابه ما أصابهم، وإنّما هو رجل حاله كحال غيره من النّاس، يوماً عليه ويوماً له.

---

(1) إرشاد العقل السليم.

(2) إرشاد العقل السليم.

● **قال تعالى:** ﴿يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ﴾ [المائدة: 21].

قال الزّمَخْشَريّ(1): خاسرين ثواب الدّنيا والآخرة.

قال الفَخْر الرّازيّ(2): فيه وجوه:

أحدها: خاسرين في الآخرة، فإنّه يفوتكم الثّواب، ويلحقكم العقاب.

وثانيها: ترجعون إلى الذّلّ.

وثالثها: تموتون في التّيه ولا تصلون إلى شيء من مطالب الدّنيا ومنافع الآخرة.

● **قال تعالى:** ﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ﴾ [فصلت: 25].

قال أبو السُّعود(3): تعليل لاستحقاقهم العذاب، والضّمير للأوّلين والآخرين.

قال الألوسيّ(4): تعليل لاستحقاقهم العذاب، والضّمير لهم وللأُمم، وجُوّز كونه لهم بقرينة السّياق.

● **قال تعالى:** ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۖ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [البقرة: 64]1.

قال القُشَيْريّ(5): لولا حكمه بإمهاله، وحلمه بإفضاله لعاجلكم بالعقوبة، وأحلّ عليكم عظيم المصيبة، ولخسرت صفقتكم بالكلّيّة.

---

(1) الكشاف.
(2) التفسير الكبير.
(3) إرشاد العقل السليم.
(4) روح المعاني.
(5) لطائف الإشارات.

قال البَيْضاويّ[1]: المغبونين بالانهماك في المعاصي، أو بالخبط والضّلال في فترة من الرّسل. و(لو) في الأصل لامتناع الشّيء لامتناع غيره، فإذا دخل على (لا) أفاد إثباتاً، وهو امتناع الشّيء لثبوت غيره، والاسم الواقع بعده عند سيبَوَيه مبتدأ خبره واجب الحذف، لدلالة الكلام عليه، وسدّ الجواب مسدّه، وعند الكوفيّين فاعل فعل محذوف.

● **قال تعالى**: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: 85].

قال أبو السُّعود[2]: المعنى أنّ المعرِض عن الإسلام والطّالب لغيره فاقد للنّفع واقع في الخسران، بإبطال الفطرة السّليمة الّتي فطر النّاس عليها. وفي ترتيب الرّدّ والخسران على مجرّد الطّلب دلالة على أنّ حال من تديّن بغير الإسلام واطمأنّ بذلك أفظع وأقبح.

● **قال تعالى**: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [المائدة: 5].

قال الفَخْر الرّازيّ[3]: ﴿وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ مشروط بشرط غير مذكور في الآية، وهو أن يموت على ذلك الكفر؛ إذ لو تاب عن الكفر لم يكن في الآخرة من الخاسرين، والدّليل على أنّه لابدّ من هذا الشّرط، قوله تعالى: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ...﴾ [البقرة: 217].

● **قال تعالى**: ﴿قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: 149].

---

(1) أنوار التنزيل.
(2) إرشاد العقل السليم.
(3) التفسير الكبير.

قال الفَخْرالرّازيّ(1): هذا كلام من اعترف بعظيم ما أقدم عليه وندم على ما صدر منه، ورغب إلى ربّه في إقالة عثرته، ثمّ صدقوا على أنفسهم كونهم من الخاسرين إن لم يغفر الله لهم.

● **قال تعالى**: ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ [يونس: 95].

قال الألوسيّ(2): ﴿مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ أنفُساً وأعمالاً، والتّعبير بـ﴿ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ أظهر في التّحذير من التّعبير بالكافرين. وفائدة النّهي في الموضعين التّهييج والإلهاب نظير ما مّر، والمراد بذلك: إعلام أنّ الافتراء والتّكذيب قد بلغا في القُبح والمحذوريّة إلى حيث ينبغي أن يُنهى عنهما من لايمكن أن يتّصف بهما، فكيف بمن يمكن اتّصافه؟! وفيه قطع لأطماع الكفرة.

● **قال تعالى**: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ [الزمر: 65].

قال البَيْضاويّ(3): كلام على سبيل الفرض، والمراد به تهييج الرّسول وإقناط الكفرة، والإشعار على حكم الأُمة، وإفراد الخطاب باعتبار كلّ واحد، واللّام الأُولى موطّئة للقسم والأُخريان للجواب.

وإطلاق الإحباط يحتمل أن يكون من خصائصهم، لأنّ شركهم أقبح، وأن يكون على التّقييد بالموت كما صرّح به في قوله: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ﴾ [البقرة: 217]. وعطف الخسران عليه من عطف المسبّب على السّبب.

● **قال تعالى**: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ وَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ﴾ [النمل: 5].

---

(1) التفسير الكبير.
(2) روح المعاني.
(3) أنوار التنزيل.

بالجدال فلقّنه الله تعالى الحجّة المبكتة، ثمّ عدلوا القوّة والجبروت فنصره وقوّاه عليهم.

● **قال تعالى**: ﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾ [الطلاق: 9].

قال القُرطُبيّ(1): أي هلاكاً في الدّنيا بما ذكرنا. [الجوع والقحط والسّيف والخسف والمسخ وسائر المصائب]، والآخرة بجهنّم.

قال ابن عاشور(2): شُبّهت عاقبتهم السّوأى بخسارة التّاجر في بيعه، في أنّهم لما عتوا حسبوا أنّهم أرضوا أنفسهم بإعراضهم عن الرّسل وانتصروا عليهم، فلمّا لبثوا أن صاروا بمذلّة، وكما يخسر التّاجر في تَجره.

● **قال تعالى**: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢﴾ [العصر: 1-2].

قال الزّجّاج(3): الخُسر والخسران في معنى واحد، والمعنى أنّ النّاس الكفّار والعاملين بغير طاعة الله لفي خُسرٍ.

قال الزّمَخْشَريّ(4): ﴿الْإِنسَانَ﴾ للجنس. والخُسْر: الخُسران، كما قيل: الكفر في الكفران، والمعنى: أنّ النّاس في خُسران من تجاراتهم إلاّ الصّالحين وحدهم، لأنّهم اشتروا الآخرة بالدّنيا فربحوا وسعدوا، ومن عداهم تَجروا خلاف تجارتهم فوقعوا في الخسارة والشّقاوة.

● **قال تعالى**: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: 82].

قال البغَويّ(5): لأنّ الظّالم لا ينتفع به والمؤمن من ينتفع به، فيكون رحمة

---

(1) الجامع لأحكام القرآن.
(2) التحرير والتنوير.
(3) معاني القرآن.
(4) الكشاف.
(5) معالم التنزيل.

له. وقيل: زيادة الخسارة للظّالم من حيث إنّ كلّ آية تنزل يتجدّد منهم تكذيب، ويزداد لهم خسارة.

قال الفَخْر الرّازيّ(1): واعلم أنّه تعالى لمّا بيّن كون القرآن شفاء ورحمة للمؤمنين، بيّن كونه سببًا للخَسار والضّلال في حقّ الظّالمين، والمراد به المشركون، وإنّما كان كذلك لأنّ سماع القرآن يزيدهم غيظاً وغضباً وحِقْدًا وحسدًا.

● **قال تعالى**: ﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا﴾ [نوح: 21].

قال الفَخْر الرّازيّ(2): يعني هذان وإن كانا من جملة المنافع في الدّنيا إلّا أنّهما لمّا صارا سببًا للخَسار في الآخرة، فكأنّهما صارا محض الخَسار، والأمر كذلك في الحقيقة، لأنّ الدّنيا في جنب الآخرة كالعدم، فإذا صارت المنافع الدّنيويّة أسبابًا للخَسار في الآخرة صار ذلك جاريًا مجرى اللُّقمة الواحدة من الحلو، إذا كانت مسمومة سمّ الوقت.

● **قال تعالى**: ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ [المطففين: 3].

قال الزّجّاج(3): أي إذا كالوا لهم أو وزنوا لهم يُخسِرون، أي ينقصون في الكيل والوزن. ويجوز في اللّغة ﴿يَخْسِرُونَ﴾ يقال: أخسَرتُ الميزانِ وخَسَرتُه، ولا أعلم احدًا قرأ في هذا الموضع ﴿يَخْسِرُونَ﴾.

قال ابن عاشور(4): معنى ﴿يُخْسِرُونَ﴾ يوقعون الّذين كالوا لهم أو وزنوا لهم في الخسارة، والخسارة: النّقص من المال من التّبايع.

---

(1) التفسير الكبير.
(2) التفسير الكبير.
(3) معاني القرآن.
(4) التحرير والتنوير.

● قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ [الرحمٰن: 9]

قال الرّاغِب[1]: يجوز أن يكون إشارة إلى تحرّي العدالة في الوزن وترك الحيف فيما يتعاطاه في الوزن، ويجوز أن يكون ذلك إشارةً إلى تعاطي ما لا يكون به ميزانه في القيامة خاسرًا، فيكون ممّن قال فيه: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ [الأعراف: 9]، وكلا المعنيين يتلازمان، وكلّ خسران ذكره الله تعالى في القرآن فهو على هذا المعنى الأخير دون الخسران المتعلّق بالمقتنيات الدّنيويّة والتّجارات البشريّة.

● قال تعالى: ﴿فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾ [هود: 63]

قال الزّمَخْشريّ[2]: يعني تخسرون أعمالي وتبطلونها، أو فما تزيدونني بما تقولون لي وتحملونني عليه غير أن أخسركم، أي: أنسبكم إلى الخسران، وأقول لكم إنّكم خاسرون.

قال المَراغي[3]: أي فما تزيدونني باتّقاء سوء ظنّكم وارتيابكم، غير إيقاعي في الخسران بإيثار ما عندكم على ما عند الله، واشتراء رضاكم بسخطه تعالى.

---

(1) مفردات الراغب.
(2) الكشاف.
(3) تفسير المراغي.

خسف

(خسف - خرّ - هوى - انهار)

■ **الخَسْفُ:** غموض ظاهر الأرض ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ [القصص: 81].

■ **الخُرُورُ:** أن يسقط الشيء من الأعلى إلى الأرض ﴿خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم: 58].

■ **الهُوِيُّ:** السقوط من الأرض ﴿أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: 31].

■ **الانْهِيَارُ:** سقوط الشيء القوي الكبير القائم على الأرض بسرعة ﴿فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ﴾ [التوبة: 109].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارسٍ(1): الخاء والسّين والفاء أصل واحد يدلّ على غموض وغُؤور، وإليه يرجع فروع الباب. فالخَسْف والخَسَفُ: غموض ظاهر الأرض، قال الله تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ [القصص: 81].

ومن الباب: خُسُوفُ القمر، وكان بعض أهل اللُّغة يقول: الخُسُوفُ للقمر والكسوف للشّمس.

ويقال بئرٌ خَسِيفٌ: إذا كُسِر جِيلُها فانهارَ، ولم يُنتَزَحْ ماؤُها.

(1) معجم مقاييس اللغة.

وانْخَسَفَتِ العين: عُمِيَتْ. والمهزول يُسمى خَاسِفاً، كأنّ لحمَه غار ودخَل.

ومنه: بات على الخَسْفِ: إذا بات جائعاً، كأنّه غاب عنه ما أراده من طعام، ورضي بالخَسْفِ، أي: الدنّيئة.

ويقال: وَقَعَ النّاس في أَخَاسِيفَ من الأرض: وهي اللّيّنة تكاد تَغْمض للينها.

وممّا حُمِل على الباب، قولُهم للسّحاب الّذي يأتي بالماء الكثير: خَسِيفٌ، كأنّه شُبِّه بالبئر الّتي ذكرناها. وكذلك قولهم: ناقة خَسِيفَةٌ، أي: غزيرة.

قال الخَليل[1]: الخَسْفُ: سُؤُوخُ الأرض بما عليها من الأشياء، انْخَسَفَتْ به الأرض، وخَسَفَها الله به. وعين خَاسِفَةٌ: فُقِئِت، وغابت حدقتُها.

وبئر خَسِيفٌ مَخْسُوفَةٌ، أي: نُقْب جَبَلها عن عيلم الماء فلا تُنزَف أبداً، وهنّ الأَخْسِفَةُ.

وناقة خَسِيفٌ: غزيرة، سريعة الانقطاع من اللّبن في الشّتاء.

والخَسِيفُ من السّحاب: ما نشأ من قِبَل العين، أي: من قَبِل المغرب الأقصى عن يمين القبلة، وفيه ماء كثير، وخَسَفْنَاها خَسْفاً.

وخُسُوفُ الشّمس يوم القيامة: دخولها في السّماء، كأنّها تكوّرت في جُحْر.

والخَسْفُ: تحميلك إنساناً ما يكره.

والخَسْفُ: الجَوْز، بلغة الشِّجْر.

قال الجَوهَريّ[2]: خَسَفَ المكان يَخسِفُ خُسُوفاً: ذهب في الأرض.

وخَسَفَ الله به الأرض خَسْفاً، أي: غاب به فيها. ومنه قوله تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾.

وخُسُوفُ القمر: كسوفه.

والخَسْفُ: النّقصان. يقال: رضي فلانٌ بالخَسْفِ، أي: بالنّقيصة، وبات فلانُ الخَسْفَ، أي: جائعاً.

---

(1) العين. (2) الصحاح في اللغة.

ويقال: سامه الخَسْفِ، وسامه خَسْفاً. وخُسْفاً - أيضاً بالضّمّ - أي: أولاده ذُلاً، ويقال: كلّفه المشقّة والذّل.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾﴾ [القيامة: 6-8].

قال الماوَرْديّ[1]: أي ذهب ضوؤه، حتّى كأنّ نوره ذهب في خسف من الأرض.

قال البغَويّ[2]: أظلم وذهب نوره وضوؤه.

قال الزّمَخْشَريّ[3]: وذهب ضوؤه أو ذهب بنفسه. وقُرئ (وخُسِف) على البناء للمفعول.

● **قال تعالى**: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ [القصص: 81].

قال الطّبَريّ[4]: يقول تعالى ذكره: فخَسَفْنا بقارون وأهل داره. وقيل: وبداره، لأنّه ذكر أنّ موسى إذا أمر الأرض أن تأخذه أمرها بأخذه، وأخذ من كان معه من جُلسائه في داره، وكانوا جماعة جلوساً معه، وهم على مثل الّذي هو عليه من النِّفاق والمؤازرة على أذى موسى.

قال الفَخْر الرّازي[5]: فيه وجهان:

(1) النكت والعيون.
(2) معالم التنزيل.
(3) الكشاف.
(4) جامع البيان.
(5) التفسير الكبير.

أحدهما: أنّه لمّا أشِر وبَطِر وعَتا خسف الله به وبداره الأرض جزاءً على عُتُوّه وبطره، والفاء تدلّ على ذلك، لأنّ الفاء تُشعر بالعلّيّة.

وثانيها: قيل: إنّ قارون كان يُؤذي نبيّ الله موسى عليه السلام كلّ وقت. وهو يداريه للقرابة الّتي بينهما حتّى نزلت الزّكاة، فصالحه.

● **قال تعالى:** ﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النحل: 45].

قال الألوسيّ[1]: (خسف) يُستعمل لازماً ومتعدياً. يقالك كما قال الرّاغب: خسفه الله تعالى وخسف هو، وكلا الاستعمالين مُحتمَل هنا، فالباء إمّا للتّعدية أو للملابسة، و(الأرض) إمّا مفعول به أو نصب بنزع الخافض، أي أفأمن الّذين مكروا السّيئات أن يُغيِّبهم الله تعالى في الأرض، أو يُغَيِّبُهَا بهم، كما فعل بقارون.

قال المَراغيّ[2]: أي يُزيلها من الوجود وهم على سطحها.

يُبيدهم من صفحة الوجود، كما فعل بقارون من قبل.

● **قال تعالى:** ﴿أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمْ وَكِيلًا﴾ [الإسراء: 68].

قال القرطبيّ[3]: بيّن أنّه قادر على هلاكهم في البرّ وإن سَلِموا من البحر.

قال الخازن[4]: أي: تغوره. والمعنى: أن الجهات كلها له، وفي قدرته براً كان أو بحراً بل إن كان الغرق في البحر ففي جانب البر ما هو مثله وهو الخسف لأنه يغيب تحت الثرى كما أن الغرق يغيب تحت الماء (أو يرسل عليكم حاصباً) أي: نمطر عليكم حجارة من السماء، كما أمطرناها على قوم لوط (ثم لا تجدوا لكم وكيلاً) أي: مانعاً وناصراً.

---

(1) روح المعاني.
(2) تفسير المراغي.
(3) الجامع لأحكام القرآن.
(4) لباب التأويل.

خشب

النصوص اللغوية:

قال ابن فارسٍ(1): الخاء والشّين والباء أصلٌ واحدٌ يدلّ على خُشونةٍ وغِلَظٍ. فالأَخْشَبُ: الجبَلُ الغليظ.

ومن ذلك قول النّبيّ ﷺ، في مكّة: «**لا تَزُول حتّى يزول أَخْشَبَاهَا**». يريد جبلَيْها.

والخَشِيبُ: السّيف الّذي بُدِئ طَبعُه، ولا يكون في هذه الحال إلّا خَشِناً. وسهم مخْشُوبٌ وخَشِيبٍ، وهو حين ينُحَت. وجَمَل خَشِيبٌ: غليظ. وكلّ هذا عندي مشتقٌ من الخشَب. وتَخَشَّبَتِ الإبل: إذا أكَلَت اليبيسَ من المرعَى.

ويقال جَبْهة خَشْبَاءُ: كريهة يابسة ليست بمستوية، وظَليم خَشِيبٌ: غليظ.

قال الخَليل(2): الخَشَبُ معروف، والخَشَّابَةُ: قوم معهم خَشَب، وحِرفَتُهم: الخِشَابَةُ.

ورجل خَشِبٌ: عاري العظامِ والعصَب، له شدّة وصلابة، وكذلك اليد ونحوها. واخْشَوْشَبَ الرّجل. وأَخْشَبَا مكّة: جبلاها.

والخَشِيبُ: الصّقيل. ومنه حديث النّبيّ ﷺ في مكّة: «**لا تزول حتّى يزول أخشباها**».

قال الجَوهَريّ(3): جمع الخَشَبَةُ: خَشَبٌ، وخُشُبٌ، وخُشْبٌ، وخُشْبَانٌ.

---

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) العين.
(3) الصحاح في اللغة.

وخَشَبْتُ الشّيء بالشّيء: خلّطته به.

قال الفيروزآباديّ[1]: الخَشَبُ، محركّة: ما غلُظ من العيدان، جمعه: خَشَبٌ، محرّكة أيضاً، وبضمّتين، وخُشْبٌ وخُشْبانٌ بضمّهما.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ . . .﴾ [المنافقون: 4].

قال الأزهَريّ[2]: أراد والله أعلم أنّ المنافقين في ترك التّفهّم والاستبصار ووَعْي ما يسمعون من الوحي: بمنزلة الخُشُب.

قال الواحديّ[3]: لا أرواح فيها فلا تعقل ولا تفهم، وكذلك المنافقون لا يسمعون الإيمان ولا يعقلونه.

(1) القاموس المحيط.
(2) تهذيب اللغة.
(3) الوجيز.

خشع

(خشع - خبت - خضع - ذعن - ضرع - عنت - قنت)

- **الخُشُوعُ:** انكسار الصوت مع المهابة ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ [طه: 108].
- **الإِخْبَاتُ:** انكسار القلب مع سكون الجوارح ﴿فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحج: 54].
- **الخُضُوعُ:** التكسر في الصوت والجسد تحبباً ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ﴾ [الأحزاب: 32].
- **الإِذْعَانُ:** انكسار الحركة رغبة ﴿وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾ [النور: 49].
- **الضَّرَاعَةُ:** هي إخبات بزيادة، رفع اليدين والجثوّ على الركب ﴿فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ [الأنعام: 42].
- **العَنَتُ:** انكسار القوة ضعفاً وخوفاً ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ﴾ [طه: 111].
- **القُنُوتُ:** انحسار الفكر باتجاه واحد تستسلم له ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾ [الرُّوم: 26].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارسٍ(1): الخاء والشّين والعين أصل واحد، يدلّ على التّطامُن. يقال: خَشَعَ: إذا تطامَنَ.

يقال: اخْتَشَعَ فلان ولا يقال: اخْتَشَعَ بصره.

قال الخَليل(2): الخُشُوعُ: رَميك ببصرك إلى الأرض. وتَخَاشَعْتُ: تشَبَّهْتُ بالخَاشِعِينَ.

ورجل مُتَخَشِّعٌ مُتضرِّع.

قال الجَوهَريّ(3): الخُشُوعُ: الخضوع. يقال: خَشَعَ واخْتَشَعَ. وخَشَعَ ببصره: أي غَضّهُ.

وبلدة خَاشِعَةٌ، أي: مُغْبَرَّةٌ لا منزل بها. ومكانٌ خَاشِعٌ.

قال أبو هلال(4): الفرق بين الخشوع والخضوع: أنّ الخشوع – على ما قيل – يرى فاعله أنّ مّن يخضع له فوقه، وأنّه أعظم منه.

والخشوع: في الكلام خاصّةً والشّاهد قوله تعالى: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه: 108].

وقيل: هما أفعال القلوب وقال ابن درَيْد(5): يقال: خضع الرّجل للمرأة وأَخضع. إذا ألان كلامه لها، قال: والخاضع: المطأطئ رأسه وعنقه. وفي التّنزيل: ﴿فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ [الشعراء: 4].

وعند بعضهم أنّ الخشوع لا يكون إلّا مع خوف الخاشع المخشوع له، ولا

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) العين.
(3) الصحاح في اللغة.
(4) الفروق.
(5) جامع البيان.

يكون تكلُّفاً، ولهذا يضاف إلى القلب فيقال: خشع قلبه وأصله: (ألبس) ومنه يقال قَفٌّ خاشع: للّذي تَغلِب عليه السُّهُولة، والخضوع هو التّطامن والتّطأطؤ، ولا يقتضي أن يكون معه خوف. ولهذا لا يجوز إضافته إلى القلب، فيقال: خضع قلبه. وقد يجوز أن يخضع الإنسان تكلُّفاً من غير أن يعتقد أن المخضوع له فوقه، ولا يكون الخشوع كذلك.

وقال بعضهم الخضوع قريب المعنى من الخشوع، إلّا أنّ الخضوع في البدن، والإقرار بالاستجذاء والخشوع في الصّوت.

المعنى المشترك:

* وردت كلمة (خشع) في القرآن الكريم على ستة معانٍ:

1 - الذل: قال تعالى: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه: 108].

2 - سكون الجوارح: قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾﴾ [المؤمنون: 1-2].

3 - عدم نبات الأرض: قال تعالى: ﴿. . .وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ. . .﴾ [فصلت: 39].

4 - الخوف: قال تعالى: ﴿. . . وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: 90].

5 - غض البصر: قال تعالى: ﴿أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ﴾ [النازعات: 9].

6 - التواضع: قال تعالى: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾ [البقرة: 45].

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى:** ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه: 108].

قال الطّبَريّ[1]: وسكنت أصوات الخلائق للرّحمن فوصف الأصوات بالخشوع، والمعنى لأهلها إنّهم خُضّع جميعهم لربّهم، فلا تسمع لناطق منهم منطقاً إلّا من أذن الرّحمن.

قال القُشَيْريّ[2]: تنقطع الأوهام، وتقف الأفهام، وتنخنس العقول، وتندرس العلوم، وتتحيّر المعارفُ، ويتلاشى ما هو نَعْتُ الخَلْق، ويستولي سلطانُ الحقيقة، فعند ذلك لا عينٌ ولا أثرٌ، ولا رسم ولا طَلَلٌ ولا غَبَرُ، في الحضور خَرَس، وعلى البِساط فَنَاءٌ، وللرّسوم امتحاءٌ، وإنّما الصّحّة على الثّبات.

قال ابن عَطيّة[3]: الخشوع: التّطامن والتّواضع، وهي الأصوات، استعارة بمعنى الخفاء والاستسرار.

● **قال تعالى:** ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ . . .﴾ [الحديد: 16].

قال الطّبَريّ[4]: ألم يحن للّذين صدّقوا الله ورسوله أن تلين قلوبهم لذكر الله، فتخضع قلوبهم له.

قال الزّجّاج[5]: وهذه الآية - والله أعلم - نزلت في طائفة من المؤمنين حُثّو على الرّقّة والرّحمة والخشوع فأمّا من كان ممّن وصفه - عزّ وجلّ - بالخضوع والرّقّة والرّحمة فطائفة من المؤمنين فوق هؤلاء.

---

(1) جامع البيان.
(2) لطائف الإشارات.
(3) المحرر الوجيز.
(4) جامع البيان.
(5) معاني القرآن.

قال الماوَرْديّ[1]: وفي: ﴿أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا﴾ ثلاثة تأويلات:

أحدها: أن تلين قلوبهم لذكر الله.

الثّاني: أن تذلّ قلوبهم من خشية الله.

الثّالث: أن تجزع قلوبهم من خوف الله.

● **قال تعالى**: ﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾ [الحشر: 21].

قال الطّبَريّ[2]: يقول جلّ ثناؤه: لو أنزلنا هذا القرآن على جبل، وهو حجر، لرأيته يا محمّد خاشعاً، يقول: متذلّلاً متصدّعاً من خشية الله على قساوته، حذراً من أن لا يؤدّي حقّ الله المفترض عليه في تعظيم القرآن. وقد أُنزل على ابن آدم وهو بحقّه مستخِفٌّ، وعنه عمّا فيه من العِبَر والذّكر مُعْرِضٌ، كأن لم يسمعها، كأنّ في أُذُنيه وَقْراً.

قال الزّجّاج[3]: أعلم الله عزّ وجلّ أنّ من شأن القرآن وعظمته وبيانه أنّه لو جُعِل في الجبل تمييز كما جُعِل فيكم، وأنزل عليه القرآن لخَشَع وتصدّع من خشية الله.

ومعنى «خشع»: تطأطأ وخضع. ومعنى (تصدّع): تشقّق.

قال ابن عرَبيّ[4]: أي قلوبهم أقسى من الحجر في عدم التّأثّر والقبول، إذ الكلام الإلٰهيّ بلغ من التّأثير ما لا إمكان للزّيادة وراءه، حتّى لو فرض إنزاله على جبل لتأثّر منه بالخشوع والانصداع.

● **قال تعالى**: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾ [المؤمنون: 1-2].

---

(1) النكت والعيون.
(2) جامع البيان.
(3) معاني القرآن.
(4) تفسير القرآن لابن العربي.

قال القُشَيْريّ[1]: الخشوع في الصّلاة: إطراق السّرّ على بساط النّجوى باستكمال نعت الهيبة، والذّوبان تحت سلطان الكشف، والامتحاء عند غلبات التّجلّي.

قال البغَوي[2]: الخشوع: قريب من الخضوع، إلا أنّ الخضوع في البدن، والخشوع في القلب والبصر والصّوت، قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ [طه: 108].

قال ابن عطيّة[3]: الخشوع: التّطامن وسكون الأعضاء والوقار، وهذا إنّما يظهر ممّن في قلبه خوف واستكانة. وروي أنّ سبب هذه الآية أنّ المسلمين كانوا يلتفتون في صلاتهم يمنة ويسرة فنزلت هذه الآية وأمروا أن يكون بصر المصلّي حِذاء قبلته أو بين يديه، وفي الحرم إلى الكعبة.

● **قال تعالى**: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ...﴾ [آل عمران: 199]

قال الطّبَري[4]: خاضعين لله بالطّاعة، مستكينين له بها متذلّلين.

قال البغَويّ[5]: خاضعين متواضعين لله.

قال المرَاغيّ[6]: الخشوع وهو الثّمرة للإيمان الصّحيح، فإنّ الخشوع أثر خشية الله في القلب، ومنه تفيض على الجوارح والمشاعر، فيخشع البصر بالانكسار، ويخشع الصّوت بالخفوت والتّهدُّج.

● **قال تعالى**: ﴿... وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: 90].

---

(1) لطائف الإشارات.
(2) معالم التنزيل.
(3) المحرر الوجيز.
(4) جامع البيان.
(5) معالم التنزيل.
(6) تفسير المراغي.

قال الطّبَريّ[1]: يقول: وكانوا لنا متواضعين متذلّلين، ولا يستكبرون عن عبادتنا ودعائنا.

قال القُشَيْريّ[2]: الخشوع: قشعريرة القلب عند اطّلاع الرّبّ، وكان لهم ذلك على الدّوام.

قال الزّجّاج[3]: الخاشع: المتواضع المطيع المجيب، لأنّ المتواضع لا يبالي برئاسة كانت له مع كفر إذا انتقل إلى الإيمان.

● **قال تعالى**: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾ [البقرة: 45].

قال الماوَرْديّ[4]: ففيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: يعني: وإنّ الصّلاة لثقيلة إلّا على المؤمنين، لعود الكناية إلى مؤنّث اللّفظ.

والثّاني: يعني: الصّبر والصّلاة، فأرادهما، وإن عادة الكناية إلى الصّلاة، لأنهّا أقرب مذكور.

والثّالث: وإنّ إجابة محمّد ﷺ لشديدة إلّا على الخاشعين.

والخشوع في الله: التّواضع، ونظيره الخضوع. وقيل: إنّ الخضوع في البدن، والخشوع في الصّوت والبصر.

وقيل: المطيعين.

وأصل الخشوع: السّكون، قال الله تعالى: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ [طه: 108].

فالخاشع ساكن إلى طاعة الله تعالى.

---

(1) جامع البيان.
(2) لطائف الإشارات.
(3) معاني القرآن.
(4) النكت والعيون.

قال أبو حَيّان[1] : ﴿إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾ [البقرة: 45] استثناء مفرّغ، لأنّ المعنى: وإنّها لكبيرة على كلّ أحد إلّا على الخاشعين، وهم المتواضعون المستكينون. وإنّما لم تُشقّ على الخاشعين، لأنّها منطوية على أوصاف هم متحلّون بها. لخشوعهم من القيام لله والرّكوع له والسّجود له، والرّجاء لما عنده من الثّواب. فلمّا كان مآل أعمالهم إلى السّعادة الأبديّة سَهُل عليهم ما صَعُب على غيرهم من المنافقين والمرائين بأعمالهم، الّذين لا يرجون لها نفعاً.

قال أبو السُّعود[2]: وإنّما لم تثقل عليهم، لأنّهم يتوقّعون ما أعدّ لهم بمقابلتها فتهون عليهم، ولأنّهم يستغرقون في مناجاة ربّهم فلا يُدركون ما يجري عليهم من المشاقّ والمتاعب، ولذلك قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**وجُعل قرّة عيني في الصّلاة**».

● **قال تعالى**: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ. . .﴾ [الأحزاب: 35]

قال الطّبَريّ[3]: الخاشعة قلوبهم لله وجلاً منه ومن عقابه.

قال الشَّوْكانيّ[4]: الخاشع والخاشعة هما: المتواضعان لله، الخائفان منه، الخاضعان في عباداتهم لله.

قال ابن عاشور[5]: أهل الخشوع، وهو الخضوع لله والخوف منه، وهو يرجع إلى معنى الإخلاص بالقلب فيما يعمله المكلّف، ومطابقة ذلك لما يظهر من آثاره على صاحبه والمراد: الخشوع لله بالقلب والجوارح.

● **قال تعالى**: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾﴾ [القمر: 6-7].

---

(1) البحر المحيط.
(2) إرشاد العقل السليم.
(3) جامع البيان.
(4) فتح القدير.
(5) التحرير والتنوير.

قال الطّبَريّ[1]: ذليلة، أبصارهم خاشعة، لا ضرر بها.

قال الزّجّاج[2]: ﴿خُشَّعًا أَبۡصَٰرُهُمۡ﴾ منصوب على الحال، المعنى يخرجون من الأجداث خُشّعاً أبصارهم.

قال ابن عاشور[3]: أي ذليلة ينظرون من طرف خفيّ لا تثبت أحداقهم في وجوه النّاس، وهي نظرة الخائف المفتضح، وهو كناية، لأنّ ذلّة الذّليل وعزّة العزيز تظهران في عيونهما.

● **قال تعالى**: ﴿...وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلۡأَرۡضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ﴾ [فصلت: 39].

قال الطّبَريّ[4]: يقول تعالى ذكره: ومن حُجَج الله أيضاً وأدلّته على قدرته على نشر الموتى - من بعد بلاها - وإعادتها لهيئتها كما كانت من بعد فنائها، أنّك يا محمّد ترى الأرض دارسة غبراء لا نبات بها ولا زرع.

قال الفَخْر الرّازيّ[5]: الخشوع: التّذلّل والتّصاغر، واستعير هذا اللّفظ لحال الأرض حال خلوّها عن المطر والنّبات.

قال القُرطُبيّ[6]: أي يابسة جَدْبَة، هذا وصف الأرض بالخشوع. والأرض الخاشعة: الغبراء الّتي لا تنبتَ، وبلدة خاشعة، أي: مغُيرة لا منزل بها، ومكان خاشع.

● **قال تعالى**: ﴿أَبۡصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ ۝٩ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرۡدُودُونَ فِي ٱلۡحَافِرَةِ ۝١٠﴾ [النازعات: 9-10].

---

(1) جامع البيان.
(2) معاني القرآن.
(3) التحرير والتنوير.
(4) جامع البيان.
(5) التفسير الكبير.
(6) الجامع لأحكام القرآن.

قال الفَخْر الرّازيّ[1]: وقوله: ﴿أَبۡصَٰرُهَا خَٰشِعَةٞ﴾ لأنّ المعلوم من حال المضطرب الخائف أن يكون نظره نظر خاشع ذليل خاضع، يترقّب ما ينزل به من الأمر العظيم.

قال القُرطُبيّ[2]: منكسرة ذليلة من هول ما ترى. نظيره: ﴿خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۚ﴾ [القلم: 43]، والمعنى أبصار أصحابها، فحذف المضاف.

● **قال تعالى**: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٞ نَّاصِبَةٞ ۝٣﴾ [الغاشية: 2-3].

قال الفَخْر الرّازيّ[3]: أي ذليلة قد عراهم الخزي والهوان، كما قال: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلۡمُجۡرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمۡ﴾ [السجدة: 12]، وقال: ﴿وَتَرَىٰهُمۡ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرۡفٍ خَفِيّٖۗ﴾ [الشورى: 45].

وإنّما يظهر الذُّلّ في الوجه، لأنّه ضدّ الكِبر الّذي محلّه الرّأس والدّماغ.

قال القُرطُبي[4]: أي ذليلة بالعذاب. وكلّ متضائل ساكنٌ خاشعٌ. يقال: خشع في صلاته، إذا تذلّل ونكّس رأسه، وخشع الصّوت: خفي. قال الله: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلۡأَصۡوَاتُ لِلرَّحۡمَٰنِ﴾ [طه: 108].

---

(1) التفسير الكبير.
(2) الجامع لأحكام القرآن.
(3) التفسير الكبير.
(4) الجامع لأحكام القرآن.

خشي

(خشي - حذر - خوف - رعب - رهب - وجل - وجف)

■ **الخَشْيَةُ:** خوف من ذي هيبة ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: 28].

■ **الحَذَرُ:** احتراز من مخيف ﴿يَحْذَرُ ٱلْأَخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾ [الزمر: 9].

■ **الخَوْفُ:** توقع مكروه عن أمارة معلومة ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ [الإسراء: 57].

■ **الرُّعْبُ:** امتلاء القلب بالخوف الشديد حتى شعر بالجبن ﴿سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ﴾ [آل عمران: 151].

■ **الرَّهْبُ:** خوف من قوي منتقم يثير الاضطراب الدائم ﴿تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: 60].

■ **الوَجَلُ:** استشعار الخوف في بدايته ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحج: 35].

■ **الوَجَفُ:** الاضطراب من شدة السرعة ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ [النازعات: 8].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارسٍ[1]: الخاء والشّين والحرف المعتل يدل على خَوف وذُعْر، ثمّ يحمل عليه المجاز، فالخَشْيَة: الخوف، ورجل خَشْيانُ.

وخَاشَانِي فلانٌ فخَشَيْتُه، أي: كنتُ أشدّ خَشْيَة منه.

والمجاز قولهم: خَشيتُ بمعنى علِمتُ. ويقال: هذا المكان أخْشَى من ذلك. أي أشدّ خوفاً.

وممّا شذّ عن الباب - وقد يمكن الجمع بينهما على بُعد - : الخَشْوُ: التّمر الحَشَف. وقد خَشَتِ النّخلة، تَخْشُو خَشْواً. والخَشِيُّ من اللّحم: اليابس.

قال الخَليل[2]: الخَشْيَة: الخَوْف، والفعل: خَشِيَ يَخْشَى، ويقال: وهذا المكان أخْشَى من ذاك.

قال الجوهَريّ[3]: خَشِيَ الرّجل يَخْشَى خَشْيَةً، أي: خاف، فهو خَشْيَانٌ، والمرأة خَشْياءُ.

وهذا المكان أخْشَى من ذاك، أي: أشدّ خوفاً.

قال الرّاغِب[4]: الخَشْيَة: خوف يشوبه تعظيم. وأكثر ما يكون ذلك عن علم بما يُخْشى منه، ولذلك خُصّ العلماء بها في قوله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: 28].

وعند الإمام أحمد في مسنده، وفي (جامع) التّرمذيّ عن عائشة، قالت: قلت: (يا رسول الله، الّذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وَجِلةٌ، أهو الّذي يسرق ويزني ويشرب الخمر؟ قال: **لا يا ابنة الصّدّيق، ولكنّه الرّجل يصلّي ويصوم ويتصدّق ويخاف ألّا يُقبل منه**).

---

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) العين.
(3) الصحاح في اللغة.
(4) مفردات الراغب.

قال الحسن رحمه الله: اعملوا لله بالطّاعات واجتهدوا فيها، خافوا أن تُردّ عليهم. إنّ المؤمن جمع إيماناً وخشية، والمنافق جمع إساءة وأمْناً.

والخَشْيَة والخوف والوجل والرّهبة ألفاظ متقاربة غير مترادفة.

فالخوف: توقّع العقوبة على مجاري الأنفاس، قاله جُنَيْد. وقيل: اضطراب القلب وحركته من تذكُّره المخوف. وقيل: الخوف: هرَب القلب من حلول المكروه عند استشعاره.

والخَشْيَة: أخصّ من الخوف، فإنّ الخشية للعلماء بالله تعالى، فهي خوف مقرون بمعرفة.

قال النّبيّ ﷺ: «**إنّي أتقاكم لله وأشدّكم له خَشْيَة**».

فالخوف: حركة، والخَشْيَة: انْجِماعُ وانقباضُ وسكون، فإنّ الّذي يرى العدوّ والسّيل ونحو ذلك له حالتان: إحداهما: حركة الهرب منه، وهي حالة الخوف، والثّانية: سكونه وقراره في مكان لا يصل إليه، وهي الخَشْيَة، ومن الخَشّ: الشّيء الأخشَن.

والمضاعف والمعتلّ أخوان، كتَقضّى البازي وتقَضّضَ.

وأمّا الرّهبة: فهي الإمعان في الهرَب من المكروه، وهي ضدّ الرّغبة الّتي هي سفَر القلب، في طلب المرغوب فيه. وبين الرّهَب والهَرب تناسب في اللّفظ والمعنى، يجمعهما الاشتقاق الأوسط الّذي هو عقد تقاليب الكلمة، على معنى جامع.

وأمّا الوَجَل: فرَجفان القلب وانصداعه، لذكر من يخاف سلطانه وعقوبته، أو لرُؤيته. وأمّا الهَيبَة: فخوف مقارن للتّعظيم والإجلال. وأكثر ما يكون مع المحبّة والإجلال.

فالخوف لعامّة المؤمنين، والخَشْيَة للعلماء العارفين، والهيبة للمحبّين، والوَجَل للمقرّبين.

وعلى قدر العلم والمعرفة يكون الخشية، كما قال النّبيّ ﷺ: «**إنّي لأعلمكم بالله وأشدّكم له خَشْيَة**»، وقال: «**لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبَكَيتم كثيراً، ولما تلذّذتم بالنّساء على الفُرُش، ولخرجتم إلى الصّعدات تجأرون إلى الله تعالى**».

فصاحب الخوف يلتجئ إلى الهرَب والإمساك، وصاحب الخشية إلى الاعتصام بالعلم، ومثَلهما كمَثَل من لا علم له بالطبّ، ومثل الطّبيب الحاذق، فالأوّل يلتجىء إلى الحِمْية والهرب، والطّبيب يلتجىء إلى معرفته بالأدوية والأدواء.

وكلّ واحد إذا خفته هَربتَ منه، إلّا الله، فإنّك إذا خِفتَه هربت إليه. فالخائف هاربٌ من ربّه إلى ربّه.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ [يس: 11].

قال الطّبَريّ[1]: وخاف الله حين يغيب عن أبصار النّاظرين، لا المنافق الّذي يستخفّ بدين الله إذا خلا، ويُظهر الإيمان في الملأ، ولا المشرك الّذي قد طبع الله على قلبه.

قال الزّجّاج[2]: أي خاف الله من حيث لا يراه أحد.

● **قال تعالى**: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ . . . رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾ [البينة: 7-8].

(1) جامع البيان.
(2) معاني القرآن.

قال أبو السُّعود[1]: إنّ الخشية الّتي هي من خصائص العلماء بشؤون الله عزّ وجلّ، مناطٌ لجميع الكمالات العلميّة والعمليّة المستتبعة للسّعادة الدّينيّة والدنيويّة، والتّعرّض لعنوان الرّبوبّية المُعربة عن المالكيّة والتّربية للإشعار بعلّة الخشية، والتّحذير من الاغترار بالتّربية.

قال المَراغيّ[2]: أي الجزاء الحسن إنّما يكون لمن ملأت قلبه الخشية والخوف من ربّه. وفي ذلك تحذيرٌ من خشية غير الله، وتنفيرٌ من إشراك غيره في جميع الأعمال، كما أنّ فيه ترغيباً في تذكّر الله ورهبته لدى كلّ عمل من أعمال البِرّ، حتّى يكون العمل له خالصاً.

● **قال تعالى:** ﴿مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾ [ق: 33].

قال القُشَيْريّ[3]: الخشية من الرّحمان، هي الخشية من الفراق. والخشية من الرّحمان تكون مقرونة بالأُنس، ولذلك لم يقل: من خشي الجبّار، ولا من خشي القهّار.

ويقال: الخشية من الله تقتضي العلم بأنّه يفعل ما يشاء، وأنّه لا يُسأل عمّا يفعل.

ويقال: الخشية ألطف من الخوف، وكأنّها قريبة من الهيبة.

قال النّسَفيّ[4]: الخشية: انزعاج القلب عن ذكر الخطيئة، وقُرن بالخشية اسمه الدّالّ على سعة الرّحمة، للثّناء البليغ على الخاشي، وهو خشيته مع علمه أنّه الواسع الرّحمة، كما أثنى عليه بأنّه خاش مع أنّ المخشيّ منه غائب.

● **قال تعالى:** ﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾ [الكهف: 80].

---

(1) إرشاد العقل السليم.
(2) تفسير المراغي.
(3) لطائف الإشارات.
(4) مدارك التنزيل.

قال الماوَرْديّ[1]: فيه ثلاثة أوجه.

أحدها: عَلِم الخضر أنّ الغلام يُرهِق أبويه طغياناً وكفراً، لأنّ الغلام كان كافراً. قال قَتادَة: وفي قراءة أُبيّ ﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَـٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ﴾، فعبّر عن العلم بالخشية.

الثّاني: معناه: فخاف ربّك أن يُرهِق الغلام أبويه طغياناً وكفراً، فعبّر عن الخوف بالخشية ها هنا. قال مُقاتِل: في قراءة أُبيّ (فَخَافَ رَبُّكَ) والخوف ها هنا استعارة لانتفائه عن الله تعالى.

الثّالث: كره الخضر أن يُرهِق الغلام أبوَيه بطغيانه وكفره إثماً وظلماً.

قال الألوسيّ[2]: فخفنا خوفاً شديداً.

وفسّر بعض شُرّاح البخاريّ (الخشية) بالعلم، فقال: أي علمنا أنّه لو أدرك وبلغ لدعا أبويه إلى الكفر، فيُجيبانه ويدخلان معه في دينه، لفرط حبّهما إيّاه....

● **قال تعالى:** ﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ۝٣﴾ [طه: 2-3].

قال ابن عَطّية[3]: يتضمّن الإيمان والعمل الصّالح، إذ الخشية باعثة على ذلك.

قال الفَخْر الرّازيّ[4]: وجه كون القرآن تذكرة أنّه عليه السلام كان يعظّمهم به وببيانه، فيدخل تحت قوله: لمن يخشى الرّسول ﷺ لأنّه في الخشية والتّذكرة بالقرآن كان فوق الكلّ.

---

(1) النكت والعيون.
(2) روح المعاني.
(3) المحرر الوجيز.
(4) التفسير الكبير.

قال البَيْضاوي[1]: لمن في قلبه خشية ورقّة يتأثّر بالإنذار، أو لمن علم الله منه أنّه يخشى بالتّخويف منه، فإنّه المنتَفع به.

● **قال تعالى**: ﴿وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾﴾ [عبس: 8-9].

قال الزّمَخْشَريّ[2]: ﴿وَهُوَ يَخْشَىٰ﴾ [عبس: 9] الله، أو يخشى الكفّار وأذاهم في إيتانك، وقيل: جاء وليس معه قائدٌ فهو يخشى الكَبْوة.

قال الفَخْر الرّازيّ[3]: فيه ثلاثة أوجه:

يخشى الله ويخافه في أن لا يهتمّ بأداء تكاليفهم.

أو يخشى الكفّار وأذاهم في إيتانك. أو يخشى الكَبْوة، فإنه كان أعمى، وما كان له قائدٌ.

● **قال تعالى**: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [الأعلى: 9-10].

قال الطّبَريّ[4]: يقول جلّ ثناؤه: سيذّكّر يا محمّد إذا ذكّرت الّذين أمرتك بتذكيرهم، من يخشى الله، ويخاف عقابه.

قال الفَخْر الرّازيّ[5]: بيّن في هذه الآية أنّ الّذي تنفعه الذّكرى من هو، ولمّا كان الانتفاع بالذّكرى مبنيًّا على حصول الخشية في القلب، وصفاء القلوب ممّا لا اطّلاع لأحد عليها إلّا الله سبحانه، وجب على الرّسول تعميم الدّعوة تحصيلاً للمقصود، فإنّ المقصود تذكير من ينتفع بالتّذكير، ولا سبيل إليه إلّا بتعميم التّذكير.

---

(1) أنوار التنزيل.
(2) الكشاف.
(3) التفسير الكبير.
(4) جامع البيان.
(5) التفسير الكبير.

ثمّ إنّ الإنسان إذا سمع التّخويف بأنّه ﴿يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ [الأعلى: 12]، وأنّه ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ [الأعلى: 13]، انكسر قلبه، فلا بدّ وأن يستمع وينتفع أغلب الخلق في أغلب الأحوال، وأمّا ذلك المعرض فنادر، وترك الخير الكثير لأجل الشّرّ القليل شرّ كثير. فمن هذا الوجه كان قوله: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ﴾، يوجب تعميم التّذكير.

● **قال تعالى:** ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [النساء: 9].

قال الزّمَخْشَريّ(1): والمراد بهم: الأوصياء أُمروا بأن يخشوا الله فيخافوا على مّن في حجورهم من اليتامى، ويشفقوا عليهم خوفهم على ذرّيتهم، لو تركوهم ضعافاً وشفقتهم عليهم، وأن يقدروا ذلك في أنفسهم ويصوّروه، حتّى لا يجسروا على خلاف الشّفقة والرحمة. ويجوز أن يكون المعنى: وليخشوا على اليتامى من الضّياع. وقيل: هم الّذين يجلسون إلى المريض، فيقولون: إنّ ذرّيّتك لا يغنون عنك من الله شيئاً، فقدّم مالك فيستغرقه بالوصايا. فأُمروا بأن يخشوا ربّهم أو يخشوا على أولاد المريض، ويشفقوا عليهم شفقتهم على أولاد أنفسهم لو كانوا. ويجوز أن يتصل بما قبله وأن يكون أمراً بالشّفقة للورثة على الّذين يحضرون القسمة من ضعفاء أقاربهم واليتامى والمساكين، وأن يتصوّروا أنهم لو كانوا أولادهم بقوا خلفهم ضائعين محتاجين هل كانوا يخافون عليهم الحرمان والخيبة؟!

قال أبو السُّعود(2): أمرٌ للأوصياء بأن يخشوا الله تعالى ويتّقوه في أمر اليتامى، فيفعلوا بهم ما يُحبّون أن يُفعل بذراريهم الضّعاف بعد وفاتهم، أو لمن يحضر المريض من العُواد عند الإيصاء بأن يخشوا ربّهم أو يخشوا أولاد المريض، ويُشفقوا عليهم شفقتهم على أولادهم، فلا يتركوه أن يُضرّ بهم بصرف المال عنهم، أو للورثة بالشّفقة على من حضر القسمة من ضعفاء الأقارب

(1) الكشاف. (2) إرشاد العقل السليم.

واليتامى والمساكين، متصوّرين أنّهم لو كانوا أولادهم بقوا خلفهم ضعافاً مثلهم هل يجوّزون حِرمانهم أو للموصين بأن ينظروا للورثة فلا يُسرفوا في الوصّية.

● **قال تعالى**: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [التوبة: 18].

قال الواحديّ(1): أي: لم يخف في باب الدّين إلّا الله، ولم يترك أمر الله لخشية غيره.

قال الزّمَخْشَريّ(2): قلت: هي الخشية والتّقوى في أبواب الدّين، وأن لا يختار على رضا الله غيره لتوقّع مخوف، وإذا اعترضه أمران أحدهما حق الله، والآخر حقّ نفسه، أن يخاف الله فيُؤْثر حقّ الله على حقّ نفسه. وقيل: كانوا يخشون الأصنام ويرجونها، فأُريد نفي تلك الخشية عنهم.

قال البَيْضاويّ(3): أي في أبواب الدّين، فإنّ الخشية عن المحاذير جبليّة لا يكاد العاقل يتمالك عنها.

● **قال تعالى**: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ﴾ [النساء: 77].

قال الطّبَريّ(4): بقول: يخافون النّساء أن يقاتلوهم ﴿كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ...﴾، أو أشدّ خوفاً، وقالوا جزعاً من القتال الّذي فرض الله عليهم: ﴿رَبَّنَا...﴾.

قال الواحديّ(5): المشركين ﴿كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ كما يخشون الله.

---

(1) الوجيز.
(2) الكشاف.
(3) أنوار التنزيل.
(4) جامع البيان.
(5) الوجيز.

قال القُرطُبيّ(1): أي مشركي مكّة ﴿كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ فهي على ما طبع عليه البشر من المخافة لا على المخالفة. وقيل: هو وصف للمنافقين، والمعنى: يخشون القتل من المشركين كما يخشون الموت من الله ﴿أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾ أي عندهم وفي اعتقادهم.

● **قال تعالى**: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ﴾ [الرعد: 21].

قال الفَخْر الرّازيّ(2): المعنى: أنّه وإن أتى بكلّ ما قدر عليه في تعظيم أمر الله، وفي الشّفقة على خلق الله، إلّا أنّه لا بد وأن تكون الخشية من الله والخوف منه مستولياً على قلبه. وهذه الخشية نوعان:

أحدهما: أن يكون خائفاً من أن يقع زيادة أو نقصان، أو خلل في عباداته وطاعاته، بحيث يوجب فساد العبادة أو يوجب نقصان ثوابها.

والثّاني: وهو خوف الجلال، وذلك لأنّ العبد إذا حضر عند السّلطان المهيب القاهر، فإنّه وإن كان في عين طاعته إلّا أنّه لا يزول عن قلبه مهابة الجلالة، والرّفعة والعظمة.

قال القُرطُبيّ(3): قيل: في قطع الرّحم. وقيل: في جميع المعاصي.

● **قال تعالى**: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ﴾ [طه: 77].

قال الزّمَخْشَريّ(4): إنّ الخشية لا تكون إلّا بالمعرفة.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: 28]، أي العلماء به، وذكر الخشية لأنّها ملاك الأمر، من خَشِي الله أتى منه كلّ خير، ومن أَمِن

---

(1) الجامع لأحكام القرآن.
(2) التفسير الكبير.
(3) الجامع لأحكام القرآن.
(4) الكشاف.

اجترأ على كلّ شرّ، ومنه قوله عليه الصّلاة والسّلام: (**مَن خاف أدلَج ومَن أدلج بلغ المنزل**).

بدأ مخاطبته بالاستفهام الّذي معناه العرض، كما يقول الرّجل لضيفه: هل لك أن تنزل بنا، وأردفه الكلام الرّفيق ليستدعيه بالتّلطّف في القول، ويستنزله بالمداراة من عتوّه كما أمر بذلك في قوله: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ [طه: 44].

● **قال تعالى**: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ . . .﴾ [المائدة: 44].

قال الفَخْر الرّازيّ[1]: وأعلم أنّه تعالى لمّا قرّر أنّ النّبيّين والرّبّانّيين والأحبار كانوا قائمين بإمضاء أحكام التّوراة من غير مبالاة، خاطب اليهود الّذين كانوا في عصر رسول الله ﷺ، ومنعهم من التّحريف والتّغير.

واعلم أنّ إقدام القوم على التحريف لا بدّ وأن يككون لخوفٍ ورَهْبةٍ، أو لطمع ورغبة، ولّما كان الخوف أقوى تأثيراً من الطّمع قدم تعالى ذكره، فقال: ﴿فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ﴾ [المَائدة: 44].

والمعنى: إيّاكم وأن تحرّفوا كتابي للخوف من النّاس والملوك والأشراف، فتُسقطوا عنهم الحدود الواجبة عليهم، وتستخرجوا الحِيَل في سقوط تكاليف الله تعالى عنهم، فلا تكونوا خائفين من النّاس، بل كونوا خائفين منّي ومن عقابي.

● **قال تعالى**: ﴿أَلَا تُقَـٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَـٰنَهُمْ وَهَمُّوا۟ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: 13].

---

(1) التفسير الكبير.

قال الفَخْر الرّازيّ[1]: وهذا الكلام يُقوّي داعية القتال من وُجوه:

الأوّل: أنّ تعديد الموجبات القوّية وتفصيلها، مّما يقوّي هذه الدّاعية.

والثّاني: أنّك إذا قلت للرّجل: أتخشى خصمك، كان ذلك تحريكاً منه، لأن يستنكف أن ينسب إلى كونه خائفاً من خصمه.

والثّالث: أنّ قوله: ﴿فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ﴾ يفيد ذلك، كأنّه قيل: إن كنت تخشى أحداً فالله أحقّ أن تخشاه، لكونه في غاية القدرة والكبرياء والجلالة، والضّرر المتوقّع منهم غايته القتل. وأمّا المتوقّع من الله، فالعقاب الشّديد في القيامة، والذّمَ اللّازم في الدّنيا.

والرّابع: أنّ قوله: ﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ معناه: أنّكم إن كنتم مؤمنين بالايمان وجب عليكم أن تُقدموا على هذه المقاتلة، ومعناه: أنّكم إن لم تُقدموا عليها وجب أن لا تكونوا مؤمنين. فثبت أنّ هذا كلامٌ مشتمل على سبعة أنواع من الأُمور الّتي تحملهم مقاتلة أُولئك الكفّار النّاقضين للعهد.

● **قال تعالى**: ﴿وَمِنۡ حَيۡثُ خَرَجۡتَ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيۡكُمۡ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِي وَلِأُتِمَّ نِعۡمَتِي عَلَيۡكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾ [البقرة: 150].

قال القشَيْريّ[2]: إذا كانوا محوا عن كونهم رسوماً تجري عليها أحكامنا، فإنّي بالخشية منهم.

قال الواحديّ[3]: أي في انصرافكم إلى الكعبة، وفي تظاهرهم عليكم في المحاجّة والمحاربة، ﴿وَٱخۡشَوۡنِي﴾ في تركها ومخالفتها.

قال البَيْضَاويّ[4]: فلا تخافوهم، فإنّ مطاعنهم لا تضرّكم، ﴿وَٱخۡشَوۡنِي﴾ فلا تخالفوا ما أمرتكم به مصلحة لكم.

---

(1) التفسير الكبير.
(2) لطائف الإشارات.
(3) الوجيز.
(4) أنوار التنزيل.

● قال تعالى ﴿... ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ...﴾ [المائدة: 3].

قال الزّجّاج[1]: أي فليكن خوفكم لله وحده، فقد أمنتم أن يظهر دين على الإسلام وكذلك - والله أعلم - قوله: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾.

قال الماوَرْديّ[2]: أي ﴿فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ﴾. أن يظهروا عليكم، ﴿وَٱخۡشَوۡنِۚ﴾ أن تخالفوا أمري.

قال أبو حَيّان[3]: وقيل: فلا تخشوا عاقبتهم. والظّاهر أنّه نهى عن خشيتهم إيّاهم، وأنّهم لا يخشون إلّا الله تعالى.

(1) معاني القرآن.
(2) النكت والعيون.
(3) البحر المحيط.

خصّ

(خصّ - آثر - اصطفى - اختار - اجتبى)

■ **اخْتَصَّ:** حدد من يستحق فضله المتميز ﴿وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ﴾ [البَقَرَة: 105].

■ **آثَر:** حدد محبوباً لنفسه هو على سائر من يحب لأثر خفي. فالأثر: فضل والإيثار تفضيل ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا﴾ [يُوسُف: 91].

■ **اصْطَفَى:** حدَّد من يرفعهم في نفسه على الآخرين ﴿وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [آل عِمرَان: 42].

■ **اخْتَارَ:** حدَّد من يصلح لوظيفة خاصة من بين آخرين ﴿وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ سَبۡعِينَ رَجُلٗا لِّمِيقَٰتِنَاۖ﴾ [الأعرَاف: 155].

■ **اجْتَبَى:** جمع شيئاً يحبه إلى سائر ما ومن يحب ﴿فَٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [القَلَم: 50].

(خصص – جوع – خمص – السغب)

■ **الخَصَاصَةُ:** خلوّ البيت مما يؤكل ﴿وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ﴾ [الحشر: 9].

■ **الجُوعُ:** الألم من خلوّ المعدة من الطعام ﴿أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ﴾ [قُرَيش: 4].

■ **الخَمَصُ:** ضمور البطن من شدة الجوع ﴿فِي مَخۡمَصَةٍ﴾ [المائدة: 3].

■ **السَّغَبُ:** اجتماع الجوع والعطش والتعب ﴿أَوْ إِطْعَٰمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾ [البلد: 14].

النصوص اللغوية:

قال ابن فارسٍ(1): الخاء والصّاد أصل مطّرد منقاس، وهو يدلّ على الفُرْجة، والثُّلْمة. فالخَصاص: الفُرَج بين الأثافيّ.

ويقال للقمر: بدا من خَصَاصَةِ السّحاب.

والخَصَاصَةُ: الإملاق. والثُّلْمة في الحال.

ومن الباب: خَصَصْتُ فلاناً بشيء خَصُوصيّةٌ - بفتح الخاء - وهو القياس، لأنّه إذا أُفرد واحد فقد أوقع فُرْجَةً بينه وبين غيره، والعموم بخلاف ذلك. والخِصّيصَى: الخَصُوصِيّة.

قال الخَليل(2): وخَصَصْتُ الشّيء خُصُوصاً، واختَصَصْتُه.

والخَاصَّةُ: الّذي اختَصَصْته لنفسك. والخَصَاصَةُ: سوء الحال.

والخَصَاصُ: شبْه كُوّة في قُبّة ونحوها إذا كان واسعاً قدر الوجه.

ويسمّى الغَيم: خَصَاصَةٌ. وكلّ خَرْق أو خَلَل في سحاب أو مُنْخُل يسمّى: خَصَاصَةٌ، والجميع: خَصَاصُ.

قال أبو هلال(3): الفرق بين الخاصّ والخُصُوص: أنّ الخُصوص يكون فيما يراد به بعض ما ينطوي عليه لفظه بالوضع، والخاصّ: ما اختصّ بالوضع لا بإرادة.

---

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) العين.
(3) الفروق.

وقال بعضهم: الخُصُوص: ما يتناول بعض ما يتضمّنه العموم، أو جرى مجرى العموم من المعاني. وأمّا العموم: فما استغرق ما يصلح أن يستغرقه وهو عامّ، والعموم: لفظ مشترك يقع على المعاني والكلام.

وقال بعضهم: الخاصّ: ما يتناول أمراً واحداً بنفس الوضع، والخصوص: أن يتناول شيئاً دون غيره، وكان يصحّ أن يتناوله وذلك الغير.

الفرق بين التّخصيص والنّسخ: أنّ التّخصيص هو ما دلّ على أنّ المراد بالكلمة بعض ما تناولته دون بعض، والنّسخ: ما دلّ على أنّ مثل الحكم الثّابت بالخطاب زائل في المستقبل على وجه لولاه لكان ثابتاً. ومن حقّ التّخصيص أن لا يدخل إلّا فيما يتناوله اللّفظ، والنّسخ يدخل في النّصّ على عين، والتّخصيص ما لا يدخل فيه.

الفرق بين الانفراد والاختصاص: أنّ الاختصاص انفراد بعض الأشياء بمعنى دون غيره، كالانفراد بالعلم والملك. والانفراد: تصحيح النّفس وغير النّفس، وليس كذلك الاختصاص، لأنّه نقيض الاشتراك والانفراد نقيض الازدواج.

وقد وردت كلمة (خصّ) في القرآن الكريم في المعاني المشتركة التالية:

1 - التفضيل على الغير: قال تعالى: ﴿. . . وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [البقرة: 105].

2 - تعدي الحكم من الخاصة إلى العامة: قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةًۖ . . .﴾ [الأنفال: 25].

3 - الجوع والافتقار: قال تعالى: ﴿وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٌۚ . . .﴾ [الحشر: 9].

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ...﴾ [الحشر: 9].

قال الطّبَريّ[1]: حاجة وفاقة إلى ما آثروا به من أموالهم على أنفسهم.

قال الواحديّ[2]: فقر وحاجة. بيّن الله تعالى أنّ إيثارهم لم يكن عن غنىً وعن مال، ولكن كان حاجة، وكان ذلك أعظم لأجرهم.

قال ابن عَطيّة[3]: الخَصاصَة: الفاقة والحاجة، وهو مأخوذ من خَصاص البيت، وهو ما يبقى بين عيدانه من الفُرَج والفتوح، فكأنّ حال الفقير هي كذلك يتخلّلها النّقص والاحتياج.

● قال تعالى: ﴿...وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [البقرة: 105].

قال الزّجّاج[4]: أي يختصّ بنبوّته من يشاء من [عباده]. أخبر عزّ وجلّ أنّه مختار.

قال الزّمَخْشَريّ[5]: ﴿وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ﴾ بالنّبوة ﴿مَن يَشَآءُ ۚ﴾ ولا يشاء إلّا ما تقتضيه الحكمة.

قال البَيْضاويّ[6]: ويستنبئه ويُعلّمه الحكمة وينصره، لا يجب عليه شيء، وليس لأحد عليه حقّ.

---

(1) جامع البيان.
(2) الوجيز.
(3) المحرر الوجيز.
(4) معاني القرآن.
(5) الكشاف.
(6) أنوار التنزيل.

خَصَفَ

■ **خَصَفَ:** نسج أوراق الشجر والجلود.. ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۖ...﴾ [الأعراف: 22].

❋ ❋ ❋

النصوص اللغوية:

قال ابن فارسٍ[1]: الخاء والصّاد والفاء أصل واحد يدلّ على اجتماع شيء إلى شيء. وهو مطّرد مستقيم. فالخَصْفُ خَصْف النّعل، وهو أن يُطبَّق عليها مثلها. والمِخْصَفُ: الإشْفَى والمِخْرَز.

ومن الباب الاخْتِصَافُ، وهو أن يأخذ العُرْيان على عورته ورقاً عريضاً أو شيئاً نحو ذلك يَستتِر به.

والخَصِيفَةُ: اللّبن الرّائب يُصَبُّ عليه الحليب.

ومن الباب، وإن كانا يختلفان في أنّ الأوّل جمع شيء إلى شيء مطابقةً، والثّاني جمعه إليه من غير مطابقة، قولهم: حَبْلٌ خَصِيفٌ: فيه سواد وبياض.

قال الخَليل[2]: الخَصَفُ: ثياب غلاظ جدّاً. ويقال: إن تُبّعاً كسَا البيت المسوح، فانتَفضَ البيت ومَزَقها، ثم كساه الخَصَف فلم يقبلها، ثمّ كساه الأنطاع فقَبِلها، وهو أوّل من كسَا البيت. والخَصَفُ: لغة في الخَزَف.

---

(1) معجم مقاييس اللغة. (2) العين.

والخَصَفَةُ: القطعة ممّا يُخْصَفُ به النّعل، والمِخْصَفُ: مثقبُه.

والأَخْصَفُ: لون كلون الرّماد، فيه سواد وبياض وهو الخصيف أيضاً.

قال الرّاغِب[1]: قال تعالى: ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا﴾ أي: يجعلان عليهما خَصَفَة، وهي أوراق. ومنه قيل لُجلّة التّمر: خَصَفَة، وللثّياب الغليظة، جمعه: خَصَفٌ، ولما يُطرَق به الخُفّ: خَصْفَة.

وخَصَفتُ النّعل بالمِخصَف. وروي: (كان النّبي ﷺ يَخصِف نعَله).

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: 22].

قال الطّبَريّ[2]: أقبلا وجعلا يشدّان عليهما من ورق الجنّة، ليواريا سوآتهما.

قال الزّجّاج[3]: يجعلان وَرَقة على وَرَقة، ومنه قيل المخْصَاف الّذي يرقع النّعل: هو يَخصِف.

قال الزّمَخْشَريّ[4]: يخصفان ورقة فوق ورقة على عوراتهما ليستترا بها، كما يخصف النّعل بأن تجعل طرقة على طرقة وتوثق بالسّيور.

(1) مفردات الراغب.
(2) جامع البيان.
(3) معاني القرآن.
(4) الكشاف.

خصم

(خصم - جدل - نزع)

- **الخِصَامُ:** المفاوضة لإثبات حق متنازع عليه ﴿قَالُوا۟ لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ﴾ [ص: 22].
- **الجِدَالُ:** مفاوضة على سبيل المغالية لإثبات الحق ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف: 54].
- **النِّزَاعُ:** المجاذبة القائمة على إنكار ما يقول الآخر ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [النِّساء: 59].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارسٍ(1): الخاء والصّاد والميم أصلان:

أحدهما: المنازعة، والثّاني: جانِبُ وعاء.

فالأوّل: الخَصْمُ الّذي يُخَاصِمُ. والذّكر والأُنثى فيه سواء.

والخِصَامُ: مصدر خَاصَمْتُه مُخَاصَمَةً وخِصَاماً. وقد يُجمَع الجمع على خُصُومٌ.

والأصل الثّاني: الخُصْمُ: جانب العِدْل الّذي فيه العُرْوَة. ويقال: إنّ جانب كلِّ شيء خُصْمٌ.

---

(1) معجم مقاييس اللغة.

وأَخْصَامُ العين: ما ضُمّت عليه الأشفار. ويمكن أن يُجمَع بين الأصلين فُيردّ إلى معنىً واحد. وذلك أنّ جانب العِدْل مائل إلى أحد الشَقّين، والخَصْمُ: المنازع في جانب، فالأصل واحد.

قال الخليل[1]: الخَصْمُ: واحد وجميع ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ﴾ [ص: 21]، فجعله جمعاً، لأنّه سمّي بالمصدر. وخَصِيُمكَ: الّذي يُخاصِمُكَ، وجمعه: خُصَمَاء.

والخُصُومَةُ: الاسم من التَّخَاصُمِ والاخْتِصَام.

قال الجَوهَريّ[2]: الخَصْم: معروف، يستوي فيه الجمع والمؤنّث، لأنّه في الأصل مصدر.

ومن العرب من يُثنّيه ويجمعه فيقول: خَصْمَان وخُصُوم.

والخَصِيمُ أيضاً: الخَصْمُ، والجمع: خُصَمَاءُ.

وخَاصَمْتُه مُخَاصَمَةً وخِصَاماً، والاسم: الخُصُومَة.

وخَاصَمْتُ فلاناً فخَصَمْتُه أخْصِمُه بالكسر، ولا يقال بالضّمّ، وهو شاذّ.

وأمّا من قرأ: ﴿وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ يريد يخْتَصِمُون فيقلب التّاء صاداً فيُدْغِمه، وينقل حركته إلى الخاء. والخَصِمُ بكسر الصّاد: الشّديد الخُصُومَة.

واخْتَصَمَ القوم وتَخَاصَمُوا، بمعنى. والسّيف يخْتَصِمُ جَفْنَه، إذا أكله من حدّته.

قال أبو هلال[3]: الفرق بين المعاداة والمخاصَمَة: أنّ المُخاصَمَة من قبيل القول، والمُعاداة من أفعال القلوب. ويجوز أن يُخاصم الإنسان غيره من غير أن يُعاديه، ويجوز أن يُعاديه ولا يُخاصمه.

---

(1) العين.
(2) الصحاح في اللغة.
(3) الفروق.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف: 58].

قال الطّبَريّ[1]: يقول جلّ ثناؤه: ما بقومك يا محمّد هؤلاء المشركين في محاجّتهم إياك بما يحاجّونك به طلب الحقّ ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ يلتمسون الخُصُومة بالباطل.

قال الفَخْر الرّازيّ[2]: مبالغون في الخُصُومة.

● قال تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ [يسٓ: 77].

قال الطّبَريّ[3]: يقول تعالى ذكره: ومن حُجَجه عليكم أيضاً أيّها النّاس، أنّه خلق الإنسان من نطفة، فأحدث من ماء مَهين خلقاً عجيباً، قَلبَه تاراتٍ خلقاً بعد خلق في ظلمات ثلاث، ثمّ أخرجه إلى ضياء الدّنيا بعد ما تمّ خلقه، ونفخ فيه الروّح، فغذّاه ورزقه القوت ونّماه، حتىّ إذا استوى على سوقه، كفر بنعمة ربّه وجحد مدبّره، وعبد من لا يضرّ ولا ينفع، وخاصم إلٰهه، فقال: ﴿مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ﴾ [يس: 78]، ونسِي الّذي خلقه، فسوّاه خلقاً سويّاً من ماء مَهين. ويعني بـ «المبين» أنّه يبُين عن خصومته بمنطقه، ويجادل بلسانه، فذلك إبانته.

قال الزّمَخْشَريّ[4]: فيه معنيان:

أحدهما: فإذا هو مِنطيق مُجادل عن نفسه، مكافح للخصوم، مبين للحجّة، بعد ما كان نطفة من منيّ جماداً، لا حسّ به ولا حركة، دلالة على قدرته.

---

(1) جامع البيان.
(2) التفسير الكبير.
(3) جامع البيان.
(4) الكشاف.

والثّاني: فإذا هو خصيم لربّه، منكر على خالقه قائل: ﴿مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ﴾، وصفاً للإنسان بالإفراط في الوقاحة والجهل، والتّمادي في كفران النّعمة . . . .

● قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا﴾ [النساء: 105].

قال الطّبَريّ(1): ﴿خَصِيمًا﴾ تخاصم عنه [الخائن]، وتدفع عنه من طالبه بحقه الّذي خانه فيه.

قال الزّمَخْشَريّ(2): ولا تكن لأجل الخائنين مخاصماً للبُرَاء، يعني لا تخاصم اليهود لأجل بني ظفر.

قال أبو السُّعود(3): مخاصماً للبراءة، أي لا تخاصم اليهود لأجلهم.

● قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ﴾ [البقرة: 204].

قال الفخْر الرّازيّ(4): أمّا ﴿ٱلْخِصَامِ﴾:

مصدر بمعنى المخاصمة، كالقتال والطعان بمعنى المقاتلة والمطاعنة، فيكون المعنى وهو شديد المخاصمة. ثمّ في هذه الإضافة وجهان: أحدهما: أنه بمعنى (في)، والتّقدير: ألَدّ في الخصام.

والثّاني: أنّه جعل الخصام ألَدّ على سبيل المبالغة.

قال الألوسيّ(5): يقال: ﴿ٱلْخِصَامِ﴾: جمع خَصْم، كبَحْر وبِحار وصَعْب

(1) جامع البيان.
(2) الكشاف.
(3) إرشاد العقل السليم.
(4) التفسير الكبير.
(5) روح المعاني.

وصِعاب، فالمعنى: أشدّ الخُصُوم خُصُومةً، والإضافة فيه للاختصاص، كما في أحسن النّاس وجهاً. وفي الآية إشارة أنّ شدّة المخاصمة مذمومة.

● **قال تعالى**: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ [الزخرف: 18].

قال الطّبَريّ(1): يقول: وهو في مخاصمة مَن خاصمه عند الخصام غير مبين، ومَن خصمه ببرهان وحجّة، لعجزه وضعفه، جعلتموه جزء الله من خلقه، وزعمتم أنّه نصيبه منهم. وفي الكلام متروك أُستُغني بدلالة ما ذكر منه، وهو ما ذكَرتُ.

قال الزّجّاج(2): يعني البنات، أي الأُنثى لا تكاد تستوفي الحجّة ولا تُبين.

وقد قيل في التّفسير: إنّ المرأة لا تكاد تحتجّ بحجّة إلّا عليها، وقد قيل: إنّه يعني به الأصنام والأجود أن يكون يعني به المؤنث.

قال الزّمَخْشَريّ(3): وهو إذا احتاج إلى مجاثاة الخُصُوم ومجاراة الرّجال، كان غير مبين، ليس عنده بيان، ولا يأتي ببرهان يحتجّ به من يخاصمه، وذلك لضعف عقول النّساء ونقصانهنّ عن فطرة الرّجال، يقال: قلّما تكلمت امراة فأرادت أن تتكلّم بحجتّها إلّا تكلّمت بالحجّة عليها.

● **قال تعالى**: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُواْ ٱلْمِحْرَابَ﴾ [صَ: 21].

قال الطّبَريّ(4): يقول تعالى لنبيّه محمّد ﷺ: وهل أتاك يا محمّد ﷺ نبأُ الخصم؟

وقيل: إنّه عنى بالخصم في هذا الموضع ملكان، وخرج في لفظ الواحد، لأنّه مصدر مثل الزّور والسّفر، ولا يُثنّى ولا يُجمع.

(1) جامع البيان.
(2) معاني القرآن.
(3) الكشاف.
(4) جامع البيان.

قال أبو حَيّان[1]: الظّاهر أنّهم كانوا جماعة، فلذلك أتى بضمير الجمع. فإن كان المتحاكمان اثنين، فيكون قد جاء معهم غيرهم على جهة المعاضدة أو المؤانسة، ولا خلاف أنّهم كانوا ملائكة، كذا قال بعضهم.

وقيل: كانا أخوين من بني إسرائيل لأب وأُمّ، والأوّل أشهر.

وقيل: الخصم هنا اثنان، وتجوّز في العبارة فاخبر عنهما إخبار ما زاد على اثنين، لأنّ معنى الجمع في التّثنية.

وأُطلق على الجميع: خَصْم، وعلى الفريقين: خصمان، لأنّ من جاء مع متخاصم لمعاضدة فهو في صورة خَصْم، ولا يبعد أن تُطلق عليه التّسمية.

● **قال تعالى**: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ﴾ [**الحج: 19**].

قال الزّجّاج[2]: قوله عزّ وجلّ: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾ الخصمان: المؤمنون والكافرون، جاء في التّفسير: أنّ اليهود قالوا للمسلمين: ديننا أقدم من دينكم، وكتابنا أقدم من كتابكم، فأجابهم المسلمون بأنّا آمنّا بما أُنزل إلينا وما أُنزل إليكم، وآمنّا بالله وملائكته وكتبه ورسله، لا نفرّق بين أحد من رسله، وأنتم كفرتم ببعض الرّسل، فظهرت حجّة المسلمين على الكافرين. وقيل: ﴿ٱخْتَصَمُوا۟﴾، وقد قال: ﴿خَصْمَانِ﴾ لأنّهما جمعان.

قال الواحديّ[3]: قوله: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ﴾ الفِرَق الخمسة الكافرة[4] خصم والمؤمنون خصم، وقد ذكروا جميعاً في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾. والخصم يقع على الواحد والجميع، ولهذا قال: ﴿ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾ [**الحجّ: 19**] لأنّهم جمعان وليسا برجلين، ومثله: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟﴾ [**الحجرات: 9**]. [ثمّ ذكر نحو ابن عبّاس إلى أن قال:] وكان أبو ذرّ يُقسم أنّ هذه الآية نزلت في الّذين بارزوا يوم بدر . . . وهو ما عليه جماعة المفسّرين.

---

(1) البحر المحيط.
(2) معاني القرآن.
(3) الوجيز.
(4) معاني القرآن.

قال ابن عَطيّة[1]: اختلف النّاس في المشار إليه بقوله: (هذان) . . . [نقل الأقوال إلى أن قال بعد قول مُجاهِد:]

والمعنى: أنّ الإيمان وأهله والكفر وأهله خصمان مُذْ كانا إلى قيام السّاعة بالعداوة والجدال والحرب، وقوله تعالى: ﴿خَصْمَانِ﴾ يريد طائفتين، لأنّ لفظة خَصْم هي مصدر يوصف به الجمع والواحد، ويدلّ على أنّه أراد الجمع قوله: ﴿ٱخْتَصَمُواْ﴾ فإنّها قراءة الجمهور، وقرأ ابن أبي عَبْلة (اختَصَمَا في ربِّهِم).

● **قال تعالى**: ﴿إِذْ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْۖ قَالُواْ لَا تَخَفْۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ﴾ [ص: 22].

قال النّيسابوريّ[2]: أي نحن خصمان، والخصم في الأصل: مصدر، فلهذا لم يجمعه أوّلاً نظراً إلى أصله، وثنّاه ثانياً بتأويل شخصان أو فريقان خصمان، وجمع الضّمائر في قوله: ﴿إِذْ تَسَوَّرُواْ﴾، ﴿إِذْ دَخَلُواْ﴾، ﴿فَفَزِعَ مِنْهُمْۖ قَالُواْ لَا تَخَفْۖ﴾، بناءً على أنّ أقلّ الجمع اثنان، أو على أن صحب كل منهما من جملتها. والأول أظهر، لأن القائلين كانا اثنين بالاتفاق.

قال أبو حَيّان[3]: والظّاهر أنّهم كانوا جماعة، فلذلك أتى بضمير الجمع. فإن كان المتحاكمان اثنين، فيكون قد جاء معهم غيرهم على جهة المعاضدة أو المؤانسة. ولا خلاف أنّهم كانوا ملائكة، كذا قال بعضهم. وقيل: كانا أخوين من بني إسرائيل لأب وأُمّ، والأوّل أشهر. وقيل: الخصم هنا اثنان، وتجوّز في العبارة فأخبر عنهما إخبار ما زاد على اثنين، لأنّ معنى الجمع في التّثنية.

وقيل: معنى ﴿خَصْمَانِ﴾: فريقان، فيكون ﴿تَسَوَّرُواْ﴾ و﴿دَخَلُواْ﴾ عائداً على الخصم الّذي هو جمع الفريقين، ويدلّ على أن ﴿خَصْمَانِ﴾ بمعنى فريقان قراءة من قرأ: (بَغى بَعْضُهُمْ عَلى بَعْضٍ). وقال تعالى: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمْۖ﴾.

---

(1) المحرر الوجيز.
(2) غرائب القرآن.
(3) البحر المحيط.

● قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [آل عمران: 44].

قال الزّمَخْشَريّ(1): ﴿إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ في شأنها تنافساً في التّكفّل بها.

قال الفَخْر الرّازيّ(2): أمّا قوله: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ فالمعنى وما كنت هناك إذ يتقارعون على التّكفّل بها، وإذ يختصمون بسببها فيحتمل أن يكون المراد بهذا الاختصام ما كان قبل الإقراع، ويحتمل أن يكون اختصاماً آخر حصل بعد الإقراع، وبالجملة فالمقصود من الآية شدّة رغبتهم في التّكفّل بشأنها، والقيام بإصلاح مهمّاتها، وما ذاك إلّا لدعاء أُمّها حيث قالت: ﴿فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [آل عمران: 35]، وقالت: ﴿وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: 36].

قال أبو السُّعود(3): وتكرير ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ﴾ مع تحقّق المقصود بعطف ﴿إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ على ﴿إِذْ يُلْقُونَ﴾ كما في قوله عزّ وجلّ: ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ﴾ [الإسراء: 47]، للدلالة على أنّ كلّ واحد من عدم حضوره عليه السلام عند إلقاء الأقلام وعدم حضوره عند الاختصام مستقلّ بالشّهادة على نبوّته عليه السلام، لا سيّما إذا أُريد باختصامهم: تنازعهم قبل الاقتراع، فإنّ تغيير التّرتيب في الذّكر مؤكّد له.

● قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ﴾ [الشُّعَراء: 96].

قال الطّبَريّ(4): يقول تعالى ذكره: قال هؤلاء الغاوون والأنداد الّتي كانوا يعبدونها من دون الله وجنود إبليس، وهم في الجحيم يختصمون.

(1) الكشاف.
(2) التفسير الكبير.
(3) إرشاد العقل السليم.
(4) جامع البيان.

قال الزّمَخْشَريّ[1]: يجوز أن يُنطِق الله الأصنام حتّى يصحّ التّقاول والتّخاصم. ويجوز أن يجري ذلك بين العُصاة والشّياطين.

قال القُرطُبيّ[2]: يعني الإنس والشّياطين والغاوين والمعبودين اختصموا حينئذ.

● **قال تعالى**: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾ [النمل: 45].

قال الزّجّاج[3]: أي فإذا قوم صالح فريقان: مؤمن وكافر يختصمون، فيقول كلّ فريق منهم: الحقّ معي، وطلبت الفرقة الكافرة على تصديق صالح العذاب.

قال الزّمَخْشَريّ[4]: فريقان: فريق مؤمن وفريق كافر، وقيل: أراد بالفريقين: صالح عليه السلام وقومه قبل أن يؤمن منهم أحد ﴿يَخْتَصِمُونَ﴾ يقول كلّ فريق: الحقّ معي.

قال الفَخْر الرّازيّ[5]: أمّا قوله: ﴿يَخْتَصِمُونَ﴾ فالمعنى أنّ الّذين آمنوا، لأنّهم نظروا في حجّته فعرفوا صحّتها، وإذا كان كذلك فلا بدّ وأن يكون خصماً لمن لم يقبَلها، وإذا كان هذا الاختصام في باب الدّين دلّ ذلك على أنّ الجدال في باب الدّين حقّ. وفيه إبطال التّقليد.

● **قال تعالى**: ﴿مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [ص: 69].

قال الطّبَريّ[6]: يقول لنبيّه محمّد ﷺ: قل يا محمّد لمشركي قومك: ﴿مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ في شأن آدم من قبل أن يوحى إليّ ربّي فيُعلمني

---

(1) الكشاف.
(2) الجامع لأحكام القرآن.
(3) معاني القرآن.
(4) الكشاف.
(5) التفسير الكبير.
(6) جامع البيان.

ذلك، يقول: ففي إخباري لكم عن ذلك دليل واضح على أنّ هذا القرآن وحي من الله وتنزيل من عنده، لأنّكم تعلمون أنّ علم ذلك لم يكن عندي قبل نزول هذا القرآن، ولا هو ممّا شاهدته فعاينته، ولكنّي علمت ذلك بإخبار الله إيّاي به.

قال الزّجّاج[1]: «الْمَلَإِ الْأَعْلى»: هم الملأ من الملائكة، وملأ كلّ قرية: وجوههم وأفاضلهم.

(1) معاني القرآن.

خضد

(خضد - حصد - جنى - صرم - قطف)

- **الخَضْدُ:** كسر الشوك عن النبات ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾ [الواقِعَة: 28].
- **الحَصْدُ:** قطع الزرع كله لانتهاء الموسم ﴿وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ [الأنعَام: 141].
- **الحَصِيدُ:** الزرع الذي قطع فصلاً بالحصاد.
- **الجَنْيُ:** أخذ الثمرة من شجرها بالأيدي بعد نضجها.

(والجَنَا) التمر المجتنى فصلاً ﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ [الرَّحمٰن: 54].

- **الصَّرْمُ:** القطع الشامل ﴿إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾ [القَلَم: 17].
- **القَطْفُ:** رؤوس الغصن ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ [الحَاقَّة: 23].

❊ ❊ ❊

النصوص اللغوية:

قال ابن فارسٍ(1): الخاء والضّاد والدّال أصل واحد مطّرد، وهو يدلّ على تَثَنٍّ في شيء ليِّن. يقال: انخَضَد العُود انْخِضَاداً: إذا تَثنّى من غير كسر. وخَضَدتُه: ثنَيْتُه. وربّما زادوا في المعنى، فقالوا: خَضَدْتُ الشّجرة: إذا كسَرتَ شوكتَها.

ونباتٌ خَضِيدٌ. والأصل هو الأوّل، لأنّ الخَضِيدُ هو الرّيّان النّاعم الّذي يتثنّى لِلِينه.

---

(1) معجم مقاييس اللغة.

قال الخَليل[1]: الخَضْد: نَزْعُ الشَّوْك عن الشّجر. وقال الله عزّ وجلّ: ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾ [الواقِعَة: 28]، أي: نُزِع شَوْكه.

وخَضَدْتُ العُود فانْخَضَد، أي انكسر من غير بينونة.

وخَضَد يَخضِد خَضْداً: إذا أكل شيئاً رَطْباً، نحو القِثّاء وغيرها.

قال الجَوهَريّ[2]: خَضَدْتُ العود فانخَضَد، أي: ثنَيتُه فانْثَنى من غير كسر.

والخَضْدُ: الأكل الشّديد.

قال الرّاغب[3]: قال الله: ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾، أي: مكسور الشّوك، يقال: خضَدْتُه فانخَضَد فهو مَخْضُودٌ وخَضِيدٌ.

والخَضَدُ: المخضود، كالنّقض في المنقوض، ومنه استُعير خُضِدَ عُنُق البعير، أي: كُسِر.

قال الزّمَخْشَريّ[4]: خَضَدَ الشّجر وخضَّدَه: قطَع شوكه. وسِدْر مَخْضُودٌ، ومُخَضَّدٌ، وخَضِيدٌ.

فانْخَضد بالخَضِيدِ، وهو ما خُضِدَ، أي: قُطع من العيدان.

وخَضَدَ العُود فانخَضَدَ وتَخَضَّدَ، أي: ثناه. وفي الحديث: «**في شجر المدينة حُرمتُها أن تُعضَد أو تُخضَد**».

وانخَضَدتِ الفواكه وتَخَضَّدَتْ: حُملت من موضع إلى موضع فتكسّرت، وقد خَضَدَها الحمل.

(1) العين.
(2) الصحاح في اللغة.
(3) مفردات الراغب.
(4) أساس البلاغة.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى:** ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾﴾ [الواقعة: 27-28].

قال الفَخْر الرّازيّ[1]: ما معنى المخضود؟

نقول: فيه وجهان:

أحدهما: مأخوذ الشّوك، فإنّ شوك السِّدر يستقصف ورقها، ولولاه لكان منتزه العرب، ذلك لأنّها تظلّ لكثرة أوراقها ودخول بعضها في بعض.

وثانيهما: ﴿مَّخْضُودٍ﴾ أي: مُتعَطّف إلى أسفل، فإنّ رؤوس أغصان السِّدر في الدّنيا تميل إلى فوق، بخلاف أشجار الثّمار، فإنّ رؤوسهما تتدلّى، وحينئذ معناه أنّه يخالف سدر الدّنيَا، فإنّ لها ثمراً كثيراً.

قال ابن العربي[2]: أي: في جنة النفس المخضود عن شوك تضادّ القوى والطبائع وتنازع الأهواء والدواعي لتجرّدها عن هيئات صفاتها بنور الروح والقلب أو موقورة بثمار الحسنات والهيئات الصالحات على اختلاف التفسيرين.

قال أبو السعود[3]: كأنَّه خُضِّدَ شوكُه أي قطعَ وقيل: مخضودٌ: أي مثنيٌّ أغصانُه لكثرةِ حملِه من خضَدَ الغصنُ إذا ثناهُ وهو رطبٌ.

---

(1) التفسير الكبير.
(2) تفسير القرآن لابن العربي.
(3) إرشاد العقل السليم.

خضر

(خضر - حوي - دهم)

- **الخُضْرَةُ:** لون بين البياض والسواد ﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا﴾ [الكهف: 31].
- **الحُوَّةُ:** السواد من شدة الخضرة ﴿غُثَآءً أَحْوَىٰ﴾ [الأعلى: 5].
- **الدُّهْمَةُ:** كثرة الخضرة وشدة اخضرارها واتساع رفعتها ﴿مُدْهَآمَّتَانِ﴾ [الرَّحمٰن: 64].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارسٍ[1]: الخاء والضّاد والرّاء أصل واحد مستقيم، ومحمول عليه. فالخُضْرَةُ من الألوان معروفة.

والخَضْرَاءُ: السَّماء، للونها كما سمّيت الأرض الغَبْراء.

وكتيبة خَضْرَاء، إذا كانت عِلْيَتها سواد الحديد، وذلك أنّ كلّ ما خالف البياض فهو في حيِّز السّواد، فلذلك تداخلت هذه الصّفات، فيسمّى الأسود أَخْضَر.

قال الله تعالى في صفة الجنّتين: ﴿مُدْهَآمَّتَانِ﴾، أي سَوْداوان. وهذا من الخُضْرة، وذلك أنّ النّبات النّاعم الرّيّان يُرى لشدّة خُضْرته من بُعْد أسود. ولذلك سمّي سواد العراق لكثرة شجره.

---

(1) معجم مقاييس اللغة.

قال الخَليل(1): الخَضِر: نبيّ مُعمّر، محجوب عن الأبصار، وهو نبيّ من بني إسرائيل، وهو صاحب موسى الّذي التقى معه بمجمع البحرين.

والخَضِر في القرآن: الزّرع الأخضَر، وفي الكلام: كلّ نبات من الخُضَر.

والاخْضِرار: مصدر من قولك: اخْضَرّ.

والخَضْر والمَخضُور: للرَّخص من الشّجر.

والخُضاريّ: طائر يسمّى الأخيَل، يتشاءم به إذا سقط على ظهر البعير، وهو أخضَر، في حَنَكه حُمرة، وهو أعظم من القطا.

وقول النّبيّ ﷺ: «**إيّاكم وخَضْراء الدِّمَن، يعني المرأة الحسناء في مَنْبِت السّوء**»، يُشبِّهها بالشّجرة النّاضرة في دِمْنَة البَعْر.

والمُخاضَرة: بيع الثّمار قبل بُدُوّ صلاحها، وهي خُضْر بعد.

قال الرّاغِب(2): ﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا﴾ [الكهف: 31]، فخُضْر جمع: أخضَر.

والخُضْرة: أحد الألوان بين البياض والسّواد، وهو إلى السّواد أقرب، ولهذا سمّى الأسود: أخضَر، والأخضَر: أسود.

وقيل سواد العراق للموضع الّذي يكثر فيه الخُضْرة، وسمّيت الخضرة بالدُّهَمة في قوله سبحانه: ﴿مُدْهَآمَّتَانِ﴾، أي: خضراوان، وقوله عليه السلام: «**إيّاكم وخَضْراء الدِّمَن**» فقد فسّره عليه السلام، حيث قال: المرأة الحسناء في منْبِت السُّوء.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا﴾ [الأنعام: 99].

(1) العين. (2) مفردات الراغب.

قال الماوَرْديّ[1]: يعني زرعاً أخضَر رطباً، بخلاف صفته عند بذره.

قال الزّمَخْشَريّ[2]: ﴿خَضِرًا﴾ شيئاً غضّاً أخضر، يقال: اخضَرّ وخَضِر كاعوَرّ وعَوِر، وهو ما تشعّب من أصل النّبات الخارج من الحبّة.

قال الفَخْر الرّازيّ[3]: . . . وقال اللّيث: الخَضِر في كتاب الله: هو الزّرع، وفي الكلام: كلّ نبات من الخُضَر.

إنّه تعالى حصر النّبت في الآية المتقدّمة في القسمين: حيث قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾ [الأنعام: 95]، فالّذي ينبت من الحبّ هو الزّرع، والّذي ينبت من النّوى هو الشّجر، فاعتبر هذه القسمة أيضاً في هذه الآية فابتدأ بذكر الزّرع، وهو المراد بقوله: ﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا﴾ وهو الزّرع، كما رويناه عن اللّيث.

والمراد من هذا الخَضِر العُود الأخضر الّذي يخرج أوّلاً ويكون السّنبل في أعلاه.

● **قال تعالى**: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾ [يسٓ: 80].

قال الماوَرْديّ[4]: أي الّذي جعل النّار المُحرقة في الشّجر الرّطب المَطفيّ. وجمع بينهما مع ما فيهما من المضادّة، لأنّ النّار تأكل الحطب، وأقدركم على استخراجها، هو القادر على إعادة الموتى وجمع الرّفات. ويحتمل ذلك منه وجهين:

أحدهما: أن ينبّه الله تعالى بذلك على قدرته الّتي لا يعجزها شيء.

الثّاني: أن يدلّ بها على إحياء الموتى كما أُحييت النّار بالإذكاء.

قال الزّمَخْشَريّ[5]: ذكر من بدائع خلقه انقداح النّار من الشّجر الأخضَر مع

(1) النكت والعيون.
(2) الكشاف.
(3) التفسير الكبير.
(4) النكت والعيون.
(5) الكشاف.

مضادّة النّار الماء وانطفائها به، وهي الزّناد الّتي توري بها الأعراب، وأكثرها من المَرْخ والعَفار، وفي أمثالهم: في كلّ شجر نار.

واستمجد المَرْخ والعَفار، يقطع الرّجل منهما غصنَين مثل السّواكين، وهما خضراوان يقطر منهما الماء، فيَسحَق المَرْخ وهو ذكَرٌ على العَفار وهي أُنثى فتنقدح النّار بإذن الله.

● **قال تعالى:** ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [الحج: 63].

قال القُرطُبيّ(1): أي ذات خُضْرة، كما تقول: مَبْقَلة ومَسْبَعة، أي: ذات بَقْل وسباع. وهو عبارة عن استعجالها إثر نزول الماء بالنّبات، واستمرارها كذلك عادة.

وقرئ ﴿مُخْضَرَّةً﴾ على وزن «مَفْعَلة» ومَسْبَعة أي ذات خُضر، وخصّ (تُصْبِحُ) دون سائر أوقات النّهار، لأنّ رؤية الأشياء المحبوبة أوّل النّهار أبهج وأسرّ للرّائي.

قال الألوسيّ(2): ﴿فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾ أي فتصير، وقيل: (تُصْبِحُ) على حقيقتها، والحكم بالنّظر إلى بعض الأماكن تمطر السّماء فيها ليلاً فتُصبح الأرض مُخضرّة، والأوّل أولى، عطف على ﴿أَنزَلَ﴾ والفاء مغنية عن الرّابط فلا حاجة إلى تقدير بإنزاله، والتّعقيب عرفيّ أو حقيقيّ، وهو إمّا باعتبار الاستعداد التّامّ للاخضرار، أو باعتباره نفسه. وهو كما ترى.

● **قال تعالى:** ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ. . .﴾ [يوسف: 43].

---

(1) الجامع لأحكام القرآن. (2) روح المعاني.

قال الطّبَريّ(1): أمّا «الخُضر» فهي السّنون المخاصيب، وأمّا «اليابسات» فهنّ الجدوب المحول.

● **قال تعالى**: ﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ. . .﴾ [الكهف: 31].

قال البَيْضاويّ(2): ﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا﴾ لأنّ الخُضْر أحسن الألوان وأكثرها طراوة.

قال الألوسيّ(3): لأنّ الخُضْرة أحسن الألوان، والنّفس تنبسط بها أكثر من غيرها، وروي في الأثر، أنّها تزيد في ضوء البصر.

---

(1) جامع البيان.

(2) أنوار التنزيل.

(3) روح المعاني.

خضع

(خضع - خبت - خشع - ذعن - ضرع - عنت - قنت - طوع)

- **الخُضُوعُ:** التكسر في الصوت والجسد تحبباً ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ﴾ [الأحزاب: 32].
- **الإِخْبَاتُ:** انكسار القلب مع سكون الجوارح ﴿فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحج: 54].
- **الخُشُوعُ:** انكسار الصوت مع المهابة ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ [طه: 108].
- **الإِذْعَانُ:** انكسار الحركة رغبة ﴿وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓاْ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾ [النور: 49].
- **الضَّرَاعَةُ:** هي إخبات بزيادة. رفع اليدين والجثّو على الركب ﴿فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ [الأنعام: 42].
- **العَنتُ:** انكسار القوة ضعفاً وخوفاً ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ﴾ [طه: 111].
- **القُنُوتُ:** انحسار الفكر باتجاه واحد تستسلم له ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾ [الرُّوم: 26].
- **الطَّوْعُ:** الانقياد، ويضاده الكره، قال عز وجل: ﴿ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ [فُصّلت: 11].

❊ ❊ ❊

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الخاء والضّاد والعين أصلان:

أحدهما: تطامُن في الشّيء.

والآخر: جنس من الصّوت.

فالأوّل الخُضُوع. قال الخَليل: خَضَع خُضُوعاً، وهو الذّلّ والاستخذاء.

وقال غيره: خضَع الرّجل، وأَخْضَعَهُ الفقر.

ورجل خُضَعَة: يَخضَع لكلّ أحد.

قال بعض الأعراب: الخضَع في الظِّلمان: انثناء في أعناقها.

وأمّا الآخر فقال الخَليل: الخَيْضَعَة: التفاف الصّوت في الحرب وغيرها. ويقال: هو غُبار المعركة. وهذا الّذي قيل في الغُبار فليس بشيء: لأنّه لا قياس له، إلاّ أن يكون على سبيل مجاورة.

قال قوم: الخَيْضَعة: معركة القتال؛ لأنّ الأقران يَخضَع فيها بعض لبعض. وقد عادت الكلمة على هذا القول إلى الباب الأوّل.

قال الخَليل[2]: الخَضِيعَة: ارتفاع الصّوت في الحرب وغيرها، ثمّ قيل لما يُسمَع من بطن الفرس: خَضِيعَة.

قال بعضهم: الخَضُوع من النّساء: الّتي تَسمَع لخواصرها صَلْصَلَةً كصوت خَضِيعَة الفرس. وذكر الخليل: الخُضُوع: الذُّلّ والاستخذاء. والتّخَاضُع: التّذلُّل والتّقاصُر.

والخَضيعَة: صوت بطن الفرس. والأَخْضَعُ والخَضْعَاءُ: الرّاضيان بالذُّلّ.

---

(1) معجم مقاييس اللغة. (2) العين.

والخَيْضعَة: معركة الأبطال. ويقال: هو غُبار المعركة.

الخَضَعُ: انْكباب في العنُق إلى الصّدر، يقال: رجل أَخْضَع وعنُق خَضْعَاء.

الخُضَعَةُ: مثال هُمَزة، من النّخل: الّتي نبَتَتْ من النّواة، لغة بني حنيفة، والجميع: الخُضَع.

قال أبو هلال(1): الفرق بين الخضوع والذّلّ: أنّ الخضوع ما ذكرناه.

والذّلّ: الانقياد كُرهاً، ونقيضه: العزّ، وهو الإباء والامتناع والانقياد على كُره، وفاعله ذليل. والذِلال: الانقياد طوعاً، وفاعله ذَلول.

الفرق بين الإخبات والخضوع: أن المُخبِت هو المطمئنّ بالإيمان. وقيل: هو المجتهد بالعبادة. وقيل: الملازم للطّاعة والسّكون، وهو من أسماء الممدوح مثل المؤمن والمتّقي، وليس كذلك الخضوع، لأنّه يكون مدحاً وذماً.

وأصل الإخبات أن يصير إلى خَبْت، تقول أخبَتَ: إذا صار إلى خَبْت، وهو الأرض المستوية الواسعة، كما تقول أنَجد: إذا صار إلى نَجْد.

فالإخبات على ما يوجبه الاشتقاق هو الخضوع المستمرّ على استواء.

● جاء الخضوع في القرآن الكريم على معنيين:

الأول: الانقياد: قال تعالى: ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَـٰقُهُمْ لَهَا خَـٰضِعِينَ﴾ [الشعراء: 4].

الثاني: لين الكلام والقول: قال تعالى: ﴿يَـٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [الأحزاب: 32].

---

(1) الفروق.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ﴾ [الشعراء: 4].

قال السِّجستاني[1]: ﴿فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ﴾ جماعاتهم رؤساؤهم، كما تقول: أتاني عنُق من النّاس، أي: جماعة. ويقال: ظلّت أعناقهم، أضاف الأعناق إليهم، يريد الرّقاب، ثمّ جعل الخبر عنهم، لأنّ خضوعهم بخضوع العتناق.

قول مُجاهِد: ﴿أَعْنَٰقُهُمْ﴾: كبراؤهم معروف في اللّغة، يقال: جاءني عُنُق من النّاس أي رؤساؤهم، وكذلك يقال: جاءني عُنُق من النّاس أي جماعة. ولهذا يقال: على فلان عِتْق رقبة، ولا يقال عِتْق عنق، لما يقع فيه من الاشتراك.

قال الزّمَخْشَريّ[2]: فإن قلت: كيف صحّ مجيء ﴿خَٰضِعِينَ﴾ خبراً عن (العناق)؟

قلت: أصل الكلام: فظلّوا لها خاضعين، فأقحمت الأعناق لبيان موضع الخضوع، وترك الكلام على أصله، كقوله: ذهبت أهل اليمامة، كأنّ الأهل غير مذكور. أو لّما وُصفت بالخضوع الّذي هو للعقلاء قيل: ﴿خَٰضِعِينَ﴾ كقوله تعالى: ﴿لِي سَٰجِدِينَ﴾ [يوسُف: 4].

وقيل: أعناق النّاس: رؤساؤهم ومقدّموهم شُبّهوا بالأعناق كما قيل لهم: هم الرّؤوس والنّواصي والصّدور. وقال: في محفل من نواصي النّاس مشهود.

قال ابن عَرَبيّ[3]: ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً﴾ من العلم العلويّ، بتأييدنا لك قهراً، فتخضع أعناقهم له منقادين مسلمين مستسلمين ظاهراً، وإن لم يدخل

---

(1) نزهة القلوب.
(2) الكشاف.
(3) تفسير القرآن لابن العربي.

الإيمان في قلوبهمن كما كان يوم الفتح، أي امتنع إيمانهم لأنّه أمر قلبّي سيظهر إسلامهم بالقهر، والإلجاء، والاضطرار.

● **قال تعالى:** ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا﴾ [الأحزاب: 32].

قال الطّبَريّ(1): يقول: فلا تُلِنّ بالقول للرّجال فيما يبتغيه أهل الفاحشة منكنّ.

قال الزّجّاج(2): أي لا تَقُلْنَ قولاً يجد به منافق سبيلاً إلى أن يطمع في موافقتكن له.

قال القُرطُبيّ(3): أي لا تُلنّ القول. أمرَهنّ الله أن يكون قولهن جَزْلاً، وكلامهنّ فَصلاً، ولا يكون على وجه يظهر في القلب علاقة بما يظهر عليه من اللّين، كما كانت الحال عليه في نساء العرب من مكالمة الرّجال بترخيم الصّوت ولينه، مثل كلام المُريبات والمُومسات، فنهاهن عن مثل هذا.

(1) جامع البيان.
(2) معاني القرآن.
(3) الجامع لأحكام القرآن.

خطّ

(خطّ - كتب - سجل)

- **الخطُّ:** ما يكون له طول ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [العنكبوت: 48].
- **الكَتْبُ:** ضم حرف إلى حرف بالخط ﴿وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ﴾ [البَقَرَة: 282].
- **التَّسْجِيلُ:** كتابة وثائق عديدة من كتاب واحد للحفظ ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ [الأنبياء: 104].

❋ ❋ ❋

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الخاء والطاء أصلٌ واحد؛ وهو أثَرٌ يمتدُّ امتداداً. فمن ذلك الخَطُّ الذي يَخُطُّه الكاتب. ومنه الخَطُّ الذي يخطُّه الزَّاجر. قال الله تعالى: ﴿أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾ [الأحقاف: 4]، قالوا: هو الخَطُّ. ويُروَى «إنّ نبيّاً من الأنبياء كان يَخُطّ فمن خَطَّ مِثلَ خَطِّه عَلِمَ مثلَ عِلْمه».

ومن الباب الخِطَّة: الأرض يختطُّها المرءُ لنفسه؛ لأنّه يكون هناك أثرٌ ممدود. ومنه خَطُّ اليمامة، وإليه تُنسَب الرِّماحُ الخَطِّيّة.

ومن الباب الخُطَّة، وهي الحال؛ ويقال هو بخُطَّةٍ سَوْء، وذلك أنه أمرٌ قد خُطَّ له وعليه.

---

(1) معجم مقاييس اللغة.

فأمّا الأرضُ الخَطِيطَةُ، وهي التي لم تُمْطَر بينَ أرضينِ ممطورَتَين، فليس من الباب، والطاء الثانية زائدة، لأنَّها من أخطأ، كأنَّ المطر أخْطَأها. والدليل على ذلك قولُ ابن عبّاس: «خَطَّأَ اللهُ نَوْءَها»، أي إذا مُطِر غيرُها أخْطَأَ هذه المطرُ فلا يُصيبُها. وأمّا قولهم: «في رأس فلانٍ خُطْيةٌ» فقال قوم: إنَّما هو خُطَّة. فإن كان كذا فكأنّه أمرٌ يُخَطّ ويؤَثَّر، على ما ذكرناه.

قال الخليل[1]: خ ط، ط خ مستعملان خط: الخَطُّ: أرضٌ تُنْسَبُ إليها الرِّماحُ، يُقال: رماحٌ خَطِّيّة، فإذا جَعلْتَ النسبة اسماً لازماً قلت: خِطِّيّة. والخُطَّة من الخَطّ كالنُّقطة من النَّقْط. والخَطُوطُ: من بقر الوحش الذي يَخُطُّ الأرض بأظلافه، وكل دابة تَخُطُّ الأرض بأظلافها فكذاك. والتَّخْطِيطُ كالتسطير، تقول: خَطَّطْتُ عليه ذنوبه، أي: سَطَّرتها.

وخطَّ وَجْهُهُ واختطَّ: صارت فيه خطوط. وخَطَطْتُ بالسَّيْف وسطه. والخُطَّة: شبه القصَّة، يقال: إن فلانا ليكلفني خُطَّةً من الخسف. والخَطيطةُ: الأرض التي لم تمطر بين أرضين ممطورتين، وتجمع: خَطائِط.

والخَطُّ: ضرب من البضع، تقول: خَطّ بها، أي: نكحها، ويقال: خطّ بها قساحاً.

والخَطُّ: الكتابة ونحوها مما يُخَطُّ. والخِطَّة: أرض يختطُّها الرجل إذا لم تكن لأحد قبله. وإنما كسرت الخاء، لأنها أخرجت على مصدر بني على فعلة.

قال الجوهري[2]: الخَطُّ: واحدُ الخُطوطِ. والخَطُّ خَطُّ الزاجرِ، وهو أن يَخُطَّ بإصبعه في الرمل ويَزْجُرَ. وخَطَّ بالقلم، أي: كتَب. وكساءٌ مُخَطَّطٌ: فيه خُطوطٌ. والخَطوطُ، بفتح الخاء: البقرُ الوحشيُّ الذي يَخُطُّ الأرض بأطراف أظلافه. والخِطَّةُ بالكسر: الأرضُ يَخْتَطُّها الرجلُ لنفسه، وهو أن يُعْلِم عليها

(1) العين. (2) الصحاح في اللغة.

علامةً بالخَطِّ ليُعْلَمَ أنَّه قد اختارها ليبنيَها داراً. واخْتَطَّ الغلامُ، أي: نبتَ عِذارُهُ. والمِخَطُّ بالكسر: عودٌ يُخَطُّ به. والمِخْطاطُ: عودٌ تُسَوَّى عليه الخُطوطُ. والخُطَّةُ بالضم: الأمرُ والقِصَّةُ.

يقال: جاء وفي رأسه خُطَّةٌ، أي: جاءَ وفي نفسه حاجةٌ قد عَزَم عليها. وقولهم: خُطَّةٌ نائيةٌ، أي: مقصدٌ بعيدٌ. وقولهم: خُذْ خُطَّةً، أي: خذ خُطَّةَ الانتصافِ، ومعناه انتصفْ.

والخُطَّةُ أيضاً: اسمٌ من الخَطِّ، كالنُقطة من النقطِ. وقولهم: ما خَطَّ غُبارَه، أي: ما شَقَّهُ. والخَطيطَةُ الأرضُ التي لم تُمْطَرْ بين أرضين ممطورتين؛ والجمع الخَطائطُ.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [العنكبوت: 48].

قال الماوردي[1]: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: معناه ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن﴾ قبل القرآن كتاباً من كتب الله المنزلة ولا تخطه أي: تكتبه بيمينك فتعلم ما أنزل الله فيه حتى يشكوا في إخبارك عنه، إنه من وحي الله سبحانه إليك.

الثاني: أنه كان أهل الكتاب يجدونه في كتبهم أن محمداً لا يخط بيمينه ولا يقرأ كتاباً، فنزل ذلك فيهم ليدلهم على صحة نبوته.

---

(1) النكت والعيون.

قال أبو السعود(1): ﴿وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ﴾ أي ما كنتَ قبل إنزالِنا إليك الكتابَ تقدرُ على أنْ تتلوَ شيئاً من كتابٍ ﴿وَلَا تَخُطُّهُۥ﴾ [العَنكبوت: 48] أي ولا تقدرُ على أنْ تخطَّه ﴿بِيَمِينِكَ﴾ حسبَما هُو المعتادُ أو ما كانت عادَتُك أنْ تتلوَه ولا أنْ تخطَّه.

قال العزّ بن عبد السلام(2): ﴿وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ﴾ قبل القرآن كتاباً من الكتب المنزلة ولا تكتبه بيمينك فتعلم ما فيه حتى يشكوا في إخبارك عنه أنه من وحي الله إليك، أو كان نعته في الكتب المنزلة أن لا يكتب ولا يقرأ فكان ذلك دليلاً على صحة نبوته.

---

(1) إرشاد العقل السليم.

(2) التفسير العظيم.

خطأ

(خطأ - لحن)

■ **الخَطَأ:** هو أن يقصد الشيء فيصيب غيره ﴿إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ﴾ [يوسف: 29].

والخَطَاءُ: تعمد الخطأ فلا يكون إلا قبيحاً وقد يكون في القول أو الفعل.

■ **اللَّحْنُ:** حرف الكلام عن جهته ولا يكون إلا في الكلام ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ﴾ [محَمَّد: 30].

❊ ❊ ❊

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الخاء والطّاء والحرف المعتلّ والمهموز، يدلّ على تعدّي الشّيء، والذّهاب عنه. يقال: خَطوتُ أخطُو خُطْوَةً.

والخُطْوَة: ما بين الرِّجْلين. والخَطْوَة: المرّة الواحدة. و«الخطَاء» من هذا، لأنّه مجاوزة حدّ الصّواب.

يقال: أَخْطَأَ: إذا تعدّى الصّواب، وخَطِئَ يَخطَأُ: إذا أذنب، وهو قياس الباب، لأنّه يترك الوجه الخير.

قال أبو هلال[2]: الفرق بين الخطإ والخطاء: أنّ الخطأ هو أن يقصد الشّيء فيصيب غيره، ولا يطلق إلّا في القبيح. فإذا قُيّد جاز أن يكون حسناً، مثل أن يقصد القبيح فيصيب الحسَن، فيقال: أخطَأ ما أراد وإن لم يأت قبيحاً.

---

(1) معجم مقاييس اللغة. (2) الفروق.

والخطاء: تعمّد الخطإ فلا يكون إلّا قبيحاً.

والمُصيب مثل المخطئ إذا أُطلق لم يكن إلّا ممدوحاً، وإذا قُيّد جاز أن يكون مذموماً، كقولك: مُصيب في رميه وإن كان رميه قبيحاً، فالصّواب لا يكون إلّا حسناً، والإصابة تكون حسنة وقبيحة.

والخاطئ في الدّين لا يكون إلّا عاصياً، لأنّه قد زلّ عنه لقصده غيره. والمُخطئ يخالفه، لأنّه قد زلّ عمّا قصد منه. وكذلك يكون المخطئ من طريق الاجتهاد مطيعاً، لأنّه قصد الحقّ واجتهد في إصابته.

الفرق بين الخطإ والغلط: أنّ الغلط هو وضع الشّيء في غير موضعه، ويجوز أن يكون صواباً في نفسه، والخطأ لا يكون صواباً على وجه، مثال ذلك: أنّ سائلاً لو سأل عن دليل حديث الأعراض، فأُجيب بأنّها لا تخلو من المتعاقبات ولم يُوجد قبلها، كان ذلك خطأً، لأنّ الأعراض لا يصحّ ذلك فيها.

ولو أُجيب بأنّها على ضربين: منها ما يبقى ومنها ما لا يبقى، كان ذلك غلطًا، ولم يكن خطأً، لأنّ الأعراض هذه صفتها، إلاّ أنّك قد وضعت هذا الوصف لها في غير موضعه.

ولو كان خطأً لكان الأعراض لم تكن هذه حالها، لأنّ الخطأ ما كان الصّواب خلافه، وليس الغلط ما يكون الصّواب خلافه، بل هو وضع الشّيء في غير موضعه.

وقال بعضهم: الغلط أن يسهى عن ترتيب الشيء وإحكامه، والخطأ أن يُسهَى عن ترتيب الشّيء، والخطأ أن يُسهَى عن فعله، أو أن يوقعه من غير قصد له، ولكن لغيره.

الفرق بين اللّحن والخطإ: أن اللّحن صرفك الكلام عن جهته، ثمّ صار اسماً لازماً لمخالفة الإعراب.

والخطأ: إصابة خلاف ما يُقصَد، وقد يكون في القول والفعل.

واللّحن لا يكون إلّا في القول، تقول: لَحنَ في كلامه، ولا يقال: لَحنَ في فعله، كما يقال: أخطأ في فعله، إلّا على استعارة بعيدة.

ولحن القول ما دلّ علي القول، وفي القرآن قوله تعالى: ﴿وَلَتَعۡرِفَنَّهُمۡ فِي لَحۡنِ ٱلۡقَوۡلِۚ﴾ [محمد: 30].

قال الخَليل[1]: خَطِئ الرّجل خِطأً فهو خَاطِئٌ.

والخَطِيئَةُ: أرض يُخطِئها المطر ويُصيب غيرها. وأَخْطَأ: إذا لم يُصب الصّواب.

وخَطَايَا: أصلها: خَطَائِئُ، ففَرّوا بها إلى (يتامى)، وكرهوا أن يُترك على إحدى الهمزتين، فيكون مثل قولك: (جائِىء)، لأنّ تلك الهمزة زائدة وهي أصليّة، ووجدوا له في الأسماء الصّحيحة نظيراً، ففَرّوا منها إلى ذلك، وذهبوا به إلى (فَعَالى) مثل طاهر وطاهرة وطَهارى، والواحدة: خطيئة.

والخِطْأُ: مالم يُتعَمّد ولكن يُخطّأُ خَطأً، وخَطّأتُه تخطئةً.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنۡ غِسۡلِينٖ ٣٦ لَّا يَأۡكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلۡخَٰطِـُٔونَ ٣٧﴾ [الحاقة: 36-37].

قال البَيْضاويّ[2]: قوله تعالى: ﴿ٱلۡخَٰطِـُٔونَ﴾: أصحاب الخطايا، من خَطِئ الرّجل، إذا تعَمّد الذّنب، لا من الخطَإ المضادّ للصّواب. وقرئ (الخَاطِيُون) بقلب الهمزة ياءً، و(الخَاطُون) بطرحها.

(1) العين. (2) أنوار التنزيل.

قال المَراغيّ[1]: أي الآثمون، يقال: خَطِئ الرّجل، إذا تعمّد الإثم والخطأ.

لا يأكله إلّا من مَرَن على اجتراح السّيّئات، ودسَّى نفسه، وأحاطت به الخطايا.

قال ابن عاشور[2]: قوله تعالى ﴿ٱلْخَٰطِـُٔونَ﴾: أصحاب الخطايا، يقال: خَطِئ، إذا أذنب. والمعنى: لا يأكله إلّا هو وأمثاله من الخاطئين.

وتعريف ﴿ٱلْخَٰطِـُٔونَ﴾ للدّلالة على الكمال في الوصف، أي المرتكبون أشدّ الخِطْء، وهو الإشراك.

● قال تعالى: ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ﴾ [يوسف: 91].

قال الطّبَريّ[3]: يقول: وما كنّا في فعلنا الّذي فعلنا بك، في تفريقنا بينك وبين أبيك وأخيك، وغير ذلك من صنيعنا الّذي صنعنا بك، إلّا خاطئين، يعنون: مُخطئين.

يقال منه: خطئَ فلان يَخطَأُ خطْأً وخِطْأً، وأخطأ يُخطِئ إخطاءً.

قال الماوَرْديّ[4]: أي فيما صنعوا بيوسف، وفيه قولان: أحدهما: آثمين. الثّاني: مُخطئين. والفرق بين الخاطئ والمُخطئ: أنّ الخاطئ آثم. فإن قيل: فقد كانوا عند فعلهم ذلك به صغاراً ترفع عنهم الخطايا؟ قيل: لمّا كبروا واستداموا إخفاء ما صنعوا، صاروا حينئذ خاطئين.

قال الزّمَخْشَريّ[5]: وإنّ شأننا وحالنا أنّا كنّا خاطئين متعمّدين للإثم، لم نتّق ولم نصبر، لا جرم أن الله أعزّك بالملك وأذلّنا بالتّمسكن بين يديك.

(1) تفسير المراغي.
(2) التحرير والتنوير.
(3) جامع البيان.
(4) النكت والعيون.
(5) الكشاف.

● قال تعالى: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ﴾ [القصص: 8].

قال الطّبَريّ[1]: يقول تعالى ذكره: إنّ فرعون وهامان وجنودهما كانوا بربّهم آثمين، فلذلك كان لهم موسى عدوًّا وحزناً.

قال الفَخْر الرّازيّ[2]: قوله تعالى: ﴿كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ﴾.

وأمّا جمهور المفسّرين فقالوا: معناه كانوا خاطئين فيما كانوا عليه من الكفر والظّلم، فعاقبهم الله.

وبيّن تعالى أنّها التقطته ليكون قرّة عين لها وله جميعاً.

قال القُرطُبي[3]: أي عاصين مشركين آثمين.

● قال تعالى: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ﴾ [يوسف: 29].

قال الطّبَريّ[4]: يقول: إنّكِ كنتِ من المذنبين في مراودة يوسف عن نفسه.

وقيل: ﴿إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ﴾ ولم يقل: «من الخاطئات»، لأنّه لم يقصد بذلك قصد الخبر عن النّساء، وإنّما قصد الخبر عمّن يفعل ذلك فيخطأ.

قال المَراغيّ[5]: إنّكِ كنتِ من زُمرة المجرمين الّذين يتعمّدون ارتكاب الخطايا، ويجترحون السّيّئات، وهم مصرّون عليها.

قال ابن عاشور[6]: الخاطئ: فاعل الخطيئة، وهي الجريمة. وجعلها من زُمرة الّذين خَطِئوا تخفيفاً في مؤاخذتها، وصيغة جمع المذكّر تغليب.

● قال تعالى: ﴿وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ﴾ [الحاقة: 9].

---

(1) جامع البيان.
(2) التفسير الكبير.
(3) الجامع لأحكام القرآن.
(4) جامع البيان.
(5) تفسير المراغي.
(6) التحرير والتنوير.

قال الطّبَريّ[1]: يعني بالخطيئة، وكانت خطيئتها: إيتانها الذُّكران في أدبارهم.

قال الزّجّاج[2]: بالخطأ العظيم. [الكذب في أمر الله بأنّهم كفروا وكذّبوا بالرّسل].

قال أبو السُّعود[3]: بالخطأ أو بالفعلة أو الأفعال ذات الخطأ الّتي من جملتها: تكذيب البعث والقيامة.

● **قال تعالى**: ﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ۝١٥ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۝١٦﴾ [العلق: 15-16].

قال الطّبَريّ[4]: وصَفَ (النّاصية) بالكذب والخطيئة، والمعنى لصاحبها.

قال الزّجّاج[5]: تأويله: بناصيةٍ صاحبها كاذب خاطئ كما يقال: (فلان نهاره صائم وليله قائم)، المعنى: هو صائم في نهاره وقائم في ليله.

قال الماوَرْديّ[6]: يعني ناصية أبي جهل، كاذبة في قولها، خاطئة في فعلها.

● **قال تعالى**: ﴿إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: 31].

قال الزّجّاج[7]: تُقرأ (خَطَأً كَبيراً). فمن قال: (خِطْأً) بالكسر، فمعناه إثماً كثيراً، يقال: قد خطئ الرّجل يخطأ خِطْأً: أثم يأثم إثماً. و(خَطأً كبيراً) له تأويلان:

أحدهما: معناه: أنّ قتلهم كان غير صواب، يقال: قد أخطَأ يُخطِئ إخطاءً، وخَطَأً. والخَطَأ: الاسم من هذا لا المصدر، ويكون الخَطَأ من خَطَأ يَخطَأ خَطَأً، إذا لم يُصب، مثل لَجِجَ يَلجَج.

(1) جامع البيان.
(2) معاني القرآن.
(3) إرشاد العقل السليم.
(4) جامع البيان.
(5) معاني القرآن.
(6) النكت والعيون.
(7) معاني القرآن.

قال السِّجستانيّ[1]: قوله تعالى ﴿خِطْـًٔا كَبِيرًا﴾: إثماً عظيماً، يقال: خَطِئ وأخطَأ واحد، إذا أثم، وأخطأ إذا فاته الصّواب

● **قال تعالى**: ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [النساء: 112].

قال الطّبَريّ[2]: يعني بذلك جلّ ثناؤه: ومن يعمل ﴿خَطِيٓـَٔةً﴾، وهي الذّنب ﴿أَوْ إِثْمًا﴾، وهو ما لا يحلّ من المعصية. وإنّما فرّق بين الخطيئة والإثم، لأنّ الخطيئة قد تكون من قبل العَمْد وغير العَمْد، والإثم لا يكون إلّا من العَمْد، ففَصّل جلّ ثناؤه لذلك بينهما، فقال: ومن يأت ﴿خَطِيٓـَٔةً﴾ على غير عمد منه لها، ﴿أَوْ إِثْمًا﴾ على عمد منه.

قال البغَويّ[3]: ﴿خَطِيٓـَٔةً﴾ أي سرقة الدّرع، ﴿أَوْ إِثْمًا﴾: يمينه الكاذبة.

قال الزّمَخْشَريّ[4]: ﴿خَطِيٓـَٔةً﴾: صغيرة، ﴿أَوْ إِثْمًا﴾ كبيرة.

● **قال تعالى**: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ [الشعراء: 82].

قال الزّجّاج[5]: ومعنى قوله تعالى ﴿خَطِيٓـَٔتِى﴾ أنّ الأنبياء بشر، وقد يجوز أن يقع عليهم الخطيئة، إلا أنّهم صلوات الله عليهم لا تكون منهم الكبيرة، لأنّهم معصومون مختارون على العالمين، كلّ نبيّ هو أفضل من عالِم أهل دَهْره كلّهم.

قال المَراغيّ[6]: أي وهو الّذي لا يقدر على غفران الذّنوب في الآخرة إلّا هو، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: 135].

وسمّى إبراهيم ما صدر منه من عمل هو خلاف الأولى خطيئة، استعظاماً له.

---

(1) نزهة القلوب.
(2) جامع البيان.
(3) معالم التنزيل.
(4) الكشاف.
(5) معاني القرآن.
(6) تفسير المراغي.

وخلاصة مقاله: أنّ جميع النّعم الّتي يتمتّع بها المرء من النّشأة الأُولى إلى آخر الدّهر هي من الله وحده، ولا قدرة لأصنامكم على شيء منها.

● **قال تعالى:** ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا فَلَمۡ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارٗا﴾ [نوح: 25].

قال الطّبَريّ[1]: من خطيئاتهم، ﴿أُغۡرِقُواْ﴾ والعرب تجعل (ما) صلة فيما نوى به مذهب الجزاء، كما يقال: أينما تَكُنْ أكُنْ، وحيثما تَجْلِس أجْلِس، ومعنى الكلام: من خطيئاتهم أُغرقوا. واختلفت القرّاء في قراءة قوله تعالى: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمۡ﴾ فقرأته عامّة قرّاء الأمصار غير أبي عمرو (مِمَّا خَطياتِهِمْ) بالهمزة والتّاء، وقرأ ذلك أبو عمرو: (مِمّا خَطاياهُمْ) بالألف بغير همز. والقول عندنا: أنّهما قراءتان معروفتان، فبأيّتهما قرأ القارئ فهو مصيب.

قال الزّمَخْشَريّ[2]: تقديم ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمۡ﴾ لبيان إن لم يكن إغراقهم بالطّوفان فإدخالهم النّار إلّا من أجل خطيئاتهم، وأُكّد هذا المعنى بزيادة (ما). وفي قراءة ابن مسعود (من خطيئاتهم ما أُغرقوا) بتأخير الصّلة، وكفى بها مُزجِرة لمرتكب الخطايا، فإنّ كُفر قوم نوح كان واحدة من خطيئاتهم وإن كانت كُبراهنّ، وقد نُعِيت عليهم سائر خطيئاتهم كما نُعِي عليهم كفرهم، ولم يُفرّق بينه وبينهنّ في استيجاب العذاب، لئلاّ يتّكل المسلم الخاطئ على إسلامه، ويعلم أنّ معه ما يستوجب به العذاب، وإن خلا من الخطيئة الكبرى.

● **قال تعالى:** ﴿... وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطِيٓـَٔـٰتِكُمۡۚ سَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [الأعراف: 161].

قال البغَويّ[3]: قرأ ابن عامر ﴿خَطِيٓـَٔـٰتِكُمۡۚ﴾ على التّوحيد ورفع التّاء، وقرأ أبو

(1) جامع البيان.
(2) الكشاف.
(3) معالم التنزيل.

عمرو (خطاياكم)، وقرأ أهل المدينة ويعقوب (خَطياتُكُمْ) بالجمع ورفع التّاء، وقرأ آخرون بالجمع وكسر التّاء.

قال الزّمَخْشَريّ[1]: قُرئ (يغفر لكم خطيئاتكم) و(تُغْفر لكم خطاياكم) و(خطيئاتكم) و(خطيئتكم) على البناء للمفعول.

قال الألوسيّ[2]: قوله تعالى ﴿نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٔـٰتِكُمْۚ﴾ جزم في جواب الأمر. وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب (تُغفَر) بالتّاء والبناء للمفعول، و(خطياتكم) بالرّفع والجمع، غير ابن عامر، فإنّه وحّد. وقرأ أبو عمرو (خطاياكم) كما في سورة البقرة.

وبيّن (القطب) فائدة الاختلاف بين ما هناك وبين ما هنا على القراءة المشهورة، بأنّها الإشارة إلى أنّ هذه الذّنوب سواء كانت قليلة أو كثيرة، فهي مغفورة بعد الإيتان بالمأمور به.

● **قال تعالى**: ﴿وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَـٰيَـٰكُمْۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البَقَرَة: 58].

قال الطّبَريّ[3]: الخطايا: جمع خطيّة، بغير همز، كما المطايا: جمع مطيّة، والحشايا جمع حشيّة. وإنّما تُرك جمع «الخطايا» بالهمز، لأنّ ترك الهمز في (خطيئة) أكثر من الهمز، فجُمع على خطايا، على أنّ واحدتها غير مهموزة. ولو كانت (الخطايا) مجموعة على (خطيئة) بالهمز، لقيل: خَطائي، على مثل قبيلة وقبائل، وصحيفة وصحائف. وقد تُجمع (خطيئة) بالتّاء، فيُهمز فيقال: خطيئات.

والخطيئة (فعيلة) من خَطِئ الرّجل يَخطَأ خِطْأً، وذلك إذا عدل عن سبيل الحقّ.

---

(1) الكشاف.
(2) روح المعاني.
(3) جامع البيان.

قال الزّجّاج[1]: قوله تعالى: ﴿نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ﴾ جزم جواب الأمر، والمعنى: أن تقولوا ما أُمِرتم به نغفر لكم خطاياكم. وقرأ بعضهم (نفغر لكم خطياتكم). والقراءة الأُولى أكثر، فمن قال: (خطياتكم) فهو جمع خطيئة بالألف والتّاء، نحو سفينة وسفينات، وصحيفة وصحيفات، والقراءة كما وصفنا ﴿نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطَٰيَٰكُمۡۚ﴾.

● **قال تعالى**: ﴿إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغۡفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكۡرَهۡتَنَا عَلَيۡهِ مِنَ ٱلسِّحۡرِۗ وَٱللَّهُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ﴾ [طه: 73].

قال الطّبَريّ[2]: ليعفو لنا عن ذنوبنا فيسترها علينا.

قال البَيْضاويّ[3]: قوله تعالى ﴿خَطَٰيَٰنَا﴾ من الكفر والمعاصي.

قال أبو السُّعود[4]: قوله تعالى ﴿خَطَٰيَٰنَا﴾ الّتي اقترفنا فيها من الكفر والمعاصي، ولا يؤاخذنا بها في الدّار الآخرة، لا ليمتّعنا بتلك الحياة الفانية، حتّى نتأثّر بما أوعدتنا به من القطع والصّلب.

● **قال تعالى**: ﴿وَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٞ فِيمَآ أَخۡطَأۡتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتۡ قُلُوبُكُمۡۚ . . .﴾ [الأحزاب: 5]

قال الطّبَريّ[5]: يقول: ولا حرج عليكم ولا وِزْرَ في خطإ يكون منكم، في نسبة بعض من تنسبونه إلى أبيه، وأنتم ترونه ابن من ينسبونه إليه، وهو ابن لغيره ﴿وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتۡ قُلُوبُكُمۡۚ﴾ يقول: ولكنّ الإثم والحرج عيلكم في نسبتكموه إلى غير أبيه، وأنتم تعلمونه ابن غير من تنسبونه إليه.

قال الزّجّاج[6]: في هذا وجهان:

---

(1) معاني القرآن.
(2) جامع البيان.
(3) أنوار التنزيل.
(4) إرشاد العقل السليم.
(5) جامع البيان.
(6) معاني القرآن.

أحدهما: وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ممّا قد فعلتموه قبل أن تُنهَوا عن هذا، ﴿وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ أي ولكنّ الإثم فيما تعمّدت قلوبكم. و(ما) في موضع جرّ عطف على (ما) الأُولى، المعنى: وليس عليكم جناح في الّذي أخطأتم به، ولكن في الّذي تعمّدت قلوبكم. ويجوز أن يكون: ولا جناح عليكم في أن تقولوا له: يا بُنَيّ على غير أن تتعمّد أن تُجريه مجرى الولد في الإرث.

قال الزّمَخْشَريّ(1): المعنى: لا إثم عليكم فيما فعلتموه من ذلك، مخطئين جاهلين قبل ورود النّهي، ولكنّ الإثم فيما تعمّدتموه بعد النّهي، أولا إثم عليكم إذا قلتم لولد غيركم يا بنيّ، على سبيل الخطأ وسبق اللّسان، ولكن إذا قلتموه متعمّدين.

ويجوز أن يراد العفو عن الخطأ دون العَمْد على طريق العموم، كقوله عليه الصّلاة والسّلام: «**وما أخشى عليكم الخطأ ولكن أخشى عليكم العمد**». وقوله عليه الصّلاة والسّلام: «**وُضع عن أُمّتي الخطأ والنّسيان وما أُكرهوا عليه**» ثمّ تناول لعمومه خطأ التَبنّي وعمده.

● **قال تعالى**: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: 286].

قال الطّبَريّ(2): قوله تعالى: ﴿إِن نَّسِينَآ﴾ شيئاً فرضت علينا عمله فلم نعمله، وقوله ﴿أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ في فعل شئ نهيتنا عن فعله ففعلناه، على غير قصد منّا إلى معصيتك، ولكن على جهالة منّا به وخطأ.

قال الزّجّاج(3): قيل فيه قولان: قال بعضهم: إنّه على ما جاء عن النّبيّ ﷺ: «**عُفي لهذه الأُمّة عن نسيانها وما حدّثت به أنفسها**»، وقيل: ﴿إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ أي إن تركنا، ﴿أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ أي كسبنا خطيئة، والله أعلم.

(1) الكشاف.
(2) جامع البيان.
(3) معاني القرآن.

إلّا أنّ هذا الدّعاء أخبر الله به عن النّبيّ ﷺ والمؤمنين وجعَله في كتابه، ليكون دعاء من يأتي بعد النّبيّ ﷺ والصّحابة رحمهم الله.

وروي عن النّبيّ ﷺ أنّ الله عزّ وجلّ قال في كلّ فصل من هذا الدّعاء: فعَلت فُعَلتُ، أي: استَجَبتُ. فهو من الدّعاء الّذي ينبغي أن يُحفظ وأن يُدعَى به كثيراً.

قال الماوَرْديّ[1]: فيه تأويلان:

أحدهما: ما تأوّلوه من المعاصي بالشُّبهات

والثّاني: ماعمدوه من المعاصي الّتي هي خطأ تخالف الصّواب.

(1) النكت والعيون.

خطب

(خطب - بلاء - دائرة - طامة - قارعة - مصيبة - نازلة)

- **الخَطْبُ:** قلق شديد بانفعال يظهر على الوجه يخفى على المشاهد سببه. فيسأل صاحبه (ما خطبك) ﴿وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطۡبُكُمَاۖ قَالَتَا﴾ [القصص: 23].
- **البَلاء:** ما يتعرض له المؤمن من عذاب بسبب إيمانه ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبۡلُوَاْ أَخۡبَارَكُمۡ﴾ [محمد: 31].
- **الدَّائِرَةُ:** انتقال بلاء المظلوم إلى من ظلمه ﴿وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَۚ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾ [التوبة: 98].
- **الطَّامَّةُ:** (تسونامي) هلاك مفاجيء غير متوقع، يغطي كل شيء فيهلك الجميع ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلۡكُبۡرَىٰ﴾ [النَّازعات: 34].
- **القَارِعَةُ:** موت جماعي بسلاح الدمارات الشاملة له دوي شديد ﴿تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوۡ تَحُلُّ قَرِيبٗا مِّن دَارِهِمۡ﴾ [الرّعد: 31].
- **المُصِيبَةُ:** فناء يصيب عزيزاً أو محبوباً ﴿فَأَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةُ ٱلۡمَوۡتِۚ تَحۡبِسُونَهُمَا﴾ [المَائدة: 106].
- **النَّازِلَةُ:** فناء يصيب تجمعاً سكانياً بليل ﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمۡ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلۡمُنذَرِينَ﴾ [الصَّافات: 177].

❊ ❊ ❊

خطب

(خطب - حديث - قول - كلام - لفظ)

- **الخِطَابُ:** كلام موجه لآخرين ﴿فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي ٱلْخِطَابِ﴾ [صَ: 23]
- **الحَدِيثُ:** ما يبلغ الإنسان من جهة السمع محاله موضوع ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا﴾ [التّحْريم: 3].
- **القَوْلُ:** اللفظ المفهوم الدال على معنى ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الحاقة: 40-41].
- **الكَلَامُ:** اللفظ المركب وإن لم تفهمه أنت ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النِّساء: 164].
- **اللَّفْظُ:** رفع الصوت بالقول والكلام ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [قٓ: 18].

❊ ❊ ❊

شرح المعاني:

هذه منظومة الفواجع والمصائب التي ربما لا يخلو منها إنسان في حياته فهي من قوانين هذا الكون ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: 35] وبين كلمات هذه المنظومة فروق تدل على الإعجاز اللغوي الذي تفرّد به القرآن الكريم بحيث لا تغني كلمة عن أختها.

مصيبة: هي التي تصيب عزيزاً عندك فتنهيه، والناس تعرف ذلك. والمصيبة

هي الأمر الظاهر الذي يقع على محبوب عندك فيعرفه الناس كمصيبة الموت وتترك في نفسك حزناً عميقاً والحزن عند المصيبة سُنّة. والمصيبة الواحدة تصيب شيئاً واحداً في حياتك له أهمية كبيرة كمرض عضال أو إفلاس بعد غنى أو حكم بالإعدام. والله تعالى سمّى الموت في القرآن مصيبة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ حِينَ ٱلۡوَصِيَّةِ ٱثۡنَانِ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ أَوۡ ءَاخَرَانِ مِنۡ غَيۡرِكُمۡ إِنۡ أَنتُمۡ ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَأَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةُ ٱلۡمَوۡتِۚ﴾ [المائدة: 106] لأنه يصيب كل بيوت الناس.

والمصيبة ظاهرة للناس وأصلها: مصوبة أي: تصيب كالسهم أو إطلاق النار يثيب الهدف ولو كان شعرة كالسهم المنطلق. وعندما تأتي أحدنا مصيبة ما فهي تقصده من بين ملايين الناس فتصيبه إصابة مباشرة. والمصائب متعددة منها: المصيبة في المال أو الولد، والمصائب قدر ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ [الحديد: 22] ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾ [الشورى: 30]. وأصل المصيبة الرمي بالسهم، ثم استعملت في كل شيء حادث تكرهه النفس ويثير الحزن الشديد إذا أصابه بدقة. ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام: «**إذا أحب الله عبداً أصاب منه**»، وجاء أحدهم إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام فقال: يا رسول الله إني لا أمرض فقال له عليه الصلاة والسلام: «**أو أملك أن الله لا يحبك!**».

الحزن قانون، والرسول ﷺ عندما جاءه خبر مقتل جعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة جلس وفي وجهه الحزن. وعندما مات ولده إبراهيم قال عليه الصلاة والسلام: «**إن القلب ليحزن وإن العين لتدمع وإنا على فراقك يا إبراهيم لمحزونون**». ويعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ عندما فقد ولديه ابيضت عيناه من الحزن ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ﴾ [يوسف: 84] ﴿ٱلَّذِينَ

إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾.

الخطب: هو ما تكتمه في نفسك في سرّك ويؤثر عليك همّاً وحزناً واضطراباً حتى يبدو هذا عند الناس. والمصيبة ظاهرة أما الخطب فخفيّ سرّي مثل تأنيب الضمير.

والخطب كلمة جميلة من الكلمات العربية الأنيقة. وقد استعملها القرآن الكريم ووردت في السنة والشعر والأدب، يقول الشاعر:

فبات يريني الخطب كيف اعتداؤه وبِتُ أريه الصبر كيف يكون

والخطب جمعها خطوب وقال الشاعر:

وأحسب أنّما أبلاك سرٌ أو اعتورتك يا هذا الخطوب

والخطوب تؤثر على الانشراح، وهي مصائب خفية غامضة لا يعرفها الناس ولا يريد صاحبها أن يعرفها الناس، وإنما هي ظاهرة على وجهه حزناً واضطراباً. وقد عبّر القرآن الكريم عن هذه الكلمة بدقة متناهية:

في قصة السامري: السامري كان رجلاً صالحاً طيباً أحب موسى عليه السلام ولما ذهب موسى للقاء ربه عز وجلّ وتأخر، ألح بنو إسرائيل بأن يكون لهم إلٰه يعبدوه فهم أناس ماديّون، فسوّلت له نفسه فصنع لهم عجلاً من الذهب الذي سرقوه من أهل مصر. وكان قد رأى فرس جبريل عليه السلام كلما وقع حافره على شيء ينبت تحته عشب آخر، فأخذ من هذه التربة وجعلها في العجل فصار يخور، فعبد بنو إسرائيل هذا العجل، فلما عاد موسى عليه السلام ورأى ما فعلوه ورأى السامري وكان خائفاً وفي وجهه همّ وحزن سأله موسى: ﴿قَالَ فَمَا خَطۡبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ﴾ [طه: 95] لم يقل ما بلاؤك أو ما مصيبتك؟ وهذه مصيبة في دينه. وكل مصيبة يؤجر عليها الإنسان إلا المصيبة في الدين لأنها تورد النار والعياذ بالله، وفي الدعاء عن الرسول عليه الصلاة والسلام: «**اللهم لا تجعل مصيبتنا في ديننا**».

نازلة: مصيبة تقع بليل فتتلف شيئاً واسعاً كمدينة أو قرية أو حقلاً والناس نيام. ذكر تعالى في القرآن الكريم قصة قوم لوط الذين نزل عليهم العذاب وهم نائمون فجعل عاليها سافلها ﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ [**الصافات: 177**].

قارعة: مصيبة ليلية أو نهارية بصمت ولكن يسبقها دويّ هائل. مثال مدينة هيروشيما كان الناس جالسون في منازلهم فنرلت عليهم القنبلة النووية فأفنتهم. قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [**الرّعد: 31**].

الدائرة: ﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [**التّوبَة: 98**] أن تظلم أناساً بطريقة معينة بإذلالهم وسجنهم وإعدامهم، ثم تدور الدائرة فتذوق من نفس العذاب. ويقال في المثل: (وعلى الباغي تدور الدوائر). بعض الناس يصطفون على جانب العدو بحيث ينصبهم العدو على قومهم فيفسدوا قومهم ويذلوهم ثم تدور الدائرة فيسلّط العدو نفسه على هؤلاء فيذيقونهم من نفس العذاب. وهذه من قوانين الكون ما بغى أحد على أحد إلا بُغي عليه بنفس الأسلوب في النهاية.

طامة: كارثة تسونامي مثلاً، حدثت وبدون مقدمات، فجأة رأى الناس أنفسهم وهم جالسون في بيوتهم أو معابدهم أو الفنادق في الأدوار العالية، وجدوا أنفسهم والموجة تغمرهم وتلقي بهم في المحيط فغرقوا ثم غطّى الطين جميع الموجودات. والطامّة مأخوذة من طمّ البحر وطمّ السيل الذي يغمر كل شيء بالوحل والطين ولا يعود هناك شيء له حركة. واستعمل القرآن هذه الكلمة ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ [**النَّازعَات: 34**] أي: الطامة التي تغطي كل شيء.

البلاء: هذا كله سواء كان خطباً أو مصيبة أو نازلة أو قارعة أو طامة إذا كان يتعلق بامتحان الإنسان بإيمانه وعدم إيمانه فهو البلاء ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [إبراهيم:

6]. ذكر إبراهيم عليه السلام الذي أمره تعالى بذبح ابنه إسماعيل عليه السلام جاء قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُاْ ٱلْمُبِينُ﴾ [الصَّافات: 106] هذا بلاء عظيم يتعلق بإيمانك وعدم إيمانك ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: 31].

إذا حمدت الله تعالى على المصائب فهي من أعظم العبادات يوم القيامة، فما من عبادة أعظم وأجلّ من أن تُبتلى ثم تُبعث يوم القيامة وليس عليك ذنب أو سيئة وتدخل الجنة بغير حساب. ما عدا الأمانة، فإذا كنت قد خنت الأمانة فهذا الذي تُسأل عنه، أما كل تقصيرك وذنوبك فيكفّرها البلاء حتى الشوكة يشاكها العبد تكفر ذنوبه.

الذنب قانون والاتساخ قانون تغتسل منه، والاستحمام من الذنب له طرق عديدة مثل: الاستغفار والصوم والصلاة. وأعظم أنواع المبيدات والمطهرات للذنوب هو البلاء بكل أنواعه سواء كان مصيبة أو نازلة أو قارعة أو طامة أو خطب، أما الدائرة فهي جزاء وفاق وليست بلاء لأنه كل من يمكر يمكر الله تعالى به.

يقول عليه الصلاة والسلام: «**عجبت للمؤمن إذا أصابه خير حمد الله وشكره وإذا أصابته مصيبة احتسب وصبر إن المؤمن يؤجر على كل شيء حتى اللقمة يرفعها إلى فِيّ امرأته**» ولو سقاها شربة ماء فهذه تكفر الذنوب وهذه سُنّة ميتة. كان أبو الدرداء وأم الدرداء مثلاً في حب أحدهما للآخر، وفي ليلة نامت أم الدرداء وعندما عاد أبو الدرداء من المسجد أيقظ امرأته وأعطاها كوباً من الماء لتشرب فقالت له: لست عطشى فألح عليها فسألته: ما وراءك فقال: قال عليه الصلاة والسلام: من شرب ماء ثم سقى زوجته دخل الجنة. هذه فيها حركة إنسانية هائلة.

قال الرسول عليه الصلاة والسلام: «**إذا أصاب أحدكم مصيبة فليذكر مصابه فيّ فإنها من أعظم المصائب**». ما أصيب المؤمنون بمصيبة أعظم من مصابهم فيّ لأنه عليه الصلاة والسلام مات، ولنتخيل لو أنه عليه الصلاة والسلام حيّ فينا

الآن لما كان أصابنا ما أصابنا وما كنا لنعاني هذه المعاناة التي نعانيها الآن. فمنذ وفاته عليه الصلاة والسلام حلّ العذاب بالمسلمين بدءاً من حروب الردة في عهد أبي بكر بقي الناس أشهراً لا يصلّون، ثم في عهد عمر وكيف قتل، ثم عثمان وما حدث له، ثم قتل علي بن أبي طالب وما حلّ بأهل بيته رضي الله تعالى عنهم أجمعين، ثم ما حدث لبني العباس ثم ما توالى بعد ذلك من المصائب. ونحن الآن في مصيبة المصائب ولو أن الرسول عليه الصلاة والسلام حيّ فينا لما عمّت المصائب ولعمّ الإسلام.

ومن نعمة الله تعالى على العبد أنه يصيبنا بهذه المصائب والابتلاءات. عندما نزل قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء: 123] جاء رجل إلى الرسول عليه الصلاة والسلام فقال: هلكنا يا رسول الله فأجابه عليه الصلاة والسلام: «**لا ألست تمرض ألست تنصب ألا تصاب في مالك هذا كله يكفر الذنوب**». وفي الحديث: «**ليأتينّ على أهل العافية يوم يتمنون لو أن جلودهم قرضت بالمقاريض لما يرون من جزيل ثواب المبتلين**» «**يتمنى أهل البلاء يوم القيامة لو ضاعف الله عليهم العذاب لما يرونه من جزيل ثواب المبتلين**» والعبد المؤمن يفرح بالبلاء كما يفرح بالنعمة، والبلاء العام الذي نزل على المسلمين هذه الأيام ناهيك عن القتل والتشريد هذه كلها من سنن الكون.

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الخاء والطاء والباء أصلان: أحدهما الكلامُ بين اثنين، يقال: خَاطَبَهُ يُخَاطِبُه خِطَاباً، والخُطْبَةُ من ذلك. وفي النِّكاح الطّلَب أن يزوّج،

---

(1) معجم مقاييس اللغة.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ﴾ [البقرة: 235]. الكلام المَخْطُوب به.

ويقال: اخْتَطَبَ القومُ فلاناً: إذا دعَوْه إلى تزوج صاحبتهم. والخَطْبُ: الأمرُ يقع؛ وإنما سُمِّي بذلك لِمَا يقع فيه من التَّخاطب والمراجعة.

وأمّا الأصل الآخرَ فاختلافُ لونَين. قال الفرَّاء: الخَطْبَاءُ: الأتان التي لها خَطٌّ أسودُ على مَتْنِها. والحمار الذكر أخْطَبُ. والأَخْطَبُ طائر؛ ولعله يختلِف عليه لونان. قال: والخُطْبَانُ: الحنْظَلُ إذا اختلف ألوانُه.

والأَخْطَبُ: الحمار تعْلوه خُضْرة. وكلُّ لونٍ يشبه ذلك فهو أخْطَبُ.

قال الخليل[1]: الخَطْبُ: سَبَبُ الأمر. وفلانٌ يَخْطُبُ امرأة ويَخْتَطِبُها خِطْبةً، ولو قيل خِطِّيبَي جازَ، والخِطِّيبَى مرخمة الياء على بناء خليفى، الياء مرخمة، اسم امرأة.

والخِطَابُ: مراجعة الكلام. والخُطْبَةُ: مصدر الخَطِيب. وكان الرجل في الجاهلية إذا أراد الخِطْبَةُ قام في النادي فقال: خِطْبٌ، ومن أراده قال: نكح. وجمع الخطيب خُطَبَاء، وجمع الخَاطِبُ خُطَّاب. والأَخْطَبُ: طائر، وهو الشقراق. والأَخْطَبُ: لون إلى الكُدْرة مُشْرَب حمرةً في صُفرة كلون الحنظلة الخطباء قبل أن تيبس، وكلون بعض حمر الوحش، والجميع: خُطْبَانُ.

ويقال: بل الواحدة خُطبَانَة كقولك: كتفان كتفانة، ويرويان بالكسر. وقد خَطِبَ لون خَطَباً، والخِطْبُ: المرأة، وهو الزوج، والمَخْطَبةُ الخِطْبَةُ، إن شئت في النكاح، وإن شئت في الموعظة.

قال الجوهري[2]: الخَطْبُ: سبب الأمر. نقول: ما خَطْبُكَ. وخَطَبْتُ على المنبر خُطْبَةً بالضم. وخَاطَبَهُ بالكلام مُخَاطَبَةً وخِطَاباً. وخَطَبْتُ المرأة خِطْبَةً بالكسر؛ واخْتَطَبَ أيضاً فيهما. والخَطِيبُ: الخَاطِبُ. والخِطِّيبي: الخِطْبَةُ.

---

(1) العين. (2) الصحاح في اللغة.

والخِطْبُ: الرجل الذي يَخْطُبُ المرأة. ويقال أيضاً هي خِطْبُهُ وخُطْبَتُهُ للتي يَخْطِبُها. وخَطُبَ بالضم خَطابَةً بالفتح: صار خَطِيباً. واخْتَطَبَ القومُ فلاناً: إذا دعوه إلى تزويج صاحِبَتِهِمْ.

والأَخْطَبُ: الشِقِرَّاقُ، ويقال الصُرَدُ.

* ورد الخطاب في القرآن الكريم في المعاني التالية:

1 - ما يكلم الرجل به صاحبه ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا﴾ [الفُرقان: 63].

2 - لفصل بين الحق والباطل ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾ [صٓ: 20].

3 - الشأن الذي تقع فيه المخاطبة ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [الحجر: 57] ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَـٰسَـٰمِرِىُّ﴾ [طه: 95].

4 - طلب المرأة للزواج ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ﴾ [البقرة: 235].

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى:** ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا﴾ [الفُرقان: 63].

قال الفخر الرازي[1]: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا﴾ معناه: لا نجاهلكم ولا خير بيننا ولا شر، أي: نسلم منكم تسليماً، فأقيم السلام مقام التسليم، ثم يحتمل أن يكون مرادهم طلب السلامة والسكوت، ويحتمل أن يكون المراد التنبيه على سوء طريقتهم لكي يمتنعوا، ويحتمل أن يكون مرادهم العدول عن طريق المعاملة، ويحتمل أن يكون المراد إظهار الحلم في مقابلة الجهل، قال

(1) التفسير الكبير.

الأصم: ﴿قَالُوا۟ سَلَـٰمًا﴾ أي: سلام توديع لا تحية، كقول إبراهيم لأبيه: ﴿سَلَـٰمٌ عَلَيْكَ﴾ [مريم: 47] ثم قال الكلبي وأبو العالية: نسختها آية القتال ولا حاجة إلى ذلك لأن الإغضاء عن السفهاء وترك المقابلة مستحسن في العقل والشرع وسبب لسلامة العرض والورع.

قال الألوسي[1]: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ﴾ أي: السفهاء وقليلو الأدب.

قال الشعراوي[2]: إذا خاطبك الجاهل، فحذار أن تكون مثله في الردِّ عليه فتَسْفَه عليه كما سَفِهَ عليك، بل قرِّعه بأدب وقُلْ ﴿سَلَـٰمًا﴾ لتُشعِره بالفرق بينكما.

والحق - تبارك وتعالى - يُوضِّح في آية أخرى ثمرة هذا الأدب، فيقول: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: 34].

● **قال تعالى**: ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾ [ص: 20].

قال الطبري[3]: ﴿وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾ البينة على الطالب، واليمين على المطلوب، هذا فصل الخطاب. وقال آخرون: بل هو قولُ: أما بعد. ذكر من قال ذلك:

عن الشعبيّ في قوله: ﴿وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾ قال: قول الرجل: أما بعد.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله أخبر أنه آتى داود صلوات الله عليه فصل الخطاب، والفصل: هو القطع، والخطاب هو المخاطبة، ومن قطع مخاطبة الرجل الرجل في حال احتكام أحدهما إلى صاحبه قطع المحتكم إليه الحكم بين المحتكم إليه وخصمه بصواب من الحكم، ومن قطع مخاطبته أيضاً صاحبه إلزام المخاطب في الحكم ما يجب عليه إن كان مدعياً،

---

(1) روح المعاني.
(2) تفسير الشعراوي.
(3) جامع البيان.

فإقامة البينة على دعواه وإن كان مدعى عليه فتكليفه اليمين إن طلب ذلك خصمه. ومن قطع الخطاب أيضاً الذي هو خطبة عند انقضاء قصة وابتداء في أخرى الفصل بينهما بأما بعد. فإذ كان ذلك كله محتملاً ظاهر الخبر ولم تكن في هذه الآية دلالة على أيّ ذلك المرادُ، ولا ورد به خبر عن الرسول ﷺ ثابت، فالصواب أن يعم الخبر، كما عمه الله، فيقال: أُوتي داود فصل الخطاب في القضاء والمحاورة والخطب.

قال الماوردي[1]: ﴿وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾ فيه خمسة تأويلات: أحدها: على القضاء والعدل فيه، قاله ابن عباس والحسن.

الثاني: تكليف المدعي البينة والمدعَى عليه اليمين، قاله شريح وقتادة.

الثالث: قوله أما بعد، وهو أول من تكلم بها، قاله أبو موسى الأشعري والشعبي.

الرابع: أنه البيان الكافي في كل غرض مقصود.

الخامس: أنه الفصل بين الكلام الأول والكلام الثاني.

● **قال تعالى**: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [الحجر: 57].

قال الفخر الرازي[2]: وأما الخطب فهو الأمر العظيم، وعظم الشأن يدل على عظم من على يده ينقضي، فقال: ﴿مَا خَطْبُكُمَا﴾ [القَصَص: 23] أي لعظمتكم لا ترسلون إلا في عظيم، ولو قال بلفظ مركب بأن يقول ما شغلكم الخطير وأمركم العظيم للزم التطويل، فالخطب أفاد التعظيم مع الإيجاز.

قال ابن عطية[3]: ﴿فَمَا خَطْبُكُمْ﴾ [الحِجر: 57] والخطب: الأمر المهم، وقل ما يعبر به إلا عن الشدائد والمكاره حتى قالوا: خطوب الزمان ونحو هذا، فكأنه

(1) النكت والعيون.
(2) التفسير الكبير.
(3) المحرر الوجيز.

يقول لهم: ما هذه الطامة التي جئتم لها؟ فأخبروه حينئذ أنهم أرسلوا إلى سدوم قرية لوط بإهلاك أهلها الكفرة العاصين المجرمين. والمجرم: فاعل الجرائم، وهي صعاب المعاصي: كفر ونحوه واحدتها جريمة.

● **قال تعالى**: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ﴾ [طه: 95].

قال القرطبي(1): ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ﴾ أي: ما أمرك وشأنك، وما الذي حملك على ما صنعت؟ قال قتادة: كان السامريّ عظيماً في بني إسرائيل من قبيلة يقال لها سامرة، ولكن عدو الله نافق بعد ما قطع البحر مع موسى، فلما مرّت بنو إسرائيل بالعمالقة وهم يعكفون على أصنام لهم ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف: 138].

قال البغوي(2): ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ﴾ ما أمرك وشأنك؟ وما الذي حملك على ما صنعت؟ ﴿يَٰسَٰمِرِيُّ﴾.

● **قال تعالى**: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ﴾ [البقرة: 235].

قال ابن الجوزي(3): ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ﴾ هذا خطاب لمن أراد تزويج معتدة. والتعريض: الإيماء والتلويح من غير كشف، فهو إشارة بالكلام إلى ما ليس له في الكلام ذكر. والخِطبة بكسر الخاء: طلب النكاح، والخُطبة بضم الخاء: مثل الرسالة التي لها أول وآخر. قال ابن عباس: التعريض أن يقول: إني أريد أن أتزوج. وقال مجاهد: أن يقول: إنكِ لجميلة، وإنك لحسنة، وإنك لإلى خير.

قال الخازن(4): ﴿مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ﴾ يعني المعتدات في عدتهن، والخطبة

(1) الجامع لأحكام القرآن.
(2) معالم التنزيل.
(3) زاد المسير.
(4) لباب التأويل.

بالكسر طلب النكاح والتماسه، وقيل هو ذكر النساء. والخُطبة بالضم كلام منظوم له أول وآخر، ومعنى الآية فيما عرضتم به من ذكر النساء عندهن. والتعريض بالخطبة في العدة مباح وهو أن يقول: إنك لجميلة، وإنك لصالحة وإن غرضي التزويج وإني فيك لراغب وعسى الله أن ييسر لي امرأة صالحة ونحو ذلك، من الكلام الموهم من غير تصريح لأن يقول: إني أريد أن أنكحك أو أتزوجك ونحو ذلك، ويدل على صحة هذا التأويل ما روي عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ﴾ هو أن يقول: إني أريد التزويج، وإن النساء لمن حاجتي، ولوددت أن تيسر لي امرأة صالحة، أخرجه البخاري. وروي أن سكينة بنت حنظلة تأيمت فدخل عليها أبو جعفر محمد بن علي الباقر في عدتها فقال: قد علمت قرابتي من رسول الله ﷺ؛ وحق جدي عليّ وقدمي في الإسلام. فقالت سكينة: غفر الله لك أتخطبني في العدة وأنت يؤخذ عنك؟ فقال: إنما أخبرتك بقرابتي من رسول الله ﷺ قد دخل رسول الله ﷺ على أم سلمة وهي في عدة زوجها أبي سلمة فذكر لها منزلته من الله عز وجل وهو متحامل على يده حتى أثر الحصير في يده ﷺ من شدة تحامله عليها فما كانت تلك خطبة.

خطف

(خطف - اقتبس)

■ **الخَطْفُ:** الاختلاس بسرعة ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ [الصافات: 10].

■ **الاقتباس:** الاختلاس بسرعة لنار أو أنوار ﴿ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ﴾ [الحديد: 13]. ﴿إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ﴾ [طه: 10].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الخاء والطاء والفاء أصلٌ واحدٌ مطّرِد منقاس، وهو استلابٌ في خفّة. فالخَطْفُ: الاستلاب. تقول: خَطِفْتُه أخْطَفُه، وخَطَفْتُه أخطِفُه. وبَرْقٌ خاطفٌ لنور الأبْصار. قال الله تعالى: ﴿يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَـٰرَهُمْ﴾ [البقرة: 20]، والشيطان يَخْطِفُ السَّمع: إذا استرق. قال الله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ﴾ [الصَّافات: 10]. ويقال للشيطان: «الخَطَّافُ»:

وجمل خَيْطَفٌ: سريع المَرّ. وتلك السُّرعة الخَيْطَفى.

قال: وبه سُمِّي الخَطَفى، والأصل فيه واحد؛ لأنّ المسرعَ يقلُّ لُبْث قوائمه على الأرض، فكأنّه قد خَطِف الشَّيء. ويقال: هو مُخْطَفُ الحَشَا، إذا كان منطوِيَ الحشا. وذلك صحيحٌ؛ لأنّه كأنّ لحمَه خُطِفَ منه فرقَّ ودَقَّ. فأما قولهم:

---

(1) معجم مقاييس اللغة.

رمَى الرمِيَّة فأَخطَفَها: إذا أخطأها، فمْمكنٌ أن يكون من الباب، [وممكنٌ أن يكون] الفاءُ بدلاً من الهمزة. قال: والخُطَّافُ: طائر، والقياس صحيح، لأنّه يَخْطَفُ الشيءَ بمِخلبه. يقال لمخاليب السِّباع: خَطَاطِيفُها.

والخُطَّافُ: حديدةٌ حَجْناء؛ لأنه يُخْتَطَفُ بها الشيء، والجمع خَطَاطِيف.

قال الخليل[1]: الخَطْفُ: الأخذ في الاستلاب. وسيف يَخْطَفُ الرأس، ونار مُخَطَّفُ الضريبة.

وبرق خَاطِفٌ: يَخْطَف نورَ الأبصار. والشياطينُ تَخْطَفُ السمع أي: تسترق.

والخُطَّافُ: اللص. وخَطَفَ يَخْطِفُ، وخَطِفَ يخْطَفُ. والخِطْفةُ مثل الخلسة: هو كل ما اختطَفْتَ. وبه خُطُفٌ أي: شبه جُنون. والمُخْطِفُ: الذي يرفع الشراع في البحر.

والخَيْطَفُ: سرعة انجذاب السير، وجمل خَيْطَفٌ، وجمل ذو عنق خيطَف.

أي كأنه يختَطف في مسيه عُنُقَه، أي يجتذب. والخَطَفَى: سَيْرتُه. وهو أخطَفُ الحَشَي، وبعيرٌ مُخْطَفٌ، وحمار مُخْطَفُ البطن. والخُطّاف: طائر، يجمع: خَطاطيفَ.

والخُطّاف: حديد حجناء في جانبي البكرة فيهما المحور.

وكل شيء يشبه به سمي خُطَّافاً، يقال: بعير به سمة خُطَّاف أو كالخُطَّاف، وهي سمة أناس من تيم.

وكان الحسن يقرأ: «إلا من خَطَّفَ الخَطْفَةَ» على تأويل: اختَطَفَ اختِطافةً، جعل المصدر على بناء خَطِفَ يخطَفُ خَطْفةً كما تقول من الاختِطاف اختِطافةً. والخاطفِ: الذئب لأنه يخطَف.

قال الجوهري[2]: الخَطْفُ: الاستلابُ. وقد خَطِفَهُ بالكسر يَخْطَفُهُ خَطفاً

(1) العين. (2) الصحاح في اللغة.

وهي اللغة الجيدة. وفيه لغة أخرى حكاها الأخفش: خَطَفَ بالفتح يَخْطِفُ، وهي قليلة رديئة لا تكاد تُعْرَف. واخْتَطَفهُ وتَخَطَّفَهُ بمعنًى. والخُطَّافُ: طائرٌ. والخُطَّافُ: حديدةٌ حَجْناءُ تكون في جانبي البكرة فيها المحور. وكلُّ حديدةٍ حجناءَ خُطّافٌ. ومَخاليبُ السباعِ: خَطاطيفُها.

والخاطِفُ: الذئبُ. وبرقٌ خاطِفٌ لنور الأبصار. ورمى الرميّةَ فَأَخْطَفَها، أي: أخطأها.

وإخْطَافُ الحَشا: انطواؤه. يقال: فرسٌ مُخْطَفُ الحَشا، بضم الميم وفتح الطاء، إذا كان لاحِقَ ما خَلْفَ المَحْزِمِ من بَطْنه. والخَطيفَةُ: دقيقٌ يُذَرُّ على اللبن ثم يُطْبَخُ فيُلْعَقُ. قال ابن الأعرابي: هو الجَبولاءُ. وجملٌ خَطيفٌ، أي سريعُ المَرِّ، كأنهُ يَخْتَطِفُ في مشيه عنقَه، أي يجتذب. وتلك السُرعة هي الخَطَفى بالتحريك.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ [الصَّافات: 10].

قال الفخر الرازي(1): ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ﴾ أي: اختلس الكلمة على وجه المسارقة ﴿فَأَتْبَعَهُۥ﴾ يعني لحقه وأصابه يقال: تبعه وأتبعه إذا مضى في أثره، وأتبعه: إذا لحقه وأصله من قوله تعالى: ﴿فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [الأعرَاف: 175] وقد مر تفسيره وقوله تعالى: ﴿شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ قال الحسن ثاقب أي: مضيء وأقول: سمي ثاقباً لأنه يثقب بنوره الهواء، قال ابن عباس في تفسير قوله: ﴿ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ﴾ [الطارق: 3] قال: إنه رجل سمي بذلك لأنه يثقب بنوره سمك سبع سموات، والله أعلم.

---

(1) التفسير الكبير.

قال ابن كثير[1]: ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ﴾ أي: إلا من اختطف من الشياطين الخطفة وهي الكلمة يسمعها من السماء فيلقيها إلى الذي تحته، ويلقيها الآخر إلى الذي تحته، فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها، وربما ألقاها بقدر الله تعالى قبل أن يأتيه الشهاب فيحرقه، فيذهب بها الآخر إلى الكاهن كما تقدم في الحديث.

قال النسفي[2]: ﴿خَطِفَ الْخَطْفَةَ﴾ أي: سلب السلبة يعني أخذ شيئاً من كلامهم بسرعة.

● **قال تعالى**: ﴿فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: 31].

قال الزمخشري[3]: فاختطفته الطير، فتفرق مزعاً في حواصلها، أو عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المطاوح البعيدة. وإن كان مفرقاً فقد شبه الإيمان في علوه بالسماء، والذي ترك الإيمان وأشرك بالله بالساقط من السماء، والأهواء التي تتوزع أفكاره بالطير المختطفة، والشيطان الذي يطوّح به في وادي الضلالة بالريح التي تهوي بما عصفت به في بعض المهاوي المتلفة. وقرىء: «فتخطفه» بكسر الخاء والطاء. وبكسر التاء مع كسرهما، وهي قراءة الحسن. وأصلها: تختطفه. وقرىء: «الرياح».

قال البغوي[4]: ﴿فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ﴾، أي: تستلبه الطير وتذهب به، والخطف والاختطاف: تناول الشيء بسرعة، وقرأ أهل المدينة: فتخَطّفه بفتح الخاء وتشديد الطاء، أي: يتخطفه.

● **قال تعالى**: ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ﴾ [البقرة: 20].

---

(1) تفسير ابن كثير.
(2) مدارك التنزيل.
(3) الكشاف.
(4) معالم التنزيل.

قال البيضاويّ[1]: ﴿يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ﴾ استئناف ثان كأنه جواب لمن يقول: ما حالهم مع تلك الصواعق؟ وكاد من أفعال المقاربة، وضعت لمقاربة الخبر من الوجود لعروض سببه لكنه لم يوجد، إما لفقد شرط، أو لوجود مانع وعسى موضوعة لرجائه، فهي خبر محض ولذلك جاءت متصرفة بخلاف عسى، وخبرها مشروط فيه أن يكون فعلاً مضارعاً تنبيهاً على أنه المقصود بالقرب من غير أن، لتوكيد القرب بالدلالة على الحال، وقد تدخل عليه حملاً لها على عسى، كما تحمل عليها بالحذف من خبرها لمشاركتهما في أصل معنى المقاربة. والخطف الأخذ بسرعة وقرىء (يَخْطِف) بكسر الطاء ويخطف على أنه يختطف، فنقلت فتحة التاء إلى الخاء ثم أدغمت في الطاء، ويخطف بكسر الخاء لالتقاء الساكنين وإتباع الياء لها، ويخطف ويتخطف.

● **قال تعالى**: ﴿وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [العنكبوت: 67]

قال القرطبي[2]: ﴿وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ قال الضحاك: يقتل بعضهم بعضاً ويَسبي بعضهم بعضاً. والخطف الأخذ بسرعة. وقد مضى في «القصص» وغيرها. فأذكرهم الله عز وجل هذه النعمة ليذعنوا له بالطاعة. أي: جعلتُ لهم حرماً آمناً أمنوا فيه من السَّبي والغارة والقتل، وخلّصتهم في البر كما خلصتهم في البحر، فصاروا يشركون في البر ولا يشركون في البحر.

قال أبو السعود[3]: ﴿وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ أي: والحالُ أنَّهم يُختلسون من حولِهم قتلاً وسبياً، إذ كانتِ العربُ حولَه في تغاورٍ وتناهُبٍ.

---

(1) أنوار التنزيل.
(2) الجامع لأحكام القرآن.
(3) إرشاد العقل السليم.

خطوات

(خطوات - دأب - سبيل - سنة - طريقة)

- **الخُطْوَة:** ما بين القدمين حال المشي وهي أول الطريق ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ [البقرة: 168].
- **الدَّأْبُ:** المسيرة المستمرة دائماً على حالة ﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ [آل عمران: 11].
- **السَّبِيلُ:** الطريق السهل الواضح ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾ [عبس: 20].
- **السُّنَّةُ:** الطريقة السهلة للسير على السبيل ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: 62].
- **الطَّرِيقَةُ:** أسلوب السير على السبيل فلكل سائر طريقته التي يرتاح لها ﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا﴾ [الجنّ: 11].

❋ ❋ ❋

شرح المعاني:

عندما تريد أن تعمل عملاً أو تُنشئ جماعة سياسية أو دينية أو تؤسس مدينة أو ما شاكل وكل عمل ابن آدم لا بد أن يكون له منهج قال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [المائدة: 48] ولا تصلح هذه الحياة ولا يصلح ما فيها ومن فيها إلا إذا كانت حركتهم على هذه الأرض ممنهجة محددة يخطط لها سلفاً وإلا كانت فوضائية عشوائية لا تنتج إلا

فوضى كما هو حاصل في العالم اليوم بعد أن سقطت جميع المناهج والقوانين الدولية وسادت شريعة الغاب كما حصل في فترات عديدة في التاريخ.

الصراط: هو المعبر بين نقيضين أو بين ضفتي جبل بينهما وادٍ سحيق. هذا المعبر يسمى صراطاً أو جسراً ينقلك من الضدّ إلى الضدّ. قال تعالى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: 6] من الكفر إلى الإيمان والتوحيد. وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: 153] فما قدّم لنا مناهج العقيدة هذا هو الصراط. كل ما يتعلق بالعقيدة من المناهج والأحكام المتسلسلة الرائعة المقنعة في كتاب الله تعالى وسُنّة الرسول ﷺ، وما في هذا الكون مما يدل على وحدانية الله تعالى كل هذا يسمى صراطاً. فالصراط إذن هو الواسطة أو الوسيلة التي تنقلك من ضفة إلى ضفة معاكسة وهذه هي العقيدة.

السبيل: هو الطريق الرئيسي الذي يسلكه الناس بعد عبورهم الجسور العظيمة وتتفرع منه الطرق الجانبية فهذا هو السبيل أو الإمام ﴿فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٖ مُّبِينٖ﴾ [الحجر: 79].

الإمام: هو الطريق الرئيسي الذي تتفرع منه طرق عديدة ترجع في النهاية إليه ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [يوسف: 108] شريعة ممتدة أحكامها لا تنتهي إلى يوم القيامة ولا يُنكر تغيّر الفتوى باختلاف الزمن. مذاهب الأمة ليست متناحرة وإنما هي أساليب جديدة لحل مشاكل معاصرة لم تكن في العصر السابق. فأحكام السوق مثلاً في السابق حيث كانت السوق أرضاً فضاء يتجمع فيها الناس للبيع والشراء وكان لها أحكامها الخاصة بها، أما الآن فقد اختلفت السوق وأصبح العالم كله سوقاً من بنوك وشركات ومعاهدات، فكان لا بد من أن تتغير أحكام السوق بما يتناسب مع الزمن. فالسبيل شريعة متغيرة ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ أي لا بد من الإتيان بالدليل وليس تبعاً للهوى فتحلل وتحرم على هوى الناس. فإذا أجمع

الناس على أمر فهذا لا يعني أنه صار حلالاً (الإجماع مثلاً على شرب الخمر لا تجعل الخمر حلالاً).

المنهج: خطة متكاملة لا تقتضي زمناً محدداً وقد تنجزها في سنة أو أكثر. التعليم في السابق كان بضعة كتب هي المنهج. ففي اللغة مثلاً كان المنهج هو بضعة كتب (من متن الأجرومية إلى مغني اللبيب) والمطلوب إنجاز المنهج بدون تحديد زمن معين ولا مراحل دراسية ولا خطوات. ومن العلماء من صار مجتهداً وهو في سن الخامسة والعشرين لأنه كان عنده منهج إما بلاغي أو أصولي أو غيره، وكل على حسب طاقته، فمن الناس من قد ينهي المنهج في عشر سنوات أو خمس أو اثنتين لذكائه وعبقريته. هذا المنهج ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًاۚ﴾ [المائدة: 48] الإسلام منهج والمطلوب الصلاة والزكاة والصيام والحد والجهاد وبر الوالدين وصلة الأرحام وقد تنجز هذا المنهج في سنة أو 20 سنة، والمنهج عليك أن تؤديه حسب طاقتك وقدرتك والزمان الذي تحتاجه أنت وليس معمماً على كل الناس.

الخطوات: إذا وضعت للمنهج أزمنة محددة وقسّمته إلى مراحل فهي الخطوات، فالمراحل الدراسية ست سنوات ابتدائي وثلاث إعدادي وثلاث ثانوي ولا بد أن ينجز الطالب هذه الخطوات. قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَـٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [البقرة: 168] ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [البَقَرَة: 208] من خَبَث الشيطان أنه يحدد الإنسان بمراحل معينة كل منها تعتمد على المرحلة التي قبلها، وتقتضي المرحلة التي بعدها، وطالما بدأت بمرحلة فلا بد من أن تنهي كل المراحل. والخطوات يتحكم فيها غيرك فمثلاً وزارة التربية تتحكم في خطوات المراحل الدراسية. والآن هناك بعض المدارس الدينية التي تتبع منهجاً وليس خطوات حيث تتعلم في سنة واحدة ما لا يتعلمه طلاب الجامعات في سنوات (ويقال أن في الجامع علم غزير أما

الجامعات فعلمها قليل جداً). الخطوات تأخذ زمنك وأنت فيها مسيّر ولست مبدعاً وكل من له إبداع يمكنه أن ينجز المنهج ببراعة بأقصر زمن معروف على كثافة في العلم حتى يتخرج من المنهج علماء أجلاّء. أما الخطوات فلا تخرّج علماء وما يُتعلم في كليات الشريعة لا تساوي ما يُتعلّم في المنهج.

السُنّة: منهج ثانوي مع المنهج الرئيسي. كل مناهج التربية والتعليم فيها دروس إجبارية (صراط وسبيل) وبجانبها دروس اختيارية هي من توابع المنهج الرئيسي ولكنها ليست بنفس القوة. والسُنّة حدث بجانب حدث فإذا صليت الصبح توجد معها ركعتان سنة. والسُنة عادة مشروعة مأمور بها ومصاحبة لفرض، والكون هكذا كلما وُجِد ظلم تخرب الزراعة وكلما وُجد عدل تنجح الزراعة.

السيرة: ﴿قَالَ خُذۡهَا وَلَا تَخَفۡۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلۡأُولَىٰ﴾ [طه: 21] التطبيق الشخصي لكل ما مضى. والسيرة هي كيف كان يطبّق الرجال العظام الصراط أو السبيل أو المنهج. كيف كان الرسول ﷺ يصلي؟ كيف كانت عبادة داود عليه السلام وكيف كان صيامه؟ هذه هي السيرة وهي أسلوب الرجال العظماء في تطبيق المنهجيات.

الدأب: ﴿كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [آل عمران: 11]، ﴿كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ فَأَهۡلَكۡنَٰهُم بِذُنُوبِهِمۡ وَأَغۡرَقۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَۚ وَكُلّٞ كَانُواْ ظَٰلِمِينَ﴾ [الأنفال: 54] هو النشاط المتزايد في أداء السُنّة. عندك عادات وتقاليد وعقيدة وأنت في غاية النشاط والالتزام بهذا الشيء الذي تؤمن به ولا تتركه.

الطريقة: تفرّع من السبيل (الشرع) ليس كل الناس يؤدونه بنفس الطريقة. الصلاة مثلاً سبيل وشرع وليس كل المسلمين يؤدونها بنفس الطريقة، هناك بعض صيغ لأداء السبيل، أما الصراط فلا خلاف عليه: لا إلٰه إلا الله محمد رسول الله آمنت بالله ورسله وملائكته وكتبه واليوم الآخر والقضاء والقدر). والطريقة هي أسلوب مختلف في أداء نفس العبادة ﴿قَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخۡرِجَاكُم مِّنۡ

أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ﴾ [طـه: 63] ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾ [الجنّ: 11] جمع طريقة طرائق وجمع طريق طُرُق.

هناك من يتقي الله تعالى عن طريق الدعوة أو الزكاة أو العلم أو الجهاد كل واحد بطريقته. أما السبيل فيتفرع إلى طرق مشروعة تعود في النهاية إلى سبيل واحد.

خطوات الشيطان:

نهانا الله تعالى عن الشيطان واتباع خطواته ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ﴾ [البقرة: 168] الخطوات هي مرحلية (مسافة بين قدمين) ومتكررة ومتتابعة، وكل خطوة تقتضي التي بعدها وتعتمد على التي قبلها. والشيطان له خطوات ومن خبث الشيطان أنه يبدأ بشيء بسيط ثم يستدرجك خطوة خطوة ليصل إلى ما يريد، وهو نفسه فعل هذا وأول خطوة ارتكبها الشيطان كانت قاتلة فأخرجته وكانت سبباً في طرده من الجنة تماماً كما يفعل مع من يغويهم. الشيطان مهمته أن يخرجك مما أنت فيه حتى يجعلك خالداً معه في النار ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّۖ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [إبراهيم: 22] وهذه خطبة عجيبة للشيطان والله تعالى يُطلق قيوده في النار فيضرب الشيطان أعوانه وزبانيته حتى ينسيهم عذاب النار.

الإنكار الصريح لنصّ قطعي: خطوات الشيطان تبدأ بالخطوة الكبيرة على عكس الناس يوقع بها كل الذين هم خارج الإيمان وهي التنكّر لنصّ قطعي (هذه هي البداية) فإذا أطعت الشيطان بذلك فأنكرت نصّاً قطعياً ستنزلق إلى الهلاك يوماً بعد يوم. الله تعالى أمر إبليس بالسجود لآدم فاعترض إبليس وقال: أنا خير منه. وهذا ردّ الأمر على صاحب الأمر وهو تمرّد وعصيان واعتبار الأمر غير مشروع.

آدم عليه السلام عصى ربه ثم تاب ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: 23] واعترف بالتقصير وهذا من قوانين بني آدم ليضع نفسه أمام عفو الله تعالى ورحمته ورضاه. أما إبليس فقد عصى الله تعالى وردّ الأمر على صاحب الأمر ولم يعترف بخطئه لله تعالى ولكنه ردّ الأمر ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ [الإسراء: 61].

التشكيك والتبرير: يحاول أن يجد تبريراً لما فعله لكنه لا يجد. على سبيل المثال فرض الله صلاة الجمعة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الجمعة: 9] وكان هناك بعض الفرق لا تصلي الجمعة بحجج واهية. وهناك نص على حفظ آل بيت النبي ﷺ: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [الشورى: 23] ﴿لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: 33] جاءت فرقة النواصب تلعن آل البيت وتتهمهم مئة عام. وهناك من يلعن الأنصار والمهاجرين. وقد نزل فيهم آية صريحة تبين رضى الله تعالى عنهم ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: 100]، ونهى الله تعالى عن أن تتهم السيدة عائشة رضي الله عنها ﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [النور: 17] ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ [النور: 12] ومع هذا هناك من يعتبر السيدة عائشة حاشاها مومس والعياذ بالله. وهناك كثير من النصوص الواضحة. وما من جماعة من المسلمين إلا من رحم ربي إلا ومنهم من يطعن بنص صريح وهناك من يلعن الأولياء كأنهم كفّار ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: 62]. وعلينا أن نمتحن أنفسنا فإذا كنا نسلّم بكل نصوص القرآن الكريم فإننا ناجون بإذن الله.

ومن خطوات إبليس **الكبر** ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾

[الأعراف: 12] جميع الذين عارضوا النبوات من إبراهيم عليه السلام إلى محمد عليه الصلاة والسلام قالوا: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا۟ وَتَوَلَّوا۟ ۚ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ ۚ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾ [التّغابُن: 6] وكل من يتبع خطوات الشيطان يصير شيطاناً والحجة كانت ﴿قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾ [يس: 15]، ﴿مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [الشعراء: 154].

ترك المأمورات بها أكبر من فعل المنهيات عنها: ذنب آدم عليه السلام أنه فعل منهياً عنه، أما إبليس عليه اللعنة فقد ترك مأموراً به وعِظم الذنب يُعرف بعِظم العقوبة.

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الخاء والطاء والحرف المعتلّ والمهموز، يدلُّ على تعدّي الشيء، والذَّهاب عنه. يقال: خَطَوْتُ أَخْطُو خَطْوَةً. والخُطْوَة: ما بين الرِّجْلين.

والخَطْوَةُ المرَّة الواحدة. والخَطَاءُ من هذا؛ لأنّه مجاوزة حدِّ الصواب. يقال: أَخْطَأَ إذا تعدّى الصَّواب. وخَطِئَ يَخْطَأُ. إذا أذْنب، وهو قياسُ الباب؛ لأنه يترك الوجه الخَيْرَ.

قال الجوهري[2]: الخُطْوَةُ بالضم: ما بين القدمين، وجمع القلة خُطُواتٌ وخُطَواتٌ وخُطْواتٌ، والكثير خُطىً. والخَطْوَةُ بالفتح: المرّة الواحدة، والجمع خَطَواتٌ بالتحريك وخِطاءٌ.

وقولهم في الدعاء إذا دعوا للإنسان: خُطِّيَ عنه السُوءُ، أي: دُفِعَ عنه السوء. يقال: خُطِّيَ عنه أي: أُمِيطَ. وخَطَوْتُ واخْتَطَيْتُ بمعنًى، وأَخْطَيْتُ غيري: إذا

(1) معجم مقاييس اللغة.

(2) الصحاح في اللغة.

حملتَه على أن يَخْطُوَ. وتَخَطَّيْتُهُ: إذا تجاوزتُه. يقال: تَخَطَّيْتُ رقاب الناس، وتَخَطَّيْتُ إلى كذا.

قال الراغب[1]: خَطَوْتُ أَخْطُو خَطْوَةً، أي: مرة، والخُطْوَةُ ما بين القدمين.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [البقرة: 168]، أي: لا تتبعوه، وذلك نحو قوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ﴾ [ص: 26].

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾** [البقرة: 168].

قال الزمخشري[2]: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ فتدخلوا في حرام، أو شبهة، أو تحريم حلال، أو تحليل حرام، و(من) للتبعيض؛ لأن كل ما في الأرض ليس بمأكول.

قال أبو السعود[3]: أي: لا تقتدوا بها في اتباع الهوى؟ فإنه صريحٌ في أن الخطابَ للكفرة، كيف لا وتحريمُ الحلال على نفسه تزهيداً ليس من باب اتباع خطواتِ الشيطانِ فضلاً عن كونه تقوُّلاً وافتراءً على الله تعالى، وإنما الذي نزل فيهم ما في سورة المائدة من قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [المائدة: 87].

قال الشعراوي[4]: أي لا تسيروا وراء الشيطان، فالخطوة هي المسافة بين القدمين عند المشي، أي بين النقلة والنقلة، ولا تجعلوا الشيطان قائدكم؛ لأن الشيطان عداوته لكم مسبقة، ويجب أن تحتاطوا بسوء الظن فيه؛ فهو الذي عصى ربه؛ ولا يصح أن يطاع في أي أمر.

---

(1) مفردات الراغب.
(2) الكشاف.
(3) إرشاد العقل السليم.
(4) تفسير الشعراوي.

خفت

(خفت - ركز - غضّ - نجو)

- **الخَفْتُ:** كلام الإنسان الضعيف مع نفسه ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ [الإسراء: 110].
- **الرِّكْزُ:** الصوت الخفيّ الهامس ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ [مريم: 98].
- **الغَضُّ:** النقصان من الصوت المرتفع ﴿وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ﴾ [لقمان: 19].
- **النَّجْوَى:** أن تطلع الآخر على سرك وأنتما في خلوة ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: 7].

* * *

شرح المعاني:

هـذه منظومة خشوع الأصوات ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه: 108] والخشوع هو شدة الانتباه. حينئذ كل من يشتد انتباهه لشيء ما يكون قد خشع له. وهذه المنظومة تتطلب من صاحبها أن يكون منتبهاً جداً إلى حد لا يمكن أن يشذ ذهنه أو يغيب عقله لأنها مقصودة قصداً ولا يمكن لكلمة أن تعطي معنى الكلمة الأخرى.

الخفت: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: 110] ﴿يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا﴾ [طه: 103] الخفت: يعني الصوت الضعيف الذي يسبق السكون التام أو الموت. هذا الضعف الشديد يسمى خفوتاً وخفتاً قبل

الموت. والخفت يكون لعدة أسباب منها: الضعف أو المرض أو الخوف. ﴿يَتَخَٰفَتُونَ بَيۡنَهُمۡ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا عَشۡرٗا﴾ المجرمون هم المشركون يرون أن مصيرهم النار لا محالة، فتخيل أيّ رعب يتملكهم ولا يملكون من الخوف إلا أن يتكلم كل واحد منهم بضعف شديد (تخافت). كان الرسول ﷺ وبعض الصحابة يتخافتون في صلاة الليل حتى لا يوقظوا أهل البيت، ولو تخيلنا أن المدينة في ذلك الحين كانت كلها بمساحة المسجد النبوي الآن وفيها مئات البيوت المتجاورة وأي حديث بين اثنين يسمعه الجار فكان من المسلمين من يتخافت في صلاته حتى لا يسمعه أهل بيته فنزلت الآية ﴿وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا وَٱبۡتَغِ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلٗا﴾ [الإسراء: 110]. وقد يأتي التخافت عن تآمر كمجموعة ما تعد خطة تآمرية فيتكلمون مع بعضهم بصوت خفيف بحيث يسمعون بعضهم بشكل صعب كما في قصة أصحاب الجنة ﴿فَٱنطَلَقُواْ وَهُمۡ يَتَخَٰفَتُونَ﴾ [القلم: 23]. التخافت إذن هو شدة ضعف الصوت.

المناجاة: تخالف التخافت بشرط واحد هو أنك لا تفعل المناجاة بين الآخرين على عكس التخافت فهو أمام الناس (يتخافتون بينهم). أما المناجاة فتختلف عن التخافت في أنك بمعزل عن الآخرين. التخافت صار مناجاة لأن المتكلم في مكان لا يسمعه أحد كأن تناجي الله تعالى وليس معك أحد ﴿أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾ [التوبة: 78] والنجوى هي من سوء الأدب إلا مع الإمام أو رئيس الدولة أو وزير كأن يكون هناك أمر خطير يهم الأمة فتناجي الإمام وتهمس في أذنه فهذه مناجاة ولا تكون إلا في مصالح الناس ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيۡتُمۡ فَلَا تَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾ [المجادلة: 9] وفيما عدا هذا لا ينبغي أن يتناجى اثنان دون الآخرين كما في الحديث الشريف: «**إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجا اثنان دون الثالث**». إذن الخفت أمام الناس والمناجاة بينك وبين من تتناجى معه. ﴿فَلَمَّا ٱسۡتَيۡـَٔسُواْ مِنۡهُ خَلَصُواْ نَجِيّٗاۖ قَالَ كَبِيرُهُمۡ أَلَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمۡ قَدۡ أَخَذَ عَلَيۡكُم

مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِيٓ أَبِيٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [يوسف: 80]. هذا في غاية الأدب. وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [المجادلة: 10] لأنها تثير الريبة.

الغضّ: ﴿وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾ [لقمان: 19] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الحجرات: 3] الغضّ هو صوت خفي بكلام رقيق حنون ليّن ودود وهو دليل التواضع والذُلّة والود وهذا معنى الآية ﴿وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: 34] من يسيطر على مشاعره ونفسه وغرائزه العدوانية. والغضّ ليس خفض الصوت فقط ولكن إظهار الصوت بمنتهى الحنان واللطف واللين كما في الحديث الشريف: «**لين الكلام صدقة**» وعندما وصف الرسول ﷺ قصور الجنة سأله الصحابة لمن هي يا رسول الله؟ فأجاب: «**لمن ألان الكلام وأفشى السلام وصلّى بالليل والناس نيام**».

الهمس: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُۥ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه: 108] تحدّث نفسك. كل خائف أو مهموم بقضية يحدّث نفسه هذا يسمى الهمس. الخفت يكون أمام الناس والمناجاة بعيداً عن الناس والغض في منتهى التذلل والرحمة، والهمس كلام لا يفهمه السامع ﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه: 108] من خشوع الناس يوم القيامة أمام رب العالمين يحدث كل واحد نفسه بكلام ليس مفهوماً ولا مسموعاً من غيره. والهمس لغة هو: مضغ الطعام والفم مغلق.

الوحي: أن تحدث الآخر خفاء كالخفت والمناجاة والغض والهمس وبفرق واحد أنك لا تراه تسمعه لكن لا تعرف من المتحدّث، يسمى وحياً ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ

حَكِيمٌ﴾ [الشّورى: 51] والوحي من الكلمات المشتركة في القرآن الكريم ولها معانٍ عديدة. والوحي يصدر من قوة خفية لا تراها وقد يكون من الشيكان أو الإشاعات التي تنتشر بين الناس لا يعرف أحد من أطلقها. ويمتاز الوحي بأنك لا تعرف من أوحى به ولا من صاحبه.

الحسيس: ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾ [الأنبياء: 102] أصله صوت نقل الأقدام على الرمل حينئذ لا تعرف صاحب هذه الخطوات، على عكس وقع الخطى على مكان صلب فقد تميز بين خطى امرأة أو رجل أو ضعيف أو طفل أو عجوز. والحسيس حركة وطئ الأقدام على الرمل وكل صوت لحركة يسمى حسيساً كأفعى تمشي. والحسيس هو صوت من الإبهام بمكان لأنه فقط حركة شيء والحسيس جماع حركة الأشياء (مثلاً يقال: وجيف للهثان وحفيف لأوراق الشجر) كل كلمات حركة الأشياء تجمعها كلمة الحسيس.

الرِّكز: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ [مريم: 98] كل ما مضى من أنواع الكلام الخافت الغضّ الموحى به ينطبق على هذه الكلمة إلا أن الركز لا بد أن ينطلق من داخل الأرض من عمق، كأن يقع الإنسان في بئر أو في قبر فقد يستيقظ بعد دفنه (كما في بعض الحالات التي لا يتأكد فيها من وفاة الشخص) فيصرخ بصوت خافت هامس ولأنه من تحت الأرض يسمى رِكزاً. والركاز في اللغة هو: المدفون في الأرض. ولو استطعنا سماع الذين هلكوا في قبورهم لكان ركزاً ولما كان كلاماً.

الخفت والوحي: كل منهما ملازم للآخر وكل خفت وراءه وحي لأن الخفت أساس التآمر والتآمر ينتج عنه الشائعات. ويجب أن يكون العدو منصفاً لعدوه ومن حق العدو أن يفعل ما يشاء طالما هو عدوك ولا يجب أن تلومه على ما يفعل لأنه يأخذ بأسباب نصرته، لكن عليك أنت أن تفعل بالمثل لكي يتحقق نصرك. المهزوم وحده هو الذي يصب جام غضبه على عدوه وعليك أن تأخذ حذرك.

الوحي في القرآن الكريم كلمة عجيبة لها عدة معانٍ:

التخافت والتآمر يؤدي إلى الوحي ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعَام: 112] فالمقولات التي تبين كذبها ولا يعرف صاحبها فهي وحي.

توجيه الغريزة للمخلوقات غير الواعية كالوحي إلى النحل ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ [النّحل: 68].

الإشارة الخفية ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُواْ بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: 11] تحدي الطاقة الوظيفية لكل المخلوقات كالحيوانات والنبات ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [فصلت: 12] حدّد وظيفتها خفية بدون أن تعرف كيف استطاعت المخلوقات أن تفعل ما تفعله.

الإلهام الخفي: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّۦنَ أَنْ ءَامِنُواْ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾ [المَائدة: 111].

الرؤيا الصالحة ﴿إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ﴾ [طه: 38] ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: 7].

التآمر الخفي الذي لا تعرف صاحبه وقائله ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعَام: 121]. ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: 112].

ما من شخص أو جماعة أو دولة أو أمة يكون لها عدو إلا وتنشط، فوجود عدو لك هو من أسباب نشاطك ومنعتك ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم﴾ [الأنفال: 60]

الأمن والمخابرات والتعليم فعليك أن تقوي نفسك أمام عدوك ولو لم يكن لك عدو لترهّلت. الدين عندما يمر بأزمة فهو ينشط نشاطاً عظيماً وعندما تصبح الأمة الإسلامية في أوجها يكثر فيها الترف السفيه الذي لا يليق بأمة تعلم أن الله تعالى يوماً آخر.

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الخاء والفاء والتاء أصلٌ واحدٌ، وهو إسرارٌ وكتمان. فالخَفْتُ: إسرار النُّطْق. وتخافَتَ الرّجُلانِ. قال الله تعالى: ﴿يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ﴾ [طه: 103].

قال الجوهري[2]: خَفَتَ الصوتُ خُفوتاً: سكن. ولهذا قيل للميت: خَفَتَ، إذا انقطع كلامُه وسكتَ؛ فهو خافِتٌ. وخَفَتَ خُفاتاً، أي: مات فجأةً. والمُخَافَتَةُ والتَّخَافُتُ: إسرارُ المنطق. والخَفْتُ مثله.

قال الفيروزآبادي[3]: خَفَتَ خُفوتاً: سَكَنَ وسَكَتَ، وخَفَتَ خُفَاتاً: مات فَجْأَةً. والخَفْتُ: إسْرارُ المَنْطِقِ، كالمُخَافَتَةِ والتَّخَافُتِ. والخُفْتُ، وبالضم: السَّذابُ.

والخَافِتُ: السَّحابُ ليس فيه ماءٌ، وزرْعٌ لم يَطُلْ. والخَفُوتُ: المرأةُ المَهْزولةُ، أو التي تُسْتَحْسَنُ وحْدَها، لا بين النِّساءِ. وأخْفَتَتِ الناقةُ: نُتِجَتْ لِيَوْمِ مَلْقَحِها.

وخُفْتَيانِ، بالضمِّ: قَلْعَتانِ بِإِرْبِلَ.

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) الصحاح في اللغة.
(3) القاموس المحيط.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى:** ﴿يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ﴾ [طه: 103].

قال الفخر الرازي[1]: يتخافتون أي: يتسارون. يقال: خفت يخفت وخافت مخافتة والتخافت السرار وهو نظير قوله تعالى: ﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه: 108] وإنما يتخافتون لأنه امتلأت صدورهم من الرعب والهول، أو لأنهم صاروا بسبب الخوف في نهاية الضعف فلا يطيقون الجهر.

قال أبو السعود[2]: وقوله تعالى: ﴿يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ﴾ أي: يخفِضون أصواتَهم ويُخفونها لما يملأ صدورَهم من الرعب والهول، استئنافٌ ببيان ما يأتون وما يذرون حينئذ، أو حالٌ أخرى من المجرمين أي يقول بعضُهم لبعض بطريق المخافتة.

قال الألوسي[3]: ﴿يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ﴾ أي: يخفضون أصواتهم ويخفونها لشدة هول المطلع، والجملة استئناف لبيان ما يأتون وما يذرون حينئذ أو حال أخرى من ﴿ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [طه: 102].

● **قال تعالى:** ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ﴾ [الإسراء: 110].

قال ابن عاشور[4]: وأما قوله تعالى: ﴿وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ فالمقصود منه الاحتراس لكيلا يجعل دعاءه سراً أو صلاته كلها سراً فلا يبلغ أسماع المتهيئين للاهتداء به، لأن المقصود من النهي عن الجهر تجنب جهر يُتوهم منه الكفارُ تحككاً أو تطاولاً كما قلنا.

والجهر: قوة صوت الناطق بالكلام. والمخافتة مفاعلة: من خَفَتَ بكلامه،

(1) التفسير الكبير.
(2) إرشاد العقل السليم.
(3) روح المعاني.
(4) التحرير والتنوير.

إذا أسر به. وصيغة المفاعلة مستعملة في معنى الشدة، أي لا تُسرها. وقوله: (ذلك) إشارة إلى المذكور، أي الجهر والمخافتة المعلومين من فعلي (تجهر - وتخافت) أي اطلب سبيلاً بين الأمرين ليحصل المقصود من إسماع الناس القرآن وينتفي توهم قصد التطاول عليهم.

قال السجستاني[1]: ﴿تُخَافِتْ بِهَا﴾: أي تخفها.

قال أبو حيان[2]: (ولا تخافت) بصلاة الليل. وقال ابن زيد: معنى الآية على ما يفعله أهل الإنجيل والتوراة من رفع الصوت أحياناً فيرفع الناس معه، ويخفض أحياناً فيسكت الناس خلفه انتهى. كما يفعل أهل زماننا من رفع الصوت بالتلحين وطرائق النغم المتخذة للغناء.

(1) نزهة القلوب. (2) البحر المحيط.

خفض

(خفض - خفّ - حطّ - نزل)

■ **الخَفْضُ:** إنزال المكانة العالية بعد أن كانت رفيعة ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝٣﴾ [الواقعة: 1-3] أي ترفع مكانة الذليل وتخفض مكانة العظيم والعزيز.

■ **التَّخفِيفُ:** تحلية العمل في عيون العاملين باختصاره ﴿ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًاۚ﴾ [الأنفال: 66].

■ **الحَطُّ:** إنزال الشيء من علو ﴿وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَـٰيَـٰكُمْۚ﴾ [البَقَرَة: 58].

■ **الإِنْزَالُ:** والتنزيل انحطاط من علوّ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ [الكهف: 1].

❊ ❊ ❊

النصوص اللغوية:

قال الجوهري(1): الخَفْضُ: الدَعَةُ. يقال: عيشٌ خَافِضٌ. وهم في خَفْضٍ من العيش. والخَفْضُ السَيرُ الليِّنُ، وهو ضدّ الرفْع. يقال: بيني وبينك ليلةٌ خافِضَةٌ، أي: هيِّنةُ السيرِ وخَفَضْتُ الجاريةَ، مثل خَتَنْتُ الغلامَ واخْتَفَضَتْ هي. والخافِضَةُ: الخاتِنَةُ. وخَفْضُ الصوتِ: غَضُّهُ. يقال: خَفِّضْ عليك القولَ،

(1) الصحاح في اللغة.

وخَفِّضْ عليك الأمر، أي: هَوِّنْ. والخَفْضُ والجرُّ واحدٌ، وهما في الإعراب بمنزل الكسر في البناء في مُواضَعات النحويِّين. والانْخِفَاضُ: الانحطاطُ. والله يَخْفِضُ من يشاء ويرفعُ، أي: يَضَعُ.

قال الفيروزآبادي[1]: الخَفْضُ: الدَّعَةُ، وعَيْشٌ خافِضٌ، وقد خَفُضَ، ككَرُمَ، والسَّيْرُ اللَّيِّنُ، ضِدُّ الرَّفْعِ، وبمعنى الجَرِّ في الإعْرابِ، وغَضُّ الصوتِ. والخافِضُ في الأسماء الحُسْنَى: من يَخْفِضُ الجَبَّارِينَ والفراعِنَةَ ويَضَعُهُمْ. وخَفَضَ بالمكان يَخْفِضُ: أقامَ. والخافِضَةُ: التَّلْعَةُ المُطْمَئِنَّةُ، والخاتِنَةُ. وخُفِضَت الجارِيَةُ: كخُتِنَ الغُلامُ، خاصٌّ بهِنَّ. و﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾ أي: تَرْفَعُ قوماً إلى الجَنَّةِ، وتَخْفِضُ قوماً إلى النارِ. وهو خافِضُ الطيرِ، أي: وَقُورٌ. ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾ [الإسراء: 24]: تَواضَعْ لهما، أو من المَقْلُوبِ، أي: جناحَ الرَّحْمَةِ من الذُّلِّ.

و«يَخْفِضُ القِسْطَ ويَرْفَعُهُ». يبسُطُ لمن يَشاء، ويَقْدِرُ على مَنْ يَشاء.

وأرضٌ خافِضَةُ السُّقْيَا: سَهْلَةُ السَّقْيِ.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ﴾ [الإسراء: 24].

قال الفخر الرازي[2]: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾ والمقصود منه المبالغة في التواضع، وذكر القفال رحمه الله في تقريره وجهين: الأول: أن الطائر إذا أراد ضم فرخه إليه للتربية خفض له جناحه، ولهذا السبب صار خفض الجناح كناية عن حسن التربية، فكأنه قال للولد: اكفل والديك بأن تضمهما إلى نفسك

(1) القاموس المحيط. (2) التفسير الكبير.

كما فعلا ذلك بك حال صغرك. والثاني: أن الطائر إذا أراد الطيران والارتفاع نشر جناحه وإذا أراد ترك الطيران وترك الارتفاع خفض جناحه. فصار خفض الجناح كناية عن فعل التواضع من هذا الوجه.

قال أبو السعود(1): عبارةٌ عن إلانة الجانبِ والتواضعِ والتذلل لهما، فإن إعزازَهما لا يكون إلا بذلك فكأنه قيل: واخفض لهما جناحَ الذليل أو جُعل لذله جَناحٌ.

قال الشعراوي(2): ﴿وَٱخۡفِضۡ﴾: الخفْض ضد الرّفْع.

● **قال تعالى**: ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾ [الواقعة: 3].

قال ابن عاشور(3): خبرانِ لمبتدأ محذوف ضمير ﴿ٱلۡوَاقِعَةُ﴾ [الواقعة: 1]، أي: هي خافضة رافعة، أي: يحصل عندها خفض أقوامٍ كانوا مرتفعين ورَفْع أقوام كانوا منخفضين، وذلك بخفض الجبابرة والمفسدين الذين كانوا في الدنيا في رفعة وسيادة، وبرفع الصالحين الذين كانوا في الدنيا لا يعبأون بأكثرهم، وهي أيضاً خافضة جهات كانت مرتفعة كالجبال والصوامع، رافعة ما كان منخفضاً بسبب الانقلاب بالرجّات الأرضية. وإسناد الخفض والرفع إلى الواقعة مجاز عقلي إذ هي وقت ظهور ذلك. وفي قوله: ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾ محسن الطباق مع الإغراب بثبوت الضدّين لشيء واحد.

قال الخازن(4): ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾ أي: تخفض أقواماً إلى النار وترفع أقواماً إلى الجنة. وقال ابن عباس: تخفض أقواماً كانوا في الدنيا مرتفعين وترفع أقواماً كانوا في الدنيا مستضعفين، وقيل: تخفض أقواماً بالمعصية وترفع أقواماً بالطاعة.

قال الطنطاوي(5): ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾ أي: هي خافضة للأشقياء إلى أسفل الدركات، وهي رافعة للسعداء إلى أعلى الدرجات.

---

(1) إرشاد العقل السليم.
(2) تفسير الشعراوي.
(3) التحرير والتنوير.
(4) لباب التأويل.
(5) الوسيط في تفسير القرآن.

والخفض والرفع يستعملان عند العرب في المكان والمكانة. وفي العز والإهانة. . . ونسب - سبحانه - الخفض والرفع إلى القيامة على سبيل المجاز.

والمقصود بالآية الكريمة ترغيب الصالحين في الازدياد من العمل الصالح، لترفع منزلتهم يوم القيامة، وترهيب الفاسقين من سوء المصير الذي ينتظرهم، إذا ما استمروا في فسقهم وعصيانهم.

وعلى هذا يكون المقصود بالآية: التهويل من شأن يوم القيامة، حتى يستعد الخلق لاستقباله، بالإيمان والعمل الصالح، حتى لا يصيبهم فيه ما يصيب العصاة المفسدين، من خزي وهوان.

خف

(خفّ - حطّ - خفض)

■ **التَّخْفِيفُ:** تحلية العمل في عيون العاملين باختصاره ﴿ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾ [الأنفال: 66].

■ **الحَطُّ:** إنزال الشيء من علو ﴿وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَـٰيَـٰكُمْ﴾ [البَقَرَة: 58].

■ **الخَفْضُ:** إنزال المكانة العالية بعد أن كانت رفيعة ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝٣﴾ [الواقعة: 1-3] أي: ترفع مكانة الذليل وتخفض مكانة العظيم والعزيز.

* * *

شرح المعاني:

هذه منظومة اللطف الإلٰهي وهي المنظومة الذهبية من حيث أنها من خصوصيات هذه الأمة ومكانتها عند الله عز وجلّ. ومن لطف الله تعالى بهذه الأمة أن ميّز شرعها وشريعتها بالتخفيف والتيسير وتهوين الأمور واللين في التعامل، وهذا لا تجده مع بقية الأمم فشدد عليهم حتى أنه طلب من بعضهم قتل أنفسهم إذا أرادوا أن يتوب عليهم ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَـٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: 54] بينما هذه الأمة فالله تعالى وعد بأن

نبيّهم ﷺ سيأتي ويرفع عنهم إصرهم وقال ﷺ: «**إنما بُعثت ميسّراً**» و«**بعثت بالحنيفية السمحاء**».

خفف والتخفيف: إنقاص الكمّ الفعلي أو المادي. شيء ثقيل حمله ثقيل ينقص منه حتى يصبح خفيفاً فيسمى تخفيفاً ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: 28]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ [الأنفال: 65]، طلب الله تعالى من الأمة إذا فُرضت الحرب من أعدائهم أن تكون الكفّة بين المتحاربين غير متوازنة بأن يكون عشرون يغلبوا مئتين فالله تعالى خفّف عنهم فجعل مقابل كل واحد اثنين ﴿ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: 66].

التيسير: التيسير ليس في الكمّ ولكنه في الكيف. الصلاة كانت خمسون أول ما فرضت وفي كل مرة كان الرسول ﷺ يطلب من رب العالمين أن يخفف عن أمته، فخففها تعالى حتى صارت خمس صلوات. هذا هو التخفيف المادي من خمسين إلى خمس، أما التيسير فهو هذه الخمس صلوات كيف تؤديها؟ وهل شرط علينا تعالى حدّاً دقيقاً لا بد من اتباعه ولا يمكن أن تحيد عنه وإلا هلكت؟ كلا إنما تصلي قائماً وقاعداً ومضطجعاً، وشرع تعالى صلاة السفر والقصر والجمع وصلاة الخوف وجعل أداء الصلاة في غاية السهولة فهذا يسمى تيسيراً ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: 185] فالتخفيف كمّ والتيسير كيف.

التهوين: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور: 15] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِۚ

﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الرُّوم: 27] إنقاص في الاهتمام والأهمية. شيء أنت كنت مهتماً به اهتماماً عظيماً يأخذ وقتك وتفكيرك فقال تعالى: هوّن عليك، فالأمر أهون من ذلك وقلل من أهميته أو من اهتمامك به معنى ذلك أن التهوين الذي يكون قريباً من الذُلّ العبقري المشروع كأن تهون أمام والديك أو معلمك تتضاءل أمامهم بحيث لا يكون لك أهمية أمامهم، تواضع ورقة ورفق كما وصف تعالى عباد الرحمن ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا﴾ [الفُرقان: 63] لا يشعر بهم أحد. وقال ﷺ: «**المؤمن هيّن ليّن**» لا تكاد تشعر به ولهذا يقول ﷺ في دعائه: «**واقسم لنا من اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا**» تأمل لو أصابت الإنسان مصيبة كم يكون اهتمامه بها عظيماً وأهميتها عظيمة، فالله تعالى بدعاء الرسول ﷺ يرزقه الله تعالى من اليقين ما يهون عليه المصيبة ويجعلها بلا أهمية. عندما نزل القرآن على الرسول ﷺ أمره تعالى أن يقرأ القرآن على أمته على حرف، أي: قراءة واحدة لا تخرج عنها حرفاً واحداً ولا كلمة واحدة. وفي الحديث أن أُبيّ وهو من أعظم قرّاء الصحابة أن رسول الله ﷺ قال: «**إن ربي تبارك وتعالى أرسل إليّ أن اقرأ القرآن على حرف فرددت إليه أن هوّن على أمتي فأرسل إلي أن اقرأه على حرفين فرددت إليه أن هوّن على أمتي فأرسل إلي أن اقرأه على سبعة أحرف ولك بكل ردة مسألة تسألنيها قلت: اللهم اغفر لأمتي ثم اغفر لأمتي وادّخرت الثالثة ليوم يرغب إليّ فيه الخلق حتى إبراهيم عليه السلام**».

فلو قُرىء القرآن على حرف لما استطاع كثير من المسلمين ذلك، وإنما قُرىء على سبعة أحرف فتستطيع أن تقرأ القرآن بأيٍّ منها، ما لم تضع آية رحمة مكان آية عذاب أو آية عذاب مكان آية رحمة. في الحديث: «**أحبِب حبيبك هوناً ما عسى أن يكون عدوك يوماً ما وأبغِض عدوك هوناً ما عسى أن يكون حبيبك يوماً ما**» ويقول ﷺ: «**حُرِّم على النار كل هيّن ليّن سهل قريب**» والهيّن هو الذي لا يتكبر على الناس. وكان ﷺ يتحدث عن ملوك الجنة فقال: «**كل أشعث أغبر ذي طمرين مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبرّه**» مسكين متواضع هيّن في غاية الهون.

وهناك هون محمود وهو التواضع، وهناك الهوان وهو مذموم إلا في الهوان المشروع كالهوان للأبوين. وفي الحديث: «**لزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مسلم بغير حق**».

الهيّن إذن هو رجل أو شيء لا يثير فيك اهتماماً عظيماً أو أهمية عظيمة. والتهوين هو أن تجعل الشيء العظيم لا يؤبه له في الشكل الذي في ذهنك، فالمؤمن هيّن على هذا الشكل. لذلك عندما يُفجع الإنسان في أمر ما يقال له: هوّن عليك. مرَّ الرسول ﷺ بقبرين يعذبان، أحدهما كان يمشي بالنميمة والآخر كان لا يتنزه من بوله، فوضع سعفاً من النخل على القبرين وقال: «**يهوّن عليهما ما لم ييبسا**». والكفار لهم عذاب الهون فيه عذاب شديد ومشقة وإهانة عظيمة.

اللين: النقص في المعارضة الغليظة عندما يُخطئ الآخر. أحد سرق مالك مثلاً فثار غضبك، فإذا تلقيت هذا السارق في غاية اللطف واستليت من قلبه كل خوف فهذا هو اللين. وفي الحديث: «**لين الكلام صدقة**» فلو أساء أحدهم إليك فقلت: سامحك الله فهذا من اللين. تكلم ﷺ عن غرفات الجنة بشكل تعشقه العقول السليمة فسأله الصحابة: لمن هذه القصور؟ فقال: «**لمن ألان الكلام وأفشى السلام**». وفي قصة يوسف عليه السلام قال لإخوته بعد كل ما فعلوه به ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف: 92]. ومحنة الرسول ﷺ في غزوة أحد ومخالفة الرماة لأوامره ﷺ وبقاؤه وحده مع بعض الصحابة ومنهم أم عمارة وجُرِح ﷺ وهزم المسلمون، مع هذا كله لم يغضب ﷺ وكان ليناً معهم وما انتقم لنفسه أبداً. وكان ينزل ﷺ على رأي الآخرين ما لم يكن إثماً ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: 159]. والفظاظة عكس اللين.

هذه المجموعة هي المنظومة الذهبية؛ الله تعالى ييسر لهم ويخفف عنهم ويهون عليهم ويلين لهم القلوب والناس.

الأسباب التي من أجلها أصدر الله تعالى هذه الإرادات الكريمة الذهبية التي جعلها الله تعالى مع هذه الأمة دون سائر الأمم:

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾ [النساء: 26-28].

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: 185]، ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾﴾ [الشرح: 5-6]﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ﴾ [آل عِمرَان: 159].

ليس على وجه الأرض أمة واحدة تقول: أنت ربي لا إله إلا أنت، إلا أمة الإسلام. برغم ما هي عليه الأمم الأخرى من العظمة والقوة والحضارة والاختراعات، وما قدموه للكون من العلوم والتقنيات. لكن تبقى القضية الرئيسية هي التوحيد وبدونها لا أمل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النِّساء: 116] فجواز السفر إلى الجنة هو كلمة التوحيد مصدقاً بها قلبك. وما من أمة تحسن التوحيد وتمحصه وهو هاجسها في كل شيء إلا أمة الإسلام وهي أمة الله تعالى وحدها. فالمسلمون هم الوحيدون الذين يصلون ويصومون ويحجون ويصلون الأرحام ويحسنون الجوار ويبرون الوالدين ويتلطفون بالأعداء ويسامحونهم دون حقد ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾ [آل عمران: 110] بهذا التوحيد تحقن دمك وتصبح من عباد الله تعالى لا من عبيده وأنت مختار. قال الرسول ﷺ: «**لا أخشى عليكم أن تشركوا بعدي أبداً**» أما باقي الأمم فهي تغير دينها كما تغير ملابسها. فهذه أمة مرحومة مباركة كما قال ﷺ: «**إن أمتي هذه أمة مرحومة لا عذاب عليها في الآخرة عجّل الله عذابها في الدنيا الزلازل والقتل**»

وقال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ [البَقَرَة: 155].

الأمم تقارن بحضاراتها والتزاماتها، وما من أمة على وجه الأرض خير من أمة الإسلام من حيث مصدرها. ولا ننكر أن هناك أمماً كثيرة فيها إخلاص في العمل وفيها عدل كثير، لكن منطلق هذا كله ليس من عند الله تعالى على عكس المسلمين ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ [آل عمران: 7] هذا الإبداع لا قيمة له عند الله تعالى إلا إذا انطلق من مبدأ توحيد الله عز وجل. وسوف تبقى خير أمة من حيث كتابها وشرعها وحضارتها والتزامها مهما مرّت به من ضعف وهذا من قوانين الكون. من أجل هذا خصّ الله تعالى هذه الأمة بالرحمة والتخفيف والتهوين والتيسير، لذا لا عذر لمسلم أن يدخل النار. وعد الله تعالى أن كل مصلٍّ لا بد أن تكون حسناته أكثر من سيئاته لأن الصلاة تكفر الذنوب. وحديث الرسول ﷺ: «**أرأيتم إن كان بباب أحدكم نهر...**» وعلى المسلمين أن يحذروا الغيبة لأنها تأكل الحسنات.

سأل أحد الخلفاء أبو أمامة فقال: علّمني ألين كلمة سمعتها من رسول الله ﷺ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ألا كلكم يدخل الجنة إلا من شرد على الله شِراد البعير على أهله**». وفي الحديث عن أهل اليمن: «**أهل اليمن هم ألين قلوباً وأرق أفئدة**» «**الإيمان يمان**».

التخفيف والتيسير جماع هذه الأمة ولو استعرضنا النصوص في التخفيف لوجدناها عجيبة. والرسول ﷺ كان يغضب غضباً عظيماً إذا كان هناك من لا يخفف عن الأمة وقد قال ﷺ: «**إن فيكم قوماً فتّانين**». وعن عثمان بن أبي العاص: آخر ما عهد إليّ النبي ﷺ: «**إذا أمّيت قوماً فأخف بهم الصلاة فإذا صليت لنفسك صلّ كما تشاء**». وعن أبو محجن قال: أقبلت مع رسول الله حتى إذا كنا بباب المسجد إذا رجل يصلي يسجد ويركع ويسجد ويركع فلما سأله عنه ﷺ أخبره أنه من أحسنهم فقال ﷺ: «**إنكم أمة أريد بكم اليُسر**».

التليين: في الحديث الشريف عنه ﷺ: «**إذا بلغ العبد المؤمن أربعين سنة وقاه الله أنواع البلايا الجنون والجذام والبرص، إذا بلغ الخمسين ليّن الله له في الحساب، فإذا بلغ الستين رزقه الله الإنابة إليه بما يحبه الله فإذا بلغ السبعين أحبه الله وأحبه أهل السماء فإذا بلغ الثمانين غفر الله ذنوبه فإذا بلغ التسعين غفر الله له ما تقدم وما تأخر وشفّعه في أهل بيته وسُمي عتيق الرحمن في الأرض وفي رواية أسير الرحمٰن في الأرض**».

وتقول السيدة عائشة رضي الله عنها أنه ﷺ كان يترك العمل وهو يحب أن يعمله خشية أن يستنّ به الناس.

وعن أبي سعيد الخدري قيل لرسول الله ﷺ: يوماً كان مقداره خمسين ألف سنة ما أطول هذا اليوم يا رسول الله؟ فقال ﷺ: «**والذي نفسي بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا**».

ويقول ﷺ عندما كان يرى الناس يطيلون الصلاة: «**يا أيها الناس إن منكم منفّرين فأيّكم صلّى في الناس فليخفف فإن فيهم الضعيف والكبير وذا الحاجة**».

التيسير: قال: ﷺ «**ما منكم واحد إلا وقد علم مكانه في الجنة أو النار**» قالوا: فلم العمل يا رسول الله، قال: «**لا، اعملوا فكل ميسّر لما خُلِق له**» حينئذ هذا العمل هو الذي يستدرج هذه النتيجة. الله تعالى يعلم أن فلاناً سيبدأ سيئاً وينتهي حسناً أو العكس وكل ذلك بأسباب، وهو تعالى يهيىء لك على قدر ما في نفسك من الصلاح. «**يؤتى برجل يوم القيامة فيقول الله عز وجلّ: انظروا في عمله فيقول: رب ما كنت أعمل خيراً غير أنه كان لي مالاً وكنت أخالط الناس فمن كان موسراً يسّرت عليه ومن كان معسراً أنظرته إلى ميسرة قال تعالى: أنا أحق من يسّر غفرت لعبدي**».

أسباب التيسير عجيبة والله تعالى عنده أسباب النجاة. والله تعالى يسّر على الناس وهناك أعمال تسمى الواحدة كالمومس التي سقت كلباً والبارّ بوالديه والذي يسامح في البيع وكاظم الغيظ، ومن ضمنها تاجر يسامح الناس ويسهل الأمور.

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الخاء والفاء أصلٌ واحد، وهو شيءٌ يخالف الثِّقَل والرَّزانة. يقال: خَفَّ الشّيءُ يَخِفُّ خِفَّةً، وهو خَفِيفٌ وخُفَافٌ. ويقال: أَخَفَّ الرّجُل: إذا خَفَّت حالُه. وأخَفَّ: إذا كانت دابّتُه خَفِيفَةً. وخَفَّ القومُ: ارتحلوا. فأمّا الخُفُّ فمن الباب لأنّ الماشيَ يَخِفُّ وهو لابِسُه. وخُفُّ البَعير منه أيضاً. وأمّا الخُفُّ في الأرض وهو أطول من النَّعل فإنّه تشبيهٌ. [وَ] الخِفُّ: الخَفِيف.

فأمّا أصوات الكلاب فيقال لها الخَفْخَفَةُ، فهو قريبٌ من الباب.

قال ابن منظور[2]: الخَفَّةُ والخِفّةُ: ضِدُّ الثِّقَلِ والرُّجُوحِ، يكون في الجسم والعقلِ والعملِ. خَفَّ يَخِفُّ خَفّاً وخِفَّةً: صار خَفِيفاً، فهو خَفِيفٌ وخُفَافٌ، بالضم وقيل: الخَفِيفُ في الجسم، والخُفَافُ في التَّوَقُّد والذكاء، وجمعها خِفَافٌ.

والخُفُّ: خُفُّ البعير، وهو مَجْمَعُ فِرْسِن البعير والناقة، تقول العرب: هذا خُفُّ البعير وهذه فِرْسِنُه. وفي الحديث: لا سَبَق إلا في خُفٍّ أَو نَصْلٍ أَو حافر، فالخُفُّ الإبل ههُنا، والحافِرُ الخيلُ، والنصلُ السهمُ الذي يُرمى به، ولا بدّ من حذف مضاف، أَي لا سَبَقَ إلا في ذي خفّ أَو ذي حافِرٍ أَو ذي نَصْلٍ.

قال الراغب[3]: الخَفِيفُ: بإزاء الثقيل، ويقال ذلك تارة باعتبار المضايفة بالوزن، وقياس شيئين أحدهما بالآخر، نحو: درهم خَفِيفٌ، ودرهم ثقيل. والثاني: يقال باعتبار مضايفة الزمان، نحو: فرس خَفِيفٌ، وفرس ثقيل: إذا عدا أحدهما أكثر من الآخر في زمان واحد. الثالث: يقال خَفِيفٌ فيما يستحليه الناس، وثقيل فيما يستوخمه، فيكون الخفيف مدحاً، والثقيل ذمًّا، ومنه قوله تعالى: ﴿ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ﴾ [الأنفال: 66]، ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ﴾ [البقرة: 86].

---

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) اللسان.
(3) مفردات الراغب.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى:** ﴿ٱلۡـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمۡ﴾ [الأنفال: 66].

قال الألوسي[1]: ومن هنا قال النصرآباذي: إن هذا التخفيف كان للأمة دون رسول الله ﷺ فإنه الذي يقول: بك أصول وبك أحول، وتقييد التخفيف بالآن ظاهر وأما تقييد علم الله تعالى به فباعتبار تعلقه، وقد قالوا: إن له تعلقاً بالشيء قبل الوقوع وحال الوقوع وبعده، وقال الطيبي: المعنى الآن خفف الله تعالى عنكم لما ظهر متعلق علمه أي كثرتكم التي هي موجب ضعفكم بعد ظهور قلتكم وقوتكم.

قال ابن عاشور[2]: أنزل الله ﴿ٱلۡـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمۡ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمۡ ضَعۡفٗاۚ﴾ فعبّأ لكلّ رجل من المسلمين رجلين من المشركين، فهذا حكم وجوب نسخ بالتخفيف الآتي، قال ابن عطية: وذهب بعض الناس إلى أنّ ثبوت الواحد للعشرة إنّما كان على جهة ندب المؤمنين إليه ثم حطَّ ذلك حين ثقل عليهم إلى ثبوت الواحد للاثنين.

فمعنى قوله: ﴿ٱلۡـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمۡ﴾ أنّ التخفيف المناسب لِيُسْر هذا الدين روعي في هذا الوقت، ولم يراع قبله لمانع منَع من مراعاته فرُجّح إصلاح مجموعهم.

● **قال تعالى:** ﴿حَمَلَتۡ حَمۡلًا خَفِيفٗا﴾ [الأعراف: 189].

قال الزمخشري[3]: ﴿حَمَلَتۡ حَمۡلًا خَفِيفٗا﴾ خفَّ عليها، ولم تلق منه ما يلقى بعض الحبالى من حملهن من الكرب والأذى، ولم تستثقله كما يستثقلنه. وقد

(1) روح المعاني.
(2) التحرير والتنوير.
(3) الكشاف.

تسمع بعضهن تقول في ولدها: ما كان أخفه على كبدي حين حملته ﴿فَمَرَّتْ بِهِۦ﴾ فمضت به إلى وقت ميلاده من غير إخداج ولا إزلاق وقيل: ﴿حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا﴾ يعني النطفة.

قال الطبري[1]: وقوله: ﴿حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا﴾ يعني بخفة الحمل: الماء الذي حملته حوّاء في رحمها من آدم أنه كان حملاً خفيفاً، وكذلك هو حمل المرأة ماء الرجل خفيف عليها.

● **قال تعالى**: ﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ﴾ [الزخرف: 54].

قال الفخر الرازي[2]: أي طلب منهم الخفة في الإتيان بما كان يأمرهم به فأطاعوه.

قال القرطبي[3]: قيل: استفزّهم بالقول فأطاعوه على التكذيب. وقيل: استخف قومه أي: وجدهم خفاف العقول. وهذا لا يدل على أنه يجب أن يطيعوه، فلا بدّ من إضمارٍ بعيد تقديره وجدهم خفاف العقول فدعاهم إلى الغواية فأطاعوه. وقيل: استخف قومه وقهرهم حتى اتبعوه؛ يقال: استخفه خلاف استثقله، واستخف به أهانه.

قال الراغب[4]: أي: حملهم أن يخفوا معه، أو وجدهم خفافاً في أبدانهم وعزائمهم، وقيل: معناه وجدهم طائشين.

● **قال تعالى**: ﴿وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الرُّوم: 60].

قال الزمخشري[5]: أي: لا يفتننك فيملكوك ويكونوا أحق بك من المؤمنين.

قال القرطبي[6]: ﴿وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ أي: بل اثبت على ما

(1) جامع البيان.
(2) التفسير الكبير.
(3) الجامع لأحكام القرآن.
(4) مفردات الراغب.
(5) الكشاف.
(6) الجامع لأحكام القرآن.

بعثك الله به، فإنه الحق الذي لا مرية فيه، ولا تعدل عنه، وليس فيما سواه هدى يتبع، بل الحق كله منحصر فيه.

قال البغوي[1]: ﴿وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ﴾، ولا يستجهلنك، معناه: لا يحملنّك الذين لا يوقنون على الجهل واتباعهم في الغي. وقيل: لا يستخفن رأيك وحلمك.

(1) معالم التنزيل.

خفي

(خفي - بطن - غاب - غرب - كسف - خسف)

- **الخَفَاءُ:** استتار البدن أو الصوت ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ﴾ [الأعراف: 55].
- **البَاطِنُ:** كل ما لا يرى بالعين المجردة ﴿وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَبَاطِنَهُۥٓۚ﴾ [الأنعام: 120].
- **الغِيَابُ:** ما استتر عنه العين عمداً ﴿وَمَا مِنۡ غَآئِبَةٖ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [النمل: 75].
- **الغُرُوبُ:** إخفاء الشمس أو القمر المعتاد ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغۡرِبَ ٱلشَّمۡسِ﴾ [الكهف: 86].
- **الكُسُوفُ:** اختفاء الشمس الشاذ.
- **الخُسُوفُ:** اختفاء القمر الشاذ.

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس(1): الخاء والفاء والياء أصلان متباينان متضادّان. فالأوّل: السَّتْر، والثاني: الإظهار. فالأوّل: خَفِيَ الشَّيءُ يَخْفَى؛ وأَخْفَيْتُه، وهو في خِفْيَةٍ وخَفاءٍ. إذا ستَرْتَه، ويقولون: بَرِحَ الخَفَاء، أي: وَضَحَ السِّرُّ وبدا. ويقال لما دُونَ

(1) معجم مقاييس اللغة.

رِيشات الطائر العشر، اللواتي في مقدم جناحه: الخَوَافِي. والخَوَافِي: سَعَفاتٌ يَلِين قَلْب النَّخلة. والخَافي: الجنّ. ويقال للرّجُل المستتر: مُسْتَخْفٍ. والأصل الآخر: خفا البرقُ خَفْواً: إذا لمع، ويكون ذلك في أدنى ضعف. ويقال: خَفَيْتُ [الشَّيءَ] بغَيْر ألِفٍ: إذا أظهرتَه. وخَفَا المطَرُ الفَأر من جِحَرَتهنّ: أخْرجَهن.

ويقرأ على هذا التأويل: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا﴾ [طه: 15] أي: أُظهِرُها.

قال الجوهري[1]: وخَفَى عليه الأثر يَخْفى خَفاءً، ممدودٌ. ويقال أيضاً: بَرَحَ الخَفاءُ، أي: وضَح الأمر. والخَوَافِي: ما دون الريشات العشر من مقدّم الجناح. والخَوَافِي من السَعَف: ما دون القِلَبَةِ من النَخلة. وهي في لغة أهل الحجاز العَواهِن. واسْتَخْفَيْتُ منك، أي: تواريت. ولا تقل: اخْتَفَيْتُ. وخَفَا البرق يَخْفُو خُفُوّاً، ويَخْفى خَفْياً: إذا لَمَعَ لمعاً ضعيفاً معترضاً في نواحي الغيم. واسْتَخْفَيْتُ الشيءَ، أي: استخرجتُه. والمُخْتَفي: النَبّاش، لأنَّه يستخرج الأكفان. والأَخْفِيَةُ الأكسية، والواحد خِفاءٌ، لأنّها تُلقى على السقاء. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا﴾ ويقرأ: «أَخْفيها»، أي: أزيل عنها خفاءَها، أي: غِطاءها.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةً﴾ [الأعراف: 55].

قال الفخر الرازي[2]: «والخفية» ضد العلانية. يقال: أخفيت الشيء إذا سترته، ويقال: «خفية» أيضاً بالكسر، وقرأ عاصم وحده في رواية أبي بكر عنه «خفية» بكسر الخاء هٰهنا وفي الأنعام، والباقون بالضم، وهما لغتان: واعلم أن

(1) الصحاح في اللغة. (2) التفسير الكبير.

الإخفاء معتبر في الدعاء، ويدل على وجوه: الأول: هذه الآية فإنها تدل على أنه تعالى أمر بالدعاء مقروناً بالإخفاء، وظاهر الأمر للوجوب، فإن لم يحصل الوجوب، فلا أقل من كونه ندباً.

قال الماورديّ(1): قوله عز وجل: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ﴾ فيه وجهان: أحدهما: في الرغبة والرهبة، قاله ابن عباس. والثاني: التضرع: التذلل والخضوع، والخفية: إخلاص القلب. ويحتمل أن التضرع بالبدن، والخفية إخلاص القلب.

قال البغوي(2): ﴿وَخُفۡيَةًۚ﴾، أي: سرّاً. قال الحسن: بينَ دعوةِ السرّ ودعوة العلانية سبعون ضعفاً، ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء وما يُسمع لهم صوت، وإنْ كان إلاّ همساً بينهم وبين ربِّهم، ذلك أن الله سبحانه يقول: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ﴾، وإنّ الله ذكرَ عبداً صالحاً ورضيَ فعله فقال: ﴿إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيّٗا﴾ [مريم: 3].

● **قال تعالى**: ﴿إِن تُبۡدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَۖ وَإِن تُخۡفُوهَا وَتُؤۡتُوهَا ٱلۡفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ﴾ [البقرة: 271].

قال الزمخشري(3): ﴿وَإِن تُخۡفُوهَا وَتُؤۡتُوهَا ٱلۡفُقَرَآءَ﴾ وتصيبوا بها مصارفها مع الإخفاء ﴿فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ﴾ فالإخفاء خير لكم. والمراد الصدقات المتطوّع بها، فإنّ الأفضل في الفرائض أن يجاهر بها. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: «صدقات السر في التطوّع تفضل علانيتها سبعين ضعفاً، وصدقة الفريضة علانيتها أفضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفاً» وإنما كانت المجاهرة بالفرائض أفضل، لنفي التهمة، حتى إذا كان المزكي ممن لا يعرف باليسار كان إخفاؤه أفضل، والمتطوّع إن أراد أن يقتدى به كان إظهاره أفضل.

---

(1) النكت والعيون.
(2) معالم التنزيل.
(3) الكشاف.

قال الطبري(1): وَإِنْ تُخْفُوها يقول: وإن تستروها فلم تعلنوها وتؤتوها الفُقَرَاءَ يعني: وتعطوها الفقراء في السرّ، فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ يقول: فإخفاؤكم إياها خير لكم من إعلانها. وذلك في صدقة التطوّع.

قال أبو السعود(2): ﴿وَإِن تُخْفُوهَا﴾ أي: تعطوها خُفية ﴿وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ﴾ ولعل التصريحَ بإيتائها الفقراءَ مع أنه واجبٌ في الإبداء أيضاً لما أن الإخفاءَ مظِنةُ الالتباسِ والاشتباه، فإن الغنيَّ ربما يدّعي الفقرَ ويُقدمُ على قَبول الصدقةِ سرًّا ولا يفعل ذلك عند الناس ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ أي: فالإخفاءِ خيرٌ لكم من الإبداء وهذا في التطوع، ومن لم يعرف بالمال وأما في الواجب فالأمرُ بالعكس لدفع التهمة، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: صدقةُ السر في التطوع تفضُل علانيتها سبعين ضعفاً وصدقةُ الفريضة علانيتُها أفضلُ من سرّها بخمسة وعشرين ضِعفاً.

● **قال تعالى**: ﴿بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ﴾ [الأنعام: 28].

قال ابن عاشور(3): تقديره: بل بدا لهم ما كان يبدو لهم في الدنيا فأظهروه الآن وكانوا يخفونه. وذلك أنّهم كانوا يخطر لهم الإيمان لما يرون من دلائله أو من نصر المؤمنين فيصدّهم عنه العناد والحرص على استبقاء السيادة والأنفة من الاعتراف بفضل الرسول وبسبق المؤمنين إلى الخيرات قبلهم، وفيهم ضعفاء القوم وعبيدهم.

قال الألوسي(4): قيل: المراد بما كانوا يخفونه قبائحهم من غير الشرك التي كانوا يكتمونها عن الناس فتظهر في صحفهم وبشهادة جوارحهم عليهم، وقيل: المراد به الشرك الذي أنكروه في بعض مواقف القيامة بقولهم: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: 23]، وقيل: المراد به أمر البعث والنشور، والضمير المرفوع لرؤساء الكفار والمجرور لأتباعهم أي ظهر للتابعين ما كان الرؤساء المتبوعون يخفونه في الدنيا عنهم من أمر البعث والنشور.

---

(1) جامع البيان.
(2) إرشاد العقل السليم.
(3) التحرير والتنوير.
(4) روح المعاني.

قال الفخر الرازي[1]: قال بعضهم: هذه الآية في المنافقين، وقد كانوا يسرون الكفر ويظهرون الإسلام، وبدا لهم يوم القيامة، وظهر بأن عرف غيرهم أنهم كانوا من قبل منافقين. وقيل: بدا لهم ما كان علماؤهم يخفون من جحد نبوّة الرسول ونعته وصفته في الكتب والبشارة به، وما كانوا يحرفونه من التوراة مما يدل على ذلك.

● **قال تعالى:** ﴿وَأَنَا۠ أَعۡلَمُ بِمَآ أَخۡفَيۡتُمۡ﴾ [الممتحنة: 1].

قال الطبري[2]: يقول: وأنا أعلم منكم بما أخفى بعضكم من بعض، فأسره منه.

قال أبو السعود[3]: ﴿بِمَآ أَخۡفَيۡتُمۡ وَمَآ أَعۡلَنتُمۡۚ﴾ ومُطْلعٌ رسولِي عَلى ما تسرونَ فأيُّ طائلٍ لكم في الإسرارِ.

قال الفخر الرازي[4]: أخفيتم: المودة للكفار.

---

(1) التفسير الكبير.
(2) جامع البيان.
(3) إرشاد العقل السليم.
(4) التفسير الكبير.

خل

(خل - بين - وسط - آناء)

(خليل - خدن - صاحب - صديق - رفيق)

■ **الخِلَالُ:** ما يكون بين شيئين متلاصقين ﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنۡهَٰرٗا﴾ [النمل: 61].

■ **البَيْنُ:** ما يكون بين شيئين منفصلين ﴿وَحَفَفۡنَٰهُمَا بِنَخۡلٖ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمَا زَرۡعٗا﴾ [الكهف: 32].

■ **الوَسَطُ:** ما يكون بين شيئين متساويين ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ﴾ [البقرة: 238].

■ **الآناء:** ما يكون بين الأوقات ﴿يَتۡلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ﴾ [آل عمران: 113].

■ **الخليلُ:** الصاحب الوفي ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا﴾ [النساء: 125].

■ **الخِدْنُ:** الصاحب بشهوة ﴿وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخۡدَانٖۚ﴾ [النساء: 25].

■ **الصَّاحِبُ:** بالملازمة والانتماء ﴿إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ﴾ [التوبة: 40].

■ **الصَّدِيقُ:** الصاحب الناصح الزاجر المعلّم ﴿أَوۡ بُيُوتِ أَخۡوَٰلِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمۡ أَوۡ مَا مَلَكۡتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوۡ صَدِيقِكُمۡۚ﴾ [النور: 61]. .

■ **الرَّفِيقُ:** الصاحب المعين على الشدة ﴿وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾ [النساء: 69].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الخاء واللام أصلٌ واحد يتقارب فروعُه، ومرجعُ ذلك إمَّا إلى دِقَّةٍ أو فُرْجة. والبابُ في جميعِها متقاربٌ. فالخِلَالُ واحد الأخِلَّة. ويقال: فلانٌ يأكل خِلَلَه وخُلَالَته، أي ما يُخْرِجُه الخِلَالُ من أسنانه. والخَلُّ خَلُّكَ الكِساءَ على نفسك بالخِلال. فأمّا الخليلُ الذي يُخَالُّك، فمِن هذا أيضاً، كأنَّكما قد تخالَلتُما، كالكِساء الذي يُخَلُّ. ومن الباب الرجل الخَلُّ: وهو النَّحيف الجِسم.

ويقال لابن المَخَاض خَلٌّ، لأنه دقيق الجسم. والخَلُّ: الطَّريق في الرَّمل لأنّه يكون مُستَدِقّاً. ومنه الخَلاَل، وهو البَلَح. فأمَّا الفُرجة فالخَلَل بينَ الشَّيئين. ويقال: خَلَّل الشيءَ: إذا لم يَعُمّ. ومنه الخَلَّة الفَقْر؛ لأنه فُرْجة في حالِه. والخَلِيلُ: الفقير.

والخِلَّة: جَفْن السَّيف، والجمعُ خِلَلٌ. فأما الخِلَل وهي السُّيور التي تُلْبَسُ ظُهورَ السِّيَتَيْنِ فذلك لدِقَّتها، كأنَّ كلّ واحدةٍ منها خِلَّةٌ. والخَلُّ: عِرْقٌ في العُنُق مُتَّصلٌ بالرأس. والخَلْخَال من الباب أيضاً، لدقّته.

قال الفيروزآبادي[2]: الخَلُّ: ما حَمُضَ من عَصيرِ العِنَبِ وغَيْرِهِ، عَرَبِيٌّ صَحيحٌ، والطائِفَةُ منه: خَلَّةٌ، وأجْوَدُهُ خَلُّ الخَمْرِ، مُرَكَّبٌ من جَوْهَرَيْنِ حارٍّ وبارِدٍ، نافِعٌ للمَعِدَةِ واللِّثَةِ والقُروحِ الخَبيثَةِ والحِكَّةِ ونَهْشِ الهَوامِّ وأكْلِ الأفْيونِ وحَرْقِ النارِ وأوجاعِ الأسْنانِ، وبُخارُ حارِّه للاِسْتِسْقاءِ وعُسْرِ السَّمْعِ والدَّوِيِّ والطَّنينِ. والخَلُّ أيضاً: الطريقُ يَنْفُذُ في الرَّمْلِ، أو النافِذُ بين رَمْلَتَيْنِ، أو النافِذُ في الرَّمْلِ المُتَرَاكِمِ، ويُؤَنَّثُ، أخُلٌّ وخِلالٌ، والنحيفُ المُخْتَلُّ الجِسْمِ، كالخَليلِ، والثَّوبُ البالي، وعِرْقٌ في العُنُقِ، وفي الظَّهْرِ، وابنُ المَخاضِ، كالخَلَّةِ، وهي:

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) القاموس المحيط.

بهاءٍ أيضاً، والقليلُ الريشِ من الطيرِ، والحَمْضُ، والمَهْزولُ، والسَّمينُ، ضِدٌّ، والفَصيلُ، والشَّرُّ، والشَّقُّ في الثَّوبِ.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى:** ﴿فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾ [النور: 43].

قال الزمخشري(1): ﴿مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾ من فتوقه ومخارجه: جمع خلل، كجبال في جبل. وقرىء: «من خلله».

قال أبو السعود(2): ﴿يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾ أي: من فتوقِه. حالٌ من الوَدْق لأنَّ الرُّؤيةَ بصريَّةٌ وفي تعقيب الجعلِ المذكورِ برؤيته خارجاً لا بخروجه من المبالغةِ في سرعةِ الخُروج على طريقة قوله تعالى: ﴿أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ﴾ [الشعراء: 63] ومن الاعتناءِ بتقرير الرُّؤيةِ ما لا يخفى. والخِلالُ جمع خَلَلٍ كجِبَالٍ وجَبَلٍ، وقيل: مفردٌ كحِجابٍ وحِجاز ويؤيِّده أنَّه قُرِىء من خَلَلِه.

● **قال تعالى:** ﴿فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ﴾ [الإسراء: 5].

قال ابن عاشور(3): (خلال) اسم جاء على وزن الجموع ولا مفرد له، وهو وسط الشيء الذي يتخلل منه.

قال الألوسي(4): ﴿خِلَٰلَ﴾ اسم مفرد ولذا قرأ الحسن (خلل) ويجوز أن يكون خلال جمع خلل كجبال جمع جبل.

● **قال تعالى:** ﴿وَلَأَوْضَعُواْ خِلَٰلَكُمْ﴾ [التوبة: 47].

(1) الكشاف.
(2) إرشاد العقل السليم.
(3) التحرير والتنوير.
(4) روح المعاني.

قال القرطبي[1]: ﴿وَلَأَوْضَعُواْ خِلَٰلَكُمْ﴾ المعنى: لأسرعوا فيما بينكم بالإفساد. والإيضاع: سرعة السير.

يقال: وَضع البعيرُ: إذا عدا، يضع وضعاً ووضوعاً: إذا أسرع السير. وأوضعته: حملته على العَدْوِ. وقيل: الإيضاع سير مثلُ الخَبَب. والخلل الفرجة بين الشيئين؛ والجمع الخلال، أي: الفُرَج التي تكون بين الصفوف. أي: لأوضعوا خلالكم بالنميمة وإفساد ذات البين.

قال العزّ بن عبدالسلام[2]: والخِلال: الفُرج، المعنى ولأسرعوا في اختلالكم، أو لأوقعوا الخلف بينكم.

قال الشعراوي[3]: ﴿وَلَأَوْضَعُواْ خِلَٰلَكُمْ﴾ أي: أنهم كانوا سيُحْدثون فُرْقة بين صفوف المؤمنين ويُفرِّقونهم، وسيتغلغلون بينهم للإفسَاد؛ لأن الخلال هو الفُرْجة بين الشيئين أو الشخصين، فيدخل واحد منهم بين فريق من المؤمنين فيفسد، وآخر يفسد فريقاً آخر، وهكذا يمشون خلال المؤمنين ليفرقوا بينهم.

● **قال تعالى**: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النِّساء: 125].

قال الطبري[4]: القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾.

يعني بذلك جلّ ثناؤه: واتخذ الله إبراهيم وليًّا.

فإن قال قائل: وما معنى الخُلة التي أعطيها إبراهيم؟ قيل: ذلك من إبراهيم عليه السلام العداوة في الله والبغض فيه، والولاية في الله والحبّ فيه، على ما يُعرف من معاني الخلة. وأما من الله لإبراهيم، فنصرته على من حاوله بسوء، كالذي فعل به إذا أراده نمروذ بما أراده به من الإحراق بالنار، فأنقذه منها، وأعلى حجته عليه إذ حاجه، وكما فعل ملك مصر إذ أراده عن أهله، وتمكينه مما أحبّ، وتصييره إماماً لمن بعده من عباده وقدوة لمن خلفه في طاعته وعبادته، فذلك معنى

(1) الجامع لأحكام القرآن.
(2) التفسير العظيم.
(3) تفسير الشعراوي.
(4) جامع البيان.

مخالّته إياه. وقد قيل: سماه الله خليلاً من أجل أنه أصاب أهل ناحيته جدب، فارتحل إلى خليل له من أهل الموصل - وقال بعضهم: من أهل مصر في امتيار طعام لأهله من قبلَه فلم يصب عنده حاجته، فلما قرب من أهله مرّ بمفازة ذات رمل، فقال: لو ملأت غرائري من هذا الرمل لئلا أغمّ أهلي برجوعي إليهم بغير ميرة، وليظنوا أني قد أتيتهم بما يحبون! ففعل ذلك، فتحوّل ما في غرائره من الرمل دقيقاً، فلما صار إلى منزله نام وقام أهله، ففتحوا الغرائر فوجدوا دقيقاً، فعجنوا منه وخبزوا، فاستيقظ فسألهم عن الدقيق الذي منه خبزوا، فقالوا: من الدقيق الذي جئت به من عند خليلك، فعلم، فقال: نعم هو من خليلي الله. قالوا: فسماه الله بذلك خليلاً.

● **قال تعالى**: ﴿لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ﴾ [البقرة: 254].

قال الزمخشري[1]: ﴿وَلَا خُلَّةٌ﴾ حتى يسامحكم أخلاؤكم به. وإن أردتم أن يحط عنكم ما في ذمّتكم من الواجب لم تجدوا شفيعاً يشفع لكم في حط الواجبات.

قال ابن كثير[2]: أي: لا يباع أحد من نفسه، ولا يفادى بمال لو بذله، ولو جاء بملء الأرض ذهباً، ولا تنفعه خلة أحد، يعني: صداقته، بل ولا نسابته، كما قال: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [المؤمنون: 101].

(1) الكشاف.
(2) تفسير ابن كثير.

خلد

(خلد - بقي - ظلّ - دام)

- **الخُلْدُ:** الثبات على حاله الأولى من غير اعتراض الفساد. ﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: 176].
- **البَقاءُ:** ثبات الشيء على حاله الأولى، وهو ضد الفناء. ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ﴾ [الكهف: 46].
- **الظَّلُّ:** - بالفتح - ثبات على فعل في النهار. ﴿لَّظَلُّواْ مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ﴾ [الرُّوم: 51].
- **الدَّوَامُ:** الثبات على حالة السكون لفعل. ﴿إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا﴾ [آل عمران: 75].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الخاء واللام والدال أصلٌ واحدٌ يدلُّ على الثبات والملازمَة، فيقال: خَلَدَ: أقام، وأخلَدَ أيضاً. ومنه جَنَّةُ الخُلْدِ.

قال الله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: 176]. فأما قوله تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ [الإنسان: 19]، [فهو] من الخُلْد، وهو البقاء، أي: لا يموتون. وقال آخرون: من الخِلَد، والخِلَدُ: جمع خِلَدة وهي القُرْط. فقوله: مُخَلَّدُونَ أي: مقرَّطون مشنَّفون.

(1) معجم مقاييس اللغة.

قال: ومخَلّدَاتٌ باللُّجَينِ كأنَّما أعجازُهُنَّ أَقاوِزُ الكُثْبَان

وهذا قياسٌ صحيح، لأنّ الخِلَدةَ ملازمةٌ للأُذُن. والخَلَد البال، وسمِّي بذلك لأنّه مستقرٌّ [في] القلب ثابتٌ.

قال الجوهري[1]: الخُلْدُ: دوامُ البقاء. تقول: خَلَدَ الرجلُ يخلُدُ خُلوداً. وأخلَدَه الله وخَلَّدَه تخليداً. وقيل لأثافيّ الصخور: خَوالِدُ، لبقائها بعد دُروس الأطلال.

والخُلْدُ أيضاً: ضربٌ من الجُرذان أعمى. وأَخْلَدْتُ إلى فلان، أي: رَكَنت إليه.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ﴾ إلى الأرض بالمكان: أقام فيه. وأَخْلَدَ الرجل بصاحبه: لَزِمَهُ. ورجل مُخْلِدٌ: إذا أَسَنَّ ولم يَشِبْ. والخَلَدُ البال. يقال: وقع ذلك في خَلَدي: أي في رُوعي وقلبي.

قال الراغب[2]: الخلود: هو تبري الشيء من اعتراض الفساد، وبقاؤه على الحالة التي هو عليها، وكل ما يتباطأ عنه التغيير والفساد تصفه العرب بالخُلُود، كقولهم للأثافي: خَوَالِدُ، وذلك لطول مكثها لا لدوام بقائها. يقال: خَلَدَ يَخْلُدُ خُلُوداً، قال تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ [الشعراء: 129]، والخَلْدُ: اسم للجزء الذي يبقى من الإنسان على حالته، فلا يستحيل ما دام الإنسان حيًّا استحالة سائر أجزائه، وأصل المُخَلَّدُ: الذي يبقى مدة طويلة ومنه قيل: رجل مُخَلَّدٌ لمن أبطأ عنه الشيب، ودابة مُخَلَّدَةٌ: هي التي تبقى ثناياها حتى تخرج رباعيتها، ثم استعير للمبقي دائماً. والخُلُودُ في الجنة: بقاء الأشياء على الحالة التي عليها من غير اعتراض الفساد عليها.

---

(1) الصحاح في اللغة.
(2) مفردات الراغب.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى:** ﴿لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ [الشُّعَرَاء: 129].

قال الألوسي[1]: ﴿لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ أي راجين أن تخلدوا في الدنيا أو عاملين عمل من يرجو الخلود فيها فلعل على بابها من الرجاء، وقيل: هي للتعليل وفي قراءة عبد الله (كى تخلدون). وقال ابن زيد: هي للاستفهام على سبيل التوبيخ والهزء بهم أي: هل أنتم تخلدون؟ وكون لعل للاستفهام مذهب كوفي، وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: المعنى كأنكم خالدون وقرىء بذلك كما روي عن قتادة، وفي حرف أبي (كأنكم تخلدون) وظاهر ما ذكر أن لعل هنا للتشبيه، وحكى ذلك صريحاً الواحدي.

قال الفخر الرازي[2]: ﴿لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ ترجون الخلد في الدنيا أو يشبه حالكم حال من يخلد، وفي مصحف أبي: (كأنكم)، وقرىء (تخلدون) بضم التاء مخففاً ومشدداً، واعلم أن الأول إنما صار مذموماً لدلالته إما على السرف، أو على الخيلاء، والثاني: إنما صار مذموماً لدلالته على الأمل الطويل والغفلة عن أن الدنيا دار ممر لا دار مقر.

قال الماورديّ[3]: ﴿لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ أي: كأنكم تخلدون باتخاذكم هذه الأبينة، وحكى قتادة:

أنها في بعض القراءات: كأنكم خالدون.

● **قال تعالى:** ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: 82].

قال الطبري[4]: يعني أهلها الذين هم أهلها ﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾، مقيمون

---

(1) روح المعاني.
(2) التفسير الكبير.
(3) النكت والعيون.
(4) جامع البيان.

أبداً. وإنما هذه الآية والتي قبلها إخبار من الله عباده عن بقاء النار وبقاء أهلها فيها، ودوام ما أعدّ في كل واحدة منهما لأهلها، تكذيباً من الله جل ثناؤه القائلين من يهود بني إسرائيل إن النار لن تمسهم إلا أياماً معدودة، وأنهم صائرون بعد ذلك إلى الجنة فأخبرهم بخلود كفارهم في النار وخلود مؤمنيهم في الجنة.

قال ابن كثير(1): أي: من آمن بما كفرتم، وعمل بما تركتم من دينه، فلهم الجنة خالدين فيها، يخبرهم أن الثواب بالخير والشر مقيم على أهله أبداً، لا انقطاع له.

قال البيضاويّ(2): جرت عادته سبحانه وتعالى على أن يشفع وعده بوعيده، لترجى رحمته ويخشى عذابه، وعطف العمل على ايمان يدل على خروجه عن مسماه.

● **قال تعالى**: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ [الواقعة: 17].

قال الفخر الرازي(3): ﴿مُّخَلَّدُونَ﴾ وجهان أحدهما: أنه من الخلود والدوام، وعلى هذا الوجه يظهر وجهان آخران أحدهما: أنهم مخلدون ولا موت لهم ولا فناء، وثانيهما: لا يتغيرون عن حالهم ويبقون صغاراً دائماً لا يكبرون ولا يلتحون. والوجه الثاني: أنه من الخلدة وهو القرط بمعنى في آذانهم حلق، والأول أظهر وأليق.

قال الزمخشري(4): ﴿مُّخَلَّدُونَ﴾ مبقون أبداً على شكل الولدان وحدّ الوصافة لا يتحوّلون عنه. وقيل: مقرّطون، والخلدة: القرط. وقيل: هم أولاد أهل الدنيا: لم تكن لهم حسنات فيثابوا عليها، ولا سيئات فيعاقبوا عليها. روي عن علي رضي الله عنه وعن الحسن. وفي الحديث: «أولاد الكفار خدّام أهل الجنة».

● **قال تعالى**: ﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: 176].

---

(1) تفسير ابن كثير.
(2) أنوار التنزيل.
(3) التفسير الكبير.
(4) الكشاف.

قال الراغب[1]: أي: ركن إليها ظانًّا أنه يخلد فيها.

قال الماوردي[2]: ﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ ركن إليها. وفي ركونه إليها وجهان: أحدهما: أنه ركن إلى أهلها في استنزالهم له ومخادعتهم إياه.

والثاني: أنه ركن إلى شهوات الأرض فشغلته عن طاعة الله.

قال الشعراوي[3]: ﴿أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾، أي أنه اختار أن ينزل إلى الهاوية، رغم أن الحق هدى الإنسان وبين له طريق الخير ليسلكه فيصعد إلى العلو، والحق يقول: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ...﴾ [الأنعام: 151].

---

(1) مفردات الراغب.
(2) النكت والعيون.
(3) تفسير الشعراوي.

خلص

(خلص - طهر - زكو - طاب - محص)

- **الخَالِصُ:** ما زال عنه شوبه ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: 24]
- **الطَّاهِرُ:** ما زال عنه نجسه ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُوا۟﴾ [المائدة: 6].
- **الزَّاكِي:** طيب الرائحة مع الطهارة ﴿فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم﴾ [الكهف: 19].
- **الطَّيِّبُ:** ما تلتمسه الحواس وتستلذه النفس ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ [البقرة: 57].
- **المَحْصُ:** تخليص الشي مما فيه من عيوب ﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: 141].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس(1): الخاء واللام والصاد أصل واحد مطَّرِد، وهو تنقيةُ الشَّيء وتهذيبُه. يقولون: خَلَّصْتُه من كذا وخَلَصَ هو. وخُلَاصَةُ السَّمْنِ: ما أُلقِيَ فيه من تَمْرٍ أو سَويق ليخلُصَ به.

قال الخليل(2): خَلصَ الشيء خَلُوصاً: إذا كان قد نشب، ثم نجا وسلم.

وخَلَصْتُ إليه: وصلت إليه. والخَلَاصُ يكون مصدراً كالخُلُوص، للناجي،

---

(1) معجم مقاييس اللغة. (2) العين.

ويكون مصدراً للشيء الخَالِص، وتقول: هو خَالِصَتِي وخُلْصانِي، وهؤلاء خُلْصَاني وخُلَصَانِي، أي: أخلائي.

وهذا الشيء خَالِصَةٌ لك، أي: خالصٌ لك خاصة، وفلانٌ لي صافيةٌ وخَالِصَة.

والإخلاصُ: التوحيد لله خَالِصاً، ولذلك قيل لسورة «قل هو الله أحد»: سورة الإخلاص. وأخْلصتُ لله ديني: أمحضته، وخَلَصَ له ديني. «وإنه من عبادي المُخْلَصين»، والمُخْلَصُون: المختارون. والمُخْلِصون: الموحدون. وخلَّصتُه: نحيته من كل شيء ينشب تَخْليصاً، وتَخَلَّصْتُه كما يُتَخَلَّصُ الغزل: إذا التبس. والخِلاصُ: زبد اللبن يُسْتَخْلَصُ منه، أي: يستخرج. وبعير مُخْلِصٌ: سمين المخ.

والخِلاصُ: يتخذ من التمر والسمن يطبخ، فإذا أرادوا يُخَلِّصُوه ألقوا فيه نحو التمر والسويق ليُخَلَّصَ السمن من اللبن، فالذي يلقى فيه هو: الخِلاصُ. والخُلاصةُ: ما بقي من الخِلَاصِ وغيره. والخَلْصاءُ: ماء بالبادية. وذو الخَلَصَةِ: موضع بالبادية كان به صنم.

قال الجوهري(1): خَلَصَ الشيءُ بالفتح يَخْلُصُ خَلُوصاً، أي: صار خَالِصاً. وخَلَصَ إليه الشيءُ: وصَلَ. وخَلَّصْتُهُ من كذا تَخْليصاً، أي: نجّيته فتَخَلَّصَ. وخُلاصَةُ السمنِ بالضم: ما خَلَص منه. والمصدر منه الإِخْلَاصُ. وقد أَخْلَصْتُ السمنَ. والإِخْلَاصُ أيضاً في الطاعة: تَرْكُ الرياء. وقد أَخْلَصْتُ لله الدينَ. وخالَصَهُ في العِشرة، أي: صافاه. وهذا الشيءُ خالِصَةً لك، أي: خاصَّةً. وفلانٌ خِلْصي، كما تقول: خِدْني، وخُلْصاني، أي: خالِصتي. وهم خُلْصاني، يستوي فيه الواحد والجماعة. واسْتَخْلَصَهُ لنفسه، أي: اسْتَخَصَّهُ.

---

(1) الصحاح في اللغة.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا﴾ [الأنعام: 139].

قال ابن عطية[1]: هذه الآية تتضمن تعديد مذاهبهم الفاسدة، وكانت سنتهم في بعض الأنعام أن يحرموا ما ولدت على نسائهم ويخصصونه لذكورهم، والهاء في ﴿خَالِصَةٌ﴾ قيل هي للمبالغة كما هي في رواية غيرها، وهذا كما تقول: فلان خالصتي، وإن كان باب هاء المبالغة أن يلحق بناء مبالغة كعلامة ونسابة وبصيرة ونحوه، وقيل هي لتأنيث الأنعام إذ ما في بطونها أنعام أيضاً، وقيل هي على تأنيث لفظ (ما) لأن (ما) واقعة في هذا الموضع موقع قولك جماعة وجملة.

قال ابن عاشور[2]: والخالصة: السّائغة، أي: المباحة، أي: لا شائبةَ حَرج فيها، أي: في أكلها، ويقابله قوله: (ومحرم). وتأنيث ﴿خَالِصَةٌ﴾ لأنّ المراد بمَا الموصولة (الأجِنَّة) فروعي معنى (ما) وروعي لفظ (ما) في تذكير (محرّم).

● قال تعالى: ﴿فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا﴾ [يوسف: 80].

قال الألوسي[3]: ﴿خَلَصُوا۟﴾ انفردوا عن غيرهم واعتزلوا الناس. وقول الزجاج: انفرد بعضهم عن بعض فيه نظر.

قال الشعراوي[4]: أي: أنهم انفردوا عنه، وعن أعين الحاضرين؛ العزيز يوسف، ومَنْ حوله من المُعَاونِين له، وأخيهم موضع الخلاف، وانفردوا بأنفسهم. والانفراد هو المناجاة؛ والمناجاة مَسرَّة؛ والمَسرَّة لا تكون إلا في أمر لا تحب لغيرك أن يطلع عليه.

---

(1) المحرر الوجيز.
(2) التحرير والتنوير.
(3) روح المعاني.
(4) تفسير الشعراوي.

ونلحظ أن: ﴿خَلَصُواْ..﴾ هي جمع.

قال الشوكاني(1): ﴿خَلَصُواْ نَجِيًّا﴾ أي: انفردوا حال كونهم متناجين فيما بينهم، وهو مصدر يقع على الواحد والجمع كما في قوله: ﴿وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا﴾ [مريَم: 52]. قال الزجاج: معناه انفردوا وليس معهم أخوهم متناجين فيما يعملون به في ذهابهم إلى أبيهم من غير أخيهم.

● **قال تعالى**: ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: 24].

قال الزمخشري(2): الذين أخلصوا دينهم لله، وبالفتح الذين أخلصهم الله لطاعته بأن عصمهم. ويجوز أن يريد بالسوء. مقدّمات الفاحشة، من القبلة والنظر بشهوة، ونحو ذلك. وقوله: ﴿مِنْ عِبَادِنَا﴾ معناه بعض عبادنا، أي: هو مخلص من جملة المخلصين. أو هو ناشيء منهم، لأنه من ذرية إبراهيم الذين قال فيهم ﴿إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ﴾ [صٓ: 46].

قال ابن كثير(3): ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ الذين أخلصهم الله لطاعته. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر ويعقوب بالكسر في كل القرآن إذا كان في أوله الألف واللام أي الذين أخلصوا دينهم لله.

قال ابن الجوزي(4): قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر بكسر اللام، والمعنى: إنه من عبادنا الذين أخلصوا دينهم. وقرأ عاصم، وحمزة، والكسائي بفتح اللام، أرادوا: من الذين أخلصهم الله من الأسواء والفواحش. وبعض المفسرين يقول: السوء: الزنى، والفحشاء: المعاصي.

● **قال تعالى**: ﴿وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [الأعراف: 29].

---

(1) فتح القدير.
(2) الكشاف.
(3) تفسير ابن كثير.
(4) زاد المسير.

قال الفخر الرازي[1]: أن المراد هو الإخلاص، والسبب في ذكر هذين القولين، أن إقامة الوجه في العبادة قد تكون باستقبال القبلة، وقد تكون بالإخلاص في تلك العبادة، والأقرب هو الأول، لأن الإخلاص مذكور من بعد، ولو حملناه على معنى الإخلاص، صار كأنه قال: وأخْلِصوا عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين، وذلك لا يستقيم. فإن قيل: يستقيم ذلك، إذا علقت الإخلاص بالدعاء فقط. قلنا: لما أمكن رجوعه إليهما جميعاً، لم يجز قصره على أحدهما، خصوصاً مع قوله: ﴿مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۚ﴾ فإنه يعم كل ما يسمى ديناً.

قال الطبري[2]: ﴿وَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۚ﴾ فإنه يقول: واعملوا لربكم مخلصين له الدين والطاعة، لا تخلطوا ذلك بشرك ولا تجعلوا في شيء مما تعملون له شريكاً.

قال: ثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع: ﴿وَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۚ﴾ قال: أن تخلصوا له الدين والدعوة والعمل، ثم توجهون إلى البيت الحرام.

● **قال تعالى**: ﴿وَأَخۡلَصُواْ دِينَهُمۡ لِلَّهِ﴾ [النِّساء: 146].

قال الألوسي[3]: ﴿وَأَخۡلَصُواْ دِينَهُمۡ لِلَّهِ﴾ لا يريدون بطاعتهم إلا وجهه ورضاه سبحانه لا رياء الناس، ودفع الضرر كما في النفاق، وأخرج أحمد والترمذي وغيرهما عن أبي ثمامة قال: قال الحواريون لعيسى عليه السلام: يا روح الله من المخلص لله؟ قال: الذي يعمل لله تعالى لا يحب أن يحمده الناس عليه.

قال أبو السعود[4]: ﴿وَأَخۡلَصُواْ دِينَهُمۡ﴾ أي جعلوه خالصاً ﴿لِلَّهِ﴾ لا يبتغون بطاعتهم إلا وجهه.

(1) التفسير الكبير.
(2) جامع البيان.
(3) روح المعاني.
(4) إرشاد العقل السليم.

قال القشيري[1]: ﴿وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾: ونجاتهم بفضل ربهم لا بإيمانهم في الحال، ورجوعهم عن نفاقهم فيما مضى عليهم من الأحوال. ويقال أخلصوا دينهم لله: وهو دوام الاستعانة بالله في أن يثبتهم على الإيمان، ويعصمهم عن الرجوع إلى ما كانوا عليه من النفاق.

ويُقال: تابوا عن النفاق، وأصلحوا بالإخلاص في الاعتقاد، واعتصموا بالله باستدعاء التوفيق وأخلصوا دينهم لله في أن نجاتهم بفضل الله ولطفه لا بإتيانهم بهذه الأشياء - في التحقيق.

● **قال تعالى**: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ [مريم: 51].

قال الطبري[2]: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا﴾ بفتح اللام من مُخْلَص، بمعنى: إن موسى كان الله قد أخلصه واصطفاه لرسالته، وجعله نبياً مرسلاً. والصواب من القول في ذلك عندي: أنه كان ﷺ مُخْلِصاً عبادة الله، مُخْلَصاً للرسالة والنبوّة، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب الصواب.

قال ابن عطية[3]: «مخلَصاً» بفتح اللام وهي قراءة أبي رزين ويحيى وقتادة أي: أخْلَصَهُ الله للنبوءة والعبادة كما قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ﴾ [صٓ: 46].

قال ابن عاشور[4]: وقرأ الجمهور ﴿مُخْلِصًا﴾ بكسر اللام من أخلص القاصر إذا كان الإخلاص صفته. والإخلاص في أمر ما: الإتيانُ به غير مشوب بتقصير ولا تفريط ولا هوادة، مشتق من الخلوص، وهو التمحض وعدم الخلط. والمراد هنا: الإخلاص فيما هو شأنه، وهو الرسالة بقرينة المقام.

وخُص موسى بعنوان (المخلص) على الوجهين لأن ذلك مزيته، فإنه أخلص في الدعوة إلى الله فاستخف بأعظم جبار وهو فرعون، وجادله مجادلة

---

(1) لطائف الإشارات.
(2) جامع البيان.
(3) المحرر الوجيز.
(4) التحرير والتنوير.

الأكفاء، كما حكى الله عنه في قوله تعالى في سورة الشعراء (18، 19): ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾﴾ إلى قوله: ﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الشعراء: 30]. وكذلك ما حكاه الله عنه بقوله: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ [القصص: 17]، فكان الإخلاص في أداء أمانة الله تعالى ميزته. ولأن الله اصطفاه لكلامه مباشرة قبل أن يرسل إليه المَلك بالوحي، فكان مخلَصاً بذلك، أي مصطفى، لأن ذلك مزيته قال تعالى: ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى﴾ [طه: 41].

خلط

(خلط - مرج - مزج - مشج - لبس - أشرك - شوب)

■ **الخَلْطُ:** الجمع بين أجزاء الشيئين فصاعداً بلا حدود ﴿خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾ [التوبة: 102].

■ **المَرَجُ:** خلط الشيئين بحدود واضحة للانفصال ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ [الرَّحمٰن: 19].

■ **المَزْجُ:** خلط الشيئين بلا انفصال ﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ﴾ [المطففين: 27].

■ **اللَّبْسُ:** خلط الشيئين بأن يغطي أحدهما الآخر ﴿فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ﴾ [النّحل: 112].

■ **المَشْجُ:** اختلاط الدم خاصة ﴿مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ [الإنسان: 2].

■ **الشِّرْكَةُ:** والمشاركة خلط الملك ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ﴾ [الإسراء: 111].

■ **الشَّوْبُ:** يدل على الخلط ﴿لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ﴾ [الصافات: 67].

* * *

شرح المعاني:

الخلط: يقال للأشياء التي يمكن الفصل بينها (حمص + زبيب + فول مثلاً) تخلط هذه الأشياء فتصير خلطة كبيرة لكن يمكن فصلها عن بعض. وكل خلط واختلاط وكل مزج إذا كان يمكن فصل بعضها عن بعض يسمى خلطاً ﴿وَءَاخَرُونَ

ٱعۡتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمۡ خَلَطُواْ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: 102] وما من مسلم يخلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً إلا ويعرف ذلك، ويعرف أن يفصل بينهما. ففي الصلاة مثلاً قد يشوبها بعض الرياء وعدم الخشوع والمسلم يستطيع أن يفصل بين الصالح من صلاته والسيء. فكل اثنان يشتركان في عمل واحد أو وظيفة واحدة ويمكن فصل بعضها عن بعض يسمى خلطاً واختلاطاً. ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٖۖ وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ وَٱلۡغَنَمِ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتۡ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلۡحَوَايَآ أَوۡ مَا ٱخۡتَلَطَ بِعَظۡمٖۚ ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِبَغۡيِهِمۡۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ [الأنعام: 146]، ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ مِمَّا يَأۡكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلۡأَنۡعَٰمُ﴾ [يونس: 24].

المزج: إذا كان لا يمكن الفصل بينهما بالجهد البشري الأولي كالسمن والعسل أو الماء والسكر أو الشاي والحليب. قال تعالى: ﴿يُسۡقَوۡنَ مِن رَّحِيقٖ مَّخۡتُومٍ ۝٢٥ خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ ۝٢٦ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسۡنِيمٍ ۝٢٧﴾ [المطففين: 25-27] يوم القيامة المشروبات على طريقة الغازية ومختومة مثل علب المشروبات المختومة والتي لم يشرب منها أحد من قبل. وتسنيم شراب عظيم يوم القيامة يمزج به شراب المؤمنين وفيه رائحة زكية لا يمكن لعقولنا أن تدركها وهذا ممزوج مزجاً لا يمكن فصله.

المرج: هو الخلط والمزج إذا كان في شيء واسع على مستوى السمٰوات والأرض، وهو الاختلاط الواسع العظيم ﴿مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ يَلۡتَقِيَانِ﴾ [الرحمٰن: 19] هذا الذي يكون واسعاً يسمى مرج. والمرج هو الحقل الكبير الذي تختلط فيه الأزهار والنباتات في أيام الربيع بعد سقوط الأمطار ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا﴾ [الكهف: 45]. فالمرج هو الخلط أو المزج بين أشياء كثيرة كالأفكار والعقائد ﴿بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ فَهُمۡ فِيٓ أَمۡرٖ مَّرِيجٍ﴾ [قٓ: 5] أي: مختلط أصنام وبقايا وثنيات. وهذا الخلط يعمّهم وعندما جاء الإسلام كان جميع من في الأرض

مزيجاً من عقائد ووثنيات وخليط وهذا هو الاختلاط الواسع. وقد اكتشف العلماء مؤخراً أن البحر المالح فيه دوائر من الماء العذب دلالة على قوله تعالى: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ و﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ [الفرقان: 53].

المشج: هو خلط الألوان ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [الإنسان: 2] فبها ألوان هائلة شكلك وعيونك ولون بشرتك وغيرها وهي مختلطة بألوانها. ويقال: أمشج أي: أخلط الألوان.

الالتباس: خلط ما لا يُرى ولا يلمس كالليل والنهار، الأفكار، العقائد. شخص ما لم يصل إلى الهدى وأن الله تعالى موجود أو لا يؤمن بالآخرة التبس عليه الأمر ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾ [الأنعام: 9].

الاشتراك: أو الشراكة ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا۟ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الأنعام: 136]، ﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ شُرَكَآءَهُمْ قَالُوا۟ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا۟ مِن دُونِكَ ۖ فَأَلْقَوْا۟ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [النحل: 86] هو اختلاط المالكين. شركاء يعني اختلاط المالكين والشرك أن تخلط مع الله تعالى شريكاً آخر.

باختصار الخلط هو خلط ما يمكن فصله، والمزج خلط ما لا يمكن فصله، والمرج الاختلاط الواسع، والالتباس هو خلط ما لا يُرى، والاشتراك هو خلط المالكين. ولقد استعمل القرآن الكريم هذه المنظومة استعمالاً عجيباً.

ونركز على كلمة الخلط وقوله تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: 102] لم يقل تعالى في الآية: مزجوا ولا مَرَجوا ولا ألبسوا ولا أشركوا، فهؤلاء المذكورين في الآية هم مؤمنون ليس عندهم شرك. والله تعالى يقول في سورة الواقعة أن الناس ثلاثة

أنواع: (أصحاب اليمين وأصحاب الشمال والسابقون) وكل مجموعة لها تفصيلاتها أيضاً. فالمؤمنون بالله تعالى هم الموحدون وكل من آمن بالله ورسله وكتبه وملائكته واليوم الآخر والقضاء والقدر وعكسهم الكافرون المشركون. أما السابقون فهم متميزون وحدهم وهو المتميزون من جميع الأمم (الأنبياء وصدّيقوهم وأصحابهم) كحواري عيسى عليه السلام ومصدقو موسى عليه السلام ومصدقو إبراهيم ومحمد ﷺ: (أبو بكر وخديجة وعلي بن أبي طالب) والأنصار والمهاجرون والرضوانيون هؤلاء الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه. كل من أسلم قبل صلح الحديبية فهم السابقون الأولون الذين رضي الله عنهم والذين جاء النص فيهم أنه تعالى رضي عنهم. يقول ﷺ: (**إن الله اختارني واختار لي أصحابي**).

وأصحاب محمد ﷺ من حيث القدسية ومن حيث إصدار الرضى الذين نصّ الله تعالى أنه رضي عنهم: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الحديد: 10] ونحن لسنا من السابقين وبإمكاننا أن نكون سابقين إذا كنا شهداء أو قمنا ببعض الأعمال التي جاءت فيها الأحاديث الشريفة.

إذن في سورة الواقعة قسم البشر إلى ثلاثة أنواع، ثم تأتي سورة فاطر تقسم أصحاب اليمين إلى ثلاثة أنواع ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [فاطر: 32] أصحاب اليمين هؤلاء منهم من زادت حسناته على سيئاته وهذا يعتبر من السابقين من حيث أنه يدخل الجنة بغير حساب وبدون عرض، والثاني تساوت حسناته وسيئاته فذلك الذي يحاسب حساباً يسيراً. سُئل ﷺ: ما الحساب اليسير يا رسول الله؟ قال ﷺ: **العرض** ﴿وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا﴾ [الكهف: 48] ولا يحاسبه ويدخل إلى الجنة. فهذا المقتصد. والثالث الذي ظلم نفسه هو الذي زادت سيئاته على حسناته وهذا الذي يحاسب حساباً عسيراً. وقد جاء في الحديث الشريف: «من

نوقش الحساب هلك ومن نوقش الحساب عُذّب» والحساب وحده عذاب شديد فإذا كنت من الذين يحاسبون حساباً عسيراً فقد هلكت «**شفاعتي حقٌ لأهل الكبائر من أمتي**» فإذا كنت من أهل الكبائر ومت عليها ولم تتب منها فستكون ممن يحاسب حساباً عسيراً وربما يشفع لك الرسول ﷺ.

إذا أُطلقت الشراكة وحدها فهي تعني التساوي في الشراكة أي: خلطوا بالتساوي (خلطوا عملاً صالحاً) هؤلاء قال تعالى لهم في الآية: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ [التوبة: 102] (عسى) للترجي وعندنا ترجي وتمني. أما التمني فلا يمكن أن يتحقق، أما الرجاء فهو أن تتمنى شيئاً يمكن أن يقع كأن تقول: أرجو أن يغفر الله تعالى لي. وهذا راجح وغالب فإذا كان الفاعل هو البشر فمن الممكن أن يحصل (عسى محمد أن ينجح) أما إذا كان الفاعل هو الله تعالى فهي واقعة حتماً لا محالة. الذين تساوت حسناتهم مع سيئاتهم فهم مغفور لهم حتماً كما جاء في الآية ولأن الفاعل هو الله تعالى. أما الآخرين فالله تعالى إما يتوب عليهم وإما يعذبهم. قال الرسول ﷺ: «**شفاعتي حق لأهل الكبائر من أمتي**» ولم يقل من المسلمين لأنه لو قالها لم يبق مسلم إلا ودخل الجنة، ولكن لا يكون أحد من أمة محمد ﷺ إلا إن كان من أهل القبلة المصلين. وأول ما يُسأل عنه العبد يوم القيامة الصلاة. لأن المصلي هو موحّد مؤمن بالله تعالى صائم مزكٍّ حاج. فعندما تصلي تجمع كل الإيجابيات وتكون من أمة محمد ﷺ ولا ترتكب ذنباً إلا استغفرت وتبت منه. وإذا مات المصلي على كبيرة فهو من المرجون لأمر الله تعالى إما يعذبهم وإما يتوب عليهم. الشفاعة تكون للمصلين وحتى نضمن أننا من أمة محمد ﷺ علينا أن لا نكون من الذين ذكروا في أحاديث: «**ليس منا**» أي من المفصولين من شفاعته ﷺ. «**ليس منا من لم يصلِّ**» «**من غشّنا ليس منا**» «**ليس منا من لم يوقر الكبير**» وغيرها من الأحاديث. فلكي نكون من أهل الشفاعة يوم القيامة علينا أن نكون من المصلين وأن لا نكون من المفصولين يوم القيامة.

كل من قال: لا إلٰه إلا الله يحبه الله تعالى، والسابقون لهم الدرجات العلا

وأولئك هم أحباب الله تعالى وجيرانه في الفردوس وأهل الله وخاصته (والذين عند ربك) أما الآخرون فيحبهم الله تعالى ولكنه يريد أن يرفعهم ليلحقوا بالسابقين ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التّوبَة: 103] والصدقة غير الزكاة، وكلمة (خذ) تدل على أن ولي الأمر يجب أن يأخذ الزكاة والصدقات الاختيارية ويوزعها توزيعاً حضارياً بعد أن يعرف حاجات الناس. والصدقة من أرجى الأعمال يوم القيامة وفي الحديث الشريف: **«كل امرئ في ظل صدقته يوم القيامة حتى يُقضى بين الناس»** **«إن الصدقة لتطفئ حرّ القبور وإنما يستظل المؤمن يوم القيامة في ظل صدقته»** وقوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: 92]، **«باكروا بالصدقة فإن البلاء يتخطاها»** **«داووا مرضاكم بالصدقة»** **«الصدقة تصدّ سبعين باباً من السوء»** **«تصدقوا فإن الصدقة فكاكم من النار»** **«إن صدقة المسلم تزيد في العمر وتمنع ميتة السوء ويُذهب الله بها الكِبر والفخر»** **«قيل: يا رسول الله أي الصدقة أفضل؟ قال: جهد مُقِلّ»** **«رب درهم خير من مئة ألف درهم»** **«قيل: يا رسول الله أي الصدقة أفضل؟ قال: على ذي الرحم الكاشح»** **«صنائع المعروف تقي مصارع السوء وصدقة السر تطفئ غضب الرب وصلة الرحم تزيد في العمر»** صلة الرحم وبر الوالدين فيها من الخير ما لا يمكن حصره. **«الصدقة بعشر أمثالها والقرض بثمانية عشر»** فالقرض من أعظم الصدقات. **«من سرّه أن ينجيه الله من كُرَب يوم القيامة فلينفّس عن معسر أو يضع عنه»**.

وقد جاء في القرآن الكريم ثلاثيات ورباعيات وخماسيات العمل فيها قاسم مشترك وهو الصدقة. لكي يرفع الله تعالى درجاتك ويتجاوز عن سيئاتك ويستر عيوبك كالسخاء **«إن السخاء خُلُق الله العظيم»** **«إن الله اختار هذا الدين لنفسه ولا يصلحه إلا السخاء والكرم»** **«تجاوزوا عن ذنب السخيّ فإن الله يستره في الدنيا ويغفر له في الآخرة»** من أراد أن يلحق بالسابقين فليبسط يده ولو بدرهم **«اتقوا النار ولو بشقّ تمرة»**.

(وآخرون اعترفوا بذنوبهم) الاعتراف توبة شرط أن يكون طوعياً ذليلاً يطلب العفو «**رب إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً وأنت تغفر الذنوب فاغفر لي**» وأن تنوي عدم العودة وأن تُتبعه بما ينبغي من تكفير كالصدقة (خذ من أموالهم صدقة). فعلى كل من يرتكب ذنباً غير الصغائر (التي تكفرها الصلاة إلى الصلاة والصيام والاستغفار والقرآن) فهناك ذنوب عظيمة وذنوب كبيرة وذنوب خطيرة فالكبائر سبعة أما الذنوب العظيمة فكثيرة منها قطع الرحم والغيبة والنميمة وإيذاء الجار وغيرها.. هذه الذنوب ينبغي التوبة منها واعترافاً وتذللاً إلى الله تعالى بتذكّر ذنبك دائماً «**من سرّته حسنته وساءته سيئته فذلك المؤمن**» والشعور بالذنب هو توبة كما في الحديث القدسي: «**إن العبد ليعصيني فيذكرني على المعصية لا يستغفرني فأغفر له**».

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الخاء واللام والطاء أصلٌ واحد مخالفٌ للباب الذي قَبلَه، بل هو مُضَادٌّ له. تقول: خَلَطْتُ الشَّيءَ بغيره فاخْتَلَط. ورجل مِخْلَطٌ، أي: حَسَن المداخَلة للأمورِ. وخِلافُه المِزْيل.

والخَلِيطُ: المجاوِر. ويقال: الخِلْطُ: السّهمُ ينبُتُ عودُه على عِوَجٍ، فلا يزالُ يتعوّجُ وإن قُوِّم. وهذا من الباب؛ لأنّه ليس يُخالَط في الاستقامة. ويقال: استَخْلَط البعيرُ، وذلك أن يَعْيا بالقَعْو على النّاقة ولا يَهتدِي لذلك، فيُخْلَطَ له ويُلْطَف له.

قال الخليل[2]: والخِلْطُ: اسم كل نوعٍ من الأَخْلَاطِ كالدواء ونحوه.

قال: أحسبه الليل والفجر. والخَليطُ أيضاً من السمن فيه لحمٌ وشحم.

(1) معجم مقاييس اللغة. (2) العين.

والخَلِيطُ: تبن وقت مختلطان. والخُلَّيْطي: تخليط الأمر، إنه لفي خُلَّيطي من أمره.

والخِلَاطُ: مخالطةُ الذئب بالغنم، قال:

يضمن أهل الشاء بالخِلاط.

وخَلِيطَ الرجل: مُخالِطُه.

والخَلِيطُ: القوم الذين أمرهم واحد، قال:

بان الخليطُ بسحرة فتبددوا.

والخِلَاطُ: مُخالَطة الفحل الناقة أيضاً، إذا خالَطَ ثيله حياها. وأَخْلَطَ الرجل للفحل: إذا أدخل قضيبه وسدده. وخُولِطَ في عقله خِلاطاً فهو خِلْطٌ. وخَلِطٌ مُختلطٌ بالناس مُتَحبِّبٌ، وامرأة بالهاء.

ونُهِيَ عن الخليطَيْن في الأَنْبِذة، وهو أن يُجْمَع بين صنفَيْن تمرٍ وزبيبٍ أو عنبٍ ورطبٍ. وقوله: لا خِلاطَ ولا وِراطَ أي: لا يجمع بين متفرقٍ ولا يفرق بين مجتمع، والوِراط: الخديعة. وإذا حلبتَ على الحامض مَحْضاً فهو الخَلِيطُ. والخِلَاطُ: مُخالطة الداء الجوف. وأَخْلَطَ الفحل إذا خالط، وأخلَطَه الرجلُ.

قال الجوهري[1]: خَلَطْتُ الشيءَ بغيره خَلْطاً فاخْتَلَطَ. وخالَطَهُ مُخالَطَةً وخِلاطاً. واخْتَلَطَ فلانٌ، أي: فسَد عقلُه. والتَّخْلِيطُ في الأمر: الإفسادُ فيه. وقولهم: وقَعوا في الخُلَّيْطي أي: اخْتَلَطَ عليهم أمرهم. والخَليطُ المُخالِطُ، كالنديم المُنادِم، والجليس المُجالِس. وهو واحدٌ وجمعٌ.

وقال: إنَّ الخَلِيطَ أَجَدَّوا البَيْنَ فانْجَرَدوا وقد يُجمع على خَلَطاءَ وخُلُطٍ.

وأما الحديث: «**لا خِلاطَ ولا وِراطَ**»، فيقال هو كقوله: «لا يُجمَع بين متفرِّق ولا يُفَرَّقُ بين مجتمعٍ خشيةَ الصدقةِ». بالضم: الشِرْكةُ. والخِلْطَةُ بالكسر: العِشْرَةُ. والخِلْطُ أيضاً: واحدُ أَخْلاطِ الطيب. والخِلْطُ أيضاً: السهمُ يَنْبُتُ عودُهُ

(1) الصحاح في اللغة.

على عِوَجٍ، فلا يزال يَتَعَوَّجُ وإنْ قُوِّمَ. ورجلٌ مِخْلَطٌ بكسر الميم: يُخالِطُ الأمور. يقال: فلانٌ مِخْلَطٌ مِزْيَلٌ، كما يقال: هو راتقٌ فاتقٌ. واسْتَخْلَطَ البعيرُ، أي قَعا. وأَخْلَطَهُ صاحبُه، إذا جعل قضيبَه في الحَياءِ. والخَليطُ من العلَف: قَتٌّ وتبنٌ. وخولطَ الرجلُ في عقله خِلاطاً.

المعنى المشترك:

* وقد استعمل القرآن الكريم كلمة (خلط) بالمعاني التالية:

1 – ضمها ومزجها: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعۡتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمۡ خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: 102].

2 – المعاشرة والمداخلة: ﴿وَإِن تُخَالِطُوهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِۚ﴾ [البقرة: 220].

3 – الشريك: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلۡخُلَطَآءِ لَيَبۡغِي بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ﴾ [صٓ: 24].

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى:** ﴿فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ﴾ [يونس: 24].

قال ابن عاشور[1]: ﴿فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ﴾ شُبه به طور ابتداء نضارة العيش وإقبال زهرة الحياة، فذلك يشبه خروج الزرع بعيد المطر فيما يشاهد من بوارق المأمول، ولذلك عطف بفاء التعقيب للإيذان بسرعة ظهور النبات عقب المطر فيؤذن بسرعة نماء الحياة في أول أطوارها. وعبر عنه بالاختلاط بالماء بحيث ظهر قبل جفاف الماء، أي فاختلط النبات بالماء أي جاوره وقارنه.

(1) التحرير والتنوير.

قال الفخر الرازي[1]: وهذا الكلام يحتمل وجهين: أحدهما: أن يكون المعنى فاختلط به نبات الأرض بسبب هذا الماء النازل من السماء، وذلك لأنه إذا نزل المطر ينبت بسببه أنواع كثيرة من النبات، وتكون تلك الأنواع مختلطة، وهذا فيما لم يكن نابتاً قبل نزول المطر. والثاني: أن يكون المراد منه الذي نبت، ولكنه لم يترعرع، ولم يهتز. وإنما هو في أول بروزه من الأرض ومبدأ حدوثه، فإذا نزل المطر عليه، واختلط بذلك المطر، أي اتصل كل واحد منهما بالآخر اهتز ذلك النبات وربا وحسن، وكمل واكتسى كمال الرونق والزينة.

قال الزمخشري[2]: ﴿فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ﴾ فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضاً.

● **قال تعالى**: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [صٓ: 24].

قال الطبري[3]: يقول: وإن كثيراً من الشركاء ليتعدّى بعضهم على بعض.

قال أبو السعود[4]: أي: الشُّركاءِ الذين خلطُوا أموالَهم.

قال الشعراوي[5]: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ﴾ أي: الشركاء ﴿لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ المعنى: أن هذه القضية ليستْ قضية فذَّة ولا مفردة، إنما هي ظاهرة كثيرة الحدوث بين الشركاء، فكثيراً ما يبغي شريكٌ على شريكه ويظلمه مع أنهم ما تشاركوا إلا لمحبة بينهما واتفاق وتفاهم، لكن هذا كله لا يمنع ميل الإنسان إلى أنْ يظلم، وما أشبه هؤلاء بالمقامِرين تراهم في الظاهر أحبَّة وأصدقاء، في حين أن كلًّا منهم حريص على أخْذ ما في جيب الآخر.

● **قال تعالى**: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾ [التوبة: 102].

---

(1) التفسير الكبير.
(2) الكشاف.
(3) جامع البيان.
(4) إرشاد العقل السليم.
(5) تفسير الشعراوي.

قال ابن عاشور[1]: ﴿خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾ جاء ذكر الشيئين المختلطين بالعطف بالواو على اعتبار استوائهما في وقوع فعل الخلط عليهما. ويقال: خلط كذا بكذا على اعتبار أحد الشيئين المختلطين متلابسين بالخلط، والتركيبان متساويان في المعنى، ولكن العطف بالواو أوضح وأحسن فهو أفصح.

قال الألوسي[2]: ﴿خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ خروجاً إلى الجهاد مع رسول الله ﷺ ﴿وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾ تخلفاً عنه عليه الصلاة والسلام روي هذا عن الحسن والسدي وعن الكلبي أن الأول التوبة والثاني الإثم، وقيل: العمل الصالح يعم جميع البر والطاعة، والسيء ما كان ضده.

قال الخازن[3]: ﴿خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾ قيل: أراد بالعمل الصالح إقرارهم بالذنب وتوبتهم منه، والعمل السيئ هو تخلفهم عن الجهاد مع رسول الله ﷺ. وقيل: العمل الصالح هو خروجهم مع رسول الله ﷺ إلى سائر الغزوات، والسيئ هو تخلفهم عنه في غزوة تبوك. وقيل: إن العمل الصالح يعم جميع أعمال البر والطاعة، والسيئ ما كان ضده. فعلى هذا تكون الآية في حق جميع المسلمين والحمل على العموم أولى وإن كان السبب مخصوصاً بمن تخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك.

---

(1) التحرير والتنوير.
(2) روح المعاني.
(3) لباب التأويل.

خلع

(خلع - نزع - سلخ)

- **الخَلْعُ:** تنحية الإنسان ما يلبسه من قدميه ﴿فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [طه: 12].
- **النَّزْعُ:** جذب الشيء من مقره بشدة ﴿يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ﴾ [الأعراف: 27].
- **السَّلْخُ:** فصل الشيء المشتبك مع الآخر بقوة ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ﴾ [يس: 37].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس(1): الخاء واللام والعين أصلٌ واحد مطرّد، وهو مُزايَلة الشَّيء الذي كان يُشتَمَل به أو عليه. تقول: خَلَعْتُ الثّوبَ أخْلَعُهُ خَلْعاً، وخُلِع الوالي يُخْلَعُ خَلْعاً. وهذا لا يكادُ يقال إلاّ في الدُّون يُنْزِل مَن هو أعلى منه، وإلاّ فليس يُقال: خَلَع الأميرُ واليَه على بلدِ كذا. ألاَ ترى أنّه إنما يقال: عزَله. ويقال: طلَّقَ الرَّجُل امرأته. فإن كان ذلك من قبَل المرأة يقال: خالعَتْه وقد اختَلَعَتْ؛ لأنّها تَفتدِي نفسَها منه بشيءٍ تبذلُه له. وفي الحديث: «**المختلِعات هنَّ المنافقات**» يعني اللواتي يخالِعْن أزواجهنَّ من غير أنْ يضارَّهُنّ الأزواج. والخَالِعُ: البُسر النَّضِيج،

(1) معجم مقاييس اللغة.

لأنَّه يَخْلَع قِشرَهُ من رُطوبته. كما يقال: فَسَقَتِ الرُّطَبَة. إذا خرجَتْ مِن قشرها. ومن الباب خَلَعَ السُّنْبُلُ: إذا صار له سَفاً، كأنَّه خلعَه فأخرجَه. والخَلِيعُ: الذي خَلَعه أهلُه، فإن جَنَى لم يُطْلَبُوا بجِنايته، وإنْ جُنِيَ عليه لم يَطْلُبوا به. وهو قوله: به الذّئبُ يعوِي كالخَليع المُعيَّلِ والخَلِيعُ: الذِّئبُ، وقد خُلِع أيّ خَلْع! ويقال: الخَلِيعُ الصائد. ويقال: فلانٌ يَتَخَلَّعُ في مِشيتِه، أي: يهتزُّ، كأنَّ أعضاءَه تريد أن تتخلَّع. والخَالِعُ: داءٌ يُصِيب البعير. يقال به خَالعٌ، وهو الذي إذا بَرَك لم يقدِرْ على أن يثُور. وذلك أنَّه كأنَّه تَخَلَّعَتْ أعضاؤُه حتَّى سقطت بالأرض. والخَوْلَع: فَزَعٌ يعترِي الفُؤادَ كالمسِّ؛ وهو قياسُ الباب، كأنَّ الفؤادَ قد خُلِع. ويقال: قد تَخالَعَ القومُ: إذا نَقَضُوا ما كان بَينهم من حِلْف.

قال الخليل[1]: خلع، خعل مستعملان (خلع: الخَلْعُ: اسم، خَلَع رِداءَه وخُفَّه وخُفَّهُ وقَيْدَهُ وامرأته.

والخَلْعُ كالنَّزْعِ إلا أن في الخَلْعِ مُهْلَة. واخْتَلَعَتِ المرأة اختِلاعاً وخُلْعَةً. وخَلَعَ العِذَارَ: أي الرَّسن، فعَدَا على الناس بالشَّر لا طالب له فهو مَخْلُوعُ الرَّسنِ.

والخِلْعَةُ: كُلُّ ثَوْبٍ تَخْلَعُه عنْك. ويُقالُ: هو ما كان على الإنسان من ثِيابِه تاماً. والخِلْعَةُ: أجْودُ مالِ الرَّجُل، يقال: أخذْتُ خِلْعَةَ مالِه أي: خُيِّرْتُ فيها فأخذتُ الأجْود فالأجْود منها. والخَلِيعُ: اسم الولد الذي يخلَعُه أبُوه مخافة أن يَجْنِي عليه، فيقول: هذا ابني قد خَلَعْتُه فإنْ جَرَّ لم أَضمنْ، وإنْ جُرَّ عليه أطلبْ، فلا يُؤخذُ بعد ذلك بحريرته، كانوا يفعلونه في الجاهلية، وهو المَخْلُوعُ أيضاً، والجَمْعُ الخُلَعَاءُ، ومنه يُسمَّى كلُّ شاطِرٍ وشاطِرةٍ خَليعاً وخَليعةً، وفعلُه اللَّازِمُ خَلُعَ خَلاعَةً أي: صار خَلِيعاً. والخَلِيعُ: الصَّيادُ لانفِرادِه عن الناس. ويُقالُ: الخَلِيعُ هٰهنا الصَّيادُ، ويُقال: هو هٰهنا الشَّاطِرُ: والمُخَلَّعُ من الناس: الذي كأنَّ به هَبَّةً أو مَساً، ورجُلٌ مُخَلَّعٌ: ضعِيفٌ رِخْوٌ. وفي الحديث: «**خَلَع رِبْقَةَ الإسلام من عُنُقِهِ**»

---

(1) العين.

إذا ضيَّع ما أعْطى من العَهْدِ وخرج على النَّاسِ. والخَوْلَعُ: فزعٌ يَبْقَى في الفُؤادِ حتى يِكادُ يعْتَري صاحِبه الوَسواسُ منه. وقيل: الضَعْفُ والفزعُ.

والمُتَخَلَّعُ: الذي يهُزُّ منكبيه إذا مشى ويُشيرُ بيديه. والمَخْلُوعُ الفُؤادِ: الذي انْخَلَعَ فؤاده من فزعٍ.

والخَلَعُ: زوالٌ في المفاصِلِ من غير بَيْنُونَةٍ، يُقالُ: أصابَه خَلَعٌ في يَدِهِ ورِجْلِهِ.

والخَلَعُ: القديدُ يُشْوَى فَيُجْعلُ في وعاء بإهالَتِه. والخالِعُ: البُسْرَةُ إذا نضِجَتْ كلُّهَا. والخالِع: السُّنْبُل إذا سفا. وخَلَع الزَّرْعُ خَلاعَةً. والمُخَلَّعُ من الشِّعْر: ضَرْبٌ من البسيط يُحْذفُ من أجزائه كما قال الأسودُ بن يَعْفَرُ:

ماذا وُقوفي على رَسْمٍ عفا   مُخْلَوْلقٍ دَارِسٍ مُسْتَعْجِمِ

قُلْتُ للخليل: ماذا تَقُولُ في المُخَلَّعِ؟ قال: المُخَلَّعُ من العروض ضرب من البسيط وأورده.

والخليعُ: القِدْحُ الذي يفوز أوَّلاً والجمعُ أخْلِعة، والخَليعُ من أسماء الغُولِ، قالَ عرَّام: هي الخَلوع لأنَّها تَخْلَعُ قلوب الناس ولم نَعرفِ الخليع.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَۖ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى﴾ [طه: 12].

قال الفخر الرازي[1]: ﴿فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَۖ﴾ إشارة إلى أن لا يلفت خاطره إلى

(1) التفسير الكبير.

الزوجة والولد وأن لا يبقى مشغول القلب بأمرهما. وثانيها: المراد بخلع النعلين ترك الالتفات إلى الدنيا والآخرة كأنه أمره بأن يصير مستغرق القلب بالكلية في معرفة الله تعالى ولا يلتفت بخاطره إلى ما سوى الله تعالى. والمراد من الوادي المقدس قدس جلال الله تعالى وطهارة عزته، يعني أنك لما وصلت إلى بحر المعرفة فلا تلتفت إلى المخلوقات.

قال الماوردي[1]: ﴿فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ﴾ الآية. وفي أمرْه بخلعهما قولان: أحدهما: ليباشر بقدميه بركة الوادي المقدس، قاله علي بن أبي طالب، والحسن، وابن جريج.

والثاني: لأن نعليه كانتا من جلد حمار ميت، قاله كعب، وعكرمة، وقتادة.

قال أبو السعود[2]: ﴿فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ﴾ أُمر عليه الصلاة والسلام بذلك لأن الحفْوةَ أدخلُ في التواضع وحسنِ الأدب، ولذلك كان السلفُ الصالحون يطوفون بالكعبة حافين، وقيل: ليباشر الواديَ بقدميه تبركاً به، وقيل: لما أن نعليه كانتا من جلد حمارٍ غيرِ مدبوغ، وقيل: معناه فرِّغْ قلبَك من الأهل والمال، والفاء لترتيب الأمر على ما قبلها فإن ربوبيته تعالى له عليه الصلاة والسلام من موجبات الأمر وداوعيه.

خلف

(خلف - آخر - دبر - عقب - قفا - وراء)

- **الخَلْفُ:** ضد الأمام المباشر ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ [البقرة: 255].
- **الآخِرُ:** بالكسر - ضدّ الأول ﴿وَلَدَارُ ٱلْأَخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [النّحل: 30].
- **الدُّبُرُ:** ضد قبل ﴿فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾ [الطور: 49].
- **العَقْبُ:** ضد القدام ﴿ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾ [آل عمران: 144].
- **القَفَا:** ضد الوجه ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: 36].
- **الوَرَاءُ:** ضد الأمام البعيد ﴿وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: 71].

❋ ❋ ❋

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الخاء واللام والفاء أصولٌ ثلاثة: أحدُها: أن يجيءَ شيءٌ بعدَ شيءٍ يقومُ مقامَه، والثاني: خِلاف قُدَّام، والثالث: التغيُّر. فالأوّل الخَلَف. والخَلَف ما جاء بعدُ. ويقولون: هو خَلَفُ صِدْقٍ من أبيه. وخَلَف سَوْءٍ من أبيه. فإذا لم يذكُروا صِدقاً ولا سَوْءاً قالوا للجيِّد: خَلَف وللرديِّ: خَلْف. قال الله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾ [الأعراف: 169]. والخِلِّيفَى: الخِلافة، وإنَّما

(1) معجم مقاييس اللغة.

سُميِّت خلافةً لأنَّ الثَّاني يَجيءُ بَعد الأوّلِ قائماً مقامَه. وتقول: قعدتُ خِلافَ فُلانٍ، أي: بَعْده. والخَوَالِفُ في قوله تعالى: ﴿رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ﴾ [التوبة: 87] هنَّ النِّساء، لأنَّ الرِّجال يغِيبُون في حُروبهم ومغاوراتِهِمْ وتجاراتِهم وهنّ يخلُفْنهم في البيوت والمنازل. ولذلك يقال: الحيُّ خُلُوفٌ، إذا كان الرِّجال غُيَّباً والنِّساء مُقيماتٍ. ويقولون في الدعاء: «**خَلَفَ اللهُ عليك**» أي كانَ الله تعالى الخليفة عليك لمن فَقَدْتَ مِن أبٍ أو حميم. و الله لك أي: عوَّضك من الشيء الذاهب ما يكُونُ يقومُ بَعده ويخلُفه. والخِلْفَةُ نبتٌ ينبت بعد الهشيم. وخِلْفَةُ الشجرِ: ثمرٌ يخرُج بَعد الثَّمر.

يقال: أخْلَفَ: إذا استَقَى. والأصل الآخر خَلْفٌ، وهو غير قَدّام. ومن الباب الخِلْف، الواحد من أخلاف الضَّرع. وسمِّي بذلك لأنّه يكون خَلْفَ ما بعده. وأمّا الثالث فقولهم خَلَف فُوه: إذا تغيَّرَ، وأخْلَفَ. وهو قولُه ﷺ: «**لَخُلُوفُ فم الصائم أطيَبُ عند الله من ريح المِسْك**». ومنه الخِلَافُ في الوَعْد. وخَلَفَ الرَّجُلُ عن خُلق أبيه: تغيَّر. ويقال الخَلِيفُ: الثَّوب يَبلَى وسطُه فيُخرَج البالي منه ثم يُلْفَق، فيقال: خَلَفْتُ الثَّوبَ أخْلُفُه. وهذا قياسٌ في هذا وفي البابِ الأوّل. ويقال: وعَدَني فأخلفْتُه، أي: وجدته قد أخلفَني. فأمّا قولُه: فمن أنَّ هذِي تخلُف هَذِي. وأمّا قولهم: اختلفَ النَّاسُ في كذا، والناس خلْفَةٌ أي: مختلِفون، فمن الباب الأوّل؛ لأنَّ كلَّ واحدٍ منهم يُنَحِّي قولَ صاحبه، ويُقيم نفسَه مُقام الذي نَحّاه. وأمّا قولهم للناقة الحامل خَلِفَةٌ فيجوز أن يكون شاذّاً عن الأصل، ويجوز أن يُلْطَف له فيقالَ إنّها تأتي بولدٍ، والولدُ خَلَفٌ. وهو بعيد.

وجمع الخَلِفة المخَاض، وهُنَّ الحوامل. ومن الشاذِّ عن الأصول الثلاثة: الخَلِيفُ، وهو الطّريقُ بين الجبلَين. فأمّا الخالفة من عَمُد البيت، فلعلَّه أن يكون في مؤخّر البيت، فهو من باب الخَلْف والقُدّام. ولذلك يقولون: فلانٌ خالِفَةُ أهلِ بيته، إذا كان غير مقدَّمٍ فيهم. ومن باب التغيُّر والفسادِ البَعيرُ الأخلَفُ، وهو الذي يمشِي في شِقٍّ، من داءٍ يعتريه.

المعنى المشترك:

* ورد الخلاف في القرآن الكريم على خمسة عشر معنى:

1 - بمعنى جاء: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ [الأعراف: 169].

2 - بمعنى من يقوم بشؤونك حال غيابك: ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡعَهۡدُ أَمۡ أَرَدتُّمۡ أَن يَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُم مَّوۡعِدِي﴾ [طه: 86]

3 - من يقوم بالقضاء نيابة عن رب العالمين: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ﴾ [صٓ: 26].

4 - بمعنى التخلف عن أداء الواجب: ﴿فَٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡخَٰلِفِينَ﴾ [التوبة: 83].

5 - بمعنى ربة البيت: ﴿رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلۡخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ﴾ [التوبة: 87]

6 - بمعنى مخالفة ما أمرت به قومك أو نهيتهم عنه: ﴿أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ﴾ [هود: 88].

7 - بمعنى اجتناب أمر الأمر الملزم والانصراف عنه: ﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النُّور: 63].

8 - عدم الوفاء بالوعد: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ﴾ [إبراهيم: 22].

9 - التعويض عما فقدته: ﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبإ: 39].

10 - التخلف عن الموعد عمداً: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ﴾ [التوبة: 118].

11 - الاختلاف السيء في الرؤى: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾ [البقرة: 176].

12 - جيل بعد جيل أو قرن بعد قرن: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم: 59].

13 - بمعنى ضد قدام: ﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ﴾ [يونس: 92].

14 - المناوب لصاحبه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ [الفرقان: 62].

15 - المتأخر عن الواجب: ﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: 81].

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: 87].

قال الألوسي(1): هو جمع خالفة، وأطلق على المرأة لتخلفها عن أعمال الرجل كالجهاد وغيره، والمراد: ذمهم وإلحاقهم بالنساء في التخلف عن الجهاد. ويطلق الخالفة على من لا خير فيه.

قال ابن عطية(2): وقوله ﴿رَضُواْ...﴾ ترقيع وإظهار شنعة كما يقال على وجه التعيير: رضيت يا فلان. و(الْخَوَالف): النساء، جمع خالفة، هذا قول جمهور المفسرين... وقالت فرقة: (الْخَوَالف): جمع خالف، فهو جارٍ مجرى فوارس ونواكس وهوالك.

(1) روح المعاني.
(2) المحرر الوجيز.

قال الطبري(1): يقول تعالى ذكره: رضي هؤلاء المنافقون، الذين إذا قيل لهم: آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله، استأذنك أهل الغنى منهم في التخلف عن الغزو والخروج معك، لقتال أعداء الله من المشركين، أن يكونوا في منازلهم، كالنساء اللواتي ليس عليهن فرض الجهاد، فهن قعود في منازلهن وبيوتهن.

● **قال تعالى**: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً . . .﴾ [البقرة: 30].

قال القشيري(2): يقال إن الله سبحانه وتعالى خلق ما خلق من الأشياء، ولم يقل في شأن شيء منه ما قال في حديث آدم ؛ حيث قال: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ فظاهر هذا الخطاب يشبه المشاورة لو كان من المخلوقين. والحق سبحانه وتعالى خلق الجنان بما فيها، والعرش بما هو عليه من انتظام الأجزاء وكمال الصورة، ولم يقل: إني خالق عرشاً أو جنةً أو ملكاً، وإنما قال تشريفاً وتخصيصاً لآدم: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾.

قال الطبري(3): يعني بذلك إني جاعل في الأرض خليفة مني يخلفني في الحكم بين خلقي، وذلك الخليفة هو آدم ومن قام مقامه، في طاعة الله والحكم بالعدل بين خلقه. وأما الإفساد وسفك الدماء بغير حقها فمن غير خلفائه، وهو من غير آدم ومن قام مقامه في عباد الله، لأنهما أخبرا أن الله جل ثناؤه قال لملائكته إذ سألوه: ما ذاك الخليفة؟ إنه خليفة يكون له ذرية يفسدون في الأرض ويتحاسدون ويقتل بعضهم بعضاً، فأضاف الإفساد وسفك الدماء بغير حقها إلى ذرية خليفته دونه، وأخرج منه خليفته.

● **قال تعالى**: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ﴾ [صٓ: 26].

---

(1) جامع البيان.
(2) لطائف الإشارات.
(3) جامع البيان.

قال الطبري(1): يقول تعالى ذكره: وقلنا لدواد: يا دواد إنا استخلفناك في الأرض من بعد من كان قبلك من رسلنا حكماً بين أهلها.

قال الزمخشري(2): أي: استخلفناك على الملك في الأرض، كمن يستخلفه بعض السلاطين على بعض البلاد ويملكه عليها، ومنه قولهم: خلفاء الله في أرضه.

أو جعلناك خليفة ممن كان قبلك من الأنبياء القائمين بالحق.

قال القرطبي(3): أي: ملكناك لتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، فتخلف من كان قبلك من الأنبياء والأئمة الصالحين.

● **قال تعالى**: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ . . .﴾ [الأنعام: 165]

قال الطبري(4): يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ وأمته: والله الذي جعلكم أيها الناس ﴿خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ﴾، بأن أهلك من كان قبلكم من القرون والأمم الخالية، واستخلفكم، فجعلكم خلائف في الأرض، تخلفونهم فيها، وتعمرونها بعدهم.

والخلائف: جمع خليفة، كما الوصائف: جمع وصيفة، وهي من قول القائل: خلف فلان فلاناً في داره يخلفه خلافة، فهو خليفة.

قال الخازن(5): ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ﴾ يعني: والله الذي جعلكم يا أمة محمد خلائف في الأرض فإن الله أهلك من كان قبلكم من الأمم الخالية واستخلفكم فجعلكم خلائف منهم في الأرض تخلفونهم فيها وتعمرونها بعدهم وذلك لأن محمداً ﷺ خاتم الأنبياء وهو آخرهم وأمته آخر الأمم ﴿وَرَفَعَ

(1) جامع البيان.
(2) الكشاف.
(3) الجامع لأحكام القرآن.
(4) جامع البيان.
(5) لباب التأويل.

بَعۡضَكُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ﴾ يعني أنه تعالى خالف بين أحوال عباده فجعل بعضهم فوق بعض في الخلق والرزق والشرف والعقل والقوة والفضل فجعل منهم الحسن والقبيح والغني والفقير والشريف والوضيع والعالم والجاهل والقوي والضعيف وهذا التفاوت بين الخلق في الدرجات ليس لأجل العجز أو الجهل أو البخل فإن الله سبحانه وتعالى منزه عن صفات النقص وإنما هو لأجل الابتلاء والامتحان وهو قوله تعالى: ﴿لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ﴾.

قال الفخر الرازي[1]: أي نبهكم بمن مضى وحال من انقضى، فانكم لو لم يحصل لكم علم بأن من كذب الرسل اهلك، لكان عنادكم اخفى وفسادكم اخف، لكن امهلتهم وعمرتهم، وامرتهم على لسان الرسل بما امرتهم، وجعلتهم خلائف في الأرض، أي خليفة بعد خليفة، تعملون حال الماضين وتصبحون بحالهم راضين.

● **قال تعالى**: ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ قَوۡمِ نُوحٖ وَزَادَكُمۡ فِي ٱلۡخَلۡقِ بَصۜۡطَةٗۖ﴾ [الأعراف: 69].

قال الطبري[2]: اذكروا ما حل بقوم نوح من العذاب؛ إذ عصوا رسولهم، وكفروا بربهم، فإنكم إنما جعلكم ربكم خلفاء في الأرض منهم، لما أهلكهم أبدلكم منهم فيها.

قال الزمخشري[3]: أي خلفتموهم في الأرض، أو جعلكم ملوكاً في الأرض قد استخلفكم فيها بعدهم.

قال الفخر الرازي[4]: ذلك بأن أورثهم أرضهم وديارهم وأموالهم، وما يتصل بها من المنافع والمصالح.

---

(1) التفسير الكبير.
(2) جامع البيان.
(3) الكشاف.
(4) التفسير الكبير.

● **قال تعالى**: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ. . .﴾ [الرعد: 11].

قال الطبري(1): (من خلْفهِ) من وراء ظهره.

قال البيضاوي(2): من جوانبه، أو من الأعمال ما قدم وأخر.

قال الألوسي(3): ﴿مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ﴾ فالمعنى: أن المعقبات محيطة بجميع جوانبه، أو هو متعلق بـ (معقباتٌ)، و(من) لابتداء الغاية، فالمعنى: أن المعقبات تحفظ ما قدم وأخر من الأعمال، أي تحفظ جميع أعماله. . .

● **قال تعالى**: ﴿لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٌ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: 42].

قال ابن عباس(4): ﴿مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ﴾: من قبله ﴿وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ﴾: لا يكون من بعده كتاب فيخالفه. ويقال: لا تكذبه التوراة والإنجيل والزبور وسائر الكتب من قبله: ولا يكون من بعده كتاب فيكذبه. ويقال: لم يأت إبليس إلى محمد عليه السلام من قبل إتيان جبريل فزاد في القرآن، ولا من بعد ذهاب جبريل فنقص من القرآن. ويقال: لا يخالف القرآن بعضه بعضاً، ولكن يوافق بعضه بعضاً.

قال الفراء(5): يقول: التوارة والإنجيل لا تكذبه وهي ﴿مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ﴾، ﴿وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ﴾، يقول: لا ينزل بعده كتاب يكذبه.

● **قال تعالى**: ﴿إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا﴾ [الجن: 27].

---

(1) جامع البيان.
(2) أنوار التنزيل.
(3) روح المعاني.
(4) تفسير ابن عباس.
(5) معاني القرآن.

قال ابن عاشور[1]: ﴿بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ﴾ بمعنى قريباً من زمانه وبعيداً عنه، فـ ﴿مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ معناه القرب، كما في قوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [سبأ: 46]، أي: قبل العذاب قريباً منه، وقال تعالى: ﴿وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا﴾ [الفرقان: 38]، وقال: ﴿وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ [النساء: 164]. وأما الذي من خلفه فنوح، فقد قال هود لقومه: ﴿وَاذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ [الأعراف: 69]، وهذا مراعاة للحالة المقصود تمثيلها، فهو ناظر إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: 9]، أي: قد خلت من قبله رسل مثل ما خلت بتلك.

● **قال تعالى: ﴿... يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾** [البقرة: 255].

قال الطبري[2]: يعني تعالى ذكره بذلك: أنه المحيط بكل ما كان، وبكل ما هو كائن علماً، لا يخفى عليه شيء منه.

قال الزجاج[3]: أي يعلم الغيب الذي تقدمهم، والغيب الذي يأتي من بعدهم.

قال البغوي[4]: قيل: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾، أي ما قدموه من خير وشر، ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾: ما هم فاعلوه.

● **قال تعالى: ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُواْ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾** [فصلت: 25].

قال الطبري[5]: يقول: فزين لهؤلاء الكفار قرناؤهم من الشياطين ﴿مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ من أمر الدنيا، فحسنوا ذلك لهم، وحببوه إليهم، حتى آثروه على أمر الآخرة، ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ يقول: وحسنوا لهم أيضاً ما بعد مماتهم، بأن دعوهم إلى

(1) التحرير والتنوير.
(2) جامع البيان.
(3) معاني القرآن.
(4) معالم التنزيل.
(5) جامع البيان.

التكذيب بالمعاد، أن من هلك منهم فلن يبعث، وأن لا ثواب ولا عقاب حتى صدقوهم على ذلك، وسهل عليهم فعل كل ما يشتهونه، وركوب كل ما يلتذونه من الفواحش، باستحسانهم ذلك لأنفسهم.

● **قال تعالى**: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُواْ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [يسٓ: 45].

قال الطبري[1]: يقول ذكره تعالى: وإذا قيل لهؤلاء المشركين بالله، المكذبين رسوله محمد ﷺ: احذروا ما مضى بين أيديكم من نقم الله ومثلاته، بمن حل ذلك به من الأمم قبلكم، أن يحل مثله بكم بشرككم وتكذيبكم رسوله، ﴿وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ يقول: وما بعد هلاككم مما أنتم لاقوه، هلكتم على كفركم الذي أنتم عليه.

قال الزجاج[2]: ما أسلفتم من ذنوبكم، وما تعملونه فيما تستقبلون.

وقيل: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ على معنى: اتقوا أن ينزل بكم من العذاب مثل الذي نزل بالأمم قبلكم، ﴿وَمَا خَلْفَكُمْ﴾، أي اتقوا عذاب الآخرة.

● **قال تعالى**: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ: 39].

قال الزمخشري[3]: ﴿فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾ فهو يعوضه لا معوض سواه: إما عاجلاً بالمال أو بالقناعة التي هي كنز لا ينفد، وإما آجلاً بالثواب الذي كل خلف دونه.

قال ابن الجوزي[4]: أي يأتي ببدله، يقال: أخلف الله له وعليه، إذا أبدل ما ذهب عنه.

---

(1) جامع البيان.
(2) معاني القرآن.
(3) الكشاف.
(4) زاد المسير.

● قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ [التوبة: 118].

قال الزمخشري[1]: معنى ﴿خُلِّفُواْ﴾: خلفوا عن الغزو وقيل: عن أبي لبابة وأصحابه؛ حيث تيب عليهم بعدهم. وقرىء (خَلَّفُوا)، أي: خلفوا الغزين بالمدينة، أو أفسدوا، من الخالفة وخلوف الفم. وقرأ جعفر الصادق رضي الله عنه (خالفوا) وقرأ الأعمش (على الثلثة المخلفين).

قال ابن عطية[2]: معنى ﴿خُلِّفُواْ﴾: أُخرّوا وترك أمرهم، ولم تقبل منهم معذرة ولا ردت عليهم، فكأنهم خلفوا عن المعتذرين، وقيل: معنى ﴿خُلِّفُواْ﴾ أي: عن غزوة تبوك، وقال: معنى ﴿خُلِّفُواْ﴾: تركوا عن قبول العذر وليس بتخلفنا عن الغزو، ويقوي ذلك من اللفظة جعله: (إذا ضاقت)، غاية للتخليف، لوم يكن ذلك عن تخليفهم عن الغزو، وإنما ضاقت عليهم الأرض عن تخليفهم عن قبول العذر.

● قال تعالى: ﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: 81].

قال الطبري[3]: يقول تعالى ذكره،: فرح الذين خلفهم الله عن الغزو مع رسوله والمؤمنين به وجهاد أعدائه ﴿بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾، يقول: بجلوسهم في منازلهم ﴿خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾، يقول: على الخلاف لرسول الله في جلوسه ومقعده، وذلك أن رسول الله ﷺ أمرهم بالنفر إلى جهاد أعداء الله، فخالفوا أمره وجلسوا في منازلهم.

قال الزمخشري[4]: ﴿ٱلْمُخَلَّفُونَ﴾ الذين استأذنوا رسول الله ﷺ من

(1) الكشاف.
(2) المحرر الوجيز.
(3) جامع البيان.
(4) الكشاف.

المنافقين فأذن لهم وخلفهم في المدينة في غزوة تبوك، أو الذين خلفهم كسلهم ونفاقهم والشيطان. . . ﴿خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ خلفه، وقيل: هو بمعنى المخالفة، لأنهم خالفوه حيث قعدوا ونهض. وانتصابه على انه مفعول له أو حال، أي: قعدوا لمخالفته أو مخالفين له.

خلق

(خلق - أبدع - برأ - صور)

■ **الخَلْقُ:** رسم صورة الشيء قبل إبداعه من غير أصل ولا احتذاء ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [الأنعام: 1].

■ **البَدِيع:** إيجاد الشيء المخلوق بلا سابق مثال أو قياس ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: 117].

■ **البَارِئ:** إيجاد الشيء المخلوق الذي أبدع بلا تفاوت أو خطأ أو نقص ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ﴾ [الحشر: 24].

■ **المُصَوِّر:** يعطي كل مخلوق صورته التي يعرف بها ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ [غافر: 64].

❊ ❊ ❊

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الخاء واللام والقاف أصلان: أحدهما: تقدير الشيء، والآخر: ملاسة الشيء.

فأما الأول فقولهم: خلقت الأديم للسقاء، إذا: قدرته.

ومن ذلك الخلق، وهي السجية، لأن صاحبه قد قدر عليه. وفلان خَلِيقٌ بكذا، وأَخْلَقُ به، أي: ما أَخْلَقَه! أي: هو ممن يقدر فيه ذلك.

---

(1) معجم مقاييس اللغة.

والخَلَاقُ: النصيب، لأنه قد قدر لكل أحد نصيبه.

ومن الباب: رجل مُخْتَلِقٌ: تام الخُلُقِ.

والخَلْقُ: خلق الكذب، وهو اختلافه واختراعه وتقديره في النفس. قال الله تعالى: ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ [العنكبوت: 17].

وأما الأصل الثاني: فصخرة خَلْقَاءُ، أي: ملساء. ويقال: اخْلَوْلَقَ السحاب: استوى. ورسم مُخْلَوْلَقٌ: إذا استوى بالأرض. والمُخَلَّقُ: السهم المصلح. وأَخْلَقْتُه أنا: أبليته؛ وذلك أنه إذا أخلق املاس وذهب زئبره. ويقال: المُخْتَلَقُ من كل شيء: ما اعتدل.

ويقال: ثوب خَلِقٌ وملحفه خَلِقٌ، يستوي فيه المذكر والمؤنث.

وإنما قيل للسهم المصلح: مُخَلَّقٌ، لأنه يصير أملس.

وأما الخُلَيْقَاءُ في الفرس فكالعرنين من الإنسان.

قال الخليل[1]: الخَلِيقَةُ: الخُلُقُ، والخَلِيقَةُ: الطبيعة؛ والجميع الخَلَائِقُ. والخَلَائِقُ: نقرٌ في الصفا. والخَلِيقَةُ: الخَلْق، والخَالِقُ: الصانع.

وخَلَقْتُ الأديم: قَدَّرْتَه.

وإن هذا لَمَخْلَقَةٌ للخير، أي: جدير به، وقد خَلُقَ لهذا الأمر فهو خَلِيقٌ له، أي: جدير به.

وإنه لَخَلِيقٌ لذاك، أي: شبيه، وما أَخْلَقَهُ، أي: ما أشبهه!

وامرأة خَلِيقَةٌ: ذات جسم وخَلْقٍ، وقد يقال: رجل خَلِيقٌ، إذا تمّ خَلْقُهُ، وخَلُقَتِ المرأة خَلَاقَةً، أي: تم خَلْقُهَا وحَسُن.

والمُخْتَلَقُ من كل شيء: ما اعتدل وتمّ.

والخَلَاقُ: النصيب من الحظ الصالح. وهذا رجل ليس له خَلَاقٌ، أي: ليس

---

(1) العين.

له رغبة في الخير،ولا في الآخرة، ولاصلاح في الدين. والخَلْق: الكذب في قراءة من قرأ ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: 137]. وخَلُقَ الثوب يَخْلُقُ خُلُوقَةً، أي: بلي، وأخْلَقَ إِخْلَاقاً. ويقال للسائل: أَخْلَقْتَ وجهك.

وأَخْلَقَنِي فلان ثوبه، أي: أعطاني خَلَقاً من الثياب. وثوب أَخْلاق: ممزق من جوانبه.

والأَخْلَقُ: الأملس. وهضبة أو صخرة خَلْقَاءُ، أي: مصمتة. وخُلَيْقَاءُ الجبهة: مستواها، وهي الخَلْقَاءُ أيضاً. ويقال في الكلام: سحبوهم على خَلْقَاوَاتِ جباههم.

وخُلَيْقَاءُ الغار الأعلى: باطنه، وخَلْقَاءُ الغار أيضاً.

واخْلَوْلَقَ السحاب، أي: استوى، كأنه مُلِّس تمليساً، وقد يخلق خلقاً. والخَلْقُ: السحاب. والخَلُوقُ: من الطيب، وفعله: التَّخْلِيقُ والتَّخَلُّق. وامراة خَلْقَاءُ: رتقاء، لأنها مصمتة كالصفاة الخَلْقَاءُ. يقال منه: خَلُقَ يَخْلُقُ خَلْقاً.

المعنى المشترك:

* وقد ورد (الخلق) في القرآن الكريم في المعاني التالية:

1 - الإيجاد في الدنيا: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ﴾ [الرُّوم: 54].

2 - الإحياء في القيامة: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [يسٓ: 81].

3 - الكذب: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًاۚ﴾ [العنكبوت: 17].

4 - النطق: ﴿قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [فُصّلَت: 21].

5 - التصوير: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى﴾ [المَائدة: 110].

6 - التقدير: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ [النّحل: 20].

7 - الجعل: ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم﴾ [الشُّعَرَاء: 166].

8 - الموت: ﴿أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾ [الإسرَاء: 51].

9 - الدين: ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ﴾ [النِّساء: 119].

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ...﴾ [البقرة: 29].

قال القشيري[1]: سخر لهم جميع المخلوقات، على معنى حصول انتفاعهم بكل شيء منها، فعلى الأرض يستقرون، وتحت السماء يسكنون، وبالنجم يهتدون، وبكل مخلوق بوجه آخر ينتفعون. لا، بل ما من عين وأثر فكروا فيه إلّا وكمال قدرته وظهور ربوبيته به يعرفون.

ويقال: مهد لهم سبيل العرفان، ونبههم إلى ما خصهم به من الإحسان، ثم علمهم علو الهمة؛ حيث استخلص لنفسه أعمالهم وأحوالهم، فقال: ﴿لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ﴾ [فُصّلَت: 37].

قال الزمخشري[2]: لأجلكم ولانتفاعكم به في دنياكم ودينكم، أما الانتفاع الدنيوي فظاهر، وأما الانتفاع الديني فالنظر فيه وما فيه من عجائب الصنع الدالة على الصانع القادر الحكيم، وما فيه من التذكير بالآخرة وبثوابها وعقابها،

(1) لطائف الإشارات.
(2) الكشاف.

لاشتماله على أسباب الأنس واللذة، من فنون المطاعم والمشارب والفواكة والمناكح والمراكب والمناظر الحسنة البهية، وعلى أسباب الوحشة والمشقة من أنواع المكاره، كالنيران والصواعق والسباع والأحناش والسموم والغموم والمخاوف. وقد استدل بقوله: ﴿خَلَقَ لَكُم﴾ على أن الأشياء التي يصح أن ينتفع بها ولم تجر مجرى المحظورات في العقل، خلقت في الأصل مباحة مطلقاً لكل أحد أن يتناولها ويستنفع بها.

قال البيضاوي(1): بيان نعمة أخرى مرتبة على الأولى، فإنها خلقهم أحياء قادرين مرة بعد أخرى، وهذه خلق ما يتوقف عليه بقاؤهم ويتم به معاشهم. ومعنى (لكم) لأجلكم وانتفاعكم في دنياكم، باستنفاعكم بها في صالح أبدانكم بوسط أو بغير وسط، ودينكم بالاستدلال والاعتبار والتعرف لما يلائمها من لذات الآخرة وآلامها، لا على وجه الغرض، فإن الفاعل لغرض مستكمل به، بل على أنه كالغرض من حيث أنه عاقبة الفعل ومؤداه، وهو يقتضي إباحة الأشياء النافعة، ولا يمنع اختصاص بعضها ببعض لأسباب عارضة، فإنه يدل على أن الكل للكل لا أن كل واحد لكل واحد، وما يعم كل ما في الأرض لا الأرض إلّا إذا أريد بها جهة السفل، كما يراد بالسماء جهة العلو.

● **قال تعالى**: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ [البقرة: 228].

قال الزجاج(2): قيل فيه: لا يحل لهن أن يتكتمن أمر الولد، لأنهن إن فعلن ذلك فإنما يقصدن إلى إلزامه غير أبيه.

وقد قال قوم: هو الحيض، وهو بالولد أشبه، لأن ما خلق الله في أرحامهن أدل على الولد، لأن الله جل وعز قال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾

(1) أنوار التنزيل. (2) معاني القرآن.

[آل عمران: 6]، وقال: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا﴾ [المؤمنون: 14]، فوصف خلق الولد.

قال البيضاوي(1): من الولد والحيض استعجالاً في العدة وإبطالاً لحق الرجعة. وفيه دليل على أن قولها مقبول في ذلك.

قال أبو حيان(2): وأجمع أهل العلم على أنه لا يجوز أن تكتم المرأة ما خلق الله في رحمها من حمل ولا حيض، وفيه تغليظ وإنكار.

● **قال تعالى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [النساء: 1].

قال الطبري(3): وخلق من النفس الواحدة زوجها، يعني بـ (الزوج) الثاني لها، وهو فيما قال أهل التأويل: امرأتها حواء.

قال القشيري(4): حكم الحق سبحانه، بمساكنة الخلق مع الخلق لابقاء النسل، ولرد المثل إلى المثل، فربط الشكل بالشكل.

قال الزمخشري(5): إن قلت: علام عطف قوله: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾؟

قلت: فيه وجهان:

أحدهما: أن يعطف على محذوف، كأنه قيل: من نفس واحدة أنشأها أو ابتدأها، وخلق منها زوجها، وإنما حذف لدلالة المعنى عليه، والمعنى شعبكم من نفس واحدة هذه صفتها، وهي أنه أنشأها من تراب وخلق زوجها حواء من ضلع من أضلاعها، (وبثَّ منهما) نوعي جنس الإنس وهما الذكور والإناث، فوصفها بصفة هي بيان وتفصيل بكيفية خلقهم منها.

والثاني: خلقكم من نفس آدم، لأنهم من جملة الجنس المفرع منه، وخلق

---

(1) أنوار التنزيل.
(2) البحر المحيط.
(3) جامع البيان.
(4) لطائف الإشارات.
(5) الكشاف.

منها أمكم حواء وبث منهما ﴿رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾ غيركم من الأمم الفائتة للحصر.

● **قال تعالى**: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّر لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم: 32-34].

قال الطبري(1): الله الذي أنشأ السماوات والأرض من غير شيء أيها الناس.

قال القشيري(2): في الظاهر رفع السماء فأعلاها، والأرض تحتها دحاها، وخلق فيها بحاراً وأجرى أنهاراً، وأنبت أشجاراً، وأثبت لها أنواراً وأزهاراً، وأمطر من السماء ماء مدراراً. وأخرج من الثمرات أصنافاً، ونوع لها أوصافاً، وأفرد لكل منها طعماً مخصوصاً، ولإدراكه وقتاً معلوماً.

وأما في الباطن فسماء القلوب زينها بمصابيح العقول، وأطلع فيها شمس التوحيد، وقمر العرفان، ومرج في القلوب يجري الخوف والرجاء، وجعل بينها برزخاً لا يبغيان، فلا الخوف يغلب الرجاء ولا الرجاء يغلب الخوف، كما جاء في الخبر: (لووزنا لاعتدلا) هذا لعوام المؤمنين، فأما للخواص فالقبض والبسط، ولخاص الخاص فالهيبة والأنس والبقاء والفناء.

قال ابن عطية(3): تذكير بآلاء الله، وتنبيه على القدرة التي فيها إحسان إلى البشر، لتقوم الحجة من جهتين.

---

(1) جامع البيان.
(2) لطائف الإشارات.
(3) المحرر الوجيز.

● **قال تعالى**: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ [النحل: 4].

قال الطبري[1]: يقول تعالى ذكره: ومن حججه عليكم أيضاً أيها الناس، أنه خلق الإنسان من نطفة، فأحدث من ماء مهين خلقاً عجيباً، قلبه تارات خلقاً بعد خلق في ظلمات ثلاث، ثم أخرجه إلى ضياء الدنيا بعدما تم خلقه، ونفخ فيه الروح، فغذاه ورزقه القوت ونماه، حتى إذا استوى على سوقه، كفر بنعمة ربه، وجحد، وعبد من لا يضر ولا ينفع، وخاصم إلٰهه، فقال: ﴿مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ﴾ [يسٓ: 78]، ونسي الذي خلقه، فسواه خلقاً سوياً من ماء مهين.

● **قال تعالى**: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ. . .﴾ [النُّور: 45].

قال القشيري[2]: يريد خلق كل حيوان من ماء، يخرج من صلب الأب وتربة الأم، ثم أجزاء الماء متساوية متماثلة، ثم ينقسم إلى جوارح في الظاهر وجوارح في الباطن.

قال الفخر الرازي[3]: لم قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ﴾ مع أن كثيراً من الحيوانات غير مخلوقة من الماء؟ أما الملائكة فهم أعظم الحيوانات عدداً وهم مخلوقون من النور، وأما الجن فهم مخلوقون من النار، وخلق الله آدم من التراب لقوله: ﴿خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ﴾ [آل عمران: 59]، وخلق عيسى من الريح لقوله: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾ [الأنبياء: 91]، وأيضاً نرى أن كثيراً من الحيوانات متولد لا عن النطفة؟

والجواب من وجوه:

أحدها: أن قوله: (من ماء) صلة (كل دابة) وليس هو من صلة (خلق) والمعنى أن كل دابة متولدة من الماء فهي مخلوقة لله تعالى.

---

(1) جامع البيان.
(2) لطائف الإشارات.
(3) التفسير الكبير.

وثانيها: أن أصل جميع المخلوقات: الماء، على ما يروى أول ما خلق الله تعالى جوهرة فنظر إليها بعين الهيبة فصارت ماء، ثم من ذلك الماء خلق النار والهواء والنور، ولما كان المقصود من هذه الآية بيان أصل الخلقة وكان الأصل الأول هو الماء، لا جرم ذكره على الوجه.

وثالثها: أن المراد من الدابة التي تدب على وجه الأرض ومسكنهم هناك، فيخرج عنه الملائكة والجن، ولما كان الغالب جداً من الحيوانات كونهم مخلوقين من الماء: إما لأنها متولدة من النطفة، وإما لأنها لا تعيش إلّا بالماء، لا جرم أطلق لفظ (الكل) تنزيلاً للغالب منزلة الكل.

● **قال تعالى**: ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [لقمان: 11].

قال الطبري[1]: يقول تعالى ذكره: هذا الذي عددت عليكم أيها الناس أني خلقته في هذه الآية خلق الله الذي له ألوهة كل شيء، وعبادة كل خلق، الذي لا تصلح العبادة لغيره، ولا تنبغي لشيء سواه، فأروني أيها المشركون في عبادتكم إياه من دونه من الآلهة والأوثان، أي شيء خلق الذين من دونه من آلهتكم وأصنامكم، حتى استحقت عليكم العبادة فعبدتموها من دونه، كما استحق ذلك عليكم خالقكم، وخالق هذه الأشياء التي عددتها عليكم.

قال القشيري[2]: هذا خلق الله العزيز في كبريائه، فأروني ماذا خلق الذين عبدتم من دونه في أرضه وسمائه؟.

قال الفخر الرازي[3]: يعني الله خالق وغيره ليس بخالق، فكيف تتركون عبادة الخالق وتشتغلون بعبادة المخلوق.

---

(1) جامع البيان.
(2) لطائف الإشارات.
(3) التفسير الكبير.

● **قال تعالى:** ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطۡفَةٍ إِذَا تُمۡنَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ [النجم: 45-46].

قال القرطبي(1): أي من أولاد آدم ولم يرد آدم وحواء بأنهما خلقا من نطفة.

قال القاسمي(2): أي ابتدع إنشاءهما من نطفة إذا تدفق في الرحم.

قال المراغي(3): أي وأنه خلق الذكر والأنثى من الإنسان وغيره من الحيوان من المني يدفق في الأرحام.

● **قال تعالى:** ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ﴿٢﴾﴾ [العلق: 1-2].

قال الماوردي(4): أي استفتح قراءتك باسم ربك الذي خلق، ، وإنما قال: (الذي خلق) لأن قريشاً كانت تعبد آلهة ليس فيهم خالق غيره تعالى، فميز نفسه ليزول عنه الالتباس.

قال ابن عطية(5): مثل لهم من المخلوقات ما لا مدافعة فيه، وما يجده كل مفطور في نفسه، فقال: ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ﴾ [العلق: 2]، وخلقة الإنسان من أعظم العبر، حتى أنه ليس في المخلوقات التي لدينا أكثر عبراً منه في عقله وإدراكه، ورباطات بدنه وعظامه.

قال الألوسي(6): ووصف الرب بقوله تعالى: (الذي خلق) لتذكيره عليه الصلاة والسلام أول النعماء الفائضة عليه ﷺ منه سبحانه، مع ما في ذلك من التنبيه على قدرته تعالى على تعليم القراءة بألطف وجه. وقيل: لتأكيد عدم إرادة غيره تعالى من الرب، فإن العرب كانت تسمي الأصنام أرباباً، لكنهم لا ينسبون

---

(1) الجامع لأحكام القرآن.
(2) محاسن التأويل.
(3) تفسير المراغي.
(4) النكت والعيون.
(5) المحرر الوجيز.
(6) روح المعاني.

الخلق إليها. والفعل إما منزلة اللازم، أي الذي له الخلق، أو مقدر مفعوله عاماً، أي الذي خلق كل شيء، والأول يفيد العموم أيضاً.

● **قال تعالى:** ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ [الفلق: 1-2].

قال ابن عربي[1]: أي من شر الاحتجاب بالخلق وتأثيرهم فيه، فإن من اتصل بعالم القدس في حضرة الأسماء، واتصف بصفاته تعالى، أثر في كل مخلوق ولم يتأثر من أحد، لأنهم في عالم الآثار ومقام الأفعال، وقد ارتقى هو عن مقام الأفعال إلى مبادئها من الصفات.

قال القرطبي[2]: قيل: هو إبليس وذريته، وقيل: جهنم، وقيل: هو عام، أي: من شر خلقه الله عز وجل.

قال المراغي[3]: أي قل: أستعيذ برب المخلوقات، ومبدع الكائنات، من كل أذى وشر يصيبني من مخلوق من مخلوقاته طراً.

ثم خصص من بعض ما خلق أصنافاً يكثر وقوع الأذى منهم، فطلب إليه التعوذ من شرهم ودفع اذاهم.

● **قال تعالى:** ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: 59].

قال الفراء[4]: هذا لقول النصارى: أنه ابنه؛ إذ لم يكن أب، فأنزل الله تبارك وتعالى علواً كبيراً (أن مثل عيسى عند الله كمثل آدم) لا أب له ولا أم، فهو أعجب أمراً من عيسى.

---

(1) تفسير القرآن لابن العربي.
(2) الجامع لأحكام القرآن.
(3) تفسير المراغي.
(4) معاني القرآن.

قال القشيري[1]: خصهما بتطهير الروح عن التناسخ في الأصلاب، وأفرد آدم بصفة البدء، وعيسى عليه السلام بتخصيص نفخ الروح فيه على وجه الإعزاز، وهما وإن كانا كبيري الشأن، فنقص الحدثان والمخلوقية لازم لهما: (قال له كنْ فيكونُ).

قال الزمخشري[2]: إن شأن عيسى وحاله الغريبة كشأن آدم. وقوله: ﴿خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ﴾ جملة مفسرة لما له شبه عيسى بآدم، أي: خلق آدم من تراب ولم يكن ثمة أب ولا أم، وكذلك حال عيسى.

فإن قلت: كيف شبه به وقد وجد هو من غير أب ووجد آدم من غير أب وأم؟

قلت: هو مثيله في أحد الطرفين فلا يمنع اختصاصه دونه بالطرف الآخر من تشبيه به، لأن المماثلة مشاركة في بعض الأوصاف، ولأنه شبه به في أنه وجد وجوداً خارجاً عن العادة المستمرة، وهما في ذلك نظيران، ولأن الوجود من غير أب وأم أغرب وأخرق للعادة من الوجود بغير أب، فشبه الغريب بالأغرب ليكون أقطع للخصم، وأحسم لمادة شبهته إذا نظر فيما هو أغرب مما استغربه.

● **قال تعالى**: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٍ﴾ [السجدة: 7].

قال الزمخشري[3]: ﴿أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥۖ﴾ حسنه، لأنه ما من شيء خلقه إلّا وهو مرتب على ما اقتضته الحكمة وأوجبته المصلحة، فجميع المخلوقات حسنة وإن تفاوتت إلى حسن وأحسن، كما قال: ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِىٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٍ﴾ [التين: 4].

وقيل: علم كيف يخلقه، من قوله: (قيمة المرء ما يحسنه) وحقيقته يحسن معرفته، أي يعرفه معرفة حسنة بتحقيق وإتقان. وقرىء (خلقه) على البدل، أي: أحسن خلق كل شيء. و(خلقهُ) على الوصف، أي: كل شيءٍ خلقه فقد أحسنه.

---

(1) لطائف الإشارات.
(2) الكشاف.
(3) الكشاف.

قال الفخر الرازي[1]: لما بين الدليل الدال على الوحدانية من الآفاق بقوله: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ [الفرقان: 59] وأتمه بتوابعه ومكملاته، ذكر الدليل الدال عليها من الأنفس بقوله: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ يعني أحسن كل شيء مما ذكره، وبين أن الذي بين السمٰوات والأرض خلقه وهو كذلك، لأنك إذا نظرت إلى الأشياء رأيتها على ما ينبغي: صلابة الأرض للنبات، والنبات وسلاسة الهواء للاستنشاق، وقبول الانشقاق لسهولة الاستطراق، وسيلان الماء لنقدر عليه في كل موضع، وحركة النار إلى فوق، لأنها لو كانت مثل الماء تتحرك يمنة ويسرة لاحترق العالم، فخلقت طالبة لجهة فوق؛ حيث لا شيء هناك يقبل الاحتراق.

● **قال تعالى**: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [هود: 118-119].

قال الزجاج[2]: أي: خلقهم للسعادة والشقاء، فاختلافهم في الدين يؤدي بهم إلى سعادة أو شقاء. وقيل: ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ أي: لرحمته خلقهم، لقوله: إلّا من رحم ربك، والقول الأول يدل عليه.

قال الزمخشري[3]: (ذلك) إشارة إلى ما دل عليه الكلام وتضمنه، يعني ولذلك من التمكين والاختيار الذي كان عنه الاختلاف، خلقهم ليثيب مختار الحق بحسن اختياره، ويعاقب مختار الباطل بسوء اختياره.

قال المراغي[4]: ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ أي: ولمشيئته تعالى فيهم الاختلاف والتفرق في علومهم ومعارفهم وآرائهم، وما يتبع ذلك من الإرادة والاختيار في الأعمال خلقهم، وبهذا كانوا خلفاء في الأرض، ومن ذلك اختلافهم في الدين والإيمان والطاعة والعصيان، وبذا كانوا مظهراً لأسرار خلقه الروحية والجسدية،

---

(1) التفسير الكبير.
(2) معاني القرآن.
(3) الكشاف.
(4) تفسير المراغي.

أو المادية والمعنوية. وقال ابن عباس: خلقهم فريقين فريقاً يرحم فلا يختلف، وفريقاً لا يرحم فيختلف فذلك قوله: ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ [هود: 105].

● **قال تعالى:** ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ﴾ [الانفطار: 7].

قال الفخر الرازي(1): قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ﴾ فاعلم أنه تعالى لما وصف نفسه بالكرم ذكر هذه الأمور الثلاثة، كالدلالة على تحقق ذلك الكرم، أولها: الخلق، وهو قوله: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ﴾ ولا شك أنه كرم وجود، لأن الوجود خير من العدم، والحياة خير من الموت، وهو الذي قال: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ﴾ [البقرة: 28]. وثانيها: قوله: ﴿فَسَوَّىٰكَ﴾ أي: جعلك سوياً سالم الأعضاء تسمع وتبصر. ونظيره قوله: ﴿أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا﴾ [الكهف: 37].

قال الألوسي(2): صفة ثانية مقررة للربوبية مبينة للكرم، موحية إلى صحة ما كذب من البعث والجزاء، موطئة لما بعد؛ حيث نبهت على أن من قدر على ذلك بدء أقدر عليه إعادة.

---

(1) التفسير الكبير.
(2) روح المعاني.

خلو

(خلو - مضى - سبق - تقدم - سلف)

- **الخَالِي:** الزمن الممتد من أول الخلق إلى عهود سحيقة لا نعرفها ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾ [آل عمران: 137].
- **المَاضِي:** الزمن الممتد من الحال إلى زمن نعرفه ﴿فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الزّخرُف: 8].
- **السَّابِقُ:** الزمن الذي جاء الحال بعده مباشرة ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [يُونس: 19].
- **المُتَقَدِّمُ:** الفعل المتكرر في الماضي ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفَتْح: 2].
- **السَّالِفُ:** الماضي الذي كنت تحبه ولم يعد كذلك ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفَال: 38].

❋ ❋ ❋

شرح المعاني:

هذه منظومة تتعلق بما مضى من الأفعال. نقول الزمن الماضي والزمن الخالي والزمن السالف والزمن السابق والزمن المتقدم. وكلها تدل على أن الحدث قد مضى، لكن كل ماضٍ له كلمة لا تغني عنها كلمة أخرى. وخالي غير ماضي وماضي غير سالف وسالف غير سابق وسابق غير متقدم.

مضى: الماضي الممتد من ساعة ما تكون إلى الزمن القريب الذي تعرفه من

زمن أبيك وجدك منذ أن خلق الله تعالى الزمن. الماضي ممتد، كل شيء يدل على أنه فعل ممتد ولا يزال ممتداً يقال له مضى. رحمة الله تعالى مستمرة وقال تعالى: ﴿فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الزخرف: 8] مضى مثل الأولين قاعدة كونية عند الله تعالى أن القوة الضعيفة على الحق أقوى من القوة العظيمة على الباطل، ولا بد أن ينتصر الحق مهما كان الباطل قوياً وطاغياً. وإن الله تعالى ناصر رسله مهما طال الزمن ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [يوسف: 110] هذه السُنّة باقية وهي قضية ثابتة.

خلا: تقال للماضي الذي لم يعد موجوداً ولا يمكن أن يعود. ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: 24]. ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ [آل عمران: 137] أي: انقطعت في زمانها. للماضي المستمر يقال: مضى، أما إذا انقطع فيقال له: خلا ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُواْ خَٰسِرِينَ﴾ [الأحقاف: 18] قرون قطعت وذهبت ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ ۗ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الرعد: 6]، ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [المائدة: 75]، كلمة مضى تعني المستمر. والله تعالى عوّدنا الجميل فقِس على ما مضى، وجميل الله تعالى مستمر في الحاضر والمستقبل. خلا: هو الماضي الذي لا وجود له الآن كزمن عاد وثمود وفرعون ونوح، أما مضى فهو الماضي المتصل المستمر كنصر الله تعالى مثلاً.

سلف: الزمن السالف هو الزمن العاطفي حب أو كره يقال فيما سلف. عندما كان آباؤنا وأجدادنا يروون لنا الحكايات قديماً كانوا يقولون: في سالف العصر والأوان لأنهم يتحدثون عن أشياء عاطفية كالسِيَر والقصص. والسلف

الصالح تحبهم أو السلف الطالح كقوم فرعون مثلاً وقال تعالى: ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ﴾ [الزخرف: 56] أي مكروهين. كل شيء عاطفي حباً أو كرهاً يقال: سلف. قال تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [النساء: 22]، ﴿وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: 23]. هذا السلف عاطفي أمرأة كنت تحبها وحرّمها الإسلام الآن. يقال: حدث هذا فيما سلف لا في ما مضى أو ما خلا للشيء المتعلق به عاطفياً. ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُۚ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ [المائدة: 95]، ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الأنفال: 38]،

سبق: تقال للشيء الذي له قيمة ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ﴾ [الواقعة: 10]، ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْۚ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾ [هود: 110]، ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُواْۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [يونس: 19]،

﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال: 68]. رب العالمين فعل شيئاً في الماضي لا نقول مضى أو خلا أو سلف وإنما سبق. قال تعالى أن الأمم السابقة أُهلِكت بالكامل (قوم عاد وثمود ولوط ونوح) أما في أمم موسى وعيسى ومحمد صلى الله عليهم جميعاً سبق وعده تعالى أن لا يُهلِكهم ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: 33]. ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الصافات: 171-173]. ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾ [الأنفال: 59]. سبق تقال إذن للشيء العظيم.

تقدّم: تقال للفعل المتكرر. مضى متصل وتقدم متكرر بين فترات. عندما تشير إلى الماضي بفعل متكرر يقال: تقدّم. هذا الزمن الماضي هو وعاء الأحداث شيء حدث وآخر خلا وآخر مضى وآخر تقدم. من قوانين الأرض أن فيها زمناً أما

في الآخرة فلا يوجد زمن. كل أحداث الإنسان وأعماله تأتي يوم القيامة في دائرة واحدة بدون زمن فتراها بومضة ضوء.

فالماضي هو خزانة الأمم وبحر تجاربها وحضاراتها وهو مصدر العِظة والعِبرة. وقد استخدمت الأحاديث الشريفة كلمات هذه المنظومة استخداماً دقيقاً:

عن عبد الله بن عمر كان واقفاً بعرفة يوماً فنظر إلى الشمس حين تدلّت مثل الترس فبكى واشتد بكاؤه، فسأله رجل: يا أبا عبد الرحمٰن قد وقفت معي مراراً لم تصنع هذا! قال: ذكرت رسول الله ﷺ وهو واقف بمكاني هذا فقال: «**أيها الناس إنه لم يبق من دنياكم فيما مضى منها إلا كما بقي من يومكم هذا فيما مضى منه إن بقاءكم فيما سلف قبلكم من الأمم إلا كما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس**». يدل هذا الحديث على أن القيامة أوشكت وهي أقرب من لمح البصر. وإذا تأملنا ما يحدث اليوم بجدية لوجدنا أن معظم علامات الساعة الصغرى قد وقعت.

«كنا عند رسول الله قعوداً نذكر الفِتن إلى أن ذكر ﷺ فتنة الدهيماء (فتنة الناس جميعاً) لا تدع أحداً من هذه الأمة إلّا لطمته لطمة. فإذا قيل: انقطعت تمادت، يصبح الرجل مؤمناً ويُمسي كافراً حتى يصير الناس إلى فسطاطين فسطاط إيمان لا نفاق فيه وفسطاط نفاق لا إيمان فيه. لإذا كان ذاكم فانتظروا الدجّال في اليوم أو غد». كان في التاريخ كرٌّ وفرٌّ أما الأمة الآن فعليها استعلاء واستحواذ على الفرد والحاكم والمحكوم والعالِم ولأول مرة في تاريخ البشرية.

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الخاء واللام والحرف المعتل أصلٌ واحد يدلُّ على تعرِّي

(1) معجم مقاييس اللغة.

الشَّيء من الشيء. يقال: هو خِلْوٌ من كذا. إذا كان عِرْواً منه. وخَلَتِ الدار وغيرُها تَخْلُو. والخَلِيُّ: الخالي من الغَمّ. وامرأةٌ خَلِيَّةٌ: كنايةٌ عن الطَّلاق، لأنّها إذا طُلّقت فقد خَلَتْ عن بعلها. ويقال خَلَا لِيَ الشّيءُ وأَخْلَى.

والخَلِيَّةُ: الناقة تُعطَف على غير ولدِها، لأنّها كأنّها خَلَتْ من ولدها الأول. والقرون الخَالِيَةَ: المواضِي. والمكان الخَلَاءُ: الذي لا شيءَ به. ويقال: ما في الدارأحدٌ خَلَا زَيْدٍ وزيداً، أي: دَع ذِكرَ زيدٍ، اخْلُ من ذكر زيد. ويقال: افعَلْ ذاكَ وخَلاَك ذَمٌّ، أي: عَدَاك. وخلَوْت منه وخَلَا منك. ومما شذَّ عن الباب الخَلِيَّةُ: السفينة، وبيت النَّحل. والخَلَا: الحشيش. وربَّما عبَّرُوا عن الشيء الذي يخلُو من حافِظِه بالخَلاة، فيقولون: هو خَلاَةٌ لكذا، أي: هو مِمَّن يُطْمَع فيه ولا حافِظَ له. وهو من الباب الأوّل. وقال قوم: الخَلْيُ: القَطْع، والسيف يَخْتَلِي، أي: يقتَطع. فكأنَّ الخَلَا سُمِّي بذلك لأنّه يُخْتَلى، أي: يُقْطَع. ومن الشاذّ عن الباب: خَلَا به، إذا سَخِر به.

قال الخليل(1): خَلَا يَخْلُو خَلَاءَ فَهو خَالٍ.

والخَلَاءُ من الأرض: قرار خَالٍ لا شيء فيه.

والرجل يَخْلُو خَلْوَةً.

واسْتَخْلَيْتُ الملك فأَخْلَاني، أي: خَلَا معي، وأَخْلَى لي مجلسه.

وخَلَى مكانه، أي: مات. وخَلَيْتُ عنه، أي: أرسلته. وخَلَا قرن، أي: مضى، فهو خَالٍ. والخَلِيُّ: الذي لا هَمَّ له.

والخَلِيّ والخَلِيَّةُ: الموضع الذي يعسل فيه النحل، والكوارة التي تتخذ من طين.

والخَلَاءُ: ممدود البراز.

وما أردت مساءتك خَلَا أني وعظتك، أي: إلّا اني وعظتك.

(1) العين.

ولقيت فلاناً بَخَلاءٍ من الأرض، أي: بأرض خَالِيةٍ.

الخَالِي من الرجال: الذي لا زوجة له.

والقرون الخَالِيَة، هم المواضي.

ويقال: أنا خَلِيٌّ من هذا، وخَلَاءٌ. فمن قال: (خَلِيّ) ثنى وجمع وأنث.

والعرب تقول: (ويل للشجي من الخَلِيّ).

والخَلِيُّ: الذي لا هم له أي: الفارغ.

قال الراغب[1]: الخَلَاءُ: المكان الذي لا ساتر فيه، من بناء ومساكن وغيرها.

والخُلُو يستعمل في الزمان والمكان، لكن لما تصور في الزمان المضي، فسر أهل اللغة: خَلَا الزمان بقولهم: مضى الزمان وذهب.

وناقة خَلِيَّةٌ: مُخْلَاةٌ عن الحَلب، وامرأة خَلِيَّةٌ: مُخلاة عن الزوج.

وقيل للسفينة المتروكة بلا رُبان: خَلِيَّةٌ، والخَلِيُّ: منْ خلاه الهم، نحو المطلقة.

والخَلَاءُ: الحشيش المتروك حتى ييبس.

ويقال: خَلَيْتُ الخَلَاءُ: جززته، وخَلَيْتُ الدابة: جزَزْت لها. ومنه استُعير: سيف يَخْتَلِي، أي: يقطع ما يُضرب به قطعة للخَلَا.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا۟ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ...﴾ [البقرة: 76].

(1) مفردات الراغب.

قال أبو حيان[1]: أي: وإذا انفرد بعضهم ببعض، أي الذنم لم ينافقوا إلى من نافق. و(إلى) قيل: بمعى (مع) أي: وإذا خلا بعضهم مع بعض.

قال المراغي[2]: أي: إذا اجتمع بعض لم ينافق إلى بعض ممن نافق، قال الأولون - عاتبين على الآخرين من المنافقين، وعاذلين لهم على الإفضاء إلى المؤمنين، بما بينت لهم التوراة من الإيمان بالنبي، الذي يجيء مصدقاً لما معهم، كي يقيموا عليهم الحجة من كتاب ربهم، من قبل أن ما حدثوا به موافق لما في القرآن - : ولولا أن محمداً نبي، لما علم بهذا الذي حكاه عنهم.

● **قال تعالى**: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۚ وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ﴾ [فاطر: 24].

قال الطبري[3]: يقول وما من أمة من الأمم الدائنة بملة، إلّا خلا فيها من قبلك نذير ينذرهم بأسنا على كفرهم بالله.

قال القشيري[4]: أي وما من أمة ممن كانوا من قبلك إلّا بعثنا فيهم نذيراً. وفي وقتك أرسلناك إلى جميع الأمم كافة بالحق.

وقيل: المراد: ما من أمة هلكوا بعذاب الاستئصال، إلّا بعد أن أقيم عليهم الحجة بإرسال الرسول بالأعذار والأنذار.

قال ابن كثير[5]: أي وما من أمة خلت من بني آدم، إلّا وقد بعث الله تعالى اليهم النذر وازاح عنهم العلل.

● **قال تعالى**: ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ﴾ [البقرة: 14].

(1) البحر المحيط.
(2) تفسير المراغي.
(3) جامع البيان.
(4) لطائف الإشارات.
(5) تفسير ابن كثير.

قال الماوردي[1]: وفي قوله: ﴿إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ﴾ ثلاثة أوجه:

أحدها: معناه مع شياطينهم، فجعل (إلى) موضع (مع) كما قال تعالى: ﴿مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ [آل عمران: 52]، أي: مع الله.

والثاني: وهو قول بعض البصريين: أنه يقال: خلوت إلى فلان: إذا جعلته غايتك في حاجتك، وخلوت به: يحتمل معنيين: أحدهما هذا. والآخر: السخرية والاستهزاء منه.

فعلى هذا يكون قوله: ﴿وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ﴾ أفصح، وهو على حقيقته مستعمل.

● **قال تعالى**: ﴿تِلۡكَ أُمَّةٞ قَدۡ خَلَتۡۖ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَلَكُم مَّا كَسَبۡتُمۡۖ وَلَا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [البقرة: 134]

قال الطبري[2]: يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿تِلۡكَ أُمَّةٞ قَدۡ خَلَتۡۖ لَهَا﴾: إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وولدهم.

يقول لليهود والنصارى: يا معشر اليهود والنصارى، دعوا ذكر إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والمسلمين من أولادهم بغير ما هم أهله، ولا تنحلوهم كفر اليهودية والنصرانية فتضيفونها إليهم، فإنهم أمة، ويعني بـ (الأمة) في هذا الموضع: الجماعة، والقرن من الناس، (قد خَلَتْ): مضت لسبيلها.

وإنما قيل للذي قد مات فذهب: قد خلا، لتخليه من الدنيا، وانفراده عما كان من الأنس بأهله وقرنائه في دنياه.

قال الفخر الرازي[3]: (خَلَتْ) سلفت ومضت وانقرضت، والمعنى أني اقتصصت عليكم أخبارهم، وما كانوا عليه من الإسلام والدعوة إلى الإسلام،

(1) النكت والعيون.
(2) جامع البيان.
(3) التفسير الكبير.

فليس لكم نفع في سيرتهم دون أن تفعلوا ما فعلوه، فإن أنتم فعلتم ذلك انتفعتم، وإن أبيتم لم تنتفعوا بأفعالهم.

● **قال تعالى:** ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ. . .﴾ [آل عمران: 144].

قال الزجاج(1): أي قد مضت من قبله الرسل، المعنى: أنه يموت كما ماتت الرسل قبله.

قال الزمخشري(2): والمعنى: فسيخلو كما خلوا، وإن أتباعهم بقوا متمسكين بدينهم بعد خلوهم، فعليكم أن تتمسكوا بدينه بعد خلوه، لأن الغرض من بعثة الرسل تبليغ الرسالة وإلزام الحجة، لا وجوده بين أظهر قومه.

قال رشيد رضا(3): حاصل المعنى أن محمداً ليس إلّا بشراً رسولاً قد خلت ومضت الرسل من قبله فماتوا، وقد قتل بعض النبيين كزكريا ويحيى، فلم يكن لأحد منهم الخلد، وهو لا بد أن تحكم عليه سنة الموت، فيخلو كما خلوا من قبله، إذ لا بقاء إلّا الله وحده، ولا ينبغي للمؤمن الموحد أن يعتقده لغيره.

● **قال تعالى:** ﴿قَالَ ٱدْخُلُواْ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ﴾ [الأعراف: 38]

قال ابن الجوزي(4): في قوله: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم﴾ قولان:

احدهما: مضت إلى العذاب.

والثاني: مضت في الزمان، يعني كفار الأمم الماضية.

قال الفخر الرازي(5): أي: تقدم زمانهم زمانكم.

---

(1) معاني القرآن.
(2) الكشاف.
(3) تفسير المنار.
(4) زاد المسير.
(5) التفسير الكبير.

قال أبو حيان[1]: أي تقدمتكم في الحياة الدنيا، أو تقدمتكم، أي: تقدم دخولها في النار.

● **قال تعالى**: ﴿ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ﴾ [يوسف: 9].

قال الزمخشري[2]: يقبل عليكم إقبالة واحدة، لا يلتفت عنكم إلى غيركم. والمراد: سلامة محبته لهم ممن يشاركهم فيها، وينازعهم إياها، فكان ذكر (الوجه) لتصوير معنى إقباله عليهم، لأن الرجل إذا أقبل على الشيء أقبل بوجهه. ويجوز أن يراد بـ (الوجه): الذات، كما قال تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمٰن: 27]، وقيل: ﴿يَخْلُ لَكُمْ﴾ يفرغ لكم من الشغل بيوسف.

قال الفخر الرازي[3]: والمعنى: أن يوسف شغله عنا وصرف وجهه إليه، فإذا فقده أقبل علينا بالميل والمحبة.

● **قال تعالى**: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة: 24].

قال الألوسي[4]: أي: الماضية، وهي أيام الدنيا. وقيل: أي الخالية من اللذائذ، أي: الحقيقة، وهي أيام الدنيا أيضاً.

وقيل: أي التي أخليتموها من الشهوات النفسانية. وحمل عليه ماروي عن مجاهد وابن جبير ووكيع من تفسير هذه الأيام بأيام الصيام.

وأخرج ابن المنذر عن يعقوب الحنفي قال: بلغني أنه إذا كان يوم القيامة، يقول الله تعالى: يا أوليائي طالما نظرت إليكم في الدنيا، وقد قلصت شفاهكم عن الأشربة وغارت أعينكم وخمصت بطونكم، فكونوا اليوم في نعيمكم، وكلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية.

---

(1) البحر المحيط.
(2) الكشاف.
(3) التفسير الكبير.
(4) روح المعاني.

● **قال تعالى:** ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ وَخُذُوهُمۡ وَٱحۡصُرُوهُمۡ وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ مَرۡصَدٖۚ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [التوبة: 5].

قال الطبري[1]: فدعوهم يتصرفون في أمصاركم، ويدخلون البيت الحرام.

قال الفخر الرازي[2]: قوله: ﴿فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ﴾ قيل: إلى البيت الحرام، وقيل: إلى التصرف في مهماتهم، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ لمن تاب وآمن.

وفيه لطيفة، وهو أنه تعالى ضيق عليهم جميع الخيرات، وألقاهم في جميع الآفات، ثم بين أنهم لو تابوا عن الكفر وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة، فقد تخلصوا من تلك الآفات في الدنيا، فنرجو من فضل الله أن يكون الأمر كذلك يوم القيامة أيضاً.

---

(1) جامع البيان.

(2) التفسير الكبير.

خمد

(خمد - سكن - كسل - ثقل - نعس)

- **الخُمودُ:** انطفاء لهب النار وسكون كل شيء دائم الحركة ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ﴾ [يس: 29].
- **السُّكُونُ:** ثبوت الشيء بعد تحرك ﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [الأنعام: 13].
- **الكَسَلُ:** ضعف النشاط في حال تقتضي قوته ﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ﴾ [التوبة: 54].
- **التَّثاقُلُ:** ضعف الاندفاع في حال يقتضي شدته ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ [التوبة: 38].
- **النُّعاسُ:** ضعف حالة الاستيقاظ باتجاه النوم ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً﴾ [الأنفال: 11].

❊ ❊ ❊

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس(1): الخاء والميم والدال أصلٌ واحد، يدلُّ على سكونِ الحركة والسُّقوط. خَمَدَتِ النارُ خُموداً: إذا سكَنَ لَهبُها. وخَمَدَت الحُمَّى: إذا سكَنَ وهَجُها. ويقال للمُغْمَى عليه: خَمَدَ.

---

(1) معجم مقاييس اللغة.

قال الخليل(1): خَمَدَ القوم: إذا لم تسمع لهم حساً، وقوم خُمُودٌ.

وخَمَدَتِ النار خُمُوداً: سكن لهبها، وإذا طفئت قيل: همدت.

خَمَدَتِ النار تَخْمُدُ خُمُوداً، فإذا طفئت قيل: همدت، فإذا صار رماداً، قيل: هبا يهبو، وهو هابٍ.

قال الجوهري(2): خَمَدَتِ النار تَخْمُدُ خُموداً: سكَنَ لهبها ولم يَطْفَأْ جَمْرُها. وهَمَدَتْ: إذا طفئ جمرها. وأَخْمَدْتُها أنا. وخَمَدَتِ الحُمَّى: سكَن فَوَرانُها. وخَمَدَ المريض: أُغميَ عليه أو مات. والخَمُّودُ: موضع تدفنُ فيه النارِ لتَخْمُدَ.

قال أبو هلال(3): الفرق بين أخمدت النار وأطفاتها: أن الإخماد يستعمل في الكثير، والإطفاء في الكثير والقليل. يقال: اخمدت النار واطفأت النار. ويقال: اطفأت السراج، ولا يقال: أخمدت السراج.

وطفئت النار يستعمل في الخمود مع ذكر النار، فيقال: خمدت نيران الظلم. ويستعار الطفء في غير ذكر النار، فيقال: طفىء غضبه، ولا يقال: خمد غضبه؛ وفي الحديث: «**الصدقة تطفىء غضب الرب**».

وقيل: الخمود يكون بالغلبة والقهر، والإطفاء بالمداراة والرفق، ولهذا يستعمل الإطفاء في الغضب، لأنه يكون بالمداراة والرفق، والإخماد يكون بالغلبة، ولهذا يقال: خمدت نيران الظلم والفتنة.

وأما الخمود والهمود فالفرق بينهما: أن خمود النار أن يسكن لهبها ويبقى جمرها، وهمودها: ذهابها البتة. وأما الوقود بضم الواو فاشتعال النار، والوقود بالفتح ما يوقد به.

ومن المجاز: خَمَدَت الحمى: سكنت.

وخَمَدَ فلان: مات، أو أغمي عليه، ﴿فَإِذَا هُمْ خَـٰمِدُونَ﴾ [يسٓ: 29].

---

(1) العين.

(2) الصحاح في اللغة.

(3) الفروق.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾ [يس: 29].

قال الفخر الرازي[1]: فيه إشارة إلى سرعة الهلاك؛ فإن خمودهم كان مع الصيحة وفي وقتها لم يتأخر، ووصفهم بالخمود في غاية الحسن وذلك لأن الحي فيه الحرارة الغريزية، وكلما كانت الحرارة أوفر كانت القوة الغضبية والشهوانية أتم، وهم كانوا كذلك. أما الغضب فإنهم قتلوا مؤمناً كان ينصحهم، وأما الشهوة فلأنهم احتملوا العذاب الدائم بسبب استيفاء اللذات الحالية ؛ فإذن كانوا كالنار الموقدة، ولأنهم كانوا جبارين مستكبرين كالنار ومن خلق منها، فقال: ﴿فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾.

قال القرطبي[2]: أي: ميتون، هامدون، تشبيهاً بالرماد الخامد، وقال قتادة: هلكى. والمعنى واحد.

قال البيضاوي[3]: ميتون، شبهوا بالنار رمزاً إلى أن الحي كالنار الساطعة، والميت كرمادها.

● **قال تعالى**: ﴿فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ﴾ [الأنبياء: 15].

قال الماوردي[4]: والخمود: الهمود، كخمود النار إذا أطفئت، فشبه خمود الحياة بخمود النار، كما يقال لمن مات: قد طفىء تشبيهاً بانطفاء النار.

قال المراغي[5]: أي كالنار التي خمدت وانطفأت، وخمدت حركاتهم، وهدأت أصواتهم، ولم ينبسوا ببنت شفة.

---

(1) التفسير الكبير.
(2) الجامع لأحكام القرآن.
(3) أنوار التنزيل.
(4) النكت والعيون.
(5) تفسير المراغي.

خَمَرَ

(خمار - ثوب - لباس - جلباب - كساء - سربال - ريش - إزار)

- **الخِمَارُ:** غطاء الرأس. ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: 31].
- **الثَّوْبُ:** هو الثوب الظاهر الذي يستر العورة والذي تقابل به الناس ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ [المدَّثر: 4].
- **اللِّبَاسُ:** هو كل شيء خفي سواء كان مادياً أو معنوياً يسمى لباس. وهو الخفي الذي يستر السوءة وليس العورة، فالعورة قد تُستر بسياج عال حول البيت. ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِي سَوْءَٰتِكُمْ﴾ [الأعراف: 26].
- **الجِلْبَابُ:** ثوب له أكمام ويُقفل من الأمام. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: 59].
- **الكِسَاءُ:** هو الثوب الذي يُلقى على الكتف إلقاءً، فيشمل الجسد من غير أن يكون مخيطاً ﴿وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [النّساء: 5].
- **السِّرْبَالُ:** كل شيء غليظ يقيك من الحر أو البرد أو الضرب. ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ﴾ [النّحل: 81].
- **الرِّيشُ:** هو ما يدل على الترف وهو حلال ما دام لا يؤدي بلابسه إلى الخيلاء والزهوّ. ﴿قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِي سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [الأعراف: 26].
- **الإِزَارُ:** ما يشدّ من الوسط حتى القدمين ﴿ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى﴾ [طه: 31].

شرح المعاني:

الخمار: والغطاء من حيث المرأة في الإسلام يُسمى خماراً، هذا إذا لم يكن الغطاء صلباً تغطي المرأة فيه شعرها وهو يمنع الوصول إلى شعر المرأة بالنظر. والخمار هو غطاء الرأس ولمّا لم يكن صلباً لا يُسمى غطاء بل يُسمّى خماراً. ويقال: خَمَر الشيء بمعنى ستَرَه. والحديث الشريف يقول: **(خمّروا الآنية)** أي: غطّوها بشيء ليس صلباً كقماش أو نايلون أو نحوه. ولهذا جاء الحكم من الله تعالى لنساء المؤمنين بضرب خمورهن على جيوبهن كما في آية سورة النور: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: 31].

الحجاب: الحجاب في القرآن هو منع الوصول إلى الشيء من حيث التلاقي ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: 53] الآية في سورة الأحزاب تعني منع الآخرين من لقاء نساء النبي ﷺ والوصول إليهن. وكذلك قوله في سورة الأعراف: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْ وَنَادَوْا۟ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ [الأعراف: 46] الحجاب يمنع أصحاب الأعراف من الوصول إلى الجنة ولقاء أهلها تصديقاً لقوله تعالى في

سورة الحديد: ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾ [الحديد: 13]. فالحجاب إذن بهذا المعنى هو خاصٌ بنساء النبي ﷺ، أما نساء المسلمين فيمكن لهم التقاء الآخرين إذا كانت عليهن الملابس الشرعية وفي إطار الحشمة. وقد وردت كلمة الحجاب في القرآن الكريم في مواضع أخرى هي: سورة الإسراء: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ [الإسراء: 45]، وسورة مريم: ﴿فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم: 17]، وسورة فُصّلت: ﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ﴾ [فصلت: 5] وسورة الشورى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾ [الشورى: 51].

الغطاء: هو منع الوصول إلى رأس الشيء. فكل شيء يوضع على الرأس ويكون صلباً يُسمّى غطاءً، كالقدر يوضع عليه غطاء فلا يمكن لليد أن تصل إلى القدر إلا بعد أن ترفع الغطاء. وتُسمى خوذة الجنود غطاءً لأنها تمنع الوصول إلى الرأس وهي صلبة. وكذلك تُسمى القلنسوات الحديدية التي يلبسها المحاربون في المعركة. إذن فالغطاء هو كل شيء سميك صلب يمنع الوصول إلى الشيء. وقد استعمل القرآن الكريم هذه الكلمة للشرك في سورة الكهف: ﴿ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطَآءٍ عَن ذِكْرِى وَكَانُوا۟ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ [الكهف: 101] فالشرك كان صلباً بحيث لا يلين. وكذلك استعملت للجهل إذا كان مُطبقاً ولا يمكن رفعه كما في قوله تعالى في سورة قَ: ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [قَ: 22] هناك جهل من طبيعة قوانين عقل الإنسان لأن معارف الإنسان في الدنيا قليلة مهما بلغ من العلم، وعندما يموت يكشف الله تعالى له معارف عظيمة لم يكن يفهمها من قبل بطبيعة عقله الإنساني.

الغشاء: إذا كان الغطاء ليس فقط للرأس وإنما للرأس والوجه يُسمّى غشاءً أو

غُشوة كما في اللغة الدّارجة، كما جاء في قوله تعالى في سورة هود: ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ لِيَسۡتَخۡفُواْ مِنۡهُۚ أَلَا حِينَ يَسۡتَغۡشُونَ ثِيَابَهُمۡ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [هود: 5] وفي سورة نوح ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوۡتُهُمۡ لِتَغۡفِرَ لَهُمۡ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا﴾ [نوح: 7]، وضعوا ثيابهم على رؤوسهم ووجوههم حتى غطّتها بالكامل. وكل شيء يغمر الوجه والرأس كله وجهاً وشعراً يُسمى غشاء كما في سورة طه: ﴿فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلۡيَمِّ مَا غَشِيَهُمۡ﴾ [طه: 78] الماء صار فوقه رؤوسهم ووجوههم وفي سورة الأنفال ﴿إِذۡ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةٗ مِّنۡهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذۡهِبَ عَنكُمۡ رِجۡزَ ٱلشَّيۡطَٰنِ وَلِيَرۡبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمۡ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلۡأَقۡدَامَ﴾ [الأنفال: 11] وكذلك في سورة آل عمران: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنۢ بَعۡدِ ٱلۡغَمِّ أَمَنَةٗ نُّعَاسٗا يَغۡشَىٰ طَآئِفَةٗ مِّنكُمۡۖ وَطَآئِفَةٞ قَدۡ أَهَمَّتۡهُمۡ أَنفُسُهُمۡ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ مِن شَيۡءٖۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَمۡرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِۗ يُخۡفُونَ فِيٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبۡدُونَ لَكَۖ يَقُولُونَ لَوۡ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٞ مَّا قُتِلۡنَا هَٰهُنَاۗ قُل لَّوۡ كُنتُمۡ فِي بُيُوتِكُمۡ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَتۡلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمۡۖ وَلِيَبۡتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمۡ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [آل عمران: 154] النعاس شمل جميع الرأس وما حوى. وقد استعمل القرآن كلمة الغشاء في مواضع عديدة منها في سورة لقمان: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوۡجٞ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ فَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٖ كَفُورٖ﴾ [لقمان: 32] وفي سورة البقرة: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ [البقرة: 7] وسورة يسٓ: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ سَدّٗا وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ سَدّٗا فَأَغۡشَيۡنَٰهُمۡ فَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ﴾ [يسٓ: 9] وفي سورة يونس: ﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةِۭ بِمِثۡلِهَا وَتَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۖ كَأَنَّمَآ أُغۡشِيَتۡ وُجُوهُهُمۡ قِطَعٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مُظۡلِمًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [يونس: 27] وكذلك في سورة الليل ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ﴾ [الليل: 1]. فالغشاء إذن شمولي والخمار جزئي.

النقاب: هو ما يوضع على الوجه فقط. وهي مأخوذة من نقب الأمر أي: العمل الصالح الكريم. ولهذا كان رئيس القوم يُسمّى نقيباً لعمله الصالح العظيم. وفي التاريخ الإنساني كان رئيس القوم يتنقب أي: يُغطي وجهه دلالة على كرمه وشجاعته. وكان يُسمّى نقيب القوم. وما زالت بعض القبائل في المغرب العربي يغطون وجوههم رجالاً ونساءً. وقد استعمل القرآن هذه الكلمة في سورة المائدة: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة: 12]. وكل عمل صالح يُسمّى منقبة. والمناقب هي الأعمال الكريمة كما يُقال: مناقب الصحابة. وكذلك المنقبة النبوية وهي شعر في مدح النبي ﷺ وشمائله.

الستار: كل شيء يُستقبح النظر إليه ويُستقبح الوصول إليه يُسمّى ستاراً. عندما يُستقبح أن يُرى الشيء يُسمى ستاراً. فالإنسان يستقبح أن يرى أحد عورته أو ما في داخل بيته، ولهذا نضع ستائر على النوافذ. وقد وردت هذه الكلمة في القرآن الكريم في سورة فُصّلت: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [فصلت: 22] وفي سورة الكهف: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾ [الكهف: 90].

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الخاء والميم والراء أصلٌ واحد يدلُّ على التغطية، والمخالطةِ في سَتْر. فالخَمْرُ: الشَّراب المعروف.

ويقال به خُمَارٌ شَديد. ويقولون: دَخَلَ في خَمَارِ الناسِ وخَمَرِهم، أي: زحْمتهم. و«فلانٌ يَدِبُّ لفُلانٍ الخَمَر»، وذلك كناية عن الاغتيال. وأصلُه ما وارَى الإنسان من شجرٍ.

والخِمَارُ: خِمَار المرأة. وامرأةٌ حسنَة الخِمْرَة، أي: لُبْس الخِمار. وفي المثل: «العَوَانُ لا تُعَلَّم الخِمْرة». التغطية. ويقال في القوم إذا تواروْا في خَمَرِ الشَّجر: قد أخْمَرُوا. فأمّا قولهم: «ما عِندَ فُلانٍ خَلٌّ ولا خَمْرٌ» فهو يجري مَجرى المثل، كأنّهم أرادوا: ليس عِنده خيرٌ ولا شَرّ. قال أبو زيد: خامَرَ الرّجُل المكانَ: إذا لزِمه فلم يَبْرح. فأمَّا المُخَمَّرَةُ من الشاءِ: فهي التي يبيضُّ رأسها مِن بين جسدِها. وهو قياسُ الباب؛ لأنَّ ذلك البياضَ الذي برأسها مشبّهٌ بخِمَارِ المرأة. ويقال: خمَّرْتُ العجينَ، وهو أنْ تتركَه فلا تستعملَه حتّى يَجُود. ويقال: خَامَرَهُ الدّاء، إذا خالط جوفَه.

ويقال: اختَمَرَ الطِّيبُ، واخْتَمَرَ العَجين. ووجدت منه خُمْرَةً طيِّبة وخَمَرَةً، وهو الرّائحة. والمخَامَرَةُ: المقارَبة. وفي المثل: «خامِري أُمَّ عامِرِ»، وهي الضَّبع.

وفي الحديث: «**أنه كان يسجدُ على الخُمْرة**». شذَّ عن هذا الأصل الاسْتِخْمَارُ، وهو الاستعباد؛ يقال: استخمرت فلاناً: إذا استعبدتَه.

وهو في حديث مُعاذ: «من استَخْمَر قوماً»، أي: استعبَدَهم.

---

(1) معجم مقاييس اللغة.

قال الخليل[1]: اخْتَمَر الخَمْرُ، أي: أَدرك، ومَخْمَرُها: متخذها، وخَمْرَتُها: ما غشي المَخْمُورُ من الخمار والسكر.

واخْتَمَر الطيب والعجين خَمْرَةً.

ووجدت منه خَمْرَةَ طيبةً: إذا اختمر الطيب، أي: وجد طيبه.

وخَمَّرْتُ العجين والطيب: تركته حتى يجود.

واخْتَمَرَتِ المرأة بالخِمَارِ.

وأَخْمَرَهُ البيت: ستره، وخَمَّرْتُ البيت أي: سترته.

وخَامَرَهُ الداء: خالط جوفه.

وخَمَّرْتُ الإناء: غطيته، قال رسول الله ﷺ: «**خَمِّروا شرابكم ولو بعُود**».

والخَمَرُ: وهدة يختفي فيها الذئب.

قال الراغب[2]: أصل الخمر: ستر الشيء، ويقال يستر به: خِمَارٌ. لكن الخِمَارُ صار في التعارف اسماً تغطي به المرأة رأسها؛ وجمعه: خُمُرٌ، قال تعالى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: 31]. واخْتَمَرتِ المرأة وتَخَمَّرَتْ، وخَمَّرْتُ الإناء: غطيته.

المعاني المشتركة:

* وقد ورد (خمر) في القرآن الكريم في المعاني المشتركة التالية:

1 - **الشراب**: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ﴾ [البقرة: 219].

2 - **العنب**: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ﴾ [يوسف: 36] أي عنباً.

(1) العين. (2) مفردات الراغب.

3 - **شراب الجنة:** ﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ [محمد: 15].

4 - **ثوب تغطي به المرأة رأسها** ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النُّور: 31].

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى:** ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ...﴾ [البقرة: 219].

قال القشيري(1): الخمر ما خامر العقول، والخمر حرام. والإشارة فيه أنه يزيد نفاد العقل بما يوجب عليه من الالتباس. ومن شرب من خمر الغفلة فسكره أصعب؛ فشراب الغفلة يوجب البعد عن الحقيقة، وكما أن من سكر من خمر الدنيا ممنوع عن الصلاة، فمن سكر من خمر الغفلة فهو محجوب عن المواصلات.

وكما أن من شرب من خمر الدنيا وجب عليه الحد، فكذلك من شرب شراب الغفلة فعليه الحد، إذ يضرب بسياط الخوف. وكما أن السكران لا يقام عليه الحد ما لم يفق، فالغافل لا ينجح فيه الوعظ ما لم ينته. وكما أن مفتاح الكبائر شرب الخمر، فالغفلة أصل كل زلة وسبب كل ذلة وبدء كل بعد، وحجبة عن الله تعالى.

قال ابن عطية(2): الخطاب للمؤمنين جميعاً، لأن هذه الأشياء شهوات وعادات قد تلبس بها في الجاهلية، وغلبت على النفوس، فكان بقي منها في نفوس كثير من المؤمنين، فأما الخمر فكانت لم تحرم بعد.

وأمر الله تعالى باجتناب هذه الأمور، واقترنت بصيغة الأمر في قوله: (فاجتنبوه) نصوص الأحاديث وإجماع الأمة، فحصل الاجتناب في رتبة التحريم،

(1) لطائف الإشارات.
(2) المحرر الوجيز.

فبهذا حرمت الخمر بظاهر القرآن ونص الحديث وإجماع الأمة . . . وأمر الخمر إنما كان بتدريج ونوازل كثيرة.

قال الرازي(1): فإن قيل: كيف جمع الخمر والميسر والأنصاب والأزلام في الآية الأولى، ثم خص الخمر والميسر في الآية الثانية؟

قلنا: لأن العدواة والبغضاء بين الناس تقع كثيراً بسبب الخمر والميسر وكذلك يشتغلون بهما عن الطاعة، بخلاف الأنصاب والأزلام، فإن هذه المفاسد لا توجد فيها، وإن كانت فيها مفاسد آخر.

وقيل: إنما كرر ذكر الخمر والميسر فقط، لأن الخطاب للمؤمنين بدليل قوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [البقرة: 104] وهم إنما يتعاطون الخمر والميسر فقط، وإنما جمع الأربعة في الآية الأولى إعلاماً للمؤمنين أن هذه الأربعة من أعمال الجاهلية، وأنه لا فرق بين من عبد صنماً أو أشرك بالله تعالى بدعوى علم الغيب، وبين من شرب الخمر أو قامر مستحلاً لهما.

● **قال تعالى**: ﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ. . .﴾ [محمد: 15]

قال ابن عربي(2): ﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ﴾ أي: أصناف من محبة الصفات والذات.

قال الألوسي(3): وهي خمر الشوق والمحبة.

قال الشعراوي(4): نعم أنهار من خمر مُعدَّة وجاهزة، ليس هناك عنب يُعصر، إنما بكُنْ فيكون. وإذا كانت خمر الدنيا مُحرَّمة، وتذهب بالعقل ولها رائحة كريهة، فخمر الآخرة لها لذة عند شربها ولا تذهب بالعقل، فليس لها من خمر الدنيا إلا اسمها. وليس في الدنيا أنهار من خمر لأن خمر الدنيا بالأسباب، فهو كميات قليلة بمقدار ما يُعصر من العنب أو غيره، والحق سبحانه لما تكلم عن

---

(1) مسائل الرازي.
(2) تفسير القرآن لابن العربي.
(3) روح المعاني.
(4) تفسير الشعراوي.

خمر الدنيا قال: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ. . .﴾ [البقرة: 219].

فالمنافع لا قيمة لها إذا ما قورنت بالمضار والحرمة، صحيح هي تُشعرك بشيء من النشوة أو السعادة، وتضحك وتفرح وتنسي همومك، لكنها بعد ذلك تغتال عقلك وتسلبك وقارك. فإذا أضفتَ إلى ذلك أنها محرمة، وأنها من أكبر الكبائر بان لك ضررها.

● **قال تعالى:** ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ﴾ [النور: 31].

قال الطبري[1]: يقول تعالى ذكره: وليلقين خمرهن، وهي جمع خمار، على جيوبهن، ليسترن بذلك شعورهن وأعناقهن وقرطهن.

قال أبو السعود[2]: إرشادٌ إلى كيفيَّة إخفاءِ بعضِ مواضعِ الزِّينة بعد النَّهي عن إبدائِها. وقد كانتِ النِّساءُ على عادةِ الجاهليةِ يسدُلْن خُمرَهنَّ من خلفهنَّ فتبدُو نحورُهنَّ وقلائدهُنَّ من جيوبِهنَّ لوسعِها فأُمرن بإرسالِ خمرهنَّ إلى جيوبهنَّ ستراً لما يبدُو منها: وقد ضُمِّن الضَّربُ معنى الإلقاءِ فعُدِّي بعَلَى. وقُرِىء بكسرِ الجيمِ كما تقدَّم.

(1) جامع البيان.

(2) إرشاد العقل السليم.

خَمَسَ

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الخاء والميم والسين أصلٌ واحد، وهو في العدد. فالخمسة معروفة. والخمس واحدٌ من خَمْسَةٍ. يقال خَمَسْتُ القومَ: أخذْتُ خُمْسَ أموالِهم، أخْمُسُهم. وخَمَسْتُهم: كنتُ لهم خامساً، أخْمِسُهُم. والخِمْس: ظِمْءٌ من أظماء الإبل. والخميس: اليوم الخامسُ من الأسبوع، وجمعُه أَخمِساءُ وأخمِسَةٌ، كقولك نصيبٌ وأنصِباءُ [وأنصِبة]. والخُماسِيُّ والخُماسيّة: الوَصيف والوصيفةُ طولُه خمسةُ أشبار. ولا يقال سُدَاسِيٌّ ولا سُباعيٌّ إذا بلغ ستّةَ أشبارٍ أو سبعةً. وفي غير ذلك الخُماسيُّ ما بلغ خَمسةً، وكذلك السداسيُّ والعُشاريّ. والخَميس والمخمُوس من الثِّياب: الذي طولُه خَمسُ أذرُع.

ومما شذَّ عن الباب الخَمِيس: وهو الجَيْش الكثير. ومن ذلك الحديثُ: «**أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لما أشْرَفَ على خَيْبر قالوا: محمدٌ والخَمِيس**»، يريدون الْجَيْش.

قال الخليل[2]: خمس: الخُماسيّ والخُماسِيَّةُ من الوصائف: ما كان طوله خَمْسَة أشبارٍ، ولا يقال: سُداسيٌّ ولا سُباعيٌّ في هذا، وفي غير ذلك: الخماسيّ: ما بلغ خَمْسَةً، وكذلك السُّداسيُّ والعُشارِيُّ. والخميسيُّ والمَخْمُوسُ من الثوب: الذي طوله خَمْسُ أذرع، ويقال: بل الخَمِيسيُّ: ثوبٌ منسوبٌ إلى

(1) معجم مقاييس اللغة. (2) العين.

ملكٍ من ملوك اليمن كان أمر بعملِ هذه الثياب، فنسبت إليه. والخَمْسُ: تأنيث الخَمْسة. والخَمْسُ: أخذك واحداً من خَمْسةٍ، تقول: خَمَسْتُ مال فلانٍ، وتقول: هذا خامِسُ خَمْسةٍ، أي: واحد من خمسة.

والخُمْسُ: جزء من خَمْسة، وخَمَسْتُ القوم، أي: تموا بي خَمْسة. والخِمْسُ: شرب الإبل يوم الرابع من يوم صدرت، لأنهم يَحْسِبُون يوم الصدر فيه. والخَمِيسُ: الجيشُ. والخَمِيسُ: الخُمْسُ، كالعشير من العشر. والأَخْماس: برودٌ من برود اليمن. والمُخامِسُ: الذي يقاسمك الخُمْسَ وتقاسمهُ.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ [الكهف: 22].

قال ابن عطية[1]: «خمَسة» بفتح الميم إتباعاً لعشرة، وقرأ ابن محيصن «خِمِسة» بكسر الخاء والميم.

● **قال تعالى**: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: 14].

قال الفخر الرازي[2]: ﴿أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ كقوله تسعمائة وخمسين سنة، فما الفائدة في العدول عن هذه العبارة إلى غيرها؟ فنقول قال الزمخشري فيه فائدتان إحداهما: أن الاستثناء يدل على التحقيق وتركه قد يظن به التقريب، فإن من قال: عاش فلان ألف سنة يمكن أن يتوهم أن يقول: ألف سنة تقريباً لا تحقيقاً، فإذا قال: إلا شهراً أو إلا سنة يزول ذلك التوهم ويفهم منه التحقيق.

(1) المحرر الوجيز.
(2) التفسير الكبير.

الثانية: هي أن ذكر لبث نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ في قومه كان لبيان أنه صبر كثيراً، فالنبي عَلَيْهِ السَّلَامُ أولى بالصبر مع قصر مدة دعائه. وإذا كان كذلك فذكر العدد الذي في أعلى مراتب الأعداد التي لها اسم مفرد موضوع، فإن مراتب الأعداء هي الآحاد إلى العشرة والعشرات إلى المائة والمئات إلى الألف، ثم بعد ذلك يكون التكثير بالتكرير فيقال عشرة آلاف، ومائة ألف، وألف ألف.

قال الزمخشري(1): كان عمر نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ ألفاً وخمسين سنة، بعث على رأس أربعين، ولبث في قومه تسعمائة وخمسين، وعاش بعد الطوفان ستين. وعن وهب: أنه عاش ألفاً وأربعمائة سنة. فإن قلت: هلا قيل: تسعمائة وخمسين سنة؟ قلت: ما أورده الله أحكم. لأنه لو قيل كما قلت، لجاز أن يتوهم إطلاق هذا العدد على أكثره، وهذا التوهم زائل مع مجيئه كذلك،

وكأنه قيل: تسعمائة وخمسين سنة كاملة وافية العدد، إلا أنّ ذلك أخصر وأعذب لفظاً وأملأ بالفائدة، وفيه نكتة أخرى: وهي أنّ القصة مسوقة لذكر ما ابتلي به نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ من أمّته وما كابده من طول المصابرة، تسلية لرسول الله ﷺ وتثبيتاً له، فكان ذكر رأس العدد الذي لا رأس أكثر منه، أوقع وأوصل إلى الغرض من استطالة السامع مدّة صبره.

(1) الكشاف.

خمص

(خمص - جوع - خصص - السغب)

- **الخَمْصُ:** ضمور البطن من شدة الجوع ﴿فِي مَخْمَصَةٍ﴾ [المائدة: 3].
- **الجُوعُ:** الألم من خلوّ المعدة من الطعام ﴿أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: 3].
- **الخَصَاصَةُ:** خلوّ البيت مما يؤكل ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: 9].
- **السَّغَبُ:** اجتماع الجوع والعطش والتعب ﴿أَوْ إِطْعَٰمٌ فِي يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ﴾ [البلد: 14].

❊ ❊ ❊

شرح المعاني:

الجوع: هو ألم البطن الأولي لفراغ المعدة من الطعام وهو أول درجات خلو البطن من الطعام. فكل يوم نصاب بالجوع وهو من قوانين البشر. كما نظمأ فنشرب ونتسخ فنغتسل وكذلك نجوع فنأكل. فقد نشعر بالجوع صباحاً فنفطر ونجوع ظهراً فنتغدى ونجوع مساءً فنتعشى. وقد قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ﴾ [الغاشية: 7]، ﴿ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: 4] ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: 155].

خصاصة: إذا استمر الجوع في الإنسان أو في مجموعة من الناس لمدة أطول

كأسبوع أو أسبوعين أو شهر أو أكثر يسمى خصاصة. والخص هو نبات من القش أصفر وضعيف وهزيل، فإذا أدى الجوع بالإنسان إلى اصفرار لونه ولا يشبع مما يأكل ولكنه لم يصل بعد إلى درجة المجاعة، إنما الطعام قليل فيظهر على الوجوه عدم الشبع وهو ما يعرف بمصطلح العصر بـ (سوء التغذية) تسمى هذه الحالة: خصاصة. وهكذا كان أهل المدينة المنورة من الأنصار لقلة الطعام عندهم بعدما تقاسموا مع المهاجرين طعامهم وآثروهم على أنفسهم في كثير من الأحيان. قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: 9].

مخمصة: إذا تطور الجوع بحيث أدى إلى تشويه في الوجه والجسد. كأن تصبح العيون غائرة والبطن مخسوف وغائر إلى حد مشوه فعندها يسمى: مخمصة. (غار الوجه بحيث تبدو الجمجمة ظاهرة والبطن عظامها ظاهرة) كما نرى في صور من أصابتهم المجاعة في أفريقيا ودول العالم الثالث الفقيرة. ويقال: أخمص القدم: إذا تشوهت القدم من الأسفل أي: حدث فيها خسف إلى الداخل. هذه الحالة تسمى مخمصة وهي الحالة التي فيها يحق لصاحبها أن يأكل مما حرم الله عليه كما في قوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ﴾ [المائدة: 3] والآية هنا لا تعني من كان في سفر قصير ولم يجد طعاماً حلالاً وجاع، فالإنسان يمكنه البقاء بدون طعام مدة من الزمن. وذلك لوجود الدهون والشحوم في جسده التي تذوب عند الإحساس بالجوع وتغطي إحساس الجوع الذي يشعر به الإنسان، وعندما تنفد هذه الدهون ويصفر الوجه ويهزل الجسم وتغور البطن وتصبح حياة الإنسان مهددة، عندها يجوز أكل المحرمات فقط. ولهذا يجب مراعاة هذه النقطة لئلا نقع في المحظورات لمجرد سوء فهم معنى الكلمة (مخمصة).

مسغبة: إذا صادف مع هذه المخمصة حالة من التعب والعناء والحالة المزرية

تسمى مسغبة. والله سبحانه وتعالى عنده عبادات تكفي عن كل العبادات مثل: الشهادة في سبيل الله فكأن كل طاعات الشهيد الأخرى اختزلت في هذه الشهادة. كذلك الذي يطعم في مسغبة فالحال هنا تشابه حال المحكوم بالإعدام ثم تفكه، أو عبد مملوك فتعتقه وتحرره (فك رقبة). وكذلك الإطعام هنا يجب أن يكون له مزية وليس بإطعام ما تبقى لدينا من طعام في يوم ذي حصار شديد ومعاناة شديدة وتعب شديد ثم يصبح عندك طعام فتطعمه هذا الذي يحاسب الله تعالى عليه بما شاء سبحانه. ﴿أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ﴾ [البلد: 14].

الجوع له جانبان: جانب إيجابي عظيم. وهو الجوع الاختياري أو الجوع لهدف عظيم وجانب سلبي لئيم كالجوع الإجباري: كأن تجوع لأن غيرك استولى على حقك بالغذاء.

وللجوع عدة أنواع منها:

الجوع العظيم: وهو الصوم الذي يعتمد على الجوع أولاً، وهو أعظم العبادات (**كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به**)، فالصوم يطهر الشمائل ويكفر الذنوب، وما من حسنة وفضيلة في الإنسان إلا الصوم أساسها. ولما أراد الله تعالى أن يقابل موسى ليكلمه طلب منه الصوم فصام موسى 40 يوماً فارتقت نفسه عن الغرائز والشهوات. وفيما يروى أن الله تعالى خلق العقل فقال: ما خلقت أفضل منك، فقال له: أقبل فأقبل، ثم قال له تعالى: أدبر فأدبر، فقال له الله تعالى: من أنا؟ قال: أنت الله لا إلٰه إلا أنت، وخلق الله تعالى النفس فقال لها: ما خلقت أشر منك، فقال لها: من أنا؟ قالت: أنت أنت وأنا أنا. ففرض عليها الصوم، ثم دعاها فأقبلت قال: من أنا؟ قالت: أنت الله لا إلٰه إلا أنت. والله أعلم. ولأهمية الصوم وعظم ثوابه وحسناته كان كفارة للذنوب، فكفارة القتل الخطأ صيام شهرين متتابعين؛ وكفارة اليمين الكاذب صوم ثلاثة أيام، وكفارة الحلق للمحرم صيام عشرة أيام، وكفارة ترك معاشرة الزوجة الصوم أيضاً. ولولا ثوابه العظيم وما يفيد النفس البشرية لما فرضه الله تعالى علينا وجعله كفارة

لذنوبنا. وقد وصف الله تعالى الصوم بالصبر في قوله: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ﴾ [البقرة: 45].

الجوع الإجباري: هو أسوأ أنواع الجوع. بأن يحرمك غيرك من حقك بالطعام. فالتجويع من شر الأعمال على الأرض، فما من شر أشد من أن تتعمد أن تجيع فرداً أو مجتمعاً أو شعباً بأكمله، كما يحصل في الحصارات للبلاد العديدة كما حصل في العراق وغيره من البلاد التي يتسلط عليها من يجوعها ويمنع الطعام عنها. وصدق الرسول الكريم ﷺ في حديثه: (**امرأة دخلت النار في قطة حبستها وأجاعتها**).

الجوع الرحيم: كأن تجوع لغيرك كما فعل أهل المدينة من الأنصار، جاعوا هم ليطعموا إخوانهم من المهاجرين.

الجوع الكريم: أو جوع العفة كما في قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًاۗ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 273] حتى ولو كان بهم جوع لا يسألون أحداً الطعام لشدة عفتهم وعزة نفوسهم مع أنهم يتضورون جوعاً.

الجوع الوسيم: هو ما يفعله الناس من جوع بهدف الرشاقة واللياقة، أو ما يفعله بعض فرق الكوماندوس الذين يتدربون تدريباً قاسياً ويتبعون حمية معينة فلا يأكلون أي شيء يريدون متى شاؤوا.

الجوع اللئيم: وهو شعور الجوع الذي يشعر به من لا يثق بالله تعالى ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: 112] يخاف الناس من الجوع القادم لأنهم لا يثقون بالله الرزاق العليم.

الجوع السقيم: وهو جوع المرض أو الخوف أو الكآبة، فكل هؤلاء يفقد شهيته للطعام.

الجوع العظيم: وهو الابتلاء ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: 155] ولنتوقف قليلاً عند هذه الآية: الخائف لا يتلذذ بشيء. فالأمن والغذاء هما أساس كون الإنسان صالح للحركة، الجائع حركته خاطئة والخائف حركته خاطئة ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾﴾ [قريش: 3-4] وفي حديث الرسول: «**لعن الله من أخاف مسلماً**». وهنا ينبغي أن نفرق بين البلاء والفتنة والامتحان.

الابتلاء يكون بما تكره (الجوع، الخسف، الخوف. .) ويكون لجلاء الصبر. ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ﴾ [محمد: 31].

الفتنة تكون بما تحب كالمال والسلطة والنساء والأولاد وهي لجلاء الشكر، وليرى الله تعالى مدى شكرك له وكيف تستعمل هذه النعم بالكفر أو الشكر.

الامتحان هو الامتحان بما يخفى وهو اختبار الكفاءة.

الخوف والجوع متلازمان، والفرق بين الخوف والجوع، أن الجوع يزول بلحظة، ما إن تأكل الطعام حتى يتلاشى الإحساس بالجوع حتى ولو استمر الجوع لسنين. أما الخوف فلا يزول. كما في قصة بني إسرائيل مع فرعون، فمن كثرة ما أخافهم فرعون وأرهبهم لم يصدقوا أن الله نجاهم مع موسى في البحر وأغرق فرعون وجنوده فلما قال لهم موسى: ادخلوا الأرض قالوا لموسى: إن فيها قوماً جبارين. ولكي يزول الخوف من شعب أو أمة يجب أن يزول الجيل بكامله، ولأجل هذا بقي بنو إسرائيل تائهين أربعين عاماً حتى نشأ جيل جديد لا يخاف.

في النعمة فقد قدم الله تعالى الطعام على الأمن ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: 4].

أما في النقمة فقد قدم سبحانه الخوف على الجوع ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾.

والصوم هو ابتلاء من رب العالمين ليعلم صبرنا، أما تجويع الناس فهو من فعل الناس ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾ [الروم: 41] وليس من فعل الله عز وجل فقد قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ﴾.

ولا بد من الشعور بشيء من الخوف لجلاء الصبر والتحمل عند مواجهة العدو، جعل الله تعالى الجوع والخوف والتضحية في أيدينا.

فلسفة الجوع الإيجابي:

قال يحيى بن معاذ وهو من صالحي هذه الأمة: جوع الراغبين منبهة الذين يرغبون بالتقرب إلى الله. مثل سيدنا موسى عليه السلام صام أربعين يوماً حتى صفت نفسه وطهرت من الغازات والتجشؤ وغيره من أدران الجسد. وجوع التائبين تجربة (عندما يتوب المذنب من ذنوبه ويريد أن يكون عبداً صالحاً يجب أن يجرب الجوع حتى يعود نفسه على حسن العبادة وعلى الصبر). وقال سعد بن سهل: أفضل العبادة ترك فضول الطعام اقتداء بالرسول ﷺ.

وضعت الحكمة والعلم في الجوع، والمعصية والجهل في الشبع. وما وصل الصالحون إلا بإخماص البطون. . من جوّع نفسه انقطعت عنه الوساوس. . إقبال الله على العبد بالجوع. سألوا حكيماً: بأي قيد أقيّد نفسي؟ قال: قيّدها بالجوع والعطش، وذلّلها بإخمال الذكر وترك العز، وصغّرها بوضعها تحت أقدام الصالحين.

قال ابن القيم رحمه الله: عندما صام سيدنا موسى ثلاثين يوماً فأتمها بعشر مع أنه كان صائماً وجائعاً لم يشكُ تعباً ولا جوعاً. وفي قصته مع العبد الصالح خرج مع فتاه وقال له: ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾ [الكهف: 62].

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الخاء والميم والصاد أصلٌ واحد يدلُّ على الضُّمْر والتّطامُن. فالخَمِيصُ: الضّامر البَطْن؛ والمصدر الخَمْص. وامرأةٌ خُمْصَانَةٌ: دقيقة الخَصْرِ. ويقال لباطن القَدَم: الأخْمَص. وهو قياسُ الباب، لأنّه قد تداخَل. ومن الباب المَخْمَصَةُ، وهي المجاعة؛ لأنَّ الجائع ضامرُ البطْن. ويقال للجائع: الخميص، وامرأةٌ خَمِيصَةٌ.

قال الخليل[2]: الخَمُص: خَمَاصَةُ البطن، وهو دقة خلقته. والخَمْصُ: الخَمَصُ والمَخْمَصَةُ. أيضاً: خلاء البطن من الطعام. وامرأة خَمِيصَةُ البطن خُمْصَانَةٌ. وهنّ خُمْصَانَات، وفلان خَمِيصُ البطن من أموال الناس، أي: عفيفٌ عنها، وهم خِماصُ البطون. والطير تغدو خِمَاصَاً وتروح بِطَاناً. والخَمِيصَةُ: كساء أسود معلمٌ من المرعزي والصوف ونحوها. والأخْمَصُ: خصر القدم. والأخْمَص: باطن القدم.

والجميع: الأخامِصُ. والخَمْصَةُ: بطن من الأرض صغير، لين الموطىء.

قال الجوهري[3]: خَمَصَ الجرحُ: لغة في حَمَصَ، أي: سكن وَرَمُهُ. والأَخْمَصُ ما دخل من باطن القدم فلم يصب الأرض. ورجلٌ خُمْصانٌ وخَميصُ الحَشا، أي: ضامرُ البطنِ، والجمع خِمَاصٌ. وامرأةٌ خَميصةٌ وخُمْصانَةٌ. والخَمْصَةُ: الجوْعَةُ. يقال: ليس للبِطْنَةِ خيرٌ من خَمْصَةٍ تتبعها. والمَخْمَصَةُ: المَجاعَةُ، وهو مصدرٌ مثل المَغْضَبَةُ والمَعْتَبَةُ. وقد خَمَصَهُ الجوع خَمْصاً ومَخْمَصَةً. والخَميصةُ: كساءٌ أسودُ مربّعٌ له عَلَمانِ فإن لم يكن مُعْلَماً فليس بخَميصَةٍ.

---

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) العين.
(3) الصحاح في اللغة.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: 3].

قال أبو السعود[1]: ﴿فِي مَخْمَصَةٍ﴾ أي: في مجاعة يَخافُ معها الموتَ أو مبادِيَه.

قال ابن العربي[2]: ﴿فِي مَخْمَصَةٍ﴾ في هيجان شديد من النفس وغلبة لظهور صفة من صفاتها.

قال الألوسي[3]: أي: مجاعة تخمص لها البطون أن تضمر يخاف معها الموت أو مباديه.

---

(1) إرشاد العقل السليم.
(2) تفسير القرآن لابن العربي.
(3) روح المعاني.

خنزير

النصوص اللغوية:

قال الخليل[1]: والخُزْرةُ: وجع في الصلب. وخَزَرْتُ فلاناً خَزْراً: نظرت إليه بلحاظ عيني.

وعدوٌّ أَخْزَرُ العين: إذا نَظَر عن مُعارَضةٍ، والخَزيرةُ: مَرَقةٌ، تُطْبَخُ بماء يصفى من بلالة النُّخالِةِ.

والخِنزيرُ: مأخوذ من الخَزَر، لأن ذلك لازم له، قال:

لا تفخَرُنَّ فإن الله أنزلكم ... ياخُزْرَ ثَغْلبَ دارَ الذُّلِّ والعارِ

يعني: يا خَنازِيرُ، وكل خِنْزيرٍ أَخْزَرُ. والخيزران: نبات لين القضبان، أملس العيدان، ويقال: بل كل خشبةٍ مستوية: خَيْزُرانة. والخَيْزُرانةُ: سكان السفينة. والخُزْرَةُ: داء في مستدق الظهر عند فقره.

الخَرَزُ: فُصُوصٌ من جَيِّدِ الجَوْهَرِ، ورديئُهُ من الحِجارةِ ونحوها. والخَرْزُ: خياطة الأدم، وكل خُرْزةٍ: كتبة، يعني: ثقبة. والمُخَرَّزُ من الحمام والطير: الذي على جناحيه نمنة وتحبير شبيه بالخَرَز.

قال ابن منظور[2]: والخِنْزِيرُ من الوحش العادي: معروف من ذلك. وقال كراع: هو من الخَزَرِ في العين لأن ذلك لازم له، قال: فهو على هذا ثلاثي؛ وخَنْزَرَ: فَعَلَ فِعْلَ الخنزير.

---

(1) العين. (2) اللسان.

وخِنْزِيرٌ اسم موضع؛ قال الأعشى يصف الغيث: فالسَّفْحُ يَجْري فَخِنْزِيرٌ فَبُرْقَتُه، حتى تَدَافَعَ منه السَّهْلُ والجَبَلُ وخِنْزِير: اسم ابن أَسْلَم بن هُنَاءَةَ الأَسَديِّ؛ حكاه ابن سيده وقال: فيما أُرَى. والخنازير: علة معروفة، وهي قروح صُلْبَة تحدث في الرقبة.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى:** ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ﴾ [المائدة: 60].

قال الفخر الرازي(1): اعلم أنه تعالى ذكر من صفاتهم أنواعاً: أولها: أنه تعالى لعنهم، وثانيها: أنه غضب عليهم، وثالثها: أنه جعل منهم القردة والخنازير وعبدة الطاغوت. قال أهل التفسير: عنى بالقردة أصحاب السبت، وبالخنازير كفار مائدة عيسى. وروي أيضاً أن المسخين كانا في أصحاب السبت لأن شبانهم مسخوا قردة، ومشايخهم مسخوا خنازير.

قال أبو السعود(2): أي مسخ بعضَهم قردةً وهم أصحابُ السبْت وبعضَهم خنازيرَ وهم كفار مائدةِ عيسى عليه السلام، وقيل: كلا المسخين في أصحاب السبْت مُسِخت شبانُهم قردةً وشيوخُهم خنازيرَ وجمع الضمير الراجع إلى الموصول في (منهم) باعتبار معناه كما أن إفراد الضميرين الأولين باعتبار لفظه، وإيثارُ وضعه موضعَ ضمير الخِطاب المناسب لأنبئكم للقصدِ إلى إثبات الشرِّية بما عُدّد في حيز صلتِه من الأمورِ الهائلة الموجبةِ لها على الطريقة البرهانية مع ما فيه من الاحتراز عن تهييج لَجاجِهم.

---

(1) التفسير الكبير.
(2) إرشاد العقل السليم.

● **قال تعالى:** ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ﴾ [البقرة: 173].

قال الماوردي[1]: ﴿وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ﴾ فيه قولان: أحدهما: التحريم مقصور على لحمه دون غيره اقتصاراً على النص، وهذا قول داود بن علي.

والثاني: أن التحريم عام في جملة الخنزير، والنص على اللحم تنبيه على جميعه لأنه معظمه، وهذا قول الجمهور.

قال الألوسي[2]: خص اللحم بالذكر مع أن بقية أجزائه أيضاً حرام خلافاً للظاهرية لأنه معظم ما يؤكل من الحيوان وسائر أجزائه كالتابع له، وقيل: خص اللحم ليدل على تحريم عينه ذكي أو لم يذك، وفيه ما لا يخفى، ولعل السر في إقحام لفظ اللحم هنا إظهار حرمة ما استطيبوه وفضلوه على سائر اللحوم واستعظموا وقوع تحريمه، واستدل أصحابنا بعموم الخنزير على حرمة خنزير البحر، وقال الشافعي رضي الله تعالى عنه: لا بأس به، وروي عن الإمام مالك أنه قال له شخص: ما تقول في خنزير البحر؟ فقال: حرام ثم جاء آخر فقال له: ما تقول في حيوان في البحر على صورة الخنزير؟ فقال حلال. فقيل له. في ذلك فقال: إن الله تعالى حرم الخنزير ولم يحرم ما هو على صورته، والسؤال مختلف في الصورتين.

---

(1) النكت والعيون.

(2) روح المعاني.

خنس

(خنس - خفي - وري - وقب)

- **الخُنُوسُ:** الاختفاء من المشهد بصمت جبناً وخيبة ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ﴾ [النَّاس: 4].
- **الخِفْيَةُ:** لا تدركه الحواسان البصر والسمع ﴿وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المُمتَحنَة: 1].
- **التَّوارِي:** الاستتار بعد انتفاء الحاجة ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ﴾ [صٓ: 32].
- **الوَقْبُ:** الاستتار في حفرة منيعة ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ [الفَلَق: 3].

❋ ❋ ❋

شرح المعاني:

اختفى: تعني اختفى هرباً أو عجزاً. الاختفاء إذن هرب في الغالب ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [هـود: 5]، ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ [النساء: 108] كل من فيه ريبة أو هرب بشيء من الأمانة أو نوع من أنواع الريبة أو الهروب يسمى اختفاءً، ولهذا في الفقه الإسلامي هناك اليد المستعلَنة أو الغاصبة العلانية كالمختلس، وهي لا تقطع في الإسلام.

وهناك اليد المستخفية وهي التي تقطع في الإسلام، وهي يد السارق الذي

يأتي متخفياً في الليل متلصصاً يكسر باباً من غير أن يراه أحد مثلاً، والاستخفاء هو الريبة.

خنس: إذا كان الهروب عن مذلة وهوان يقال له: خنس ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ﴾ [الناس: 4]. والخنس كأن يشعر أحدهم بالضّعة لأي سبب من الأسباب أمام عدو عظيم مثلاً، فيذهب ويتقهقر بذِلّة مادية ومعنوية. أو أن يخنس أحدهم أمام عالم جليل يفيض علماً يناقشه، أو كالرجل يخنس أمام عظيم لهيبته ووقاره كأن تمشي مع الرسول ﷺ كما جاء في الحديث: «**فخنست عنه**»، لم يستطع أن يبقى مع الرسول ﷺ لهيبته فخنس عنه. وبقدر قوة الشيطان وقدرته وطغيانه وقوة شكيمته فإنه يخنس بكلمة من المؤمن أو دمعة أو صلاة أو شعور واحد يخنس هذا الشيطان ويتوارى، وأضعف المؤمنين إيماناً يجعل الشيطان في ساعة من الساعات يختفي خنساً أي: ذلة. كأن تكون عيناه قد فاضت لحظة من خشية الله أو رأى جنازة فاتّعظ. ولذلك يقال للشيطان: الخناس، لأنه على رغم قوته وقدراته يختفي أمام كلمة واحدة أو شعور أو دمعة واحدة. وبعض الكواكب تخنس من شدة نور الشمس وضيائها قال تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ﴾ [التكوير: 15] هذه الكواكب عظيمة في الليل ومتجلّية لكن عندما تظهر الشمس تخنس هذه الكواكب أمام الشمس لضعفها.

توارى: إذا كان الخنس أن يختفي خجلاً أو حياء فهو التواري. قال تعالى: ﴿يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [النحل: 59]، عارٌ كان على البعض أيام الجاهلية أن يُرزق بأنثى. والتواري أن تتوارى من فعلة تخجل منها ولا تريد أن يراك أحد بعدها ﴿فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ﴾ [صٓ: 32]، من بلاغة القرآن استخدام لفظ توارت في هذه الآية بينما استخدمت ألفاظ غرُبت وطلعت. وفي التفسير لهذه الآية ورد أن الشمس لما توارت كأنها توارت خجلاً من أن نبيّاً من أنبياء الله تعالى التهى بالخيل حتى فاتته الصلاة، فكأن الشمس حين توارت ذاك النهار توارت خجلاً.

غاب: الاختفاء عن العين يسمى غيباً كوني، لا أراك فأنت غائب حتى لو كنت وراء باب أو جدار. قال تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ﴾ [النمل: 20] كل شيء لا تراه عينك ولا تصل إليه رؤيتك ولم يعد في مدى نظرك فهو غائب وغيب.

غرُب: إذا كان الغياب بعيداً جداً وسافر إلى بلاد بعيدة يسمى غرُب. والفرق بين غابت الشمس وغربت الشمس: أن غابت الشمس أي لم أعد أراها وإنما يراها غيري، أما غربت الشمس تعني أنها في مكان بعيد لا أدركه في الأفق البعيد ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَـٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ [الكهف: 86]. ولهذا يسمى الغريب غريباً عندما يسافر إلى بلاد بعيدة.

أفِل: الأفول مختبأ الشيء كله. وقت الغروب تصبح الشمس قرصاً أصفر ينزل في الأفق فإذا قلّ حجمها من حيث أنها توارت وذهبت وتجردت من ضوئها يقال لها: أفلت ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَـٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْـَٔافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَـٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَـٰذَا رَبِّى هَـٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَـٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [الأنعام: 76-78]. والأفّال هي صغار الغنم. إذا صغُر الشيء نفسه يسمى: اضمحل، وهذه الكلمة لم ترد في القرآن الكريم. عندما ينطفئ ضوء المضيء يقال: فلان أفِل نجمه: إذا قلّ شأنه وشهرته ومكانته.

نلخّص ما ورد من كلمات: اختفى حتى لا يعرف مكانه من هرب، وخنس اختفى عن ذلة وهوان، وتوارى عن حياء وخجل، وغاب عن العين وغرُب إذا كان الغياب بعيداً، وأفل إذا قل ضوؤه.

خنس: نتكلم بشيء من التفصيل عن كلمة خنس وكيف استعملها العرب بشكل متميز. عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جئت النبي ﷺ آخر الليل فصلّيت خلفه فأخذ بيدي فجرّني حذاه، فلما أقبل على صلاته خنست عنه أي: انسحب إلى

الوراء لشعوره بالنقص والضّعة والمذلة أمام الرسول ﷺ. الشيطان على قدراته العظيمة كما أسلفنا يهرب ويخنس بكلمة واحدة أو خفقة قلب أو خاطرة واحدة يشعر بالنقص والضعف والهوان. والشيطان عدو دائم توعّد بني آدم توعداً وكان صادقاً في توعده ونحن نعاني من همزاته وغمزاته ليل نهار، والكلّ في عداوة الشيطان سواء أنبياء وصالحين وصحابة وغيرهم. والشيطان له طاقات هائلة ﴿وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الإسراء: 64] يخنس بكلمة واحدة أو تسبيحة أو ركعتين. ومن أعظم الأسلحة في مواجهة الشيطان هو الذِكر يقول ﷺ: «**لا يحرّز العبد نفسه من الشيطان إلّا بذكر الله**» فإذا ذكرت الله تعالى خنس. ومن فضل الله تعالى على هذه الأمة أنها تذكر الله تعالى عفوياً منذ أن تصبح إلى أن تمسي وهي الأمة الوحيدة التي تذكر الله تعالى على مدار اليوم. وفي الحديث: «**لا يتحسر أهل الجنة إلا على ساعة لم يذكروا فيها الله**» من أجل هذا كل من أراد أن يحصّن نفسه وأولاده من وساوس الشيطان ومن فتكه الذي تعاظم في هذا العصر، أن يكون له أوراد يومية مأثورة عند الاستيقاظ من النوم وعند الدخول إلى البيت والخروج منه، وعند النوم وعند الأكل وغيرها من الأذكار المأثورة عن الرسول ﷺ. والذكر من أعظم العبادات يوم القيامة كما في الحديث: «**رأيت رجلاً مغيّباً بنور العرش** قالوا: بم يا رسول الله؟ قال: **إن لسانه كان رطباً بذكر الله**»، وفي الحديث: «**ذهب الذاكرون بكل خير**».

مرابع الشيطان:

من أخطر مرابع الشيطان أربعة يسرح فيها ويمرح وما اقترب أحد من هذه المرابع وصار مزمناً لها إلّا صار طوع الشيطان في حركاته، وهذه المرابع هي:

الفضائيات: وهذه لم تكن على عهد أسلافنا وهي مربع جديد للشيطان في عصرنا الحالي وكان الناس في السابق إذا رأى أحدهم امرأة صدفة ينوح أياماً ﴿قل

﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور: 30] الذي يجري الآن على الفضائيات التي أعدّت للهو، إذا أدمن عليها المؤمن فليعلم أنه صار مستحوذاً عليه وهو الذي يخنس أمام الشيطان لا العكس ويصبح قلبه أعمى.

الأضرحة: أضرحة الأولياء والصالحين والأنبياء وكلنا نعلم قدرهم عند الله تعالى ولا ننكره، لكن الناس غالوا في الأضرحة إلى حد أن صار بعضهم يعبد هذه الأضرحة عبادة. وهذا هو الاحتناك من الشيطان ﴿قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَـٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: 62] يقود الشيطان المؤمن قيادة لأنه وصل بحبه لوليّه أو صالحه إلى حد التورط في عبادته من حيث لا يشعر وهذه مزلقة عجيبة. ومن باب سد الذرائع ما من ذريعة أعظم أن تُسدّ من هذه الذريعة: أي الأضرحة، فيجب إقفال هذه الأضرحة التي يحصل فيها تعظيم لصاحب الضريح وما يحدث عليها من توسّل بغير الله تعالى واختلاط. ومن كيد الشيطان كثيراً ما نجد الناس البسطاء يجدون حاجتهم على الضريح ويستنجدون به فيحصل لهم ما يريدون، وهذا من كيد الشيطان حتى يتعلقوا بالضريح أكثر وقد رأيت أناساً يسجدون للضريح لا للقبلة ولا حول ولا قوة إلا بالله.

الفضائيات تصيب بالغفلة وتمرض القلب لكنها لا تصل إلى حد الشِّرك، أما الأضرحة فهي توصل للشرك الصريح والعياذ بالله.

الأسواق: هذا هو الشرك الاقتصادي، هذا الولع والفزع على الدينار والدرهم بحيث صار معبود الناس كما في الحديث: «**أهلك الناس الدينار والدرهم**» وأصبح الحصول على الثروة يلهي الناس عما سواه وأصبح معبود الناس، وأصبحت الأسواق مزلقة عظيمة لشدة ما فيها من ربح غير اعتيادي وربا واستحواذ والمال فتّان ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ [الفجر: 20] ولهذا جعل الإسلام حصائن وأذكار تقي من هذه الفتن.

الحمّامات والمسابح ودور السينما إذا استمر الإنسان في الذهاب كثيراً إليها كل يوم تتغير أفكاره وخواطره وتقل مناعته ضد الشيطان وهمزاته. وكل هذه المرابع تزيل المناعة لأن فيها شهوة وشهية.

يقول ﷺ: «**إن المؤمن ليُضني شياطينه كما يُضني أحدكم بعيره**» فإذا استطعت أن تتبع بعض النصائح يمرض الشيطان يوماً بعد يوم بحيث لا يؤثر فيك كما قال ﷺ عن قرينه أن الله تعالى مكّنه منه.

ومن مرابع الشيطان ومصائده مجالس الغيبة وترك الصلاة واللجوء إلى العرّافين والسحرة والمنجمين. فإذا أردت أن تحصّن نفسك من الشيطان فعليك أن تتخلى عن كل مخلوق لأنه لا قدرة لأحد على أن ينفعك أو يضرك كائناً من كان، فإذا عوّدت نفسك وأيقنت بهذا يصبح الشيطان كالخِرقة البالية لا يقربك ويخشى منك.

التحصين من الشيطان وزيادة المناعة ضده

ومن أعظم ما يحصنك من الشيطان كما أسلفنا الذكر، وبخاصة هذا الصيغة من الذكر: لا إله إلّا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يُحيي ويميت وهو على كل شيء قدير. وهذه الصيغة هي من أعجوبة الأعاجيب في الذكر: في كل مأساة أو موضع يتصدر هذا الذكر وهو دعاء يعصم من الشيطان ويزيد من الحسنات وله رصيد هائل. وكذلك دعاء السوق الذي يحطّ الله تعالى به مليون سيئة ويعطي مليون حسنة وصيغته: «لا إله إلّا الله وحده لا شريك له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حيّ لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير». هذه الصيغة من الذكر تجعل الشيطان يخنس خنساً عظيماً.

لكي تربي فيك المناعة عليك أن: تحرص على أن تحظى بمجلس علم شرعي ولو مرة في الشهر، فما بالك بمرة في اليوم وفي المسجد؟ زيارة المريض إذا عوّدت نفسك على زيارة مريض ولو مرة في الشهر تكسبك مناعة هائلة من الشيطان.

زيارة المقابر واتباع الجنائز إلى أن تدفن إيماناً واحتساباً.

واحرص على أن تكون من عباد الله تعالى الذين ليس للشيطان عليهم سلطان كما قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ [**الحجر: 42**] أصحاب الفضائيات والأسواق هم عبيد الله تعالى، أما عباد الله تعالى فهم الذين يحميهم وهم أهل القرآن وصلاة الليل والراحمون والقاضي العادل والمنفق والغني الشاكر والحاكم العادل، وإكرام البنات والصبر على زوجة سيئة ما لم تكن خائنة وكظم الغيظ والعفو عن الناس والتواضع والحِلم، والإنفاق سرّاً وعدم شهادة الزور.. هذه كلها مناعات من الشيطان فعليك أن تكون من عباد الله تعالى لتنجو من همزات الشيطان ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا﴾ [الفرقان: 63].

وعلى كل مسلم أن يشتري لنفسه كتاباً صغيراً في الأذكار المأثورة في كل حركة. والرسول ﷺ علّمنا الكثير من الأذكار اليومية حتى الجِماع له ذكر في السنة النبوية، فعلى الرجل قبل أن يجامع زوجته أن يقول: «**اللهم جنّبنا الشيطان وجنّب الشيطان ما رزقتنا**» والمرأة تقول: «**رب إني نذرت لك ما في بطني محرراً فتقبّل مني**» يكون الأولاد بإذن الله تعالى صالحين.

والأوراد في السنة كثيرة ولا ننسى عقوبة ترك الذكر كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَـٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَـٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾ [الزخرف: 36]، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه: 124] والحديث القدسي يقول فيه رب العزة: «**من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته من خير ما أُعطي السائلين**» فالذكر يغنينا عن السؤال.

كلنا نعاني في الصلاة، فأول ما نقف للصلاة تأتي الوساوس، ولو اتبعنا طريق الصلاة الجيدة جداً، ولا أقول الممتازة لأن هذه خاصة بالأنبياء والصالحين، والصلاة الجيدة جداً هي أن تقيم الصلاة وتستحضر ساعة الإقامة والتكبير بين يدي من تقف؟ وتذكر أنك أمام الله تعالى، فقل الله أكبر من صدرك

حتى تتنبه جوارحك، ثم قل الحمد لله رب العالمين عند قراءة الفاتحة من أعماقك وتأملها، وعليك أن لا تقل تسبيحاتك عن ثلاثة لزيادة الخشوع والتغلب على الشيطان. ولكل نوع من العبادة وظيفتان أحداها: إسقاط الفرض والثانية: رفع درجات وتكفير ذنوب، وهذه هي التي تمنع الشيطان من أن يلعب بالإنسان.

❊ ❊ ❊

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الخاء والنون والسين أصلٌ واحد يدلُّ على استخفاءٍ وتستُّر. قالوا: الخَنْسُ: الذهاب في خِفْية. يقال: خَنسْتُ عنه، وأخْنَسْتُ عنه حقَّه. والخُنَّس: النُّجوم تَخْنِس في المَغيب. وقال قوم: سُمِّيت بذلك لأنّها تَخفَى نهاراً وتطلُع ليلاً. والخَنَّاسُ في صِفة الشَّيطان؛ لأنّه يَخْنِسُ إذا ذُكر الله تعالى. ومن هذا الباب: الخَنَسُ في الأنف: انحِطاط القصَبة. والبقرُ كلُّها خُنْسٌ.

قال الخليل[2]: الخَنْسُ: انقباض قصبة الأنف، وعرض الأرنبة كأنف البقرة الخَنْسَاءُ.

والتُرْكُ: خُنْسٌ. والخُنُوسُ: الانقباض والاستخفاء. و«الشيطان يوسوس في القلب، فإذا ذكر الله خَنَس»، أي: انقبض. الخُنَّسُ: الكواكب الخمسةُ التي تجري وتَخْنُس في مجراها حتى يخفى ضوء الشمس، وخُنُوسُها: اختفاؤها بالنهار.

قال الجوهري[3]: خَنَسَ عنه يَخْنُسُ بالضم، أي: تأخَّر. وأخْنَسَهُ غيره: إذا خلَّفه ومضى عنه. والخَنَسُ تأخُّر الأنف عن الوجه مع ارتفاع قليل في الأرنبة. والرجل أَخْنَسُ، والمرأةُ خَنْساءُ. والبقر كلُّها خُنْسٌ. والخَنَّاسُ الشيطان لأنّه

---

(1) معجم مقاييس اللغة.

(2) العين.

(3) الصحاح في اللغة.

يَخْنِسُ إذا ذُكر الله عزّ وجلّ. والخُنّسُ الكواكب كلُّها، لأنّها تَخْنِسُ في المغيب أو لأنَّها تَخْفى بالنهار. ويقال: هي الكواكب السّيارةُ منها دونَ الثابتة. ويقال: سمِّيت خُنَّساً لتأخرها، لأنَّها الكواكبُ المتحيِّرة التي ترجع وتستقيم.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى:** ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ﴾ [الناس: 4].

قال الفخر الرازي[1]: وأما الخناس فهو الذي عادته أن يخنس منسوب إلى الخنوس وهو التأخر كالعواج والنفاثات، عن سعيد بن جبير إذا ذكر الإنسان ربه خنس الشيطان وولى، فإذا غفل وسوس إليه.

قال الماوردي[2]: الخنّاس هو الشيطان، وفي تسميته بذلك وجهان: أحدهما: لأنه كثير الاختفاء، ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ﴾ [التّكوير: 15] يعني النجوم لاختفائها بعد الظهور.

الثاني: لأنه يرجع عن ذكر الله، والخنس الرجوع.

قال ابن عطية[3]: وقوله: ﴿ٱلْخَنَّاسِ﴾ معناه: على عقبه المستتر أحياناً وذلك في الشيطان متمكن إذا ذكر العبد وتعوذ وتذكر فأبصر كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: 201]، وإذا فرضنا ذلك في الشهوات والغضب ونحوه فهو يخنس بتذكير النفس اللوامة بلمة الملك وبأن الحياء يردع والإيمان يردع بقوة فتخنس تلك العوارض المتحركة وتنقمع عند من أعين بتوفيق.

---

(1) التفسير الكبير.
(2) النكت والعيون.
(3) المحرر الوجيز.

● **قال تعالى:** ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ﴾ [التكوير: 15].

قال الطبري(1): اختلف أهل التأويل في الخُنّس الجوار الكُنّس. فقال بعضهم: هي النجوم الدراريّ الخمسة، تخنِس في مجراها فترجع، وتكنس فتستتر في بيوتها، كما تكنِس الظباء في المغار، والنجوم الخمسة: بَهْرام، وزُحَل، وعُطارد، والزُّهَرَة، والمُشْتَري. ذكر من قال ذلك أن رجلاً قام إلى عليّ رضي الله عنه، فقال: ما ﴿ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ﴾ قال: هي الكواكب. وقال: سمعت علياً عليه السلام، وسُئل عن «لا أُقْسِمُ بالخُنَّسِ الجَوَارِ الْكُنَّسِ» قال: هي النجوم تخنس بالنهار، وتكنِس بالليل.

وقال آخرون: هي بقر الوحش التي تكنس في كناسها.

قال الراغب(2): أي: بالكواكب التي تخنس بالنهار، وقيل: الخنس هي زحل والمشتري والمريخ لأنها تخنس في مجراها، أي: ترجع، وأخنست عنه حقه: أخرته.

قال البغوي(3): قوله عزّ وجلّ: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ﴾، «لا» زائدة، معناه: أقسم بالخنس، ﴿ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ﴾، قال قتادة: هي النجوم تبدو بالليل وتخنس بالنهار، فتُخفى فلا تُرى. وعن علي أيضاً: أنها الكواكب تخنس بالنهار فلا ترى، وتكنس تأوي إلى مجاريها. وقال قوم: هي النجوم الخمسة: زحل، والمشتري، والمريخ، والزهرة، وعطارد، تخنس في مجراها، أي: ترجع وراءها وتكنس: تستتر وقت اختفائها وغروبها، كما تكنس الظباء في مغارها. وقال ابن زيد: معنى «الخنس» أنها تخنس أي: تتأخر عن مطالعها في كل عام تأخراً تتأخره عن تعجيل ذلك الطلوع، تخنس عنه.

---

(1) جامع البيان.

(2) مفردات الراغب.

(3) معالم التنزيل.

خنق

(خنق - حسّ - وأد - ذكو - صرع - صلب - عقر)

- **الخَنْقُ:** الموت بالمخنق، وهو حبل يلفّ على الرقبة أو باليدين حتى الموت ﴿وَٱلْمُنْخَنِقَةُ﴾ [المَائدة: 3].
- **الحَسُّ:** الموت بإصابة الحواس، كناية عن قطع الرأس لأنه مجمع الحواس ﴿إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ﴾ [آل عِمرَان: 152].
- **الوَأْدُ:** الموت بالدفن حياً ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ﴾ [التكوير: 8].
- **الذَّكَاةُ:** الموت ذبحاً بالسكين من الحلق ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ [المَائدة: 3].
- **الصَّرْعُ:** الموت بالطرح أرضاً بقوة ﴿فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ﴾ [الحَاقَّة: 7].
- **الصَّلْبُ:** الموت بتعليق الإنسان بحبل من رقبته ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ﴾ [النِّساء: 157].
- **العقر:** الموت بقطع الأرجل ﴿فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ﴾ [الأعرَاف: 77].

❊ ❊ ❊

شرح المعاني:

هذه من منظومة الموت، والموت نوعان: نوع جماعي من باب الكوارث، وموت فردي يقع على الفرد سواء كان موتاً طبيعياً أو قتلاً بأي أسلوب من أساليب القتل المعروفة.

والموت إما: موت طبيعي وهو مفارقة الروح للجسد بدون حادث من

الحوادث ويتألف من جزئين: وفاة وموت، والوفاة هي اللحظات التي تسبق الموت من تلك الإغماءة اللذيذة التي هي مقدمة الموت النهائي وفي هذه الحالة لا يزال نفس المتوفى يصعد وينزل ولكنه في غيبوبة من كل ما ومن حوله وهو في عالم البرزخ يسمع ويرى موقعه في الجنة أو النار ويرى أهله الذين سبقوه ﴿فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ [الواقعة: 86] ويصبح أقرب إلى الله تعالى وإلى عالم البرزخ، لكن من حوله لا يسمعون ما يسمع ولا يرون ما يحدث له من عجائب. أما الموت فهو مفارقة الروح للجسد، فالوفاة موت جزئي تموت رجلاه ونصفه الأسفل ثم صدره ثم تحشرج الروح في حلقه، ولكنه لا يزال في عالم الدنيا هذه هي الوفاة، وما أن تخرج الروح من الجسد ثم تفتح عينا الميت تتبع روحه يراها وهي تخرج فهذه هي مرحلة الموت النهائي. هذا هو الموت الطبيعي وهو موت ليس فيه أجر، أما الموت الذي فيه أجر فهو الموت غريقاً أو حريقاً أو شهيداً أو مقتولاً أو مبتلى ببلاء. فما عدا الموت الطبيعي فهو قتل. ولكل نوع من أنواع القتل لفظ يختلف باختلاف السبب أو الحادث أو آلة القتل التي توضح كيف قُتل الإنسان.

والقتل يراد به القتل بالسلاح. ومع هذا فقد يُقتل الإنسان بغير سلاح يقال:

خنق: بحبل أو قلادة، والخناق نصف الرقبة، والخنق هو تضييق المسالك الهوائية بحيث لا يصل الهواء إلى الرئة ولا القلب ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِۦ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾ [المائدة: 3].

ذبح: بالسكين من الحلق أعلى الرقبة تحت الحنك ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَٰهِلِينَ﴾ [البقرة: 67]، ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى الْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَٰٓأَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ اللَّهُ مِنَ الصَّٰبِرِينَ﴾ [الصافات: 102].

نحر: النحر أسفل الرقبة فوق اللّبة. يقال: أخذ بتلابيبه أي: يمسكه من أعلى

الملابس التي تصل إلى أسفل الرقبة، والتلابيب هي الملابس التي تصل إلى أسفل الرقبة. والنحر تقال للبعير أو الإنسان يذبح على هذا النحو بالنحر فالذبح إذن من أعلى الرقبة والنحر من أسفلها. ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ [الكوثر: 2].

وقذ: القتل إما بحجر أو عصى يُضرب الشخص حتى يموت ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾.

صرع: أن تأخذه لفوق ثم تطرحه أرضاً فيموت ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [الحاقة: 7].

أردى: من علو إما ألقاه من شاهق إلى الأرض أو من أرض إلى بئر ﴿وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ﴾ [الليل: 11] في جهنم وهي وادٍ يخبرنا تعالى بأن الهلاك يوم القيامة تردّي (ألقيا في جهنم) في الدركات السفلى والمكان السحيق يتردّى فيه الإنسان تردّياً، والتردي يقال لأشد أنواع العذاب يوم القيامة ﴿قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ﴾ [الصافات: 56].

أغرق: بالماء ﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ﴾ [هود: 43]، ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا﴾ [نوح: 25]، ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: 136].

صلب: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا﴾ [النساء: 157]، ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ﴾ [طه: 71] يسند إلى الخشبة. الخشبة القوية تسمى صليباً والصلب الوضع على الصليب ويُترك حتى يموت إما نتيجة طريقة التعليق أو من شدة الجوع والعطش. وسمي الصليب عند النصارى صليباً نسبة إلى الخشبة التي صُلب عليها المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام ولكنه لم يصلب ولم يقتل بدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ﴾ [النساء: 157].

نتحدث بتفصيل أكبر عن خنق:

الخنق كما نعلم عملية إجرامية، والقتل قد يكون مشروعاً كقتل القاتل، والصلب قد يكون مشروعاً كصلب قاطع الطريق كما جاء في القرآن الكريم. أما الخنق فليس هناك خنق مشروع، وأشهر عملية خنق في التاريخ قبل الإسلام خنق سمّيت به مدينة خانقين قرب بغداد التي كانت تحت حكم المنذر بن النعمان قبل الإسلام، وكان له عدو اسمه عدي بن زيد فبلغ من غيظ النعمان عليه أن خنقه، فسميت المدينة خانقين أو خانقون. أما أشهر عملية خنق في الإسلام ما فعله عقبة بن أبي معيط لعنه الله تعالى عندما جاء والرسول ﷺ وهو يصلي عند الكعبة، وكان المسلمون قِلّة فلفّ رداءه حول عنق الرسول ﷺ حتى كاد أن يخنقه، فجاء أبو بكر رضي الله عنه فمنعه ﷺ وقال: **أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله؟**.

وقد شاع الخنق في هذا العصر وفي الحديث الشريف «**لا تقوم الساعة حتى يشيع فيكم الهرج القتل القتل القتل**» يشيع عندما تصبح كل أنواع القتل مباحة وما من عصر شاع فيه الإماتة خنقاً كهذا العصر مما يحصل مع السجناء السياسيين. وأصبحنا نسمع الآن بنساء يخنقون رجالهم ورجال يخنقون نساءهم، وشاع الخنق الإجرامي كثيراً في هذا العصر.

هناك خنق وهناك اختناق: فتح الغاز مثلاً حتى يموت الإنسان يسمى اختناقاً، وقد شاع الخنق والاختناق ناهيك عن الاختناقات المرورية والسكانية والكلمة الحرة وغيرها. والرسول ﷺ استعمل كلمة الخنق في الحديث الشريف استعمالات تلفت النظر فيقول عليه الصلاة والسلام: «**إن مَثَل الذي يعمل السيئات ثم يعمل الحسنات كمثل رجل كانت عليه درع ضيقة قد خنقته ثم عمل حسنة فانفكت حلقة ثم عمل حسنة أخرى فانفكت حلقة أخرى حتى يخرج إلى العرض**» هذا الحديث يبيّن أن السيئات تخنق الإنسان خنقاً، وكلما عمل حسنة أطفأ الله تعالى حلقة من سيئاته إلى أن تنفك جميعاً. وحديث آخر: «**مرّ علي الشيطان فأخذته فخنقته حتى لأجد برد لسانه في يدي فقال أوجعتني أوجعتني أوجعتني**

فأطلقته ليقضي الله أمراً كان مفعولاً» وقال ﷺ: **«الذي يخنق نفسه يخنقها بالنار»** وهذا للمنتحرين الذين يشنقون أنفسهم فهم في النار خالدين فيها أبداً.

هذا هو الخنق المادي. أما الخنق المعنوي فحدّث ولا حرج في العالم، والناس تخنق في كل يوم وكل من يقول الحقيقة يحارب ويصلب وينبذ ويضطهد كما قال الجواهري:

لثورة الفكر تاريخ يحدّثنا   بأن ألف مسيح دونها صُلبا

فالعالم كله يختنق الآن تحت وطأة الكذب والطغيان والظلم الذي يطغى على الحق، وما من عصر شاع فيه الخنق بكل أنواعه كما شاع اليوم.

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الخاء والنون والقاف أصلٌ واحد يدلُّ على ضيقٍ. فالخَانِقُ: الشِّعْب الضَّيِّق. وقال بعضُ أهل العلم: إنَّ أهل اليَمن يسمُّون الزُّقاق خانقاً. والخَنِق مصدر خَنَقَه يخنِقُه خَنِقاً. قال بعض أهل العلم: لا يقال خَنْقاً. والمِخْنَقَةُ القِلادة.

قال الخليل[2]: خَنَقَ: خَنَقَهُ فاخْتَنَقَ، وانْخَنَقَ، فأما الانْخِنَاقُ فهو انِعصارُ الخِنَاقِ في عُنُقِهِ، والاخْتِناقُ: فعله بنفسه.

والخِناقُ: الحبلُ الذي يُخْنَقُ به، ويقال: رجل خَنِقٌ، مَخْنُوقٌ، ورجل خَانِقٌ.

والخَنَاقُ: نعتٌ لمن يكون ذلك شأنه وفعله بالناس. وأخذ بمُخَنَّقِةِ، أي: بموضع الخِناقِ، ومنه اشتقت المِخْنَقَةُ. أي: القلادة. وفرس مَخْنُوقٌ، من الخُناقِيَّة، والخُناقيّةُ: داء يأخذ الطير في رؤوسها وحُلُوقها، ويَعْتري الفرس أيضاً،

(1) معجم مقاييس اللغة. (2) العين.

فيقال: خُنِقَ الفرس فهو مَخْنُوقٌ، وأكثر ما يظهر في الحمام. والخَانِقُ: اسم موضعٍ ذكره جرير.

وخَاقَانُ: اسم ملك من ملوك الترك.

قال الجوهري[1]: الخَنِقُ، بكسر النون: مصدر قولك خَنَقَهُ يَخْنُقُهُ خَنِقاً وكذلك خَنَّقَهُ. ومنه الخُنَّاقُ. واخْتَنَقَ هو. وانْخَنَقَتِ الشاة بنفسها، فهي مُنْخَنِقَةٌ. وموضعه من العنق مُخَنَّقٌ بالتشديد. يقال: بَلَغَ منه المُخَنَّقُ. وأخذت بمُخَنَّقِهِ. وكذلك الخُناقُ بالضم. يقال: أخذ بخُنَّاقِهِ. والخِناقُ بالكسر: حبلٌ يُخْنَقُ به. والمِخْنَقَةُ بالكسر: القِلادةُ. والخانِقُ شِعْبٌ ضيّقٌ، وأهلُ اليمن يسمّون الزُقاقَ خانِقاً. والمُخَنَّقُ المَضيقُ.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَٱلْمُنْخَنِقَةُ﴾ [المَائدة: 3].

قال الفخر الرازي[2]: المنخنقة، يقال: خنقه فاختنق، والخنق والاختناق انعصار الحلق. واعلم أن المنخنقة على وجوه: منها أن أهل الجاهلية كانوا يخنقون الشاة فإذا ماتت أكلوها، ومنها ما يخنق بحبل الصائد، ومنها ما يدخل رأسها بين عودين في شجرة فتختنق فتموت، وبالجملة فبأي وجه اختنقت فهي حرام.

وأعلم أن هذه المنخنقة من جنس الميتة، لأنها لما ماتت وما سال دمها كانت كالميت حتف أنفه.

(1) الصحاح في اللغة.
(2) التفسير الكبير.

قال الماوردي[1]: ﴿وَٱلْمُنْخَنِقَةُ﴾ فيها قولان: أحدهما: أنها تخنق بحبل الصائد وغيره حتى تموت، وهو قول السدي، والضحاك.

والثاني: أنها التي توثق، فيقتلها خناقها.

قال الشعراوي[2]: المنخنقة إذن هي التي منع عنها النفس، ومادام مَنْع النفس أوصلها إلى الخنق فهي إلى الموت، فلماذا جاء ذكرها مرة أخرى بعد الميتة؟ لقد جاء ذكر المنخنقة لأن الإنسان قد يلحقها بالذبح، فإن سال منها دم، وطرفت فيها عين أو تحرك الذيل فهي حلال. أما إن لم يلحقها الإنسان وذبحها ولم يسل منها دم فهي حرام، ويحرم الموقوذة، وهي البهيمة التي يتم ضربها بأي شيء إلى أن تصل للموت، فهي قد ماتت، بنقض بنية وكذلك المتردية التي وقعت من ارتفاع حتى ماتت.

---

(1) النكت والعيون. (2) تفسير الشعراوي.

خور

(خور - غثاء - رغاء - نباح - نعيق - مواء - صهل)

■ **الخوار:** للبعير ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ﴾ [طه: 88].

■ **الغثاء:** للغنم.

■ **الرغاء:** للإبل.

■ **النباح:** للكلب.

■ **النعيق:** للغراب.

■ **المواء:** للقط.

■ **الصهيل:** للخيل.

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس(1): الخاء والواو والراء أصلان: أحدهما: يدلُّ على صوت، والآخَر: على ضَعْف. فالأوّل قولُهم: خَار الثَّور يَخُورُ، وذلك صوتُه.

قال الله تعالى: ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ﴾.

وأمّا الآخر فالخَوَّار: الضعيفُ مِن كلِّ شيء. يقال: رُمْحٌ خَوَّارٌ، وأرضٌ خَوَّارةٌ، وجمعه خُورٌ.

وأما قولهم للناقة العزِيزة خَوّارةٌ والجمع خُورٌ، فهو من الباب؛ لأنّها إذا لم

(1) معجم مقاييس اللغة.

تكن عَزُوزاً - والعَزُوز: الضيِّقة الإحليل، مشتقّة من الأرض العَزَاز - فهي حينئذ خَوّارةٌ، إذْ كانت الشّدَّة قد زايلَتْها.

قال الخليل(1): الخَوْرُ: مصب المياه الجارية في البحر إذا اتسع وعرض. والخَوَرُ: رَخاوةٌ وضعف في كل شيء، تقول: خارَ يخُورُ خَوَراً، ورجلُ خَوَارٌ وخوَّرَ تَخْويراً. وسهم خَوّارٌ وخَؤورٌ، والخَوّارُ: عَيْبٌ في كل شيء إلا في هذه الأشياء، ناقة خَوّارةٌ، وشاة خَوَّارةُ: كثيرة اللبن، ونخلة خَوَّارة أي: صفي كثيرة الحمل، وبعير خَوّارٌ: رقيق حسن، وفرس خَوّار: حسان أي: لين العطف، وجمعه خَوّارٌ، والعدد خَوّارات. والخّوْرُ: خليج البحر. والخَوْرانُ: رأس المعى الذي يسمى المبعر يلي الدبر، ويجمع على خَوْراناتِ. وكل اسم كان مذكراً لغير الناس فجمعته إذا حسن على لفظ إناث الجمع، جاز ذلك مثل سرادقات وحمامات وحورانات. ويقال للدبر: الخَوْرانُ والخَوّارةُ لضعف فقحتها. والخُوَارُ: صوت الثور، وما اشتد من صوت البقرة والعجل، تقول: خارَ يَخُورُ خَوْراً وخُوَاراً.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٌۚ﴾ [الأعراف: 148].

قال الزمخشري(2): ﴿جَسَدٗا﴾ بدناً ذا لحم ودم كسائر الأجساد. والخوار: صوت البقر، قال الحسن: إنّ السامري قبض قبضة من تراب من أثر فرس جبريل عليه السلام يوم قطع البحر، فقذفه في فيِّ العجل، فكان عجلاً له خوار. وقرأ علي رضي الله عنه: «جؤار» بالجيم والهمزة، ومن جأر إذا صاح. وانتصاب جسداً على البدل من ﴿عِجۡلٗا﴾.

(1) العين.
(2) الكشاف.

قال ابن عطية[1]: و«الخوار» صوت البقر، ويروى أن هذا العجل إنما خار مرة واحدة، وذلك بحيلة صناعية من السامري أو بسحر تركب له من قبضه القبضة من أثر الرسول، أو بأن الله أخار العجل لفتن بني إسرائيل، وقرأت فرقة: له «جوار» بالجيم وهو الصياح، قال أبو حاتم وشدة الصوت.

قال الشعراوي[2]: ﴿عِجۡلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌۚ﴾، هذا القول يدل على أن جسدية العجل لم تكن لها حياة؛ لأنه لو كان جسداً فيه روح لما احتاج إلى أن يقول عجلاً جسداً له خوار، ولاكتفى بالقول بأنه عجل. لكن قوله سبحانه: ﴿لَّهُۥ خُوَارٌۚ﴾ دليل على أن الجسدية في العجل لا تعطي له الحياة. وجاء بالوصف في قوله: ﴿لَّهُۥ خُوَارٌۚ﴾ والخُوار هو صوت البقر. وقد صنعه من الذهب وكأنه يريد أن يتميز عن الآلهة التي كانت من الأحجار، وحاول أن يجعله إلٰهاً نفيساً، فصنعه - كما نعرف - من الحلي المسروقة، وصنعه بطريقة أن هذا العجل الجسد إذا ما استقبل من دبره هبة الهواء؛ صنعت وأحدثت في جوفه صوتاً يشبه صوت وخوار البقر الذي يخرج من فمه. وحين صنع موسى السامري العجل بهذه الحيلة، حدث هذا الصوت مشابها لخوار البقر.

(1) المحرر الوجيز.
(2) تفسير الشعراوي.

خوض

(خوض - عبث - لعب - لغو - لهو)

■ **الخَوْضُ:** تعكير الشيء الصافي الهادىء بالأقدام ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ﴾ [الأنعام: 68].

■ **العَبَثُ:** تخريب الصحيح بدون هدف ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ﴾ [الشُّعَرَاء: 128].

■ **اللَّعِبُ:** أفعال نشيطة تسلّي ولا تنفع.

■ **اللَّغْوُ:** كلام كثير يسلّي ولا ينفع ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [القَصَص: 55].

■ **اللَّهْوُ:** لعب أو لهو يلهي صاحبه عن وظيفته ﴿وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا﴾ [الجُمُعَة: 11].

❊ ❊ ❊

شرح المعاني:

خاض: الشروع في الماء الضحل لهدف اللعب واللهو وتعكير الماء يسمى خوضاً قال تعالى: ﴿ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام: 91]، ﴿وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [التوبة: 69].

سبح: المرّ السريع في الماء العميق، وتستخدم سبح أيضاً للمر السريع في

الهواء كما في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء: 33] واستعملت مجازاً كالمرّ السريع في العمل اليومي ﴿إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾ [المزمل: 7] وهذه الآية تدل على أن النشاط والسرعة مطلوبان في العمل وليس التثاقل والتباطؤ. تدلنا على أن كل من يمر بأزمة عليه أن يُسرع في ذكر الله تعالى ويدخل في عبادته حتى يخرج من عزلته. والسابحون ليسوا على وتيرة واحدة. هناك السابح وهناك الماخر فالسابح هو الذي يسبح سريعاً.

مخر: الماخر هو الذي يكون في سباق معين ويصل لغاية محددة بحيث يضرب الماء بيديه وينشق الماء خلفه يفتح الماء بصدره وذراعيه كما تفعل الباخرة في الماء. قال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: 14]. ﴿وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [فاطر: 12].

ماج: ركب الموج. نهر هائج وأنت تسبح فيه يقال: ماج أي: ركب الموج ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا﴾ [الكهف: 99] تتداخل في السباقات العظيمة. وتستعمل هذه الكلمة ماج في الفِتَن ﴿وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [هود: 42]، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾ [الأنبياء: 96]، كأنهم أمواج. ماج إذن سباحة مع اضطراب رياح وزوابع.

طاف: إذا كان المرّ على مهل يقال: طاف ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ﴾ [القلم: 19]. والطوف مجموعة أخشاب تربط ببعضها أو مجموعة قِرَب مربوطة ببعضها يقال: ركب الطوف. والطائف الذي يطوف على سطح الماء. ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 158]، يلف حول البيت أو حول الكعبة كأنه راكب على شيء ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ [الحج: 29]، ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا

﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الحج: 26] إذا نظرنا للطائفين حول الكعبة من بعيد نراهم كأنهم راكبون على شيء. ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ﴾ [الطور: 24].

غاص: عندنا غاص وغرِق أما غاص فهي تعني النزول إلى أسفل الماء وهو لهدف شاق جداً كالتقاط اللؤلؤ مثلاً أو البحث عن أنقاض باخرة أو ما شابه. فالغوص إذن في غاية المشقة، والغوص هو من أشد وأشق أنواع السباحة لأنه لا بد أن يؤثر في حياة الغوّاص ﴿وَمِنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَـٰفِظِينَ﴾ [الأنبياء: 82]، ﴿وَٱلشَّيَـٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ﴾ [صَ: 37] وقد استعملت هذه الكلمة مجازاً في كل غوص كالغوص في العلم، وقد قال عمر بن الخطاب لعبد الله بن عباس: غُصْ يا غوّاص. والعلماء الذين يغوصون في العلم يفيضون علماً، وهذا الغوص في العلم يدمر صحة العالم لما فيه من مشقة وسهر وكذلك الشعراء يغوصون في الشعر وقد يتقلب الشاعر ليالٍ وأياماً لبيت من الشعر.

غرق: الرسوب في الماء حتى الموت ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَـٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا۟ ظَـٰلِمِينَ﴾ [الأنفال: 54]، عندنا غرَق وهو أن يدخل الماء في الأنف حتى تمتلئ منافذه فيهلك ويموت، وعندنا شَرَق وهو أن يدخل الماء في الفم فتمتلئ الرئة فيموت. وعندنا غرِق وغريق أما الغرِق فهو الذي لم يمت بعد أما الغريق فهو الذي مات فعلاً. في الحديث الشريف: «**يأتي على الناس زمان لا ينجو من فيه إلا من دعا دعاء الغريق**» تخيل كم يكون دعاء الغريق الذي أوشك على الموت صادقاً. وفي دعاء الرسول ﷺ: «**اللهم إني أعوذ بك من الغرق والحرق**».

الخوض في آيات الله تعالى بدأ من أول يوم جاء به الإسلام ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ﴾ [المدثر: 45] والخوض نوعان: خوض محمود وخوض مذموم. إذا كان الخوض يدخلك في رحمة الله تعالى فهو محمود. يقول ﷺ في أحاديث عديدة:

«**أولئك الخواضون في رحمة الله**». ومن الخواضين في رحمة الله تعالى وفق الأحاديث الشريفة: الذين يجتمعون في المساجد يقرأون القرآن الكريم أو يتدارسونه بينهم، ومن طاف سبعاً وقال: لا إلٰه إلّا الله، وزار المريض لوجه الله تعالى لا مجاملة ولا رياء. الملائكة تسمع كل صوت حدّثتك به نفسك فإذا ذهبت لزيارة مريض لوجه الله تعالى تقول الملائكة: طبت وطاب ممشاك، وعند العودة تدعو لك بالمغفرة.

من يدخل على المريض فكأنما خاض في رحمة الله تعالى ويخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، فإذا كان هذا حال زائر المريض فما بالك بالمريض؟ قيل: تحط ذنوبه كلها. ومن الخواضين في رحمة الله تعالى أهل الأمراض التي ليس لها علاج فقد قال ﷺ: «**الطاعون رحمة لأمتي**» وكل مرض لا علاج له رحمة والمعوقون هم الذين اجتباهم الله تعالى لنفسه.

أما الخوض في آيات الله تعالى فهو مصيبة المصائب. الله تعالى أراد لهذه الأمة أن تكون أمة واحدة، ووحدة هذه الأمة سهّل الله تعالى أمرها بآيات قليلة مختصرة في الصفحة الأولى من القرآن أوائل سورة البقرة (الفاتحة هي قرآن وحده وسميت الصلاة كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ [الحجر: 87] فأول سورة البقرة يتحدث عن أوصاف المتقين وهي: الإيمان بالغيب وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والإيمان بالكتاب كله والكتب السابقة كلها، أولئك على هدى من ربهم وكل مسلم يؤمن بهذا هو إذن من المفلحين ما لم تكن هناك فُرقة أو فِرقة. أما الفُرقة فهي فردية وهي سهلة العودة عنها وهي متوقفة على إنسان واحد يجتمع مع المسلمين لكنه بعيد عنهم ولا يتآلف معهم ولا يحبهم ولا يهتم لشأنهم، وقد جاء في الحديث الشريف: «**من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم**» أما الفِرقة فهي جماعية ويصعب العودة عنها لأنها تستعصي لذا قال ﷺ: «**الجماعة رحمة والفِرقة عذاب**».

❊ ❊ ❊

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الخاء والواو والضاد أصلٌ واحد يدلُّ على توسُّطِ شيء ودُخولٍ. يقال: خُضْتُ الماءَ وغيرَه. وتَخَاوَضُوا في الحديثِ والأمرِ، أي: تفاوَضُوا وتداخَل كلامُهم.

قال الخليل[2]: خُضْتُ الماء خَوْضاً وخِيَاضاً، واخْتَضْتُ، وخَوَّضْتُ تَخْويضاً أي: مَشَيْتُ فيه. والخَوْضُ: اللبس في الأمر. والخَوْض من الكلام: ما فيه الكذب والباطل. والمِخْوَضُ: المجدح الذي تخُوضُ به السويق.

وأصله في الاستقاء من البِئْر، يبادر الرجلان فينظر أيهما أكثر استقاءً وأقوى. فاستعمل على الاستعارة في كل شيء. ويقال للفرسين يتجاذبان: هما يَتَخاوضان.

قال الجوهري[3]: خُضْتُ الماءَ أَخوضُهُ خَوْضاً وخِياضاً. والموضعُ مَخاضَةٌ، وهو ما جازَ الناسُ فيها مُشاةً وركباناً. وجمعها المَخَاضُ، والمَخاوِضُ أيضاً. وأَخَضْتُ في الماء دابَّتي. وأَخَاضَ القومُ، أي: خَاضَتْ خيلُهم الماءَ. وخُضْتُ الغَمَراتِ: اقتحمتُها. ويقال: خاضَهُ بالسيف، أي: حرَّك السيفَ في المضروب. وخَوَّضَ في نجيعه، شدِّد للمبالغة. والمِخْوَضُ للشراب كالمِجْدَحِ للسويق. يقال: خُضْتُ الشرابَ. وخاضَ القومُ في الحديث وتَخاوَضوا، أي: تَفاوَضوا فيه.

---

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) العين.
(3) الصحاح في اللغة.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾ [التوبة: 65].

قال الطبري[1]: يقول تعالى جلّ ثناؤه لنبيه محمد ﷺ: ولئن سألت يا محمد هؤلاء المنافقين عما قالوا من الباطل والكذب، ليقولنّ لك: إنما قلنا ذلك لعباً، وكنا نخوض في حديث لعباً وهزواً. يقول الله لمحمد ﷺ: قل يا محمد أبالله وآيات كتابه ورسوله كنتم تستهزئون؟

قال ابن عطية[2]: وذكر ابن إسحاق أن قوماً منهم تقدموا النبي ﷺ، وقال بعضهم: كأنكم والله غداً في الحبال أسرى لبني الأصفر إلى نحو هذا من القول، فقال النبي ﷺ لعمار بن ياسر: «**أدرك القوم فقد احترقوا وأخبرهم بما قالوا**» ونزلت الآية، وروي أن وديعة بن ثابت المذكور قال في جماعة من المنافقين: ما رأيت كقرائنا هؤلاء لا أرغب بطوناً ولا أكثر كذباً ولا أجبن عند اللقاء، فعنفهم رسول الله ﷺ على هذه المقالة فقالوا: ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ [التوبة: 65].

● قال تعالى: ﴿وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟﴾ [التوبة: 69].

قال الزمخشري[3]: ﴿وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟﴾ كالفوج الذي خاضوا، وكالخوض الذي خاضوه. فإن قلت: أي فائدة في قوله: ﴿فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَٰقِهِمْ﴾ وقوله: ﴿كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ﴾ مغن عنه كما أغنى قوله: ﴿كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟﴾ عن أن يقال: وخاضوا فخضتم كالذي خاضوا؟ قلت: فائدته أن يذمّ الأوّلين بالاستمتاع بما أوتوا من حظوظ الدنيا ورضاهم بها، والتهائهم

(1) جامع البيان.
(2) المحرر الوجيز.
(3) الكشاف.

بشهواتهم الفانية عن النظر في العاقبة وطلب الفلاح في الآخرة، وأن يخسس أمر الاستمتاع ويهجن أمر الرضى به، ثم يشبه بعد ذلك حال المخاطبين بحالهم، كما تريد أن تنبه بعض الظلمة على سماجة فعله فتقول: أنت مثل فرعون، كان يقتل بغير جرم ويعذب ويعسف وأنت تفعل مثل فعله. وأما ﴿وَخُضْتُمْ كَالَّذِى خَاضُوٓا۟ۚ﴾ فمعطوف على ما قبله مستند إلى مستغن باستناده إليه عن تلك التقدمة.

قال الماوردي(1): ﴿وَخُضْتُمْ كَالَّذِى خَاضُوٓا۟ۚ﴾ فيه وجهان: أحدهما: في شهوات الدنيا.

والثاني: في قول الكفر.

وفيهم قولان:

أحدهما: أنهم فارس والروم.

والثاني: أنهم بنو إسرائيل.

● **قال تعالى**: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام: 68].

قال الفخر الرازي(2): قيل إنه خطاب للنبي ﷺ والمراد غيره، وقيل: الخطاب لغيره أي إذا رأيت أيها السامع الذين يخوضون في آياتنا. ونقل الواحدي أن المشركين كانوا إذا جالسوا المؤمنين وقعوا في رسول الله ﷺ والقرآن، فشتموا واستهزؤوا فأمرهم أن لا يقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره. ولفظ الخوض في اللغة عبارة عن المفاوضة على وجه العبث واللعب، قال تعالى حكاية عن الكفار: ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ﴾ [المدثر: 45] وإذا سئل الرجل عن قوم فقال: تركتهم يخوضون أفاد ذلك أنهم شرعوا في كلمات لا ينبغي ذكرها ومن

(1) النكت والعيون.
(2) التفسير الكبير.

الحشوية من تمسك بهذه الآية في النهي عن الاستدلال والمناظرة في ذات الله تعالى وصفاته. قال: لأن ذلك خوض في آيات الله، والخوض في آيات الله حرام بدليل هذه الآية، والجواب عنه: أنا نقلنا عن المفسرين أن المراد من «الخوض» الشروع في آيات الله تعالى على سبيل الطعن والاستهزاء. وبينا أيضاً أن لفظ «الخوض» وضع في أصل اللغة لهذا المعنى فسقط هذا الاستدلال والله أعلم.

قال ابن عطية[1]: لفظ هذا الخطاب مجرد للنبي ﷺ وحده، واختلف في معناه فقيل إن المؤمنين داخلون في الخطاب معه. قال القاضي أبو محمد: وهذا هو الصحيح، لأن علة النهي وهي سماع الخوض في آيات الله تسلهم وإياه وقيل: بل بالمعنى أيضاً إنما أريد به النبي ﷺ وحده، لأن قيامه عن المشركين كان يشق عليهم وفراقه لهم على معارضته وإن لم يكن المؤمنون عندهم كذلك، فأمر النبي ﷺ أن ينابذهم بالقيام عنهم إذا استهزؤوا وخاضوا ليتأدبوا بذلك ويدعوا الخوض والاستهزاء، وهذا التأويل يتركب على كلام ابن جرير يرحمه الله، والخوض أصله في الماء ثم يستعمل بعد في غمرات الأشياء التي هي مجاهل تشبيهاً بغمرات الماء، (وإما) شرط وتلزمها النون الثقيلة في الأغلب، وقد لا تلزم.

● **قال تعالى**: ﴿ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ﴾ [الأنعَام: 91].

قال الطبري[2]: ﴿فِي خَوۡضِهِمۡ﴾ يعني: فيما يخوضون فيه من باطلهم وكفرهم بالله وآياته، يقول: يستهزءون ويسخرون. وهذا من الله وعيد لهؤلاء المشركين وتهديد لهم يقول الله جلّ ثناؤه: ثم دعهم لاعبين يا محمد، فإني من وراء ما هم فيه من استهزائهم بآياتي بالمرصاد وأذيقهم بأسي، وأحلّ بهم إن تمادوا في غيّهم سخطي.

قال الخازن[3]: ﴿ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ﴾ يعني: دعهم يا محمد فيما هم

(1) المحرر الوجيز.
(2) جامع البيان.
(3) لباب التأويل.

فيه يخوضون من باطلهم وكفرهم بالله. ومعنى يلعبون: يستهزؤون ويسخرون. وقيل: معناه يا محمد إنك إذا أقمت الحجة عليهم وبلغت في الأعذار والإنذار هذا المبلغ العظيم فحينئذ لم يبق عليك من أمرهم شيء فذرهم فيما هم فيه من الخوض واللعب وفيه وعيد وتهديد للمشركين. وقال بعضهم: هذا منسوخ بآية السيف وفيه بُعد لأنه مذكور لأجل التهديد والوعيد.

خوف

(خوف - رهب - فزع - وجل - شفق)

- **الخَوْفُ:** توقع مكروه عن أمارة مظنونة ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ [الإسرَاء: 57].
- **الرَّهَبُ:** خوف مع اضطراب واحتراز شديد ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًاۖ﴾ [الأنبيَاء: 90].
- **الفَزَعُ:** رهب تحقق فجأة فأحدث نفاراً وفراراً ﴿فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [النَّمل: 87].
- **الوَجَلُ:** استشعار الخوف ﴿إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ﴾ [الحِجر: 52].
- **الشَّفَقُ:** الإشفاق: عناية مختلطة بخوف؛ لأن المشفق يحب المشفق عليه ويخاف مما يلحقه ﴿وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: 49].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الخاء والواو والفاء أصلٌ واحد يدلُّ على الذُّعْرِ والفزَع. يقال: خِفْتُ الشّيءَ خَوْفاً وخِيفَةً. والياء مبدَلةٌ من واو لمكان الكسرة. ويقال: خَاوَفَني فلانٌ فخُفْتُه، أي: كنتُ أشدَّ خوفاً منه. فأمّا قولهم: تخوَّفْتُ الشَّيءَ، أي: تنقّصتُه، فهو الصحيح الفصيح، إلا أنّه من الإبدال، والأصلُ النّون من التنقُّص.

(1) معجم مقاييس اللغة.

قال الخليل(1): الخَافَةُ تصغيرها خُوَيْفَةٌ، واشتقاقها من الخَوْف: وهي جبة يلبسها العسال والسقاء. والخَافَةُ: العيبة. وصار الوار في يخاف أَلِفاً لأنه على بناء عَمِلَ يَعْمَل فألقوا الواو استثقالاً. وفيها ثلاثة أشياء: الحرف والصرف والصوتُ. وربما ألقوا الحرف وأبقوا الصرف والصوت، وربما ألقوا الحرف بصرفها وأبقوا الصوت، فقالوا: يَخافُ، وأصله يَخْوَفُ، فألقوا الواو واعتمدوا الصوت على صرف الواو. وقالوا: خافَ، وحَدُّه خَوِفَ، فألقوا الواو بصرفها وأبقوا الصوت، واعتمدوا الصوت على فتحة الخاء فصار منها ألفاً لينةً، وكذلك نحو ذلك فافهم. ومنه التَّخويف الإِخَافَةُ والتَّخَوُّف. والنعت: خَائِفٌ وهو الفرع، وتقول: طريقٌ مَخُوفٌ يخافُه الناس، ومُخيفٌ يُخيفُ الناس. والتَّخْوُّفُ: التنقص، ومنه قوله تعالى: ﴿أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾ [النحل: 47]. وخَوَّفْتُ الرَّجلَ: جعلت فيه الخَوْفَ. والخِيفةُ: الخوف، وقد جرت كسرة الخاء الواو. وقد يقال: خَوِّفْتُ الرجل أي: صيرته بحالٍ يَخافهُ الناسُ.

قال الجوهري(2): خَافَ الرجل يَخافُ خَوْفاً وخيفَةً ومَخافَةً، فهو خائِفٌ، وقومٌ خَوَّفٌ على الأصل وخُيَّفٌ على اللفظ. والأمر منه خَفْ بفتح الخاء. والخيفَةُ: الخوفُ، والجمع خيفٌ، وأصله الواو. وخاوَفَهُ فخافَه يَخوفُهُ: غلبه بالخوف أي: كان أشدَّ خَوْفاً منه. والإِخَافَةُ: التَّخْويفُ. يقال: وجعٌ مُخِيفٌ، أي: يُخيفُ من رآه.

وطريقٌ مَخوفٌ؛ لأنه لا يُخيفُ وإنما يُخيفُ فيه قاطعُ الطريق. وتَخَوَّفْتُ عليه الشيءَ، أي: خِفْتُ. وتَخَوَّفْهُ، أي: تَنَقَّصَهُ. ومنه قوله تعالى: ﴿أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾ والخافَةُ: خريطةٌ من أَجَمٍ يُشْتارُ فيها العسلُ.

---

(1) العين.

(2) الصحاح في اللغة.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء: 57].

قال أبو السعود[1]: ﴿وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ بتركه كدأب سائرِ العباد، فأين هم من كشف الضرِّ فضلاً عن الإلٰهية؟

قال الألوسي[2]: ﴿وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ كدأب سائر العباد فأين هم من ملك كشف الضر فضلاً عن كونهم آلهة ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ حقيقاً بأن يحذره ويحترز عنه كل أحد من الملائكة والرسل عليهم السلام وغيرهم. والجملة تعليل لقوله سبحانه: ﴿وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ وفي تخصيصه بالتعليل زيادة تحذير للكفرة من العذاب، وتقديم الرجاء على الخوف لما أن متعلقه أسبق من متعلقه ففي الحديث القدسي: «**سبقت رحمتي غضبي**» وفي اتحاد أسلوبي الجملتين إيماء إلى تساوي رجاء أولئك الطالبين للوسيلة إليه تعالى بالطاعة والعبادة وخوفهم، وقد ذكر العلماء أنه ينبغي للمؤمن ذلك ما لم يحضره الموت، فإذا حضره الموت ينبغي أن يغلب رجاءه على خوفه. وفي الآية دليل على أن رجاء الرحمة وخوف العذاب مما لا يخل بكمال العابد، وشاع عن بعض العابدين أنه قال: لست أعبد الله تعالى رجاء جنته ولا خوفاً من ناره والناس بين قادح لمن يقول ذلك ومادح، والحق التفصيل وهو أن من قاله إظهاراً للاستغناء عن فضل الله تعالى ورحمته فهو مخطىء كافر، ومن قاله لاعتقاد أن الله عز وجل أهل للعبادة لذاته حتى لو لم يكن هناك جنة ولا نار لكان أهلاً لأن يعبد فهو محقق عارف كما لا يخفى.

● **قال تعالى**: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ﴾ [الأنعام: 81].

---

(1) إرشاد العقل السليم. (2) روح المعاني.

قال الفخر الرازي[1]: والتقدير: وكيف أخاف الأصنام التي لا قدرة لها على النفع والضر، وأنتم لا تخافون من الشرك الذي هو أعظم الذنوب.

قال البيضاويّ[2]: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ﴾ ولا يتعلق به ضر. ﴿وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ﴾ وهو حقيق بأن يخاف منه كل الخوف لأنه إشراك للمصنوع بالصانع، وتسوية بين المقدور العاجز بالقادر الضار النافع.

قال البغوي[3]: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ﴾ يعني: الأصنام وهي لا تبصر ولا تسمع ولا تضرّ ولا تنفع، ﴿وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًاۚ﴾، حجة وبرهاناً، وهو القادر على كل شيء.

● **قال تعالى**: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُواْ﴾ [النِّساء: 3].

قال الزمخشري[4]: ولمَّا نزلت الآية في اليتامى وما في أكل أموالهم من الحوب الكبير، خاف الأولياء أن يلحقهم الحوب بترك الإقساط في حقوق اليتامى، وأخذوا يتحرّجون من ولايتهم، وكان الرجل منهم ربما كان تحته العشر من الأزواج والثمان والست فلا يقوم بحقوقهنّ ولا يعدل بينهن، فقيل لهم: إن خفتم ترك العدل في حقوق اليتامى فتحرّجتم منها، فخافوا أيضاً ترك العدل بين النساء فقللوا عدد المنكوحات، لأنّ من تحرج من ذنب أو تاب عنه وهو مرتكب مثله فهو غير متحرّج ولا تائب، لأنه إنما وجب أن يُتحرج من الذنب ويُتاب منه لقبحه، والقبح قائم في كل ذنب، وقيل: كانوا لا يتحرّجون من الزنا وهم يتحرّجون من ولاية اليتامى، فقيل: إن خفتم الجور في حق اليتامى فخافوا الزنا. فانكحوا ما حلّ لكم من النساء، ولا تحوموا حول المحرّمات. وقيل: كان الرجل يجد اليتيمة لها مال وجمال أو يكون وليها، فيتزوجها ضناً بها عن غيره، فربما اجتمعت عنده عشر منهن، فيخاف - لضعفهن وفقد من يغضب لهن - أن يظلمهنّ

(1) التفسير الكبير.
(2) أنوار التنزيل.
(3) معالم التنزيل.
(4) الكشاف.

حقوقهن ويفرط فيما يجب لهنَّ، فقيل لهم: إن خفتم أن لا تقسطوا في يتامى النساء فانكحوا من غيرهن ما طاب لكم. ويقال للإناث اليتامى كما يقال للذكور، وهو جمع يتيمة على القلب، كما قيل: أيامى، والأصل: أيائم ويتائم. وقرأ النخعي «تقسطوا» بفتح التاء على أن لا مزيدة مثلها في ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ﴾ [الحَديد: 29] يريد: وإن خفتم أن تجوروا ﴿مَا طَابَ﴾ [النِّساء: 3] ما حلّ ﴿لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: 3] لأنّ منهن ما حرم كاللاتي في آية التحريم.

● **قال تعالى:** ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا﴾ [النِّساء: 35].

قال الفخر الرازي[1]: ﴿خِفْتُمْ﴾ أي علمتم. قال: وهذا بخلاف قوله: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾ [النساء: 34] فإن ذلك محمول على الظن، والفرق بين الموضعين أن في الابتداء يظهر له أمارات النشوز فعند ذلك يحصل الخوف، وأما بعد الوعظ والهجر والضرب لما أصرت على النشوز، فقد حصل العلم بكونها ناشزة: فوجب حمل الخوف هٰهنا على العلم. طعن الزجاج فيه فقال: ﴿خِفْتُمْ﴾ هٰهنا بمعنى: أيقنتم خطأ، فإنا لو علمنا الشقاق على الحقيقة لم نحتج إلى الحكمين.

قال القرطبي[2]: قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا﴾ [النِّساء: 35]. فكأنّ كل واحد من الزوجين يأخذ شِقّاً غير شِقّ صاحبه، أي: ناحية غير ناحية صاحبه. والمراد: إن خِفتم شِقاقاً بينهما؛ أي: وإن خِفتم تباعد عشرتهما وصحبتهما ﴿فَٱبْعَثُواْ﴾. و﴿خِفْتُمْ﴾ على الخلاف المتقدّم. قال سعيد بن جُبير: الحُكْم أن يعِظَها أوّلاً، فإن قبِلت وإلا هجرها، فإن هي قبِلت وإلا ضربها، فإن هي قبِلت وإلا بعث الحاكِم حَكَماً من أهله وحَكَماً من أهلها، فينظران ممن الضرر، وعند ذلك يكون الخُلْع. وقد قيل: له أن يضرِب قبل الوعظ. والأوّل أصح لترتيب ذلك في الآية. والجمهور من العلماء على أن المخاطب بقوله: «وَإنْ خِفْتُمْ» الحُكّامُ

---

(1) التفسير الكبير.
(2) الجامع لأحكام القرآن.

والأُمراء. وأن قوله: ﴿إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآۗ﴾ [النساء: 35] يعني الحكمين.

● **قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾** [آل عمران: 175].

قال الطبري[1]: يعني بذلك تعالى ذكره: إنما الذي قال لكم أيها المؤمنون: إن الناس قد جمعوا لكم، فخوفوكم بجموع عدوكم، ومسيرهم إليكم، من فعل الشيطان، ألقاه على أفواه من قال ذلك لكم، يخوفكم بأوليائه من المشركين أبي سفيان وأصحابه من قريش، لترهبوهم، وتجبنوا عنهم.

وقال آخرون: معنى ذلك: إنما ذلكم الشيطان يعظم أمر المشركين أيها المنافقون في أنفسكم فتخافونه.

عن السديّ، قال: ذكر أمر المشركين وعظمهم في أعين المنافقين فقال: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ﴾: يعظم أولياءه في صدوركم فتخافونهم.

فإن قال قائل: وكيف قيل: ﴿يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ﴾ وهل يخوف الشيطان أولياءه؟ قيل: إن كان معناه يخوفكم بأوليائه يخوف أولياءه. قيل ذلك نظير قوله: ﴿لِّيُنذِرَ بَأۡسٗا شَدِيدٗا﴾ [الكهف: 2] بمعنى: لينذركم بأسه الشديد، وذلك أن البأس لا ينذر، وإنما ينذر به. وقد كان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول: معنى ذلك: يخوّف الناس أولياءه، كقول القائل: هو يعطي الدراهم، ويكسو الثياب، بمعنى: هو يعطي الناس الدراهم، ويكسوهم الثياب، فحذف ذلك للاستغناء عنه. وليس الذي شبه ذلك بمشبه، لأن الدراهم في قول القائل: هو يعطي الدراهم معلوم أن المُعْطَى هي الدراهم، وليس كذلك الأولياء في قوله: ﴿يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ﴾ مخوفين، بل التخويف من الأولياء لغيرهم، فلذلك افترقا.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾. يقول:

---

(1) جامع البيان.

فلا تخافوا أيها المؤمنون المشركين، ولا يعظمنّ عليكم أمرهم، ولا ترهبوا جمعهم مع طاعتكم إياي، ما أطعتموني، واتبعتم أمري، وإني متكفل لكم بالنصر والظفر، ولكن خافوني، واتقوا أن تعصوني وتخالفوا أمري، فتهلكوا إن كنتم مؤمنين. يقول: ولكن خافوني دون المشركين، ودون جميع خلقي أن تخالفوا أمري إن كنتم مصدّقي رسولي وما جاءكم به من عندي.

● **قال تعالى**: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِى...﴾ [مريم: 5].

قال الزمخشري(1): كان مواليه - وهم عصبته إخوته وبنو عمه - شرار بني إسرائيل، فخافهم على الدين أن يغيروه ويبدّلوه، وأن لا يحسنوا الخلافة على أمته، فطلب عقباً من صلبه صالحاً يقتدى به في إحياء الدين ويرتسم مراسمه فيه: ﴿مِن وَرَآءِى﴾ بعد موتي. وقرأ ابن كثير: «من وراي» بالقصر، وهذا الظرف لا يتعلق بـ (خفت) لفساد المعنى، ولكن بمحذوف. أو بمعنى الولاية في الموالي: أي خفت فعل الموالي وهو تبديلهم وسوء خلافتهم من ورائي. أو خفت الذين يلون الأمر من ورائي. وقرأ عثمان ومحمد بن علي وعلي بن الحسين رضي الله عنهم «خَفَّتِ الموالي من ورائي» وهذا على معنيين، أحدهما: أن يكون ﴿وَرَآءِى﴾ بمعنى خلفي وبعدي، فيتعلق الظرف بالموالي: أي قلوا وعجزوا عن إقامة أمر الدين، فسأل ربه تقويتهم ومظاهرتهم بوليّ يرزقه. والثاني: أن يكون بمعنى قدامي، فيتعلق بخفت، ويريد أنهم خفوا قدامه ودرجوا ولم يبق منهم من به تقوّ واعتضاد.

قال البيضاويّ(2): ﴿وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ﴾ يعني بني عمه وكانوا أشرار بني إسرائيل، فخاف أن لا يحسنوا خلافته على أمته ويبدلوا عليهم دينهم. ﴿مِن وَرَآءِى﴾ بعد موتي، وعن ابن كثير بالمد والقصر بفتح الياء وهو يتعلق بمحذوف، أو بمعنى «الموالى» أي خفت فعل الموالي من ورائي، أو الذين يلون الأمر من ورائي. وقرىء «خفت الموالي من ورائي» أي قلوا وعجزوا عن إقامة الدين

(1) الكشاف. (2) أنوار التنزيل.

بعدي، أو خفوا ودرجوا قدامي، فعلى هذا كان الظرف متعلقاً بـ ﴿خِفْتِ﴾ [القَصَص: 7].

● **قال تعالى:** ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾﴾ [طه: 67-68].

قال الطبري(1): يعني تعالى ذكره بقوله: فأوجس في نفسه خوفاً موسى فوجده. وقوله: ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ يقول تعالى ذكره: قلنا لموسى إذ أوجس في نفسه خيفة: ﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ على هؤلاء السحرة، وعلى فرعون وجنده، والقاهر لهم.

قال البغوي(2): أي وجد، وقيل: أضمر في نفسه خوفاً، واختلفوا في خوفه: طبع البشرية، وذلك أنه ظن أنها تقصده. وقال مقاتل: خاف على القوم أن يلتبس عليهم الأمر فيشكُّوا في أمره فلا يتبعوه.

قال النسفي(3): ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ﴾ أضمر في نفسه خوفاً ظنًّا منه أنها تقصده للجبلة البشرية أو خاف أن يخالج الناس شك فلا يتبعوه ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [طه: 68] الغالب القاهر. وفي ذكر «إن» و«أنت» وحرف التعريف ولفظ العلو وهو الغلبة الظاهرة مبالغة بينة.

● **قال تعالى:** ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ﴾ [الرعد: 13].

قال الفخر الرازي(4): ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ﴾ فاعلم أن من المفسرين من يقول: عنى بهؤلاء الملائكة أعوان الرعد، فإنه سبحانه جعل له أعواناً، ومعنى قوله: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ﴾ أي: وتسبح الملائكة من خيفة الله تعالى وخشيته. قال ابن عباس رضي الله عنهما: إنهم خائفون من الله لا كخوف ابن آدم، فإن أحدهم لا

(1) جامع البيان.
(2) معالم التنزيل.
(3) مدارك التنزيل.
(4) التفسير الكبير.

يعرف من على يمينه ومن على يساره، ولا يشغله عن عبادة الله طعام ولا شراب ولا شيء.

قال الماوردي[1]: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ﴾ فيه وجهان: أحدهما: وتسبح الملائكة من خيفة الله تعالى.

الثاني: من خيفة الرعد.

قال الألوسي[2]: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ﴾ أي: ويسبح الملائكة عليهم السلام من هيبته تعالى وإجلاله جل جلاله، وقيل: الضمير يعود على الرعد، والمراد بالملائكة أعوانه جعلهم الله تعالى تحت يده خائفين خاضعين له وهو قول ضعيف.

● **قال تعالى**: ﴿تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الروم: 28].

قال ابن عاشور[3]: والخوف: انفعال نفساني ينشأ من توقع إصابة مكروه يبقى، وهو هنا التوقي من التفريط في حظوظهم من الأرزاق وليس هو الرعب بقرينة قوله: ﴿تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ﴾، أي: كما تتوقون أنفسكم من إضاعة حقوقكم عندهم.

قال أبو حيان[4]: ﴿تَخَافُونَهُمْ﴾ خبر ثان لأنتم، والتقدير: فأنتم مستوون معهم فيما رزقناكم، تخافونهم كما يخاف بعضكم بعضاً أيها السادة. والمقصود نفي الشركة والاستواء والخوف.

قال الراغب[5]: أي: كخوفكم، وتخصيص لفظ الخيفة تنبيهاً أن الخوف منهم حالة لازمة لا تفارقهم، والتخوف: ظهور الخوف من الإنسان.

---

(1) النكت والعيون.
(2) روح المعاني.
(3) التحرير والتنوير.
(4) البحر المحيط.
(5) مفردات الراغب.

● قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ﴾ [الزمر: 16].

قال الفخر الرازي[1]: أي ذلك الذي تقدم ذكره من وصف العذاب فقوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ مبتدأ وقوله: ﴿يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥۚ﴾ خبر، وفي قوله: ﴿يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥۚ﴾ قولان الأول: التقدير ذلك العذاب المعد للكفار هو الذي يخوف الله به عباده أي: المؤمنين، لأنا بيّنا أن لفظ العباد في القرآن مختص بأهل الإيمان وإنما كان تخويفاً للمؤمنين لأجل أنهم إذا سمعوا أن حال الكفار ما تقدم خافوا فأخلصوا في التوحيد والطاعة. الوجه الثاني: أن هذا الكلام في تقدير جواب عن سؤال، لأنه يقال إنه تعالى غني عن العالمين منزه عن الشهوة والانتقام وداعية الإيذاء، فكيف يليق به أن يعذب هؤلاء المساكين إلى هذا الحد العظيم، وأجيب عنه بأن المقصود منه تخويف الكفار والضلال عن الكفر والضلال، فإذا كان التكليف لا يتم إلا بالتخويف والتخويف لا يكمل الانتفاع به إلا بإدخال ذلك الشيء في الوجود وجب إدخال ذلك النوع من العذاب في الوجود تحصيلاً لذلك المطلوب الذي هو التكليف، والوجه الأول عندي أقرب.

قال الشوكاني[2]: ﴿يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥۚ﴾ أي: يحذرهم بما توعد به الكفار من العذاب؛ ليخافوه، فيتقوه.

● قال تعالى: ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾ [النحل: 47].

قال الزمخشري[3]: ﴿عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾ متخوفين، وهو أن يهلك قوماً قبلهم فيتخوّفوا فيأخذهم بالعذاب وهم متخوفون متوقعون، وهو خلاف قوله: ﴿مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النّحل: 26] وقيل: هو من قولك: تخوفنه وتخونته، إذا تنقصته، أي: يأخذهم على أن يتنقصهم شيئاً بعد شيء في أنفسهم وأموالهم حتى يهلكوا.

(1) التفسير الكبير.
(2) فتح القدير.
(3) الكشاف.

قال البغوي[1]: ﴿أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ عَلَىٰ تَخَوُّفٖ﴾، والتخوُّف: التنقُّص، أي: ينقص من أطرافهم ونواحيهم الشيء بعد الشيء حتى يهلك جميعهم، يقال: تخوَّفه الدهر وتخوَّنه: إذا نقصه وأخذ ماله وحشمه. ويقال: هذه لغة بني هذيل. وقال الضحاك والكلبي: هو من الخوف، أي: يعذب طائفة فيتخوف الآخرون أن يصيبهم مثل ما أصابهم.

(1) معالم التنزيل.

خول

(خول - فوض - وكّل - زعم)

- **التَّخْوِيلُ:** إعطاء حق التصرف المحدود في ما تملك ﴿وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾ [الأنعام: 94].
- **التَّفْوِيضُ:** إعطاء حق التصرف المطلق في ما تملك ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ﴾ [غافر: 44].
- **التَّوْكِيلُ:** أن تعتمد على غيرك في تدبر مصالحك لثقتك به ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عِمران: 173].
- **الزَّعِيمُ:** الكفيل المتصرف بما بين يديه ﴿كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [القَصَص: 62].

❊ ❊ ❊

شرح المعاني:

هذه منظومة التكافل في القرآن الكريم. والتكافل من الكِفل هو المسند الذي يكون خلف ظهر الراكب حتى لا يسقط إذا جمح به البعير أو الفرس، والذي يُعبّر عنه في يومنا هذا بحزام الأمان في السيارة. فمن الذي تستند إليه ويمنعك من السقوط والخوف والأذى وكل ما تريد؟

المخوّل: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [الأنعام: 94]، ﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: 49]

التخويل هو أن تطلق يد صاحبك بكل ما تملكه ولا يكون إلا في الخَوَل كالمال العظيم الذي لصاحبه أتباع وأنصار أو رجل له هيبة ومكانة. الخوَلي هو الذي يحافظ على أموالك وأنت تطلق يده في كل ما تملك من أموال وأناس وموظفين ومكاتب. والآية ﴿وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾ [الأنعام: 94] تخاطب كل من له أتباع. كل متبوع له سلطة ونفوذ وأموال يسمى خَوَل وإذا أطلق يدك فيما يملك يقال: خوّلك. أنت تكون مخوّلاً في أمر عظيم ويقال: خوّلته في أمر عظيم. والكِفل هو الرديف.

الوكيل: الذي يقوم عنك بما تعجز أن تقوم به أنت. لا تعرف كيف تدافع عن نفسك فأنت توكّل محامياً فتستند عليه كما يستند الراكب على الكِفل. قال تعالى: ﴿وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا﴾ [الإسراء: 2] الله تعالى يقوم بما يعجز عنه كل الناس. ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: 173]، ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: 81].

الكفيل: الذي يقوم بحقوق الناس عليك وفي كلا الحالتين أنت عاجز عن أن تقوم بمصالحك عاجز أن تسدد حقوقك وحقوق الناس تحتاج لكفيل قال تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ۖ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: 37]، ليس بوسع مريم عليها السلام أن تؤدي للناس حقوقهم كل حاجاتها عند الناس وتحتاج لكفيل وهو زكريا. ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [النحل: 91].

المفوّض: الذي يحمل عنك همومك وخوفك وأنت عاجز عنه تفوضه إلى من يستطيع أن يقوم به. موسى عليه السلام بعد أن فاوض فرعون وهددوه ولم يستطع أن يقاوم دولة قال: ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ

بِٱلْعِبَادِ﴾ [غافر: 44]، فردّ تعالى عليه: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: 45]، رب العالمين عندما فوّض موسى عليه السلام الأمر إليه نصره وسنده وتكفّل به.

الزعيم: ﴿سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ﴾ [القلم: 40]﴿قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ﴾ [يوسف: 72] الزعيم هو الذي يقيك وينصرك بالسلطة، قد يكون ملكاً أو وزيراً أو أميراً أو مديراً له سلطة ينصرك بها. والزعيم هو الذي يتفقد الآخرين ويكفل حاجاتهم وأمرهم ليس بماله ولكن بسلطته لهذا استعملت كلمة الزعيم لكل من يتكفل بأمور الناس من حيث السلطة. ففي قصة يوسف عليه السلام مثلاً عندما قال ﴿وَأَنَا۠ بِهِۦ﴾ قالها لأنه موظف عند الملك وله سلطة. وهناك من يتكفل من حيث الجاه ويسمى شفيع يشفع للناس عند السلطة.

الولي: الذي يقوم عليك بالنصرة وهو التالي إليك وليس بينك وبينه رجل أو أحد أقرب منه، أنت وأبوك مثلاً أو جدك أو ابنك أو ابن ابنك أو أخوك أو ابن أخوك أو عمك أو ابن عمك هؤلاء أقرب الناس إليك. والولي هو الذي يليك مباشرة ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ ۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الأنفال: 72] متتالون واحد بعد الثاني لذا لا يمكن أن تتخذوا عدواً ولياً ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ۙ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الممتحنة: 1].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الخاء والواو واللام أصلٌ واحد يدلُّ على تعهُّد الشَّيء. مِن ذلك: «إنَّه كان يَتَخَوَّلُهم بالموعظة»، أي: كان يتعَّدُهم بها. وفلان خَوْلِيُّ مالٍ: إذا كان يُصلِحه. ومنه: خَوَّلَكَ اللهُ مالاً، أي: أعطاكه؛ لأنّ المال يُتَخوَّل، أي: يُتَعَهَّد. ومنه خَوَلُ الرّجُل، وهم حَشَمُه. أصله أنَّ الواحدَ خَائِلُ، وهوالرَّاعي. يقال فُلانٌ يَخُولُ على أهله، أي: يَرعَى عليهم. ومن فصيح كلامهم: تَخَوَّلَتِ الرِّيح الأرضَ: إذا تصرَّفَتْ فيها مرّةً بعد مرّة.

قال الخليل[2]: والخَوَلُ: ما أعطاك الله من العَبيد والنَّعَم، وهؤلاء خَوَلٌ لفلان أي: اتَّخَذَهم كالعبيد ذلًّا وقَهْراً. وخَوَل اللِّجام: أصلُ فَأْسِه. وخَالَاني فلان أي: خالَفَني.

قال الجوهري[3]: الخَائِلُ: الحافظُ للشيء. يقال: فلان يخولُ على أهله، أي: يرعى عليهم. وخَوَّلَهُ الله الشيءَ، أي: ملَّكه إيَّاه. وقد خُلْتُ المالَ أَخُولُهُ: إذا أحسنتَ القيام عليه. يقال: هو خالُ مالٍ وخائِلُ مالٍ وخَوْليُّ مالٍ، أي: حَسَنُ القيام عليه. والتَخَوُّلُ التعهُّدُ.

وفي الحديث: كان النبي ﷺ يَتَخَوَّلُنا بالموعِظة مخافَة السآمةِ. وتَخَوَّلْتُ في فلانٍ خالاً من الخير، أي: أَخَلْتُ وتوسَّمت. وخَوَلُ الرجلِ: حَشَمُهُ، الواحد خائِلٌ. وقد يكون الخَوَلُ واحداً، وهو اسمٌ يقع على العَبد والأمَةِ. قال الفراء: هو جمع خائِلٍ، وهو الراعي.

وقال غيره: هو مأخوذٌ من التَّخْويلِ، وهو التمليك. والخالُ: أخو الأمِّ، والخالَةُ أختها. يقال: خالٌ بيِّن الخُؤُولَةِ. وبيني وبين فلان خُؤُولَةٌ. وتقول:

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) العين.
(3) الصحاح في اللغة.

اسْتَخِلْ خالاً غير خالِكَ واسْتَخْولْ خالاً غير خالِكَ، أي: اتَّخِذْ. والاسْتِخْوالُ أيضاً: مثل الاسْتِخْيالُ.

والخالُ: لواء الجيش. ويقال: تطايَرَ الشرَرُ أَخْوَلَ أَخْوَلَ، أي: متفرِّقاً، وهو الشرر الذي يتطايَر من الحديد الحارِّ إذا ضُرِبَ.

وذهب القوم أَخْوَلَ أَخْوَلَ: إذا تفرَّقوا شتَّى. وهما اسمان جُعِلا واحداً وبنيا على الفتح.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى:** ﴿وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ﴾ [الأنعام: 94].

قال الفخر الرازي(1): وهذا يدل على أن كل مال يكتسبه الإنسان ولم يصرفه في مصارف الخيرات فصفته هذه التي ذكرها الله تعالى في هذه الآية، أما إذا صرفها إلى الجهات الموجبة للتعظيم لأمر الله والشفقة على خلق الله فما ترك تلك الأموال وراء ظهره ولكنه قدمها تلقاء وجهه، كما قال تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: 110]، وثالثها: أن أولئك المساكين أتعبوا أنفسهم في نصرة الأديان الباطلة، والمذاهب الفاسدة وظنوا أنهم ينتفعون بها عند الورود في محفل القيامة، فإذا وردوه وشاهدوا ما في تلك المذاهب من العذاب الشديد والعقاب الدائم حصلت فيه جهات كثيرة من العذاب. منها عذاب الحسرة والندامة: وهو أنه كيف أنفق ماله في تحمل العناء الشديد والبلاء العظيم في تحصيل ما لم يحصل له منه إلا العذاب والعناء، ومنها عذاب الخجلة: وهو أنه ظهر له أن كل ما كان يعتقده في دار الدنيا كان محض الجهالة وصريح الضلالة،

(1) التفسير الكبير.

ومنها حصول اليأس الشديد مع الطمع العظيم، ولا شك أن مجموع هذه الأحوال يوجب العذاب الشديد والآلام العظيمة الروحانية.

قال الزمخشري(1): ﴿وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ﴾ ما تفضلنا به عليكم في الدنيا فشغلتم به عن الآخرة.

قال أبو السعود(2): ﴿وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ﴾ تفضّلناه عليكم في الدنيا فشُغِلتم به عن الآخرة ﴿وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ﴾ ما قدمتم منه شيئاً ولم تحمِلوا نقيراً.

(1) الكشاف. (2) إرشاد العقل السليم.

خون

(خون - ختر - غل - خدع - نفاق - مكر - كيد - نكث)

- **الخِيَانَةُ:** نقض العهد أو الحق بدون قصد مسبق وإنما لعارض غير مقصود ﴿لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ﴾ [الأنفال: 27].
- **الخَتْرُ:** الاسترخاء والفتور المتعمد عن أداء الواجب الميسر بقصد مسبق ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ [لقمان: 32].
- **الغُلُولُ:** خيانة المال العام للدولة ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [آل عِمرَان: 161].
- **الخِدَاعُ:** إلباس الباطل لباس الحق فكأنه هو ﴿وَإِن يُرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ﴾ [الأنفال: 62].
- **النِّفَاقُ:** الدخول إلى الحق من بابه ثم الخروج من نفق مظلم يبعده عنه ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [المنَافِقون: 1].
- **المَكْرُ:** صرف الغير عمّا هو بصدده بحيلة لنفعه أو ضرره ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر: 43].
- **الكَيْدُ:** خداع شديد بتدبير وقدرة للخير أو الشرّ ﴿فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ﴾ [الصَّافات: 98].
- **النَّكْثُ:** نقض العهد لجبن الناكث عن الوفاء به ﴿وَإِن نَّكَثُوا أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ﴾ [التوبَة: 12].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس(1): الخاء والواو والنون أصلٌ واحد، وهو التنقص. يقال: خَانَه يَخُونُه خَوْناً. وذلك نُقصانُ الوَفاء. ويقال: تخوَّنَني فلانٌ حَقِّي، أي: تنقَّصَني.

ويقال الخَوَّانُ: الأسَد. والقياسُ واحد. فأمّا الذي يقال إنهم كانوا يسمُّون في العربيّة الأولى الرّبيع الأوَّل [خَوَّاناً]، فلا معنى له ولا وجهَ للشُّغْل به.

قال الخليل(2): خُنْتُ مَخانةً وخَوْناً، وذلك في الوُدِّ والنصح. وتقول: خانَه الدهر والنعيم خَوْناً. وهو تغير حاله إلى شر منها. وخانَني فلانٌ خِيانةً. الخَونُ في النظر فتره، ومن ذلك يقال للأسد: خائِنُ العين.

وخائِنةُ العين: ما تخُونُ من مُسارقة النظر أي: تنظر إلى ما لا يحل. وإذا نبا سيفك عن الضريبة فقد خانَكَ، كقول القائل: أخوك . . . وربما خَانَكَ. وكل ما غيرك عن حالك فقد تَخَوَّنَكَ. والتَخَوُّنُ: التنقص. والخَوانُ من أسماء الأسد. والخِوانُ: المائدة، معربة، وجمعه: الخُونُ، والعدد: أخونةٌ.

قال الجوهري(3): خانَهُ في كذا يَخونُه خَوْناً وخِيانَةً ومَخانَةً، واخْتانَهُ. قال الله تعالى: ﴿أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: 187] أي: يخونُ بعضُكم بعضاً. ورجلٌ خائِنٌ وخائِنَةٌ أيضاً، والهاء للمبالغة مثل علاّمة ونسّابة.

وقومٌ خَوَنَةٌ، كما قالوا حَوَكَةٌ. وخَوَّنَهُ نسبه إلى الخِيانَة.

والخَوَّانُ: الأسدُ. أبو عمرو: التَخَوُّنُ: التعهُّدُ. يقال: الحُمَّى تَخَوَّنُهُ. أي تعهَّدُه.

---

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) العين.
(3) الصحاح في اللغة.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: 27].

قال الزمخشري[1]: معنى الخون: النقص، كما أن معنى الوفاء التمام. ومنه: تخوّنه، إذا تنقصه، ثم استعمل في ضد الأمانة والوفاء، لأنك إذا خنت الرجل في شيء فقد أدخلت عليه النقصان فيه، وقد استعير فقيل: خان الدلو الكرب، وخان المشتار السبب لأنه إذا انقطع به فكأنه لم يف له. ومنه قوله تعالى: ﴿وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ﴾ والمعنى لا تخونوا الله بأن تعطلوا فرائضه، ورسوله بأن لا تستنوا به. و﴿أَمَٰنَٰتِكُمْ﴾ فيما بينكم بأن لا تحفظوها ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ تبعة ذلك ووباله، وقيل وأنتم تعلمون أنكم تخونون، يعني أن الخيانة توجد منكم عن تعمد لا عن سهو. وقيل: وأنتم علماء تعلمون قبح القبيح وحسن الحسن.

قال الماوردي[2]: قوله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: لا تخونوا الله سبحانه والرسول ﷺ كما صنع المنافقون في خيانتهم.

والثاني: لا تخونوا الله والرسول فيما جعله لعباده من أموالكم.

ويحتمل ثالثاً: أن خيانة الله بمعصية رسوله، وخيانة الرسول، بمعصية كلماته.

﴿وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: فيما أخذتموه من الغنيمة أن تحضروه إلى المغنم.

---

(1) الكشاف. (2) النكت والعيون.

الثاني: فيما ائتمن الله العباد عليه من الفرائض والأحكام أن تؤدوها بحقها ولا تخونوها بتركها.

والثالث: أنه على العموم في كل أمانة أن تؤدى ولا تخان.

● **قال تعالى:** ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا﴾ [التحريم: 10].

قال الطبري[1]: يقول تعالى ذكره: مَثَّل الله مثلاً للذين كفروا من الناس وسائر الخلق امرأة نوح وامرأة لوط، كانتا تحت عبدين من عبادنا، وهما نوح ولوط فخانتاهما. ذُكر أن خيانة امرأة نوح زوجها أنها كانت كافرة، وكانت تقول للناس: إنه مجنون. وأن خيانة امرأة لوط، أن لوطاً كان يُسِرّ الضيف، وتَدُلّ عليه. ذكر من قال ذلك: عن موسى بن أبي عائشة، عن سلمان بن قيس، عن ابن عباس، قوله: ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ قال: كانت امرأة نوح تقول للناس: إنه مجنون. وكانت امرأة لوط تَدُلّ على الضيف.

قال أبو السعود[2]: ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ بيانٌ لما صدرَ عنهُما من الجنايةِ العظيمةِ مع تحققِ ما ينفيها من صحبةِ النبيِّ أي: خانتاهُما بالكفرِ والنفاقِ، وهذا تصويرٌ لحالهِما المحاكيةِ لحالِ هؤلاءِ الكفرةِ في خيانتِهم لرسولِ الله ﷺ بالكفرِ والعصيانِ مع تمكنهِم التامِّ من الإيمانِ والطاعةِ.

● **قال تعالى:** ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ﴾ [المائدة: 13].

قال الفخر الرازي[3]: وفي الخائنة وجهان: الأول: أن الخائنة بمعنى المصدر، ونظيره كثير، كالكافية والعافية، وقال تعالى: ﴿فَأُهْلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ﴾ [الحاقة: 5] أي: بالطغيان. وقال ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾ [الواقعة: 2] أي: كذب.

(1) جامع البيان.
(2) إرشاد العقل السليم.
(3) التفسير الكبير.

وقال: ﴿لَّا تَسۡمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةٗ﴾ [الغاشية: 11] أي: لغواً. وتقول العرب: سمعت راغية الإبل. وثاغية الشاء يعنون رغاءها وثغاءها. وقال الزجاج: ويقال عافاه الله عافية، والثاني: أن يقال: الخائنة صفة، والمعنى: تطلع على فرقة خائنة أو نفس خائنة أو على فعلة ذات خيانة. وقيل: أراد الخائن، والهاء للمبالغة كعلامة ونسابة. قال صاحب «الكشاف» وقرىء على خيانة منهم.

قال ابن عطية[1]: ﴿عَلَىٰ خَآئِنَةٖ مِّنۡهُمۡ﴾ وغائلة وأمور فاسدة، واختلف الناس في معنى ﴿خَآئِنَةٖ﴾ في هذا الموضع فقالت فرقة ﴿خَآئِنَةٖ﴾ مصدر كالعاقبة وكقوله تعالى: ﴿فَأُهۡلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ﴾ [الحاقَّة: 5] فالمعنى على خيانة، وقال آخرون معناه على فرقة خائنة فهي اسم فاعل صفة المؤنث، وقال آخرون المعنى على خائن فزيدت الهاء للمبالغة كعلامة ونسابة.

● **قال تعالى: ﴿أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَخۡتَانُونَ أَنفُسَكُمۡ﴾** [البقرة: 187]

قال الزمخشري[2]: ﴿تَخۡتَانُونَ أَنفُسَكُمۡ﴾ تظلمونها وتنقصونها حظها من الخير. والاختيان من الخيانة، كالاكتساب من الكسب فيه زيادة وشدة.

قال الماوردي[3]: قوله تعالى: ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَخۡتَانُونَ أَنفُسَكُمۡ﴾ سبب هذه الخيانة التي كان القوم يختانون أنفسهم، شيئان: أحدهما: إتيان النساء.

الثاني: الأكل والشرب، وذلك أن الله تعالى أباح في أول الإسلام الأكل والشرب والجماع في ليل الصيام قبل نوم الإنسان، وحرّمه عليه بعد نومه، حتى جاء عمر بن الخطاب ذات ليلة من شهر رمضان، يريد امرأته، فقالت له: إني قد نمتُ، وظن أنها تعتل عليه، فوقع بها، وجاء أبو قيس ابن صرمة، وكان يعمل في أرض له، فأراد الأكل، فقالت له امرأته: نسخّر لك شيئاً، فغلبته عيناه، ثم

(1) المحرر الوجيز.
(2) الكشاف.
(3) النكت والعيون.

أحضرت إليه الطعام، فلم يأكل منه فلما أصبح لاقى جهداً. وأخبر عمر وأبو قيس رسول الله ﷺ بما كان منهما، فأنزل الله تعالى: ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ﴾. ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ﴾ فيه تأويلان: أحدهما: العفو عن ذنوبهم.

والثاني: العفو عن تحريم ذلك بعد النوم.

● **قال تعالى:** ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾ [غافر: 19].

قال الفخر الرازي[1]: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾ والمعنى أنه سبحانه عالم لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض، والحاكم إذا بلغ في العلم إلى هذا الحد كان خوف المذنب منه شديداً جداً، قال صاحب «الكشاف»: الخائنة صفة النظرة أو مصدر بمعنى الخائنة، كالعافية المعافاة، والمراد استراق النظر إلى ما لا يحل كما يفعل أهل الريب، والمراد بقوله ﴿وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾ مضمرات القلوب، والحاصل أن الأفعال قسمان: أفعال الجوارح وأفعال القلوب، أما أفعال الجوارح، فأخفاها خائنة الأعين، والله أعلم بها، فكيف الحال في سائر الأعمال.

قال أبو السعود[2]: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ﴾ النظرةَ الخائنةَ كالنظرةِ الثانيةِ إلى غيرِ المَحْرمِ واستراقِ النظرِ إليهِ أو خيانةَ الأعينِ على أنها مصدرٌ كالعافيةِ.

● **قال تعالى:** ﴿وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ﴾ [الأنفال: 71].

قال الطبري[3]: يقول تعالى ذكره لنبيه: وإن يرد هؤلاء الأسارى الذين في

(1) التفسير الكبير.
(2) إرشاد العقل السليم.
(3) جامع البيان.

أيديكم خيانتك: أي الغدر بك والمكر والخداع، بإظهارهم لك بالقول خلاف ما في نفوسهم، ﴿فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ﴾ يقول: فقد خالفوا أمر الله ممن قبل وقعة بدر، وأمكن منهم ببدر المؤمنين. ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بما يقولون بألسنتهم ويضمرونه في نفوسهم، ﴿حَكِيمٌ﴾ في تدبيرهم وتدبير أمور خلقه سواهم.

قال البغوي[1]: ﴿وَإِن يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ﴾، يعني الأسارى، ﴿فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ﴾، ببدر، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾، قال ابن جريج: أراد بالخيانة الكفر، أي: إن كفروا بك فقد كفروا بالله من قبل، فأمكن منهم المؤمنين ببدر حتى قتلوهم وأسروهم، وهذا تهديد لهم إن عادوا إلى قتال المؤمنين ومعاداتهم.

قال الشوكاني[2]: ﴿وَإِن يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ﴾ بما قالوه لك بألسنتهم من أنهم قد آمنوا بك وصدّقوك، ولم يكن ذلك منهم عن عزيمة صحيحة ونية خالصة، بل هو مماكرة ومخادعة، فليس ذلك بمستبعد منهم، فإنهم قد فعلوا ما هو أعظم منه، وهو أنهم خانوا الله من قبل أن تظفر بهم، فكفروا به وقاتلوا رسوله.

---

(1) معالم التنزيل. (2) فتح القدير.

خوي - خواء

(خواء - خلاء - فراغ - فضاء - هواء - جوف وأجوف)

هذه منظومة الفراغ في القرآن الكريم وآخر كلمة في باب حرف الخاء. خواء خوي. والخواء نوع من أنواع الفراغ وكل نوع من الفراغ له اسم يقال: خالٍ وخاوي وفارغ وفاضي وأجوف وهوائي. وقد استعمل القرآن الكريم كل كلمة استعمالاً دقيقاً بحيث لا تغني كلمة عن كلمة أخرى.

الخلاء: الفراغ بعد انشغال، كأن تكون منشغلاً بشيء ثم أصبحت خالياً. كل من كان منشغلاً بشيء ثم لم يعد منشغلاً بشيء أو أحد يقال له: خالياً (يقال خالي شغل) أي لم يعد له شغل الآن. ويقال: ثوب خالٍ من العيوب أي: كان فيه عيب ثم لم يعد فيه. أما إذا لم يكن فيه عيوب أصلاً فيقال ليس فيه عيوب. قال تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [آل عمران: 119]، ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ [البقرة: 14]، هؤلاء كانوا مع المؤمنين ثم لم يعودوا معهم وذهبوا إلى شياطينهم. وقال تعالى: ﴿اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ [يوسف: 9] يعقوب عليه السلام كان مشغولاً بيوسف عليه السلام فظنّ إخوة يوسف أنهم لو قتلوه يصبح أبوهم خالياً بعد انشغاله بيوسف.

وعندنا خالي، وعندنا خلي الخالي هو الذي كان منشغلاً فلم يعد له شغل فإذا لم يكن شاغلاً أو مشتغلاً أصلاً يسمى خَلِيّ (يقال ويل للشجي من الخلي). ويقال لفراغ الإنسان من شغله خالي.

خواء: فراغ شيء كان مملوءًا لكنه أفرغ بكارثة ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا

ظَلَمُوٓاْۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾ [النمل: 52]، ﴿سَخَّرَهَا عَلَيۡهِمۡ سَبۡعَ لَيَالٖ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومٗاۖ فَتَرَى ٱلۡقَوۡمَ فِيهَا صَرۡعَىٰ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٍ خَاوِيَةٖ﴾ [الحاقة: 7]﴿أَوۡ كَٱلَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرۡيَةٖ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۖ﴾ [البقرة: 259]، ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا﴾ [الكهف: 42]، ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا وَهِيَ ظَالِمَةٞ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئۡرٖ مُّعَطَّلَةٖ وَقَصۡرٖ مَّشِيدٍ﴾ [الحج: 45] كانت مأهولة فلما أصابتها كارثة أصبحت خاوية فرغت ولم يعد فيها أهل. يقال: خلت الديار إذا سافر أهلها كانت منشغلة فخلت. لما تكون البطن فارغة يقال: خواء. إذا كان فراغ البطن اعتيادياً يسمى: خلاء وإذا كان بمرض يسمى: خواء.

فراغ: كل شيء كان ممتلئاً ليمتلىء مرة أخرى يقال له فارغ. الفترة بين الامتلاءتين تسمى فراغاً ﴿فَإِذَا فَرَغۡتَ فَٱنصَبۡ﴾ [الشرح: 7] فرغ من الصلاة ليصلي مرة أخرى. وتستعمل كلمة فراغ استعمالاً خاطئاً فيما يتعلق بأوقات الفراغ فالفراغ هو عطلة بين نشاطين أو راحة بين حصتين (في المدارس). يخلو الإنسان في فترة الفراغ من عمله ليعمل مرة أخرى، وقال تعالى: ﴿وَأَصۡبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًاۖ إِن كَادَتۡ لَتُبۡدِي بِهِۦ لَوۡلَآ أَن رَّبَطۡنَا عَلَىٰ قَلۡبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [القصص: 10] فرّغ الله تعالى قلب أم موسى منه تماماً بعد أن كان مملوءًا به قبل أن تضعه في التابوت ثم ترمي به في اليم ليأخذه عدو له، ثم يمتلئ قلبها مرة ثانية بعد أن ردّه الله تعالى إليها. فالربط هو جعل قلبها فارغاً بين فترتين من ساعة إلقاء موسى في التابوت إلى عودته إليها. ولو لم يفرّغ الله تعالى قلبها في تلك الفترة لما ألقته. إذن فراغ تعني: كان عنده شغل فرغ منه ثم يبدأ بشغل آخر. وهذا الفراغ فضيلة لأنه راحة بين طرفين. قال تعالى: ﴿سَنَفۡرُغُ لَكُمۡ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾ [الرحمٰن: 31] عندنا فرِغ يفرُغ أي: يقصد وهذا هو المقصود بالآية أي: سنقصدكم بالعمل، وعندنا فرَغ يفرَغ وهي الفترة الممتدة بين عملين أو فترة هدوء وخلو بلا عمل.

فضاء: شيء ضيق جداً خرج من ضيقه إلى سِعة واسعة فيها فراغ هائل ليس

معكم أحد. كأن يكون هناك إنسان قد حُبِس في غرفة أو زنزانة ضيقة ثم أُطلق سراحه إلى الصحراء يقال: أفضى أي: ذهب إلى الفضاء، ويقال: بقيت فضى أي: في مكان واسع. ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾ [النساء: 21].

جوف وأجوف: هو الفراغ الباطني. كل فراغ في باطن الأرض أو الكرة أو في بطنك أنت فهو أجوف يقال: في جوفه ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ﴾ [الأحزاب: 4].

هواء: ﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ﴾ [إبراهيم: 43] تخيل المنظر يوم القيامة وقد جاء في القرآن الكريم ذكر الوعيد والنار مع الكفر. فالمشرك بالله تعالى يخرج سريعاً ﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾ أي: مسرعين بخوف شديد وعيناه مفتوحتان من الرعب ومثبتتان على ما يرعبه ولا يستطيع أن يغلقهما ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [إبراهيم: 42]. قال تعالى: ﴿وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ﴾ أي: فارغة مع ارتجاف، كالقشة في الهواء يرميها الهواء في كل مكان باضطراب وحيرة. يقال الفؤاد هواء ليدل على أنه فارغ جداً لكن بتردد وحيرة وخوف.

هذه منظومة الفراغ في القرآن الكريم وكل فراغ له كلمة تدل عليه مباشرة بدقة متناهية.

نعود لآية عجيبة فهمناها خطأ وترتب عليها تصرفات خاطئة من الرجال في حق النساء وهي ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾ [النساء: 21] كل كلمة في القرآن الكريم مقصودة قصداً ولا يحل محلها كلمة أخرى. كل من يطلّق امرأته يخالف هذه الآية، فإذا أردت الطلاق أو الاستبدال وكنت قد كتبت لزوجتك قنطاراً من الذهب فبأي حق تساومها على مهرها لتسترده أو تجعلها تتنازل هي عن هذا المهر أو أن تعطيك شيئاً بديلاً لكي تطلقها؟ وهذه كارثة لأمرين: الأول لأنهن أخذن منك ميثاقاً غليظاً وكلمة الميثاق

الغليظ لم ترد في القرآن الكريم إلا مرتين إحداهما الميثاق الذي أخذه تعالى على الأنبياء بأنهم إذا التقوا محمداً ﷺ عليهم أن يؤمنوا به أولاً وينصرونه ثانياً وهذا الميثاق الغليظ هو قضية الكون ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [الأحزاب: 7]. والثاني هو الميثاق بين الزوج والزوجة ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [النساء: 21] كل المواثيق في الأرض تنتج مصلحة مادية أو سياسية أو اجتماعية كالمواثيق بين الدول والأفراد، لكن ما من ميثاق على وجه الأرض يبيح لك عرضاً إلا ميثاق الزواج الغليظ فهو الوحيد الذي يبيح العِرض بكلمة زوّجتك نفسي - قبِلت. بهذه الكلمة أباح الله تعالى الزوج والزوجة كل منهما للآخر، إذن ما من شيء على الأرض يعادل أن تبيح الزوجة لك عرضها، أما المهر فهو هدية فقط بمناسبة فرحة الرجل بهذه المرأة التي أباحت له عرضها بميثاق الله عز وجلّ. هذه الإفاضة تعني أنهما كانا في صرة ضيقة لا تفتح إلا للضرورة كما جاء في وصف آخر ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ﴾ [البقرة: 187].

خاوية: من سنن الله في الكون أن كل قوة عاتية فريدة في التاريخ تستبد في الأرض لا بد أن يأتيها العذاب من حيث لا تحتسب. فقوم عاد كانوا أقوى دولة في العالم وقالوا: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ [فصلت: 15]، والتاريخ مليء بأقوام استبدوا في الأرض منها ما كان عادلاً إلى حد معتدل ولهم وازع إما قانون أو شرع أو خُلُق، وهناك قوة منفلتة انفلاتاً كاملاً. ومن سنن الله تعالى أن كل قوة غاشمة لا بد أن يأتيها العذاب من الله تعالى من حيث لا تحتسب ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [النمل: 52] وهذا العذاب من حيث لا يحتسبون سماه الله تعالى في القرآن الأخذ ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: 102].

القرى والقرية في القرآن هي كل مجتمع له حكومة وأعراف وتاريخ كل دولة من دول العالم تسمى قرية في اصطلاح القرآن. وللعلم أن رب العالمين لا يحاسب الناس في الدنيا على الشرك والإيمان وإنما على العدل والظلم ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود: 117] فإذا كان أهلها مصلحون يحققون العدل فيما بينهم وبينهم وبين غيرهم يوفقهم الله تعالى، وعندما تأتي قوة طاغية تستبد بالأرض يأخذهم: أي يستولي عليهم بالكامل. وكلمة الأخذ مأخوذة من أخذ الأسير في الحرب. ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [آل عمران: 11]، معظم أخذ الله تعالى على غرار تسونامي: أعاصير، أمطار هائلة، طوفان، رجفة، صيحة، ريح صرصر، قلب ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: 112].

***

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الخاء والواو والياء أصلٌ واحد يدلُّ على الخُلوِّ والسُّقوط. يقال: خَوَتِ الدّارُ تَخْوِي. وخَوَى النّجم: إذا سقَط ولم يكنْ عند سقوطه مَطر؛ وأخْوَى أيضاً.

وخَوَّتِ النّجومُ تخوِيةً: إذا مالت للمَغِيب. وخَوَّتِ الإبلُ تخويةً: إذا خُمِصَتْ بُطونُها. وخَويت المرأةُ خَوَىً، إذا لم تأكلْ عند الولادة. ويقال خَوَّى الرّجلُ: إذا تجافى في سجوده، وكذا البعيرُ إذا تجافى في بُروكه. وهو قياس الباب؛ لأنّه إذا خوَّى في سجودِه فقد أخلَى ما بين عضُده وجَنْبِه. وخَوَّتِ المرأةُ عند جلوسها على

(1) معجم مقاييس اللغة.

المِجْمر. وخوَّى الطائر: إذا أرسل جناحَيه. فأمَّا الخَوَاةُ فالصَّوت. وقد قلنا إنّ أكثر ذلك لا ينقاس، وليس بأصلٍ.

قال الجوهري[1]: خَوَتِ النجوم تَخْوي خَيًّا: أمحلت، وذلك إذا سقطتْ ولم تُمطر في نوئها. وأَخْوَتْ مثله. وخَوَتِ الدارُ خَواءً ممدود: أقوتْ، وكذلك إذا سقطت. ومنه قوله تعالى: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً﴾ [النمل: 52]، أي: خاليةً، ويقال ساقطةً، كما قال تعالى: ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ [البقرة: 259]، أي: ساقطة على سقوفها. وخَوَتِ المرأة وخَوَيْتُ أيضاً خَوىً، أي: خلا جوفُها عند الولادة. وخَوَّيْتُ لها تَخْوِيَةً: إذا عملتَ لها خَوِيَّةً تأكلُها، وهي طعام. والخَوِيُّ: البطن السهل من الأرض، على فَعيلٍ. وحكى أبو عبيد: الخَواةُ: الصوت. وخَوَّى البعير تَخْوِيَةً: إذا جافى بطنَه عن الأرض في بُروكه. وكذلك الرجلُ في سجوده، والطائرُ إذا أرسلَ جناحَيه. ويقال أيضاً: خَوَّتِ النجوم، إذا مالت للمغيب.

قال الخليل[2]: وخَوَى يَخوي خوىً وأصابه ذاك من الخَواء. وفي الحديث: «ذا صلى أحدكم **فَلْيُخَوِّ ما بين عَضُدَيْهِ وجَنبيهِ**» أي: يَنْفَتِخُ ويتجافَى. وخَوَتِ الدّارُ: باد أهلها، وهي قائمةٌ بلا عامرٍ.

وتقول: خَوَّى أي: تهدم ووقع. وخَوَّى البعير تَخْويةً أي: برك، ثم مكن لثفناته في الأرض. ومُخَوّاهُ: موضعُ تَخْوِيَتِه، وجمعه مُخَوَّيات.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً﴾ [النَّمل: 52].

قال البغوي[3]: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً﴾، نصب على الحال أي: خالية.

(1) الصحاح في اللغة.
(2) العين.
(3) معالم التنزيل.

قال أبو السعود[1]: ﴿خَاوِيَةً﴾ أي: خاليةً أو ساقطةً متهدمةً.

● قال تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ [البقرة: 259].

قال ابن عطية[2]: ﴿أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ﴾ عطفت (أو) في هذه الآية على المعنى، لأن مقصد التعجيب في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ﴾ يقتضي أن المعنى أرأيت كالذي حاج، ثم جاء قوله ﴿أَوْ كَالَّذِى﴾، عطفاً على ذلك المعنى.

قال السدي: يقول هي ساقطة على سقفها أي: سقطت السقف ثم سقطت الحيطان عليها، وقال غير السدي: معناه خاوية من الناس على العروش أي: على البيوت، وسقفها عليها لكنها خوت من الناس والبيوت قائمة. و﴿خَاوِيَةٌ﴾ معناه خالية، يقال: خوت الدار تخوي خواء وخوياً ويقال خويت قال الطبري: والأول أفصح وقوله: ﴿أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ﴾ معناه من أي طريق وبأي سبب؟ وظاهر اللفظ السؤال عن إحياء القرية بعمارة وسكان كما يقال الآن في المدن الخربة التي يبعد أن تعمر وتسكن فكأن هذا تلهف من الواقف المعتبر على مدينته التي عهد فيها أهله وأحبته، وضرب له المثل في نفسه بما هو أعظم مما سأل عنه، والمثال الذي ضرب له في نفسه يحتمل أن يكون على أن سؤاله، إنما كان عن إحياء الموتى من بني آدم، أي أنى يحيي الله موتاها، وقد حكى الطبري عن بعضهم أنه قال كان هذا القول شكاً في قدرة الله على الإحياء، فلذلك ضرب له المثل في نفسه.

● قال تعالى: ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ [الحج: 45].

---

(1) إرشاد العقل السليم. (2) المحرر الوجيز.

قال الألوسي[1]: والخواء إما بمعنى السقوط من خوى النجم إذا سقط، وقوله تعالى: ﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ متعلق به، والمراد بالعروش السقوف، والمعنى فهي ساقطة حيطانها على سقوفها بأن تعطل بنيانها فخرت سقوفها ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف، وإسناد السقوط على العروش إليها لتنزيل الحيطان منزلة كل البنيان لكونها عمدة فيه، وإما بمعنى الخلو من خوت الدار تخوى خواء إذا خلت من أهلها، ويقال: خوى البطن يخوي خوى إذا خلا من الطعام، وجعل الراغب أصل معنى الخواء هذا وجعل خوى النجم من ذلك فقال: يقال: خوى النجم وأخوى إذا لم يكن منه عند سقوطه مطر تشبيهاً بذلك فقوله تعالى: ﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ إما متعلق به أو متعلق بمحذوف وقع حالاً، و﴿عَلَىٰ﴾ بمعنى مع أي فهي خالية مع بقاء عروشها وسلامتها، ويجوز على تفسير الخواء بالخلو أن يكون ﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ خبراً بعد خبر أي فهي خالية وهي على عروشها أي قائمة مشرفة على عروشها على أن السقوف سقطت إلى الأرض وبقيت الحيطان قائمة وهي مشرفة على السقوف الساقطة، وإسناد الإشراف إلى الكل مع كونه حال الحيطان لما مر آنفاً.

قال الشعراوي[2]: هلاك القُرَى لا بُدَّ أن يكون له سبب، فلما وقع عليها الهلاك أصبحت ﴿خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا. . .﴾ الشيء الخاوي يعني: الذي سقط وتهدَّم على غيره، وقوله: ﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَا. . .﴾ يدل على عِظَم ما حَلَّ بها من هلاك، حيث سقط السقف أولاً، ثم انهارت عليه الجدران، أو: أن الله تعالى قَلَبها رأساً على عَقِب، وجعل عاليها سافلها.

● **قال تعالى**: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [الحَاقَّة: 7].

قال الفخر الرازي[3]: وأما وصف النخل بالخواء، فيحتمل أن يكون وصفاً

(1) روح المعاني.
(2) تفسير الشعراوي.
(3) التفسير الكبير.

للقوم، فإن الريح كانت تدخل أجوافهم فتصرعهم كالنخل الخاوية الجوف، ويحتمل أن تكون الخالية بمعنى البالية لأنها إذا بليت خلت أجوافها، فشبهوا بعد أن أهلكوا بالنخيل البالية.

قال العزّ بن عبد السلام[1]: ﴿خَاوِيَةٍ﴾ بالية أو خالية الأجواف أو ساقطة الأبدان خاوية الأصول شبهوا بها لأن أبدانهم خلت من أرواحهم كالنخل الخاوية أو لأن الريح قطعت رؤوسهم عن أجسادهم أو كانت تدخل من أفواههم فتخرج حشوتهم من أدبارهم فصاروا كالنخل الخاوية.

(1) التفسير العظيم.

خيب

(خيب - تبّ - تعس - خسر - خسىء - فشل)

- **الخَيْبَةُ:** فوات المطلوب مع بذل الجهد ﴿وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ﴾ [طه: 61].
- **تَبَّ:** الاستمرار في الخسران ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المَسَد: 1].
- **التَّعْسُ:** عدم الانتعاش مع العثرة ﴿فَتَعْسًا لَّهُمْ﴾ [محمَّد: 8].
- **الخُسْرُ:** انتقاص رأس المال ﴿قَالُواْ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ [النازعات: 12].
- **الخَسَأُ:** الانقياض والتقدم مع الطرد ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ [البقرة: 65].
- **الفَشَلُ:** ضعف مع جبن ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: 46].

* * *

النصوص اللغوية:

قال الخليل[1]: الخَيْبَةُ: حرمان الجد، خَابَ يَخيبُ. وجعل الله سعي فلانٍ في خَيّابِ بن هَيَابٍ وبَيَابِ بن بَيّابٍ، في مثلٍ للعرب. ولا يقال منه: خابَ وهابَ.

والخَيّابُ: القدح الذي لا يوري، والذي لا يفوز من السهام أيضاً. خَبَوَ وخَبَا خَبَتِ النّار تَخْبُو خَبْواً أي: طَفِئَت. وأَخْبَاهَا مُخبيها. وخَبَتِ الحرب: سكنت. والخَبْءُ: ما خَبَأْتَ من ذخيرةٍ ليوم ما. وامرأة مُخَبَّأَةٌ أي: معصر قبل

(1) العين.

قبل أن تتزوج. والخِباءُ، مهموز ممدود: سمةٌ تُخْبَأُ في موضعٍ خَفَيّ من الدابة، وهي لذيعة بالنار، والجميع: أَخْبِئَةٌ، على الأصل مهموز. والخِبَاءُ من بيوت الأعراب، جمعه: أَخبِيَةٌ، بغير همز. وتَخَبَّيتُ كسائي تَخَبِّياً إذا جعلته خِباءً. والخِباءُ: غشاء البرة والشعيرة في السنبلة. وخَبَتْ حدة النار أي: سكنتُ. وفي الحديث: «**أطلبوا الرزق في خَبايا الأرض**».

قال الجوهري[1]: خَابَ الرجل خَيْبَةً: إذا لم ينل ما يَطلُب. وخَيَّبْتُهُ أنا تَخْييباً. وفي المثل: الهَيْبَةُ خَيْبَةٌ. ويقال: خَيْبَةٌ لزيد وخَيْبَةً لزيد، فالنصب على إضمار فعلٍ، والرفع على الابتداء. الكسائي: يقال وقَعوا في وادي تُخُيِّبَ غيرَ مصروفٍ، معناه الباطلُ.

قال الفيروزآبادي[2]: خابَ يَخِيبُ خَيْبَةً: حُرِمَ، وخَيَّبَهُ الله، وخَسِرَ، وكَفَرَ، ولم يَنَلْ ما طَلَبَ. وفي المَثَلِ: «الهَيْبَةُ خَيْبَةٌ» خَيْبَةٌ لِزَيْدٍ، بالرَّفْعِ والنَّصبِ: دُعاءُ عليه.

وسَعْيُهُ في خَيَّابِ بنِ هَيَّابٍ، مُشَدَّدَيْنِ، أي: خَسارٍ. والخَيَّابُ أيضاً: القَدْح لا يُورِي. و«وقعَ في وادِي تُخُيِّبَ» بضم التاءِ والخاءِ وفتحها وكسر الياءِ غيرَ مَصْرُوفٍ، أي: في الباطلِ.

في القرآن الكريم:

- **قال تعالى**: ﴿وَٱسۡتَفۡتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [إبراهيم: 15].

قال الألوسي[3]: (خاب) خسر وهلك.

(1) الصحاح في اللغة.
(2) القاموس المحيط.
(3) روح المعاني.

قال الطبري[1]: ﴿وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ يقول: هلك كل متكبر جائر حائد عن الإقرار بتوحيد الله وإخلاص العبادة له.

قال ابن عطية[2]: خاب: خسر ولم ينجح.

● **قال تعالى**: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ﴾ [طه: 61].

قال الخازن[3]: أي: خسر من ادعى مع الله إلهاً آخر، وقيل: معناه خسر من كذب على الله تعالى.

قال أبو السعود[4]: أي: على الله كائناً من كان بأي وجهٍ كان فيدخل فيه الافتراءُ المنهيُّ عنه دخولاً أولياً، وقد خاب فرعونُ المفتري فلا تكونوا مثلَه في الخَيبة، والجملةُ اعتراضٌ مقرِّرٌ لمضمون ما قبلها.

قال ابن عاشور[5]: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ﴾ في موضع الحال من ضمير ﴿لَا تَفْتَرُوا۟﴾ وهي مسوقة مساق التعليل للنهي، أي: اجتنبوا الكذب على الله فقد خاب من افترى عليه من قبلُ. بعد أن وعظهم فنهاهم عن الكذب على الله وأنذرهم عذابه ضرب لهم مثلاً بالأمم البائدة الذين افتروا الكذب على الله فلم ينجحوا فيما افتَرَوْا لأجله.

● **قال تعالى**: ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس: 10].

قال أبو السعود[6]: لإبرازِ كمالِ الاعتناءِ بتحقيقِ مضمونِه والإيذانِ بتعلقِ القسم بِهِ أيضاً أصالةً، أيْ: خسرَ مَنْ نقصَها وأخفَاها بالفجورِ وأصلُ دَسَّى دَسَّسَ كتقضَّى وتَقَضَّضَ.

---

(1) جامع البيان.
(2) المحرر الوجيز.
(3) لباب التأويل.
(4) إرشاد العقل السليم.
(5) التحرير والتنوير.
(6) إرشاد العقل السليم.

قال البغوي[1]: ﴿وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾، أي: خابت وخسرت نفس أضلها الله فأفسدها.

وقال الحسن: معناه قد أفلح من زكى نفسه فأصلحها وحملها على طاعة الله عزّ وجلّ: ﴿وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ أهلكها وأضلها وحملها على المعصية، فجعل الفعل للنفس.

قال البيضاوي[2]: ﴿وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ نقصها وأخفاها بالجهالة والفسوق.

(1) معالم التنزيل. (2) أنوار التنزيل.

خير

(خير - رزق - مال - بنون)

■ **الخَيْرُ:** ما يرغب فيه الكل لقيمته العالية ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۝٥٥ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ۝٥٦﴾ [المؤمنون: 55-56].

■ **الرِّزْقُ:** العطاء الجاري المطلوب دوامه ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: 62].

■ **المَالُ:** الملك المعدّ للبيع والشراء والربح والخسارة ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ﴾ [الكهف: 46].

■ **البَنُونُ:** الأولاد الذكور وهم أفضل أنواع الخير ﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾ [القلم: 14].

* * *

شرح المعاني:

وغير ذلك مثل: (نعمة – مِنّة – فضل – بركة – إحسان – هبة):

هذه من منظومة الفيوضات الإلٰهية الذي لا حد له، ويبدأ بكلمة الرحمة وكل أنواع الفيوضات الإلٰهية من نعمة وفضل وإحسان ومِنّة وبركة كلها تتفرع من كلمة خير.

الخير: في كتاب الله تعالى يشمل كل أنواع الفيوضات، كل شيء تشتهيه النفس وتحبه حبّاً جمّاً عظيماً مهما كان نوعه ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ

وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾ [آل عمران: 14] كل هذه الشهوات إلى آخر ما في الدنيا من منع ومتاع وشهوة وشهية من أنواع الخير وكل ما يحبه الناس ولا يختلفون في حبه فهو من الخير ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات: 8] فالخير هو كل شيء تحبه من نفوذ وسمعة وبنين ومال وصحة ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: 35] اختبار لكل ما تحبه. فالخير كل شيء تحبه إيجابياً كان أم سلبياً.

الرزق: هو الخير وكل ما سيأتي هو كله خير، والدافع للخير الرحمة. والخير يتفرع إلى أنواع، كل نوع من أنواعه له كلمة تدل عليه مباشرة. والرزق هو الخير المتعلق بالطعام والغذاء ﴿وَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾ [المائدة: 88] نعمة الغذاء ومكافحة الجوع وكل ما يتعلق بالطعام والإطعام هو الرزق وهو الذي يمسك على الإنسان حياته. حيثما وردت كلمة الرزق في القرآن دلت على الطعام ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [النحل: 114]، ﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [الأنعام: 142]. ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: 47]، فهموا أن الطعام هو الرزق. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: 172]، ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة: 126]، ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ ۚ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: 37]، ﴿فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: 19] وهكذا في كل مرة ترد

كلمة رزق في القرآن فهي تعني الطعام حصراً ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: 25]. قال تعالى: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: 22]، أصل الغذاء المطر.

النعمة: الخير عام وهو كل مجموعة النعم مادية ومعنوية. إذا جزّأنا الخير إلى جزئيات فكل جزئية هي نعمة. قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [النحل: 18] أنعم الله تعالى علينا بنعم عديدة كالسمع والبصر وغيرها يمكن عدّها، لكن لا يمكن حصرها أي معرفة أسرارها وإعجازها وفضل الله تعالى علينا بها وقدرته سبحانه وتعالى. النعمة جزئية واحدة من الخير العام الشامل. والفرق بين الخير والرزق في القرآن ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنُطۡعِمُ مَن لَّوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطۡعَمَهُۥٓ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [يس: 47] هذا خير عام ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلۡ مَآ أَنفَقۡتُم مِّنۡ خَيۡرٖ فَلِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۗ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ﴾ [البقرة: 215] هذا مال، خير مال في الإنفاق والرزق هو الطعام. والطعام في كثير من العصور والعهود أفضل من المال بكثير خاصة في حالات المجاعة تكون فيها كسرة الخبز أفضل من مليون دولار ولهذا قال تعالى: ﴿أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ﴾ [البلد: 14].

المِنّة: نعمة معنوية لا يفعلها إلّا الله عز وجلّ، وهي أعلى من كل ماديات الأرض، ولا يهبها إلّا الملوك العظام لأتباعهم. والمِنّة غير مادية ليس بها شهوة، وإنما هي عطاء عظيم لا يفعله إلّا الله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ [الصافات: 114] من غير الله تعالى قادر على أن يفعل لموسى وهارون ما منّ الله تعالى به عليهما، ﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾ [آل

عمران: 164] من الذي يستطيع أن يمنّ علينا برسول مثل محمد ﷺ إلا الله تعالى، ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الحجرات: 17]. المِنّة إذن هي النعمة العظيمة غير المادية لأنها أكبر وأرقى وأغلى من كل ماديات الأرض ولا يفعلها إلّا الله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ [القصص: 5] منّ الله تعالى على بني إسرائيل بعدما استضعفوا بأن أورثهم الأرض.

الفضل: وسام أو نعمة يهبها الله تعالى لعباد مخصوصين جداً ليميّزهم على من سواهم، كأن يكون عندك مئة ضابط ثم تعطي واحداً منهم وساماً فيصبح يشار إليه بالبنان. قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: 113] لم يؤت تعالى هذا إلا للرسول ﷺ. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾ [الإسراء: 55] كل نبي له ميزة عن الآخرين موسى وعيسى وسليمان وداود ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ [سبأ: 10] الجبال تؤب مع داود فقط والحديد يلين له، ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ [النمل: 16]، ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: 22] من غير أبي بكر آتاه الله تعالى هذا الفضل؟ وفضل الله تعالى عيسى ابن مريم بأشياء ميزه بها عن غيره من إبراء الأكمه والأبرص والكلام في المهد وغيرها، ﴿فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران: 174]، نزلت في غزوة أحد عندما خرج الرسول ﷺ مع أبي بكر وعمر وعلي وبعض الصحابة في أثر أبي سفيان وجمعه ليرهبوهم، فقيل لهم: إن الناس قد اجتمعوا لكم فقالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل. وقيل: إن حسبنا الله ونعم الوكيل قالها سيدنا

إبراهيم عليه السلام عندما ألقي في النار فنجاه الله تعالى منها. والله تعالى يعطي كل إنسان فضلاً لا يعطيه لأحد غيره فيصبح متميزاً على من سواه ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ [هـود: 3]، ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: 58].

البركة: شيء يسير يقوم بوظيفة الشيء الكبير، مثل حفنة ماء سقى بها النبي ﷺ جيشاً كاملاً. فالبركة هي الشيء اليسير يودعه الله تعالى طاقات كبيرة وبركة كبيرة. كلما قلنا: تبارك الذي جعل في السماء بروجاً أي: أعطانا نعمة لا حدود لها فتخيل كم يستفيد الناس من النجوم والبروج وكذلك انظر في تلك الحبة الصغيرة (الحبة السوداء أو حبة البركة) كم أودع الله تعالى فيها من البركة ففيها شفاء للعديد من الأمراض وفيها طاقات هائلة. والليلة المباركة التي نزل فيها القرآن الكريم ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ [الدخان: 3]. هي ليلة مكونة من بضع ساعات هي خير من عبادة ألف شهر تغفر فيها الذنوب وعجائبها لا تنتهي. وقال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [صٓ: 29]. كتاب واحد لا تنقضي عجائبه وكل عصر يكتشف فيه الناس ما لم يعلمه أحد قبلهم وفيه منافع وأسرار جديدة. وقال تعالى على لسان عيسى ابن مريم عليهما السلام: ﴿وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مريم: 31] تكلم في المهد وأحيا الموتى وأبرأ الأكمه والأبرص. فالبركة هي أن يودع الشيء اليسير طاقة أشياء كثيرة.

هذه هي منظومة الفيوضات الإلٰهية. عندما يفيض الله تعالى على عباده بفضله وإحسانه ورحمته ونعمته ومنّته. وفي الحديث عن سورة البقرة: «**خذوها فإن أخذها بركة وتركها حسرة وندامة ولا يطيقها البَطَلة**» فسورة البقرة فيها من المنافع علمياً ونفسياً وعقيدة وحماية وعصمة الكثير.

قال تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُواْ

مِن خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: 272] كل شيء في كل الاتجاهات نفسي أو مالي أو علاجي أو جسدي وكل خير داخل في هذه الآية. ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [آل عمران: 30] يشمل كل شيء حتى الخاطرة. ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الحج: 11]. وخير عام ليس فقط مال بل كل ما تشتهيه النفس.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: 77]، بكل أنواعه. ﴿فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ [الأحزاب: 19] على كل شيء العلم والهداية والمال وكل ما هو محبوب. ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [البقرة: 105]، حتى الصحة. فالخير شيء والرزق شيء آخر والفضل شيء آخر.

الفضل: لو تأمل كل إنسان في نفسه لوجد أن فيه فضلاً لا يملكه الآخر إما نفسي أو علم أو أخلاق أو صوت: ولا بد أن يكون له ميزة أو صفة أو حال أو سمت معين لا يملكه الآخر. ﴿وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحديد: 29]، ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾ [الأحزاب: 47] سيتميزون بفضل من الله تعالى على الكثيرين وهم قِلّة.

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الخاء والياء والراء أصله العَطْف والمَيْل، ثمَّ يحمل عليه. فالخَير: خِلافُ الشّرّ؛ لأنَّ كلَّ أحدٍ يَمِيلُ إليه ويَعطِف على صاحبه. والخِيرَةُ: الخِيار. والخِيرُ: الكَرمُ. والاستخارة: أن تَسْأَلَ خيرَ الأمرين لك. وكل هذا من الاستخارة، وهي الاستعطاف. ويقال اسْتَخَرْتُه. قالوا: وهو من استِخارة الضّبُع، وهو أن تَجْعلَ خشبةً في ثُقْبَةِ بيتها حتى تَخرُج من مكانٍ إلى آخر.

ثم يُصَرّف الكلامُ فيقال رجلٌ خَيِّرٌ وامرأةٌ خَيِّرة: فاضلة. وقومٌ خِيارٌ وأَخْيَارٌ، وامرأةٌ خَيْرةٌ في جَمالها وميسَمِها. وفي القرآن: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ﴾ [الرحمٰن: 70]. ويقال: خايَرْتُ فلاناً فَخِرْتُه. وتقول: اخْتَرْ بَني فُلاَنٍ رَجُلاً. قال الله تعالى: ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا﴾ [الأعراف: 155]. تقول هو الخِيرَة خَفيفة، مصدر اختار خِيرَةً، مثل ارتاب رِيبَة.

قال الجوهري[2]: الخَيْرُ: ضِدُّ الشَرِّ. تقول منه: خِرْتَ يا رَجُلُ فأنت خائِرٌ. وَخارَ اللهُ لك.

وقوله تعالى: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾ [البقرة: 180] أي: مالاً. والخِيارُ: خلاف الأَشْرار. والخِيارُ: الاسم من الاخْتيار. والخِيارُ: القِثّاءُ، وليس بعربيّ. ورجل خَيِّرٌ وخَيْرٌ، مشدد ومخفف. وكذلك امرأة خَيِّرةٌ وخَيْرَة. قال الله تعالى: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ﴾ [التوبة: 88]، جمع خَيْرَةٍ، وهي الفاضِلَةُ من كلِّ شيء. فإنْ أردت معنى التفضيل قلت: فلانة خَيْرُ الناس ولم تقل خَيْرَةُ، وفلان خيرُ الناسِ ولم تَقُلْ أَخْيَرُ، لا يُثَنّى ولا يُجْمَع، لأنَّه في معنى أَفْعَلَ. والخِيرُ بالكسر: الكَرَم. والخِيرَةُ الاسمُ من قولك: خَارَ اللهُ لك في هذا الأمر. والخِيَرَةُ مثال العِنَبَةِ: الاسم من قولك اخْتارَهُ الله.

---

(1) معجم مقاييس اللغة.

(2) الصحاح في اللغة.

يقال: محمدٌ خِيَرَةُ الله من خَلْقِهِ، وخِيَرَةُ الله أيضاً بالتسكين. والاختِيارُ: الاصْطِفاءُ. وكذلك التَخَيُّرُ. وتصغير مُخْتار: مُخَيِّرٌ. والاسْتِخارَةُ الخِيَرَةُ. يقال: اسْتَخِرِ اللهَ يَخِرْ لَكَ. وخَيَّرْتُهُ بين شيئين، أي: فَوَّضْتُ إليه الخِيارُ.

قال الراغب[1]: الخَيْرُ: ما يرغب فيه الكل، كالعقل مثلاً، والعدل، والفضل، والشيء النافع، وضده: الشر. قيل: والخير ضربان: خير مطلق، وهو أن يكون مرغوباً فيه بكل حال، وعند كل أحد كما وصف عليه السلام به الجنة فقال: **(لا خير بخير بعده النار، ولا شر بشر بعده الجنة)**.

وخير وشر مقيدان، وهو أن يكون خيراً لواحد شراً لآخر، كالمال الذي ربما يكون خيراً لزيد وشرًّا لعمرو، ولذلك وصفه الله تعالى بالأمرين فقال في موضع: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾ [البقرة: 180]، وقال في موضع آخر: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المؤمنون: 55-56]، وقوله تعالى: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾، أي: مالاً. وقال بعض العلماء: لا يقال للمال خير حتى يكون كثيراً، ومن مكان طيب، كما روي أن عليًّا رضي الله عنه دخل على مولى له فقال: ألا أوصي يا أمير المؤمنين؟ قال: لا، لأن الله تعالى قال: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾، وليس لك مال كثير.

* المعاني المشتركة:

جاءت كلمة (خير) في القرآن الكريم بالمعاني المشتركة التالية:

1 - الإيمان: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ﴾ [الأنفال: 23].

2 - المال: ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ﴾ [البَقَرَة: 272].

3 - الإسلام: ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ﴾ [قٓ: 25] لأن الوليد بن المغيرة منع ابن أخيه من الدخول في الإسلام.

(1) مفردات الراغب.

4 - الأفضل: ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [المَائدة: 114].

5 - العافية: ﴿وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾ [يونس: 107].

6 - القرآن: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البَقَرَة: 105].

7 - النصر: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ [الأحزاب: 25].

8 - الأفضل والأحسن: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾ [البَقَرَة: 106].

9 - الصلاح: ﴿فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ [النُّور: 33].

10 - القوة: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾ [الدّخان: 37].

11 - الإصلاح: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ﴾ [آل عِمرَان: 104].

12 - الرخاء: ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ﴾ [هُود: 84].

13 - الولد الصالح: ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النِّساء: 19].

14 - حسن الأدب: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحُجرَات: 5].

15 - النوافل المتعددة: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [الأنبيَاء: 73].

16 - الشراء المتنوع: ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ﴾ [الأعراف: 188].

17 - كل ما يسعد العبد: ﴿بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عِمرَان: 26].

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى:** ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ﴾ [البقرة: 180].

قال الألوسي[1]: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾ أي: مالاً - كما قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه ومجاهد - وقيده بعضهم بكونه كثيراً إذ لا يقال في العرف للمال خيراً إلا إذا كان كثيراً، كما لا يقال: فلان ذو مال إلا إذا كان له مال كثير، ويؤيده ما أخرجه البيهقي وجماعة - عن عروة - أن علياً كرم الله تعالى وجهه دخل على مولى له في الموت وله سبعمائة درهم أو ستمائة درهم، فقال: ألا أوصي؟ قال: لا إنما قال الله تعالى: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾ وليس لك كثير مال، فدع مالك لورثتك. وما أخرجه ابن أبي شيبة عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن رجلاً قال لها: أريد أن أوصي، قالت: كم مالك؟ قال: ثلاثة آلاف، قالت: كم عيالك؟ قال: أربعة، قالت: قال الله تعالى: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾ وهذا شيء يسير فاتركه لعيالك فهو أفضل، والظاهر من هذا أن الكثرة غير مقدرة بمقدار، بل تختلف باختلاف حال الرجل فإنه بمقدار من المال يوصف رجل بالغنى ولا يوصف به غيره لكثرة العيال. وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما تقديرها، فقد أخرج عبد بن حميد عنه: «من لم يترك ستين ديناراً لم يترك خيراً» ومذهب الزهري أن الوصية مشروعة مما قل أو كثر، - فالخير - عنده المال مطلقاً - وهو أحد إطلاقاته - ولعل اختياره إيذاناً بأنه ينبغي أن يكون الموصي به حلالاً طيباً لا خبيثاً لأن الخبيث يجب رده إلى أربابه ويأثم بالوصية فيه.

قال الشوكاني[2]: وشرط سبحانه ما كتبه من الوصية بأن يترك الموصي خيراً. واختلف في جواب هذا الشرط ما هو؟ فروي عن الأخفش، وجهان:

أحدهما أن التقدير: إن ترك خيراً، فالوصية، ثم حذفت الفاء.

---

(1) روح المعاني. (2) فتح القدير.

والثاني: أن جوابه مقدّر قبله: أي: كتب الوصية للوالدين، والأقربين إن ترك خيراً. واختلف أهل العلم في مقدار الخير، فقيل: ما زاد على سبعمائة دينار، وقيل: ألف دينار، وقيل ما زاد على خمسمائة دينار. والوصية في الأصل: عبارة عن الأمر بالشيء، والعهد به في الحياة، وبعد الموت، وهي هنا: عبارة عن الأمر بالشيء لبعد الموت. وقد اتفق أهل العلم على وجوب الوصية على من عليه دين، أو عنده وديعة، أو نحوها. وأما من لم يكن كذلك، فذهب أكثرهم إلى أنها غير واجبة عليه سواء كان فقيراً، أو غنياً، وقالت طائفة: إنها واجبة، ولم يبين الله سبحانه ها هنا القدر الذي كتب الوصية به للوالدين، والأقربين، فقيل: الخمس. وقيل: الربع. وقيل: الثلث.

● **قال تعالى**: ﴿نُسَارِعُ لَهُمْ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [المؤمنون: 56].

قال الزمخشري(1): والمعنى: أنّ هذا الإمداد ليس إلا استدراجاً لهم إلى المعاصي، واستجراراً إلى زيادة الإثم، وهم يحسبونه مسارعة لهم في الخيرات، وفيما لهم فيه نفع وإكرام، ومعاجلة بالثواب قبل وقته. ويجوز أن يراد في جزاء الخيرات كما يفعل بأهل الخير من المسلمين.

قال الماوردي(2): ﴿نُسَارِعُ لَهُمْ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [المؤمنون: 56] فيه وجهان: أحدهما: نجعله في العامل خيراً.

والثاني: أنما نريد لهم بذلك خيراً.

قال أبو السعود(3): على حذفِ الرَّاجعِ إلى الاسمِ أي أيحسبون أنَّ الذي نمدُّهم به من المالِ والبنينَ نسارعُ به لهم فيما فيهِ خيرُهم وإكرامُهم على أنَّ الهمزةَ لإنكارِ الواقعِ واستقباحِه.

● **قال تعالى**: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ﴾ [البَقَرَة: 106].

(1) الكشاف.
(2) النكت والعيون.
(3) إرشاد العقل السليم.

قال الفخر الرازي[1]: أن هذه الآية لا تدل على وقوع النسخ، بل على أنه لو وقع النسخ لوقع إلى خير منه، ومن الناس من أجاب عن الاعتراض الأول بأن الآيات إذا أطلقت فالمراد بها آيات القرآن لأنه هو المعهود عندنا، وعن الثاني: بأن نقل القرآن من اللوح المحفوظ لا يختص ببعض القرآن وهذا النسخ مختص ببعضه، ولقائل أن يقول على الأول: لا نسلم أن لفظ الآية مختص بالقرآن، بل هو عام في جميع الدلائل، وعلى الثاني: لا نسلم أن النسخ المذكور في الآية مختص ببعض القرآن، بل التقدير والله أعلم ما ننسخ من اللوح المحفوظ فإنا نأتي بعده بما هو خير منه.

قال البغوي[2]: ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ﴾ أي بما هو أنفع لكم وأسهل عليكم وأكثر لأجركم، لا أنَّ آية خيرٌ من آية، لأن كلام الله واحد وكله خير.

● **قال تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾** [البقرة: 273].

قال الفخر الرازي[3]: وهو يجري مجرى ما إذا قال السلطان العظيم لعبده الذي استحسن خدمته: ما يكفيك بأن يكون علي شاهداً بكيفية طاعتك وحسن خدمتك، فإن هذا أعظم وقعاً مما إذا قال له: إن أجرك واصل إليك.

قال ابن عطية[4]: وعد محض أي: يعلمه ويحصيه ليجازي عليه ويثيب.

قال الطبري[5]: ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ﴾ يعني به: وما تتصدّقوا به من مال، فللفقراء الذين أحصروا في سبيل الله، فلما اعترض في الكلام بقوله: «فلأنفسكم»، فأدخل الفاء التي هي جواب الجزاء فيه تركت إعادتها في قوله: «للفقراء»، إذ كان الكلام مفهوماً معناه.

---

(1) التفسير الكبير.
(2) معالم التنزيل.
(3) التفسير الكبير.
(4) المحرر الوجيز.
(5) جامع البيان.

● **قال تعالى**: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰۚ وَٱتَّقُونِ﴾ [البقرة: 197].

قال الزمخشري[1]: حث على الخير عقيب النهي عن الشر؛ وأن يستعملوا مكان القبيح من الكلام الحسن، ومكان الفسوق البرّ والتقوى؛ ومكان الجدال الوفاق والأخلاق الجميلة. أو جعل فعل الخير عبارة عن ضبط أنفسهم حتى لا يوجد منهم ما نهوا عنه، وينصره قوله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰۚ﴾ أي اجعلوا زادكم إلى الآخرة اتقاء القبائح فإن خير الزاد اتقاؤها. وقيل: كان أهل اليمن لا يتزوّدون ويقولون: نحن متوكلون ونحن نحج بيت الله أفلا يُطعمنا فيكونون كلاًّ على الناس، فنزلت فيهم. ومعناه: وتزوّدوا واتقوا الاستطعام وإبرام الناس والتثقيل عليهم، فإن خير الزاد التقوى.

قال الماوردي[2]: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰۚ﴾ تأويلان: أحدهما: تزوّدوا بالأعمال الصالحة، فإن خير الزاد التقوى.

والثاني: أنها نزلت في قوم من أهل اليمن، كانوا يحجون ولا يتزودون، ويقولون: نحن المتوكلون، فنزلت فيهم: ﴿وَتَزَوَّدُواْ﴾، يعني من الطعام.

قال الألوسي[3]: أخرج البخاري وأبو داود والنسائي وابن المنذر وابن حبان والبيهقي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كان أهل اليمن يحجون ولا يتزوّدون ويقولون: نحن متوكلون، ثم يقدمون فيسألون الناس فنزلت. فالتزوّد. بمعناه الحقيقي. وهو اتخاذ الطعام للسفر. والتقوى بالمعنى اللغوي. وهو الاتقاء من السؤال. وقيل: معنى الآية اتخذوا التقوى زادكم لمعادكم فإنها خير زاد، فمفعول (تزوّدوا) محذوف بقرينة خبر إن. وهو التقوى بالمعنى الشرعي. وكان مقتضى الظاهر أن يحمل ﴿خَيْرَ ٱلزَّادِ﴾ على ﴿ٱلتَّقْوَىٰۚ﴾ فإن المسند إليه والمسند إذا كانا معرفتين يجعل ما هو مطلوب الإثبات مسنداً، والمطلوب هنا إثبات خير الزاد

(1) الكشاف.
(2) النكت والعيون.
(3) روح المعاني.

للتقوى لكونه دليلاً على تزوّدها إلا أنه أخرج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر للمبالغة لأنه حينئذ يكون المعنى إن الشيء الذي بلغكم أنه خير الزاد وأنتم تطلبون نعته هو التقوى فيفيد اتحاد خير الزاد بها.

● **قال تعالى:** ﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ﴾ [الرَّحمٰن: 70].

قال ابن عاشور(1): ﴿خَيْرَٰتٌ﴾ صفة لمحذوف يناسب صيغة الوصف، أي: نساء خَيْرات، وخيرات مخفف من خيرات بتشديد الياء مؤنث خيّر وهو المختص بأن صفته الخير ضد الشر. وخفف في الآية طلباً لخفة اللفظ مع السلامة من اللبس بما أتبع به من وصف ﴿حِسَانٌ﴾ الذي هو جمع حسناء ومعنى ﴿خَيْرَٰتٌ﴾ أنهن فاضلات النفس كرائم الأخلاق.

قال الطبري(2): ﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ﴾ يقول تعالى ذكره: في هذه الجنان الأربع اللواتي اثنتان منهنّ لمن يخاف مقام ربه، والأُخريان منهنّ من دونهما المدهامتان خيرات الأخلاق، حِسان الوجوه. عن قتادة ﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ﴾ يقول: في هذه الجنان خيرات الأخلاق، حِسان الوجوه.

قال أبو السعود(3): ﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ﴾ صفةٌ أُخرى لجنتانِ كالجُملةِ التي قبلَها. والكلامُ في جميعِ الضميرِ كالَّذي مرَّ فيمَا مرَّ. وخيراتٌ مخففةٌ من خَيِّراتٍ لأنَّ خَيْراً الذي بَمعْنى أخيرَ لا يجمعُ. وقد قُرِىءَ على الأصلِ ﴿حِسَانٌ﴾ أي حسانُ الخَلْقِ والخُلُقِ.

● **قال تعالى:** ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ﴾ [آل عمران: 104].

قال الفخر الرازي(4): أن هذه الآية مشتملة على الأمر بثلاثة أشياء: الدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ومعلوم أن الدعوة إلى الخير

(1) التحرير والتنوير.
(2) جامع البيان.
(3) إرشاد العقل السليم.
(4) التفسير الكبير.

مشروطة بالعلم بالخير وبالمعروف وبالمنكر، فإن الجاهل ربما عاد إلى الباطل وأمر بالمنكر ونهى عن المعروف، وربما عرف الحكم في مذهبه وجهله في مذهب صاحبه فنهاه عن غير منكر، وقد يغلظ في موضع اللين ويلين في موضع الغلظة، وينكر على من لا يزيده إنكاره إلا تمادياً، فثبت أن هذا التكليف متوجه على العلماء.

قال أبو السعود[1]: أي لتكن منكم أمةٌ داعين إلى الخير وأياً ما كان فتوجيهُ الخطابِ إلى الكل مع إسناد الدعوةِ إلى البعض لتحقيق معنى فرضيّتِها على الكفاية وأنها واجبةٌ على الكل لكن بحيث إنْ أقامها البعضُ سقطت عن الباقين، ولو أخل بها الكلُّ أثِموا جميعاً لا بحيث يتحتّم على الكل إقامتُها على ما يُنبىء عنه قولُه عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً﴾ [التوبة: 122] الآية، ولأنها من عظائم الأمورِ وعزائمِها التي لا يتولاها إلا العلماءُ بأحكامه تعالى ومراتبِ الاحتساب وكيفية إقامتِها، فإن من لا يعلمُها يوشِكُ أن يأمرَ بمنكر وينهى؟ عن معروف ويُغلِظَ في مقام اللينِ ويُلينَ في مقام الغِلْظة وينكِرَ على من لا يزيده الإنكارُ إلا التماديَ والإصرارَ، وقيل: مِنْ بيانية كما في قوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم﴾ [الفتح: 29]. الآية، والأمرُ من كان الناقصة والمعنى كونوا أمةً تدعون الآية كقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: 110] الآية، ولا يقتضي ذلك كونَ الدعوةِ فرضَ عينٍ، فإن الجهادَ من فروض الكفايةِ مع ثبوته بالخطاب العامِّ، والدعاءُ إلى الخير عبارةٌ عن الدعاء إلى ما فيه صلاحٌ دينيٌّ أو دنيويٌّ.

● **قال تعالى**: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات: 8].

قال ابن عطية[2]: ﴿ٱلْخَيْرِ﴾ المال على عرف ذلك في كتاب الله تعالى، قال عكرمة: ﴿ٱلْخَيْرِ﴾ حيث وقع في القرآن فهو المال، ويحتمل أن يراد هنا الخير

---

(1) إرشاد العقل السليم.
(2) المحرر الوجيز.

الدنياوي من ماله وصحة وجاه عند الملوك ونحوه، لأن الكفار والجهال لا يعرفون غير ذلك، فأما المحب في خير الآخرة فممدوح له مرجو له الفوز.

قال الراغب[1]: أي: المال الكثير وقال بعض العلماء: إنما سمي المال ها هنا خيراً تنبيهاً على معنى لطيف، وهو أن الذي يحسن الوصية به ما كان مجموعاً من المال من وجه محمود، وعلى هذا قوله: ﴿قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ﴾ [البقرة: 215].

قال الماوردي[2]: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ يعني الإنسان، وفي الخير ها هنا وجهان: أحدهما: المال،

الثاني: الدنيا.

ويحتمل ثالثاً: أن الخير ها هنا الاختيار، ويكون معناه: وإنه لحب اختياره لنفسه لشديد.

● **قال تعالى**: ﴿وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الدخان: 32].

قال الراغب[3]: يصح أن يكون إشارة إلى إيجاده تعالى إياهم خيراً، وأن يكون إشارة إلى تقديمهم على غيرهم. والمختار في عرف المتكلمين يقال لكل فعل يفعله الإنسان لا على سبيل الإكراه، فقولهم: هو مختار في كذا، فليس يريدون به ما يراد بقولهم فلان له اختيار؛ فإن الاختيار أخذ ما يراه خيراً، والمختار قد يقال للفاعل والمفعول.

---

(1) مفردات الراغب.
(2) النكت والعيون.
(3) مفردات الراغب.

خيط

(خيط - حبل - سلسلة)

- **الخَيْطُ:** ما يخاط به الثوب لأنه رفيع جداً ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ﴾ [البَقَرَة: 187].
- **الحَبْلُ:** ما يقاد به الجمل لأنه غليظ ﴿فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ﴾ [المَسَد: 5].
- **السِّلْسِلَةُ:** حبل طويل من حلقات معدنية قوية ﴿ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ﴾ [الحَاقَّة: 32].

❋ ❋ ❋

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس(1): الخاء والياء والطاء أصلٌ واحد يدلُّ على امتدادِ الشَّيء في دِقّةٍ، ثم يحمل عليه فيقال في بعض ما يكون منتصِباً. فالخَيْط معروفٌ. والخَيْطُ الأبيض: بياضُ النهار. والخَيْطُ الأسود: سوادُ الليل. قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ [البقرة: 187]. ويقال لما يَسِيلُ من لُعاب الشَّمس: خَيْطُ باطلٍ.

فأمّا قولُهم للّذي بَدا الشَّيبُ في رأسه خُيِّط، فهو من الباب، كأنَّ البادِيَ من ذلك مشبَّهٌ بالخُيُوط. قال الهذلي: ويقال: نعامة خَيْطاءُ؛ وخَيَطُها طُول عُنُقِها.

والْخِياطة معروفةٌ، فأمَّا الْخِيطُ بالكسر، فالجماعةُ من النَّعام؛ وهو قياس الباب؛ لأنّ المجتمِع يكون كالذي خِيطَ بعضُه إلى بعض.

---

(1) معجم مقاييس اللغة.

قال الخليل[1]: الخِيطُ: قطيعٌ من النعام، الواحدة خَيْطَى، ونعامةٌ خَيْطَى، وخَيْطُها: طول قَصَبِها وعُنُقِها، ويقال: هو ما فيها من اختِلاط سوادٍ في بياضٍ لازم لها، كالعيسِ في الإبل العراب. وثوبٌ مَخِيطٌ، حده مَخْيُوطٌ، فلينوا الياء كما لينوها في خاطَ، فالتقى ساكنان: سكون الياء وسكون الواو الساكنة فقالوا: مَخيط، ويقال: مَخوط بإلقاء الياء لالتقاء الساكنين. وكذلك مكولٌ ومكيلٌ. والخِياطُ: الإبرةُ، والخَيَّاطُ الفاعل وحرفته الخِياطَةُ. «والخَيْطُ الأبيض من الخَيْطِ الأسودِ» يعني الصبح. وخاطَ فلانٌ خَيْطةً واحدة: إذا سار سيرةً ولم يقطع السير.

قال الجوهري[2]: الخَيْطُ: السِلكُ، وجمعه خُيوطٌ وخُيوطَةٌ. والمِخْيَط: الإبرةُ، وكذلك الخِياط. ومنه قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِۚ﴾ [الأعراف: 40] والخَيْطُ الأسودُ: الفجرُ المستطيلُ. ويقال: سوادُ الليل. والخَيْطُ الأبيضُ: الفجرُ المعترضُ. وخَيْطُ الرقبةِ: نُخاعُها. يقال: جاحَشَ فلانٌ عن خَيطِ رقبته، أي: دافع عن دمه. وخَيْطُ باطلٍ: الذي يقال له لُعابُ الشمس ومُخاطُ الشيطان. والخِيطُ بالكسر: القطيعُ من النعام، وكذلك الخَيْطي. ونعامةٌ خَيْطاءُ بيِّنةُ الخَيَطِ، وهو طُول عنقِها. وقد خِطْتُ الثوبَ خِياطةً فهو مَخْيوطٌ ومَخيطٌ.

والخَيْطَةُ في كلام هُذيلٍ: الوتِدُ. وخَيَّطَ الشيبُ في رأسه، مثلُ وَخَطَ.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الأعراف: 40].

(1) العين. (2) الصحاح في اللغة.

قال الفخر الرازي[1]: ﴿ٱلۡخِيَاطِۚ﴾ ما يخاط به. قال الفراء: ويقال خياط ومخيط، كما يقال إزار ومئزر ولحاف وملحف، وقناع ومقنع، وإنما خص الجمل من بين سائر الحيوانات، لأنه أكبر الحيوانات جسماً عند العرب.

قال الماوردي[2]: ﴿وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ﴾ [الأعراف: 40] فيه قولان: أحدهما: سم الخياط: ثقب الإبرة.

والثاني: أن سم الخياط هو السم القاتل الداخل في مسام الجسد أي: ثقبه.

قال الشعراوي[3]: ﴿سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ﴾ هو ثقب الإبرة، أي الذي تدخل فيه فتلة الخيط، ولا تدخل فتلة الخيط في الثقب إلا أن يكون قطر الفتلة أقل من قطر الثقب، وأن تكون الفتلة من الصلابة بحيث تنفذ، وأن تكون الفتلة غير مستوية الطرف؛ لأنها إن كانت مقصوصة وأطرافها مستوية فهي لا تدخل في الثقب؛ لذلك نجد الخياط يجعل للفتلة سناً ليدخلها في ثقب الإبرة. وحين نأتي بالجمل ونقول له: ادخل في سم الخياط، فهل يستطيع؟ طبعاً لا؛ لذلك نجد الحق سبحانه قد علق دخول هؤلاء الجنة على مستحيل. بعض الناس قالوا: وما علاقة الجمل بسم الخياط؟ نقول: إن الجمل يطلق أيضاً على الحبل الغليظ المفتول من حبال، مثل حبال المركب إننا نجده سميكاً مجدولاً. وأخذ الشعراء هذه المسألة؛ ونجد واحداً منهم يصف انشغاله بالحبيب وشوقه إليه وصبابته به حتى يهزل ويستبد به الضعف.

● **قال تعالى**: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِۚ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمۡ عَٰكِفُونَ فِي ٱلۡمَسَٰجِدِۗ﴾ [البقرة: 187].

قال البغوي[4]: يعني بياض النهار من سواد الليل، سميا خيطين لأن كل

(1) التفسير الكبير.
(2) النكت والعيون.
(3) تفسير الشعراوي.
(4) معالم التنزيل.

واحد منهما يبدو في الابتداء ممتداً كالخيط. أُنزلت: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ﴾ [البقرة: 187] ولم ينزل قوله: ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾ فكان رجال إذا أرادوا الصوم ربط أحدهم في رجله الخيط الأبيض والخيط الأسود ولا يزال يأكل حتى يتبين له رؤيتهما، فأنزل الله تعالى بعده ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾ فعلموا إنما يعني بهما الليل والنهار.

عن عدي ابن حاتم قال: «لما نزلت ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ﴾ عمدت إلى عقال أسود وإلى عقال أبيض فجعلتهما تحت وسادتي فجعلت أنظر إليهما في الليل لا يستبين لي، فغدوت إلى رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له فقال: «**إنما ذلك سواد الليل وبياض النهار**». عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن بلالاً ينادي بليل فكلوا واشربوا حتى ينادي ابن أم مكتوم**» قال: «كان ابن أم مكتوم رجلاً أعمى لا ينادي حتى يقال له أصبحت أصبحت» واعلم أن الفجر فجران كاذب وصادق، فالكاذب يطلع أولاً مستطيلاً كذنب السِرحان يصعد إلى السماء فبطلوعه لا يخرج الليل ولا يحرم الطعام والشراب على الصائم، ثم يغيب فيطلع بعده الفجر الصادق مستطيراً ينتشر سريعاً في الأفق، فبطلوعه يدخل النهار ويحرم الطعام والشراب على الصائم.

قال الماوردي[1]: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ﴾، فكان رجال إذا أرادوا الصوم ربط أحدهم في رجليه الخيط الأبيض والخيط الأسود، فلا يزال يأكل حتى يتبين له رؤيتهما، فأنزل الله تعالى بعدُ ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾، فعلموا أنه إنما يعني الليل والنهار.

والقول الثاني: أنه يريد بالخيط الأبيض ضوء النهار، وهو الفجر الثاني، وبالخيط الأسود سواد الليل قبل الفجر الثاني. وروى الشعبي عن عدي بن حاتم: أنه عمد إلى خيطين أبيض وأسود، وجعلهما تحت وسادته، فكان يراعيهما في

(1) النكت والعيون.

صومه، ثم أخبر رسول الله ﷺ فقال: «**إِنَّكَ لَعَرِيضُ الْوِسَادِةِ، إِنَّمَا هُوَ بَيَاضُ النَّهَارِ وَسَوَادُ اللَّيلِ**».

وسُمِّيَ خيطاً، لأن أول ما يبدو من البياض ممتد كالخيط، والخيط في كلامهم عبارة عن اللون.

والثالث: ما حكي عن حذيفة بن اليمان أن الخيط الأبيض ضوء الشمس، ورويَ كان النبي ﷺ يتسحر وأنا أرى مواقع النبل، قال: قلت بعد الصبح؟ قال: هو الصبح إلا أنه لم تطلع الشمس، وهذا قول قد انعقد الإجماع على خلافه، وقد روى سوادة بن حنظلة عن سَمُرة بن جندب قال: قال رسول الله ﷺ: «**لاَ يَمْنَعَنَّكُم مِنْ سُحُورِكُم أذانُ بِلالٍ وَلاَ الفَجْرُ المُسْتَطِيلُ وَلَكِن الفَجْرُ المُسْتَطِيرُ فِي الأُفُقِ**». وقال النبي ﷺ: «**الفَجْرُ فَجْرَانِ، فَالَّذِي كَأَنَّهُ ذَنَبُ السرحانِ لاَ يُحرِّمُ شَيْئاً، وَأَمَّا الْمُسْتَطِيرُ الّذِي يَأْخُذُ الأُفُقَ فَإِنَّهُ يُحِلُّ الصَّلاَةَ وَيُحَرِّمُ الطَّعَامَ**».

خيل

(خيل - خيال - سراب - أسطورة)

■ **الخَيْلُ:** اسم للأفراس الذكية جداً والتي توحي لفارسها الخبير بأرقى صور الشهامة والفروسية فيخيل إليه أنه أكثر الناس نخوة وشجاعة كما يقول أحد الفرسان عن فرسه الأصيل:

لو كان يدري ما المحاورة اشتكى ولكان لو علم الكلام مكلمي

أي يشتكي شدة الإرهاق والتعب من صولات فارسه وجولاته.

﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾ [النّحل: 8].

■ **الخَيَالُ:** الصورة المجردة في المنام أو في المرآة أو في الماء يعيدها العقل الباطن فتكون خيالاً لا حقيقة ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ [طه: 66].

■ **السَّرَابُ:** الماء الوهمي في المفازة ﴿كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً﴾ [النور: 39].

■ **الأُسْطُورَةُ:** قصة بطولية خيالية يذكرها الآباء للأطفال لتسليتهم ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۙ قَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [النّحل: 24].

❊ ❊ ❊

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الخاء والياء واللام أصلٌ واحد يدلُّ على حركةٍ في تلوُّن.

---

(1) معجم مقاييس اللغة.

فمن ذلك الخَيَالُ، وهو الشَّخص. وأصله ما يتخيَّلُه الإنسان في مَنامه؛ لأنّه يتشبّه ويتلوّن. ويقال: خَيَّلْتُ للنّاقة. إذا وضَعْتَ لولدِها خَيالاً يفزَّع منه الذِّئب فلا يقرُبه. والخَيْل معروفة. وسمِعت مَن يَحْكِي عن بِشر الأسديّ عن الأصمعي قال: كنتُ عند أبي عمرو بن العَلاء، وعنده غلامٌ أعرابيٌّ فسُئل أبو عمرو: لم سمِّيت الخيلُ خيلاً؟ فقال: لا أدرِي. فقال الأعرابيُّ: لاخْتيالِها. فقال أبو عمرو: اكتُبوا. وهذا صحيحٌ؛ لأنّ المختالَ في مِشيتِه يتلوَّن في حركته ألواناً. والأَخْيَلُ طائرٌ، وأظنُّه ذا ألوانٍ، يقال هو الشِّقِرَّاق.

والعرب تتشاءم به. يقال بعير مَخْيُولٌ، إذا وقع الأخيلُ على عجُزِه فقَطَّعه.

ويقال تخيَّلت السَّماء: إذا تهيّأَتْ للمطَر، ولابدّ أنْ يكون عند ذلك تغيُّرُ لونٍ. والمَخيلَةُ: السَّحابة. والمَخِيلَةُ التي تَعِد بمَطَرٍ. فأمّا قولهم خَيَّلْتُ على الرّجُل تَخْييلاً: إذا وجَّهتَ التّهمَة إليه، فهو من ذلك؛ لأنّه يقال: يشبه أن يكون كذا يُخَيَّلُ إليّ أنّه كذا، ومنه تخيَّلْت عليه تخيُّلاً: إذا تفَرَّسْتَ فيه.

قال الخليل[1]: أَخْوَلَ الرجلُ إذا كان ذا أخوالٍ، فهو مُخْوِلٌ ومُخْوَلٌ، وهو كريم الخالِ أيضاً والخُؤولةُ مصدر الخال. والخَالُ: بَثْرةٌ في الوجه تضرب إلى السواد، وجمعه خِيلانٌ. والخَالُ: ثوب ناعم من ثياب اليمن، قال: والخَالُ: ثوبٌ من ثِياب الجهال ويقالُ: رجل خالٌ ومُختالٌ أي: شديد الخُيَلاءِ.

والخالُ كالظلع والغَمْزِ في الدابة. يقال: خالَ الفرس يَخَالُ خَالاً، والفرس خَائِلٌ، والخَوَلُ: ما أعطاك الله من العَبيد والنَّعَم وهؤلاء خَوَلٌ لفلان. والخالُ: اللواء، أي: لواؤها.

والأَخْيَلُ: تذكير الخُيَلاء.

والأَخْيَلُ: طائر يسميه الفرس كاجول، خضرته مشربة حمرة، يتشاءم به

(1) العين.

لعرب. والأَخْيَل: الشاهين، والجميع: أَخايِلُ. والخَيَالُ: كل شيء تراه كالظِّلِّ. وخَيَالُكَ في المرآة. وهو ما يأتي العاشق أيضاً في النوم على صورة عشيقته. وتقول: تَخَيَّلَ لي الخَيالُ. والخَالُ: الرجل السمح، يشبه بالغيم البارق. وتَخَيَّلَ إليّ أي: شبه. والخَيَالُ: غيم ينشأ، يُخَيَّلُ إليك أنه ماطر ثم يعدوك. فإذا أرعد وأبرق فالاسم المَخِيلَةُ، فإذا ذهب غَيْماً لم يسم مَخِيلَةً وإن لم يمطر سُمْيَ خُلَّباً. وخَيَّلَتِ السماء: أغامت ولم تمطر. وكل خَليقٍ لشيء فهو مَخيلٌ له. ويقال: خِلْتُه خَيَلاناً. ويقال: خَيَّلَ علينا وتَخَيَّلَ علينا أي: أدْخَل علينا التُّهَمَةَ وشبهها. وإخالُ زيداً يكرمك. وتَخَيَّلَ عليك فلان. إذا اختارَكَ وتفرس فيك الخَيْرَ. ويقال: إن فلاناً مُخِيلٌ للخَير، وكل شيء اشتَبَه عليك فهو مُخيلُ، وقد أخالَ.

وأخالَتِ الناقةُ فهي مُخِيلةٌ، إذا كانت حَسَنةَ العَطَل. وإذا كان في ضَرْعِها لبن فهي مُخيلةٌ أيضاً. والخَيْلُ جَماعُة الفَرس، لم تُؤْخَذْ من واحد مثل النَّبْل والإبل. والتَّخايُل: خُيَلاءُ في مهلة.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى:** ﴿وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾ [الأنفال: 60]

قال الزمخشري[1]: ﴿وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾ تخصيصاً للخيل من بين ما يتقوى به، كقوله: ﴿وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ [البقرة: 98] وعن ابن سيرين رحمه الله: أنه سئل عمن أوصى بثلث ماله في الحصون؟ فقال: يشتري به الخيل، فترابط في سبيل الله ويغزي عليها، فقيل له: إنما أوصى في الحصون.

قال الماوردي[2]: قوله عز وجل ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ

(1) الكشاف. (2) النكت والعيون.

﴿ٱلْخَيْلِ﴾ [الأنفال: 60] فيه خمسة أقاويل: أحدها: أن القوة ذكور الخيل، ورباط الخيل إناثها.

والثاني: القوة السلاح.

والثالث: القوة: التصافي واتفاق الكلمة.

والرابع: القوة: الثقة بالله تعالى والرغبة إليه.

والخامس: القوة: الرمي. روى يزيد بن أبي حبيب قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول على المنبر: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ **ألاَ إِنَّ القُوةَ الرميُ** قالها ثلاثاً. ﴿وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾ على قول عكرمة إناثها خاصة، وعلى قول الجمهور على العموم الذكور والإناث. وقد روى عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: «**ارتبطوا الخيل فَإِنَّ ظُهُورَهَا لَكُم عِزٌّ، وَأَجْوَافَهَا لَكُم كَنزٌ**».

قال ابن عطية[1]: ﴿ٱلْخَيْلِ﴾ والمركوب في الجملة والمحمول عليه من الحيوان والسلاح كله والملابس الباهتة والآلات والنفقات كلها داخلة في القوة، وأمر المسلمون بإعداد ما استطاعوا من ذلك، ولما كانت الخيل هي أصل الحروب وأوزارها والتي عقد الخير في نواصيها وهي أقوى القوة وحصون الفرسان خصها الله بالذكر تشريفاً على قوله: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ [البقرة: 98].

(1) المحرر الوجيز.

حرف الدال

دَبّ

(دبّ - تسَلَّل - خَطو - رَجِل - زَحفَ - سَعى - سَلَكَ - سَارَ - انْطَلَقَ)

■ **الدَّبِيْب:** المشي الخفيف بدون صوت كدبيب النمل ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٖ مِّن مَّآءٖ﴾ [النّور: 45].

■ **التَّسَلُّل:** المشي الخفيّ عن الأنظار عمداً ﴿قَدۡ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمۡ لِوَاذٗاۚ﴾ [النُّور: 63].

■ **الْخَطْو:** المشي على اتساع ما بين القدمين بانتظام.

■ **الرَّجِل:** – بكسر الجيم – الماشي على قدميه ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ﴾ [الحجّ: 27].

■ **الزَّحْف:** مشي الجيش ببطء وصمت وكثافة ﴿إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ﴾ [الأنفال: 15].

■ **السَّعْيُ:** المشي السريع دون العَدْوِ لأمرٍ جادٍّ ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا﴾ [البَقَرة: 205].

■ **السُّلوك:** المشي من أول الطريق إلى آخره والخروج منه ﴿لِّتَسۡلُكُواْ مِنۡهَا سُبُلٗا فِجَاجٗا﴾ [نوح: 20].

- **السَّيْرُ:** المشي السياحيّ المستمر في أنحاء متفرقة من الأرض ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ ٱلْـَٔاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [يُوسُف: 109].
- **الانْطِلَاق:** المشي السريع للمتخلف عن الركب ليلحق بهم ﴿ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ [المُرسَلات: 29].

❋ ❋ ❋

شرح المعاني:

الزَّحْف: المشي على غير قوائم، ومنه زحف الجيش لبطء مسيرته كأنه طفل يزحف على مقعده ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾ [الأنفَال: 15]. الزحف هو المشي الخفيف مع البطء بدون صوت.

الخَطْوُ: الخُطْوَةُ هي المسافة بين القدمين بالمشي، وكل من يمشي ويتوقف يقال له يخطو. الخطى والخطوة هو المشي المتقطع المتوقف ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ﴾ [النُّور: 21] الشيطان يأخذ الناس خطوة.

الدبيب: إذا أنهى الطفل مرحلة الزحف جاءت مرحلة الدبيب بخفة وبدون صوت كما تدبّ بعض الحيوانات بشكل بطيء رتيب بلا صوت ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [هُود: 6]، وكل من يدبّ على الأرض فهو دابة. ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا﴾ [فَاطِر: 45].

المشي: هو قانون التحرّك للأحياء، وهو الحركة الرتيبة التلقائية للانتقال من مكان إلى مكان (من غرفة إلى غرفة مثلاً) ويسمى مشياً ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا

يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [النُّور: 45]، أما إذا سِرْتَ من وحدة إلى وحدة أو من مدينة إلى مدينة يقال سار.

السّعي: عندما يبلغ الطفل 15 إلى 20 سنة يبدأ بالسعي بالجِدِّ والنشاط ولهدف معيّن ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلۡمَنَامِ أَنِّىٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الصَّافات: 102]، كان إسماعيل عليه السلام طفلاً زحف وخطا ودَبَّ ومشى ثم أصبح سعياً. فالمشي رتيب، أما السعي فله هدف معيّن ويحتاج إلى نشاط وقوة ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ﴾ [البَقَرَة: 205] ﴿وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعۡيُهُم مَّشۡكُورٗا﴾ [الإسراء: 19].

السير: هو الانتقال من وحدة إلى وحدة أو من بلد إلى بلد. قال تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلۡأَجَلَ وَسَارَ بِأَهۡلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارٗاۖ قَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّىٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ جَذۡوَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ﴾ [القَصَص: 29] من مدين إلى مصر. وقال تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمۡ وَبَيۡنَ ٱلۡقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكۡنَا فِيهَا قُرٗى ظَٰهِرَةٗ وَقَدَّرۡنَا فِيهَا ٱلسَّيۡرَۖ سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ﴾ [سَبَإ: 18] ﴿قُلۡ سِيرُواْ فِى ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأٓخِرَةَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [العنكبوت: 20] ﴿قُلۡ سِيرُواْ فِى ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلُۚ كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّشۡرِكِينَ﴾ [الرُّوم: 42] ﴿قُلۡ سِيرُواْ فِى ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ [النَّمل: 69] ﴿قُلۡ سِيرُواْ فِى ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾ [الأنعَام: 11].

الانْطِلَاق: كل من يمشي أو يدب أو يسير أو يخطو أو يزحف يبدأ رتيباً ثم تزداد حركته حتى يسرع، أما إذا كان عندك شيء مهم جداً فأنت تقفز قفزة هائلة وتبدأ من أول خطواتك بنشاط وسرعة يقال: انطلق. السجين الذي حُبس فترة من الزمن ثم أُفرج عنه ينطلق إلى خارج السجن ولا يمشي مشياً.

السُّلُوْك: ﴿مَا سَلَكَكُمۡ فِى سَقَرَ﴾ [المدَّثّر: 42] السلوك هو الإقحام في أضيق

مكان، من هنا جاءت كلمة السلك كأن تدخل خيطاً في مسبحة أو خرز أو إبرة هذا السلك أدخلته في مكان ضيق، لم يقل تعالى: ما أدخلكم في سقر ولكن قال تعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ﴾ [المدثر: 42]؛ لأن الدخول إلى جهنم في غاية الضيق والإقحام ﴿وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ [الفرقان: 13] ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾ [الطُّور: 13]. وقال تعالى: ﴿ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ [القَصَص: 32].

التَّسَلُّل: المشي في اختفاء بحيث لا يراك أحد ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النُّور: 63].

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الدال والباء أصلٌ واحد صحيح مُنقاس، وهو حركةٌ على الأرض أخفُّ من المشْي. تقول: دَبَّ دبيباً. وكلُّ ما مَشى على الأرض فهو دابَّة. وفي الحديث: «**لا يَدخُل الجنَّةَ دَيْبُوبٌ ولا قَلّاع**». يُراد بالدَّيبوب النَّمام الذي يدِب بين النّاس بالنمائم. والقَلّاع: الذي يَشِي بالإنسان إلى سُلطانه ليَقلَعه عن مرتبةٍ له عندَه. ويقال: ناقة دَبُوبٌ، إذا كانت لا تَمْشي من كثرة اللّحم إلّا دَبيباً. ويقال: ما بالدار دِبِّيٌّ ودُبِّيٌّ، أي: أحدٌ يدِبّ. ويقال: طَعنةٌ دبُوب، إذا كانت تَدِبُّ بالدّم. قال الهذَليّ: ويقال ركب فلانٌ دُبَّة فُلانٍ، وأخَذَ بدُبّته، إذا فعل مِثل فِعلِه، كأنّه مَشى مِثل مشيه. والدُّبّاء: القَرْع. ويجوز أن يكون شاذّاً، ومحتملٌ أن يكون سمِّي بذلك لملاسَته، كأنّه يَخِفُّ إذا دُحْرِجَ. وأمّا الدَّبَبُ في الشَّعْرِ فمن باب الإبدال؛ لأنَّ الدال فيه مبدلةٌ من زاي. والأدْبَبُ من الإبل: الأزبُّ.

---

(1) معجم مقاييس اللغة.

وفي الحديث – إنْ صحّ –: «**أيّتُكُنَّ صاحبة الجَمَل الأدْبَب**». وأمَّا الدَّبُوب، فيقال إنّه الغار البعيد القَعْر.

قال الجوهري(1): دبَّ على الأرض يَدِبُّ دَبِيباً. وكلُّ ماشٍ على الأرض دابَّةٌ ودبيبٌ. والدابة: التي تُرْكَبُ. ودابَّةُ الأرض: أحد أَشراطِ الساعةِ. وقولهم أَكْذَبُ مَنْ دَبَّ ودَرَجَ أي: أكذب الأحياء والأموات. ودَبَّ الشيخ، أي: مشى مشياً رويداً. وأدبيت الصبيَّ، أي: حملته على الدبيب. ويقال: ما بالدار دُبِّيٌّ ودِبِّيٌّ، أي أحدٌ. ودَبَبُ الوجه: زَغَبُهُ. والدُبُّ من السباع، والأُنثى دُبَّةٌ. وأرضٌ مَدَبَّةٌ، أي ذات دِبَبَةٍ. ومَدِبُّ السيل ومَدَبُّهُ: موضع جَرْيِهِ. يقال: تَنَحَّ عن مَدِبِّ السيلِ ومَدَبِّهِ، ومَدِبِّ النمل وَمَدَبِّهِ، فالاسم مكسور والمصدر مفتوح. والدَبَّةُ التي للدَهْنِ. والدَبَّةُ أيضاً: الكثيبُ من الرمل. ودَبَبَتُ دِبَّةً خَفِيَّةً. والدُبَّةُ بالضم: الطريقُ. يقال: دَعْني ودُبَّتي، أي: دعني وطريقتي وسَجِيَّتي. وناقةٌ دَبوبٌ: لا تكاد تمشي من كثرة لحمها، إنما تَدِبُّ. وتقول: فَعَلْتُ كذا من شُبَّ إلى دُبَّ، وإن شئت نَوَّنْتَ، أي من الشباب إلى أن دَبَبْتُ على العصا.

قال الراغب(2): الدَّبُّ والدَّبيب: مَشْيٌ خفيف، ويستعمل ذلك في الحيوان، وفي الحشرات أكثر، ويستعمل في الشراب والبِلَى (يقال: دَبَّ البِلَى في الثوب، أي: سرى)، ونحو ذلك مما لا تدرك حركته الحاسة، ويستعمل في كل حيوان وإن اختصت في التعارف بالفَرَس، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ﴾ [**النُّور: 45**].

وقيل: إنها حيوان بخلاف ما نعرفه يختص خروجها بحين القيامة، وقيل: عنى بها الأشرار الذين هم في الجهل بمنزلة الدواب، فتكون الدابة جمعاً لكل شيء يَدِبُّ، نحو: خائنة جمع خائن، وقوله: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [**الأنفَال: 22**] فإنها عام في جميع الحيوانات، ويقال: ناقة دَبُوب: تدب في مشيها لبطئها، وما بالدار دِبِّيٌّ، أي: من يَدِبُّ، وأرض مَدْبُوبَةٌ: كثيرة ذوات الدبيب فيها.

---

(1) الصحاح في اللغة. (2) مفردات الراغب.

المعنى المشترك لكلمة (د ب ب):

وقد وردت كلمة (دبب) في القرآن الكريم على أربعة أوجه:

الوجه الأول: الدَّابَّة هي الأَرَضَةُ ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ﴾ [سَبَإ: 14].

الوجه الثاني: الدَّابَّة يعني الخَلْق العظيم وهي التي تخرج آخر الزمان ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النمل: 82].

الوجه الثالث: الدَّوابُّ ما خلا الناس والأنعام ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَـٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ﴾ [فاطر: 28].

الوجه الرابع: الدَّابَّة ما دَبَّ على وجه الأرض ﴿وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ﴾ [الشّورى: 29].

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ﴾ [النور: 45].

قال الفخر الرازي(1): اعلم أن هذا هو النوع الثالث من الدلائل على الوحدانية؛ وذلك لأنه لَمَّا استدل أولاً بأحوال السماء والأرض وثانياً بالآثار العُلْوية استدل ثالثاً بأحوال الحيوانات. لِمَ قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ﴾ مع أن كثيراً من الحيوانات غير مخلوقة من الماء؟ أمّاً الملائكة فهم أعظم الحيوانات عدداً وهم مخلوقون من النور، وأما الجن فهم مخلوقون من النار،

(1) التفسير الكبير.

وخلق الله آدم من التراب لقوله: ﴿خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ﴾ [آل عِمرَان: 59] وخلق عيسى من الريح لقوله: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ [التّحْريم: 12] وأيضاً نرى أن كثيراً من الحيوانات متولد لا عن النطفة. والجواب من وجوه:

أحدها: (وهو الأحسن) ما قاله القفال أن قوله: ﴿مِّن مَّآءٍ﴾ صلة كل دابة وليس هو من صلة خلق، والمعنى أن كل دابة متولدة من الماء فهي مخلوقة لله تعالى. وثانيها: أن أصل جميع المخلوقات الماء على ما يروى «**أول ما خلق الله تعالى جوهرة فنظر إليها بعين الهيبة فصارت ماء ثم من ذلك الماء خلق النار والهواء والنور**»، ولما كان المقصود من هذه الآية بيان أصل الخلقة وكان الأصل الأول هو الماء لا جرم ذكره على هذا الوجه. وثالثها: أن المراد من الدَّابة التي تَدِبُّ على وجه الأرض ومسكنهم هناك فيخرج عنه الملائكة والجن، ولَمَّا كان الغالب جداً من هذه الحيوانات كونهم مخلوقين من الماء، إما لأنها متولدة من النطفة، وإما لأنها لا تعيش إلا بالماء لا جرم أطلق لفظ الكل تنزيلاً للغالب منزلة الكل.

قال الماورديّ(1): فيه قولان: أحدهما: أن أصل الخلق من ماء ثم قلب إلى النار فخلق منها الجن، وإلى النور فخلق منها الملائكة، وإلى الطين فخلق منه من خلق وما خلق.

الثاني: أنه خالق كل دابة من ماء النطفة.

● **قال تعالى**: ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ﴾ [البقرة: 164].

قال البيضاويّ(2): عطف على «أنزل»، كأنه استدل بنزول المطر وتكوين النبات به وبث الحيوانات في الأرض، أو على «أحيا» فإن الدواب ينمون بالخصب ويعيشون بالحياة. والبث: النشر والتفريق.

---

(1) النكت والعيون. (2) أنوار التنزيل.

قال أبو السعود[1]: ﴿مِن كُلِّ دَآبَّةٍ﴾ من العقلاء وغيرهم، والجملة معطوفةٌ على (أنزل) داخلةٌ تحت حكمِ الصلةِ، وقوله تعالى: فأحيا. . . إلخ متصلٌ بالمعطوف عليه بحيث كانا في حكم شيءٍ واحد، كأنه قيل: وما أَنزل في الأرض من ماءٍ وبثَّ فيها. . . إلخ، أو على أحيا بحذف الجارِّ والمجرور العائدِ إلى الموصول.

● **قال تعالى**: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: 6].

قال الفخر الرازي[2]: اعلم أنه تعالى لَمَّا ذكر في الآية الأولى أنه ﴿يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [البَقَرَة: 77] أردفه بما يدل على كونه تعالى عالماً بجميع المعلومات، فثبت أن رزق كل حيوان إنما يصل إليه من الله تعالى، فلو لم يكن عالماً بجميع المعلومات لما حصلت هذه المهمات.

قال الزَّجَّاج: الدَّابَّة اسمٌ لكلِّ حيوان، لأن الدابة اسم مأخوذ من الدبيب، وبنيت هذه اللفظة على هاء التأنيث، وأطلق على كل حيوان ذي روح ذكراً كان أو أنثى، إلا أنه بحسب عرف العرب اختص بالفَرَس، والمراد بهذا اللفظ في هذه الآية الموضوع الأصلي اللغوي فيدخل فيه جميع الحيوانات، وهذا متفق عليه بين المفسرين، ولا شك أن أقسام الحيوانات وأنواعها كثيرة، وهي الأجناس التي تكون في البر والبحر والجبال، والله يحصيها دون غيره، وهو تعالى عالم بكيفية طبائعها وأعضائها وأحوالها وأغذيتها وسمومها ومساكنها، وما يوافقها وما يخالفها، فالإله المدبر لإطباق السموات والأرضين، وطبائع الحيوان والنبات؛ كيف لا يكون عالماً بأحوالها؟ روي أن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ عند نزول الوحي إليه تعلق قلبه بأحوال أهله، فأَمَرَه الله تعالى أن يضرب بعصاه على صخرة فانشقت وخرجت صخرة ثانية، ثم ضرب بعصاه عليها فانشقت وخرجت صخرة ثالثة، ثم ضربها

(1) إرشاد العقل السليم. (2) التفسير الكبير.

بعصاه فانشقت فخرجت منها دودة كالذرة وفي فمها شيء يجري مجرى الغذاء لها، ورفع الحجاب عن سَمْعِ موسى عليه السلام فسمع الدودة تقول: سبحان من يراني، ويسمع كلامي، ويعرف مكاني، ويذكرني ولا ينساني.

● **قال تعالى:** ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ [الأنعام: 38].

قال الشعراوي[1]: إنه سبحانه يوضح لنا: أنا أعطي الآيات التي أعلم أن الفطرة السليمة تستقبلها كآيةٍ وتؤمن بها. وأنزلت لكم القرآن لتؤمنوا بالرسول الذي يحمله منهجاً يُصلح حياتكم. وقد جعلتكم سادة للكون، تخدمكم كل الكائنات، لأنكم بنو آدم. وكان الأجدر بكم أن تنتبهوا إلى أن الحيوان في خدمتكم، والنبات في خدمة الحيوان وخدمة الإنسان، وكل كائنات الوجود تصب جهدها المسخر لخدمتكم. فإذا كنتُ قد جئتُ للأجناس كلها وجعلتُها دونكم وأعطيتها ما يصلحها ويقيمها ووضعت لها نظاماً، وأعطيتها من الغرائز ما يكفي لصلاح أمرها حتى تؤدي مهمتها معكم على صورة تريحكم، فإذا كان هذا هو شأننا وعملنا مع من يخدمكم فكيف يكون الحال معكم؟ إنني أنزلت المنهج الذي يُصْلِحُ حياة من استخلفته سيداً في الأرض.

﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: 38].

وكل الدواب دون الإنسان، أعطاها الإله الإيمان بالفطرة، وهداها إلى الرزق بالغريزة. ومَيَّزَ الإنسان فوق كل الكائنات بالعقل، ولكن الإنسان يستخدم عقله مرة استخداماً سليماً صحيحاً فيصل إلى الإيمان، ويستخدمه مرة استخداماً سيئاً فَيَضِلُّ عن الإيمان. وكان على الإنسان أن يعلم أنه تعلم محاكاة ما دونه من الكائنات؛ فقابيل تعلم من الغراب كيف يواري سوأة أخيه. ومصمم الطائرات

(1) تفسير الشعراوي.

تعلم صناعة الطيران من دراسة الطيور. إذن كان يجب أن يتعلم الإنسان أن له خالقاً جعل له من الأجناس ما تخدمه ليطور من حياته ومن رعاية كرامته بعد الموت.

● **قال تعالى**: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأنفال: 22].

قال الألوسي[1]: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ﴾ استئناف مسوق لبيان كمال سوء حال المشبه بهم مبالغة في التحذير وتقريراً للنهي إثر تقرير، والدواب جمع دابة، والمراد بها إما المعنى اللغوي أو العرفي، أي إن شر من يدب على الأرض أو شر البهائم ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي في حكمه وقضائه.

قال البغوي[2]: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ﴾، أي: شرّ من دبّ على وجه الأرض [من خلق الله].

قال الفخر الرازي[3]: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ واختلفوا في الدواب، فقيل: شبههم بالدواب لجهلهم وعدولهم عن الانتفاع بما يقولون. ويقال لهم: ولذلك وصفهم بالصم والبكم وبأنهم لا يعقلون. وقيل: بل هم من الدواب لأنه اسم لِمَا دَبَّ على الأرض ولم يذكره في معرض التشبيه، بل وصفهم بصفة تليق بهم على طريقة الذم، كما يقال لمن لا يفهم الكلام، هو شبح وجسد وطلل على جهة الذم.

---

(1) روح المعاني.
(2) معالم التنزيل.
(3) التفسير الكبير.

دُبـر

(دُبُر - خَلْفَ - آخِر - عَقِبَ - قَفَا - وَرَاء)

■ **الدُّبُر:** الذي يلي مؤخرة الشيء مباشرة ﴿فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾ [الطُّور: 49].

■ **الخَلْف:** ضد الأمام المباشر ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ [البَقَرَة: 255].

■ **الآخِر:** بالكسر – ضدّ الأول ﴿وَلَدَارُ ٱلْأَخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [النّحل: 30].

■ **العَقِب:** ضد القدام ﴿ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾ [آل عِمرَان: 144].

■ **القَفَا:** ضد الوجه ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسرَاء: 36].

■ **الوراء:** ضد الأمام البعيد ﴿وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: 71].

❋ ❋ ❋

شرح المعاني:

الدُّبُر: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾ [ق: 40] تأتي عندما يكون الشيء وراء الشيء مباشرة مرة واحدة ومنقطعاً عما بعده. يقال صلّيت دُبُر الأذان أي: مباشرة بعد الأذان، ما إن انتهى الأذان قمت فصليت وانتهت الصلاة ولم يعد لها وجود ممتد على الزمن الآتي، وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ يتكلم عن ركعتي سنة المغرب، ما إن تنتهي من فريضة المغرب حتى تصلي مباشرة بعدها السُّنَّة فتصلي ركعتي السُّنَّة بعد ثلاث ركعات فرض صلاة المغرب مباشرة بدون انقطاع وبدون فاصلة زمنية أو فجوة زمنية ثم ينتهي الأمر عند هذا الحدّ.

الخَلْفُ: خلفك زمن ممتد قد يكون بعد ساعة أو ساعتين أو أكثر، يقال:

جئت خلفك أو خلف مجيئك أي أن الزمن ممتد لساعات أو أكثر، أما لو قلت: جئت دُبُر مجيئك أي مباشرة بعد مجيئك وانتهى المجيء مرة واحدة. قال تعالى: ﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ﴾ [يُونس: 92] خلفك تعني زمناً ممتداً، عندما جعل الله تعالى فرعون آية في الأزمنة التالية إلى يوم القيامة فكل الأجيال ترى في بقاء جثة فرعون آية عرضة للنظر والتفتيش. فالخلف ممتد والدُبُر مقطوع محدود، والدُبُر متصل والخلف قد يكون هناك فسحة. واشتق التخلف من خلف ولا يقال للتخلف تخلفاً إلا عندما يمتد، فلا نقول لطالب رسب مرة واحدة أنه متخلف، أما إذا رسب أعوام عديدة فيقال له متخلف.

وهناك فرق بين خَلَف أي من يأتي بعدك وخلْف بتسكين اللام وهي تعني الجهة.

الوراء: فوراء هو البعد المحيط بك إحاطة كاملة، والشيء الذي وراءك مسيطر جداً ومحيط وله امتداد هائل. قال تعالى: ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ [هُود: 71] لم يقل من بعد إسحق لأنه لا مقارنة بين يعقوب وإسحق؛ فإسحق رجل مغمور أما يعقوب فملأ الدنيا هو وأولاده، وهم حديث الدنيا منذ وُلِد يعقوب قبل الإسلام بألفي عام إلى يوم القيامة، وحديث بني إسرائيل يشغل الدنيا كلها، فأهمية يعقوب بعد إسحق عظيمة. وكل كلمة «وراء» في القرآن يأتي وراءها شيء عظيم هائل ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ [الإنسَان: 27] ذلك الفزع الأكبر أي: هول مسيطر عليك يمشي وراءك كأجلِك ويقول عليه الصلاة والسلام: «إن الرزق ليجري وراء أحدكم كما يجري وراءه أجله» فكل كلمة «وراء» معناها كبير ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾ [النِّساء: 102].

بعد: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [آل

عِمرَان: 8] لا تقال «بعد» للأشخاص وإنما تستعمل في أنها تأتي بحدث بعد حدث، يقال نجحت بعد أن درست أو شبعت بعد أن أكلت، هذه البعدية لا تأتي إلا لحدث بعد حدث، ففي الآية الزيغ حدث والهداية حدث.

كل هذه المنظومة إذا جاءت قبلها (من) تعطي معنىً مختلفاً. يقال: نسيت بعد أن تعلّمت تعني نسيت بعد التعلّم بعشرين سنة مثلاً أو بعدما كبر، لكن إذا قلنا: نسيت من بعد أن تعلمت فهي تعني نسيت من أول يوم. قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ ۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ [النّحل: 70] تعني كل ما تعلّمته نسيته، وقال تعالى: ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ﴾ [الحجّ: 5] كل ما تتعلمه الآن لا تفهمه من البداية، فقد تكون طعنت في السنّ وخرّفت ولم يعد لك قدرة على تعلّم شيء جديد لكن ما تعلمته سابقاً يبقى فتذكره. وقال تعالى: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: 145] إذا اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك الوحي مباشرة تكون من الظالمين. وقوله تعالى: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: 120] بقيت مستمراً للنهاية إلى أن مِتّ وأنت على هذا ما لك من الله من ولي ولا نصير. ومن هذا يتبين لنا أنه ليس في القرآن حرف زائد أو حركة زائدة كما يقول بعض المفسرين، فكل حرف وكل حركة فيها دلالة على تغيير الصورة والمعنى.

الْعَقِب: نتيجة لزومية، أنت ترتوي عَقِبَ شربك وتشبع عقب أكلك وتنام عقب تعبك. الشيء لزوم الشيء، فالعقب شيء يأتي بعد شيء وهو من لوازمه ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزّخرُف: 28] الإنسان يتزوج ويأتيه أولاد، هؤلاء الأولاد بعده لكنهم من لوازمه. يقال: أنا نجحت بعد دراسة سنتين وقد لا أنجح. الْعَقِب لا بد أن يأتي، ما دمت تزوجت وحملت زوجتك فالعقب لا بد أن يأتي. قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: 22] بما أنك

في هذه الدار فمن لوازمها أن هناك داراً آخرة ستأتي عقب هذه الدار لأنها من لزومياتها ولا احتمال في عدم وصولك إليها؛ لهذا لم يستعمل (وراء أو بعد أو خلف)، فكما أن ابنك عقبك لزوماً فالدار الآخرة عقب الدنيا لزوماً. وكلمة عقب أعجوبة العجائب وعندنا عَقِب وعُقْب وعُقُب وكل منها تعني شيئاً مختلفاً:

يقال: صُمْت عَقِب شعبان بكسر القاف، تعني أنك صمت آخر يومين من شعبان 29 و30 بمعنى الشيء النهائي.

ويقال: صمت عُقْب شعبان بتسكين القاف، تعني أنك صمت أول يوم من رمضان مباشرة بعد شعبان.

ويقال: صمت عُقُب شعبان بضمّ القاف، هذا الصوم ممتد ويمكن أن تصوم بعد شعبان بأربعة أشهر مثلاً.

قال تعالى: ﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ [الكهف: 44] أي: مباشرة بعد أن تموت من ساعة أن تغرغر يتصرّف الله تعالى معك لأنه خير ثواباً وخير عقباً.

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الدال والباء والراء. أصل هذا الباب أنَّ جُلّه في قياسٍ واحد، وهو آخِر الشَّيء وخَلْفُه خلافُ قُبُلِه.

وتشذّ عنه كلماتٌ يسيرة نذكرُها. فمعظم الباب أنَّ الدُّبُرَ خلافُ القُبُل. والدَّبِير: ما أدْبَرَتْ به المرأةُ من غزْلِها حين تفتِلُه. قال ابن السكّيت: القَبِيل من الفَتْل: ما أقبَلْتَ به إلى صدرك، والدَّبير: ما أدبَرْتَ به عن صدرك. ودابرةُ الطّائر:

(1) معجم مقاييس اللغة.

الإِصبع التي في مُؤَخَّر رِجْله. وتقول: جعلتُ قولَه دَبْرَ أُذُني، أي: أغضَيْت عنه وَتصامَمْت. ودَبَر النَّهارُ وأدبَرَ، وذلك إذا جاء آخِرُه، وهو دُبُره. ودبَّرْتُ الحديثَ عن فُلانٍ، إذا حدَّثتَ به عنه، وهو من الباب؛ لأنَّ الآخِر المحدِّثَ يَدْبُر الأوّلَ يجيءُ خَلْفَه. ودابرة الحافر: ما حاذَى مؤخَّر الرُّسْغ. وقطَعَ اللهُ دابِرَهم، أي آخِرَ مَن بَقِي منهم. والدَّابر من السِّهام: الذي يخرُج من الهَدَف، كأنَّه وَلّى الرّاميَ دُبُرَه، وقد دَبَرَ يَدْبُرُ دُبُوراً. والدَّبَرانُ: نجمٌ، سمِّي بذلك لأنَّه يَدْبُر الثّريّا. ودابَرْتُ فُلاناً: عاديتُه. وفي الحديث: «**لا تَدَابَرُوا**»، وهو من الباب، وذلك أنْ يترُكَ كلُّ واحدٍ منهما الإقبالَ على صاحبه بوجْهه. والتدبير: أنْ يُدبِّر الإنسانُ أمرَه، وذلك أنَّه يَنظُر إلى ما تصير عاقبتُه وآخرُه، وهو دُبُره. والتَّدبير: عِتْق الرّجُل عبدَه أو أمَتَه عن دُبُر، وهو أن يَعْتِقَ بعد موت صاحبِه، كأنَّه يقول: هو حُرٌّ بعدَ موتي. ورجل مقابَلٌ مُدابَرٌ، إذا كان كريمَ النَّسَب من قِبَل أبوَيه؛ ومعنى هذا أنَّ من أقبَلَ منهم فهو كريمٌ، ومن أدبَرَ منهم فكذلك. والمُدَابَرَة: الشاة تُشَقُّ أُذُنُها من قِبَل قَفاها. والدّابر [من] القِداح: الذي لم يَخْرُج؛ وهو خلاف الفائز، وهو من الباب؛ لأنَّه ولّى صاحبَه دُبُرَه. والدَّابر التابع، يقال: دَبَرَ دُبُوراً، وعلى ذلك يفسَّر قوله جلَّ ثناؤُه: ﴿وَالَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ﴾ [المدثر: **33**]، يقول: تَبع النَّهارَ. وَدَبَرَ بالقِمار، إذا ذَهَب به. ويقال: ليس لهذا الأمرِ قبْلةٌ ولا دِبْرَةٌ، أي ليس له ما يُقبِل به فيُعْرَفَ ولا يُدْبِر به فيُعرَف. ورجلٌ أُدابرٌ: يقطَع رَحِمَه؛ وذلك أنَّهُ يُدبِرُ عنها ولا يُقْبِل عليها.

والدَّبُور: ريحٌ تُقبِل مِن دُبُر الكعبة. والدَّابرة: ضربٌ مِن أُخَذِ الصَّرْع. قال أبو زيد: يقال «هو لا يُصَلِّي الصّلاةَ إلّا دَبَرِيّاً»، والمُحدِّثونَ يقولون: دُبُرِيّاً؛ وذلك إذا صلّاها في آخرِ وقتها، يريد وقد أدبَرَ الوقتُ. وأما الكلمات الأُخَرُ فأَراها شاذَّةً عن الأصل الذي ذكرناه، وبعضُها صحيح. فأمَّا المشكوك فيه فقولهم: إنَّ دُبَاراً اسمُ يوم الأربعاء، وإنَّ الجاهليَّة كذا كانوا يسمُّونه. وفي مثل هذا نَظَرٌ. وأمَّا الصَّحيح فالدِّبار، وهي المَشَارات من الزَّرْع. قال بِشرٌ: ومن ذلك الدَّبْر، وهو المال الكثير؛ يقال مالٌ دَبْرٌ، ومالان دَبرٌ، وأموالٌ دَبْرٌ.

قال الفيروزآبادي[1]: الدُّبُرُ، بالضم وبضمتين: نقيضُ القُبُلِ، والدبر من كُلِّ شيءٍ: عَقِبُه ومؤخَّرُه. وجِئْتُكَ دُبُرَ الشهرِ، وفيه، وعليه، وأدْبارَهُ، وفيها: أي: آخِرَهُ، والأسْتُ، والظَّهْرُ، وزَاوِيَةُ البَيْتِ، وبالفتح: جماعةُ النَّحْلِ والزَّنابيرِ، ويكسرُ فيهما، أدبُرٌ ودُبُورٌ، ومَشاراتُ المَزْرَعَةِ، كالدِّبارِ، بالكسر، واحِدُهُما: بهاءٍ، وأولادُ الجرادِ، ويكسرُ، وخَلْفُ الشيءِ، والموتُ، والجبلُ، ومنه حديثُ النَّجاشِيِّ: «ما أُحِبُّ أنَّ لِي دَبْراً ذَهَباً، وأنِّي آذَيْتُ رجلاً من المسلمين»، ورُقادُ كُلِّ ساعةٍ، والالْتِتابُ، وقِطْعَةٌ تَغْلُظُ في البَحْرِ كالجَزيرَةِ، يَعْلُوها الماءُ، ويَنْضُبُ عنها، والمالُ الكثيرُ، ويكسرُ، ومُجاوَزَةُ السَّهْمِ الهَدَفَ، كالدُّبُور. وجَعَلَ كَلاَمَكَ دَبْرَ أُذُنِهِ: لم يُصْغِ إليه، ولم يُعَرِّجِ عليه.

والدَّبْرَةُ: نَقيضُ الدَّوْلَةِ، والعاقِبةُ، والهَزيمَةُ في القِتالِ، والبُقْعَةُ تُزْرَعُ، وبالكسرِ: خِلافُ القِبْلَةِ. ومالَهُ قِبْلَةٌ ولا دِبْرَةٌ، أي: لم يَهْتَدِ لِجِهَةِ أمرِهِ، وبالتحريكِ: قَرْحَةُ الدَّابَّة دَبَرٌ وأدبارٌ، دَبِرَ، كفَرِحَ، وأدْبَرَ، فهو دَبِرٌ.

المعنى المشترك لكلمة (د ب ر)

وقد وردت كلمة (دبر) في القرآن الكريم على ستة أوجه:

الوجه الأول: الأدبار يعني الظهور ﴿فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾ [الأنفال: 15].

الوجه الثاني: الأدبار يعني أديان آبائهم الباطلة ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم﴾ [محَمَّد: 25].

الوجه الثالث: الأدبار يعني عقيب الشيء ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾ [ق: 40].

الوجه الرابع: أدبر أي ذهب ﴿وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ﴾ [المدَّثِّر: 33].

الوجه الخامس: دابِرُهُم يعني غابرهم وآخرهم ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ [الأنعَام: 45].

---

(1) القاموس المحيط.

الوجه السادس: التدبر يعني التفكر ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [محمد: 24].

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ﴾ [الأنفال: 15-16].

قال الفخر الرازي(1): ومعنى ﴿فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾ أي لا تجعلوا ظهوركم مما يليهم. ثم إنه تعالى لما نهى عن هذا الانهزام بيَّن أن هذا الانهزام محرم إلا في حالتين: إحداهما: أن يكون متحرفاً للقتال، والمراد منه أن يخيل إلى عدوه أنه منهزم، ثم ينعطف عليه، وهو أحد أبواب خدع الحرب ومكايدها، يقال: تحرف وانحرف إذا زال عن جهة الاستواء والثانية التحيز. . .

﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ﴾ إلا في هاتين الحالتين، فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير.

قال ابن عطية(2): والعبارة بالدبر في هذه الآية متمكنة الفصاحة، لأنها بشعة على الفارِّ ذامة له، وقرأ الجمهور «دبُره» بضم الباء، وقرأ الحسن بن أبي الحسن «دبْره» بسكون الباء، واختلف المتأولون في المشار إليه بقوله: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ فقالتْ فرقةٌ الإشارةَ إلى يوم بدر وما وليه، وفي ذلك اليوم وقع الوعيد بالغضب على من فَرَّ، ونسخ بعد ذلك حكم الآية بآية الضعف، وبقي الفرار من الزحف ليس بكبيرة وقد فَرَّ الناس يوم أحد فعفا الله عنهم، وقال فيهم يوم حنين: ﴿ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ [التوبة: 25] ولم يقع على ذلك تعنيف.

---

(1) التفسير الكبير. (2) المحرر الوجيز.

● **قال تعالى**: ﴿وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾ [ق: 40].

قال الزمخشري[1]: ﴿وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾ التسبيح في آثار الصلوات، والسجود والركوع يعبر بهما عن الصلاة. وقيل: النوافل بعد المكتوبات. وعن علي رضي الله عنه: الركعتان بعد المغرب. وروي عن النبي ﷺ: «**من صلى بعد المغرب قبل أن يتكلم كتبت صلاته في عليين**». وعن ابن عباس رضي الله عنهما: الوتر بعد العشاء. والأدبار: جمع دبر. وقرىء: «وأدبار» من أدبرت الصلاة إذا انقضت وتمت. ومعناه: ووقت انقضاء السجود، كقولهم: آتيك خفوق النجم.

قال الطبري[2]: ﴿وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾ [ق: 40] يقول: سبح بحمد ربك أدبار السجود من صلاتك.

واختلف أهل التأويل في معنى التسبيح الذي أمر الله نبيه أن يسبحه أدبار السجود، فقال بعضهم: عُنِي به الصلاة، قالوا: وهما الركعتان اللتان يصليان بعد صلاة المغرب.

وقال آخرون: عنى بقوله ﴿وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾: التسبيح في أدبار الصلوات المكتوبات، دون الصلاة بعدها.

وقال آخرون: هي النوافل في أدبار المكتوبات. ذكر من قال ذلك في قوله: ﴿وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾: النوافل.

وأولى الأقوال في ذلك بالصحة، قول من قال: هما الركعتان بعد المغرب، لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك، ولولا ما ذكرت من إجماعها عليه، لرأيت أن القول في ذلك ما قاله ابن زيد، لأن الله جلّ ثناؤه لم يخصص بذلك صلاة دون صلاة، بل عمّ أدبار الصلوات كلها، فقال: وأدبار السجود، ولم تقم بأنه معنيّ به: دبر صلاة دون صلاة، حجة يجب التسليم لها من خبر ولا عقل.

---

(1) الكشاف. (2) جامع البيان.

● **قال تعالى**: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ﴾ [المدَّثِّر: 33].

قال القرطبي[1]: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ﴾ أي وَلَّى، وكذلك «دَبَر». وقال بعض أهل اللغة: دَبَر الليل: إذا مضى، وأدبر: أخذ في الإدبار.

قال الماوردي[2]: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ﴾ فيه وجهان: أحدهما: إذ ولّى.

الثاني: إذ أقبل عند إدبار النهار.

واختلف في أدبر ودبر على قولين: - أحدهما: أنهما لغتان ومعناهما واحد.
- الثاني: أن معناهما مختلفان، وفيه وجهان:

أحدهما: أنه دبر إذا خلفته خلفك، وأدبر إذا ولى أمامك.

الثاني: أنه دبر إذا جاء بعد غيره وعلى دبر، وأدبر إذا ولى مدبراً.

● **قال تعالى**: ﴿ثُمَّ أَدۡبَرَ وَٱسۡتَكۡبَرَ﴾ [المدَّثِّر: 23].

قال الفخر الرازي[3]: أدبر عن سائر الناس إلى أهله.

قال أبو السعود[4]: ﴿ثُمَّ أَدۡبَرَ﴾ عنِ الحقِّ أوْ عنْ رسولِ الله ﷺ.

قال ابن كثير[5]: أي: صرف عن الحق، ورجع القهقرى مستكبراً عن الانقياد للقرآن.

● **قال تعالى**: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْۚ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعَام: 45].

قال الفخر الرازي[6]: الدابر: التابع للشيء من خلفه كالولد، للوالد يقال: دبر فلان القوم يدبرهم دبوراً ودبراً إذا كان آخرهم.

---

(1) الجامع لأحكام القرآن.
(2) النكت والعيون.
(3) التفسير الكبير.
(4) إرشاد العقل السليم.
(5) تفسير ابن كثير.
(6) التفسير الكبير.

قال البيضاويّ[1]: أي آخرهم بحيث لم يبق منهم أحد من دبره دبراً ودبوراً إذا تبعه. ﴿وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ على إهلاكهم، فإن هلاك الكفار والعصاة من حيث إنه تخليص لأهل الأرض من شؤم عقائدهم وأعمالهم، نعمة جليلة يحق أن يحمد عليها.

● **قال تعالى:** ﴿وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ﴾ [يُوسُف: 25].

قال الطبري[2]: فقدّته من دبر، يعني: شقته من خلف لا من قدّام، لأن يوسف كان هو الهارب وكانت هي الطالبة.

قال الزمخشري[3]: ﴿وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ﴾ اجتذبته من خلفه فانقدّ، أي انشق حين هرب منها إلى الباب وتبعته تمنعه.

قال البغوي[4]: ﴿وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ﴾ أي: فشقته ﴿مِن دُبُرٍ﴾، أي: من خلف، فلما خرجا لقيا العزيز.

● **قال تعالى:** ﴿تَدْعُواْ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ﴾ [المعارج: 17].

قال الألوسي[5]: ﴿مَنْ أَدْبَرَ﴾ في الدنيا عن الحق.

قال ابن عاشور[6]: أي من أدبر وتولى عن الإيمان بالله. وفيه الطباق لأن الإدبار والتولي يضادَّانِ الدعوة في الجملة؛ إذ الشأن أن المدعو يقبل ولا يدبر.

قال الفخر الرازي[7]: يعني من أدبر عن الطاعة وتولى عن الإيمان.

● **قال تعالى:** ﴿فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا﴾ [النَّازعَات: 5].

قال الطبري[8]: يقول: فالملائكة المدبرة ما أُمِرَت به من أمر الله، وكذلك قال أهل التأويل.

---

(1) أنوار التنزيل.
(2) جامع البيان.
(3) الكشاف.
(4) معالم التنزيل.
(5) روح المعاني.
(6) التحرير والتنوير.
(7) التفسير الكبير.
(8) جامع البيان.

عن قتادة: ﴿فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا﴾ قال: هي الملائكة.

قال الماوردي[1]: ﴿فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا﴾ فيهم قولان: أحدهما: هي الملائكة، قاله الجمهور، فعلى هذا في تدبيرها بالأمر وجهان: أحدهما: تدبير ما أمرت به وأرسلت فيه. الثاني: تدبير ما وكلت فيه من الرياح والأمطار. الثاني: هي الكواكب السبعة، وعلى هذا في تدبيرها للأمر وجهان: الأول: تدبير طلوعها وأفولها. الثاني: تدبير ما قضاه الله فيها من تقلب الأحوال.

قال ابن عطية[2]: (المدبرات)، فلا أحفظ خلافاً أنها الملائكة ومعناه أنها تدبر الأمور التي سخرها الله تعالى وصرفها فيها كالرياح والسحاب وسائر المخلوقات.

(1) النكت والعيون. (2) المحرر الوجيز.

دثـر

(دُثُر - أُثُث - فُرُش - مَتَاع - زَمَلَ)

■ **الدُّثُر:** الأغطية الثقيلة التي تقي النائم من البرد ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ [المدَّثِّر: 1].

■ **الأَثَاثُ:** واحدته أثاثة: حاجات البيت الخشبية الثابتة التي تشير إلى مكانة هذه الأسرة. ﴿هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا﴾ [مريم: 74].

■ **الفَرْشُ:** للجلوس أو النوم المريح من بسط ونحوهما ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ [الواقِعَة: 34].

﴿فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ [الرَّحمٰن: 54].

■ **المَتَاعُ:** ما ينتفع به في البيت من أدوات ضرورية للمأكل والمشرب ونحو ذلك. ﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البَقَرَة: 241].

■ **المُزَمِّلُ:** المتزمّل في ثوبه لا يريد الانطلاق كسلاً ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾ [المُزمّل: 1].

❋ ❋ ❋

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس(1): الدال والثاء والراء أصلٌ واحد منقاسٌ مطّرد. وهو تضاعُفُ شيءٍ وتناضُدُه بعضِه على بعض. فالدَّثْر: المال الكثير. والدِّثار: ما تدثَّر به الإنسانُ، وهو فوق الشِّعار. فأمّا قول القائل: فإنّه أراد الدَّثْر فحرك الثاء، وهو

(1) معجم مقاييس اللغة.

الكثير. ومن الباب تَدَثَّر الفَحْلُ الناقة، إذا تَسَنَّمَها، كأنَّه صار دِثاراً لها. وتدثَّر الرجُلُ فرسَه، إذا وثب عليه فركِبَه. والدَّثُور: الرّجل النَّؤُوم، وسمِّي بذلك لأنَّه يتدثَّر وينام. فأمّا قولهم رسْمٌ داثِرٌ، فهو من هذا، وذلك أنَّه يكون ظاهراً حتى تهبّ عليه الرِّياحُ وتأتِيَه الرَّوامسُ، فتصيرَ له كالدِّثار فتغطِّيه.

قال الجوهري[1]: الدَّثْرُ بالفتح: المال الكثيرُ. يقال: مالٌ دَثْرٌ، ومالان دَثْرٌ، وأَمْوالٌ دَثْرٌ. وعَكَرٌ دَثْرٌ، أي كثيرٌ، وهو من الأوّل إلّا أنَّه جاء بالتحريك. والدِّثار: كلُّ ما كان من الثِياب فوق الشِعار. وقد تَدَثَّرَ، أي تَلَفَّفَ في الدِثار. وتَدثَّرَ الفَحْلُ الناقَة، أي تسنَّمها. وتَدثَّر الرجلُ فرسَه، إذا وثَبَ عليه فركِبه. والدُّثور: الدروس. وقد دَثَرَ الرَسْمَ وتداثر. والدَّثور: الرجل الخامل النَّؤُوم. ودَثَّر الطائرُ تَدْثيراً، أَصْلَحَ عُشَّه.

قال ابن منظور[2]: الدُّثُورُ: الدُّرُوسُ. وقد دَثَرَ الرَّسْمُ وتَداثَرَ ودَثَرَ الشيءُ يَدْثُرُ دُثُوراً وانْدَثَر: قَدُمَ ودَرَسَ؛ وسيفٌ داثِرٌ: بعيد العهد، بالصِّقالِ.

في القرآن الكريم:

- **قال تعالى**: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ [المدَّثّر: 1].

قال الزمخشري[3]: ﴿ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ لابس الدثار، وهو ما فوق الشعار: وهو الثوب الذي يلي الجسد، ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: «**الأنصار شعار والناس دثار**» وقيل: هي أوّل سورة نزلت. وروى جابر بن عبد الله عن رسول الله ﷺ: «**كنت على جبل حراء فنوديت: يا محمد، إنك رسول الله، فنظرت عن يميني ويساري فلم أر شيئاً، فنظرت فوقي فرأيت شيئاً**» وفي رواية عائشة: «**فنظرت فوقي**

(1) الصحاح في اللغة.
(2) اللسان.
(3) الكشاف.

فإذا به قاعد على عرش بين السماء والأرض» - يعني الملك الذي ناداه - **«فرعبت ورجعت إلى خديجة فقلت: دثروني دثروني»**، فنزل جبريل وقال: ﴿يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾.
وعن الزهري: أوّل ما نزل: سورة ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ [العَلق: 1] إلى قوله: ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العَلق: 5] فحزن رسول الله ﷺ وجعل يعلو شواهق الجبال، فأتاه جبريل فقال: إنك نبيّ الله، فرجع إلى خديجة وقال: «**دثروني وصبوا عليّ ماء بارداً**»، فنزل: يا أيها المدثر. وقيل: سمع من قريش ما كرهه فاغتم، فتغطى بثوبه مفكراً كما يفعل المغموم. فأُمِر أن لا يدع إنذارهم وإن أسمعوه وآذوه.

قال الماوردي[1]: ﴿يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ فيه قولان:

أحدهما: يا أيها المدثر بثيابه.

الثاني: بالنبوة وأثقالها.

قال ابن عاشور[2]: نودي النبي ﷺ بوصفه في حالة خاصة تلبس بها حين نزول السورة، وهي أنه لما رأى الملك بين السماء والأرض فرق من رؤيته فرجع إلى خديجة فقال: دثروني دثروني، أو قال: زملوني، أو قال: زملوني فدثروني، على اختلاف الروايات، والجمع بينها ظاهر، فدثرته فنزلت: ﴿يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾.

---

(1) النكت والعيون.
(2) التحرير والتنوير.

دَحَرَ

(دَحَرَ - هَزَمَ - دَخَرَ - قَهَرَ)

شرح المعاني:

الهزم: إذا قامت الحرب الحقيقية وتقابل الجيشان واستطاع أحدهما أن يجعل الآخر يخسر المعركة وهو في مكانه فقد هزمه. الهزم هو تحطيم العدو في مكان المعركة. مثل هزيمة منتخب لكرة القدم تسمى هزيمة لأن الفريقين ما زالوا في الميدان لكنهم منهزمون. أول مراحل منظومة الهزيمة أنْ تخسر المعركة وأنت في ميدانها الجغرافي ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: 251] هم لا يزالون في المعركة لكنهم خسروا الحرب. ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ [القمر: 45].

الدحر: طرد العدو بعد الهزيمة وانتهى العدو ﴿قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأعراف: 18] الدحر بعد خسران المعركة تدفعه بقوة وعنف، والدحر لا يكون إلا عندما تطارد العدو وقد أخرجته من ميدان المعركة.

الدخر: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: 60] الدخر قد يكون بإذلال أو بغير إذلال. إذا أذللت العدو وأنت تطارده يسمى دخراً.

القهر: إذا هزمت العدو ودحرته ودخرته استوليت على إرادته استيلاء كاملاً،

وهو ما نسميه اليوم بالاستعمار، يسمى ذلك قهراً ولا تزيد أن تكون عبداً من عبيده يأمرك فتطيع ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: 18] ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ [الضحى: 9] ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ﴾ [الأعراف: 127].

❊ ❊ ❊

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الدال والحاء والراء أصلٌ واحد، وهو الطَّرد والإبعاد. قال الله تعالى: ﴿ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الأعراف: 18].

قال الجوهري[2]: الدُّحورُ: الطَّرْدُ والإبْعاد. وقد دَحَرَهُ. قال الله تعالى: ﴿ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا﴾، أي: مُقصىً.

قال الفيروزآبادي[3]: الدَّحْرُ: الطَّرْدُ، والإبعادُ، والدَّفْعُ، كالدُّحورِ، فِعْلُهُنَّ كجَعَلَ، وهو داحِرٌ ودَحُورٌ.

قال الراغب[4]: الدحر: الطرد والإبعاد، يقال: دحره دحوراً، قال تعالى: ﴿ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا﴾، وقال: ﴿فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الإسراء: 39]، وقال: ﴿وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ۝٨ دُحُورًا﴾ [الصافات: 8-9].

---

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) الصحاح في اللغة.
(3) القاموس المحيط.
(4) مفردات الراغب.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الأعراف: 18].

قال الطبري[1]: ﴿مَذْءُومًا مَّدْحُورًا﴾ يقول: معيباً.

وأما المدحور: فهو المُقْصَى.

يعني: اخرج منها لعيناً منفيًّا.

قال البغوي[2]: أي: معيباً، والذيم والذَّأْم أشد العيب، والمدحور: المبعد المطرود، مذؤوماً مدحوراً، أي: لعيناً شقياً.

قال الماوردي[3]: المدحور فيه قولان:

أحدهما: المدفوع. الثاني: المطرود.

● **قال تعالى**: ﴿فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الإسراء: 39].

قال أبو السعود[4]: ﴿مَّدْحُورًا﴾ مبعَداً من رحمة الله تعالى.

قال القرطبي[5]: والمدحور: المُهان المبعد المُقْصَى. ويقال في الدعاء: اللهم ادْحر عنا الشيطان؛ أي: أبعده.

قال الشعراوي[6]: ﴿مَّدْحُورًا﴾: أي: مطرود مُبْعَداً من رحمة الله، وهذا الجزاء في الآخرة.

أما الذي لا يؤمن بها، فلا بُدَّ لكي نستطيع العيش معه في الدنيا، أن يُذيقه الله بعض العذاب، ويُعجِّله له في الدنيا قبل عذاب الآخرة، كما قال تعالى: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: 123-124] أي: في الدنيا.

---

(1) جامع البيان.
(2) معالم التنزيل.
(3) النكت والعيون.
(4) إرشاد العقل السليم.
(5) الجامع لأحكام القرآن.
(6) تفسير الشعراوي.

دَحَضَ

(دَحَضَ - كَذَبَ - فري - فند)

■ **الدَّحْضُ:** إبطال حجة الخصم الداحضة، أي الباطلة ﴿حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [الشّورى: 16].

■ **الكَذِبُ:** قول ليس صادقاً ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ [الزُّمَر: 60].

■ **الفِرْيُ:** الكذب المتقن ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: 24].

■ **الفَنَدُ:** غرابة القول بحيث لا يصدق ﴿إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ۖ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ﴾ [يوسف: 94].

❋ ❋ ❋

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الدال والحاء والضاد أصلٌ يدلُّ على زوالٍ وزَلَق. يقال: دَحَضَتْ رجلُه: زَلِقَتْ. ومنه دحَضَت الشّمس: زالت. ودَحَضَتْ حُجّةُ فلانٍ، إذا لم تَثْبُت. قال الله جلّ ثناؤه: ﴿حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [الشّورى: 16].

قال الجوهري[2]: مكانٌ دَحْضٌ ودَحَضٌ أيضاً بالتحريك، أي: زَلَقٌ.

(1) معجم مقاييس اللغة.

(2) الصحاح في اللغة.

ودَحَضَتْ رجلُه تَدْحَضُ دَحْضاً: زلِقتْ. ودَحَضَتْ الشمسُ عن كَبِد السماء: زالت. ودَحَضَتْ حُجَّتُه دُحُوضاً: بطلتْ. وأَدْحَضَها الله. والإدحاضُ: الإزلاقُ.

قال ابن منظور(1): الدَّحْضُ: الزَّلَقُ، والإِدْحاضُ: الإِزْلاقُ، دَحَضَتْ رِجْل البعير، وفي المحكم: دَحَضَتْ رِجله، فلم يُخَصِّص، تَدْحَضُ دَحْضاً ودُحُوضاً زَلِقَتْ، ودَحَضَها وأَدْحَضَها أَزْلَقَها. وفي حديث وَفْد مَذْحِجٍ: نُجَباء غيرُ دُحَّضِ الأَقْدامِ؛ الدُّحَّضُ: جمع داحِضٍ وهم الذين لا ثبات لهم ولا عزيمة في الأُمور.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [الشّورى: 16].

قال الفخر الرازي(2): ﴿حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ﴾ أي باطلة. وتلك المخاصمة هي أن اليهود قالوا: ألستم تقولون إن الأخذ بالمتفق أولى من الأخذ بالمختلف؟ فنبوّة موسى وحقية التوراة معلومة بالاتفاق، ونبوة محمد ليست متفقاً عليها، فإذا بنيتم كلامكم في هذه الآية على أن الأخذ بالمتفق أولى، وجب أن يكون الأخذ باليهودية أولى، فبيّن تعالى أن هذه الحجة داحضة، أي باطلة فاسدة، وذلك لأن اليهود أطبقوا على أنه إنما وجب الإيمان بموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لأجل ظهور المعجزات على وفق قوله، وهٰهنا ظهرت المعجزات على وفق قول محمد ﷺ، واليهود شاهدوا تلك المعجزات، فإن كان ظهور المعجزة يدل على الصدق، فهٰهنا يجب الاعتراف بنبوة محمد ﷺ، وإن كان لا يدل على الصدق وجب في حق موسى أن لا يقروا بنبوته.

(1) اللسان.

(2) التفسير الكبير.

قال الطبري[1]: ﴿حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ﴾ يقول: خصومتهم التي يخاصمون فيها باطلة ذاهبة عند ربهم ﴿وَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٌ﴾ يقول: وعليهم من الله غضب، ولهم في الآخرة عذاب شديد، وهو عذاب النار.

وذُكر أن هذه الآية نزلت في قوم من اليهود خاصموا أصحاب رسول الله ﷺ في دينهم، وطمعوا أن يصدّوهم عنه، ويردّوهم عن الإسلام إلى الكفر. ذكر الرواية عمن ذكر ذلك عنه:

عن ابن عباس، قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٌ وَلَهُمۡ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ [الشورى: 16] قال: هم أهل الكتاب كانوا يجادلون المسلمين، ويصدّونهم عن الهدى من بعد ما استجابوا لله. وقال: هم أهل الضلالة كان استجيب لهم على ضلالتهم، وهم يتربصون بأن تأتيهم الجاهلية.

قال الماوردي[2]: ﴿حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ﴾ فيه وجهان: أحدهما: باطلة.

الثاني: خاسرة.

قال أبو السعود[3]: ﴿حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾ زالَّةٌ زائلةٌ باطلةٌ بلْ لا حجةَ لهم أصلاً وإنما عبَّر عن أباطيلهم بالحجة مجاراةً معهم على زعمهم الباطلِ.

(1) جامع البيان.
(2) النكت والعيون.
(3) إرشاد العقل السليم.

دحو

(دحو - طحا)

■ **الدَّحْو:** حشو الشيء الأجوف بقوة ﴿وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾ [النَّازعَات: 30]. فقد دحا الأرض بكل الكنوز والمعادن.

■ **الطَّحْو:** بسط الشيء والذهاب به ﴿وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا﴾ [الشّمس: 6].

❊ ❊ ❊

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس(1): الدال والحاء والواو أصلٌ واحد يدلُّ على بَسْطٍ وتمهيد. يقال: دحا الله الأرضَ يدحُوها دَحْواً: إذا بَسَطها. ويقال: دحا المطرُ الحَصَى عن وجْه الأرض، وهذا لأنّه إذا كان كذا فقد مهّد الأرض. ويقال للفرَس إذا رمَى بيديه رمْياً، لا يرفع سُنْبُكَه عن الأرض كثيراً: مرّ يدحُو دَحْواً. ومن الباب أُدْحِيُّ النَّعام: الموضع الذي يُفَرِّخ فيه، أُفْعولٌ مِن دحوت؛ لأنّه يَدْحُوه برِجْله ثم يبيض فيه. وليس للنّعامة عُشٌّ.

قال الجوهري(2): دَحَوْتُ الشيء دَحْواً: بسطته. ودَحا المطرُ الحصى عن وجه الأرض. ويقال للاّعب بالجوز: أَبْعِدِ المَدى وادْحُهُ، أي: ارْمِهِ. ويقال للفرس: مَرَّ يَدْحو دَحْواً، وذلك إذا رمى بيديه رمياً لا يرفع سُنبُكَه عن الأرض كثيراً. ومَدْحى النعامةِ: موضع بيضها. وأُدْحِيُّها موضعها الذي تفرّخ فيه؛ وهو أُفْعولٌ من دَحَوْتُ، لأنها تَدْحوهُ برجلها ثم تبيضُ فيه. وليس للنعام عُشٌّ.

---

(1) معجم مقاييس اللغة.

(2) الصحاح في اللغة.

قال الراغب[1]: قال تعالى: ﴿وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾ [النَّازعَات: 30]، أي: أزالها عن مقرها، كقوله: ﴿يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ﴾ [المُزمّل: 14]، وهو من قولهم: دحا المطر الحصى عن وجه الأرض، أي: جرفها. وَمَرّ الفرس يدحو دحواً إذا جر يده على وجه الأرض، فيدحو ترابها، ومنه: أدحي النعام، وهو أفعول من دحوت.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾ [النَّازعَات: 30].

قال الطبري[2]: اختلف أهل التأويل في معنى قوله: ﴿بَعۡدَ ذَٰلِكَ﴾ فقال بعضهم: دُحِيت الأرض من بعد خَلق السماء.

وعن عليّ كرم الله وجهه، عن ابن عباس، قوله حيث ذكر خلق الأرض قبل السماء، ثم ذكر السماء قبل الأرض، وذلك أن الله خَلق الأرض بأقواتها من غير أن يدحوها قبل السماء، ثم استوى إلى السماء فسوّاهنّ سبع سموات، ثم دحا الأرض بعد ذلك، فذلك قوله: ﴿وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: والأرض مع ذلك دحاها، وقالوا والأرض خُلِقت ودحيت قبل السماء.

والقول الذي ذكرناه عن ابن عباس من أن الله تعالى خلق الأرض، وقدّر فيها أقواتها، ولم يَدْحُها، ثم استوى إلى السماء فسوّاهنّ سبع سمٰوات، ثم دحا الأرض بعد ذلك، فأخرج منها ماءها ومرعاها، وأرسى جبالها، أشبه بما دلّ عليه ظاهر التنزيل، لأنه جلّ ثناؤه قال: ﴿وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾، والمعروف من معنى

(1) مفردات الراغب.
(2) جامع البيان.

«بَعْد» أنه خلاف معنى «قَبْل»، وليس في دحو الله الأرض بعد تسويته السموات السبع، وإغطاشه ليلها، وإخراجه ضحاها، ما يوجب أن تكون الأرض خُلقت بعد خلق السموات؛ لأن الدحو إنما هو البسط في كلام العرب، والمدّ يقال منه: دحا يدحو دَحْواً.

قال ابن عطية(1): ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾ متوجه على أن الله تعالى خلق الأرض ولم يدحها، ثم استوى إلى السماء وهي دخان فخلقها وبناها، ثم دحا الأرض بعد ذلك. وقرأ مجاهد: و«الأرض مع ذلك». وقال قوم: إن ﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ معناه مع ذلك. والذي قلناه تترتب عليه آيات القرآن كلها، ونسب الماء والمرعى إلى الأرض حيث هما يظهران فيها، ودحو الأرض بسطها.

قال العزّ بن عبد السلام(2): ﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ مع ذلك، أو خلق الأرض قبل السماء ثم دحاها بعد السماء ﴿دَحَىٰهَآ﴾ بَسَطَها، ودحيت من موضع الكعبة أو من مكة أو حرثها وشقها أو سواها.

(1) المحرر الوجيز.
(2) التفسير العظيم.

دَخَرَ

(دَخَرَ - دَحَرَ - هَزَمَ - قَهَرَ - طَرَدَ)

- **الدَّخْرُ:** إذلال العدو عن دحره ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: 60].
- **الدَّحْرُ:** طرد العدو بعد هزيمته من المعركة ﴿قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الأعراف: 18].
- **الهزم:** تحطيم العدو في أرض المعركة ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البَقَرَة: 251].
- **القَهْرُ:** الاستيلاء على إرادة العدو بعد هزيمته ودحره ودخره.
- **الطَّرْدُ:** الإبعاد على سبيل الاستخفاف ﴿وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [هُود: 30].

* * *

شرح المعاني:

الهزم: إذا قامت الحرب الحقيقية وتقابل الجيشان واستطاع أحدهما أن يجعل الآخر يخسر المعركة وهو في مكانه فقد هزمه. الهزم هو تحطيم العدو في مكان المعركة. مثل هزيمة منتخب لكرة القدم تسمى هزيمة لأن الفريقين ما زالوا في الميدان لكنهم منهزمون. أول مراحل الهزيمة هي أنْ تخسر المعركة وأنت في ميدانها الجغرافي ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ

﴿ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: 251] هم لا يزالون في المعركة لكنهم خسروا الحرب. ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ [القمر: 45].

الدَّحْر: طرد العدو بعد الهزيمة ﴿قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأعراف: 18] الدحر بعد خسران المعركة هو أن تدفع العدو بقوة وعنف، والدحر لا يكون إلا عندما تطارد العدو وقد أخرجته من ميدان المعركة.

الدَّخْرُ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: 60] الدخر قد يكون بإذلال أو بغير إذلال. إذا أذللت العدو وأنت تطارده يسمى دخراً.

الْقَهْرُ: بعد هزم العدو ودحرته ودخرته استوليت على إرادته استيلاء كاملاً وهو ما نسميه اليوم بالاستعمار يسمى قهراً لا تزيد أن تكون عبداً من عبيده يأمرك فتطيع ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: 18] ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ [الضحى: 9]﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ﴾ [الأعراف: 127].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الدال والخاء والراء أصلٌ يدلُّ على الذُّل. يقال: دَخَرَ الرّجُلُ، وهو داخِر: إذا ذَلَّ. وأَدْخَرَه غيرُه: أَذَلَّه. فأما الدَّخْدَار فالثَّوب الكريمُ يُصانُ. قال: وليس هذا من الكلمة الأولى في شيءٍ؛ لأنَّ هذه مُعرّبة، قالوا: أصلها تَخْت دار، أي مَصُونٌ في تَخْت.

---

(1) معجم مقاييس اللغة.

قال الجوهري[1]: الدُّخور: الصَّغارُ والذُّلُّ. يقال: دَخَرَ الرجلُ - بالفتح - فهو داخِرٌ. وأَدْخَرَهُ غيرُه.

قال ابن منظور[2]: دَخَرَ الرجلُ، بالفتح، يَدْخَرُ دُخُوراً، فهو دَاخِرٌ، ودَخِرَ دَخَراً: ذَلَّ وصَغُرَ يَصْغُرُ صَغَاراً، وهو الذي يفعل ما يؤمر به، شاء أَو أَبى صاغِراً قَمِيئاً. والدَّخَرُ التحير. والدُّخُورُ: الصَّغَارُ والذل، وأَدْخَرَهُ غيره.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾ [النّحل: 48].

قال الطبري[3]: ﴿وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾ يعني: وهم صاغرون، يقال منه: دخر فلان لله يدخر دخراً ودخوراً: إذا ذلّ له وخضع.

قال أبو السعود[4]: ﴿وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾ أي صاغرون منقادون، حال من الضمير في ظلاله والجمعُ باعتبار المعنى وإيرادُ الصيغةِ الخاصة بالعقلاء أن الدخورَ من خصائصهم، والمعنى ترجِع الظلالُ من جانب إلى جانب بارتفاع الشمس وانحدارِها أو باختلاف مشارِقِها ومغاربها، فإنها كلَّ يوم من أيام السنة تتحرك على مدار معينٍ من المدارات اليومية بتقدير العزيزِ العليم، منقادةٌ لما قُدّر لها من التفيّؤ أو واقعةٌ على الأرض ملتصقةٌ بها على هيئة الساجد، والحالُ أن أصحابها من الأجرام داخرةٌ منقادةٌ لحكمه تعالى، ووصفُها بالدخور مغنٍ عن وصف ظلالِها به، وكلاهما حالٌ من الضمير المشار إليه، والمعنى ترجع ظلالُ تلك الأجرامِ حالَ كونها منقادةً لله تعالى داخرةً، فوصفُها بهما مغنٍ عن وصف ظلالِها بهما،

(1) الصحاح في اللغة.
(2) اللسان.
(3) جامع البيان.
(4) إرشاد العقل السليم.

ولعل المرادَ بالموصول الجماداتُ من الجبال والأشجارِ والأحجارِ التي لا يظهر لظلالها أثرٌ سوى التفيّؤِ بما ذُكر من ارتفاع الشمسِ وانحدارِها أو اختلافِ مشارقها ومغاربها، وأما الحيوانُ فظلُّه يتحرك بتحركه. وقيل: المرادُ باليمين والشمائل يمينُ الفَلكِ وهو جانبُه الشرقيُّ لأن الكواكبَ منه تظهر آخذةً في الارتفاع والسطوعِ، وشمالُه وهو جانبُه الغربيُّ المقابل له، فإن الظلال في أول النهار تبتدئ من الشرق واقعةً على الرُّبع الغربي من الأرض، وعند الزوالِ تبتدئ من الغرب واقعةً على الربع الشرقي منها، وبعد ما بُيّن سجودُ الظلالِ وأصحابِها من الأجرام السفلية الثابتة في أخبارها ودخورُها له سبحانه وتعالى شُرع في بيان سجودِ المخلوقات المتحركة بالإرادة سواء كانت لها ظلال أو لا.

● **قال تعالى:** ﴿سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: 60].

قال ابن عطية(1): والداخر: هو الصاغر الذليل.

قال الشعراوي(2): أي: منكسرين صاغرين أذلاء، قالوا: لأنك لا تدعو واحداً إلا إذا كنتَ مطيعاً له، لأن الدعاء والعبادة متساويان، لذلك قال ﷺ: «**كل أمر لا يُبدأ باسم الله فهو أبتر**» يعني: لا بركة فيه.

قال الفخر الرازي(3): أي صاغرين وهذا إحسان عظيم من الله تعالى حيث ذكر الوعيد الشديد على ترك الدعاء، فإن قيل روي عن رسول الله ﷺ أنه قال حكاية عن رب العزة أنه قال: «من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين» فهذا الخبر يقتضي أن ترك الدعاء أفضل، فكيف الجمع بينهما؟ قلنا لا شك أن العقل إذا كان مستغرقاً في الثناء كان ذلك أفضل من الدعاء، لأن الدعاء طلب للحظ والاستغراق في معرفة جلال الله أفضل من طلب الحظ، أما إذا لم يحصل ذلك الاستغراق كان الاشتغال بالدعاء أولى.

---

(1) المحرر الوجيز.
(2) تفسير الشعراوي.
(3) التفسير الكبير.

دَخَلَ

(دَخَلَ - نَفَذَ - وَلَجَ - اقْتَحَمَ - وَقَبَ - دَسَّ)

شرح المعاني:

الدخول: الدخول هو الوصول إلى باطن الشيء على شرط أن يكون المخرج هو نفس المدخل. عندنا دخل يدخل دخولاً، فهو مَدْخَل بالفتح، وعندنا أدخل يُدخل إدخالاً والإدخال يصير مُدخلاً ﴿لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ [الحَجّ: 59]. المَدخَل من دخل والمُدخَل من أدخل. وعندما يصير الدخول صعباً يقال: ادّخل مدّخلاً ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَـٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾ [التّوبَة: 57] أي المكان الذي يصعب الدخول فيه فالهارب أو الخائف أو المنهزم مثلاً يذهب لمكان ضيق يختبئ فيه، ويدخله بصعوبة كدخول المغارات. ادّخل يدّخل ادّخالاً فهو مدّخل إذا كان الدخول صعباً. هذا من باب الدخول إلى الشيء، وفي القرآن مشترك. وكلمة دخل بالإضافة إلى هذه المعاني تأتي بمعنى الباطل، يقال: فلان فيه غش وفيه باطل وفيه دَخَل. ويقال: دخل في الباطل ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَـٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَـٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [النّحل: 92]. إذن الدخول هو الوصول إلى وسط الشيء، فإذا دخلت فهو مَدخل وإذا أُدخِلت فهو مُدخل وإذا كان الدخول بصعوبة فهو مُدّخَل، وكل هذه الكلمات جاءت في كتاب الله تعالى.

النفذ: كل شيء مدخله ومخرجه هو نفسه يسمى دخل مثل بيوتنا جميعاً ندخل ونخرج من نفس المكان، فإذا كان المدخل من مكان والمخرج من مكان مقابل

يقال نفذ ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٍ﴾ [الرَّحمٰن: 33] مدخل السماء غير مخرجها، وأنت في الفضاء الأعلى تدخل من مكان وتخرج من مكان آخر فأنت تنفذ فيها نفوذاً فدخولك على طريقة النفوذ. جميع الأنفاق فيها منفذ، يقال: نفذت من النفق ولا يقال: دخلت النفق، وفي علامات المرور ما يسمى منفذ وليس مدخل وهذه كلمة في غاية الدقة اللغوية.

الولوج: عندما تدخل في مكان ضيق ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ [الأعراف: 40] الجمل قيل أنه حبل السفينة وقيل أنه البعير، وفي الحالتين يكون من الصعب دخولهما في سَمِّ الخياط لضيقه. ﴿يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۚ وَهُوَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [الحديد: 6] ليس هناك حد فاصل بين اشتباك الليل والنهار وإنما الفصل بينهما في غاية الصعوبة. الليل والنهار يتشابكان وليسا على وتيرة واحدة فلا ندركهما ولا تشعر كيف يحدث الليل والنهار، فلو كان لديك طفل وراقبته على مدى عشرين عاماً لا ترفع بصرك عنه فإنك لن تدرك نموّه، وهكذا الليل والنهار يقصران ويطولان ولا ندرك كيف حدث هذا. فكل مدخل ضيق على عقلك أو على بصرك أو على جسمك أو على يدك يسمى وليجة ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تُتۡرَكُواْ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَلَمۡ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَلِيجَةٗۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [التّوبَة: 16] فرق أن يكون لك لي أو يكون لك وليجة فالوليّ مثل: (أب، جد، أعمام، عشيرتك، لهم نفوذ كامل وأصل في حياتك) أمّا الوليجة فهو شخص ليس من عشيرتك لكنه عاش بينكم وانتمى لكم فهذا تصرفه في أضيق حدود وهو ملحق بكم إلحاقاً. هذا «الوليجة» يقدم خدمات ليثبت نفسه. يقول تعالى على المؤمنين في القرآن وهما نوعان: مؤمنون يتخذون الكافرين أولياء ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة:

51] وعندنا مؤمنون يتخذون من عدوهم وليجة يستعينون به في بعض الأمور بشكل خفي وسموه وليجة لأنك تدخل إليه سراً في أضيق مكان.

الاقتحام: الدخول إلى وسط شيء مخيف مهلك بقوة وشدة وعنف يسمى اقتحاماً ﴿هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ﴾ [ص: 59] الاقتحام إلى النار يكون بقوة ولا يكون بسهولة أو سرور وإنما في غاية الرعب والشدة، ومن هذه الآية يُفهم أن الدخول إلى النار ليس على وتيرة واحدة لأن عذاب النار متفاوت، فالمشرك الخالد في النار ناره ليست على وتيرة واحدة فبعضهم عذابه أقل أو أكثر من الآخر ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [السَّجدَة: 21] ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾ [النّحل: 88] فالمشرك النافع لغيره لا يكون عذابه مثل عذاب المشرك الذي يظلم الناس ويبيدهم.

الوقب: الوقب هو الكوة. كل شيء يدخل في شيء يسمى وقباً (خنجر في نصله، سيف في غمده، قفل في بيته، غلق في مغلقه، الليل عندما يدخل في برجه، الشمس عندما تدخل في برجها ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ [الفَلَق: 3] يدخل دخولاً غير كريم لأن الليل عندما يدخل في برجه والليل غدّار لا ندري ماذا فيه ولذلك أمرنا بالاستعاذة عند دخول الليل. كل شيء إذا دخل في غمده تتوقع منه خطراً فهو وقب. وفي الحديث: «**لعن الله من ناول أخاه سيفه غير مغمود**» «**لعن الله من أشار لأخيه بحديدة**» وإفزاع المسلم وإخافته بكلمة أو إشارة من الذنوب العظيمة يوم القيامة.

الدسّ: الدخول إلى أماكن الريبة والتخريب والخيانة وهي جملة (الدسائس) التي تفسد حياة الفرد والجماعية لأن الدسائس جرائم تقوم على الدخول المريب في مفاصل الحياة اليومية للفرد والجماعات فتتكشف عن خراب مخرب أو مؤامرة مدمرة أو فكر هدام ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ۝١٠﴾ [الشمس: 9-10].

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الدال والخاء واللام أصلٌ مطرد منقاس، وهو الوُلوج. يقال: دخل يدخُل دخولاً. والدِّخْلَةُ باطنُ أمرِ الرّجُل. تقول: أنا عالمٌ بدخْلَته. والدَّخَل: العَيب في الحَسب، وكأنَّه قد دخل عليه شيءٌ عابَه. والدَّخَل كالدَّغَل، وهو من الباب؛ لأنَّ الدّغَل هذا قياسُه أيضاً. ويقال إنَّ المدخُول: المهزُول؛ وهو الصَّحيح، لأنّ لحمهُ كأنّه قد دُخِلَ. ودَخِيلُك الذي يُداخِلُك في أُمورك. والدِّخال في الوِرد: أنْ تشربَ الإبل ثم تردَ إلى الحوض ليشرب منها ما عساه لم يكن شَرِبَ. قال الهُذَليّ: ويقال إنّ كلَّ لحمةٍ مجتمعة دُخَّلةٌ، وبذلك سُمِّي هذا الطائر دُخَّلاً. ويقال: دُخِل فلانٌ، وهو مدخولٌ، إذا كان في عقله دَخَلٌ. وبنو فلانٍ في بني فلان دَخِيلٌ، إذا انتسبوا معهم. ونَخْلَة مدخولةٌ: عَفِنة الجوف. والدُّخْلَلُ الذي يُداخِلُك في أمورك. والدُّخَّل من ريش الطائر: ما بين الظُّهْرَانِ والبُطْنان، وهو أجْوَدُ الرِّيش. وداخِلَة الإزار: طَرَفه الذي يلي الجسَد. والدُّخَّل من الكلأ: ما دخَل منه في أُصول الشجر.

قال الجوهري[2]: دَخَلَ دُخولاً: يقال: دَخَلْتُ البيت. والصحيح فيه أن تريد دَخَلْتُ إلى البيت وحذفت حرف الجرّ فانتصب انتصابَ المفعول به. وادَّخَلَ على افتعل، مثل دَخَلَ. وقد جاء في الشِعر انْدَخَلَ، وليس بالفصيح. ويُقال: تَدَخَّلَ الشيءُ، أي دَخَلَ قليلاً قليلاً. وقد تَداخَلَني منه شيءٌ. والدَّخْلُ خلافُ الخَرْجِ. والدَّخْلُ العيبُ والريبةُ. وكذلك الدَّخَلُ بالتحريك. يقال: هذا الأمرُ فيه دَخَلٌ ودَغَلٌ، بمعنىً. وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ﴾ [النّحل: 94] أي مَكراً وخديعةً. وهم دَخَلٌ في بني فلان، إذا انتَسَبوا معهم وليسوا منهم. والمَدْخَلُ بالفتح: الدُّخولُ، وموضعُ الدُّخولِ أيضاً. تقول: دَخَلْتُ مَدْخَلاً حسناً، ودَخَلْتُ

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) الصحاح في اللغة.

مَدْخَلَ صِدْقٍ. والمُدْخَلُ بضم الميم: الإدْخالُ. والمفعول مِنْ أَدْخَلَهُ، تقول: أَدْخَلْتُهُ مُدْخَلَ صدقٍ. وداخِلَةُ الإزارِ: أحد طرفيه الذي يَلي الجسدَ. وداخِلَةُ الرجلِ أيضاً: باطنُ أمره. وكذلك الدُّخْلَةُ بالضم. يقال: هو عالمٌ بدُخْلَتِهِ. ودَخيلُ الرجل ودُخْلُلُهُ: الذي يُداخِلُهُ في أموره ويختصّ به.

ودُخِلَ فلانٌ فهو مَدْخولٌ، أي: في عقله دَخَلٌ. ونَخْلَةٌ مدَخولَةٌ، أي: عَفِنَةُ الجوفِ. والمَدْخولُ: المهزولُ. والدَّوْخَلَةُ: هذا المنسوج من الخُوص يُجْعَلُ فيه الرُّطَبُ، يشدَّد ويخفَّف.

قال الفيروزآبادي[1]: دَخَلَ دُخولاً ومَدْخَلاً، وتَدَخَّلَ وانْدَخَلَ وادَّخَلَ، كافْتَعَلَ: نَقيضُ خَرَجَ، ودَخَلْتُ به، وأدْخَلْتُهُ إدْخالاً ومُدْخَلاً. وداخِلَةُ الإزَارِ: طَرَفُهُ الذي يَلي الجَسَدَ ويَلي الجانِبَ الأَيْمَنَ. وداخِلَةُ الأرضِ: خَمَرُها وغامِضُها، ج: دَواخِلُ. ودَخْلَةُ الرجُلِ، مُثَلَّثَةً، ودَخيلَتُه ودَخيلهُ ودُخْلُلُهُ، بضم اللامِ وفَتْحِها، ودُخَيْلاؤُهُ وداخِلَتُه ودُخَّلُهُ، كسُكَّرٍ، ودِخالُهُ، ككِتابٍ، ودُخَّيْلاهُ، كسُمَّيْهَى، ودِخْلُهُ، بالكسر والفتحِ: نِيَّتُه ومَذْهَبُه، وجَميعُ أمرِه، وخَلَدُهُ، وبِطانَتُه. (والدَّخيلُ) والدُّخْلُلُ، كقُنْفُذٍ ودِرْهَمٍ: المُداخِلُ والمُباطِنُ.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [البَقَرَة: 58].

قال الماوردي[2]: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ﴾: اختلفوا فيها على ثلاثةِ أقاويلَ:

الأول: أنها بيت المقدس.

---

(1) القاموس المحيط. (2) النكت والعيون.

والثاني: أنها قريةٌ ببيت المقدس.

والثالث: أنها «أريحا» قرب بيت المقدس.

قال الفخر الرازي[1]: واعلم أن الكلام في هذه الآية على نوعين: النوع الأول: ما يتعلق بالتفسير فنقول: أما قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ فاعلم أنه أمر تكليف، ويدل عليه وجهان: الأول: أنه تعالى أمر بدخول الباب سُجَدًّاً، وذلك فعل شاق فكان الأمر به تكليفاً ودخول الباب سجداً مشروط بدخول القرية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، فثبت أن الأمر بدخول القرية أمر تكليف لا أمر إباحة. الثاني: أن قوله: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ﴾ [المائدة: 21] دليل على ما ذكرناه. أما القرية فظاهر القرآن لا يدل على عينها، وإنما يرجع في ذلك إلى الأخبار، وفيه أقوال: أحدها: وهو اختيار قتادة والربيع وأبي مسلم الأصفهاني أنها بيت المقدس، واستدلوا عليه بقوله تعالى في سورة المائدة: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾، ولا شك أن المراد بالقرية في الآيتين واحد، وثانيها: أنها نفس مصر، وثالثها: وهو قول ابن عباس وأبي زيد أنها أريحاء وهي قريبة من بيت المقدس.

● **قال تعالى**: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾ [الإسراء: 80].

قال الزمخشري[2]: قرئ «مدخل ومخرج» بالضم والفتح: بمعنى المصدر. ومعنى الفتح: أدخلني فأدخل مدخل صدق، أي: أدخلني القبر مدخل صدق إدخالاً مرضياً على طهارة وطيب من السيئات، وأخرجني منه عند البعث إخراجاً مرضياً، ملقى بالكرامة، آمناً من السخط، يدل عليه ذكره على أثر ذكر البعث. وقيل: نزلت حين أمر بالهجرة، يريد إدخال المدينة والإخراج من مكة. وقيل: إدخاله مكة ظاهراً عليها بالفتح، وإخراجه منها آمناً من المشركين. وقيل: إدخاله الغار وإخراجه منه سالماً. وقيل إدخاله فيما حمله من عظيم الأمر - وهو النبوّة -

---

(1) التفسير الكبير. (2) الكشاف.

وإخراجه منه مؤدياً لما كلفه من غير تفريط. وقيل: الطاعة. وقيل: هو عَامٌّ في كل ما يدخل فيه ويلابسه من أمر ومكان:

قال البغوي[1]: قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ [الإسراء: 80]، والمراد من المدخل والمخرج: الإدخال والإخراج، واختلف أهل التفسير فيه.

فقال ابن عباس والحسن وقتادة: «أدخلني مدخل صدق»: المدينة. «وأخرجني مخرج صدق»: مكة، نزلت حين أمر النبي ﷺ بالهجرة. وقال الضحاك: «وأخرجني مخرج صدق»: من مكة آمناً من المشركين، «وأدخلني مدخل صدق»: مكة ظاهراً عليها بالفتح.

وقال مجاهد: أدخلني في أمرك الذي أرسلتني به من النبوة مدخل صدق الجنة، وأخرجني من الدنيا، وقد قمت بما وجب عليّ من حقها، مخرج صدق. وعن الحسن أنه قال: «أدخلني مدخل صدق»: الجنة، «وأخرجني مخرج صدق»: من مكة.

وقيل أدخلني في طاعتك، وأخرجني من المناهي. وقيل: معناه أدخلني حيث ما أدخلتني بالصدق، وأخرجني بالصدق، أي: لا تجعلني ممن يدخل بوجه ويخرج بوجه؛ فإنّ ذا الوجهين لا يكون آمناً ووجيهاً عند الله. ووصف الإدخال والإخراج بالصدق لما يؤُول إليه الخروج والدخول من النصر والعزِّ ودولة الدين، كما وصف القدم بالصدق فقال: ﴿أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [يُونس: 2].

● **قال تعالى: ﴿لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾** [الحَجّ: 59].

قال الفخر الرازي[2]: وفيه مسائل: المسألة الأولى: قرئ مدخلاً بضم الميم وهو من الإدخال، ومن قرأ بالفتح فالمراد الموضع.

(1) معالم التنزيل. (2) التفسير الكبير.

المسألة الثانية: قيل في المدخل الذي يرضونه أنه خيمة من درة بيضاء لا فصم فيها ولا وصم لها سبعون ألف مصراع. وقال أبو القاسم القشيري هو أن يدخلهم الجنة من غير مكروه تقدم. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: إنما قال يرضونه، لأنهم يرون في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر فيرضونه ولا يبغون عنها حولاً، ونظيره قوله تعالى: ﴿وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ﴾ [التوبة: 24] وقوله: ﴿فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ﴾ [الحاقة: 21] وقوله: ﴿ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ﴾ [الفجر: 28] وقوله: ﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ﴾ [التوبة: 72].

قال الشوكاني[1]: قرأ أهل المدينة: «مدخلاً» بفتح الميم، وقرأ الباقون بضمها، وهو اسم مكان أريد به الجنة، وانتصابه على أنه مفعول ثانٍ أو مصدر ميمي مؤكد للفعل المذكور، وقد مضى الكلام على مثل هذا في سورة سبحان. وفي هذا من الامتنان عليهم والتبشير لهم ما لا يقادر قدره، فإن المدخل الذي يرضونه هو الأوفق لنفوسهم والأقرب إلى مطلبهم، على أنهم يرون في الجنة ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وذلك هو الذي يرضونه وفوق الرضا.

● **قال تعالى**: ﴿وَنُدۡخِلۡكُم مُّدۡخَلٗا كَرِيمٗا﴾ [النِّساء: 31].

قال الطبري[2]: ﴿وَنُدۡخِلۡكُم مُّدۡخَلٗا كَرِيمٗا﴾ فإن القراء اختلفت في قراءته، فقرأه عامة قراء أهل المدينة وبعض الكوفيين ﴿وَنُدۡخِلۡكُم مَّدۡخَلٗا كَرِيمٗا﴾ بفتح الميم، وكذلك الذي في الحجّ ﴿وَنُدۡخِلۡكُم مَّدۡخَلٗا كَرِيمٗا﴾ فمعنى ﴿وَنُدۡخِلۡكُم مَّدۡخَلٗا﴾ فيدخلون دخولاً كَريماً، وقد يحتمل على مذهب من قرأ هذه القراءة أن يكون المعنى في المدخل: المكان والموضع، لأن العرب ربما فتحت الميم من ذلك بهذا المعنى.

---

(1) فتح القدير.

(2) جامع البيان.

المُدْخل الكريم: هو الطيب الحسن، المكرّم بنفي الآفات والعاهات عنه، وبارتفاع الهموم والأحزان ودخول الكدر في عيش من دخله؛ فلذلك سماه الله كريماً.

وفي الحديث: عن السديّ ﴿وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النِّساء: 31] قال الكريم: هو الحسن في الجنة.

قال القرطبي(1): ﴿وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النِّساء: 31].

قال أبو سعيد بن الأعرابي: سمعت أبا داود السّجستاني يقول: سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل يقول: المسلمون كلهم في الجنة؛ فقلت له: كيف؟ قال: يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: 31] يعني الجنة. وقال النبي ﷺ: «ادّخرت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي»؛ فإذا كان الله عَزَّوَجَلَّ يغفر ما دون الكبائر والنبي ﷺ يشفع في الكبائر فأي ذنب يبقى على المسلمين؟

● **قال تعالى**: ﴿تَتَّخِذُونَ أَيْمَـٰنَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ﴾ [النّحل: 92].

قال الفخر الرازي(2): قال الواحدي: الدخل والدغل الغش والخيانة. قال الزجاج: كل ما دخله عيب قيل هو مدخول وفيه دخل. وقال غيره: الدخل ما أدخل في الشيء على فساد.

قال الشعراوي(3): الدَّخَل: أنْ تدخل في الشيء شيئاً أدنى منه من جنسه على سبيل الغِشِّ والخداع، كأن تدخل في الذهب عيار 24 قيراطاً مثلاً ذهباً من عيار 18 قيراطاً، أو كأن تُدخِلَ في اللوز مثلاً نَوى المشمش على أنه منه. فكأن الأَيْمان القائمة على الصدق والوفاء يعطيها صاحبها وهو ينوي بها الخداع والغش، فيحلف لصاحبه وهو يقصد تنويمه والتغرير به.

---

(1) الجامع لأحكام القرآن.
(2) التفسير الكبير.
(3) تفسير الشعراوي.

● **قال تعالى:** ﴿مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِي دَخَلۡتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمۡ تَكُونُواْ دَخَلۡتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ﴾ [النساء: 23].

قال الطبري(1): واختلف أهل التأويل في معنى قوله: ﴿مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِي دَخَلۡتُم بِهِنَّ﴾ فقال بعضهم معنى الدخول في هذا الموضع: الجماع.

عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله: ﴿مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِي دَخَلۡتُم بِهِنَّ﴾ والدخول: النكاح. وقال آخرون: الدخول في هذا الموضع: هو التجريد.

وأولى القولين عندي بالصواب في تأويل ذلك، ما قاله ابن عباس، من أن معنى الدخول: الجماع والنكاح، لأن ذلك لا يخلو معناه من أحد أمرين: إما أن يكون على الظاهر المتعارف من معاني الدخول في الناس، وهو الوصول إليها بالخلوة بها، أو يكون بمعنى الجماع، وفي إجماع الجميع على أن خلوة الرجل بامرأته لا يحرّم عليه ابنتها إذا طلقها قبل مسيسها ومباشرتها، أو قبل النظر إلى فرجها بالشهوة؛ ما يدلّ على أن معنى الدخول: هو الوصول إليها بالجماع.

قال البغوي(2): يعني: في نكاح بناتهن إذا فارقتُمُوهنّ أو مِتْنَ. وقال علي رضي الله عنه: أم المرأة لا تحرم إلا بالدخول بالبنت كالربيبة.

---

(1) جامع البيان. (2) معالم التنزيل.

دخن

(دَخن - غَبَر - قَتَر - سَمُوْمٌ)

- **الدُّخانُ:** مخفف ما يرشح عن اللهب من غبار أسود ساخن ﴿فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ﴾ [الدّخان: 10] و(الدخن) الكُدرةُ في السواد.
- **الغُبَارُ:** ما يرشح من التراب عند هبوب الريح من دخان بارد يؤذي العين والأنف ﴿وَوُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ عَلَيۡهَا غَبَرَةٞ﴾ [عَبَسَ: 40].
- **القَتَرُ:** ما يرشح من الشواء من دخان ساطع أبيض يحمل رائحة الشواء ﴿تَرۡهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾ [عَبَسَ: 41].
- **السَّمُومُ:** ما يرشح في الصحراء من ريح حارة يؤثر تأثير السمّ ﴿وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾ [الطُّور: 27].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الدال والخاء والنون أصلٌ واحد، وهو الذي يكون عن الوَقُود، ثمَّ يشبَّه به كلُّ شيء يُشْبِهُهُ مِن عداوةٍ ونظيرها. فالدُّخَانُ معروفٌ، وجمعه دوَاخن على غير قياس. ويقال: دَخَنَتِ النّار تدخُن: إذا ارتفع دُخانها، ودخِنَتْ تَدْخَنُ، إذا ألقيْتَ عليها حطباً فأفسَدْتَها حتى يهيجَ لذلك دُخانٌ وكذلك دَخِن الطَّعامُ يَدْخَن. ويقال: دَخَن الغُبار: ارتفَعَ. فأمّا الحديث: «هُدْنَةٌ على دَخَنٍ»،

---

(1) معجم مقاييس اللغة.

فهو استقرارٌ على أمورٍ مكروهة. والدُّخْنَةُ من الألوان: كُدرةٌ في سوادٍ. شاةٌ دَخْناءُ، وكبشٌ أدْخَنُ، وليلةٌ دَخْنانةٌ. ورجلٌ دَخِنُ الخُلُق. وأبناء دُخانٍ: غنيٌّ وباهلة. والدُّخْنَة بَخُورٌ يدخَّن به البيت.

قال الجوهري(1): دُخان النار معروف، والجمع دَواخِنٌ. والدَّخَنُ أيضاً: الدُّخانُ. ومنه: هُدنةٌ على دَخَنٍ أي سكونٌ لعلّةٍ لا لصلحٍ. والدَّخَنُ أيضاً: الكُدورَةُ إلى السواد.

ودَخَنَتِ النار تَدْخُنُ وتَدْخِنُ: ارتفع دُخانها. وادَّخَنَتْ مثله على افتعَلَتْ. ودَخِنَت النارُ بالكسر، إذا ألقيت عليها حطباً وأفسدتَها حتَّى يهيج لذلك دُخانٌ. ودَخِنَ الطبيخ أيضاً، إذا تَدَخَنتِ القِدر. ورجلٌ دَخِنُ الخُلُقِ. والدُّخْنَةُ كالذَريرة تُدَخّنُ بها البيوت. والدُّخْنَةُ من الألوان كالكُدرة في سوادٍ. وكبشٌ أَدْخَنُ، وشاةٌ دَخْناءُ بيِّنة الدَّخَنِ. وليلةٌ دَخْنانَةٌ.

قال الفيروزآبادي(2): الدُّخْنُ، بالضم: حَبُّ الجاوَرْس، أو حَبٌّ أصْغَرُ منه، أمْلَسُ جِدّاً، بارِدٌ يابِسٌ، حابِسٌ للطَّبْعِ. والدُّخانُ، كغُرابٍ وجَبَلٍ ورُمَّانٍ: العُثانُ أدْخِنَةٌ ودَواخِنُ ودَواخينُ.

وابْنا دُخانٍ: غَنِيٌّ وباهِلَةُ. وهُدْنَةٌ على دَخَنٍ، محرَّكةً، أي: سكونٌ لِعِلَّةٍ، لا لِصُلْحٍ. ودَخِنَ الطعامُ، كفرحَ: أصابَهُ دُخانٌ فأخَذَ ريحَهُ، ودخن خُلُقُه: ساء، وخَبُثَ. والدَّواخِنُ: كُوًى تُتَّخَذُ على المَقالِي والأَتُّوناتِ. والدُّخْنَةُ: كُدْرَةٌ في سَوادٍ. دَخِنَ، كفَرِحَ، فهو أدْخَنُ، وهي دَخْناء، وذَريرَةٌ تُدَخَّنُ بها البُيوتُ. ويومٌ دَخْنانٌ، كَسَخْنانٍ. والدَّخَنُ، محرَّكةً: الحِقْدُ، وسُوء الخُلُقِ، وفِرِنْدُ السَّيْفِ، وتَغَيُّرُ العَقْلِ والدِّينِ والحَسَبِ. والدَّخْناءُ أو الدُّخْنانُ، بالضم: عُصْفُورٌ.

(1) الصحاح في اللغة. (2) القاموس المحيط.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ﴾ [فصلت: 11].

قال القرطبي[1]: أي عَمَد إلى خلقها وقصد لتسويتها. والاستواء من صفة الأفعال على أكثر الأقوال؛ يدل عليه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾ [البقرة: 29] وقد مضى القول هناك.

قال الماوردي[2]: فيه وجهان: أحدهما: عمد إلى السماء، الثاني: استوى أمره إلى السماء.

قال أبو السعود[3]: ﴿وَهِىَ دُخَانٌ﴾ أي أمرٌ ظلمانيٌّ عبرَ به عن مادتها أو عن الأجزاء المتصغرةِ التي ركبتْ هي منها أو دخانٌ مرتفعٌ من الماءِ كما سيأتي وإنما خصَّ الاستواءَ بالسماءِ مع أن الخطابَ المترتبَ عليه متوجهٌ إليهما معاً حسبما ينطقُ به قولُه تعالى: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ﴾.

● **قال تعالى**: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ [الدخان: 10].

قال الماوردي[4]: ثلاثة أقاويل:

الأول: ما أصاب أهل مكة من شدة الجوع حتى صار بينهم وبين السماء كهيئة الدخان لَمَّا دعا عليهم رسول الله ﷺ في إبطائهم عن الإيمان وقصدهم له بالأذى، فقال: «اللَّهُمَّ اكفِنِيهِم بِسَبْعٍ كَسَبْع يُوسُفَ» قاله ابن مسعود. قال أبو عبيدة والدخان الجدب. وقال ابن قتيبة: سمي دخاناً لِيَبَسِ الأرض منه حتى يرتفع منها الدخان.

الثاني: أنه يوم فتح مكة لَمَّا حجبت السماء الغيوم، قاله عبد الرحمٰن بن الأعرج.

---

(1) الجامع لأحكام القرآن.
(2) النكت والعيون.
(3) إرشاد العقل السليم.
(4) النكت والعيون.

الثالث: أنه دخان يهيج بالناس يوم القيامة يأخذ المؤمن منه كالزكمة، وينفخ الكافر حتى يخرج من كل مسمع منه، رواه أبو سعيد الخدري مرفوعاً.

قال العزّ بن عبد السلام[1]: ﴿بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ لَمَّا دعا عليهم الرسول ﷺ بسبع كسبع يوسف حتى صار بينهم وبين السماء كهيئة الدخان. قال أبو عبيدة الدخان الجدب. قال ابن قتيبة سمي دخاناً لِيَبَسِ الأرض منه حتى يرتفع منها غبار كالدخان، وقيل لسنة الجدب غبراء لكثرة الغبار فيها، أو يوم فتح مكة لما حجبت السماءَ الغبرةُ، أو دخان يهيج بالناس في القيامة فيأخذ المؤمن منه كالزكمة وينفخ الكافر حتى يخرج من كل مسمع منه.

---

(1) التفسير العظيم.

دَرّ

(دَرّ - ثَجَّ - سَالَ - سَفَحَ - سَفَكَ - سَكَبَ - صَبَّ - طَافَ)

■ **الدَّرّ:** نزول اللبن من الثدي بغزارة، ويستعار للمطر الغزير ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا﴾ [الأنعام: 6].

■ **الثَّجُّ:** صوت الماء المتلاطم في المجرى ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا﴾ [النّبإ: 14].

■ **السَّيلُ:** انسياب الماء في الأودية والمنخفضات ﴿فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا﴾ [الرّعد: 17].

■ **السَّفحُ:** طفح السائل من الإناء أو العين ﴿إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا﴾ [الأنعام: 145].

■ **السَّفكُ:** دوام عملية السفح ﴿مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ [البَقَرَة: 30].

■ **السَّكْبُ:** ما تفرغه من إنائك أو دلوك ﴿وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ﴾ [الواقِعَة: 31].

■ **الصَّبُّ:** قوة نزول الماء من الأعلى ﴿أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا﴾ [عَبَسَ: 25].

■ **الطُّوفَانُ:** اندفاع الماء من شدة السفك ليحيط بالناس ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ﴾ [الأعرَاف: 133].

❊ ❊ ❊

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الدال والراء في المضاعف يدلُّ على أصلين: أحدهما تولُّد شيء عن شيء، والثاني اضطرابٌ في شيء. فالأوّل الدَّرُّ دَرُّ اللَّبَن. والدَّرَّة دِرّة السّحاب: صَبُّه. ويقال: سَحابٌ مِدْرارٌ. ومن ذلك قولهم: «لله دَرُّه»، أي: عمله، وكأنّه شُبِّه بالدَّر الذي يكونُ من ذوات الدّرّ. ويقولون في الشَّتْم: «لا دَرّ دَرُّه» أي: لا كَثُر خَيره. ومن الباب: دَرّت حَلُوبةُ المسلمين، أي: فَيْئُهم وخَراجهم. ولهذه السُّوق دِرَّة، أي: نَفَاق، كأنّها قد دَرَّت، وهو خلاف الغِرار.

ومن هذا قولهم: استدرَّتِ المِعْزَى استدراراً، إذا أرادت الفحلَ، كأنّها أرادت أنْ يَدِرَّ لها ماءُ فَحْلِها. وأمَّا الأصل الآخرُ فالدّرِيرُ من الدوابّ: الشديدُ العَدْو السريعُهُ.

والدُّرْدُرُ: مَنابت أسنانِ الصبِيّ. وهو مِنْ تَدَرْدَرَتِ اللحمةُ تَدَرْدُراً، إذا اضطربَتْ، ودَرْدَر الصبيُّ الشَّيءَ، إذا لاكَهُ، يُدَرْدِرُه. وَدَرَرُ الرِّيح: مَهَبُّها. ودَرَرُ الطَّريق: قَصْدُهُ؛ لأنّه لا يخلو مِن جاءٍ وذاهب. والدُّرُّ كبار اللُّؤلؤ، سمِّي بذلك لاضطرابٍ يُرَى فيه لصفائه، كأنّه ماءٌ يضطرب.

قال الجوهري[2]: الدَّرُّ: اللَبَنُ. يقال في الذمّ: لا دَرّ دَرُّهُ، أي: لا كَثُر خيره. ويقال في المَدْحِ: لله دَرُّهُ: أي عمله. ولله دَرُّكَ من رَجُلٍ. وناقةٌ دَرورٌ، أي: كثيرة اللبن، ودارٌّ أيضاً. ونوقٌ دُرَّارٌ.

وفَرَسٌ دَريرٌ، أي سريعٌ.

والدُّرَّةُ: اللُؤْلؤَةُ، والجمع دُرٌّ ودُرَّاتٌ.

والكوكب الدُّرِّيُّ: الثاقب المُضيءُ، نُسِبَ إلى الدُّرِّ لبياضه. وقد تُكْسَرُ الدال فيقال دِرِّيٌّ. والدِّرَّة: التي يَضرب بها. والدِّرَّة أيضاً: كثرةُ اللبن وسَيَلانُه. وللساق

(1) معجم مقاييس اللغة.

(2) الصحاح في اللغة.

دِرّة، أي: استِدرار للجَرْي. وللسوق دِرَّةٌ، أي نَفاقٌ، وللسحاب دِرَّةٌ: أي صَبٌّ، والجمع دِرَرٌ، أي ذات دِرَرٍ. وسَماءٌ مِدْرارٌ، أي تَدُرُّ بالمطر. ويقال: هما على دَرَرٍ واحدٍ بالفتح، أي على قَصْدٍ واحد. ونحن على دَرَرِ الطريق، أي على قَصْدِهِ. ودَرَرُ الريح أيضاً: مَهَبُّها. ودَرَّ الضَرْعُ باللبن يَدُرُّ دُروراً. ودَرَّت حَلوبَةُ المسلمين، أي فَيْئُهُم. وأَدَرَّتِ الناقَةُ، فهي مُدِرٌّ، إذا دَرَّ لَبَنُها. والريح تُدِرُّ السَحابَ وتَسْتَدِرُّهُ، أي تَسْتَحْلِبُهُ.

قال الفيروزآبادي(1): الدَّرُّ: النَّفْسُ، واللَّبَنُ، كالدِّرةِ، بالكسرِ، وكثْرَتُهُ، كالاسْتِدْرارِ، يَدُرُّ ويَدِرُّ. والدِّرَّةُ، بالكسرِ: الاسمُ. ولله دَرُّهُ، أي: عَمَلُهُ. ولا دَرَّ دَرُّهُ: لا زَكَى عَمَلُهُ. ودَرَّ النَّباتُ: الْتَفَّ.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا﴾ [الأنعام: 6] ﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾ [نوح: 11].

قال الطبري(2): المطر، ويعني بقوله: «مدراراً»: غزيرة دائمة.

قال الفخر الرازي(3): يريد الغيث والمطر، فالسماء معناه المطر ههنا، والمدرار الكثير الدر، وأصله من قولهم در اللبن إذا أقبل على الحالب منه شيء كثير، فالمدرار يصلح أن يكون من نعت السحاب، ويجوز أن يكون من نعت المطر، يقال سحاب مدرار إذا تتابع أمطاره. ومفعال يجيء في نعت يراد المبالغة فيه. قال مقاتل ﴿مِّدْرَارًا﴾ متتابعاً مرة بعد أخرى ويستوي في المدرار المذكر والمؤنث.

(1) القاموس المحيط.
(2) جامع البيان.
(3) التفسير الكبير.

قال ابن عطية[1]: ﴿مِّدۡرَارٗا﴾ بناء تكثير كمذكار ومئناث، ومعناه يدر عليهم بحسب المنفعة، لأن الآية إنما سياقها تعديد النعم وإلا فظاهرها يحتمل النعمة ويحتمل الإهلاك، وتحتمل الآية أن تراد السماء المعروفة على تقدير وأرسلنا مطر السماء لأن مدراراً لا يوصف به إلا المطر.

قال الألوسي[2]: أي غزيراً كثير الصب، وهو صيغة مبالغة يستوي فيه المذكر والمؤنث، وهو حال من السماء والظرف متعلق بأرسلنا.

(1) المحرر الوجيز. (2) روح المعاني.

دَرَجَ - الدَّرَجَة

(الدَّرَجَة - الْوَجَاهَة - الزُّلْفَى - المُقَام - القَدْر)

شرح المعاني:

الدرجة: هي مراحل الصعود، فكل له منهج صعود حتى الطالب في الابتدائية ثم المتوسطة ثم الثانوية ثم الجامعة فالحياة كلها درجات لكن أعظم الدرجات في الآخرة ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: 21] فالقرآن الكريم يصف الدرجات في قسم منها بأنها (أعظم) ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ﴾ [الحديد: 10] وهناك درجة عالية ﴿وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ﴾ [طه: 75] إذن فالدرجات مراحل متعددة تنتقل من درجة إلى درجة أعلى.

الوجيه: هو أن يكون للشخص وجه في مجتمعه، وجه مقبول إذا حضر يُعد وإذا غاب يُفقد وإذا سأل يُعْطَى وإذا طلب أجيب وإذا شفع يشفّع ويحبه الناس ويقومون له إذا أقبل ويودعونه إذا غاب، هكذا هو الوجيه كما قال تعالى في سيدنا عيسى ابن مريم عليه السلام: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ [آل عمران: 45] هذه الوجاهة ترتب لصاحبها عدة ألقاب وعدة كلمات جاء بها القرآن، فلا تكون وجيهاً إلا إذا ترقيت درجات في مجتمعك ثم صارت لك منزلة ثم صارت لك زلفى ثم صرت وسيلة ثم كان لك مقام ثم كان لك قدم صدق ثم كان لك مقعد صدق وهذه أمور تجري في الدنيا والآخرة كما قال تعالى: ﴿وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ﴾ وهذه الكلمات القرآنية قد تتحقق في الدنيا كما تتحقق في الآخرة.

الزلفى: القرب من الملك أو الحاكم، فالملك له حاشية وجلساء اعتاد الناس أن يروهم في مجلس الملك، هؤلاء من أهل الزلفى. ﴿فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ [ص: 25] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ﴾ [الأعراف: 206] هذه العندية هي الزلفى لأنها قريبة من الملك سواء كان الملك في الدنيا أو ملك الملوك يوم القيامة، هذه هي الزلفى. إذا كنت من أهل الزلفى أي من الجالسين عند الملك أو الأمير دائماً فالزلفى لها صلاحيات تجعل لك وجاهة، كل ذلك من أسباب الوجاهة، فإذا كانت لك درجة رفيعة فأنت وجيه فإذا بلغت القمة في الزلفى فأنت في مقعد الصدق. ومقعد الصدق هو الذي يجلس عن يمين الملك كما ورد في الأحاديث: «**الذين عن يمين الله وكلتا يديه يمين، اثنان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه - وجبت محبتي للمتزاورين فيّ**».

قدم الصدق: الذي لا ترد شفاعته ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَـٰفِرُونَ إِنَّ هَـٰذَا لَسَـٰحِرٌ مُّبِينٌ﴾ [يُونس: 2] وهو سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام الذي لا ترد شفاعته أبداً، فعندما يقول عليه الصلاة والسلام: «**من يقول سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم في اليوم مئة مرة غفر الله ذنوبه**» وكثير من هذه الأحاديث في هذا الباب فيقولون أن الله تعالى لم يقل ذلك لكن الله عز وجل أعطى النبي ﷺ الصلاحيات، فإذا قال عليه الصلاة والسلام شيئاً من هذا القبيل فإنه يجيبه إلى ذلك فكأن الله تعالى أعطاه شيئاً من صلاحياته ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الأنبيَاء: 107] هذه الرحمة منها ما وكله الله تعالى إليه فقال له عليه الصلاة والسلام: «قل ما شئت وأنا أقبل وأجيب» ولهذا سمى المولى عز وجل نفسه «رؤوفاً رحيماً» وسمى المصطفى «رؤوف رحيم» ولم يعط هذين الاسمين لأحد من خلقه إلا للنبي عليه الصلاة والسلام.

هذه الوسيلة هي كتائب الملك ينوب عنه وأحياناً يصدر أوامر وتعليمات من

غير أن يرجع إلى الملك لأنه خوّله بذلك. وقال عليه الصلاة والسلام: «ألا وإني أُوتيت القرآن ومثله معه».

المُقام: دار الإقامة ﴿خَـٰلِدِينَ فِيهَاۚ حَسُنَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا﴾ [الفُرقان: 76] ﴿ٱلَّذِيٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلۡمُقَامَةِ مِن فَضۡلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٞ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٞ﴾ [فَاطِر: 35] الجنة والفردوس الأعلى من دار الإقامة. والمقام هو نوع من الوجاهة في الشدائد، والوجهاء أنواع كلٌّ في مجاله ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسرَاء: 79] فمثلاً شخص وجاهته يستعملها لنصرة المظلومين وآخر في الصلح بين المتخاصمين وهكذا فصاحب المقام هو من يلجأ إليه الناس لوجاهته في شدائدهم (الفقر، المرض، العدو، المحن وما إلى ذلك) يتوخون منه أنه قادر على أن يخفف آلامهم وأحزانهم وأن يجدوا عنده ما يحتاجونه فهذا مقام ﴿وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرَّحمٰن: 46] فيوم القيامة الناس في تلك المحنة العظيمة في الحشر ذلك الفزع الأكبر فمن الذي يقوم على أمر الناس ومن الذي يفزعون إليه؟.

القَدْر: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا﴾ [الطّلَاق: 3] وقد سميت ليلة القدر لأن فيها قيمة عظيمة عند الناس فكل من له قدر له مواصفات عظيمة تجعله في أعين الناس كبيراً هذا هو القدر كل ما كبر الأمر سواء أكان عليماً أو عالماً أو حاكماً أو مشروعاً عظيماً أو غيره فكل شيء له قيمة هائلة عند الناس وقيمة أساسية يكون ذا قدر.

هذه هي منظومة الوجاهة، وكل هذه الكلمات تصب في أنك وجيه ﴿وَجِيهٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ﴾ [آل عِمرَان: 45] كسيد الخلق سيدنا محمد ﷺ وسيدنا عيسى ابن مريم عليه السلام وكل الأنبياء وكثير من أتباع الأنبياء، وهناك وجهاء من الأمة في الدنيا والآخرة من صالحين وعلماء ومجاهدين وشهداء وكل هؤلاء يشفعون يوم القيامة، فلكل ذي قيمة وقدر يوم القيامة شفاعة، والكثير من الصالحين يدّخرون هذه الوجاهة للآخرين وليس لأنفسهم، فإذا كان وجيهاً وطلب لنفسه سقطت وجاهته،

فمن عناصر الوجاهة أن لا يطلب لنفسه بل للآخرين أما هو فالملك أو الحاكم هو الذي يعرف قدره فيعطيه فإذا أعطاه قبِل، أما أن يسأل فهذا ليس وجيهاً وهذا معنى كلام المصطفى ﷺ الذي ادّخر شفاعته ليوم القيامة.

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الدال والراء والجيم أصلٌ واحد يدلُّ على مُضِيِّ الشّيءِ والمُضيِّ في الشّيء. من ذلك قولُهم: دَرَجَ الشّيءُ، إذا مَضَى لسبيله. ورجَع فُلانٌ أدراجَه، إذا رَجع في الطّريق الذي جاء منه. ودَرَج الصَّبيُّ، إذا مَشَى مِشْيته. قال الأصمعيّ: دَرَجَ الرجُلُ، إذا مَضَى ولم يُخْلِفْ نَسْلاً.

ومَدَارِج الأكمَة: الطُّرق المعترِضة فيها.

فأمّا الدُّرج لبعض الأصونة والآلات، فإن كان صحيحاً فهو أصلٌ آخَرُ يدلُّ على سَترٍ وتَغْطية. من ذلك أدْرَجْتُ الكتابَ، وأدْرَجْتُ الحَبْل. قال: ومن هذا الباب الثاني الدُّرْجة، وهي خِرَقٌ تُجعَل في حياء النّاقة ثم تُسَلُّ، فإذا شمّتْها الناقةُ حسِبتْها ولدَها فعطفَتْ عليه.

قال الجوهري[2]: دَرَجَ الرجل والضَبُّ يَدْرُجُ دُروجاً وَدَرَجاناً، أي: مشى. ودَرَجَ، أي: مضى لسبيله. يقال: درجَ القومُ، إذا انقرضوا. والاندراج مثلُه. وفي المثل: أكذب مَنْ دَبَّ ودَرَجَ، أي: أكذبُ الأحياءِ والأمواتِ. قال الأصمعي: دَرَجَ الرجل، إذا لم يُخَلِّفْ نسلاً. ودَرَجَتِ الناقةُ وأَدْرَجَتْ، إذا جازت السنة ولم تُنْتِجْ، فهي مِدْراجٌ إذا كانت تلك عادَتُها. وأَدْرَجْتُ الكتابَ: طويته. ودَرَّجَهُ إلى كذا واستدرجه، بمعنىً، أي أدناه منه على التدريج، فتَدَرَّجَ هُو. والدَّروجُ: الرِيحُ السريعة المَرّ؛ يقال: ريحٌ دَروجٌ، وقِدْحٌ دَروجٌ. والمَدْرَجَةُ المَذْهب والمسلَك.

(1) معجم مقاييس اللغة. (2) الصحاح في اللغة.

وقولهم: خَلِّ دَرَجَ الضَبِّ، أي: طريقه، لئلَّا يسلك بين قدميك فتنتفخ. والجمع الأَدْراجُ، ومنه قولهم: رجعتُ أَدْراجي، أي رجعتُ في الطريق الذي جئت منه. والدَرَجَةُ المِرقاةُ، والجمع الدَرَجُ. والدَرَجة واحدة الدَرَجات، وهي الطبقات من المراتب. والدُرَجَةُ، مثال الهُمَزَةِ: لغةٌ في الدَرَجَةِ، وهي المِرقاةُ.

والدُّرَجَةُ أيضاً: طائر أسود باطنِ الجناحين وظاهِرُهُما أغبرُ على خِلقةِ القطا إلاّ أنَّها ألطف. والدَّرْجُ الذي يُكْتَبُ فيه، وكذلك الدَّرَجُ بالتحريك. يقال: أنفذته في دَرْجِ الكتاب، أي في طَيِّهِ. وذهب دمُه أدراجَ الرياح، أي هَدَراً. والدُّرْجُ، بالضم: حِفْشُ النِساء. والدُّرْجَةُ أيضاً: شيء يُدْرَجُ فيُدْخَلُ في حَياءِ الناقة ثم تَشمُّهُ فتظنُّه ولَدها فترْأَمه. والدُّرَّاجُ والدُّرَّاجَ: ضربٌ من الطَير، للذكر والأنثى، حتّى تقولَ: الحَيْقُطانُ، فيختصّ بالذكر. وأرضٌ مَدْرَجَةٌ، أي: ذات دُرَّاجٍ. والدَّرَّاجَةُ، بالفتح: الحالُ، وهي التي يُدَرَّجُ عليها الصبيّ إذا مشى.

قال الفيروزآبادي[1]: دَرَجَ دُروجاً ودَرَجاناً: مشى، ودرج القومُ: انْقَرَضُوا، كانْدَرَجُوا، ودرج فلانٌ: لم يُخَلِّفْ نَسْلاً، أو مَضى لسبيلِهِ، كدَرِجَ، كَسَمِعَ، ودرج الناقَةُ: جازَتِ السَّنة ولم تُنْتَجْ، كأدْرَجَتْ، وطَوى، كدَرَّجَ وأَدْرَجَ. وكَسَمِعَ صَعِدَ في المَراتِبِ، ولَزِمَ المَحَجَّةَ من الدِّينِ أو الكلامِ. والدَّرَّاجُ، كَشَدَّادٍ: النَّمَّامُ، والقُنْفُذُ، وكرُمَّانٍ: طائِرٌ. ودَرِجَ، كَسَمِعَ: دامَ على أكْلِهِ. والدَّروجُ: الرِّيحُ السَّريعةُ المَرِّ.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البَقَرَة: 228].

قال البغوي[2]: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ قال ابن عباس: بما ساق إليها من

(1) القاموس المحيط. (2) معالم التنزيل.

المهر وأنفق عليها من المال، وقال قتادة: بالجهاد، وقيل بالعقل، وقيل بالشهادة، وقيل بالميراث، وقيل: بالدية وقيل بالطلاق، لأن الطلاق بيد الرجال، وقيل بالرجعة، وقال سفيان وزيد بن أسلم: بالإمارة وقال القتيبي وللرجال عليهن درجة معناه فضيلة في الحق.

قال الزمخشري[1]: ﴿دَرَجَةٌ﴾ زيادة في الحق وفضيلة. قيل: المرأة تنال من اللذة ما ينال الرجل، وله الفضيلة بقيامه عليها وإنفاقه في مصالحها.

● **قال تعالى**: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [الأنفال: 4].

قال الطبري[2]: يعني جلّ ثناؤه بقوله: ﴿لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ﴾ لهؤلاء المؤمنين الذين وصف جلّ ثناؤه صفتهم درجات، وهي مراتب رفيعة.

ثم اختلف أهل التأويل في هذه الدرجات التي ذكر الله أنها لهم عنده ما هي، فقال بعضهم: هي أعمال رفيعة وفضائل قدّموها في أيام حياتهم. ذكر، عن مجاهد: ﴿لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ قال: أعمال رفيعة.

وقال آخرون: بل ذلك مراتب في الجنة.

قال الشعراوي[3]: والدرجات عند البشر هي ارتقاءات يسعى إليها، فما بالنا بالدرجات التي عند الرب؟ وما دام الله سبحانه وتعالى قد وعدهم بالدرجات العالية عنده فقد ضمنوا المغفرة؛ لأن الواحد منهم سيطهر بالمغفرة، وجاء الحق بعطاء الدرجات قبل المغفرة لأنه سبحانه خلق الخلق ويعرف أنهم أهل أغيار، ويعلم أن هناك من أسرفوا على أنفسهم، ويحاولون فعل الخيرات لأنهم يؤمنون بأن الحسنات يذهبن السيئات، وسبحانه علمنا أن معالم الدين تأخذ حظها من المسرفين على أنفسهم، لأن من لم يسرف على نفسه تجده يطيع الله طاعة هادئة

(1) الكشاف.
(2) جامع البيان.
(3) تفسير الشعراوي.

رتيبة فليس وراءه ما يلهب ظهره. أما من عملوا السيئات فإن هذه السيئات تقض مضاجعهم. والمسرف على نفسه لحظة الإسراف يظن أنه أخذ من الله شيئاً واحداً من خلف منهجه، فيوضح له ربنا: إياك أن تظن أن هناك من يخدع الله. فأنت ستعمل كثيراً وبشوق لخدمة منهج الله، ونجد المسرف على نفسه لحظة الإفاقة والتوبة، وهو يندفع إلى فعل الخيرات. مصداقاً لقول الرسول ﷺ: «**إن الله تعالى ليؤيد الدين بالرجل الفاجر**»؛ لأن فجر الفاجر يتجسد أمامه ويريه سوء المصير، فيندفع إلى فعل الخيرات ليمحو السيئات، أما من لم يخطئ فنجده هادئ القلب، مطمئن النفس، لا يلهب ظهره شيء.

● **وقال تعالى**: ﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [آل عِمرَان: 163].

قال الراغب(1): أي: هم ذوو درجات عند الله، ودرجات النجوم تشبيهاً بما تقدم. ويقال لقارعة الطريق: مدرجة، ويقال: فلان يتدرج في كذا، أي: يتصعد فيه درجة درجة، ودرج الشيخ والصبي درجاناً: مشى مشية الصاعد في درجه. والدرج: طي الكتاب والثوب، ويقال للمطوي: درج. واستعير الدرج للموت، كما استعير الطي له في قولهم: طوته المنية، وقولهم: من دب ودرج، أي: من كان حيًّا فمشى، ومن مات فطوى أحواله.

● **قال تعالى**: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعرَاف: 182].

قال الزمخشري(2): ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم﴾ سنستدنيهم قليلاً قليلاً إلى ما يهلكهم ويضاعف عقابهم.

قال القرطبي(3): أخبر تعالى عمن كذّب بآياته أنه سيستدرجهم. قال ابن عباس: هم أهل مكة. والاستدراج هو الأخذ بالتدريج، منزلة بعد منزلة. والدّرج: لَفُّ الشيء؛ يقال: أدرجته ودرّجته، ومنه أدرج الميت في أكفانه.

---

(1) مفردات الراغب.
(2) الكشاف.
(3) الجامع لأحكام القرآن.

وقيل: هو من الدّرجة؛ فالاستدراج أن يُحَطّ درجة بعد درجة إلى المقصود. قال الضحاك: كلما جدّدوا لنا معصية جدّدنا لهم نعمة. وقيل لذي النون: ما أقصى ما يخدع به العبد؟ قال: بالألطاف والكرامات؛ لذلك قال سبحانه: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ نسبغ عليهم النعم وننسيهم الشكر.

قال الماوردي[1]: والاستدراج أن تنطوي على حالة منزلة بعد منزلة.

وفي اشتقاقه قولان: أحدهما: أنه مشتق من الدرج لانطوائه على شيء بعد شيء.

والثاني: أنه مشتق من الدرجة لانحطاطه من منزلة بعد منزلة.

وفي المشار إليه باستدراجهم قولان:

أحدهما: استدراجهم إلى الهلكة.

والثاني: الكفر.

---

(1) النكت والعيون.

دَرَسَ

(دَرَسَ - تَلَا - قَرَأَ)

■ **الدَّرْسُ:** تناول ما كتبه الأولون بالحفظ وإدامة القراءة.

■ **التِّلَاوَةُ:** قراءة الكتاب بالترتيب المنظم من الأول إلى الآخر بتدبر، وقراءة القرآن بالترتيب المنظم من الأعلى إلى الأسفل ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [العَنكبوت: 45].

■ **القِراءَةُ:** قراءة القرآن بصوت مسموع ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: 204].

❋ ❋ ❋

شرح المعاني:

القراءة: هو جمع الحروف والقُرء، هو الجمع. لا يقال: قرأ الباء وإنما يقال: نطق الباء، فالقراءة هي جمع الحروف لتصبح كلمة لها معنى فتنطلق منها إلى بقية المراحل التعليمية (اقرأ كتابك) القراءة أي عندك قدرة على تجميع الحروف فتعرف أن هذه الكلمة تعني كذا. والفرق بينك وبين من لا يقرأ أنك تقرأ وتكتب وهو أميّ لا يعرف الحروف ولا يصنع بها كلمة، وأُخِذت كلمة الأمي أي كما ولدته أمّه. والقراءة هي مرحلة أولية للعملية التعليمية، وأول ما أُمِر به النبي عليه الصلاة والسلام (اقرأ) أي أن يجمع حروف الكون ليفهم معانيه. مجرد نطق الكلمة هو القراءة وهذا ما يفعله الأجانب عندما يقرؤون القرآن.

التلاوة: إذا كان يعرف المعنى ويتحقق منه ويحسن استنباط المعاني

المقصودة من الكلمة التي قرأها تسمى تلاوة وحتى لو لم يعرف المعنى، فالتلاوة قراءة مع فهم واستنباط للمعنى، وكلما تقدم استنباطك للمعنى تزداد تلاوتك حتى تصبح حق التلاوة، ومن إعجاز القرآن قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [البَقَرَة: 121]. القرآن فيه آيات محكمة وآيات متشابهات فالمحكم من الآيات ما تعلق بالعبادات، والمتشابه منها التي تتكلم عن العلوم وغيرها. ويقول تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عِمرَان: 7] يقال أن اليهود والنصارى إذا آمنوا فهم يتلون الكتاب حق تلاوته ويفهون من آيات الكتاب ما لم يفهمه المسلمون إلى عصرنا هذا؛ وذلك لما لهم من خلفية بالكتب السابقة التي نزلت قبل الإسلام، ويقول رب العالمين بأن من أهل الكتاب من يستنبط مِنْ هذا الكتاب لأنهم يتلونه حق تلاوته ويستنبطون معاني أرادها الله تعالى. وهناك بعض المستشرقين والمنصفين الموضوعيين من تكلم عن القرآن كلاماً لم يصل إليه المسلمون، ومنهم غارودي ولويس بوكاي واكتشفوا من علوم القرآن ما لم يكتشفه المسلمون. كل تلاوة قراءة وليست كل قراءة تلاوة؛ فالتلاوة هي قراءة بتدبر وعمق وهي أخصّ من القراءة.

الدرس: الدراسة تأتي بعد القراءة والتلاوة، وهي أن تستوعب كل ما تتلوه، فأنت تقرأ الكتاب أولاً ثم تتلوه بحيث تفهم معانيه ثم تدرسه بحيث لم يعد في هذا المكتوب أمامك شيء لا تعرفه وكل ما هو مكتوب أصبح في دماغك كما تدرس الآثار (آثار انمحت كقصر أصبح خراباً ثم آثاراً ثم درست فلم يبق منها شيء). اعتبر المكتوب أمامك بناء لم يعد فيه شيء إلا وقد نقلته إلى دماغك، قال تعالى: ﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عِمـرَان: 79] وفي حديث النبي عليه الصلاة والسلام كلام في غاية الإعجاز: «ما اجتمع قوم في

بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده» يتلونه تلاوة متدبر عالم ثم ينقلون المعلومات من المكتوب إلى عقولهم، لذا فهم درسوه أي انمحى ما فيه لأنه نُقِل إلى عقولهم.

عرف: هو التعلم التدريجي، والمعرفة متدرجة ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [النَّمل: 93] وكل علوم الأرض التي أصبحت حقائق ثابته بدأت معرفة ثم تطورت جيلاً بعد جيل إلى أن أصبحت علماً يقينياً، وما من علم إلا بدأ بالمعرفة ثم انتهى إلى العلم اليقيني قال تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ﴾ [محمَّد: 19] لا يجحد بها إلا مكابر ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [النَّمل: 14].

علم: بعد القراءة تلاوة ثم دراسة ثم معرفة ثم علم، لذلك يقال: فلان عارف بالله ولا يقال عالم بالله وليس في وسع العقل البشري بقوانين الدنيا أن يصل للتعرف إلى الله تعالى معرفة يقينية أي معرفة ذاته وصفاته سبحانه، لأنه كما قال تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: 103] العبد يقال له عارف بالله (متدرج) ولا يقال عالم بالله، أما الله سبحانه وتعالى فمن أسمائه العليم وليس العارف، والله تعالى هو العالم لأن علمه قطعي وليس تدريجياً.

هكذا هي المنظومة المقدسة كما هي، وأول علاقة بين العبد وربه هي العلم ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البَقَرة: 31] مع آدم. ومع داوود عليه السلام ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ﴾ [الأنبياء: 80]. ومع الرجل الصالح في سورة الكهف ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ ومع موسى عليه السلام ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف: 66].

ومع عيسى عليه السلام ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة: 110]. ومع محمد عليه الصلاة والسلام ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: 113] فالتعليم هو العلاقة المقدسة بين الله تعالى وعباده وأنبيائه، ولذا قال موسى ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: 114] وما من شيء أقدس من أن تكون عالماً أو متعلماً.

وفي الحديث الشريف عن الرسول عليه الصلاة والسلام: «**الناس عالم ومتعلم، ولا خير فيمن سواهما**» وقال ﷺ: «**الناس عالم ومتعلم، وما سواهما رعاع وهمج**» إذا كنت من العلماء أو المتعليمن فقد فزت بكل المراحل في الوجاهة فتكون وجيهاً ذا مكانة وزلفى لأنك صرت ربّانياً ﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عِمرَان: 79] حينئذ هذه المنزلة العظيمة جعلها الله تعالى مع الأنبياء تماماً وجعل العلماء كذلك ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عِمرَان: 18] أولو العلم أي كل ذي علم. ويقول عليه الصلاة والسلام: «**من جاءه أجله وهو يطلب علماً لقي الله يوم يلقاه وليس بينه وبين الأنبياء إلا درجة النبوة**».

ما من منزلة من منازل الوجاهة إلا وتنطبق بمجملها على العلماء والمتعلمين وطلاب العلم الذين تفرش الملائكة لهم أجنحتها رضىً بما يفعلون. هذه المنظومة هي المتجلية يوم القيامة، وما من أحد يسبق العلماء يوم القيامة لأنهم يُبعثون مع الأنبياء، ولو تتبعنا القرآن لوجدنا أن كلمة العلم والتعلم مع الأنبياء والصالحين أعجوبة العجائب.

هناك علوم خاصة بالدنيا وفيها نقص كما هو الآن، فهناك علوم بلغت مرحلة متقدمة مما كشف الله تعالى به للغربيين فجعلوا الحياة الدنيا في منتهى الراحة وملكوا الدنيا بالمواصلات وغيرها من الاكتشافات والاختراعات لكن هؤلاء لم يقترن علمهم في مجالات الدنيا بعلم الآخرة ولذا فهو ناقص ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾ [الرُّوم: 7] فهذه الأجيال اهتمت بالخدمات الدنيوية التي تسهل الحياة ونسيت الآخرة والله تعالى يقول: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [القَصَص: 77] ولكي يكتمل العلم يجب أن نجمع بين العلمين، وليس الرجل رجل الدنيا وليس الرجل رجل الآخرة وإنما الرجل رجلهما. ولا بد أن يطلب علم الدنيا والآخرة والحديث عن رسول الله عليه الصلاة والسلام لما رأى عليه الصلاة والسلام شخصاً صائماً وأصحابه يظلونه فسأل عليه الصلاة والسلام: «**ماذا يفعل؟**» قالوا: صائم وأصحابه يظلونه فقال عليه الصلاة والسلام: «**من أين يعيش؟**» قالوا: يكفونه، فقال عليه الصلاة والسلام: «**كلهم خير منه**». فالإسلام دين وسطي متوازن «**اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً**» وهذا هو التوازن المنطقي الصحيح.

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الدال والراء والسين أصلٌ واحد يدلُّ على خَفاء وخفضٍ وعَفَاءٍ. فالدَّرْس: الطَّريق الخفيّ. يقال: دَرَسَ المنزلُ: عفا. ومن الباب الدَّرِيس: الثّوب الخَلَق. ومنه دَرَسَتِ المرأةُ: حاضت. ودَرَسْتُ الحَنْطَة وغيرَها

(1) معجم مقاييس اللغة.

في سُنْبُلها، إذا دُسْتَها، فهذا محمولُ على أنّها جُعِلت تحتَ الأقدام، كالطَّريق الذي يُدرس ويُمشَى فيه. قال: والدَّرْس: الجَرَب القليل يكون بالبَعير. ومن الباب دَرَسْتُ القُرآنَ وغيرَه، وذلك أنّ الدّارِسَ يتتبَّع ما كان قرأ، كالسَّالك للطريق يَتَتبَّعُه. ومما شذَّ عن الباب الدِّرْوَاس: الغليظ العُنق من النّاسِ والدّوابّ.

قال الجوهري[1]: دَرَسَ الرسم يدرس دُروساً، أي: عفا. ودَرَسَتْهُ الريح، يتعدَّى ولا يتعدَّى. ودرست الكتاب دَرْساً ودِراسة. وَدَرَسَتِ المرأةُ دُروساً، أي: حاضت. ودَرسوا الحنطة دِراساً، أي: داسوها.

والدَّرْسُ أيضاً: الطريق الخفيّ. ودارسْتُ الكتب وتدارستها وادَّارَسْتُها، أي: دَرَسْتُها. والدِّرْسُ بالكسر: الدَّريسُ، وهو الثوب الخَلَق. والجمع دِرْسانٌ. وقد دَرَسَ الثوبُ دَرْساً، أي أخلَقَ. وحكى الأصمعيُّ: بعيرٌ لم يُدْرَسْ، أي لم يُركب. والدِّرْواسُ: الغليظ العُنُقِ من الناس والكلاب، وهو العظيم أيضاً.

قال الفيروزآبادي[2]: دَرَسَ الرَّسْمُ دُرُوسَاً: عَفَا، ودَرَسَتْه الرِّيحُ، لازِمٌ مُتَعَدٍّ. ودرست المرأةُ دَرْساً ودُروساً: حاضَتْ، وهي دارِسٌ. ودرس الكِتَابَ يَدْرُسُهُ ويَدْرِسُهُ دَرْساً ودِرَاسَةً: قَرَأَهُ، كأَدْرَسَهُ ودَرَّسَهُ. ودرس الجارِيةَ: جَامَعَهَا. ودرس الحِنْطَةَ دَرْساً ودِراساً: داسَها. ودرس البعيرُ: جَرِبَ جَرَباً شديداً، فقُطِرَ. ودرس الثوبَ: أَخْلَقَهُ؛ فَدَرَسَ هو، لازِمٌ مُتَعَدٍّ. وأبو دِراسٍ: فَرْجُ المرأةِ.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَدَرَسُواْ مَا فِيهِۗ﴾ [الأعراف: 169].

قال الطبري[3]: ﴿وَدَرَسُواْ مَا فِيهِۗ﴾ فإنه معطوف على قوله: ﴿وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾

(1) الصحاح في اللغة.
(2) القاموس المحيط.
(3) جامع البيان.

[الأعرَاف: 169] ومعناه: فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب، ودرسوا ما فيه. ويعني بقوله: ﴿وَدَرَسُواْ مَا فِيهِۗ﴾ قرؤوا ما فيه. يقول: ورثوا الكتاب فعلموا ما فيه ودرسوه، فضيعوه وتركوا العمل به، وخالفوا عهد الله إليهم في ذلك. كما قالوا في قوله: ﴿وَدَرَسُواْ مَا فِيهِۗ﴾ قال: علموه وعلموا ما في الكتاب الذي ذكر الله وقرأ: ﴿بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عِمرَان: 79].

قال الفخر الرازي[1]: ﴿وَدَرَسُواْ مَا فِيهِۗ﴾ أي فهم ذاكرون لما أُخِذَ عليهم لأنهم قد قرؤوه ودرسوه.

قال الشوكاني[2]: وقيل: معنى ﴿وَدَرَسُواْ مَا فِيهِۗ﴾ أي: محوه بترك العمل به والفهم له، من قولهم: درست الريح الآثار إذا محتها.

● **قال تعالى**: ﴿وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا﴾ [سبأ: 44].

قال الزمخشري[3]: وما آتيناهم كتباً يدرسونها فيها برهان على صحة الشرك، ولا أرسلنا إليهم نذيراً ينذرهم بالعقاب إن لم يشركوا، كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُواْ بِهِۦ يُشْرِكُونَ﴾ [الرُّوم: 35] أو وصفهم بأنهم قوم أمّيون أهل جاهلية لا ملة لهم وليس لهم عهد بإنزال كتاب ولا بعثه رسول كما قال تعالى: ﴿أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ﴾ [الزخرف: 21] فليس لتكذيبهم وجه متشبث، ولا شبهة متعلق، كما يقول أهل الكتاب وإن كانوا مبطلين: نحن أهل كتب وشرائع، ومستندون إلى رسل ومن رسل الله.

قال أبو السعود[4]: ﴿وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا﴾ فيها دليلٌ على صحَّةِ الإشراكِ كما في قولِه تعالى: ﴿أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُواْ بِهِۦ يُشْرِكُونَ﴾ [الرُّوم: 35] وقوله تعالى: ﴿أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ﴾ وقُرئ يدرِسُونها ويدَّرسونها بتشديدِ الدَّالِ يفتعلون من الدَّرسِ.

(1) التفسير الكبير.
(2) فتح القدير.
(3) الكشاف.
(4) إرشاد العقل السليم.

قال الفخر الرازي[1]: يعني غير القرآن ما آتيناهم كتاباً وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير، فلما كان المؤتى في الآية الأولى هو الكتاب، فحمل الإيتاء في الآية الثانية على إيتاء الكتاب أولى.

● **قال تعالى: ﴿وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ﴾ [الأنعام: 105].**

قال الشعراوي[2]: ﴿وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ﴾ [الأنعام: 105]؟ إننا نعلم أن السماء تتدخل حين يطم الفساد، لكن إن وجد في الذات الإنسانية نفس لوّامة فهي مَنَاعة للنفس ووقاية لها. فإن فعل الإنسان ذنباً تلومه نفسه فيرجع، وإن اختفت النفس اللوّامة وصارت النفس أمّارة بالسوء، امتنع في المجتمع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فمعنى ذلك أن الفساد قد طمّ، وهنا تتدخل السماء وتأتي ببيان جديد ومعجزة جديدة. إن الفساد لا يتأبى إلا من وجود طبقات تطحن في طبقات، والذين يُطحنون بالفساد هم من يستقبلون المنهج بشوق، لكن الطاحن المستفيد من الفساد هو الذي يعارض المنهج؛ ولذلك فإن كل جماعة حاربت الرسل هم من الطاحنين للناس، لكنَّ المطحونين إنما يريدون من ينقذهم.

قال ابن عجيبة[3]: ﴿دَرَسْتَ﴾ هذه الأخبار وعفت، وأخبرت بها من إملاء غيرك عليك، كقولهم: أساطير الأولين، وليكون عاقبة قوم آخرين الاهتداء، وإليهم الإشارة بقوله: ﴿وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: 105] أي: وليتضح معناه عند قوم آخرين، فيهتدوا به إلى معرفتي وتوحيدي ومحل رضواني وكرامتي، فالخطاب متحد، والأثر مختلف على حسب السابقة.

(1) التفسير الكبير.
(2) تفسير الشعراوي.
(3) البحر المديد.

دَرَكَ

(دَرَكَ - بَلَغَ - لَحِقَ - وَرَدَ)

■ **الإدراك:** الوصول السريع لشيء بعيد ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾ [النِّساء: 78].

■ **البُلُوغ:** الوصول إلى أقصى المطلوب ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ [الأحقاف: 15].

■ **اللَّحاق:** الوصول إلى من سبقك بشدة ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يُوسُف: 101].

■ **الوُرُود:** الوصول إلى مصدر الماء البعيد ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ﴾ [القَصَص: 23].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس(1): الدال والراء والكاف أصلٌ واحد، وهو لُحوق الشَّيء بالشّيء ووُصوله إليه. يقال: أدْرَكْتُ الشّيءَ أُدْرِكُه إدراكاً. ويقال: فرس دَرَكُ الطريدةِ، إذا كانت لا تَفوتُه طريدة. ويقال: أدرك الغلامُ والجارية، إذا بلَغا. وتدارَكَ القومُ: لَحِق آخرُهم أوّلَهم. وتدارَكَ الثَّرَيَانِ، إذا أدرك الثَّرَى الثاني المَطَرَ الأوّل. فأمَّا قوله تعالى: ﴿بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ [النَّمل: 66]، فهو من هذا؛ لأنَّ عِلْمَهم أدركَهم في الآخرة حين لم ينفَعْهم. والدَّرَك القطعة من الحَبْل تُشَدُّ في

(1) معجم مقاييس اللغة.

طَرَف الرِّشاء إلى عَرْقُوَة الدَّلو؛ لئلاَّ يأكلَ الماءُ الرِّشاء. وهو وإن كان لهذا فبِهِ تُدرَك الدَّلْو. ومن ذلك الدَّرَك، وهي منازِل أهل النار، وذلك أن الجنّة درجاتٌ، والنَّار دركات. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النِّساء: 145]، وهي منازلُهم التي يُدْرِكونها ويَلْحَقُون بها، نعوذُ بالله منها.

قال الجوهري(1): الإدْراكُ: اللُّحوقُ. يقال: مشيتُ حتّى أَدْرَكْتُهُ، وعِشْت حتى أَدْرَكْتُ زمانه. وأَدْرَكْتُهُ ببصري، أي: رأيته. وأَدْرَكَ الغلامُ وأدْرَكَ الثمرُ، أي بلغ. وربَّما قالوا: أَدْرَكَ الدقيقُ بمعنى فَنِيَ. واسْتَدْرَكْتُ ما فات وتَدارَكْتُهُ، بمعنىً. وتَدارَكَ القومُ، أي تلاحقوا، أي لحق آخرهم أوَّلَهم. ومنه قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا جَمِيعًا﴾ [الأعراف: 38] وأصله تَدارَكوا، فأدغمت التاء في الدال واجْتُلِبَت الألف ليسلم السكون. وتَدارَكَ الثَّرَيانِ، أي أَدْرَكَ ثَرى المطرِ ثَرى الأرضِ. وقولهم: دَراكِ أي أَدْرِكْ، وهو اسمٌ لفعلِ الأمر، وكُسِرَت الكاف لاجتماع الساكنين لأنَّ حقها السكونُ للأمر. والدَّريكَةُ: الطريدةُ. والدَّرَكُ بالتحريك: قِطعة حبل تُشَدُّ في طرف الرشاء إلى عَرقوة الدلو، ليكون هو الذي يلي الماء فلا يعْفَنَ الرشاءُ. والدَّرَكُ التَبِعَةُ، يسكَّن ويحرَّك. يقال ما لحقك من دَرَكٍ فعليَّ خلاصُهُ. ودَركاتُ النارِ: منازلُ أهلِها، والنارُ دَرَكاتٌ والجنةُ دَرَجاتٌ. والقعرُ الآخِرُ دَرْكٌ ودَرَكٌ. والدِّراكُ المُدارَكَةُ. يقال: داراكَ الرجلُ صوتَه، أي تابَعَه. لا بارَكَ الله فيه ولا تارَكَ ولا دارَكَ، كلُّه بمعنىً.

قال الفيروزآبادي(2): الدَّرَكُ، محرَّكةً: اللَّحاقُ. أدْرَكَهُ: لَحِقَهُ. ورَجُلٌ دَرَّاكٌ ومُدْرِكَةٌ ومدْرِكٌ. وتَداركُوا: لحِقَ آخِرُهُم أوَّلَهُمْ. والدِراكُ، ككتابٍ: لَحاقُ الفَرَسِ الوَحْشَ، وإتْباعُ الشيءِ بعضِهِ على بعضٍ. والمُتَدارِكُ: قافِيَةٌ تَوالى فيها حَرْفانِ مُتَحرِّكانِ بينَ ساكنَيْنِ، كمُتَفاعِلُنْ وفَعولُنْ فَعَلْ وفعولُ فُلْ، كأَنَّ بَعْضَ الحَرَكات أدْرَكَ بَعْضاً، ولم يَعُقْهُ عنه اعْتِراضُ ساكِنٍ بين المُتَحَرِّكَيْنِ.

---

(1) الصحاح في اللغة. (2) القاموس المحيط.

والتَّدْريكُ من المَطَر: أن يُدارِكَ القَطْرُ. واسْتَدْرَكَ الشيءَ بالشيءِ: حاوَلَ إدْراكَه به. وأدْرَكَ الشيءُ: بَلَغَ وقْتَه وانْتَهى، وفَنِيَ. و﴿ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا﴾ [الأعرَاف: 38]: أصلُهُ: تَداركُوا.

المعنى المشترك لكلمة (د ر ك)

وقد وردت كلمة (درك) في القرآن الكريم على أربعة أوجه:

الوجه الأول: أدركه يعني: ألجمه ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ﴾ [يُونس: 90].

الوجه الثاني: أدرك أي: لحق ﴿قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ﴾ [الشُّعَرَاء: 61].

الوجه الثالث: ادّارك يعني: اجتمع ﴿بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلۡمُهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ﴾ [النَّمل: 66].

الوجه الرابع: الإدراك يعني: الرؤية ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ﴾ [الأنعَام: 103].

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النِّساء: 145].

قال البغوي[1]: وقال ابن مسعود رضي الله عنه: (فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ) في توابيت من حديد مقفلة في النار. وقال أبو هريرة: بيت مقفل عليهم تتوقد فيه النار من فوقهم ومن تحتهم، ﴿وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا﴾ [النِّساء: 145] مانعاً من العذاب.

قال أبو السعود[2]: وهو الطبقة التي في قعر جهنم، وإنما كان ذلك لأنهم

(1) معالم التنزيل. (2) إرشاد العقل السليم.

أخبثُ الكفرة حيث ضمّوا إلى الكفر الاستهزاءَ بالإسلام وأهلِه وخِداعَهم، وأما قوله ﷺ «ثلاثٌ من كن فيه فهو منافقٌ وإن صامَ وصلَّىٰ وزعم أنه مسلمٌ: مَنْ إذا حدث كذَب وإذا وعد أخلف وإذا ائتُمِنَ خان» ونحوُه فمن باب التشديد والتهديدِ والتغليظِ مبالغةً في الزجر وتسميةُ طبقاتِها السبعِ درْكاً لكونها متداركةً متتابعةً بعضها تحتَ بعض، وقرئ بفتح الراء وهو لغة كالسَّطْر والسَطَر ويعضده أن جمعه أدراك.

قال الشعراوي[1]: والدرك دائماً في نزول. والأثر الصالح يميز لنا ذلك بالقول: «النار دركات كما أن الجنة درجات». فالنزول إلى أسفل هو الدرك، والصعود إلى أعلى هو صعود الدرج. وفي عصرنا نضع مستوى سطح البحر كمقياس؛ لأن اليابسة متعرجة، أما البحر فهو مستطرق.

● **قال تعالى**: ﴿لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخۡشَىٰ﴾ [طه: 77].

قال الطبري[2]: فإنه يعني: لا تخاف من فرعون وجنوده أن يدركوك من ورائك، ولا تخشى غرقاً من بين يديك ووَحَلاً. وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك، قال أهل التأويل.

قال الألوسي[3]: ﴿دَرَكًا﴾ بسكون الراء وهو اسم من الإدراك أي اللحوق كالدرك بالتحريك، وقال الراغب: الدرك بالتحريك في الآية ما يلحق الإنسان من تبعة، أي لا تخاف تبعة، والجمهور على الأول، أي: لا تخاف أن يدرككم فرعون وجنوده من خلفكم.

قال ابن عاشور[4]: (الدّرَك) بفتحتين اسم مصدر الإدراك، أي لا تخاف أن يدركك فرعون.

---

(1) تفسير الشعراوي.
(2) جامع البيان.
(3) روح المعاني.
(4) التحرير والتنوير.

● **قال تعالى:** ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ﴾ [يونس: 90].

قال أبو السعود(1): أي لحِقه وألجمه.

قال الشعراوي(2): والإدراك: قصد للمدرك أن يلحق بالشيء، والغرق معنى، فكيف يتحول المعنى إلى شيء يلاحق الفرعون؟ نعم، فكأن الغرق جندي من الجنود، وله عقل ينفعل؛ فيجري إلى الأحداث: ﴿إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [يونس: 90].

والإيمان إذا أطلق فهو الإيمان بالقوة العليا، بدليل أن الحق سبحانه وتعالى قد قال: ﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا﴾ [الحجرات: 14]. لأن الإيمان يتطلب انقياد القلب، والإسلام يقتضي اتباع أركان الإسلام، فالإيمان كما قال رسول الله ﷺ: «قل آمنت بالله ثم استقم» وفي هذا القول ذِكْرٌ محدد بأن الإيمان إنما يكون لله الأعلى. لكن لو قلت - مثلاً -: «آمنت أنك رجل طيب» فهذا إيمان له متعلق، أما إذا ذُكِر الإيمان بإطلاق فهو ينصرف إلى الإيمان بالله تعالى؛ ولذلك قال الله سبحانه للأعراب: ﴿وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا﴾.

● **قال تعالى:** ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ﴾ [الأنعام: 103].

قال الطبري(3): اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ﴾ فقال بعضهم: معناه: لا تحيط به الأبصار وهو يحيط بها. واعتلّ قائلو هذه المقالة لقولهم هذا بأن قالوا: إن الله قال: «فَلَمَّا أدْرَكَهُ الغَرَقُ قالَ آمَنْتُ» قالوا: فوصف الله تعالى ذكره الغرق بأنه أدرك فرعون، ولا شكّ أن الغرق غير موصوف بأنه رآه، ولا هو مما يجوز وصفه بأنه يرى شيئاً. قالوا:

---

(1) إرشاد العقل السليم.
(2) تفسير الشعراوي.
(3) جامع البيان.

فمعنى قوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ بمعنى: لا تراه بعيداً، لأن الشيء قد يدرك الشيء ولا يراه، كما قال جلّ ثناؤه مخبراً عن قيل أصحاب موسى ﷺ حين قرب منهم أصحاب فرعون: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ [الشُّعَرَاء: 61] لأن الله قد كان وعد نبيه موسى ﷺ أنهم لا يدركون لقوله: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ﴾ [طـه: 77] قالوا: فإن كان الشيء قد يرى الشيء ولا يدركه ويدركه ولا يراه، فكان معلوماً بذلك أن قوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ من معنى لا تراه الأبصار بمعزل، وأن معنى ذلك: لا تحيط به الأبصار لأن الإحاطة به غير جائزة. قالوا: فالمؤمنون وأهل الجنة يرون ربهم بأبصارهم ولا تدركه أبصارهم، بمعنى: أنها لا تحيط به؛ إذ كان غير جائز أن يوصف الله بأن شيئاً يحيط به. قالوا: ونظير جواز وصفه بأنه يرى ولا يدرك جواز وصفه بأنه يُعلم ولا يحاط به، وكما قال جلّ ثناؤه: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البَقَرَة: 255] قالوا: فنفى جلّ ثناؤه عن خلقه أن يكونوا يحيطون بشيء من علمه إلّا بما شاء. قالوا: ومعنى العلم في هذا الموضع: المعلوم قالوا: فلم يكن في نفيه عن خلقه أن يحيطوا بشيء من علمه إلّا بما شاء نفي عن أن يعلموه. قالوا: فإذا لم يكن في نفي الإحاطة بالشيء علماً نفي للعلم به، كان كذلك لم يكن في نفي إدراك الله عن البصر نفي رؤيته له.

● **قال تعالى:** ﴿لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [القَلَم: 49].

قال الفخر الرازي(1): وقرىء (رحمة من ربه)، لِمَ لَمْ يقل: لولا أن تداركته نعمة من ربه؟ الجواب: إنما حسن تذكير الفعل لفصل الضمير في تداركه، وقرأ ابن عباس وابن مسعود تداركته، وقرأ الحسن: تداركه، أي تتداركه على حكاية الحال الماضية، بمعنى لولا أن كان، يقال: فيه تتداركه، كما يقال: كان زيد

(1) التفسير الكبير.

سيقوم فمنعه فلان، أي كان يقال فيه: سيقوم، والمعنى كان متوقعاً منه القيام.

قال أبو السعود(1): وقُرِيءَ رحمةٌ وهُو توفيقُهُ للتوبةِ وقَبُولُهَا منْهُ، وحسُنَ تذكيرُ الفعلِ للفصلِ بالضميرِ، وقُرِيءَ تداركتْهُ وتَداركُهُ أي تتداركهُ على حكايةِ الحالِ الماضيةِ بمَعْنَى لولا أنْ كانَ يقالُ فيهِ تتداركه.

● **قال تعالى**: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا جَمِيعًا﴾ [الأعرَاف: 38].

قال الطبري(2): القول في تأويل قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا جَمِيعًا﴾. يقول تعالى ذكره: حتى إذا تداركت الأمم في النار جميعاً، يعني: اجتمعت فيها، يقال: قد ادّاركوا وتداركوا، إذا اجتمعوا، يقول: اجتمع فيها الأوّلون من أهل الملل الكافرة والآخرون منهم.

قال الزمخشري(3): ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا﴾ أي تداركوا بمعنى تلاحقوا واجتمعوا في النار.

قال الألوسي(4): ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا جَمِيعًا﴾ غاية لما قبله، أي يدخلون فوجاً فوجاً لاعناً بعضهم بعضاً إلى انتهاء تلاحقهم باجتماعهم في النار.

---

(1) إرشاد العقل السليم.
(2) جامع البيان.
(3) الكشاف.
(4) روح المعاني.

دِرْهَم

(دِرْهَم - دِيْنَار)

■ **الدِّرْهَم:** الفضة المطبوعة المتعامل بها ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾ [يُوسُف: 20].

■ **الدِّينَار:** الذهب المطبوع المتعامل به ﴿وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ﴾ [آل عِمرَان: 75].

* * *

النصوص اللغوية:

قال الجوهري[1]: الدِّرْهَمُ فارسيّ معرّب، وكسر الهاء لغة، وربَّما قالوا دِرْهامٌ. وجمع الدِّرْهَمِ دَراهِمُ، وجمع الدِّرْهامِ دَراهيمُ.

وشيخٌ مُدْرَهِمٌّ، أي مُسِنٌّ. وقد ادْرَهَمَّ ادْرِهْماماً، أي سقطَ من الكِبَر.

قال الفيروزآبادي[2]: الدِّرْهَمُ، كمِنْبَرٍ ومِحْرابٍ وزِبْرِجٍ: الجمع: دَراهِمُ ودَراهيمُ. ورَجُلٌ مُدَرْهَمٌ، بفتحِ الهاءِ: كثيرُها، ولا تَقُلْ: دُرْهِمَ، لكنَّهُ إذا وُجِدَ اسْمُ المَفْعول، فالفِعْلُ حاصِلٌ. ودَرْهَمَتِ الخُبَّازَى: صارَ وَرَقُها كالدَّرَاهِمِ. وشَيْخٌ مُدْرَهِمٌّ، كمُشْمَعِلٍّ: ساقِطٌ كِبَراً. وادْرَهَمَّ بَصَرُهُ: أظْلَمَ، وكَبِرَ سِنُّهُ.

قال الراغب[3]: قال تعالى: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾ [يُوسُف: 20]، الدرهم: الفضة المطبوعة المتعامل بها.

---

(1) الصحاح في اللغة.
(2) القاموس المحيط.
(3) مفردات الراغب.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾ [يُوسُف: 20].

قال الفخر الرازي(1): ﴿دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾ قيل تعد عداً ولا توزن، لأنهم كانوا لا يزنون إلا إذا بلغ أوقية، وهي الأربعون، ويعدون ما دونها فقيل للقليل معدود، لأن الكثيرة يمتنع من عدها لكثرتها، وعن ابن عباس كانت عشرين درهماً، وعن السدي اثنين وعشرين درهماً. قالوا والإخوة كانوا أحد عشر فكل واحد منهم أخذ درهمين إلا يهوذا لم يأخذ شيئاً.

قال الطبري(2): فإنه يعني عَزَّوَجَلَّ أنهم باعوه بدراهم غير موزونة ناقصة غير وافية لزهدهم فيه. وقيل: إنما قيل معدودة ليعلم بذلك أنها كانت أقلّ من الأربعين، لأنهم كانوا في ذلك الزمان لا يزنون ما كان وزنه أقلّ من أربعين درهماً، لأن أقلّ أوزانهم وأصغرها كان الأوقية، وكان وزن الأوقية أربعين درهماً.

وقال آخرون: بل كان عددها اثنين وعشرين درهماً، أخذ كلّ واحد من إخوة يوسف، وهم أحد عشر رجلاً، درهمين درهمين منها.

قال الماوردي(3): ﴿دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾ اختلف في قدرها على ثلاثة أقاويل:

الأول: أنه بيع بعشرين درهماً اقتسموها، وكانوا عشرة، فأخذ كل واحد منهم درهمين.

الثاني: باثنين وعشرين درهماً، كانوا أحد عشر فأخذ كل واحد درهمين.

الثالث: بأربعين درهماً.

---

(1) التفسير الكبير.
(2) جامع البيان.
(3) النكت والعيون.

قال ابن عطية[1]: ﴿دَرَاهِمَ مَعۡدُودَةٖ﴾ عبارة عن قلة الثمن لأنها دراهم لم تبلغ أن توزن لقلتها، وذلك أنهم كانوا لا يزنون ما دون الأوقية، وهي أربعون درهماً، واختلف في مبلغ ثمن يوسف عليه السلام: فقيل باعوه بعشرة دراهم، وقال ابن مسعود: بعشرين، وقال مجاهد: باثنين وعشرين، أخذ منها إخوته درهمين، وقال عكرمة: بأربعين درهماً دفعت ناقصة خفافاً، فهذا كان بخسها.

قال أبو السعود[2]: ﴿دَرَاهِمَ﴾ بدل من ثمن أي لا دنانير.

(1) المحرر الوجيز. (2) إرشاد العقل السليم.

درى

(دَرَى - عَرَفَ - عَلِمَ)

■ **الدِّرَاية:** المعرفة المدركة بضرب من الفطنة ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾ [عَبَسَ: 3].

■ **العرفان:** المعرفة الدقيقة بجزء من الشيء ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ [النحل: 83].

■ **العِلْم:** المعرفة الشاملة بكل أجزاء الشيء ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البَقَرَة: 31].

* * *

النصوص اللغوية:

قال الجوهري[1]: دَرَيْتُهُ ودَرَيْتُ به دَرْياً ودُرْيَةً ودِرْيَةً ودِرايَةً، أي: علمت به.

وأدْرَيْتُهُ، أي: أعلمته. ومُداراةُ الناس تهمز ولا تهمز، وهي المداجاة والملاينة. قال الأصمعي[2]: الدَّرِيَّةُ غير مهموز، وهي دابَّةٌ يستتر بها الصائد، فإذا أمكنَه رَمى. ويقال: تَدَرَّتِ المرأةُ، أي: سرَّحتْ شعرها. وقولهم: إنَّ بني فلان ادَّرَؤْا مكاناً، كأنَّهم اعتمدوه بالغزو والغارة. وتَدَرَّاهُ وادَّراهُ بمعنىً، أي: خَتَله، تَفَعَّلَ وافْتَعَلَ بمعنىً. وقولهم: جابُ المِدْرَى، أي: غليظ القر، يُدَلُّ بذلك على صغر سنِّ الغزال؛ لأنَّ قرنه في أوّل ما يطلع يغلُظ، ثم يَدِقُّ بعد ذلك إذا طال.

---

(1) الصحاح في اللغة. (2) الأضداد.

قال الراغب[1]: الدراية: المعرفة المدركة بضرب من الحيل، يقال: دريته، ودريت به، درية، نحو: فطنة، وشعرة، وادريت.

والدرية: لما يتعلم عليه الطعن، وللناقة التي ينصبها الصائد ليأنس بها الصيد، فيستتر من ورائها فيرميه، والمِدْرَى: لقرن الشاة؛ لكونها دافعة به عن نفسها، وعنه استعير المدرى لما يصلح به الشعر، قال تعالى: ﴿لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾ [الطّلاق: 1].

في القرآن الكريم:

- **قال تعالى**: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ﴾ [الشّورى: 52].

قال الطبري[2]: يقول جلّ ثناؤه لنبيه محمد ﷺ: ما كنت تدري يا محمد أيّ شيء الكتاب ولا الإيمان اللذين أعطيناكهما.

وعن السديّ: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ [الشّورى: 52] يعني محمداً ﷺ.

قال الفخر الرازي[3]: واختلف العلماء في هذه الآية مع الإجماع على أنه لا يجوز أن يقال أن الرسل كانوا قبل الوحي على الكفر، وذكروا في الجواب وجوهاً: الأول: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ﴾ [الشّورى: 52] أي القرآن ﴿وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ أي الصلاة، لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ [البقرة: 143] أي صلاتكم. الثاني: أن يحمل هذا على حذف المضاف، أي ما كنت تدري ما الكتاب ومن أهل الإيمان، يعني من الذي يؤمن، ومن الذي لا يؤمن الثالث. ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان حين كنت طفلاً في المهد. الرابع: الإيمان

---

(1) مفردات الراغب.
(2) جامع البيان.
(3) التفسير الكبير.

عبارة عن الإقرار بجميع ما كلف الله تعالى به، وإنه قبل النبوّة ما كان عارفاً بجميع تكاليف الله تعالى، بل إنه كان عارفاً بالله تعالى، وذلك لا ينافي ما ذكرناه. الخامس: صفات الله تعالى على قسمين: منها ما يمكن معرفته بمحض دلائل العقل، ومنها ما لا يمكن معرفته إلا بالدلائل السمعية، فهذا القسم الثاني لم تكن معرفته حاصلة قبل النبوّة.

● **قال تعالى:** ﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ﴾ [الأنبياء: 111].

قال الزمخشري[1]: وما أدري لعلّ تأخير هذا الموعد امتحان لكم لينظر كيف تعلمون.

قال القرطبي[2]: أي: لعل الإمهال.

قال ابن عطية[3]: وإن أدريَ لعله وإن أدريَ أقريب «بفتح الياء فيهما وأنكر ابن مجاهد فتح هذه الياء ووجهه أبو الفتح، قوله: ﴿لَعَلَّهُ﴾ الضمير فيه عائد على الإملاء لهم وصفح الله تعالى عن عذابهم وتمادي النعمة عليهم، و﴿فِتْنَةٌ﴾ معناه امتحان وابتلاء.

قال أبو السعود[4]: أي ما أدري لعل تأخيرَ جزائِكم استدراجٌ لكم وزيادةٌ في افتتانكم، أو امتحانٌ لكم لينظُرَ كيف تعملون.

● **قال تعالى:** ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر: 2].

قال الزمخشري[5]: يعني: ولم تبلغ درايتك غاية فضلها ومنتهى علوّ قدرها، ثم بين ذلك بأنها خير من ألف شهر، وسبب ارتقاء فضلها إلى هذه الغاية ما يوجد فيها من المصالح الدينية التي ذكرها: من تنزل الملائكة والروح، وفصل كل أمر حكيم.

---

(1) الكشاف.
(2) الجامع لأحكام القرآن.
(3) المحرر الوجيز.
(4) إرشاد العقل السليم.
(5) الكشاف.

قال الطبري[1]: وقوله: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ﴾ يقول: وما أشعرك يا محمد أيّ شيء ليلة القدر، خير من ألف شهر. اختلف أهل التأويل في معنى ذلك، فقال بعضهم: معنى ذلك: العمل في ليلة القدر بما يرضي الله، خير من العمل في غيرها ألفَ شهر.

قال الألوسي[2]: لما فيه من الدلالة على أن علوها خارج عن دائرة دراية الخلق لا يعلم ذلك ولا يعلم به إلا علام الغيوب كما يشعر به.

● **قال تعالى**: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحَآقَّةُ﴾ [الحاقة: 3].

قال الفخر الرازي[3]: وقوله: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ﴾ أيْ: وأيّ شيء أعلمك.

قال ابن عطية[4]: ﴿أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحَآقَّةُ﴾، وفي ﴿أَدۡرَىٰكَ﴾، ضمير عائد على (ما) هو ضمير الفاعل. ثم ذكر تعالى تكذيب ﴿ثَمُودُ وَعَادٌ﴾ [الحَاقَّة: 4] بهذا الأمر الذي هو حق مشيراً إلى أن من كذب بذلك ينزل عليه مثل ما نزل بأولئك.

قال الماوردي[5]: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحَآقَّةُ﴾ قال يحيى بن سلام: بلغني أن كل شيء في القرآن فيه «وما أدراك» فقد أدراه إياه وعلّمه إياه، وكل شيء قال فيه «وما يدريك» فهو ما لم يعلمه إياه. وفيه وجهان:

أحدهما: وما أدراك ما هذا الاسم، لأنه لم يكن في كلامه ولا كلام قومه، قاله الأصم.

الثاني: وما أدراك ما يكون في الحاقة.

● **قال تعالى**: ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ [الشّورى: 17].

قال الطبري[6]: يقول تعالى ذكره: وأيّ شيء يدريك ويعلمك، لعل الساعة التي تقوم فيها القيامة قريب.

---

(1) جامع البيان.
(2) روح المعاني.
(3) التفسير الكبير.
(4) المحرر الوجيز.
(5) النكت والعيون.
(6) جامع البيان.

قال أبو السعود[1]: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾ أيْ: أيُّ شيءٍ يجعلكَ عالماً.

قال الشعراوي[2]: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ [الشّورى: 17] لأنهم سبق أنْ طلبوا من الرسول أن يأتي بها، كما حكى القرآن عنهم: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الأنبياء: 38] طلبوها على وجه الاستهزاء والسخرية والتكذيب بها. والفعل «دَرَى يدري» أتى مرة بصيغة المضارع هنا ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾ [الشورى: 17] وأتى بصيغة الماضي في قوله تعالى: ﴿ٱلْحَاقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَاقَّةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَاقَّةُ ۝٣﴾ [الحاقة: 1-3]. معنى ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ﴾ في الماضي يعني شيء قديم لم تعرفه من زمان، لكن تعرفه الآن. أما ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾ يعني: لا أحدَ يخبرك بها إلا نحن ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأعراف: 187]، أما صيغة المستقبل فلم تأتِ أبداً.

(1) إرشاد العقل السليم.
(2) تفسير الشعراوي.

دَرَأَ

(دَرَأَ - دَفَعَ - صَرَفَ - كَفَّ)

شرح المعاني:

درأ: دفع بسرعة. عندك ولد وأنت جالس فإذا بأفعى تمر على قدمه فتقوم بسرعة متناهية لتدرأ عنه الضرر وقد تغامر بحياتك وتمسك بالأفعى بيدك إنقاذاً له من ضررها. ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: 22] هذه كلمة «يدرؤون» كلمة إعجازية، فأولو الألباب لا ينتظرون زمناً حتى يتقربوا بالحسنات وإنما معنى الآية أنهم بسرعة هائلة يقومون بالحسنة بعد أن يرتكبوا ذنباً، كالغيبة مثلاً كلنا للأسف يغتاب، وعندما نغتاب قد ننتظر يوماً أو أكثر ثم نستغفر وهذا ليس دَرْأً، وإنما الدَّرْأُ هو فعل بعض عباد الله الذين يراقبونه مراقبة شديدة وبلغ حبهم له، بقدر خشيتهم له فبمجرد أنه اغتاب أو أذنب ذنباً يستغفر ويتوب حتى قبل أن تبادر الملائكة إلى تسجيل هذا الذنب، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النِّساء: 17]. فكلما قربت توبتك بسرعة شديدة بعد الذنب فهذا يسمى درأ. قال ﷺ: «**ادرؤوا الحدود بالشبهات**» لشدة حرصه ﷺ على أمته وعلى الإنسانية، ومن شدة خوفه من تشويه جسد الإنسان إذا ارتكب ذنباً من ذنوب الحدود التي تنال من الجسم كالزنا - مثلاً - وحدّه الرجم، والسرقة وحدّها قطع اليد، والقذف وحدّه الرجم؛ فادرؤوا الحدود بالشبهات بسرعة قبل إقامة الحد فإذا جاءك أحد قد أذنب ذنباً من الذنوب التي ينبغي معها أن يشوه جسمه بالحدّ،

فعليك أن تأخذ هذه الجريمة بأية شبهة وبسرعة من حيث إذا كان هناك أي خلل في الجريمة أو باب من أبواب الشك والشبهة، كما فعل ﷺ عندما جاءه رجل فقال أنه زنا فقال له ﷺ: «**ألم تكن تصلي معنا؟**» قال الرجل: بلى، فقال له ﷺ: «**اذهب**». فدرأ عنه الضرر ﷺ من رحمته بأمته. فالدرأ هو السرعة في وقايتك من الضرر ولهذا قال تعالى في الآية: ﴿وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾ [الرّعد: 22] قال: يدرؤون ولم يقل: يستغفرون أو يتوبون علماً أنه قالها في مواضع أخرى ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عِمرَان: 135] وهذا لأن المذكورين في الآية هم شريحة من شرائح عباد الله تعالى الصالحين وهم أولو الألباب، فهؤلاء يُدخِل الله تعالى لهم أزواجهم وأهلهم في درجتهم لأنهم أناس فاضلون من صفاتهم أنهم إذا أذنبوا يُتْبِعُون الحسنة السيئة فيدرؤون بها عن أنفسهم ﴿أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [القصص: 54].

وقوله تعالى: ﴿وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [النُّور: 8] جريمة القذف يجب أن يأتي بأربعة شهود لكن إذا حضر الشهود أو لاعن تُعدم المرأة على الفور، لكن إذا قامت وهي التي لاعنت يدرأ عنها العذاب فوراً بسرعة متناهية ويطلق سراحها فوراً ويحق لها مفارقة زوجها لأنه لا يستحق أن تكون مع رجل يقذفها ويتهمها باطلاً. فإذا لاعنت يجب أن يخرجوها بسرعة باللحظة وترجع إلى بيتها مصونة.

دفع: الدفع يكون بقوةٍ، أما الدرأ فكما ذكرنا يكون بسرعة. وهذا من إعجاز القرآن الكريم. قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البَقَرَة: 251].

صرف: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ ۚ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يُوسُف: 24] قصة يوسف عليه السلام الذي أُوتي شطر الحسن وعاش في بيت العزيز فأُغرمت به امرأة العزيز، فتخيل موقف

يوسف عليه السلام: امرأة حسناء زوجها عقيم وفي بيتها ترعاه منذ كان صبياً ثم أُغرمت به ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ﴾ الصرف أي صرف قلبه 180 درجة، ولم يقل تعالى لندفع عنه السوء وإنما قال لنصرف عنه السوء أي لم يعد في وسع يوسف عليه السلام أن يفكر في هذا الأمر، وهذا الصرف لا يقدر عليه إلا الله تعالى ولهذا جاء بضمير الجمع (لنصرف) وعندما يكون الأمر يقدر عليه عباد الله تعالى يقول (أنا) فَصَرْفُ يوسف عن تلك المرأة في تلك الساعة لا يقدر عليه إلا الله تعالى سبحانه. إذا أردت أن تسافر اليوم مثلاً ثم يأتيك أحدهم يخبرك خبراً يصرفك عن السفر 180 درجة فيصرفك عنه صرفاً نهائياً.

كفّ: عندك عدو بدأ يتهيأ وبدأ يباشر أول خطوات العدوان ويحشد قوة ويتحرك فتأتي قوة تمنعه من ذلك هذا يسمى كفّ كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ هَمَّ قَوۡمٌ أَن يَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ فَكَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [المائدة: 11] ﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةٗ تَأۡخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمۡ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيۡدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمۡ وَلِتَكُونَ ءَايَةٗ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَيَهۡدِيَكُمۡ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا﴾ [الفتح: 20] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي كَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ عَنۡهُم بِبَطۡنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعۡدِ أَنۡ أَظۡفَرَكُمۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا﴾ [الفتح: 24] ما الذي منع كفار قريش من قتال محمد ﷺ؟ وما الذي أطفأ شوكتهم؟

النصوص اللغوية:

قال الجوهري[1]: الدرْء: الدفع. وفي الحديث: «**ادرؤوا الحدود ما استطعتم**». ودرأ علينا فلان يدرأ دروءاً، واندرأ، أي: طلع مفاجأة، ومنه كوكب دِرِّيءٌ على فِعِّيلٍ مثل: سِكِّيرٍ وخِمِّيرٍ؛ لشدة توقده وتلألئه. وقد درأ الكوكب

(1) الصحاح في اللغة.

دُرُوءاً. قال الفراء: والعرب تسمي الكواكبَ العظامَ التي لا تعرف أسماءها: الدراريّ. وتقول: تَدَرَّأَ علينا فلان، أي: تطاول.

وقولهم: السلطان ذو تُدْرَإٍ بضم التاء، أي: ذو عُدَّةٍ وقوةٍ على دفع أعدائه عن نفسه، وهو اسم موضوع للدفع، والتاء زائدة. وتقول: تَدارَأْتُمْ أي: اختلفتم وتدافعتم، وكذلك ادَّارَأْتُمْ. وأصله: تدارأتم فأُدْغِمَتِ التاء في الدال، واجْتُلِبَتِ الألفُ ليصح الابتداء بها.

والمدارأة: المخالفة والمدافعة. يقال: فلان لا يدارئ ولا يمارئ. فأما المداراة في حُسْنِ الخُلُق والمعاشرة. وتقول: جاء السيل دُرْءًا بالضم، أي من بلد بعيد.

والدَّرْءُ بالفتح: العَوَجُ، يقال أقمتُ دَرْءَ فلانٍ، أي: اعوجاجه وشَغْبَهُ.

ومنه قولهم: بئرٌ ذاتُ دَرْءٍ، وهو الحَيْدُ. وطريق ذو دُرُوءٍ على فُعولٍ أي ذو كسور وجِرَفَةٍ. والدَرِيئَةُ: البعير أو غيره، يستتر به الصائد، فإذا أمكنه الرمْيُ رَمى، قال أبو زيد: وهو مهموز لأنها تُدْرَأُ نحو الصيد أي تُدْفَعُ. أبو عبيدة: ادَّرَأْتُ للصيد على افتَعَلْتُ، إذا اتخذت له دريئة. والدريئة أيضاً: حَلْقَةٌ يُتَعَلَّمُ عليها الطعنُ.

قال الراغب(1): الدرء: الميل إلى أحد الجانبين، يقال: قومت دراه ودرأت عنه: دفعت عن جانبه. وفلان ذو تدرئ، أي: قوي على دفع أعدائه. ودارأته: دافعته.

وقوله: ﴿فَٱدَّٰرَٰٔتُمۡ فِيهَاۖ﴾ [البقرة: 72]، هو تفاعلتم، أصله: تدارأتم، فأريد منه الإدغام تخفيفاً، وأبدل من التاء دال فَسُكِّنَ للإدغام فاجتلب لها ألف الوصل فحصل على افّاعلتم.

---

(1) مفردات الراغب.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى:** ﴿وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ [الرعد: 22].

قال الطبري[1]: يقول: ويدفعون إساءة من أساء إليهم من الناس، بالإحسان إليهم. قال ابن زيد في قوله: ﴿وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ يدفعون الشرّ بالخير، لا يكافئون الشرّ بالشرّ ولكن يدفعونه بالخير.

قال الفخر الرازي[2]: ﴿وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ وفيه وجهان: الأول: أنهم إذا أتوا بمعصية درؤها ودفعوها بالتوبة كما روي أن النبي ﷺ قال لمعاذ بن جبل: «إذا عملت سيئة فاعمل بجنبها حسنة تمحها» والثاني: أن المراد أنهم لا يقابلون الشر بالشر بل يقابلون الشر بالخير كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا﴾ [الفُرقان: 72] وعن ابن عمر رضي الله عنهما ليس الوصول من وُصِل ثم وَصَل، تلك المجازاة لكنه من قُطِع ثم وَصَل وعطف على من لم يصله، وليس الحليم من ظلم ثم حلم حتى إذا هيجه قوم اهتاج، لكن الحليم من قدر ثم عفا.

قال أبو السعود[3]: أي يُجازون الإساءةَ بالإحسان أو يُتْبعون الحسنةَ السيئة فتمحوها. عن ابن عباس رضي الله عنهما: يدفعون بالحسن من الكلام ما يرد عليهم من سيىء غيرِهم. وعن الحسن: إذا حُرموا أعطَوا وإذا ظُلموا عفَوا وإذا قُطعوا وصلوا.

● **قال تعالى:** ﴿وَيَدْرَؤُاْ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ﴾ [النور: 8].

قال الماوردي[4]: أي يدفع، وفي هذا العذاب قولان:

أحدهما: أنه الحد، وهو مذهب مالك، والشافعي.

---

(1) جامع البيان.
(2) التفسير الكبير.
(3) إرشاد العقل السليم.
(4) النكت والعيون.

الثاني: أنه الحبس، وهو مذهب أبي حنيفة.

قال الشعراوي[1]: (يَدْرَأ) أي: يبعد العذاب عن الزوجة أن تشهد هي الأخرى أربع شهادات بالله، تقول: أشهد الله أنه كاذب فيما رماني به، وفي الخامسة تقول: غضب الله عليَّ إنْ كان هو من الصادقين. فإن امتنعت الزوجة عن هذه الشهادة فقد ثبت عليها الزنا، وإنْ حلفتْ فقد تعادلا، ولم يَعُدْ كل منهما صالحاً للآخر، وعندها يُفرِّق الشرع بينهما تفريقاً نهائياً لا عودةَ بعده، ولا تحل له أبداً.

قال ابن عاشور[2]: ﴿وَيَدْرَؤُاْ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ﴾ [النور: 8] الآية. وإذ قد كانت أيمان المرأة لرد أيْمان الرجل، وكانت أيمان الرجل بدلاً من الشهادة وسميت شهادة، كانت أيْمان المرأة لردها يناسب أن تسمى شهادة؛ ولأنها كالشهادة المعارضة، ولكونها بمنزلة المعارضة كانت أيْمان المرأة كلها على إبطال دعواه لا على إثبات براءتها أو صدقها. والدرء: الدفع بقوة، واستعير هنا للإبطال. وتقدم عند قوله تعالى: ﴿وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ [الرعد: 22].

● **قال تعالى**: ﴿قُلْ فَٱدْرَءُواْ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [آل عِمرَان: 168].

قال القرطبي[3]: ﴿قُلْ فَٱدْرَءُواْ﴾ أي قل لهم يا محمد: إن صدقتم فادفعوا الموت عن أنفسكم. والدَّرْء الدفعُ. بيّن بهذا أن الحَذَر لا ينفع من القَدَر، وأن المقتولَ يقتل بأجله، وما عَلِم الله وأخبر به كائنٌ لا محالَة. وقيل: مات يومَ قيل هذا سبعون منافقاً. وقال أبو الليث السَّمْرَقَنْدِيّ: سمعت بعض المفسّرين بسَمْرَقَنْد يقول لما نزلت الآية: ﴿قُلْ فَٱدْرَءُواْ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ﴾ مات يومئذ سبعون نفساً من المنافقين.

---

(1) تفسير الشعراوي.
(2) التحرير والتنوير.
(3) الجامع لأحكام القرآن.

قال الخازن[1] : ﴿قُلْ فَٱدْرَءُوا۟﴾ أي: فادفعوا.

● **قال تعالى**: ﴿فَٱدَّٰرَٰٔتُمْ فِيهَا﴾ [البَقَرَة: 72].

قال الفخر الرازي[2] : ﴿فَٱدَّٰرَٰٔتُمْ فِيهَا﴾ ففيه وجوه: أولها: اختلفتم واختصمتم في شأنها لأن المتخاصمين يدرأ بعضهم بعضاً أي يدافعه ويزاحمه. وثانيها: «أدارأتم» ينفي كل واحد منكم القتل عن نفسه ويضيفه إلى غيره. وثالثها: دفع بعضكم بعضاً عن البراءة والتهمة. وجملة القول فيه أن الدرء هو الدفع. فالمتخاصمون إذا تخاصموا فقد دفع كل واحد منهم عن نفسه تلك التهمة، ودفع كل واحد منهم حجة صاحبه عن تلك الفعلة، ودفع كل واحد منهم حجة صاحبه في إسناد تلك التهمة إلى غيره وحجة صاحبه في براءته عنه، قال القفال: والكناية في (فيها) للنفس، أي فاختلفتم في النفس ويحتمل في القتلة لأن قوله: ﴿قَتَلْتُمْ﴾ [البَقَرَة: 72] يدل على المصدر.

قال الزمخشري[3] : ﴿فَٱدَّٰرَٰٔتُمْ﴾ فاختلفتم واختصمتم في شأنها، لأنّ المتخاصمين يدرأ بعضهم بعضاً، أي يدفعه ويزحمه، أو تدافعتم، بمعنى طرح قتلها بعضكم على بعض، فدفع المطروح عليه الطارح، أو لأنّ الطرح في نفسه دفع،

قال الماوردي[4] : ثلاثة أوجه: الأول: أنّ الدَّرْءَ الاعوجاج، يعني اعوجاج الأعادي.

والثاني: وهو المشهور، أن الدرء المدافعة، ومعناه أي: تدافعتم في القتل.

والثالث: معناه اختلفتم وتنازعتم، قاله السدي، وقيل إن هذه الآية وإن كانت متأخرة في التلاوة، فهي متقدمة في الخطاب على قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ﴾ [البَقَرَة: 67] الآية؛ لأنهم أُمِرُوا بذبحها، بعد قتلهم، واختلفوا في قاتله.

---

(1) لباب التأويل.
(2) التفسير الكبير.
(3) الكشاف.
(4) النكت والعيون.

دَسَّ

(دَسَّ - خَفِيَ - بَطَنَ - سَرَّ)

■ **الدَّسُّ:** إخفاء الشيء خفاءً مطلقاً ﴿أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ﴾ [النّحل: 59].

■ **الخَفَاءُ:** استتار البدن أو الصوت ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: 55].

■ **البَاطِنُ:** كل ما لا يرى بالعين المجردة ﴿وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ﴾ [الأنعام: 120].

■ **السِّرُّ:** الخبر المهم «لا يعلنه» ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ [التغابن: 4].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الدال والسين في المضاعف والمطابق أصلٌ واحد يدلُّ على دُخول الشيءِ تحت خفاءٍ وسِرّ. يقال: دَسَسْتُ الشَّيءَ في التُّراب أدُسُّه دَسّاً. قال الله تعالى: ﴿أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ﴾ [النّحل: 59]. والدّسَّاسة: حيَّة صَمَّاء تكون تحت التراب. فأمّا قولهم دُسَّ البَعيرُ ففيه قولان، كلُّ واحدٍ منهما من قياس الباب: فأحدُهما أن يكون به قليل من جَرَب، فإن كان كذا فلأنّ ذلك الجربَ كالشَّيء الخفيف المُنْدَسّ. والقول الآخَر، هو أن يُجعل الهِنَاءُ على

(1) معجم مقاييس اللغة.

مَسَاعِرِ البعير. ومن الباب: الدَّسيس. وقولهم: «العِرْق دَسَّاس»؛ لأنَّه يَنْزِع في خَفَاءٍ ولُطف.

قال ابن منظور[1]: الدَّسُّ: إِدخال الشيء من تحته، دَسَّه يَدُسُّه دَسّاً فانْدَسَّ ودَسَّسَه ودَسَّاه؛ الأَخيرة على البدل كراهية التضعيف. وفي الحديث: اسْتَجِيدوا الخالَ فإِن العِرْقَ دَسَّاسٌ، أَي دَخَّال لأَنه يَنْزِعُ في خَفاءٍ ولُطْفٍ. ودسَّه يَدُسُّه دَسّاً إِذا أَدخله في الشيءِ بقهر وقوَّة.

قال الراغب[2]: الدس: إدخال الشيء في الشيء بضرب من الإكراه. يقال: دسسته فدس وقد دس البعير بالهناء (الهناء: ضرب من القطران). وقيل: ليس الهناء بالدس.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ﴾ [النّحل: 59].

قال الطبري[3]: يقول: يدفنه حيًّا في التراب فيئده. كما: عن ابن جريج: ﴿أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ﴾ [النّحل: 59] يئد ابنته.

قال الفخر الرزاي[4]: ﴿أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ﴾ والدس إخفاء الشيء في الشيء. يروى أن العرب كانوا يحفرون حفيرة ويجعلونها فيها حتى تموت. وروي عن قيس بن عاصم أنه قال: يا رسول الله إني واريت ثماني بنات في الجاهلية فقال ﷺ: «أعتق عن كل واحدة منهن رقبة» فقال: يا نبي الله إني ذو إبل، فقال: «أهد عن كل واحدة منهن هدياً». وروي أن رجلاً قال يا رسول الله: ما أجد

(1) اللسان.
(2) مفردات الراغب.
(3) جامع البيان.
(4) التفسير الكبير.

حلاوة الإسلام منذ أسلمت، فقد كانت لي في الجاهلية ابنة فأمرت امرأتي أن تزينها فأخرجتها إلي فانتهيت بها إلى واد بعيد القعر فألقيتها فيه، فقالت: يا أبت قتلتني، فكلما ذكرت قولها لم ينفعني شيء، فقال ﷺ: «**ما كان في الجاهلية فقد هدمه الإسلام وما كان في الإسلام يهدمه الاستغفار**». واعلم أنهم كانوا مختلفين في قتل البنات، فمنهم من يحفر الحفيرة ويدفنها فيها إلى أن تموت، ومنهم من يرميها من شاهق جبل، ومنهم من يغرقها، ومنهم من يذبحها، وهم كانوا يفعلون ذلك تارة للغيرة والحمية، وتارة خوفاً من الفقر والفاقة ولزوم النفقة.

قال الماوردي[1]: فيه وجهان:

أحدهما: أنها الموءُودة التي تدس في التراب قتلاً لها.

الثاني: أنه محمول على إخفائه عن الناس حتى لا يعرفوه كالمدسوس في التراب لخفائه عن الأبصار، وهو محتمل.

قال أبو السعود[2]: ﴿أَمْ يَدُسُّهُۥ﴾ يُخفيه.

---

(1) النكت والعيون.

(2) إرشاد العقل السليم.

دَسَرَ

(دَسَرَ - حَبْلٌ - وِثَاقٌ - غَلَّ - رِبَاطٌ - طَوْقٌ - سِلْسِلَةٌ)

■ **الدِّسَارُ:** حبل من ليف تشد به ألواح، وجَمْعُه دُسُرٌ ﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ﴾ [القَمَر: 13].

■ **الْحَبْلُ:** معروف مما يربط الشيء الثقيل ويتوصل به إلى الشيء الصعب ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ [طه: 66].

■ **الوِثَاقُ:** بالفتح والكسر: كل ما يوثق به الشيء المطلوب خوف الإفلات ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ﴾ [محمَّد: 4].

■ **الْغُلُّ:** حديد يوضع في عنق السجين لتجمع يديه إلى عنقه ﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ﴾ [غافر: 71].

■ **الرِّبَاطُ:** ربط الشيء المتحرك بشيء ثابت لكي لا ينفلت ﴿لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [القَصَص: 10].

■ **الطَّوْقُ:** ما يجعل في العنق حلقةً كطوق الحمام، وصنعةً كطوق الذهب ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [آل عِمرَان: 180].

■ **السِّلْسِلَة:** حبل من المعدن اللين ﴿ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ﴾ [الحَاقَّة: 32]، ﴿سَلَٰسِلَاْ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا﴾ [الإنسَان: 4].

■ فالسلاسل من معدن لين لليدين والأغلال لليدين من حديد للعنق وتجمع إليه اليدان.

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الدال والسين والراء أصلٌ واحد يدلُّ على الدَّفْع. يقال: دَسَرْتُ الشّيءَ دَسْراً، إذا دفَعتَه دَفْعاً شديداً. وفي الحديث: «**ليس في العَنْبَر زكاةٌ، إنّما هو شيءٌ دسرَه البَحرُ**»، أي: رماهُ ودفع بِه. وفي حديث عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إنّ أخْوَفَ ما أخافُ عليكم أن يُؤخَذ الرّجلُ فيُدْسَر كما تُدسَر الجَزور»، أي: يُدفَع. ومن الباب: دَسَره بالرُّمْح، ورُمْحٌ مِدْسَرٌ.

ويقال للجمل الضّخْم القويّ: دَوْسَريٌّ. ودَوْسَر: كتيبةٌ؛ لأنّها تدفع الأعداء. ومما شذَّ عن الباب وهو صحيحٌ: الدِّسارُ: خَيْطٌ من ليفٍ تُشَدّ به ألواحُ السَّفينة، والجمع دُسُرٌ. قال الله تعالى: ﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ﴾ [القَمَر: 13]. ويقال الدُّسُر: المَسامير.

قال الجوهري[2]: الدِّسَارُ: واحد الدُّسُرِ، وهي خيوطٌ تُشَدُّ بها أَلْواحُ السفينة، ويقال هي المَساميرُ. وقوله تعالى: ﴿عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ﴾ أيضاً. والدَّسْرُ الدَّفْعُ. قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في العَنْبَرِ: إنّما هو شيءٌ يَدْسُرُهُ البَحْر دَسْراً، أي يَدْفَعُه. ودَسَرَه بالرُمْحِ. ورجلٌ مِدْسَرٌ. والدَّوْسَرُ الجَمَلُ الضَخْمُ، والأنثى دَوْسَرَةٌ. وجَمَلٌ دَوْسَريٌّ، كأنه مَنْسُوبٌ إليه، ودَوْسَرانيٌّ أيضاً.

قال الفيروزآبادي[3]: الدَّسْرُ: الطَّعْنُ، والدَّفْعُ، والجِماعُ، وهو مِدْسَرٌ، وإِصلاحُ السفينةِ بالدِّسارِ للمِسْمَارِ، وإدخالُ الدِّسارِ في شيءٍ بقوةٍ. والدِّسارُ: خَيْطٌ من لِيفٍ تُشَدُّ به ألواحُها دُسْرٌ ودُسُرٌ. والدُّسُرُ: السُّفُنُ تَدْسُرُ الماءَ بصُدورِها، الواحِدَةُ: دَسْراءُ. والدَوْسَرُ: الجَمَلُ الضَّخْمُ، وهي: بهاءٍ، ونَبْتٌ اسْمُ حَبِّهِ: الزَّنُّ، وكَتيبةٌ للنُّعْمانِ بنِ المُنْذِرِ، والأَسَدُ الصُّلْبُ، والشيءُ القديمُ، والزُّوانُ في الحِنْطَةِ، وفرسٌ، والذَّكَرُ الضَّخْمُ، وبهاءٍ: المَمْضَغَةُ.

---

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) الصحاح في اللغة.
(3) القاموس المحيط.

والدُّواسِرُ، كعُلابِطٍ: الشديدُ الضَّخْمُ، كالدَّوْسَرِ والدَّوْسَرِيِّ والدَّوْسَرانِيِّ. وناقَةٌ داسِرَةٌ: سريعةٌ.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى:** ﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ﴾ [القَمَر: 13].

قال الطبري(1): يقول تعالى ذكره: وحملنا نوحاً إذ التقى الماء على أمر قد قُدر، على سفينة ذات ألواح ودُسُر. والدسر: جمع دسار، وقد يقال في واحدها: دسير، كما يقال: حَبِيك وحِباك، والدِّسار: المسمار الذي تشدّ به السفينة، يقال منه: دسرت السفينة إذا شددتها بمسامير أو غيرها.

وقد اختلف أهل التأويل في ذلك، فقال بعضهم في ذلك بنحو الذي قلنا فيه.

عن أبي صخر، عن القُرَظي، وسُئل عن هذه الآية ﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ﴾ قال: الدُّسُر: المسامير. عن قتادة، قوله: ﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ﴾ حدثنا أن دُسُرَها: مساميرها التي شُدَّت بها.

قال الفخر الرازي(2): أي سفينة، حذف الموصوف وأقام الصفة مقامه، إشارة إلى أنها كانت من ألواح مركبة موثقة بدثر، وكان انفكاكها في غاية السهولة، ولم يقع فهو بفضل الله، والدسر المسامير.

قال الزمخشري(3): ﴿عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ﴾ أراد السفينة، وهي من الصفات التي تقوم مقام الموصوفات فتنوب منابها وتؤدي مؤداها، بحيث لا يفصل بينها وبينها.

قال ابن عجيبة(4): ﴿وَدُسُرٍ﴾ ومسامير، جمع: دسار، وهو المسمار، فِعال مِن: دسره: إذا دفعه؛ لأنه يدسَر به مَنفذه.

---

(1) جامع البيان.
(2) التفسير الكبير.
(3) الكشاف.
(4) البحر المديد.

دَسَّى
(دَسَّى - خَبُثَ - رِجْزٌ - رِجْسٌ - نَجِسٌ)

- **الدَّسْوُ:** نقيض التزكية ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشّمس: 10].
- **الْخُبْثُ:** المحظور والفاسد الذي لا يوافق النفس فتنفر منه ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ [الأنبياء: 74].
- **الرِّجْزُ:** المحظور الذي يؤدي إلى الاضطراب النفسي والعقلي والوسواس ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [الأنفال: 11].
- **الرِّجْسُ:** المحظور المستقذر الذي يؤدي إلى الاضمحلال ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [المائدة: 90].
- **النَّجَسُ:** المحظور الذي ينقض الطهارة والنظافة المادية والمعنوية ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ﴾ [التوبة: 28].

* * *

النصوص اللغوية:

قال الليث[1]: دَسا فلان يَدْسُو دَسْوَةً، وهو نقيض زَكا يَزْكُو زَكَاةً، وهو داسٍ لا زاكٍ، ودَسَّى نَفْسَه. قال: ودَسَى يَدْسَى لغة، ويَدْسُو أَصوب.

واعتبر الليث ما قاله في دَسَّى من قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ

(1) الليث.

خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس: 9-10]؛ أَي: أَخفاها، وقد تقدم قولنا إِنَّ دَسّاها في الأَصل دَسَّسَها، وإِن السينات توالت فقلبت إحداهن ياءً، وأَما دَسَّى غيرَ مُحَوَّل عن المضعف من باب الدَّسِّ فلا أَعرفه ولا أَسمعه، والمعنى خاب من دَسَّى نفسَه أَي أَخْمَلها وأَخَسَّ حَظِّها، وقيل خابت نفسٌ: دَسّاها الله عَزَّوَجَلَّ .

قال الفيروزآبادي[1]: دَسَى، كسَعَى: ضِدُّ زَكا. ودَسَّاهُ تَدْسِيَةً: أغْواهُ، وأفْسَدَهُ، ودسى عنه حَديثاً: احْتَمَلَهُ.

قال الراغب[2]: قال تعالى: ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشّمس: 10]، أي: دسَّسَهَا في المعاصي، فأبدل من إحدى السينات ياء، نحو: تظنيت، وأصله تظننت.

قال الزمخشري[3]: دسّى نفسه: نقيض زكّاها، أصله دسس كتقضّى البازي.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشّمس: 10].

قال الفخر الرازي[4]: فقالوا: ﴿دَسَّىٰهَا﴾ أصله دسسها من التدسيس، وهو إخفاء الشيء في الشيء، فأبدلت إحدى السينات ياء، فأصل دسى دسس، كما أن أصل تقضى البازي تقضض البازي، وكما قالوا: ألبيت والأصل لببت، وملبي والأصل ملبب، ثم نقول: أما المعتزلة فذكروا وجوهاً توافق قولهم: أولها: أن أهل الصلاح يظهرون أنفسهم، وأهل الفسق يخفون أنفسهم ويدسونها في المواضع الخفية، كما أن أجواد العرب ينزلون الرُّبا حتى تشتهر أماكنهم ويقصدهم المحتاجون، ويوقدون النيران بالليل للطارقين. وأما اللئام فإنهم يخفون أماكنهم

(1) القاموس المحيط.
(2) مفردات الراغب.
(3) أساس البلاغة.
(4) التفسير الكبير.

عن الطالبين. وثانيها: ﴿خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ أي دس نفسه في جملة الصالحين وليس منهم. وثالثها: ﴿مَن دَسَّىٰهَا﴾ في المعاصي حتى انغمس فيها. ورابعها: ﴿مَن دَسَّىٰهَا﴾ من دس في نفسه الفجور، وذلك بسبب مواظبته عليها ومجالسته مع أهلها. وخامسها: أن من أعرض عن الطاعات واشتغل بالمعاصي صار خاملاً متروكاً منسياً، فصار كالشيء المدسوس في الاختفاء والخمول. وأما أصحابنا فقالوا: المعنى خابت وخسرت نفس أضلها الله تعالى وأغواها وأفجرها وأبطلها وأهلكها، هذه ألفاظهم في تفسير ﴿دَسَّىٰهَا﴾. قال الواحدي رحمه الله: فكأنه سبحانه أقسم بأشرف مخلوقاته على فلاح من طُهَّرَه وخسارة من خَذَلَه حتى لا يظن أحد أنه هو الذي يتولى تطهير نفسه أو إهلاكها بالمعصية من غير قدر متقدم وقضاء سابق.

قال البيضاويّ[1]: ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ نقصها وأخفاها بالجهالة والفسوق، وأصل دسى دسس كتقضي وتقضض.

قال الماوردي[2]: ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ فيه وجهان:

أحدهما: على ما قضى وقد خاب من دسّى الله نفسه.

الثاني: من دسّى نفسه.

وفي «دسّاها» سبعة تأويلات:

الأول: أغواها وأضلها، لأنه دسّى نفسه في المعاصي.

الثاني: إثمها وفجورها.

الثالث: خسرها.

الرابع: كذبها.

الخامس: أشقاها.

السادس: جنبها الخير.

السابع: أخفاها وأخملها بالبخل.

---

(1) أنوار التنزيل.
(2) النكت والعيون.

دَعَّ

(دَعَّ - زَجرَ - هَزَّ)

■ **الدَّعُّ:** الطرد بالدفع العنيف من الصدر ﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ﴾ [المَاعون: 2].

■ **الزَّجْرُ:** الطرد بالصوت ﴿وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ﴾ [القَمَر: 9].

■ **الهَزُّ:** الطرد بالحركات العنيفة غير الموزونة ﴿فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا﴾ [النَّمل: 10].

❊ ❊ ❊

النصوص اللغوية:

قال ابن دريد[1]: دَعَّه: دَفَعَه دَفْعاً عنيفاً. وفي التنزيل: ﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ﴾ [الماعون: 2]؛ أي يَعْنُفُ به عُنْفاً دَفْعاً وانْتِهاراً، وفيه: ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾ [الطور: 13]؛ وفي الحديث: «اللهم دُعَّها إلى النار دَعًّا».

قال الراغب[2]: الدَّعُّ: الدفع الشديد، وأصله أن يقال للعاثر: دع دع، كما يقال له: لعا، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾ [الطُّور: 13]، وقوله: ﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ﴾ [المَاعون: 2]. قال الشاعر:

دع الوصي في قفا يتيمه

(1) الجمهرة.

(2) مفردات الراغب.

قال الجوهري[1]: دَعَعْتُهُ أَدُعُّهُ دَعّاً، أي: دفعته.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾ [الطُّور: 13].

قال الزمخشري[2]: ﴿دَعًّا﴾ مدعوعين، يقال لهم: هذه النار.

قال أبو السعود[3]: أيْ يدفعونَ إليَها دفعاً عنيفاً شديداً بأَنْ تغلَّ أيديهمْ إلى أعناقِهم وتجمعَ نواصيهِم إلى أقدامِهم فيدُفعُوا إلى النارِ، وَقُرِىءَ يُدْعَوْنَ منَ الدُّعاءِ فيكونُ دعًّا حالاً بمَعْنى مدعوعينَ.

قال القاسمي[4]: أي: يُدفعون إليها بعنف. يقال: دعَعْت في قفاه، إذا دفعته فيه بإزعاج.

● قال تعالى: ﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ﴾ [المَاعون: 2].

قال الطبري[5]: يقول: فهذا الذي يكذّب بالدين، هو الذي يدفع اليتيم عن حقه ويظلمه. يقال منه: دَعَعْت فلاناً عن حقه، فأنا أدعُّه دعًّا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك: عن ابن عباس، ﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ﴾ قال: يدفع حق اليتيم. عن مجاهد، في قول الله: ﴿يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ﴾ قال: يدفع اليتيم فلا يُطعمه.

قال البغوي[6]: ﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ﴾، يقهره ويدفعه عن حقه، والدعُّ: الدفع بالعنف والجفوة.

---

(1) الصحاح في اللغة.
(2) الكشاف.
(3) إرشاد العقل السليم.
(4) محاسن التأويل.
(5) جامع البيان.
(6) معالم التنزيل.

قال الفخر الرازي[1]: ﴿يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ﴾ فالمعنى أنه يدفعه بعنف وجفوة كقوله: ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾ [الطُّور: 13] وحاصل الأمر في دع اليتيم أمور: الأول: دفعه عن حقه وماله بالظلم. والثاني: ترك المواساة معه، وإن لم تكن المواساة واجبة. وقد يذم المرء بترك النوافل لاسيما إذا أسند إلى النفاق وعدم الدين. والثالث: يزجره ويضربه ويستخف به، وقرىء (يَدَعُ) أي يتركه، ولا يدعوه بدعوة، أي يدعوا جميع الأجانب ويترك اليتيم مع أنه عليه الصلاة والسلام قال: «ما من مائدة أعظم من مائدة عليها يتيم». وقرىء يدعو اليتيم، أي يدعوه رياء ثم لا يطعمه وإنما يدعوه استخداماً أو قهراً أو استطالة.

قال العزّ بن عبد السلام[2]: ﴿يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ﴾ يحقره أو يظلمه أو يدفعه دفعاً شديداً عن حقه وماله ظلماً وطمعاً فيه أو إبعاداً له وزجراً.

(1) التفسير الكبير.
(2) التفسير العظيم.

دَعَا

(دَعَا - بَهل - ضَرع - اسْتَغَاثَ - طَلَبَ)

■ **الدُّعاء:** طلب الحوائج من الله عز وجل: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ﴾ [غافر: 60].

■ **الابتِهَالُ:** الاجتهاد والمبالغة في الدعاء من ظُلْمِ ظَالِمٍ ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [آل عِمرَان: 61].

■ **الاسْتِغَاثَةُ:** عندما تكون في خطر محدق ﴿وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ﴾ [الأحقاف: 17].

■ **التَّضَرُّعُ:** عندما تطلب العفو عن إساءة بالغة ﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟﴾ [الأنعام: 43].

■ **الطَّلَبُ:** الفحص عن وجود الشيء، عيناً كان أو معنى ﴿أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا﴾ [الكهف: 41].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الدال والعين والحرف المعتل أصلٌ واحد، وهو أن تميل الشَّيءَ إليك بصوتٍ وكلامٍ يكون منك. تقول: دعوت أدعُو دعاءً. وَالدَّعوة إلى الطَّعام بالفتح، والدِّعوة في النَّسب بالكسر. قال أبو عبيدة: يقال في النَّسب

(1) معجم مقاييس اللغة.

دِعوة، وفي الطعام دَعوة. هذا أكثرُ كلام العرب إلاّ عَدِيَّ الرِّباب، فإنّهم ينصبون الدّالَ في النّسب ويكسرونها في الطَّعام.

والادِّعاء في الحرب: الاعتِزاء، وهو أنْ تقول: أنا ابنُ فُلاَنٍ. قال: وداعِية اللَّبن: ما يُترَك في الضَّرع ليدعُوَ ما بعدَه. وهذا تمثيلٌ وتشبيه. وفي الحديث أنّه قال للحالِب: «دَعْ داعِيَةَ اللَّبن». ثمّ يُحمل على الباب ما يُضاهِيه في القياس الذي ذكرناه، فيقولون: دَعَا الله فلاناً بما يَكرَهُ؛ أي: أنزل به ذلك، قال: لأنَّه إذا فَعَل ذلك بها فقد أماله إليها. وتداعَت الحِيطان، وذلك إذا سقط واحدٌ وآخَرُ بَعده، فكأنَّ الأوَّل دعا الثاني. وربَّما قالوا: داعَيْناهَا عليهم، إذا هدمْناها واحداً بعد آخَر. ودَوَاعِي الدَّهر: صُروفه، كأنّها تُميل الحوادث. ولبني فُلانٍ أُدْعِيَّةٌ يتداعَوْن بها، وهي مثل الأغلوطة، كأنّه يدعو المسؤول إلى إخراج ما يعمِّيه عليه.

قال الخليل[1]: الادِّعاء أن تدَّعِيَ حقّاً لك أو لغيرك، تقول ادَّعَى حقّاً أو باطلاً.

قال الجوهري[2]: الدَّعْوَةُ إلى الطعام بالفتح. يقال: كنا في دَعْوَةِ فلان ومَدْعاةِ فلان، وهو في الأصل مصدرٌ، يريدون الدُّعَاءَ إلى الطعام. والدِّعْوَةُ بالكسر في النسب، يقال: فلان دَعيٌّ بيّن الدِّعْوَةِ والدَّعْوى في النسب. والدَّعِيُّ أيضاً: من تَبَنَّيْتَهُ.

قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ﴾ [الأحزاب: 4]. وادَّعيتُ على فلانٍ كذا. والاسم الدَّعْوى. والادِّعاءُ في الحرب: الاعتزاز، وهو أن يقول: أنا فلان ابن فلان. وتَداعَتِ الحِيطانُ للخراب، أي: تهادمتْ. والأُدْعِيَّةُ مثل الأُحْجِيةِ. والمُداعاةُ: المُحاجاةُ. يقال: بينهم أُدْعِيَّة يَتَداعَوْنَ بها. وهي مثل الأغلوطات. حتَّى الألغاز من الشعر أُدْعِيَّةٌ. ودَعَوْتُ فلاناً، أي: صِحْتُ به واسْتَدْعَيْتُهُ، ودَعَوْتُ الله له وعليه دُعاءً. والدَّعْوَةُ المرَّةُ الواحدة. والدُّعاءُ: واحد الأدْعِيَةِ، وأصله

(1) العين.
(2) الصحاح في اللغة.

دُعاوٌ. وداعِيَة اللبن: ما يترك في الضرع ليَدْعُوَ ما بعده. وفي الحديث: «**دَعْ داعِيَ اللبن**». ودَواعي الدهر: صروفه. وقولهم: ما بالدار دُعْويٌّ بالضم، أي أحد. قال الكسائي: هو من دَعَوْتُ، أي ليس فيها من يَدْعُو - لا يتكلّم به إلا مع الجحد - قال الأخفش: سمعتُ من العرب من يقول: لو دَعَوْنا لاندَعَينا، أي: لأجبنا؛ كما تقول: لو بعثونا لانبعثنا.

المعنى المشترك لكلمة (د ع ا)

وقد وردت كلمة (دعا) في القرآن الكريم على سبعة أوجه:

الوجه الأول: الدعاء يعني القول ﴿فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ﴾ [الأعراف: 5].

الوجه الثاني: الدعاء بمعنى العبادة ﴿قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا﴾ [الأنعام: 71].

الوجه الثالث: الدعاء يعني النداء ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ﴾ [القَمَر: 10].

الوجه الرابع: الدعاء بمعنى الاستغاثة ﴿وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [يُونس: 38].

الوجه الخامس: الدعاء بمعنى الاستفهام (والمناداة له) ﴿قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ﴾ [البَقَرَة: 68].

الوجه السادس: ادع ربك، بمعنى: سَلْ ربك ﴿ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾ [الأعرَاف: 134].

الوجه السابع: الدعاء يعني العذاب ﴿كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُواْ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾﴾ [المعارج: 15-17].

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً﴾ [البقرة: 171].

قال الفخر الرازي(1): ﴿إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً﴾ لا يساعد عليه لأن الأصنام لا تسمع شيئاً. الثالث: قال ابن زيد: مثل الذين كفروا في دعائهم آلهتهم كمثل الناعق في دعائه عند الجبل، فإنه لا يسمع إلا صدى صوته، فإذا قال: يا زيد يسمع من الصدى «يا زيد»؛ فكذلك هؤلاء الكفار إذا دعو هذه الأوثان لا يسمعون إلا ما تلفظوا به من الدعاء والنداء.

قال أبو السعود(2): ﴿إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً﴾ فإن الأصنام بمعزلٍ من ذلك، وقد عرفتَ أن حسنَ التمثيل فيما تشابه أفرادُ الطرفين.

قال ابن عاشور(3): ﴿إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً﴾ من تكملة أوصاف بعض أجزاء المركب التمثيلي في جانب المشبه به، وذلك صالح لأن يكون مجرد إتمام للتشبيه إن كان المراد تشبيه المشركين بقلة الإدراك، ولأَنْ يكون احتراساً في التشبيه إن كان المراد تشبيه الأصنام حين يدعوها المشركون بالغنم حين ينعق بها رُعاتها فهي لا تسمع إلّا دُعاء ونداء، ومعلوم أن الأصنام لا تسمع لا دعاء ولا نداء، فيكون حينئذٍ مثل قوله تعالى: ﴿فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البَقَرَة: 74] ثم قال: ﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾ [البَقَرَة: 74].

● **قال تعالى**: ﴿قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ [البَقَرَة: 68].

قال الشعراوي(4): وكان سؤالهم يبين نقص درجة الإيمان عندهم، لم يقولوا

(1) التفسير الكبير.
(2) إرشاد العقل السليم.
(3) التحرير والتنوير.
(4) تفسير الشعراوي.

ادع لنا ربنا، بل قالوا ادع لنا ربك، وكأنه رب موسى وحده. ولقد تكررت هذه الطريقة في كلام بني إسرائيل عدة مرات، حتى إنهم قالوا كما يروي لنا القرآن الكريم: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ﴾ [المَائدة: 24].

ولقد استمر الحوار بينهم وبين موسى فترة طويلة، يوجهون السؤال لموسى فيدعو الله فيأتيه الجواب من الله تبارك وتعالى، فبدلاً من أن ينفذوا الأمر وتنتهي المسألة يوجهون سؤالاً آخر.

فيدعو موسى ربه فيأتيه الجواب، ويؤدي الجواب إلى سؤال في غير محله منهم، ثم يقطع الحق سبحانه وتعالى عليهم أسباب الجدل بأن يعطيهم أوصافاً لبقرة لا تنطبق إلا على بقرة واحدة فقط، فكأنهم شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم.

نأتي إلى أسئلة بني إسرائيل، يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَۚ﴾ [البَقَرَة: 68] سؤال لا معنى له ولا محل، لأن الله تبارك وتعالى قال لهم إنها بقرة ولم يقل - مثلاً - إنها حيوان على إطلاقه فلم يكن هناك محل للسؤال.

● **قال تعالى:** ﴿وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًاۚ﴾ [الأعرَاف: 56].

قال الألوسي(1): أي ذوي خوف من الرد لقصوركم عن أهلية الإجابة وطمع في إجابته تفضلاً منه، وقيل خوفاً من عقابه وطمعاً في جزيل ثوابه. وقال ابن جريج: المعنى خوف العدل وطمع الفضل. وعن عطاء خوفاً من الميزان وطمعاً في الجنان. وأصل الخوف انزعاج القلب لعدم أمن الضرر، وقيل: توقع مكروه يحصل فيما بعد، والطمع توقع محبوب يحصل له، ونصبهما على الحالية كما أشير إليه، وَجَوَّز أن يكون على المفعولية لأجله. قيل: ولما كان الدعاء من الله تعالى بمكان كرره وقيده أولاً بالأوصاف الظاهرة وآخراً بالأوصاف الباطنة.

---

(1) روح المعاني.

وقيل: الأمر السابق من قبيل بيان شرط الدعاء والثاني من قبيل بيان فائدته. وقيل: لا تكرار، فما تقدم أَمْرٌ بالدعاء بمعنى السؤال وهذا أَمْرٌ بالدعاء بمعنى العبادة، والمعنى اعبدوه جامعين في أنفسكم الخوف والرجاء في عبادتكم القلبية والقالبية وهو كما ترى، ومن الناس من أبقى الدعاء على المعنى الظاهر وعمم في متعلق الخوف والطمع، والمعنى عنده ادعوه وأنتم جامعون في أنفسكم الخوف والرجاء في أعمالكم كلها، وليس بشيء، والمختار عند جلة المفسرين ما تقدم.

قال الفخر الرازي[1]: ﴿وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ والمعطوف ينبغي أن يكون مغايراً للمعطوف عليه. والقول الثاني هو الأظهر، لأن الدعاء مغاير للعبادة في المعنى.

إذا عرفت هذا فنقول: اختلف الناس في الدعاء، فمنهم من أنكره واحتج على صحة قوله بأشياء: الأول: أن المطلوب بالدعاء إن كان معلوم الوقوع كان واجب الوقوع لامتناع وقوع التغيير في علم الله تعالى، وما كان واجب الوقوع لم يكن في طلبه فائدة، وإن كان معلوم اللاوقوع كان ممتنع الوقوع فلا فائدة أيضاً في طلبه. الثاني: أنه تعالى إن كان قد أراد في الأزل إحداث ذلك المطلوب، فهو حاصل سواء حصل هذا الدعاء أو لم يحصل، وإن كان قد أراد في الأزل أن لا يعطيه فهو ممتنع الوقوع فلا فائدة في الطلب، وإن قلنا أنه ما أراد في الأزل إحداث ذلك الشيء، لا وجوده ولا عدمه، ثم إنه عند ذلك الدعاء، صار مريداً له لزم وقوع التغير في ذات الله وفي صفاته، وهو محال؛ لأن على هذا التقدير: يصير إقدام العبد على الدعاء علة لحدوث صفة في ذات الله تعالى، فيكون العبد متصرفاً في صفة الله بالتبديل والتغيير، وهو محال. والثالث: أن المطلوب بالدعاء إن اقتضت الحكمة والمصلحة إعطاءه، فهو تعالى يعطيه من غير هذا الدعاء لأنه منزه عن أن يكون بخيلاً، وإن اقتضت الحكمة منعه، فهو لا يعطيه سواء أقدم العبد على الدعاء لم يقدم عليه. والرابع: أن الدعاء غير الأمر، ولا تفاوت بين البابين إلا

(1) التفسير الكبير.

كون الداعي أقل رتبة، وكون الآمر أعلى رتبة وإقدام العبد على أمر الله سوء أدب، وإنه لا يجوز. الخامس: الدعاء يشبه ما إذا أقدم العبد على إرشاد ربه وإلهه إلى فعل الأصلح والأصوب، وذلك سوء أدب أو أنه ينبه الإلٰه على شيء ما كان منتبهاً له، وذلك كفر، وأنه تعالى قصر في الإحسان والفضل فأنت بهذا تحمله على الإقدام على الإحسان والفضل، وذلك جهل. السادس: إن الإقدام على الدعاء يدل على كونه غير راض بالقضاء، إذ لو رضي بما قضاه الله عليه لترك تصرف نفسه، ولما طلب من الله شيئاً على التعيين، وتَرْكُ الرضا بالقضاء أَمْرٌ من المنكرات.

● **قال تعالى:** ﴿لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ [الفرقان: 14].

قال أبو السعود[1]: ﴿وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ أي بحسب كثرة الدُّعاء المتعلِّق به لا بحسب كثرتِه في نفسِه فإنَّ ما يدعونَه ثبورٌ واحدٌ في حدِّ ذاته لكنه كلَّما تعلَّق به دعاءٌ من تلك الأدعية الكثيرةِ صارَ كأنَّه ثبورٌ مغايرٌ لما تعلَّق به دعاءٌ آخرُ منها وتحقيقُه: لا تدعُوه دُعاءً واحداً وادعُوه أدعيةً كثيرةً فإنَّ ما أنتُم فيه من العذابِ لغايةِ شدَّتِه وطولِ مُدَّتِه مستوجبٌ لتكرير الدُّعاءِ في كلِّ آنٍ. وهذا أدلُّ على فظاعة العذابِ وهوله جعل تعدد الدُّعاءِ وتجدده لتعدد العذاب بتعدد أنواعه وألوانِه أو لتعدُّدِه بتجدُّدِ الجلودِ كما لا يَخْفى.

قال ابن عاشور[2]: والدعاء: النداء بأعلى الصوت.

قال الألوسي[3]: لا تدعوه دعاء واحداً وادعوه أدعية كثيرة، فإن ما أنتم فيه من العذاب لغاية شدته وطول مدته مستوجب لتكرير الدعاء في كل آن، ثم قال: وهذا أدل على فظاعة العذاب وهوله من جعل تعدد الدعاء وتجدده لتعدد العذاب

(1) إرشاد العقل السليم.
(2) التحرير والتنوير.
(3) روح المعاني.

بتعدد أنواعه وألوانه أو لتعدده بتجدد الجلود كما لا يخفى، وأما ما قيل من أن المعنى أنكم وقعتم فيما ليس ثبوركم فيه واحداً إنما هو ثبور كثير إما لأن العذاب أنواع وألوان، كل نوع منها ثبور لشدته وفظاعته أو لأنهم كلما نضجت جلودهم بدلوا جلوداً غيرها فلا غاية لهلاكهم فلا يلائم المقام كيف وهم إنما يدعون هلاكاً ينهي عذابهم وينجيهم منه فلا بد أن يكون الجواب إقناطاً لهم عن ذلك ببيان استحالته ودوام ما يوجب استدعاءه من العذاب الشديد، انتهى.

● **قال تعالى:** ﴿وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدۡعُونَنِي لِأَكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشۡرِكَ بِهِۦ﴾ [غافر: 41-42].

قال الفخر الرازي(1): والمراد أن الأوثان التي تدعونني إلى عبادتها ليس لها دعوة في الدنيا ولا في الآخرة، وفي تفسير هذه الدعوة احتمالان:

الأول: أن المعنى ما تدعونني إلى عبادته ليس له دعوة إلى نفسه لأنه جمادات والجمادات لا تدعو أحداً إلى عبادة نفسها، وقوله: ﴿فِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ يعني أنه تعالى إذا قلبها حيواناً في الآخرة فإنها تتبرأ من هؤلاء العابدين.

والاحتمال الثاني: أن يكون قوله: ﴿لَيۡسَ لَهُۥ دَعۡوَةٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَلَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ معناه ليس له استجابة دعوة في الدنيا ولا في الآخرة، فسميت استجابة الدعوة بالدعوة إطلاقاً لاسم أحد المتضايفين على الآخر، كقوله: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾ [الشورى: 40].

قال الماوردي(2): ﴿أَنَّمَا تَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ﴾ [غافر: 43] أي من عبادة ما تعبدون من دون الله. ﴿لَيۡسَ لَهُۥ دَعۡوَةٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَلَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

الأول: لا يستجيب لأحد في الدنيا ولا في الآخرة.

الثاني: لا ينفع ولا يضر في الدنيا ولا في الآخرة.

---

(1) التفسير الكبير. (2) النكت والعيون.

الثالث: ليس له شفاعة في الدنيا ولا في الآخرة.

● **قال تعالى:** ﴿فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ﴾ [الأعراف: 5].

قال أبو السعود[1]: ﴿فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ﴾ أي دعاؤهم واستغاثتُهم ربَّهم أو ما كانوا يدّعونه من دينهم وينتحِلونه من مذهبهم.

قال الشعراوي[2]: بهذا القول اتضحت المسألة، ومن قوله ﴿دَعْوَىٰهُمْ﴾ نفهم أن المسألة ادعاء. ونحن نقول: فلان ادّعى دعوى على فلان، فإما أن يقيم بينة ليثبت دعواه، وإما ألّا يقيم. والدعوى تطلق أيضاً على الدعاء ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [يونس: 10].

(1) إرشاد العقل السليم.

(2) تفسير الشعراوي.

دَفَعَ

(دَفَعَ - دَحَضَ - هَزَمَ - دَحَرَ - دَخَرَ - أَجْلَى - طَرَدَ - شَرَّدَ - قَهَرَ - أَثْخَنَ)

شرح المعاني:

الدَّفْعُ: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البَقَرَة: 251] أن لا تسمح للعدو بالتقدم وأن تجبر العدو بأن يبقى مكانه ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُواْۖ قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ [آل عِمرَان: 167] مرحلة الصمود في المعركة بحيث لا يستطيع التقدم. ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ۝٧ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ۝٨﴾ [الطور: 7-8] يتقدم على المجرم حتى يسحقه. ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحَجّ: 40] ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝١ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ۝٢﴾ [المعارج: 1-2].

الدحض: أول الهزائم في المعارك هي هزيمة أحد الجانبين في المفاوضات. وهذا ما يحصل الآن من الجهد الذي يسبق المعركة في إطلاق النار من مفاوضات، يسمى إذا انهزم أحد الجانبين دحضاً. قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ [الشّورى: 16] هذه ليست هزيمة عسكرية وإنما هزيمة سياسية كأن تخسر

المفاوضات وتفشل في إقناع العدو. ﴿وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّۖ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوٗا﴾ [الكهف: 56].

الهزم: إذا قامت الحرب الحقيقية وتقابل الجيشان واستطاع أحدهما أن يجعل الآخر يخسر المعركة وهو في مكانه فقد هزمه. الهزم هو تحطيم العدو في مكان المعركة. مثل هزيمة منتخب لكرة القدم تسمى هزيمة لأن الفريقين ما زالوا في الميدان لكنهم منهزمون. وأول مراحل منظومة الهزيمة تخسر المعركة وأنت في ميدانها الجغرافي ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: 251] هم لا يزالون في المعركة لكنهم خسروا الحرب. ﴿سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ [القمر: 45].

الدَّحْرُ: بعد الهزيمة يندحر العدو ﴿قَالَ ٱخۡرُجۡ مِنۡهَا مَذۡءُومٗا مَّدۡحُورٗاۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ [الأعراف: 18] فالدحر يكون بعد خسران المعركة، تدفعه بقوة وعنف لخارج ميدان المعركة، والدحر لا يكون إلا عندما تطارد العدو وقد أخرجته من ميدان المعركة.

الدخر: ﴿وَيَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ وَكُلٌّ أَتَوۡهُ دَٰخِرِينَ﴾ [النمل: 87] ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: 60] الدخر قد يكون بإذلال أو بغيره. فإذا أذللت العدو وأنت تطارده يسمى دخراً. إذن: دحض بالمفاوضات. هزم بالمعركة. دحر خارج أرض المعركة. ودخر بإذلال.

أَجْلَـى: ﴿وَلَوۡلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ﴾ [الحشر: 3] عندما يخسر أحد الفريقين المتحاربين المعركة وينهزم تحصل مفاوضات آنية سريعة، إما أن يتوغل في بلادهم أو يجلبهم من ديارهم كما فعل

الرسول عليه الصلاة والسلام مع اليهود عندما أجلاهم من المدينة. فالجلاء هو اتفاق الطرفين أن يترك الطرف المنهزم في المعركة ديارَه ويكون ذلك باحترام.

الطَّرْدُ: إذا تم الجلاء بمهانة يسمى طرداً ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام: 52].

التشريد: ذلك الطرد إذا تم بتعذيب وتنكيل ليخاف الآخرون فيهربوا يسمى تشريداً ﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأنفال: 57] هؤلاء هربوا من تلقاء أنفسهم خوفاً مما سمعوا أنه حلّ بغيرهم. فالطرد مباشر والشرود عن خوف ورعب مما حصل أو مما سمعت أنه حصل.

القهر: بعد أن هزم العدو ودحرته ودخرته استوليت على إرادته استيلاء كاملاً، وهو ما نسميه اليوم بالاستعمار يسمى قهراً، لا تزيد أن تكون عبداً من عبيده يأمرك فتطيع ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: 18]﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ [الضحى: 9]﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ﴾ [الأعراف: 127].

أثخن: بالجراح ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ﴾ [محمَّد: 4].

أسباب الهزيمة:

1 - الإشـــاعـــات ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب: 60].

2 - الاغترار بالقوة التي ليس وراءها أي قيم أو شرعية ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ [التّوبَة: 25] ما من جيش عرمرم

للمسلمين كذلك الجيش حتى قال أحدهم لن نُغلب اليوم من قِلّة ونسي أن الإسلام جاء يحارب بقيم ومبادئ، والهزيمة كانت نتيجة الاغترار بقوتهم، بقي مع النبي ﷺ ثلاثة من أهل بيته وكسبوا المعركة وأوثقوا الأسرى. الحرب المقدسة الكريمة الأخلاقية تعتمد على قوة الشرعية والحق الذي يقاتلون من أجله لا على القوة العسكرية ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النِّساء: 76].

3 - الفُرقة: والأمة في عصرنا الحاضر متفرقة ولا يمكن أن تنتصر في أي حـــــــرب ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفَال: 46].

من اللامعقول أن كل قوة عظيمة غازية إذا كنت تديرها حكومة تظلم شعبها أو أن شعبها يظلم بعضهم بعضاً ويكيد بعضهم لبعض أن ينتصروا إلا بعد أن يزيلوا هذا الوهن.

4 - تواطؤ رئيس الدولة: يتواطأ الرئيس مع العدو كما حصل من حكام العـرب فـي 48 ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ﴾ [المَائدة: 52].

وإذا راجعنا تاريخ المسلمين لوجدنا أنهم لم ينهزموا من عدو الخارج أبداً وإنما هزيمتهم كانت من الداخل. وطبيعة هذه الأمة المسلمة أن تنتصر برجالٍ كلُّ واحد منهم أمة في حد ذاته، وهذه الأمة يقودها واحد تنبهر به أمته ويدفعهم دفعاً إلى الأمام وقوانين النصر والهزيمة هي كقوانين الإنجاب، سواء كانت الأمة مسلمة أم كافرة، وإذا حققت الأمة العدل فيما بين شعبها ينصرها الله تعالى في الدنيا وحسابهم على الله تعالى في الآخرة.

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الدال والفاء والعين أصلٌ واحد مشهور، يدلُّ على تنحيَة الشيء. يقال: دَفَعْتُ الشّيءَ أدفعُه دفْعاً. ودافع الله عنه السُّوءَ دِفاعاً. والمدفَّع الفقير؛ لأن هذا يدافِعُه عند سؤالِهِ إلى ذلك.

والدُّفْعة من المطر والدّم وغيرِه. وأما الدُّفَّاع فالسَّيل العظيم. وكل ذلك مشتقٌّ من أنَّ بعضَه يدفَعُ بعضاً.

والمدفَّع البعير الكريم، وهو الذي كلما جِيءَ به ليُحمَل عليه أُخِّر وجِيء بغيره إكراماً له.

قال الجوهري[2]: دَفَعْتُ إلى فلان شيئاً. ودَفَعْتُ الرجل فانْدَفَعَ. وانْدَفَعَ الفرس، أي أسرع في سيره، وانْدَفَعوا في الحديث. والمُدافَعَةُ: المماطلةُ. ودافَعَ عنه ودَفَعَ بمعنى. تقول منه: دافَعَ الله عنك السوءَ دِفاعاً. واسْتَدْفَعْتُ اللهَ الأسواءَ، أي طلبتُ منه أن يَدْفَعَها عنّي. وتَدافَعَ القومُ، أي دَفَعَ بعضُهم بعضاً. والدُّفْعَةُ من المطر وغيره بالضم مثل الدُفْعَةِ. والدَّفْعَةُ بالفتح: المرَّةُ الواحدة. والمُدَفَّعُ بالتشديد: الفقيرُ والذليلُ، لأنَّ كُلّاً يَدْفَعُهُ عن نفسه. والدَّافِعُ: الشاةُ أو الناقةُ التي تدفع اللِبَأَ في ضَرعِها قُبيل النتاج. يقال: دَفَعَتِ الشاةُ، إذا أضرعتْ على رأس الولد. والمَدْفَعُ واحد مَدافِعِ المياه التي تجري فيها. والمِدْفَعُ بالكسر: الدَفوعُ. والدُّفَّاعُ: السيلُ العظيمُ.

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) الصحاح في اللغة.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا﴾ [النساء: 6].

قال ابن عطية[1]: ﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ﴾ الآية. أمر من الله بالتحرز والحزم، وهذا هو الأصل في الإشهاد في المدفوعات كلها، إذا كان حبسها أولاً معروفاً.

قال أبو السعود[2]: ﴿فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ من غير تأخيرٍ عن حد البلوغِ، وفي إيثار الدفعِ على الإيتاء الواردِ في أول الأمرِ إيذانٌ بتفاوتهما بحسب المعنى كما أشير إليه فيما سلف.

قال الماوردي[3]: ﴿فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ يعني التي تحت أيديكم أيها الأولياء عليهم.

● قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ [الحجّ: 38].

قال البغوي[4]: يريد: يدفع غائلة المشركين عن المؤمنين ويمنعهم عن المؤمنين.

قال أبو السعود[5]: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ كلامٌ مستأنفٌ مسوقٌ لتوطينِ قلوبِ المُؤمنين ببيانِ أنَّ الله تعالى ناصرُهم على أعدائِهم بحيثُ لا يقدرُون على صدِّهم عن الحجِّ ليتفرَّغُوا إلى أداءِ مناسكِه. وتصديرُه بكلمةِ التَّحقيقِ لإبرازِ الاعتناءِ التَّامِّ بمضمونهِ، وصيغةُ المفاعلةِ إمَّا للمبالغةِ أو للدِّلالةِ على تكرُّرِ الدَّفعِ، فإنَّها قد تُجرَّدُ عن وقوعِ الفعلِ المتكرِّرِ من الجانبينِ فيبقى تكرُّره كما في الممارسةِ؛ أي يبالغ في دفع غائلةِ المشركينَ وضررِهم الذي من جُملته الصَّدُّ عن

---

(1) المحرر الوجيز.
(2) إرشاد العقل السليم.
(3) النكت والعيون.
(4) معالم التنزيل.
(5) إرشاد العقل السليم.

سبيلِ الله مبالغةً من يغالب فيه أو يدفعها عنهم مرَّةً بعد أُخرى حسبما تجدَّدَ منهم القصدُ إلى الإضرارِ بالمسلمينَ كما في قولِه تعالى: ﴿كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ﴾ [المَائدة: 64] وقُرىء يدفعُ والمفعولُ محذوفٌ.

قال الشعراوي(1): صيغة يدافع: مبالغة مِنْ يدفع، معنى يدفع يعني: شيئاً واحداً، أو مرة واحدة، وتنتهي المسألة، أمّا يدافع فتدل على مقابلة الفعل بمثله، فالله يدافعهم وهم يقابلون أيضاً بالمدافعة، فيحدث تدافع وتفاعل من الجانبين، وهذا لا يكون إلا في معركة. والمعركة تعني: منتصر ومنهزم، لذلك الحق - تبارك وتعالى - يُطمئن المؤمنين أنه سيدخل المعركة في صفوفهم، وسيدافع عنهم.

فقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ﴾ [الحَجّ: 38] أمر طبيعي؛ لأن الحق سبحانه ما كان ليُرسِل رسولاً، ويتركه لأهل الباطل يتغلَّبون عليه، وإلّا فما جَدْوى الرسالة إذن؛ لذلك يُطمئِن الله تعالى رسوله ويُبشِّره، فيقول: ﴿وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٧١ إِنَّهُمۡ لَهُمُ ٱلۡمَنصُورُونَ ١٧٢ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ١٧٣﴾ [الصافات: 171-173].

● **قال تعالى**: ﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ﴾ [الحج: 40].

قال الألوسي(2): تحريض على القتال المأذون فيه بإفادة أنه تعالى أجرى العادة بذلك في الأمم الماضية لينتظم به الأمر وتقوم الشرائع وتصان المتعبدات من الهدم فكأنه لما قيل: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ﴾ [الحَجّ: 39]؛ قيل: فليقاتل المؤمنون، فلولا القتال وتسليط الله تعالى المؤمنين على المشركين في كل عصر وزمان، لهُدِّمت متعبَّداتهم ولذهبوا شَذَرَ مَذَرَ، وقيل: المعنى لولا دفع الله بعض الناس ببعض بتسليط مؤمني هذه الأمة على كفارها لهدمت المتعبدات المذكورة إلا أنه تعالى سلط المؤمنين على الكافرين فبقيت هذه المتعبدات بعضها للمؤمنين وبعضها لمن في حمايتهم من أهل الذمة. وقال مجاهد: أي لولا دفع ظلم قوم

(1) تفسير الشعراوي.
(2) روح المعاني.

بشهادة العدول ونحو ذلك لهدمت. وقال قوم: أي لولا دفع ظلم الظلمة بعدل الولاة. وقالت فرقة: أي لولا دفع العذاب عن الأشرار بدعاء الأخيار. وقال قطرب: أي لولا الدفع بالقصاص عن النفوس. وقيل بالنبيين ﷺ عن المؤمنين، والكل مما لا يقتضيه المقام ولا ترتضيه ذوو الأفهام.

● **قال تعالى:** ﴿لِّلْكَـٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ۝٢ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ۝٣﴾ [المعارج: 2-3].

قال الطبري[1]: يقول تعالى ذكره: ليس للعذاب الواقع على الكافرين من الله دافع يدفعه عنهم.

قال أبو السعود[2]: ﴿لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ﴾ صفةٌ أُخرى لعذابٍ، أو حالٌ منهُ لتخصصِهِ بالصفةِ أو بالعملِ أو من الضميرِ في للكافرينَ على تقديرِ كونِهِ صفةً لعذابٍ أو استئنافٌ ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ متعلقٌ بواقعٍ أو بدافعٌ أي ليسَ له دافعٌ من جهتِهِ تعالَى: ﴿ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾ ذِي المصاعدِ التي يصعدُ فيها الملائكةُ بالأوامرِ والنَّواهِي، أو هي عبارةٌ عن السمواتِ المترتبةِ بعضِهَا فوقَ بعضٍ.

قال القرطبي[3]: أي هذا العذاب للكافرين في الآخرة لا يدفعه عنهم أحد. وقيل إن اللام بمعنى على، والمعنى: واقع على الكافربن. ورُوي أنها في قراءة أُبيّ كذلك. وقيل: بمعنى عن؛ أي ليس له دافع عن الكافري من الله. أي ذلك العذاب من الله ذي المعارج؛ أي ذي العلوّ والدرجات الفواضل والنِّعم؛ قاله ابن عباس وقتادة.

(1) جامع البيان.
(2) إرشاد الععقل السليم.
(3) الجامع لأحكام القرآن.

دفق

(دَفق - جَرَى - فَاضَ - سَالَ - سَفَكَ - سَكَب - صَبَّ)

■ **الدَّفقُ:** اندفاع الماء الكثير فجأة وبقوة من مضيق واحد ﴿خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ﴾ [الطارق: 6].

■ **الجَرْيُ:** المرّ السريع ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الزخرف: 51].

■ **الفَيْضُ:** مجاوزة الماء لشواطئه ﴿تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ﴾ [المائدة: 83].

■ **السَّيْلُ:** جريان الجامد والساكن ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ﴾ [سبأ: 16].

■ **السَّفْكُ:** جريان الدم عمداً ﴿يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ [البقرة: 30].

■ **السَّكْبُ:** جريان السائل من الإناء برفق ﴿وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ﴾ [الواقعة: 31].

■ **الصَّبُّ:** جريان السائل من الأعلى بقوة ﴿أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا﴾ [عبس: 25].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الدال والفاء والقاف أصلٌ واحد مطَّردٌ قياسُه، وهو دفْع الشَّيء قُدُماً. من ذلك: دَفَقَ الماءُ، وهو ماءٌ دافق. وهذه دُفْقَةٌ مِن ماء. ويُحمَل قولُهم: جاؤوا دُفْقَةً واحدة، أي: مرَّةً واحدة. وبعيرٌ أدفَقُ: إذا بانَ مِرْفَقاه عن

(1) معجم مقاييس اللغة.

جَنبَيه. وذلك أنَّهما إذا بانا عنه فقد اندفعا عنه واندفَقا. والدِّفَقُّ، على فِعَلٍّ، من الإبل: السريع. ومشى فلان الدِّفِقَّى، وذلك إذا أسرَعَ. قال أبو عبيدة: الدِّفِقَّى أقْصَى العَنَق. ومنه حديث الزّبرقان: «تمشي الدِّفِقَّى، وتجلسُ الهَبَنْقَعَة». ويقال سيلٌ دُفَاقٌ: يملأ الوَادِي. ودَفَقَ الله رُوحَه، إذا دُعِي عليه بالموت.

قال الجوهري(1): دَفَقْتُ الماء أَدْفِقُهُ دَفْقاً، أي: صببته، فهو ماءٌ دافِقٌ، أي: مَدْفوقٌ، كما قالوا: سرٌّ كاتمٌ، أي: مكتومٌ، لأنَّه من قولك دُفِقَ الماءُ على ما لم يسمَّ فاعله. ولا يقال: دَفَقَ الماءُ. ويقال: دَفَقَ الله روحه، إذا دُعيَ عليه بالموت. ودَفَّقَتْ كفّاهُ النَدى، أي: صَبَّتاهُ؛ شُدِّدَ للكثرة. والانْدِفاقُ: الانصِبابُ، والتَّدَفُّقُ: التصبُّبُ. وسيلٌ دُفاقٌ بالضم: يملأ الوادي. وناقةٌ دِفاقٌ بالكسر، أي: مُتَدَفِّقَةٌ في السير. والدِّفَقُّ السريعُ من الإبل. ويقال أيضاً: مشى فلانٌ الدِفِقَّى، إذا أسرَعَ. وسيرٌ أَدْفَقُ.

قال ابن منظور(2): دفَق الماءُ والدَّمْعُ يَدْفِق ويدْفُق دَفْقاً ودُفُوقاً وانْدفَق وتدَفَّق واستَدْفَقَ: انْصبَّ، وقيل: انصبَّ بمرَّة فهو دافق، أي مدفوق، كما قالوا سِرٌّ كاتِمٌ أَي مكتُوم، لأنه من قولك دُفِق الماء، على ما لم يسم فاعله، ومنهم مَن قال: لا يقال دفَق الماءُ. وكلُّ مُراقٍ دافِقٌ ومُنْدَفِق، وقد دفَقَه يدْفِقُه ويَدْفُقُه دَفْقاً ودَفَّقَه. والانْدِفاقُ الانْصِباب. والتدفُّق التصبب.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ﴾ [الطارق: 6].

قال الزمخشري(3): والدفق: صبٌّ فيه دفعٌ. ومعنى دافق: النسبة إلى الدفق

(1) الصحاح في اللغة.
(2) اللسان.
(3) الكشاف.

الذي هو مصدر دفق، كاللابن والتامر. أو الإسناد المجازي. والدفق في الحقيقة لصاحبه، ولم يقل ماءين لامتزاجهما في الرحم، واتحادهما حين ابتدئ في خلقه.

قال البغوي[1]: ﴿خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ﴾، مدفوق، أي مصبوب في الرحم، وهو المني، فاعل بمعنى مفعول كقوله: ﴿عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [الحَاقَّة: 21]، أي مرضية، والدفق: الصب، وأراد ماء الرجل وماء المرأة، لأن الولد مخلوق منهما، وجعله واحداً لامتزاجهما.

قال أبو السعود[2]: ﴿خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ﴾ استئنافٌ وقعَ جواباً عن استفهامٍ مقدرٍ كأنه قيلَ: ممَّ خلقَ؟ فقيلَ: خلقَ من ماءٍ ذِي دفقٍ، وهو صبٌّ فيه دفعٌ وسيلانٌ بسرعةٍ، والمرادُ بهِ الممتزجُ من الماءينِ في الرحمِ.

قال ابن عاشور[3]: ومعنى ﴿دَافِقٍ﴾ خارج بقوة وسرعة، والأشهر أنه يقال على نطفة الرجل.

وصيغة ﴿دَافِقٍ﴾ اسم فاعل من دفق القاصر، وهو قول فريق من اللغويين. وقال الجمهور: لا يستعمل دفَق قاصراً. وجعلوا دافقاً بمعنى اسم المفعول وجعلوا ذلك من النادر. وعن الفراء: أهل الحجاز يجعلون المفعول فاعلاً، إذا كان في طريقة النعت. وسيبويه جعله من صيغ النسب كقولهم: لاَبن وتَامِر، ففُسر دافق: بذي دَفْق.

---

(1) معالم التنزيل.
(2) إرشاد العقل السليم.
(3) التحرير والتنوير.

دفْءٌ

(دِفْءٌ - حَرٌّ - حَماوة - أجاج - حَرُورٌ - حَمِيْمٌ - يَحْمُوْمٌ - سَمُوْمٌ)

■ **الدِّفْءُ:** الْحَرُّ المريح ضد البرد المؤلم ﴿لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ﴾ [النحل: 5].

■ **الحَرُّ:** المؤلم: ضد البرد المؤلم ﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا﴾ [التوبة: 81].

■ **الحَمَاوةُ:** الحر المتولد من المصادر كالنار والشحن ﴿فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ [الكهف: 86].

■ **الأُجَاجُ:** الماء شديد الحرارة والملوحة ﴿هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ [الفُرقان: 53].

■ **الحَرُورُ:** شدة الريح الحَارَّة ﴿وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ﴾ [فَاطِر: 21].

■ **الحَمِيمُ:** الماء الشديد الحرارة ﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾ [الحَجّ: 19].

■ **اليَحْمُومُ:** الدخان الشديد السواد ﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ﴾ [الواقِعَة: 43].

■ **السَّمُومُ:** الريح الشديدة الحرارة ﴿وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾ [الطُّور: 27].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الدال والفاء والهمزة أصلٌ واحد يدلُّ على خلاف البَرْد. فالدِّفء: خِلاف البرد. يقال دَفُؤَ يومنا، وهو دفيءٌ. قال الكلابيّ: دَفِيٌّ.

والأوَّل أعرف في الأوقات، فأمّا الإنسان فيقال: دَفِئَ فهو دَفَآنُ وامرأةٌ دَفْأَى.

وثوبٌ ذو دِفْءٍ ودَفَاءٍ. وما عَلَى فلان دِفْءٌ، أي: ما يدفئه. وقد أَدْفَأَني كذا، واقعُد في دِفءِ هذا الحائط، أي: كِنُّهُ. ومن الباب الدَّفَئِيُّ من الأمطار، وهو الذي يجيء صيفاً. والإبل المُدْفَأَة: الكثيرة؛ لأنَّ بعضَها تُدفئ بعضاً بأنفاسها. وهو قوله جلَّ ثناؤه: ﴿لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ﴾ [النّحل: 5]. ومن ذلك حديث رسول الله ﷺ: «**لنا مِن دِفئهم وصِرَامِهِمْ ما سلّموا بالميثاق**». ومن الباب الدَّفَأُ: الانحناء. وفي صفة الدّجّال: «أنّ فيه دَفَأً» أي انحناء. فإنْ كان هذا صحيحاً فهو من القياس؛ لأنَّ كلَّ ما أدفأَ شيئاً فلا بدّ من أن يَغْشاه ويجْنَأَ عليه.

قال الجوهري[2]: الدِّفْءُ: نِتاجُ الإبل وألبانُها، وما يُنْتَفَعُ به منها. قال الله تعالى: ﴿لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ﴾ وفي الحديث: «**لنا من دِفْئِهِمْ ما سلَّموا بالميثاق**». أيضاً: السخونَةُ، تقول منه دَفِئَ الرجُلُ دَفاءَةً، مثل كَرِهَ كراهةً، وكذلك: دَفِئَ دَفَأً، مثل ظَمِئَ ظَمَأً، والاسم: الدِّفْءُ بالكسر وهو: الشيء الذي يدفئك، والجمع: الأَدْفاءُ.

تقول: ما عليه دِفْءٌ، لأنه اسم، ولا تقل: ما عليه دَفاءَةٌ، لأنه مصدر. وتقول: اقعد في دِفْءِ هذا الحائط، أي: كِنِّهِ. ورجل دَفِيءٌ على فَعِلٌ، إذا لَبِسَ ما يُدْفِئُهُ. وكذلك رجل دَفْآنُ، وامرأةٌ دَفْأى. وقد أدْفأه الثوب، وتدفَّأ هو بالثوب واسْتدفأ به وادَّفَأَ به، وهو افتعل، أي: لَبِسَ ما يدفئه. ودَفُؤَتْ ليلتُنا بالضم، ويومٌ

---

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) الصحاح في اللغة.

دفيءٌ على فعيلٍ، وليلةٌ دفيئةٌ، وكذلك الثوب والبيت. والمُدْفِئة: الإبل الكثيرة لأن بعضها يدفئ بعضاً بأنفاسها، وقد يشدد.

قال الفيروزآبادي[1]: الدِّفْءُ، بالكَسر ويُحَرَّكُ: نَقِيضُ حِدَّةِ البَرْدِ، كالدَّفَاءَةِ، أَدفاءٌ، دَفِئَ، كَفَرِحَ وكَرُمَ، وتَدَفَّأَ واسْتَدْفَأَ وادَّفَأَ وادَّفَأَهُ: أَلْبَسَهُ الدِّفَاءَ، لما يُدْفِئُهُ. والدَّفْآنُ: المُسْتَدْفِئُ، كالدَّفِئِ، وهي الدَّفْأَى، وأَرْضٌ دَفِئَةٌ ودَفِيئَةٌ ومَدْفَأَةٌ، وإبِلٌ مُدْفَأَةٌ ومُدْفِئَةٌ ومُدَفَّأَةٌ ومُدَفِّئَةٌ: كَثِيرَةُ الأَوْبَارِ والشُّحُومِ. والدَّفَئِيُّ: الدَّثَئِيُّ. وبهاءٍ: المِيرَةُ قُبُلَ الصَّيْفِ. والدِّفْءُ، بالكسر: نِتَاجُ الإبل، وأَوْبَارُها، والانْتِفَاعُ بها، والعَطِيَّةُ، ودفء من الحائِطِ: كِنُّهِ، وما أَدْفَأَ من الأَصْوافِ والأَوْبَارِ. وأَدْفَأَهُ: أَعْطَاهُ كَثيراً، والقوم اجتمعوا، والدَّفَأُ، مُحَرَّكَةً: الجَنَأُ، وهو أَدْفَأُ، وهي دَفْأَى.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [النّحل: 5].

قال الفخر الرازي[2]: والدفء عند أهل اللغة ما يستدفأ به من الأكسية، قال الأصمعي: ويكون الدفء السخونة. يقال: اقعد في دفء هذا الحائط، أي في كِنُّهُ. وقرىء: (دف) بطرح الهمزة وإلقاء حركتها على الفاء.

قال الطبري[3]: يقول تعالى ذكره: ومن حججه عليكم أيها الناس ما خلق لكم من الأنعام، فسخَّرها لكم، وجعل لكم من أصوافها وأوبارها وأشعارها ملابس تدفئون بها. عن عليّ رضي الله عنه، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ﴾ يقول: الثياب.

(1) القاموس المحيط.
(2) التفسير الكبير.
(3) جامع البيان.

قال البغوي[1]: ﴿لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ﴾ [النحل: 5] يعني: من أوبارها وأشعارها وأصوافها ملابس ولُحفاً تستدفئون بها.

قال الشعراوي[2]: والدِّفْءُ هو الحرارة للمبرود، تماماً مثلما نعطي المحرور برودة، وهذا ما يفعله تكييف الهواء في المنازل الحديثة. نجد الحق سبحانه هنا قد تكلَّم عن الدفء ولم يتكلم عن البرد، ذلك أن المقابل معلوم، وهو في آية أخرى يقول: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ [النّحل: 81].

وهذا ما يحدث عندما نسير في الشمس الحارة؛ فنضع مِظلة فوق رؤوسنا لتقينا حرارة الشمس الزاعقة الشديدة. ونحن في الشتاء نلبس قلنسوة، أي: نلفّ شيئاً حول رؤوسنا، وهكذا نعلم أن اللباس يفعل الشيء ومقابله، بشرط أن يختار الإنسانُ اللباسَ المناسب للجوِّ المناسب.

(1) معالم التنزيل.
(2) تفسير الشعراوي.

دكَّ

(دكَّ - دَكَّاء - سَوَّى - بَسَطَ)

■ **الدَّكُ:** تسوية الأرض اللينة السهلة تلبّد بآلة ثقيلة ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ [الفَجر: 21].

■ **الدَّكَّاءُ:** الأرض التي سويت ودكت ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ﴾ [الكهف: 98].

■ **البَسْطُ:** جعل الشيء المكوّر واسعاً ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا﴾ [نُوح: 19].

■ **التَّسْوِيَةُ:** جعل الشيء الصعب بالوعورة سهلاً ﴿فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾ [البَقَرَة: 29].

❋ ❋ ❋

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الدال والكاف أصلان: أحدهما يدلُّ على تطامُن وانسطاح. من ذلك الدكّان، وهو معروف. قال العَبْدِيّ: ومنه الأرضُ الدَّكَّاءُ: وهي الأرض العريضة المستوية. قال الله تعالى: ﴿جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ﴾ [الكهف: 98]. ومنه النَّاقة الدّكّاء، وهي التي لا سَنامَ لها. قال الكسائيّ: الدُّكُّ من الجبال: العِراضُ، واحدها أدَكُّ. وفرس أدَكُّ الظّهر، أي عريضُهُ. والأصل الآخر يقرب

(1) معجم مقاييس اللغة.

من باب الإبدال، فكأنَّ الكاف فيه قائمةٌ مَقام القاف. يقال: دكَكْت الشيء، مثل دقَقته، وكذلك دكَّكته. ومنه دُكَّ الرَّجُل فهو مدكوكٌ: إذا مَرِض. ويجوز أن يكون هذا من الأوَّل، كأنَّ المرض مَدَّه وبَسَطه؛ فهو محتملٌ للأمرين جميعاً. والدَّكْدَاك من الرّمل كأنه قد دُكَّ دَكّاً، أي: دُق دَقًّا. قال أهلُ اللغة: الدَّكداك من الرَّمل: ما الْتَبَد بالأرض فلم يرتفِع. ومن ذلك حديثُ جرير بن عبد الله حين سأله رسول الله ﷺ عن منزلِهِ ببيشة، فقال: «**سَهْلٌ ودَكْداكٌ، وسَلَمٌ وأرَاكٌ**». ومن هذا الباب: دَكَكت التُّرابَ على الميّت أدُكّه دَكّاً. إذا هِلْتَهُ عليه. وكذلك الرّكِيَّة تدفِنها. وقيل ذلك لأنَّ الترابَ كالمدقوق. ومما شذّ عن هذين الأصلين قولهم، إن كان صحيحاً: أَمَةٌ مِدَكَّةٌ: قويّةٌ على العمل. ومن الشاذّ قولهم: أقمت عنده حولاً دكيكاً، أي تامّاً.

قال ابن منظور(1): الدَّكُّ: هدم الجبل والحائط ونحوهما، دَكَّه يَدُكُّه دَكّاً. الدَّكّ كسر الحائط والجبل. وجبل دُكٌّ: ذليل، وجمعه دِكَكَةٌ، مثل جُحْر وجِحرَة. وقد تَدَكْدَكَتِ الجبالُ، أَي صارت دَكَّاوَات، وهي رواب من طين، واحدتها دَكَّاء. وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً﴾ [**الحاقة: 14**]؛ قال الفراء: دَكُّها زلزلتها، ولم يقل فدكِكْنَ لأنه جعل الجبال كالواحدة، ولو قال فدُكَّتْ دَكَّةً لكان صواباً.

قال الفيروزآبادي(2): الدَّكُّ: الدَّقُّ والهَدْمُ، وما اسْتَوَى من الرَّمْلِ، كالدَّكَّةِ، دِكاكٌ، والمُسْتَوي من المَكانِ، دُكوكٌ، وتَسْوِيَةُ صَعودِ الأَرْضِ وهَبوطِها، وقد انْدَكَّ المَكانُ. ودك: كَبْسُ التُّرابِ وتَسوِيَتُه، ودَفْنُ البِئْرِ وطَمُّها، والتَلُّ، وبالضم: الشديدُ الضَّخمُ، والجَبَلُ الذَّليلُ، كقِرَدَةٍ، وجَمْعُ الأَدَكِّ: للفَرَسِ العَريضِ الظَّهْرِ. والدَّكَّاءُ: الرابِيَةُ من الطينِ لَيْسَتْ بالغَليظَةِ.

(1) اللسان. (2) القاموس المحيط.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا﴾ [الأعراف: 143].

قال الفخر الرازي[1]: ﴿جَعَلَهُۥ دَكّٗا﴾ قال الزجاج: يجوز (دَكًّا) بالتنوين و(دَكَّاء) بغير تنوين، أي جعله مدقوقاً مع الأرض، يقال: دككت الشيء إذا دققته أدكه دكاً، والدكاء والدكاوات: الروابي التي تكون مع الأرض ناشزة.

قال ابن عطية[2]: «دكاً»، وقرأ حمزة والكسائي وابن عباس والربيع بن خثيم وغيرهم «دكاء» على وزن حمراء، والدكاء الناقة التي لا سنام لها، فالمعنى جعله أرضاً دكاء تشبيهاً بالناقة، فروي أنه ذهب الجبل بجملته، وقيل ذهب أعلاه وبقي أكثره، وروي أن الجبل تفتت وانسحق حتى صار غباراً تذروه الرياح، وقال سفيان: روي أنه ساخ في الأرض وأفضى إلى البحر الذي تحت الأرضين، قال ابن الكلبي فهو يهوي فيه إلى يوم القيامة.

قال أبو السعود[3]: ﴿جَعَلَهُۥ دَكّٗا﴾ مدكوكاً مُفتّتاً، والدكُّ والدقُّ أخَوَان كالشك والشق، وقرىء دكاً أي أرضاً مستويةً ومنه ناقةٌ دكاءُ للتي لا سنامَ لها، وقرىء دُكاً جمعُ دكّاءَ أي قطعاً.

● قال تعالى: ﴿وَحُمِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ [الحاقّة: 14].

قال الطبري[4]: ﴿فَدُكَّتَا﴾ وقد ذكر قبل الجبال والأرض، وهي جماع، ولم يقل: فدككن، لأنه جعل الجبال كالشيء الواحد.

قال الزمخشري[5]: ﴿فَدُكَّتَا﴾ فدكت الجملتان: جملة الأرضين وجملة

(1) التفسير الكبير.
(2) المحرر الوجيز.
(3) إرشاد العقل السليم.
(4) جامع البيان.
(5) الكشاف.

الجبال، فضرب بعضها ببعض حتى تندقّ وترجع كثيباً مهيلاً وهباءً منبثاً، والدَّكُّ أبلغ من الدق. وقيل: فبسطتا بسطة واحدة، فصارتا أرضاً لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً، من قولك: اندكّ السنام إذا انفرش، وبعير أدك وناقة دكاء. ومنه: الدكان.

قال الألوسي(1): ﴿فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾ فضربت الجملتان إثر رفعهما بعضها ببعض ضربة واحدة حتى تفتت وترجع كما قال سبحانه﴿كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾ [**المُزمّل**: **14**]، وقيل تتفرق أجزاؤها كما قال سبحانه: ﴿هَبَآءً مُّنۢبَثًّا﴾ [**الواقعة**: **6**] وفرقوا بين الدَّكِّ والدق بأن في الأول تفرق الأجزاء وفي الثاني اختلافها. وقال بعض الأجلة أصل الدك الضرب على ما ارتفع لينخفض ويلزمه التسوية غالباً، فلذا شاع فيها حتى صار حقيقة، ومنه أرض دكاء للمتسعة المستوية، وبعيراً دك وناقة دكاء إذا ضعفا فلم يرتفع سناماهما واستوت خدجتهما مع ظهريهما، فالمراد هٰهنا فبسطتا بسطة واحدة وسويتا فصارتا أرضاً لا ترى فيها عِوجاً ولا أَمْتاً، ولعل التَّفَتُّت مقدمة للتسوية أيضاً.

● **قال تعالى**: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ [**الفَجر**: **21**].

قال القرطبي(2): والدّك: الكسر والدقّ؛ وقد تقدّم. أي زلزلت الأرض، وحُرِّكت تحريكاً بعد تحريك. وقال الزجاج: أي زلزلت فَدَكَّ بعضها بعضاً. وقال المبرد: أي ألصِقت وذهب ارتفاعها. يقال: ناقة دَكَّاء، أي لا سنام لها، والجمع دُكٌّ. وقد مضى في سورة «الأعراف» و«الحاقة» القول في هذا. ويقولون: دُكّ الشيء أي هُدِم.

﴿دَكًّا دَكًّا﴾ أي مرة بعد مرة؛ زلزلت فكسّر بعضها بعضاً؛ فتكسر كل شيء على ظهرها. وقيل: دُكّت جبالها وأنشازها حتى استوت. وقيل: دُكت أي استوت في الانفراش؛ فذهب دُورها وقُصورها وجبالها وسائر أبنيتها؛ ومنه سمي الدّكان،

(1) روح المعاني. (2) الجامع لأحكام القرآن.

لاستوائه في الانفراش. والدَّكُّ: حطُّ المرتفع من الأرض بالبسط؛ وهو معنى قول ابن مسعود وابن عباس: تمدّ الأرض مدّ الأديم.

قال النسفي[1]: ﴿إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ﴾ إذا زلزلت ﴿دَكًّا دَكًّا﴾ دَكّاً بعد دك، أي كرر عليها الدك حتى عادت هباءً منبثاً.

---

(1) مدارك التنزيل.

دَلَّ

(دَلَّ - عَرَفَ - عَلِمَ - هَدَى)

■ **الدَّالُّ والدَّلِيلُ:** إبانة الشيء بأمارة تتعلمها، يقال: دللت على الطريق ﴿مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ﴾ [سَبَإ: 14].

■ **المَعْرِفَة:** إدراك تفاصيل الشيء بتفكر وتدبر ﴿وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ [مُحَمَّد: 6].

■ **العِلْم:** إدراك مجمل الشيء ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ﴾ [المُمتَحنَة: 10].

■ **الهُدَى:** الدلالة بلطف ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ [السَّجدَة: 24].

❋ ❋ ❋

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الدال واللام أصلان: أحدهما إبانة الشيء بأمارةٍ تتعلّمها، والآخَر اضطرابٌ في الشيء. فالأوّل قولهم: دلَلْتُ فلاناً على الطريق. والدليل: الأمارة في الشيء. وهو بيِّن الدَّلالة والدِّلالة. والأصل الآخَر قولهم: تَدَلْدَل الشَّيءُ، إذا اضطرَبَ.

ومن الباب دَلال المرأة، وهو جُرْأتها في تَغَنُّجٍ وشِكْلٍ، كأنَّها مخالِفَةٌ وليس بها خِلاف، وذلك لا يكون إلّا بتمايُلٍ واضطراب. ومن هذه الكلمة: فلانٌ يُدِلُّ على أقرانِهِ في الحرب، كالبازي يُدِلُّ على صيده. ومن الباب الأوّل قولُ الفرّاء عن العرب: أدَلّ يُدِلّ، إذا ضَرَبَ بقَرابَةٍ.

---

(1) معجم مقاييس اللغة.

قال الجوهري(1): الدَّليلُ: ما يُسْتَدَلُّ به. والدَّليلُ: الدَّالُّ. وقد دَلَّهُ على الطريق يَدُلُّهُ دَلالَةً ودِلالَةً ودُلولَةً، والفتح أعلى.

والدِّلِّيلي: الدَّليلُ. والدَّلُّ: الغُنْجُ والشِكْلُ. وقد دَلَّتِ المرأةُ تَدِلُّ بالكسر، وتَدَلَّلَتْ، وهي حسنةُ الدَّلِّ والدَّلالِ. ويقال أَدَلَّ فأَمَلَّ، والاسمُ الدَّالَّةُ. وفلان يُدِلُّ على أقرانه في الحرب، كالبازي يُدِلُّ على صَيده. وهو يُدِلُّ بفلانٍ، أي يثق به. قال أبو عبيد: الدَّالُّ قريب المعنى من الهَدْي؛ وهما من السكينة والوقار في الهيئة والمنظرِ والشمائل وغير ذلك.

قال الراغب(2): الدلالة: ما يتوصل به إلى معرفة الشيء، كدلالة الألفاظ على المعنى، ودلالة الإشارات، والرموز، والكتابة، والعقود في الحساب، وسواء كان ذلك بقصد ممن يجعله دلالة، أو لم يكن بقصد، كمن يرى حركة إنسان فيعلم أنه حي، قال تعالى: ﴿مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ﴾ [سَبَإ: 14]. أصل الدلالة مصدر كالكتابة والإمارة، والدال: من حصل منه ذلك، والدليل في المبالغة كعالم، وعليم، وقادر، وقدير، ثم يسمى الدال والدليل دلالة، كتسمية الشيء بمصدره.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ﴾ [سَبَإ: 14].

قال أبو السعود(3): ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ﴾ أي على سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿مَا

(1) الصحاح في اللغة.
(2) مفردات الراغب.
(3) إرشاد العقل السليم.

دَلَّهُمْ﴾ أي الجنَّ أو آلَه ﴿عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ﴾ أي الأَرَضةُ أضيفتْ إلى فعلها.

قال الفيروزآبادي[1]: ﴿مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ﴾ موت سليمان.

قال ابن عطية[2]: الضمير في ﴿عَلَيْهِ﴾ عائد على سليمان، و﴿قَضَيْنَا﴾ بمعنى أنفذنا وأخرجناه إلى حيز الوجود وإلا فالقضاء الآخر به متقدم في الأزل. وروي عن ابن عباس وابن مسعود في قصص هذه الآية أن سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ كان يتعبد في بيت المقدس وكان ينبت في محرابه كل سنة شجرة فكان يسألها عن منافعها ومضارها وسائر شأنها فتخبره فيأمر بها فتقلع فتصرف في منافعها وتغرس لتتناسل، فلما كان عند موته خرجت شجرة فقال لها ما أنت؟ فقالت: أنا الخروب خرجت لخراب ملكك هذا، فقال سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ: ما كان الله ليخربه وأنا حي ولكنه لا شك حضور أجلي فاستعد عَلَيْهِ السَّلَامُ وغرسها وصنع منها عصاً لنفسه وَجَدَّ في عبادته، وجاءه بعد ذلك ملك الموت فأخبره أنه قد أمر بقبض روحه وأنه لم يبق له إلا مدة يسيرة، فروي أنه أمر الجن حينئذ فصنعت له قبة من رخام تشف وجعل فيها يتعبد ولم يجعل لها باباً، وتوكأ على عصاه على موضع يتماسك معه وإن مات، ثم توفي عَلَيْهِ السَّلَامُ على تلك الحالة، وروي أنه استعد في تلك القبة بزاد سنة وكان الجن يتوهمون أنه يتغذى بالليل وكانوا لا يقربون من القبة ولا يدخلون من كوة كانت في أعاليها، ومن رام ذلك منهم احترق قبل الوصول إليها، هذا في المدة التي كان سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ حياً في القبة، فلما مات بقيت تلك الهيبة على الجن، وروي أن القبة كان لها باب وأن سليمان أوصى بعض أهله بكتمان موته على الجن والإنس وأن يترك على حاله تلك سنة، وكان غرضه في هذه السنة أن تعمل الجن عملاً كان قد بدئ في زمن داود قدر أنه بقي منه عمل سنة، فأحب الفراغ منه، فلما مضى لموته سنة، خر عن عصاه والعصا قد أكلتها الأرض، وهي الدودة التي تأكل العود، فرأت الجن انحداره، فتوهمت موته فجاء جسور منهم

(1) بصائر ذوي التمييز. (2) المحرر الوجيز.

فقرب فلم يحترق، ثم خطر فعاد ثم قرب أكثر ثم قرب حتى دخل من بعض تلك الكوى فوجد سليمان ميتاً، فأخبر بموته، فنظر ذلك الأكل فقدر أنه منذ سنة، وقال بعض الناس: جعلت الأرضة فأكلت يوماً وليلة ثم قيس ذلك بأكلها في العصا فعلم أنها أكلتها منذ سنة فهكذا كانت دلالة ﴿دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ﴾ على موته، وللمفسرين في هذه القصص إكثارٌ، عُمْدَتُهُ ما ذكرته، وقال كثير من المفسرين ﴿دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ﴾ هي سوسة العود وهي الأرضة، وقرأ ابن عباس والعباس بن المفضل «الأرض» بفتح الراء جمع أرضة فهذا يقوي ذلك التأويل. وقالت فرقة ﴿دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ﴾ حيوان من الأرض شأنه أن يأكل العود، وذلك موجود وليس السوسة من دواب الأرض. وقالت فرقة منها أبو حاتم اللغوي ﴿ٱلْأَرْضِ﴾ هنا مصدر أرضت الأثواب والخشبة إذا أكلتها الأرضة، فكأنه قال دابة الأكل الذي هو بتلك الصورة على جهة التسوس، وفي مصحف عبد الله «الأرض أكلت منسأته»، والمنسأة العصا.

دَلَيَ

(دَلَيَ - سَقَطَ - نَزَلَ)

■ **الإدلاء:** أن ترسل الشيء حتى يصل. تقول: دليت الدلو إذا أنزلتها وأرسلتها في البئر. ودلوت الدلو إذا أخرجتها ﴿فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ﴾ [يُوسُف: 19].

■ **الإسْقاطُ:** طرح الشيء من مكان عال بقوة على شكل عقوبة ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الشُّعَرَاء: 187].

■ **الإنْزالُ:** طرح الشيء من مكان عال على شكل نعمة ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الكهف: 1].

❊ ❊ ❊

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الدال واللام والحرف المعتل أصلٌ يدلُّ على مقارَبة الشَّيء ومداناتِه بسُهولةٍ ورِفْق. يقال: أدلَيْتُ الدّلوَ، إذا أرسلْتَها في البئر، فإذا نَزَعْتَ فقد دَلَوْت. والدَّلْو ضَربٌ من السَّير سهلٌ. قال: والدّلَاة: الدَّلْوُ أيضاً، ويُجْمع على الدِّلاء.

ويقال: أدلى فلانٌ بحجَّته، إذا أتى بها. وأدلى بمالِهِ إلى الحاكم: إذا دَفعه إليه. قال جلَّ ثناؤه: ﴿وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ﴾ [البَقَرَة: 188]. ويقال: دلَوْتُ إليه

(1) معجم مقاييس اللغة.

بفلانٍ: استشفعت به إليه. ومن ذلك حديث عمر في استسقائه بالعباس: «اللهمَّ إنّا نتقرَّبُ إليك بعَمِّ نبيِّك، وقَفِيَّةِ آبائه، وكُبْرِ رِجاله، ودلَوْنا به إليك مستَشْفِعِين». ويحمل على هذا قولهم: جاء فلانٌ بالدَّلْو، أي الدَّاهية.

ويقال: دَالَيتُ الرّجلَ، إذا داريتَه. ويقال هو دَلَّاءُ مالٍ: إذا كان سائِس مالٍ وخائِلَه.

قال الجوهري[1]: الدَّلْوُ: واحدة الدِّلاءِ التي يُسْتقى بها وكذلك الدَّلا بالفتح، الواحدة دَلاةٌ. وجمع الدَّلْوِ في أقل العدد أَدْلٍ. والدَّلْوُ برجٌ من بروج السماء.

والدَّلْوُ سمةٌ للإبل. وقولهم: جاء فلان بالدَّلْوِ، أي: بالداهية. والدَّالِيَةُ: المَنْجَنُونُ تديرها البقر، والناعورة يديرها الماء. ودَلَوْتُ الدَلْوَ: نزعتها. وأَدْلَيْتُها: أرسلتها في البئر لتمتلئ. ودَلَوْتُ الناقة دَلْواً: سِرْتُها سيراً رويداً. وادْلَوْلى، أي: أسرع.

ودَلَوْتُ الرجل ودَالَيْتُهُ، إذا رفَقْت به وداريتَه. ودَلَّاهُ بغُرورٍ، أي: أوقعه فيما أراد من تغريره، وهو من إدلاء الدَّلْوِ. ودَلَوتُ بفلان إليك، أي: استشفعت به إليك. وتَدَلَّى من الشجرة. وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ [النّجم: 8] أي: تدلل.

وأَدْلى بحجته، أي: احتجَّ بها. وهو يُدْلي برحِمِه، أي: يمتُّ بها. وأَدْلى بماله إلى الحاكم دَفَعَه إليه. ومنه قوله تعالى: ﴿وَتُدْلُوا بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ﴾ يعني الرشوة.

قال الفيروزآبادي[2]: الدَّلْوُ: مؤنث، وقد تُذَكَّرُ والجمع: أدْلٍ ودِلاءٌ ودُلِيٌّ ودِلِيٌّ ودَلَى، كَعَلَى، وبُرْجٌ في السماءِ، وسِمَةٌ للإِبلِ، والداهِيَةُ. والدَّلاةُ: دَلْوٌ صَغيرٌ. ودَلَوْتُ وأدْلَيْتُ: أرْسَلْتُها في البِئْرِ. ودَلاها: جَبَذَها لِيُخْرِجَها. والدَّالِيَةُ: المَنْجَنُونُ، والنَّاعُورَةُ، وشيءٌ يُتَخَذُ من خُوصٍ، يُشَدُّ في رأسِ جِذْعٍ طَويلٍ،

(1) الصحاح في اللغة.
(2) القاموس المحيط.

والأرضُ تُسْقَى بِدَلْوٍ أو مَنْجَنُونٍ. والدَّوَالي: عِنَبٌ أسْودُ غيرُ حالِكٍ، وبُسْرٌ يُعَلَّقُ، فإذا أرْطَبَ أُكِلَ.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى:** ﴿وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ﴾ [يُوسُف: 19].

قال الفخر الرازي(1): ﴿فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ﴾ ونقل الواحدي عن عامة أهل اللغة أنه يقال: أدلى دلوه إذا أرسلها في البئر، ودلاها إذا نزعها من البئر. يقال: أدلى يدلي إدلاء إذا أرسل، ودلا يدلو دلواً إذا جذب وأخرج، والدلو معروف، والجمع دلاء.

قال الطبري(2): ﴿فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ﴾ يقول: أرسل دلوه في البئر، يقال أدليت الدلو في البئر إذا أرسلتها فيها وإذا استقيت فيها قلت دلوت أدلو دلواً، وفي الكلام محذوف استغنى بدلالة ما ذكر عليه فترك، وذلك فأدلى دلوه فتعلق به يوسف فخرج فقال المدلى.

قال الماوردي(3): ﴿فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ﴾ أي أرسلها ليملأها، يقال: أدلاها إذا أرسل الدلو ليملأها، ودلّاها إذا أخرجها مَلْأَىٰ. قال قتادة: فتعلق يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ بالدلو حين أرسلت. والبئر ببيت المقدس معروف مكانها.

● **قال تعالى:** ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ﴾ [البَقَرَة: 188].

قال الشعراوي(4): ﴿وَتُدْلُواْ﴾ مأخوذة من «أدلى»، ونحن ندلي الدلو لرفع

(1) التفسير الكبير.
(2) جامع البيان.
(3) النكت والعيون.
(4) تفسير الشعراوي.

الماء من البئر. و«دَلَاه»: أي أخرج الدلو، أما «أدلى»: فمعناها «أنزل الدلو». ولذلك في قصة الشيطان الذي يغوي الإنسان قال الحق: ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا﴾ [الأعراف: 22]. ﴿وَتُدۡلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلۡحُكَّامِ﴾ [البَقَرَة: 188] أي ترشوا الحكام لتأكلوا فريقاً من أموال الناس بالباطل، ومن العجيب أن هذا النص بعينه هو نص الرشوة.

والرشوة مأخوذة من الرِّشاء، والرِّشاء هو الحبل الذي يعلق فيه الدَّلو، فأدلى ودَلَا في الرشوة. ولماذا يدلون بها إلى الحكام؟ إنهم يفعلون ذلك حتى يعطيهم الحكام التشريع التقنيني لأكل أموال الناس بالباطل، وذلك عندما نكون محكومين بقوانين البشر، لكن حينما نكون محكومين بقوانين الله فالحاكم لا يبيح مثل هذا الفعل؛ ولذلك وضع رسول الله ﷺ هذا المبدأ فقال: «**إنما أنا بشر وإنه يأتيني الخصم، فلعل بعضكم أن يكون أبلغ من بعض، فأحب أنه صادق فأقضي له بذلك، فمن قضيت له بحق مسلم فإنما هي قطعة من النار فليأخذها أو ليتركها**». إن الذي يقول ذلك هو رسول الله ﷺ، وهو المعصوم، إنه يحذر من أن يحاول أحد أن يبالغ في قوة الحجة ليأخذ بها حقاً ليس له.

قال البيضاوي(1): ﴿وَتُدۡلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلۡحُكَّامِ﴾ عطف على المنهي، أو نصب بإضمار أن، والإدلاء الإلقاء، أي: ولا تلقوا حكومتها إلى الحكام.

قال الزمخشري(2): ﴿وَتُدۡلُواْ بِهَآ﴾ وتلقوا بعضها إلى حكام السوء على وجه الرشوة. وتدلوا: مجزوم داخل في حكم النهي، أو منصوب بإضمار أن، كقوله: ﴿وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ﴾ [البَقَرَة: 42].

● **قال تعالى**: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ [النّجم: 8].

قال ابن عطية(3): ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ فقال الجمهور: استند إلى جبريل عليه السلام،

---

(1) أنوار التنزيل.

(2) الكشاف.

(3) المحرر الوجيز.

أي دنا إلى محمد في الأرض عند حراء. وقال ابن عباس وأنس في حديث الإسراء ما يقتضي أنه يستند إلى الله تعالى، ثم اختلف المتأولون، فقال مجاهد: كان الدنو إلى جبريل. وقال بعضهم: كان إلى محمد. و: ﴿دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ على هذا القول معه حذف مضاف، أي دنا سلطانه ووحيه وقدره لا الانتقال، وهذه الأوصاف منتفية في حق الله تعالى. والصحيح عندي أن جميع ما في هذه الآيات هو مع جبريل، بدليل قوله: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ [النّجم: 13] فإن ذلك يقضي بنزلة متقدمة، وما روي قط أن محمداً ﷺ رأى ربه قبل ليلة الإسراء، أما أن الرؤية بالقلب لا تمنع بحال. و﴿دَنَا﴾ أعم من: «تدلى»، فبين تعالى بقوله: ﴿فَتَدَلَّىٰ﴾ هيئة الدنو كيف كانت، و: ﴿قَابَ﴾ [النّجم: 9] معناه: قدر. وقال قتادة وغيره: معناه من طرف العود إلى طرفه الآخر. وقال الحسن ومجاهد: من الوتر إلى العود في وسط القوس عند المقبض.

قال الماوردي[1]: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه جبريل.

الثاني: أنه الرب. وقوله: ﴿فَتَدَلَّىٰ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: تعلق فيما بين والسفل لأنه رآه منتصباً مرتفعاً ثم رآه متدلياً.

الثاني: معناه قرب، ومنه قوله تعالى: ﴿وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ﴾ [البَقَرَة: 188] أي تقربوها إليهم.

قال أبو السعود[2]: ﴿ثُمَّ دَنَا﴾ [النّجم: 8] أي أرادَ الدنوَّ من النبيِّ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ ﴿فَتَدَلَّىٰ﴾ أي استرسلَ من الأفقِ الأَعْلى مع تعلقٍ بهِ فدنَا من النبيِّ، يقالُ: تدلّت الثمرةُ، ودلَّى رجليهِ من السريرِ، وأدلَى دلْوَهُ. والدَّوالي: الثمرُ المعلقُ.

(1) النكت والعيون.
(2) إرشاد العقل السليم.

دَلَكَ

(دَلَكَ - مَسَحَ - دَهَنَ)

■ **الدَّلْكُ:** زوال شيء عن شيء، ولا يكون إلا برفق ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ﴾ [الإسراء: 78]. و الدَّلْكُ: دفع الشيء براحة اليد برفق.

■ **الْمَسْحُ:** إمرار اليد على الشيء وإزالة الأثر عنه ﴿وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ﴾ [المائدة: 6].

■ **الدِّهْنُ:** طلاء الشيء الرديء بلون يزينه ﴿وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ [القلم: 9].

❊ ❊ ❊

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الدال واللام والكاف أصلٌ واحد يدلُّ على زَوالِ شيءٍ عن شيء، ولا يكون إلاَّ برِفْق. يقال: دَلَكَت الشّمسُ: زالت. ويقال: دَلَكَتْ غابت.

والدَّلَكُ وقتُ دُلوك الشَّمس. ومن الباب: دَلَكْتُ الشَّيء، وذلك أنّك إذا فعلت ذلك لم تكَدْ يدُك تستقرُّ على مكانٍ دُونَ مكان. والدَّلُوك: ما يتدلَّكُ به الإنسان مِن طِيبٍ وغيره. والدَّلِيكُ: طعامٌ يُتَّخَذ من زُبدٍ وتَمْرٍ شبه الثّرِيد، والمدلوك: البعير الذي قد دلَكَتْه الأسفار وكَدَّتْه، ويقال: بل هو الذي في رُكْبتيه دَلَكٌ، أي: رخاوة؛ وذلك أخَفُّ من الطَّرَق. وفرسٌ مَدلُوك الحَجَبَةِ، أي: ليس بحَجَبَتِه إشرافٌ.

(1) معجم مقاييس اللغة.

وأرضٌ مدلوكة، أي: مأكولة؛ وذلك إذا كانت كأنّها دُلِكَتْ دَلْكاً. ويقال: الدُّلاكة آخِرُ ما يكون في الضَّرع من اللّبن، كأنّه سُمِّي بذلك لأنَّ اليد تَدْلُك الضَّرع.

قال ابن منظور[1]: ودَلَكْتَ الثوب: إذا مُصْتَه لتغسله. ودَلَكهُ الدهرُ: حَنَّكه وعلَّمه. الدُّلُك: عقلاء الرجال، وهم الحُنُك. ورجل دَلِيك حَنِيك: قد مارس الأُمور وعَرَفها. وبعير مَدْلُوك: إذا عاوَدَ الأسفار ومرن عليها، وقد دَلَكَتْه الأسفارُ؛ وتَدَلَّك بالشيء: تَخَلَّق به. والدَّلُوك: ما تُدُلِّك به من طيب وغيره.

وتَدَلَّكَ الرجل أَي: دَلَكَ جسده عند الاغتسال.

قال الجوهري[2]: دَلَكْتُ الشيء بيدي أَدْلُكُهُ: دَلْكاً. ودَلَكَتِ الشمس دُلوكاً: زالتْ. وقال تعالى: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ﴾ [الإسراء: 78]، ويقال: دُلوكُها: غروبُها.

ودَالَكَ الرجل غريمَه، أي: ماطَله. والدَّلوكُ: ما يُدْلَكُ به من طِيبٍ وغيره. والدَّليكُ: الترابُ الذي تسفيه الريح، والدَّليكُ: طعامٌ يُتَّخَذُ من زُبد وتمر كالثريد. وتَدَلَّكَ الرجل، أي: دَلَكَ جسدَه عند الاغتسال. وفرسٌ مَدْلوكُ الحَجَبَةِ: إذا لم يكن لحَجَبَتِه إشرافٌ.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ﴾ [الإسراء: 78].

قال الفخر الرازي[3]: اختلف أهل اللغة والمفسرون في معنى دلوك الشمس على قولين: أحدهما: أن دلوكها غروبها. والقول الثاني: أن دلوك الشمس هو

(1) اللسان.
(2) الصحاح في اللغة.
(3) التفسير الكبير.

زوالها عن كبد السماء، وهو اختيار الأكثرين من الصحابة والتابعين واحتج القائلون بهذا القول على صحته: الحجة الأولى: روى الواحدي في البسيط عن جابر أنه قال: «طعم عندي رسول الله ﷺ وأصحابه ثم خرجوا حين زالت الشمس فقال النبي ﷺ هذا حين دلكت الشمس». الحجة الثانية: روى صاحب «الكشاف» عن النبي ﷺ أنه قال: «**أتاني جبريل عليه السلام لدلوك الشمس حين زالت الشمس فصلى بي الظهر**».

الحجة الثالثة: قال أهل اللغة معنى الدلوك في كلام العرب الزوال، ولذلك قيل للشمس إذا زالت نصف النهار دالكة، وقيل لها إذا أفلت دالكة لأنها في الحالتين زائلة، هكذا قاله الأزهري: وقال القفال: أصل الدلوك الميل، يقال: مالت الشمس للزوال، ويقال: مالت للغروب؛ إذا عرفت هذا فنقول: وجب أن يكون المراد من الدلوك ههنا الزوال عن كبد السماء، وذلك لأنه تعالى علق إقامة الصلاة بالدلوك، والدلوك عبارة عن الميل والزوال، فوجب أن يقال إنه أول ما حصل الميل والزوال تعلق به هذا الحكم، فلما حصل هذا المعنى حال ميلها من كبد السماء وجب أن يتعلق به وجوب الصلاة، وذلك يدل على أن المراد من الدلوك في هذه الآية ميلها عن كبد السماء، وهذه حجة قوية في هذا الباب استنبطتها بناء على ما اتفق عليه أهل اللغة: أن الدلوك عبارة عن الميل والزوال، والله أعلم. الحجة الرابعة: قال الأزهري الأَوْلى حمل الدلوك على الزوال في نصف النهار، والمعنى ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أي أدمها من وقت زوال الشمس إلى غسق الليل، وعلى هذا التقدير فيدخل فيه الظهر والعصر والمغرب والعشاء، ثم قال: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ فإذا حملنا الدلوك على الزوال دخلت الصلوات الخمس في هذه الآية، وإن حملناه على الغروب لم يدخل فيه إلا ثلاث صلوات وهي المغرب والعشاء والفجر، وحَمْلُ كلام الله تعالى على ما يكون أكثر فائدة أَوْلى؛ فوجب أن يكون المراد من الدلوك الزوال.

واحتج الفراء على قوله الدلوك هو الغروب واعلم أن هذا الاستدلال ضعيف

لأن عندنا الدلوك عبارة عن الميل والتغير، وهذا المعنى حاصل في الغروب فكان الغروب نوعاً من أنواع الدلوك فكان وقوع لفظ الدلوك، على الغروب لا ينافي وقوعه على الزوال كما أن وقوع لفظ الحيوان على الإنسان لا ينافي وقوعه على الفرس، ومنهم من احتج أيضاً على صحة هذا القول بأن الدلوك اشتقاقه من الدلك لأن الإنسان يدلك عينيه عند النظر إليها، وهذا إنما يصح في الوقت الذي يمكن النظر إليها ومعلوم أنها عند كونها في وسط السماء لا يمكن النظر إليها، أما عند قربها من الغروب فيمكن النظر إليها وعندما ينظر الإنسان إليها في ذلك الوقت يدلك عينيه، فثبت أن لفظ الدلوك مختص بالغروب. والجواب أن الحاجة إلى ذلك التبيين عند كونها في وسط السماء أتم، فهذا الذي ذكرته يدل على أن الدلوك عبارة عن الزوال من وسط السماء أولى، والله أعلم.

قال أبو حيان[1]: الدلوك زوال الشمس نصف النهار. قيل واشتقاقه من الدلك لأن الإنسان تدلك عينه عند النظر إليها. وقيل الدلوك من وقت الزوال إلى الغروب. الغسق سواد الليل وظلمته. قال الكسائي: غسق الليل غسوقاً والغسق الاسم بفتح السين. وقال النضر بن شميل: غسق الليل دخول أوله.

(1) البحر المحيط.

دَمْدَمَ

(دَمْدَمَ - أَزَّ - غَلَى - عَصَفَ - قَصَفَ - قَرَعَ - رَعَد)

■ **الدَّمْدَمَةُ:** صوت الهدّة كوقوع قنبلة عظيمة ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا﴾ [الشّمس: 14].

■ **الأَزِيزُ:** صوت غليان القِدْر ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ [مريَم: 83].

■ **الغَلَيَانُ:** صوت القدر إذا طفحت بعد الأزيز ﴿كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾﴾ [الدخان: 45-46].

■ **العَصْفُ:** صوت الريح الشديدة حين تحرك العاصفة ﴿جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ [يُونس: 22].

■ **القَصْفُ:** صوت الريح حين تقصف الشجر ﴿فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ﴾ [الإسرَاء: 69].

■ **القَرْعُ:** صوت ضرب الحديد مع الحديد، ومنه قرع طبول الحرب ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ﴾ [الحَاقّة: 4].

■ **الرَّعْدُ:** صوت السحاب ليمطر بغزارة ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الرّعد: 13].

***

شرح المعاني:

العقوبات من البشر كما هي العقوبات من الله تعالى. البشر يضعون العقوبات من أجل رفع الظلم الذي يمكن دفعه. الظلم نوعان ظلم يمكن للمظلوم أن يدفعه عن نفسه كأن يُضرَب أو يُقتل أو يُسرق يقيم دعوى فيرفع عنه الظلم. والقرآن الكريم يقسم هذه العملية القضائية إلى قسمين: القسط وهو رفع الظلم أولاً ثم العدل وهو إثبات الحق وهو المرحلة الثانية، قال تعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف: 29] وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النّحل: 90] وهذا في كل العالم، العملية القضائية تقوم برفع الظلم وإثبات الحق، لكن المخلوقين يختلفون في بعض قيم العقوبات باختلاف حضاراتهم ودياناتهم مما يؤثر في نوع العقوبة المشروعة والشرعية، فمثلاً اتفق البشر على أن الحبس والغرامة عقوبات شرعية واختلفوا في العقوبات البدنية من قتل أو جلد أو قطع يد أو قصاص. كل قوانين العقوبات في العالم هي عقوبات من المعقول، والتعذيب الذي يمارس في العالم كله علناً في كثير من دول العالم وخاصة في دول العالم الثالث وبخاصة الدول العربية والإسلامية المتخلفة أصبح ظاهرة معلنة. ومن الغريب أن العالم المتحضر بدأ يستسيغ هذا النوع من العقوبات ولا ينفي ذلك على رغم ما نسمعه منهم. هذا المعقول يقابله عقوبات من الله عَزَّوَجَلَّ هي من اللامعقول، وهذه العقوبات تحدث إذا انقلب الظلم إلى طغيان. الظلم كما قلنا نوعان: نوع تستطيع أن تدفعه عن نفسك إما بقوتك أو قوة القانون أو ما شاكل ذلك وهذا الذي يضع له البشر القوانين. وهناك ظلم ليس للمظلوم أي قدرة على دفعه وهو ما يسمى طغياناً، فإذا انقلب الظلم إلى طغيان وصار لا يمكن دفعه إلا بقوة خارقة، يضع الله تعالى له قوانين العقاب وهي حتمية تاريخية إلى أن تقوم الساعة فيتدخل الله تعالى تدخلاً

مباشراً بغير أسباب لينتقم من الطاغية، والتاريخ شاهد على ذلك. العقاب إذن من الله عز وجل كالعقاب من البشر وكما أن للبشر نوعاً من أنواع التعذيب بالأصوات فإن لله تعالى مثل هذا وهو سبحانه لا يُسأل عَمَّا يفعل. البشر يعذبون بالأصوات والله تعالى يعذب بالأصوات والعذاب بالأصوات هو من أشد وأقسى أنواع التعذيب، سواء في قوانين البشر من المعقول أو قوانين الله تعالى من اللامعقول. هناك معتقل عسكري ومعتقل مدني، والمعتقل العسكري يعذّب عذاباً لا يمكن احتماله فيصرخ صراخاً لا يمكن وصفه بكل أدوات الوصف بحيث لو خُيّرت بين أن تسمع صراخ المعذَّبين أو أن تكون من المُعَذَّبين لاخترت أن تكون من المعذَّبين لأن صراخ المعذبين يجعلك تشعر أنه لا قيمة لك لمجرد سماعك هذا الصريخ وهو صريخ من المعقول، وعادة في السجون ما يختارون للتعذيب أناساً مرضى نفسياً يتلذذون بسماع هذه الأصوات وبتعذيب المعتقلين.

منظومة العقوبات الصوتية في كتاب الله تعالى 15 كلمة، كل كلمة تعبر عن نوع من أنواع الأصوات التي تشعر فيها بالعذاب الهائل لأن الصوت له لغة كما أن للعين لغة، فمن النظرة يمكن أن تعرف إذا كانت هذه النظرة تعني حباً أو شوقاً أو عتاباً أو استفهاماً أو ازدراء أو ولهاً أو غضباً أو مدحاً أو غيرها، لأن النظرة تعكس ما في قلبك من مشاعر، فللعين لغة وكذلك للصوت لغة، ومن الصوت يمكن أن تفهم إن كان المتكلم يزجرك أو ينهرك أو يكفّك عن عمل أو يستفهم أو يمدح أو أي شعور يريد أحدهم أن يعبر عنه. والأصوات مختلفة فهناك أصوات تدل على البهجة والأصوات التي تؤنس كالأذان وهناك أصوات تدخل السعادة والبهجة إلى قلبك وهناك أصوات تدخل الحزن كالبكاء وصوت الناي والكمان. هذه لغة الأصوات، ومن الأصوات ما هي أدوات للتعذيب الشديد استعملها البشر للتعذيب من صريخ وأصوات أخرى.

هذا الطغيان ليس له دافع إلا الله عز وجل . فرعون طغى واستأسد على بني إسرائيل وكان يقتل أبناءهم ويستحيي نساءهم، ولذا قال تعالى لموسى: ﴿ٱذْهَبْ

﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ [طه: 24] لم يقل إنه ظلم فكان لا بد لهذا الطغيان من أن ينتهي بكارثة، وما من طاغية على وجه الأرض إلا ولا بد أن ينتهي نهاية غير متوقعة، يهيىء الله تعالى لها الأسباب فيزيل الطاغية إزالة تشفي صدور الذين طغى عليهم. لله عَزَّوَجَلَّ تعذيباً بالأصوات لكن كل صوت له اسم معين كما جاء في القرآن الكريم. والله تعالى له عدة أسباب للتعذيب: منها الغرق (كما حصل مع فرعون) والأعاصير (ثمود) والخسف (قارون) والمسخ والتشريد (بني إسرائيل) وأحياناً يسلّط الله تعالى بعض الناس على بعض وهذا من انتقام الله تعالى منهم إذا طغوا.

كل كلمة قرية في القرآن الكريم تعني مجتمعاً ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ [النّحل: 112] مجتمع ظالم، بعضهم يظلم بعضاً فيسلط الله تعالى بعضهم على بعض ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: 40] كل جماعة طاغية سلّط الله تعالى عليها تسليطاً مباشراً لأن هذا الطغيان ليس بوسع أحد أن يدفعه إلا الله تعالى. وهذه سُنَّة من سنن الله تعالى في خلقه ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [إبراهيم: 42] الله تعالى ليس غافلاً وكل شيء يجري بأمره.

من ضمن العذاب وأدوات التعذيب التعذيب بالأصوات:

دمدم: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا﴾ [الشّمس: 14] هو صوت الهدّ عندما تسقط عمارة مرة واحدة تصدر منها صوت (دُم) صوت رهيب إذا سمعته شعرت بالفزع الشديد. من ضمن عقوبة الله تعالى للطغاة أن ينزل عليهم عذاباً بصوت عجيب كصوت الهدّ فيتفاجأون فيه وما يحدث من تفجيرات في العالم من ضمن هذا الصوت. الرعد مثلاً في بعض الحالات يملؤك رعباً

وفزعاً بحيث تهرب منه لمجرد الصوت فماذا لو جعله الله تعالى صوت عذاب؟ قوم عاد وثمود أهلكوا بالصيحة، والصيحة نسميها اليوم القنبلة الفراغية، ثمود كانت بيوتهم في الجبال أهلكهم الله تعالى بصوت عظيم كالدمدمة مات كل من في البيوت ثم ألقى عليهم بعض الحجارة. فالدمدمة صوت من أصوات الرعب يسخرها الله عَزَّوَجَلَّ إذا وجد طاغية أو شعباً طاغياً يهلكه الله تعالى بهذا الصوت.

الرعد: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البَقَرَة: 19] في بعض الحالات نسمع صوت رَعْدٍ تكاد الأذن تنفجر من الصوت.

القصف: ﴿أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ۙ ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا﴾ [الإسرَاء: 69] القاصف والقصف هو الصوت الصادر من الريح التي تكسر الأشجار وتوقع البنيان لكنها لا تثير إعصاراً أو فيضاناً.

العصف: ﴿فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا﴾ [المُرسَلات: 2] هي الريح التي تصدر أصواتاً هائلة تكسر الأشجار وتوقع البنيان وتثير حالة من الطوفان والعصف يعقب كل نوع من أنواع التفجير، ويقال أن العصف الذري لا بد أن يعقبه عصف.

القرع: ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [الرّعد: 31] الكفران كفران النعمة، السلاح نعمة والعلم نعمة وكل ما يفتح للإنسان هو نعمة من نعم الله تعالى فإذا استعملها الإنسان بالخير فهذا استعمال النعمة في طاعة الله تعالى وإذا استعملها في ظلم الآخرين والاعتداء عليهم فهذا من كفران النعمة وعذابهم من الله تعالى أن يصيبهم بصناعاتهم قارعة، ونحن نرى الآن أن كثيراً من الصناعات بدأت تضر بأصحابها مثل الأسلحة النووية والقنبلة الجرثومية وغيرها كما حصل في مفاعل تشيرنوبل الذي بتسريب بسيط حدث فيه مات أكثر من 120 ألف شخص في ليلة واحدة. والقرع هو ضرب شيء صلب بشيء صلب، والقارعة نوع من الشعور بالخوف

والرعب من صوت كصوت ضرب الحديد بالحديد. أصوات قوية تصدر من شيئين صلبين يضرب أحدهما بالآخر يسمى هذا قرعاً.

الزجر: صوت الطرد ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ [النازعات: 13] إنسان نائم وتريد إيقاظه فتصرخ به، يسمى هذا زجراً أو أن تطرد حيواناً كاسحاً فتصدر صوتاً قوياً فيهرب، فما بالك إذا أراد ربك أن يوقظ نياماً أو يُنهي حكماً أو يبعث أمواتاً أو يهلك طاغية؟ يستعمل صوتاً من أصوات الزجر بحيث يصبح بعدها الطاغية إنساناً هامداً.

البكاء: هو حزن مع سيلان الدمع وهو نوع من أنواع التعذيب. ماذا لو أن طفلك بكى طوال الليل من ألم أو مرض فستكون أنت في غاية الألم والتعذيب، والرسول ﷺ كان يقول لفاطمة عندما كان الحسين يبكي: «**يا فاطمة أسكتيه فإن بكاءه يؤذيني**»، كان ﷺ يشعر بألم لمجرد بكاء الطفل. ماذا لو أبكاك الله عز وجل على عزيز مما تملك من وطن أو مال أو أهل بكاء الثكالى ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [التوبة: 82] وما أشد تعذيب الباكي إذا كان طاغية فقد ملكه.

وهناك فرق بين بكى وبكاء، فالبكاء إذا كان الصوت أكثر من الحزن، وبكى إذا كان الحزن في قلبك أكثر من صوت البكاء كما قال تعالى: ﴿إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم: 58].

الزلزلة: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ [الزلزلة: 1] هزة أرضية تسقط المباني وتحدث أصواتاً مرعبة. وهناك زلزلة مادية وهي أي اضطراب مادي يحصل اهتزاز فتسقط المباني وتحدث أصواتاً تفتت الأعصاب وتشعرك بألم شديد، ولا بد أن تجثو على ركبتيك، ويوم القيامة ولشدة أهوالها وأصواتها المرعبة يجثو الأنبياء على ركبهم من شدة الرعب من الأصوات ويشعرون بعذاب شديد فيجثون على الركب من شدة الخوف كما ذكر ﷺ في الحديث الشريف. هذه الزلزلة تحدث أصواتاً وكل شيء حولك يحدث أصواتاً مرعبة. وهناك زلزلة معنوية فقد تكون

الزلزلة اضطراباً نفسياً من الداخل ﴿هُنَالِكَ ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُواْ زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ [الأحزاب: 11]. فالزلزلة إما أن تكون صوتاً خارجياً أو اضطراباً من داخلك يجعلك مضطرباً حتى تسقط من الوهن والإعياء.

الصيحة: صوت كالقنبلة الفراغية تحدث صوتاً هائلاً يموت الناس بها.

التصدية: التصفيق الحاد والصفير الحاد ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [الأنفال: 35]. الضوضاء في السجون والتعذيب بهذه الأصوات أصبح منتشراً، مثلاً أن يضعوا موسيقى معينة طوال 24 ساعة أو صوتاً مستمراً: بكاء أو غيره. والآية تشير إلى المشركين الذين كانوا يجتمعون حول المسلمين في صلاتهم فيصفقون ويصفرون بشكل مستمر بحيث يحاولون أن يمنعوا المسلمين عن صلاتهم من شدة الإزعاج الذي يسببه هذا الصفير والتصفيق.

التغيّظ: هو صوت الحقد. لسانك ساكت لكن قلبك يغلي من الحقد، وإذا أمسكت بالذي تحقد عليه تريد أن تخنقه تصدر صوتاً مما في قلبك عليه لأن حقدك شديد. هذا الصوت يكون على السامع أشد من الخنق. قال تعالى: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ [الفرقان: 12] التغيظ لا يكون إلا مع الزفير. عندما تريد أن تبدي غيظك من أحد تصدر صوتاً موحشاً كالوحش الكاسر وهذا صوت الحقد الذي يصل إلى حد الانتقام كما جهنم يوم القيامة. يقول الشاعر:

عوى الذئب فاستأنست بالذئب إذ عوى وصوّت إنسان فكدت أطير

الأزيز: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ [مريم: 83] صوت الرصاص أو صوت سقوط الجبل، لو كنت في حرب ومرت عليك من جانب أذنك رصاصة أو صاروخ أو قنبلة تسمع لها أزيزاً يذهب بالقلوب وصوت الطائرة في الحرب وهي تقصف صوت مخيف يشعر الناس برعب شديد. وصوت أزيز الطائرات أشد من الموت. الأزيز صوت يستعمل للعقوبات من الله رب العالمين

فيسلّط على الطاغية أزيزاً من داخله كالنمرود كان يشعر بأزيز في أذنيه لا يدعه ينام حتى مات.

الضبح: صوت الخيل عندما تكون في سرعة متناهية ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا﴾ [العَاديَات: 1]. تصوّر مئة فرس تضبح معاً تصدر صوتاً يشعرك برعب شديد، هذا الضبح تمثله الآن هدير الدبابات والمدرعات في معركة. في السابق كانت الخيل عندما تضبح تلقي الرعب في قلوب العدو والأصوات كفيلة بإنهاك العدو.

التفجير: شيء صلب تفجّره فيحدث صوتاً عظيماً. ﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [البَقَرَة: 74] ﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [البَقَرَة: 60] فجر الله تعالى لِبَني إسرائيل اثنتي عشرة عيناً من الماء من صخرة فهذا التفجير أحدث صوتاً عظيماً فما بالك إذا كان التفجير بقنابل وعبوات وغيرها.

الحسيس: صوت النار المرعب، فالنار عندما تتقلب لها حسيس يمزّق الأعصاب ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ﴾ [الأنبيَاء: 102].

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الدال والميم أصلٌ واحد يدلُّ على غِشْيان الشَّيء، مِن ناحيةِ أنْ يُطْلَى به. تقول: دَمَمْتُ الثَّوبَ، إذا طليتَه: أي صِبْغ، وكلُّ شيءٍ طُلِي على شيءٍ فهو دِمام. فأمّا الدّمدمة فالإهلاك. قال الله تعالى: ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ﴾ [الشّمس: 14]. وذلك لِمَا غَشّاهم به من العذاب والإهلاك.

(1) معجم مقاييس اللغة.

وقِدْرٌ دميمٌ: مطلِيَّة بالطِّحال. والدَّامَّاء: جُحْر اليربوع، لأنّه يدُمُّه دمّاً، أي: يُسَوِّيه تسويةً. فأمَّا قولهم: رجلٌ دميمُ الوجه فهو من الباب، كأنّ وجهَه قد طلِيَ بسوادٍ أو قُبْحٍ. يقال: دَمَّ وجههُ يَدِمّ دَمامةً، فهو دميم. وأمَّا الدَّيْمُومَة، وهي المَفَازة لا ماءَ بها، فمن الباب؛ لأنّها كأنَّها في استوائها قد دُمَّت، أي: سُوِّيت تسويةً، كالشَّيء الذي يُطلى بالشيء. والدَّمادِم من الأرض: رَوَابٍ سَهْلَةٌ.

قال ابن منظور(1): دَمَّ الشيءَ يَدُمُّه دَمّاً: طلاه. والدَّمُّ والدِّمامُ ما دُمَّ به.

ودُمَّ الشيءُ إذا طُليَ. والدِّمامُ، بالكسر: دواء تُطْلى به جبهةُ الصبي وظاهرُ عينيه، وكل شيء طُليَ به فهو دِمامٌ؛ وقال يصف سَهْماً: وخَلَّقْتُهُ، حتى إذا تَمَّ واسْتَوَى، كمُخَّةِ ساقٍ أو كمتْنِ إمامِ، قَرَنْتُ بحِقْوَيْهِ ثلاثاً، فلم يَزِغْ عن القَصْدِ، حتى بُصِّرَتْ بدِمامِ يعني بالدِّمام الغِراءَ الذي يُلْزَقُ به ريشُ السهم، وعَنى بالثلاث الريشات الثلاث التي تُرَكَّبُ على السهم، ويعني بالحِقْو مُسْتَدَقَّ السهم مما يلي الريش، وبُصِّرَتْ: يعني ريش السهم طُلِيَتْ بالبَصِيرةِ، وهي الدم.

والدِّمامُ: الطِّلاءُ بحمرة أو غيرها.

قال الجوهري(2): الدِّمامُ بالكسر: دواءٌ تطلى به جبهةُ الصبيّ وظاهرُ عينيه. وكلُّ شيءٍ طُلي به فهو دِمامٌ.

وقد دَمَمْتُ الشيء أَدُمُّهُ بالضم، إذا طليتَه بأيِّ صبغٍ كان. والمَدْمومُ: الأحمرُ.

والمَدْمومُ: الممتلئ شحماً من البعير وغيره. وقد دُمَّ بالشحم، أي: أُوقِرَ.

وقِدْرٌ مَدْمومَةٌ ودَميمٌ، أي: مطليَّةٌ بالطِحال. والدَّمِيمُ: القبيحُ. وقد دَمَمْتَ يا فلان تَدِمُّ وتَدُمُّ دَمامَةً، أي: صرتَ دَميماً. والدُّمَّةُ: لُعبةٌ. والدُّمَّةُ: الطريقةُ. والدِّمَّةُ: بالكسر: البَعْرَةُ. والدَّامَّاءُ: إحدى جِحَرَةِ اليربوع، مثل الراهطاء.

---

(1) اللسان. (2) الصحاح في اللغة.

والجمع دَوامٌّ على فواعلَ. وكذلك الدُّمَّةُ والدُّمَمَةُ أيضاً. ودَمَّ اليربوعُ جحْرَهُ، أي: كَبَسَهُ. والدَّيْمومَةُ: المفازة لا ماءَ بها. والمُدَمَّمُ المطويّ من الكِرار.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى:** ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم﴾ [الشّمس: 14].

قال الزمخشري[1]: ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ﴾ فأطلق عليهم العذاب، وهو من تكرير قولهم: ناقة مدمومة: إذا ألبسها الشحم.

قال الفخر الرازي[2]: أما قوله تعالى: ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّنهَا﴾ فاعلم أن في الدمدمة وجوهاً، الوجه الأول: قال الزجاج: معنى دمدم أطبق عليهم العذاب، يقال: دمدمت على الشيء إذا أطبقت عليه، ويقال: ناقة مدمومة، أي قد ألبسها الشحم، فإذا كررت الإطباق قلت دمدمت عليه. قال الواحدي: الدم في اللغة اللطخ، ويقال للشيء السمين: كأنما دم بالشحم دماً، فجعل الزجاج دمدم من هذا الحرف على التضعيف نحو «كبكبوا» وبابه، فعلى هذا معنى دمدم عليهم، أطبق عليهم العذاب وعمهم كالشيء الذي يلطخ به من جميع الجوانب. الوجه الثاني: تقول للشيء يدفن: دمدمت عليه، أي سويت عليه، فيجوز أن يكون معنى فدمدم عليهم، فسوى عليهم الأرض بأن أهلكهم فجعلهم تحت التراب. الوجه الثالث: قال ابن الأنباري: دمدم غضب، والدمدمة الكلام الذي يزعج الرجل. والوجه الرابع: دمدم عليهم أرجف الأرض بهم، رواه ثعلب عن ابن الأعرابي.

---

(1) الكشاف.
(2) التفسير الكبير.

قال الماوردي[1]: ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

الأول: معناه فغضب عليهم.

الثاني: معناه فأطبق عليهم.

الثالث: معناه فدمّر عليهم، وهو مثل دمدم، كلمة بالحبشية نطقت بها العرب.

قال الزجاج[2]: أي: أطبق عليهم العذاب. يقال: دمدمت على الشيء: إذا أطبقت فكرَّرت الإطباق. وقال المؤرِّج: الدمدمة: إهلاك باستئصال.

قال الألوسي[3]: ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم﴾ [الشّمس: 14] فأطبق عليهم العذاب، وقالوا دمدم عليه القبر أي أطبقه، وهو مما تكرر فيه الفاء فوزنه فعفل لا فعلل من قولهم ناقة مدمومة إذا لبسها الشحم وغطاها، وقال في «القاموس» معناه أتم العذاب عليهم، وقال مؤرج الدمدمة إهلاك باستئصال، وفي «الصحاح» دمدمت الشيء ألزقته بالأرض وطحطحته. وقرأ ابن الزبير (فدهدم) بهاء بين الدالين والمعنى كما تقدم.

---

(1) النكت والعيون.

(2) معاني القرآن.

(3) روح المعاني.

دمي
(دمي)

النصوص اللغوية:

قال الجوهري[1]: الدَّمُ أصله: دَمَوٌ بالتحريك، وإنما قالوا: دَمِيَ يَدْمَى لحال الكسرة التي قبل الياء، كما قالوا رَضيَ يَرْضى وهو من الرضوان.

وبعض العرب يقول في تثنيته دَمَوانِ. وتصغير الدَّم دُمَيٌّ. والجمع دِماءٌ، والنسبة إليه دَمِيٌّ، وإن شئت دَمَويٌّ. ويقال: دَمِيَ الشيء يَدْمَى ودُمِيًّا فهو دَمٍ.

والمُدَمَّى: السهم الذي عليه حُمرة الدم وقد جَسِدَ به حتّى يضربَ إلى السواد.

وكان الرجل إذا رمى العدوَّ بسهم فأصاب ثم رماه به العدوّ وعليه دمٌ، جعله في كنانته تبرُّكاً به. ويقال: المُدَمَّى: الشديد الحمرة من الخيل وغيره.

وكلُّ أحمرَ شديد الحمرة فهو مُدَمَّى. يقال: كُمَيْتٌ مُدَمَّى. ويقال: المُدَمَّى: السهم الذي يتعاوره الرُماةُ بينهم. قال الأصمعيّ: المُسْتَدْمِي: الذي يَستخرج من غريمه دَيْنَهُ بالرفق. قال: والمُسْتَدْمي أيضاً: الذي يقطر من أنفه الدم، المطأطئ رأسه. وأَدْمَيْتُهُ أنا ودَمَّيْتُهُ تَدْمِيَةً، إذا ضربتَه حتّى خرج منه دَمٌ. والدامِيَةُ: الشَجَّةُ التي تَدْمى ولا تسيل. ودَمُ الأخوين: العَنْدَمُ. والدَّمَةُ أخصُّ من الدَّمِ.

قال الخليل[2]: الدمُ معروف، والقطعة منه دَمَةٌ واحدة، وكأنَّ أصلَه دَمَيٌ لأنّك تقول: دَمِيَتْ يدُه. والمُدَمَّى من الخيل الأشقَرُ الشديدُ الحُمرْة، شِبْه لون الدَّمِ، وكل

---

(1) الصحاح في اللغة.
(2) العين.

شيءٍ فيه سَوادٌ وحُمْرة فهو مُدَمًّى. وبَقْلَةٌ لها زهرة يقال لها: دُمية الغِزلان. والدُّميةُ: الصَّنَمُ والصُّورةُ المُنَقَّشة. وشَجَّةٌ دامية: دَمِيَت ولمّا تَسِلْ، وقيل إذا سالَتْ، والأوّلُ أصوَبُ لأنّ الدامِعَةَ سائلةٌ، والداميةُ التي تَدْمَى ولم تَدْمَعْ بعدُ.

قال الفيروزآبادي[1]: الدَّمُ: أَصْلُه دَمَيٌ، تَثْنِيَتُه دَمانِ ودَمَيانِ دِماءٌ ودُمِيٌّ، وقِطْعَتُه: دَمَةٌ، أَو هي لغةٌ في الدَّمِ، وقد دَمِيَ، كرَضِيَ، دَمًى، وأَدْمَيْتُه ودَمَّيْتُه. وهو دامِي الشَّفَةِ: فَقيرٌ. وبَناتُ دَمٍ: نَبتٌ. والدَّمُ: السِّنَّوْرُ. ودَمُ الغِزْلانِ: بَقْلَةٌ. ودَمُ الأخَوَيْنِ: م، وفارِسِيَّتُهُ: خُونِ سِياوُشانْ. والدُّمْيَةُ، بالضم: الصُّورةُ المُنَقَّشَةُ من الرُّخامِ، أو عامٌّ، والصَّنَمُ دُمًى. والمُدَمَّى: السَّهْمُ عليه حُمْرَةُ الدَّمِ، والشَّديدُ الحُمْرَةِ من الخَيْلِ وغيرِه. والمُسْتَدْمِي: مَنْ يَسْتَخْرِجُ من غَرِيمِهِ دَيْنَه بالرِفْقِ، ومَنْ يَقْطُرُ من أنْفِه الدَّمُ، وهو مُتَطَأْطِئٌ. والدامِيَةُ: شَجَّةٌ تَدْمَى ولا تَسِيلُ. والدامِياءُ: الخَيْرُ، والبَرَكَةُ. ودَمَّيْتُ له تَدْمِيَةً: سَهَّلْتُ له سَبِيلاً، وطَرَّقْتُه، وقَرَّبْتُ له، وظَهَرْتُ.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ﴾ [المَائدة: 3].

قال الطبري[2]: الدم، فإن الدم المسفوح دون ما كان منه غير مسفوح، لأن الله جلّ ثناؤه قال: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ﴾ [الأنعَام: 145] فأما ما كان قد صار في معنى اللحم كالكبد والطِّحال، وما كان في اللحم غير منسفح، فإن ذلك غير حرام، لإجماع الجميع على ذلك.

(1) القاموس المحيط.
(2) جامع البيان.

قال الزمخشري[1]: كان أهل الجاهلية يأكلون هذه المحرمات: البهيمة التي تموت حتف أنفها، والفصيد وهو الدم في المباعر.

قال الفخر الرازي[2]: واعلم أن تحريم الميتة موافق لِمَا في العقول، لأن الدم جوهر لطيف جداً، فإذا مات الحيوانِ حتف أنفه احتبس الدم في عروقه وتعفن وفسد وحصل من أكله مضار عظيمة. والثاني: الدم: قال صاحب «الكشاف» كانوا يملؤون المعي من الدم ويشوونه ويطعمونه الضيف، فالله تعالى حرم ذلك عليهم. والثالث: لحم الخنزير، قال أهل العلم: الغذاء يصير جزءاً من جوهر المغتذي، فلا بدّ أن يحصل للمغتذي أخلاق وصفات من جنس ما كان حاصلاً في الغذاء.

● **قال تعالى**: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ﴾ [البقرة: 84].

قال الفخر الرازي[3]: قوله تعالى: ﴿لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ﴾ ففيه إشكال، وهو أن الإنسان ملجأ إلى أن لا يقتل نفسه، وإذا كان كذلك فلا فائدة في النهي عنه. والجواب عنه من أوجه: أحدها: أن هذا الإلجاء قد يتغير كما ثبت في أهل الهند أنهم يقدرون في قتل النفس التخلص من عالم الفساد واللحوق بعالم النور والصلاح أو كثير ممن صعب عليه الزمان، وثقل عليه أمر من الأمور، فيقتل نفسه، فإذا انتفى كون الإنسان ملجأ إلى ترك قتله نفسه صح كونه مكلفاً به. وثانيها: المراد لا يقتل بعضكم بعضاً، وجعل غير الرجل نفسه إذا اتصل به نسباً وديناً وهو كقوله تعالى: ﴿فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ [البَقَرَة: 54]. وثالثها: أنه إذا قتل غيره فكأنما قتل نفسه لأنه يقتص منه. ورابعها: لا تتعرضوا لمقاتلة من يقتلكم فتكونوا قد قتلتم أنفسكم. وخامسها: لا تسفكون دماءكم من قوامكم في مصالح الدنيا بهم فتكونون مهلكين لأنفسكم.

---

(1) الكشاف.
(2) التفسير الكبير.
(3) التفسير الكبير.

قال ابن عطية[1]: ﴿دِمَآءَكُمْ﴾ جمع دم، وهو اسم منقوص أصله دمي، وتثنيته دميان، وقيل أصله دمْي بسكون الميم، وحركت في التثنية لتدل الحركة على التغيير الذي في الواحد.

قال البغوي[2]: أي لا تريقون دماءكم، أي: لا يسفك بعضكم دم بعض. وقيل: لا تسفكوا دماء غيركم فتسفك دماؤكم، فكأنكم سفكتم دماء أنفسكم.

(1) المحرر الوجيز. (2) معالم التنزيل.

دَمَّرَ

(دَمَّرَ - بَادَ - مَحق - هَلَكَ - بَطَشَ)

■ **الدَّمَارُ:** انتهاءُ بُنْيَةِ الشيء بحرب أو زلزال ﴿وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ﴾ [الأعراف: 137].

■ **الْبَيَادُ:** التفرق والفناء في البيداء، يقال: «باد بيد بياد». ﴿قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا﴾ [الكهف: 35].

■ **الْمَحْقُ:** نقصان الشيء إلى حدّ الهلاك ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [البَقَرَة: 276].

■ **أَهْلَكَ:** فعل به ما يزيل روحه حيث لا عقب له ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ۝٥٠ وَثَمُودَاْ فَمَآ أَبْقَىٰ ۝٥١﴾ [النجم: 50-51].

■ **الْبَطْشُ:** قهر العدو بصولة تذهب القدرة على الحركة ﴿وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ [الشُّعَرَاء: 130].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الدال والميم والراء أصلٌ واحد يدلُّ على الدُّخول في البيت وغيره. يقال: دَمَرَ الرّجُل بيتَه، إذا دَخلَه. وَفَرَّقَ ناسٌ بين أن يكون دخولُه بإذْنٍ أو غير إذْن، فقال أبو عُبيد في حديث النبي عليه الصلاة والسلام: «**مَن اطَّلَعَ**

(1) معجم مقاييس اللغة.

في بيتِ قومٍ بغير إذْنٍ فقد دمر»، أي: دخل. قال أبو عبيد: هذا إذا كان بغير إذْن، فإن كان بإذْنٍ فليس بدُمُور. وهذا تفسيرٌ شرعيّ، وأمّا قِياس الكلمة فما ذكرناه أوَّلاً. قال الشّيبانيُّ والأصمعيُّ: المُدَمِّرُ: الداخل في القُتْرة. ويقال: دَمَر القُنفذُ إذا دخَلَ جُحْره. وقال ناسٌ: المدَمِّرُ: الصّائد يدخِّن بأوبار الإبلِ وغيرِها حتّى لا يَجد الصَّيدُ رِيحَه. والذي عندنا أنّ المُدَمِّرُ: هو الدّاخِلُ قُتْرتَه، فإذا دخَلَها دَخّن. وليس المدمِّر مِنْ نَعْتِ المُدَخِّن، والقياس لا يقتضيه. وقال الله تعالى: ﴿دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۖ وَلِلۡكَٰفِرِينَ أَمۡثَٰلُهَا﴾ [محمَّد: 10]. والدَّمار: الهلاك. ويقال إن التّدْمِريَّ: ضَربٌ من اليَرابيع. فإن كان صحيحاً فهو القياس، لأنه يدمِّر في جِحَرَتِه.

قال الخليل[1]: الدَّمارُ: استئصال الهلاك، يقال: دَمَرَ القومُ يدمُرون دَماراً أي: هَلَكوا. ودَمَّر عليهم: مَقَتَهُم. ودَمَّرَهم اللهُ تدميراً. وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَدَمَّرۡنَٰهُمۡ تَدۡمِيرٗا﴾ [الفُرقان: 36]، يعني فِرْعَونَ وقومَه الذين مُسِخوا قِرَدةً وخَنازيرَ. والمُدَمِّرُ: اسمُ الصَّيّاد. وتَدْمُر: اسمُ مدينةٍ بَناها الشَّياطين بإذنِ سليمان بن داود عَلَيْهِ السَّلَامُ.

والتَّدْمُريُّ من اليَرابيع: ضَرْبٌ لئيم الخِلْقةِ عَلْب اللحم أي عَضِلٌ.

يقال: هو من مِعزى اليَرابيع، وأمّا ضَأنُها فهو شَفارِيُّها، وعلامةُ الضَّأن فيها أن له في وَسَط ساقه ظُفْراً في مَوضِع صِيصِيَةِ الدِّيك، ويوصف به الرجل اللئيم. والدُّمُور: الدُّخول على القوم بلا إذنٍ، ودَمَرَ يَدْمُرُ دَمْراً ودُموراً.

قال الجوهري[2]: الدَّمارُ: الهَلاكُ. يقال: دَمَّرَهُ تَدْميراً، ودَمَّرَ عليه بمعنىً.

وتَدْميرُ الصائِدِ: أن يُدَخِّن قُتْرَتَهُ بالوَبَرِ لئلَّا يَجِدَ الوَحْشُ ريحَهُ فيه. ودَمَرَ يَدْمُر دُموراً: دخلَ بغير إذْن. وفي الحديث: «**مَنْ سَبَقَ طَرْفُه اسْتِئْذانَه فقد دَمَرَ. تَدْمُريٌّ، إذا كان صغيراً قصيراً**».

(1) العين. (2) الصحاح في اللغة.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى:** ﴿فَدَمَّرۡنَٰهُمۡ تَدۡمِيرٗا﴾ [الفُرقان: 36].

قال الفخر الرازي[1]: (دَمَّرْنَـٰهُمْ) أهلكناهم إهلاكاً، فإن قيل: الفاء للتعقيب والإهلاك لم يحصل عقيب ذهاب موسى وهٰرون إليهم بل بعد مدة مديدة، قلنا: التعقيب محمول ههنا على الحكم لا على الوقوع، وقيل: إنه تعالى أراد اختصار القصة فذكر حاشيتيها أولها وآخرها لأنهما المقصود من القصة بطولها، أعني إلزام الحجة ببعثة الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم.

قال البيضاوي[2]: ﴿بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرۡنَٰهُمۡ تَدۡمِيرٗا﴾ [الفُرقان: 36] أي فذهبا إليهم فكذبوهما فدمرناهم، فاقتصر على حاشيتي القصة اكتفاء بما هو المقصود منها، وهو إلزام الحجة ببعثة الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم، والتعقيب باعتبار الحكم لا الوقوع.

قال أبو السعود[3]: ﴿فَدَمَّرۡنَٰهُمۡ﴾ إثرَ ذلك التَّكذيبِ المستمرِّ ﴿تَدۡمِيرٗا﴾ عجيباً هائلاً لا يُقادرُ قَدرُه ولا يُدرك كُنهُه فاقتصر على حاشيتي القصَّةِ اكتفاءً بما هو المقصودُ وحَملُ قوله تعالى: فدمَّرناهم على معنى فحكمنا بتدميرِهم مع كونِه تعسُّفاً ظاهراً مما لا وجَه؛ له إذ لا فائدةَ يُعتدُّ بها في حكاية الحكم بتدميرِهم لأنه قد وقع وانقضى، والتَّعرضُ في مطلع القصَّةِ لإيتاء الكتاب مع أنَّه كان بعد مهلكِ القوم ولم يكن له مدخلٌ في هلاكهم كسائرِ الآيات للإيذانِ من أوَّلِ الأمر ببلوغِه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ غايةَ الكمالِ ونيله نهايةَ الآمالِ التي هي إنجاءُ بني إسرائيلَ من ملكة فرعونَ وإرشادُهم إلى طريق الحقِّ بما في التَّوراة من الأحكام، إذ به يحصُلُ تأكيدُ الوعدِ بالهدايةِ على الوجه الذي مرَّ بيانُه.

---

(1) التفسير الكبير.
(2) أنوار التنزيل.
(3) إرشاد العقل السليم.

● **قال تعالى**: ﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْآخَرِينَ﴾ [الشُّعَرَاء: 172].

قال الألوسي[1]: أهلكناهم أشد إهلاك وأفظعه وكان ذلك الائتفاك. والظاهر العطف على ﴿فَنَجَّيْنَٰهُ﴾ [الشعراء: 170] والتدمير متراخ عن التنجية من مطلق العذاب، فلا حاجة إلى القول بأن المراد أردنا تنجيته أو حكمنا بها أو معنى ﴿فَنَجَّيْنَٰهُ﴾ فاستجبنا دعاءه في تنجيته، وكل ذلك خلاف الظاهر. وجوز الطيبي كون ﴿ثُمَّ﴾ للتراخي في الرتبة.

قال الشعراوي[2]: أي: الذين لم يؤمنوا بدعوته، ولم ينتهوا عن هذه الفاحشة، ثم بيَّن نوعية هذا التدمير.

قال القرطبي[3]: ﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْآخَرِينَ﴾ أي أهلكناهم بالخسف والحصب. قال مقاتل: خسف الله بقوم لوط وأرسل الحجارة على من كان خارجاً من القرية.

● **قال تعالى**: ﴿وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ﴾ [الأعراف: 137].

قال الفخر الرازي[4]: وقوله: ﴿وَدَمَّرْنَا﴾ قال الليث: الدمار: الهلاك التام. يقال: دمر القوم يدمرون دماراً أي هلكوا.

قال البغوي[5]: دمرنا: أهلكنا.

قال أبو السعود[6]: ﴿وَدَمَّرْنَا﴾ أي خرّبنا وأهلكنا.

---

(1) روح المعاني.
(2) تفسير الشعراوي.
(3) الجامع لأحكام القرآن.
(4) التفسير الكبير.
(5) معالم التنزيل.
(6) إرشاد العقل السليم.

دمع

(دَمَعَ)

■ **الدَّمْعُ:** اسم للسائل من العين. ومصدر دمعت العين دمعاً ودمَعَاناً.

﴿تَوَلَّوْا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا﴾ [التوبة: 92].

❋ ❋ ❋

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس(1): الدال والميم والعين أصلٌ واحد يدلُّ على ماءٍ أو عَبْرةٍ. فمن ذلك الدَّمْع ماءُ العَين، والقَطرةُ دَمْعةٌ. والفِعْل دَمَعَتِ العينُ دَمْعاً ودَمِعَتْ دَمَعاً ودَمَعَتْ دُمُوعاً أيضاً. وعينٌ دامعةٌ. وجمعُ الدَّمْع دُموع. ويقال امرأة دَمِعَةٌ: سريعةُ البكاء كثيرةُ الدَّمْع. ويقال شَجَّةٌ دامعةٌ: تسيل دَماً. كذا هو في كتاب الخليل. والأصحُّ مِن هذا أنّ التي تسيلُ دماً هي الدَّامِية، فأمّا الدّامعة، فأمْرُها دون ذلك، لأنّها التي كأنّها يَخْرُج منها ماءٌ أحمرُ رقيق، وذكر اليزيديُّ أنّ الدُّمَاع أَثَرُ الدَّمْع على الخَدّ.

ويقال: دُماعاً. والدُّماع مخفَّف ومثقّل: ما يَسِيل من الكَرْم أيَّامَ الرَّبيع.

قال الخليل(2): دَمِعَتِ العينُ تدمَعُ دَمَعاً ودَمْعاً ودُمُوعاً. من قال: دَمِعَتْ قال: دَمَعاً، ومن قال: دَمَعَتْ قال: دَمْعاً. وعين دامعة، والدّمْع: ماؤها. والدَّمْعَة القطرة. والمَدْمَعُ: مجتمع الدّمع في نواحيها. يقال: فاضت مدامعي ومدامع

---

(1) معجم مقاييس اللغة. (2) العين.

عيني. والماقيان من المدامع، وكذلك المؤخّران. وامرأة دَمِعَةٌ: سريعة الدمعة والبكاء، وإذا قلت: ما أكثر دَمْعَتَها خففت، لأنّ ذلك تأنيث الدمع.

ويقال للماء الصّافي: كأنّه دمعة. والدَّمّاع من الثّرى ما تراه يتحلّب عنه النّدى، أو يكاد. ودُمّاعُ الكَرْمِ ما يسيل منه أيّام الربيع. والدَّمّاعُ: ما تحرّك من رأس الصبيّ إذا ولد ما لم يشتدّ، وهي اللّمّاعة والغاذية أيضاً. وشجّة دامعة: تسيل دماً.

قال الجوهري(1): الدَّمْعُ: دَمْعُ العين. والدَّمْعَةُ القَطرَةُ منه. ودَمَعَتِ العينُ تَدْمَعُ دَمْعاً، ودَمِعَتْ بالكسر دَمَعاً: لغةٌ حكاها أبو عبيدة. وامرأةٌ دَمِعَةٌ: سريعةُ الدَّمْعَةِ. والدَّامِعَةُ من الشِجاجِ بعد الدامية. والمَدامِعُ: المآقي، وهي أطراف العين. والدُّماعُ بالضم: ماء العين من عِلَّةٍ أو كِبَرٍ، ليس الدَّمْعَ.

في القرآن الكريم:

- قال تعالى: ﴿تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ﴾ [التوبة: 92].

قال الزمخشري(2): ﴿تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ﴾ [المائدة: 83] كقولك: تفيض دمعاً، وهو أبلغ مِنْ يفيض دمعها، لأنّ العين جعلت كأن كلها دمع فائض، و«مِنْ» للبيان كقولك: أفديك من رجل، ومحل الجار والمجرور النصب على التمييز.

قال الشوكاني(3): ﴿وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ﴾ في محل نصب على الحال: أي تولوا عنك لما قلت لهم: لا أجد ما أحملكم عليه، حال كونهم باكين.

---

(1) الصحاح في اللغة.
(2) الكشاف.
(3) فتح القدير.

قال أبو السعود[1]: ﴿مِنَ ٱلدَّمْعِ﴾ أي دمعاً، فإن من البيانية مع مجرورها في حيز النصب على التمييز وهو أبلغُ مِنُ يفيض دمعُها لإفادتها أن العينَ بعينها صارت دمعاً فيّاضاً، والجملةُ حاليةٌ.

قال الشعراوي[2]: وكلمة «تفيض أعينهم» توضح ما في قلب هؤلاء المؤمنين. والفيض دائماً للدموع، والدموع هي ماء حول العين يهيجه الحزن فينزل، فإذا اشتد الحزن ونفد الدمع وجمدت العين عن البكاء؛ يؤخذ من سائل آخر فيقال: «بكيت دماً».

(1) إرشاد العقل السليم.

(2) تفسير الشعراوي.

دَمَغَ

(دَمَغَ - خَبَطَ - جَلَدَ - ضَرَبَ - صَكَّ - وَكَزَ)

■ **الدَّمْغُ:** الضرب على الدماغ ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ﴾ [الأنبياء: 18].

■ **الْخَبْطُ:** ضرب الشيء على غير استواء ﴿الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ [البقرة: 275].

■ **الْجَلْدُ:** ضرب الشيء بالجلد ﴿فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾ [النور: 4].

■ **الضَّرْبُ:** ضرب الشيء بشيء يحدث صوتاً ﴿اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾ [البقرة: 60].

■ **الصَّكُّ:** ضرب الشيء بكلتا اليدين معاً ﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ [الذاريات: 29].

■ **الْوَكْزُ:** ضرب الشيء بالعكس (أي مؤخرة اليد) بقوة ﴿فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ﴾ [القصص: 15].

❋ ❋ ❋

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الدال والميم والغين كلمةٌ واحدة لا تتفرّع ولا يقاس عليها. فالدِّماغ معروف. ودَمَغْتُه ضربْتُه على رأسِه حتّى وصلْتُ إلى الدماغ. وهي الدّامِغة.

---

(1) معجم مقاييس اللغة.

قال الخليل[1]: دمغ: الدَّمْغُ: كسرُ الصّاقُورةِ عن الدِّماغِ. والقهر والأخذ من فوقٍ دَمْغٌ أيضاً كما يَدْمَغُ الحق الباطل. والدامِغَةُ: طلعةٌ تخرج من بين شظيات قلب النَّخْلة: طويلة صلبةٌ، إن تركت أفسدت النَّخْلَةَ، فإذا عُلِمَ بها امتُصِخَتْ، أي قُلِعَتْ ونُزِعَتْ. والدامِغةُ: حديدةٌ يُشَدُّ بها أعْلَى آخَرَةِ الرَّحْل.

قال الجوهري[2]: الدِّماغُ: واحد الأَدْمِغَةِ. وقد دَمَغَهُ دَمْغاً: شَجَّهُ حتَّى بلغت الشجّةُ الدِّماغَ؛ واسمُها الدامِغَةُ. والدَّامِغَةُ: طَلْعةٌ تخرج من بين شظيّاتِ القُلْب طويلةٌ صلبةٌ، إن تُرِكَتْ أفسدت النخلة.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ﴾ [الأنبياء: 18].

قال الألوسي[3]: ﴿فَيَدْمَغُهُۥ﴾ أي يمحقه بالكلية كما فعلنا بأهل القرى المحكية، وأصل الدمغ كسر الشيء الرخو الأجوف، وقد استعير للمحق. وجوز أن يكون هناك تمثيل لغلبة الحق على الباطل حتى يذهبه برمي جرم صلب على رأس دماغه رخو ليشقه، وفيه إيماء إلى علو الحق وتسفل الباطل وأن جانب الأول باق والثاني فان.

قال الماوردي[4]: قوله تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

الأول: أن الحق الكلام المتبوع، والباطل المدفوع. ومعنى يدمغه أي يذهبه ويهلكه كالمشجوج تكون دامغة في أم رأسه تؤدي لهلاكه.

---

(1) العين.
(2) الصحاح في اللغة.
(3) روح المعاني.
(4) النكت والعيون.

الثاني: أن الحق القرآن، والباطل إبليس.

الثالث: أن الحق المواعظ والباطل المعاصي، قاله بعض أهل الخواطر.

ويحتمل الرابع: أن الحق الإسلام، والباطل الشرك.

قال الفخر الرازي[1]: والدمغ تصويراً لإبطاله فجعله كأنه جرم صلب كالصخرة - مثلاً - قذف به على جرم رخو فدمغه.

قال الطبري[2]: ﴿فَيَدۡمَغُهُۥ﴾ يقول: فيهلكه كما يدمغ الرجل الرجل بأن يشجّه على رأسه شجة تبلغ الدماغ، وإذا بلغت الشجة ذلك من المشجوج لم يكن له بعدها حياة.

قال الشعراوي[3]: ﴿فَيَدۡمَغُهُۥ﴾ أي: يصيبه في أهم الأعضاء وسيدها والمتحكم فيها، لا في عضو آخر يمكن أنْ يُجبر.

(1) التفسير الكبير.
(2) جامع البيان.
(3) تفسير الشعراوي.

دينار

(دينار - درهم)

■ **الدينار:** الذهب المطبوع المتعامل به ﴿وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ﴾ [آل عِمرَان: 75].

■ **الدرهم:** الفضة المطبوعة المتعامل بها ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾ [يُوسُف: 20].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس(1): الدال والنون والراء كلمةٌ واحدة، وهي الدِّينار.

ويقولون: دَنَّرَ وَجْهُ فُلانٍ، إذا تلأْلأَ وأشْرَق.

قال الخليل(2): دَنَّرَ وَجْهُ فلانٍ: إذا أَشرَقَ وتَلأَلأَ. ودِينارُ مُدَنَّرُ أي: مضروبٌ ديناراً.

قال الجوهري(3): المُدَنَّرُ من الخيل: الذي يكون فيه نُكَتٌ فَوْقَ البَرَشِ.

قال الفيروزآبادي(4): الدِّينارُ، معربٌ، أصلُهُ دِنَّارٌ، فَأُبْدِلَ من إحداهُما ياءٌ لِئَلَّا يَلْتَبِسَ بالمَصادِرِ، ككِذَّابٍ وتفسيرُهُ في ح ب ب. والدِّينارِيُّ: فَرَسٌ. ودِينارٌ الأَنصارِيُّ: صحابيٌّ. وعَمْرُو بنُ دِينارٍ: تابِعيٌّ، وأبوهُ - قيل -: صحابِيٌّ.

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) العين.
(3) الصحاح في اللغة.
(4) القاموس المحيط.

والدِّينَوَرُ، بكسر الدال والمُدَنَّرُ: فرسٌ فيه نُكَتٌ فوقَ البَرَشِ. ودَنَّرَ وجْهُهُ تَدْنيراً: تلألأَ. وديناٌر مُدَنَّرٌ: مَضْروبٌ. ودُنِّرَ، بالضم، فهو مُدَنَّرٌ: كثُرَ دَنانيرُهُ.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ﴾ [آل عِمرَان: 75].

قال الفخر الرازي(1): المراد من ذكر القنطار والدينار هٰهنا العدد الكثير والعدد القليل، يعني أن فيهم من هو في غاية الأمانة حتى لو اؤتمن على الأموال الكثيرة أدى الأمانة فيها، ومنهم من هو في غاية الخيانة حتى لو اؤتمن على الشيء القليل، فإنه يجوز فيه الخيانة، ونظيره قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا﴾ [النساء: 20] وعلى هذا الوجه، فلا حاجة بنا إلى ذكر مقدار القنطار، وذكروا فيه وجوهاً الأول: إن القنطار ألف ومائتا أوقية، قالوا: لأن الآية نزلت في عبد الله بن سلّام حين استودعه رجل من قريش ألفاً ومائتي أوقية من الذهب فرده ولم يخن فيه، فهذا يدل على القنطار هو ذلك المقدار الثاني: روي عن ابن عباس أنه مَلأَ جلد ثور من المال الثالث: قيل القنطار هو ألف ألف دينار أو ألف ألف درهم، وقد تقدم القول في تفسير القنطار.

قال الطبري(2): فتأويل الكلام: ومن أهل الكتاب الذي إن تأمنه يا محمد على عظيم من المال كثير، يؤدّه إليك، ولا يخنك فيه؛ ومنهم الذي إن تأمنه على دينار يخنك فيه، فلا يؤدّه إليك إلا أن تلحّ عليه بالتقاضي والمطالبة. والباء في

---

(1) التفسير الكبير. (2) جامع البيان.

قوله: ﴿بِدِينَارٍ﴾، و«على» يتعاقبان في هذا الموضع، كما يقال: مررت به، ومررت عليه.

قال أبو السعود[1]: ﴿مَنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ﴾ على أن المقصودَ بيانُ اتّصافِهم بمضمون الجملةِ الشرطية لا كونُهم ذواتِ المذكورين، كأنه قيل: بعضُ أهلِ الكتاب بحيث إن تأمنْه بقنطار أي بمالٍ كثيرٍ يؤدِّه إليك كعبد الله بن سلامٍ استودَعه قرشيٌّ ألفاً ومِائتيْ أوقيةٍ ذهباً فأداها إليه ﴿وَمِنۡهُم مَّنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ﴾ كفِنحاصَ بنِ عازوراءَ استودعه قرشيٌّ آخرُ ديناراً فجحَده. وقيل: المأمونون على الكثير النصارى إذ الغالبُ فيهم الأمانةُ، والخائنون في القليل اليهودُ إذ الغالبُ فيهم الخيانة.

(1) إرشاد العقل السليم.

دنو

(دَنو - قرُبَ)

■ **الدُّنُوّ:** القرب بالذات إلى أبعد حدوده ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾﴾ [النجم: 8-9].

■ **الْقُرْبُ:** ضيق المسافة بكافة الصيغ، من الزمان والمكان والخطوة والرعاية والقدرة ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [الأنعام: 152].

﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ [الأنبياء: 1].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس(1): الدال والنون والحرف المعتل أصلٌ واحد يُقاس بعضُه على بعض، وهو المقارَبَة. ومن ذلك الدّنِيُّ، وهو القَريب، مِن دنا يدنُو. وسُمِّيت الدُّنيا لدنوّها، والنِّسبة إليها دُنْياوِيّ. والدَّنِيُّ من الرجال: الضعيف الدُّونُ، وهو مِن ذاكَ لأنّه قريب المأخذ والمنزلة. ودانَيْت بين الأمرَين: قاربْتُ بينهما. وهو ابن عَمِّهِ دُنْيا ودِنْيَةً. والدَّنِيُّ: الدُّون، مهموز. يقال: رجلٌ دنيءٌ، وقد دَنُؤَ يَدْنُؤُ دَناءةً. وهو من الباب أيضاً، لأنّه قريبُ المنزِلة. والأدْنَأُ من الرّجال: الذي فيه انكبابٌ على صدرِهِ. وهو من الباب، لأنّ أعلاه دانٍ من وَسطه. وأدْنَتِ الفَرَسُ وغيرُها: إذا دنا نِتاجُها. والدَّنِيّة: النقيصة. وجاء في الحديث: «**إذا أكلتُم فَدَنُّوا**»

(1) معجم مقاييس اللغة.

أي: كلُوا ممّا يلِيكُم مما يدنُو منكم. ويقال: لقيتُه أدنَى دَنِيٍّ، أي: أوّل كلِّ شيء.

قال الخليل[1]: والدُّنُوُّ، غير مهموز، دَنَا فهو دانٍ ودَنيٌّ، وسُمِّيَت الدُّنيا لأنَّها دَنَتْ وتأخَرَّتِ الآخِرةُ، وكذلك السَّماءُ الدُّنيا هي القُرْبَى إلينا.

ورجلٌ دُنْياوِيٌّ، وكذلك النسبة إلى كل ياء مؤنَّثة نحو حُبلى ودَهنا وأشباه ذلك.

وتقول: هو ابنُ عَمِّه دُنْيا ودِنْيَةً أي: لَحّاً. والمُدَنِّي من الناس: الضعيف الذي إذا آواه الليلُ لم يَبْرَح ضَعْفاً. وقد دَنَّى فلان في نَخْله ومَنبتِه. ودانَيْتُ بين الشيئين: قاربْتُ بينَهما، ودانِيا لغة في دانيال اسم نَبِيٍّ من بني إسرائيلَ.

قال الجوهري[2]: دَنَوْتُ منه دُنُوّاً، وأَدْنَيْتُ غيري. وسُمِّيت الدُّنْيَا لِدُنُوِّها؛ والجمع دُنى والنسبة إليها دُنْياويٌّ، ويقال: دُنْيَويٌّ ودُنْيِيٌّ. ويقال: أَدَنَتِ الناقة، إذا دَنا نِتاجها ودانَيْتُ بين الأمرين، أي: قاربت. وبينهما دَناوَةٌ، أي: قرابةٌ.

يقال: ما تزداد منّا إلّا قُرباً ودَناوَةً. والدَّنيُّ: القريب، غير مهموز. وقولهم: لَقِيتُهُ أَدْنَى دَنيٍّ، أي: أوّلَ شيء. وأما الدَّنِيءُ بمعنى الدُونِ فهو مهموز. ويقال: إنَّه لَيُدَنِّي في الأمور تَدْنِيَةً، أي: يتتبَّع صغيرها وخسيسها. وفي الحديث: «**إذا أكلتم فدَنّوا**» أي: كلُوا ممَّا يليكم. والمدَنِّي من الرجال: الضعيف. وتَدَنَّى فلان، أي: دَنا قليلاً قليلاً. وتَدانَوْا، أي: دَنَا بعضُهم من بعض.

المعنى المشترك لكلمة (د ن ا)

وقد وردت كلمة (دنا) في القرآن الكريم على أربعة أوجه:

الوجه الأول: أدنى يعني: أجدر ﴿وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓاْ﴾ [البَقَرَة: 282].

---

(1) العين.

(2) الصحاح في اللغة.

الوجه الثاني: أدنى يعني: أقرب ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [السَّجدَة: 21].

الوجه الثالث: أدنى يعني: أقل ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ﴾ [المجَادلة: 7].

الوجه الرابع: أدنى يعني: دون ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾ [البَقَرَة: 61].

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ﴾ [الأنعَام: 99].

قال الزمخشري[1]: ﴿دَانِيَةٌ﴾ سهلة المجتنى معرضة للقاطف، كالشيء الداني القريب المتناول؛ ولأنّ النخلة وإن كانت صغيرة ينالها القاعد فإنها تأتي بالثمر لا تنتظر الطول. وقال الحسن: دانية قريب بعضها من بعض. وقيل: ذكر القريبة وترك ذكر البعيدة، لأنّ النعمة فيها أظهر وأدلّ بذكر القريبة على ذكر البعيدة، كقوله: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ [النّحل: 81].

قال القرطبي[2]: ﴿دَانِيَةٌ﴾ قريبة، ينالها القائم والقاعد. عن ابن عباس والبَرَاء بن عازب وغيرهما. قال الزجاج: منها دانية ومنها بعيدة، فحذف؛ ومثله ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ وخصّ الدانية بالذكر، لأن من الغرض في الآية ذكر القدرة والامتنان بالنعمة، والامتنانُ فيما يقربُ متناوَلُه أكثر.

قال الماوردي[3]: ﴿دَانِيَةٌ﴾ فيه قولان:

(1) الكشاف.
(2) الجامع لأحكام القرآن.
(3) النكت والعيون.

أحدهما: دانية من المجتني لقصر نخلها وقرب تناولها، قاله ابن عباس.

والثاني: دانية بعضها من بعض لتقاربها، قاله الحسن.

● **قال تعالى:** ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ [النّجْم: 8].

قال الفخر الرازي[1]: وفيه وجوه مشهورة الوجه الأول: أن جبريل دنا من النبي ﷺ أي بعد ما مد جناحه وهو بالأفق عاد إلى الصورة التي كان يعتاد النزول عليها وقرب من النبي ﷺ، وعلى هذا ففي (تدلى) ثلاثة وجوه:

أحدها: فيه تقديم وتأخير تقديره ثم تدلى من الأفق الأعلى فدنا من النبي ﷺ. الثاني: الدنو والتدلي بمعنى واحد كأنه قال دنا فقرب. الثالث: دنا أي قصد القرب من محمد ﷺ وتحرك عن المكان الذي كان فيه فتدلى فنزل إلى النبي ﷺ. الوجه الثاني: على ما ذكرنا من الوجه الأخير في قوله: ﴿وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النّجْم: 7] أن محمداً ﷺ دنا من الخَلْقِ والأُمة ولان لهم وصار كواحد منهم ﴿فَتَدَلَّىٰ﴾ أي فتدلى إليهم بالقول اللين والدعاء الرفيق فقال: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ [فصلت: 6] وعلى هذا ففي الكلام كمالان كأنه تعالى قال إلا وحي يوحي جبريل على محمد، فاستوى محمد وكمل فدنا من الخلق بعد علوه وتدلى إليهم وبلغ الرسالة. الوجه الثالث: وهو ضعيف سخيف، وهو أن المراد منه هو ربه تعالى وهو مذهب القائلين بالجهة والمكان، اللّهم إلا أن يريد القرب بالمنزلة، وعلى هذا يكون فيه ما في قوله ﷺ حكاية عن ربه تعالى: «**من تقرب إليّ شبراً تقربت إليه ذراعاً، ومن تقرب إليّ ذراعاً تقربت إليه باعاً، ومن مشى إليّ أتيته هرولة**» إشارة إلى المعنى المجازي، وههنا لما بيّن أن النبي ﷺ استوى وعلا في المنزلة العقلية لا في المكان الحسي؛ قال وقرب الله منه تحقيقاً لما في قوله «من تقرب إليّ ذراعاً تقربت إليه باعاً».

قال أبو السعود[2]: ﴿ثُمَّ دَنَا﴾ أي أرادَ الدنوَّ من النبيِّ عليهما الصَّلاةُ والسَّلامُ

---

(1) التفسير الكبير. (2) إرشاد العقل السليم.

﴿فَتَدَلَّىٰ﴾ أي استرسلَ من الأفقِ الأعْلى مع تعلقٍ بهِ فدنَا من النبيِّ، يقالُ تدلّت الثمرةُ ودلَّى رجليهِ من السريرِ وأدلَى دلْوَهُ، والدَّوالي الثمرُ المعلقُ.

● **قال تعالى:** ﴿قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾ [البَقَرَة: 61].

قال الزجاج(1): معنى قوله أَتستبدلون الذي هو أَدْنى، غير مَهْموزٍ: أَي أَقْرَبُ، ومعنى أَقْرَبُ أَقلُّ قيمةً، كما تقول ثوب مُقارِبٌ، فأَما الخسيس فاللغة فيه دَنُؤَ دَناءةً، وهو دَنيءٌ بالهمز، وهو أَدْنَأُ منه.

قال الطبري(2): يعني بقوله: ﴿قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾ قال لهم موسى: أتأخذون الذي هو أخسّ خطراً وقيمة وقدراً من العيش، بدلاً بالذي هو خير منه خطراً وقيمة وقدراً وذلك كان استبدالهم. وأصل الاستبدال: هو ترك شيء لآخر غيره مكان المتروك. ومعنى قوله: أدْنى أخسّ وأوضع وأصغر قدراً وخطراً، وأصله من قولهم: هذا رجل دنيء بيّن الدناءة، وإنه ليدني في الأمور بغير همز إذا كان يتتبع خسيسها. وقد ذكر الهمز عن بعض العرب في ذلك سماعاً منهم، يقولون: ما كنت دنياً ولقد دنأت. بهمز الدانئ، وأنه سمعهم يقولون: إنه لدانئ خبيث، بالهمز. فإن كان ذلك عنهم صحيحاً، فالهمز فيه لغة وتركه أخرى. ولا شكّ أن من استبدل بالمنّ والسلوى البقل والقثاء والعدس والبصل والثوم، فقد استبدل الوضيع من العيش بالرفيع منه. وقد تأول بعضهم قوله: ﴿ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ﴾ بمعنى الذي هو أقرب، ووجه قوله: ﴿أَدْنَىٰ﴾ إلى أنه أفعل من الدنوّ الذي هو بمعنى القرب. وبنحو الذي قلنا في معنى قوله: ﴿ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ﴾ قاله عدد من أهل التأويل في تأويله.

وعن سعيد، عن قتادة قال: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾ يقول: أتستبدلون الذي هو شرّ بالذي هو خير منه؟

---

(1) معاني القرآن. (2) جامع البيان.

● **قال تعالى:** ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِٱلشَّهَٰدَةِ﴾ [المائدة: 108].

قال الفخر الرازي[1]: والمعنى ذلك الحكم الذي ذكرناه والطريق الذي شرعناه أقرب إلى أن يأتوا بالشهادة على وجهها، وأن يأتوا بالشهادة لا على وجهها، ولكنهم يخافون أن يحلفوا على ما ذكروه لخوفهم من أن ترد أيمان على الورثة بعد أيمانهم، فيظهر كذبهم ويفتضحون فيما بين الناس.

قال أبو السعود[2]: ﴿أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ﴾ [المَائدة: 108] أي أقربُ أن يؤدِّيَ الشهودُ الشهادةَ على وجهها الذي تحمَّلوها عليه من غير تحريفٍ ولا خيانة خوفاً من العذاب الأخروي، وهذه كما ترى حكمةُ شَرْعيةِ التحليفِ بالتغليظ المذكور.

قال ابن كثير[3]: ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ﴾ [المائدة: 108] أي: شرعية هذا الحكم على هذا الوجه المرضي؛ من تحليف الشاهدين الذميين، واستريب بهما، أقرب إلى إقامتهما الشهادة على الوجه المرضي.

● **قال تعالى:** ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ﴾ [الأحزَاب: 51].

قال القرطبي[4]: ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ﴾ قال قتادة وغيره: أي ذلك التخيير الذي خيّرناك في صحبتهن أدنى إلى رضاهن إذ كان من عندنا؛ لأنهن إذا علمن أن الفعل من الله قرّت أعينهن بذلك ورضين؛ لأن المرء إذا علم أنه لا حَقَّ له في شيء كان راضياً بما أوتي منه وإن قلّ، وإن علم أن له حقًّا لم يقنعه ما أوتي منه، واشتدت غَيْرته عليه وعَظُمَ حرصه فيه. فكان ما فعل الله لرسوله من تفويض الأمر إليه في أحوال أزواجه أقرب إلى رضاهن معه، وإلى استقرار أعينهن بما يسمح به لهن، دون أن تتعلق قلوبهن بأكثر منه.

(1) التفسير الكبير.
(2) إرشاد العقل السليم.
(3) تفسير ابن كثير.
(4) الجامع لأحكام القرآن.

قال أبو السعود[1]: أي أقربُ إلى قُرَّةِ عُيونهنَّ ورضاهنَّ جميعاً لأنَّه حكمٌ كلُّهنَّ فيهِ سواءٌ ثمَّ إنْ سَوَّيتَ بينهنَّ وجدنَ ذلكَ تفضُّلاً منكَ وإنْ رجَّحت بعضهنَّ علمنَ أنَّه بحكمِ الله فتطمئنَّ به نفوسُهنَّ، وقُرِىء «تُقِرَّ» بضمِّ التَّاءِ ونصب أعينهنَّ و«تُقَرَّ» على البناءِ للمجهول، وكلهنَّ تأكيدٌ لنونِ يرضينَ.

قال ابن عاشور[2]: الإشارة إلى شيء مما تقدم وهو أقربه، فيجوز أن تكون الإشارة إلى معنى التفويض المستفاد من قوله: ﴿تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِيٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ﴾ [الأحزَاب: 51]، ويجوز أن تكون الإشارة إلى الابتغاء المتضمن له فعل ﴿ٱبْتَغَيْتَ﴾ [الأحزَاب: 51] أي فلا جناح عليك في ابتغائهن بعد عزلهن ذلك أدنى لأن تقرَّ أعينهُنّ. والابتغاء: الرغبة والطلب، والمراد هنا ابتغاء معاشرة مَن عَزلَهن.

● **قال تعالى**: ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾ [الأحزَاب: 59].

قال الألوسي[3]: ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ﴾ يرخين عليهن، يقال إذا زل الثوب عن وجه المرأة أدني ثوبك على وجهك. وفسر ذلك سعيد بن جبير بيسدلن عليهن، وعندي أن كل ذلك بيان لحاصل المعنى، والظاهر أن المراد بـ «عليهنَّ» على جميع أجسادهن، وقيل: على رؤوسهن أو على وجوههن لأن الذي كان يبدو منهن في الجاهلية هو الوجه. واختلف في كيفية هذا التستر، فأخرج ابن جرير وابن المنذر وغيرهما عن محمد بن سيرين قال: سألت عبيدة السلماني عن هذه الآية ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾ فرفع ملحفة كانت عليه فتقنع بها وغطى رأسه كله حتى بلغ الحاجبين وغطى وجهه وأخرج عينه اليسرى من شق وجهه الأيسر، وقال السدي: تغطي إحدى عينيها وجبهتها والشق الآخر إلا العين. وقال ابن عباس وقتادة: تلوي الجلباب فوق الجبين وتشده ثم تعطفه على الأنف وإن ظهرت

---

(1) إرشاد العقل السليم.
(2) التحرير والتنوير.
(3) روح المعاني.

عيناها لكن تستر الصدر ومعظم الوجه. وفي رواية أخرى عن الحبر رواها ابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه تغطي وجهها من فوق رأسها بالجلباب وتبدي عيناً واحدة. وأخرج عبد الرزاق وجماعة عن أم سلمة قالت: لما نزلت هذه الآية ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾ خرج نساء الأنصار كأن على رؤوسهن الغربان من السكينة وعليهن أكسية سود يلبسنها.

قال الطبري[1]: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: يا أيها النبيّ قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين، لا يتشبهن بالإماء في لباسهنّ إذا هن خرجن من بيوتهنّ لحاجتهنّ، فكشفن شعورهنّ ووجوههنّ، ولكن ليدنين عليهنّ من جلابيبهنّ، لئلا يعرض لهنّ فاسق، إذا علم أنهنّ حرائر بأذىً من قول. ثم اختلف أهل التأويل في صفة الإدناء الذي أمرهنّ الله به، فقال بعضهم: هو أن يغطين وجوههنّ ورؤوسهنّ، فلا يبدين منهنّ إلا عيناً واحدة.

قال الشعراوي[2]: ومعنى: الإدناء: تقريب شيء من شيء، ومن ذلك قوله تعالى في وصف ثمار الجنة ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ [الحَاقَّة: 23] أي: قريبة التناول سَهْلة الجَنْي، والمراد: يُدنين جلابيبهن أي: من الأرض لتستر الجسم. وقوله: ﴿عَلَيْهِنَّ﴾ يدل على أنها تشمل الجسم كله، وأنها ملفوفة حوله مسدولة حتى الأرض.

---

(1) جامع البيان.

(2) تفسير الشعراوي.

دَهْرٌ

(دَهْرٌ - حِقَبٌ - أَمَدٌ - سَرْمَدٌ - أَبَدٌ - فَتْرَةٌ)

■ **الدَّهْرُ:** الدهر هو زمن الدنيا منذ أن خلقها الله عَزَّوَجَلَّ إلى أن تقوم الساعة من حيث أن الآخرة ليس فيها زمن مطلقاً وإنما الزمن من قوانين هذه الدنيا، حتى البرزخ ليس فيه زمن ولذلك فإن الذي مات قبل مليون سنة والذي سيموت قبل القيامة بدقيقتين لهما شعور واحد ﴿قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾﴾ [المؤمنون: 112-113].

فالدهر إذن زمن الدنيا، وفي بعض استعمالات اللغة يقال: أن كل إنسان له دهره وأنت لك عمرك ودهرك، وكان مِنَ العرب مَنْ يقول: أنا الدهر ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان: 1].

■ **الحِقْبَةُ**/ بالكسر: مدة جيل من الناس ثمانون سنة ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا﴾ [النبإ: 23].

■ **الأَبَدُ:** الزمن الممتد المتروك الذي لا آخر له ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا﴾ [التوبة: 84].

■ **الأَمَدُ:** الزمن الممتد وله آخر ﴿تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا﴾ [آل عِمرَان: 30].

■ **السَّرْمَدُ:** دوام الزمن واتصاله من ليل أو نهار ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا﴾ [القَصَص: 71].

■ **الفترة:** السكون الطويل بين نشاطين ﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [المَائدة: 19].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الدال والهاء والراء أصلٌ واحد، وهو الغَلَبة والقَهْر. وسُمِّي الدّهرُ دَهْراً لأنَّه يأتي على كلِّ شيءٍ ويَغلِبُه. فأمّا قولُ النبيّ ﷺ: «**لا تسبُّوا الدَّهْرَ فإنَّ اللهَ هُوَ الدّهر**»، فقال أبو عبيد: معناه أنّ العربَ كانوا إذا أصابتْهم المصائبُ قالوا: أبادَنَا الدّهرُ، وأتَى علينا الدّهر، وقد ذكروا ذلك في أشعارهم، ويقال: دَهْرٌ دَهِيرٌ، كما يقال: أبدٌ أبِيدٌ. وفي كتاب العين: دَهَرَهُم أمْرٌ، أي نزَل بهم. ويقولون: ما دَهْرِي كذا، أي: ما همّتِي. وهذا توسُّعٌ في التفسير، ومعناه: ما أشغَلُ دهرِي به. فأمَّا الهمَّة فما تُسمَّى دهراً. والدَّهْوَرَة جَمْع الشيء وقَذْفُه في مَهواةٍ؛ وهو قياس الباب.

قال الخليل[2]: والدَّهْرُ: النّازلة. دَهَرَهُمْ أَمْرٌ، أي: نَزَل بِهِمْ مكروهٌ.

وما دَهْري كذا وكذا، أي: ما هِمّتي. والدَّهْوَرةُ: جَمْعُ الشَّيء ثمّ قَذْفُه في مَهْواة. وقوله: «**لا تَسُبُّوا الدَّهْرَ فإنّ الله هو الدَّهْرُ**» يعني: ما أصابك من الدَّهر فاللهُ فاعِلُهُ، ليس الدّهرِ، فإذا سَبَبْتَ الدَّهْر أردتَ به الله عَزَّوَجَلَّ.

قال الجوهري[3]: الدَّهْرُ: الزمان.

ويجمع على دُهورٍ. ويقال: الدَّهْرُ: الأَبَدُ. وقولهم: دَهْرٌ واهِرٌ، كقولهم: أَبَدٌ أَبِيدٌ.

---

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) العين.
(3) الصحاح في اللغة.

وقولهم: دَهْرٌ دَهارِيرُ، أي شديدٌ، كقولهم: لَيْلَةٌ لَيْلاءُ، ونَهارٌ أَنْهَرُ، ويَومٌ أَيْوَمُ، وساعةٌ سَوْعاءُ.

ويقال: لا آتيك دَهْرَ الدَّاهرين، أي: أبداً. وفي الحديث: «**لا تَسُبُّوا الدَّهْرَ فإنَّ الدهرَ هو الله**»، لأنهم كانوا يُضيفون النوازلَ إليه، فقيل لهم: لا تسبُّوا فاعلَ ذلك بكم، فإن ذلك هو الله تعالى. ويقال: دَهَرَ بهم أَمْرٌ، أي نزل بهم. وما ذاك بِدَهْري، أي عادتي. وما دَهْري بكذا، أي هِمَّتي.

والدُّهْريُّ بالضم: المُسِنُّ. والدَّهْريُّ بالفتح: المُلْحِدُ.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ﴾ [الإنسَان: 1].

قال ابن عاشور[1]: ﴿ٱلدَّهْرِ﴾: الزمان الطويل أو الزمان المقارن لوجود العالم الدنيوي.

قال الزمخشري[2]: ﴿حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ﴾ طائفة من الزمن الطويل الممتد.

قال الطبري[3]: ﴿حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ﴾ اختلف أهل التأويل في قدر هذا الحين الذي ذكره الله في هذا الموضع، فقال بعضهم: هو أربعون سنة، وقالوا: مكثت طينة آدم مصوّرة لا تنفخ فيها الرّوح أربعين عاماً، فذلك قدر الحين الذي ذكره الله في هذا الموضع، قالوا: ولذلك قيل: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسَان: 1] لأنه أتى عليه وهو جسم مصوّر لم تنفخ فيه الروح أربعون عاماً، فكان شيئاً، غير أنه لم يكن شيئاً مذكوراً، قالوا: ومعنى قوله: ﴿لَمْ يَكُن

(1) التحرير والتنوير.
(2) الكشاف.
(3) جامع البيان.

﴿شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان: 1]: لم يكن شيئاً له نباهة ولا رفعة، ولا شرف، إنما كان طيناً لَازِبًا وحمأً مسنوناً.

وقال آخرون: لا حدّ للحين في هذا الموضع، وقد يدخل هذا القول من أن الله أخبَر أنه أتى على الإنسان حين من الدهر، وغير مفهوم في الكلام أن يقال: أتى على الإنسان حين قبل أن يوجد، وقبل أن يكون شيئاً، وإذا أُريد ذلك قيل: أتى حين قبل أن يُخلق، ولم يقل أتى عليه. وأما الدهر في هذا الموضع، فلا حدّ له يوقف عليه.

● **قال تعالى:** ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ [الجاثية: 24].

قال الفخر الرازي[1]: ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ يعني تولد الأشخاص إنما كان بسبب حركات الأفلاك الموجبة لامتزاجات الطبائع، وإذا وقعت تلك الامتزاجات على وجه خاص حصلت الحياة، وإذا وقعت على وجه آخر حصل الموت، فالموجب للحياة والموت تأثيرات الطبائع وحركات الأفلاك، ولا حاجة في هذا الباب إلى إثبات الفاعل المختار، فهذه الطائفة جمعوا بين إنكار الإله وبين إنكار البعث والقيامة.

قال ابن عطية[2]: ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ أي طول الزمان هو الملهك، لأن الآفات تستوي فيه كمالاتها، فنفى الله تعالى علمهم بهذا وأعلم أنها ظنون وتخرصات تفضي بهم إلى الإشراك بالله تعالى. و«الدَّهْرُ» و«الزمان» تستعمله العرب بمعنى واحد. وفي قراءة ابن مسعود: «وما يهلكنا إلا دهر يمر». وقال مجاهد: ﴿ٱلدَّهْرُ﴾ هنا الزمان، وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «**كان أهل الجاهلية يقولون: إنما يهلكنا الليل والنهار**»، ويفارق هذا الاستعمال قول

(1) التفسير الكبير. (2) المحرر الوجيز.

النبي ﷺ: «**لا تسبوا الدهر، فإن الله تعالى هو الدهر**» وفي حديث آخر: «**قال الله تعالى يسب ابن آدم الدهر، وأنا الدهر بيدي الليل والنهار**».

ومعنى هذا الحديث: فإن الله تعالى يفعل ما تنسبونه إلى الدهر وتسبونه بسببه.

قال ابن عجيبة[1]: ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ إلا مرور الزمان، وهو في الأصل: مدة بقاء العالم، من: دهَرهُ: إذا غَلَبه، وكانوا يزعمون أن مرور الزمان بالليالي والأيام هو المؤثِّر في هلاك الأنفس، وينكرون ملك الموت، وقبضه الأرواحَ بأمر الله تعالى، وكانوا يُضيفون كلَّ حادثة تحدثُ إلى الدهر والزمان.

فإن كان تُبَّعاً المتقدم؛ فنسبة الفعل إلى الدهر مجاز، كما سيأتي، وعقيدة الموحدين ألَّا فاعل إلا الله، فالدهر مُسخّر بأمر الله وقدرته، بل هو من أسرار الله وأنوار صفاته، ولذلك قال ﷺ: «**لا تسبُّوا الدهر، فإن الله هو الدهر**». وقال ﷺ: «**قال الله تعال: يُؤذيني ابنُ آدم، يَسُبُّ الدَّهر، وأنا الدهر، بيدي الأمر، أُقلّب الليلَ والنهارَ**»[2].

---

(1) البحر المديد.

(2) أخرجه البخاري ومسلم.

دَهَقَ

(دَهَقَ - مَلَأَ)

■ **الدَّهق:** المليء بشراب بنفس الشارب ويذهله ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾ [النَّبإ: 34].

■ **المليء:** الذي شغله ما فيه بكل جوانبه.

❊ ❊ ❊

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس(1): الدال والهاء والقاف يدلُّ على امتلاءٍ في مجيءٍ وذَهاب واضطراب. يقال: أدْهَقْتُ الكأسَ: ملأتُها. قال الله تعالى: ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾ [النّبَإِ: 34]. والدَّهْدَقَةُ: دَوَرَان البَضْعة الكبيرة في القِدْر، تعلو مَرَّةً وتسفُل أخْرى.

قال الخليل(2): الدَّهَقُ: خشبتان يُغْمَزُ أو يُعْصَر بهما السّاقُ، وادّهَقْتِ الحجارةُ ادِّهاقاً، وهو شدّة تَلازُمِها، ودُخُولُ بعضِها في بعضٍ.

وكأسٌ دِهاقٌ: مَلْأَى. وأدْهَقْتُهَا: شَدَدْتُ ملْأَها. والدَّهْدَقَةُ: دَورانُ البِضْع الكثير في القدر إذا غَلَتْ، تراها تعلو مرّةً وتسفلُ أخرى.

قال الجوهري(3): أَدْهَقْتُ الكأسَ: ملأتها. وكأسٌ دِهاقٌ، أي: ممتلئةٌ.

وأَدْهَقْتُ الماءَ، أي: أفرغتُه إفراغاً شديداً. قال أبو عمرو: الدَّهَقُ بالتحريك: ضربٌ من العَذاب وهو بالفارسية أَشْكَنْجَهْ. ودَهَقْتُ الشيءَ: كسرتُه وقطعتُه.

---

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) العين.
(3) الصحاح في اللغة.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾ [النّبإ: 34].

قال الطبري[1]: ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾ يقول: وكأساً ملأى متتابعة على شاربيها بكثرة وامتلاء، وأصله من الدَّهْق: وهو متابعة الضغط على الإنسان بشدّة وعنف، وكذلك الكأس الدهاق: متابعتها على شاربيها بكثرة وامتلاء. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. وعن قتادة ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾ قال: الدهاق: المَلأَى المُتْرَعة.

وقال آخرون: الدَّهاق: الصافية.

وقال آخرون: بل هي المتتابعة.

وعن معمر، قال: قال سعيد بن جُبير في قوله: ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾ دهاقاً: المتتابعة.

قال الفخر الرازي[2]: وفي الدهاق أقوال: الأول وهو قول أكثر أهل اللغة كأبي عبيدة والزجاج والكسائي والمبرد، و﴿دِهَاقًا﴾ أي ممتلئة، دعا ابن عباس غلاماً له فقال: اسقنا دهاقاً، فجاء الغلام بها ملأى، فقال ابن عباس: هذا هو الدهاق، قال عكرمة، ربما سمعت ابن عباس يقول: اسقنا وادهق لنا. القول الثاني: دهاقاً أي متتابعة وهو قول أبي هريرة وسعيد بن جبير ومجاهد، قال الواحدي: وأصل هذا القول من قول العرب: أدهقت الحجارة إدهاقاً وهو شدة تلازمها ودخول بعضها في بعض، ذكرها الليث، والمتتابع كالمتداخل. القول الثالث: يروى عن عكرمة أنه قال: ﴿دِهَاقًا﴾ أي صافية، والدهاق على هذا القول يجوز أن يكون جمع داهق، وهو خشبتان يعصر بهما، والمراد بالكأس الخمر،

(1) جامع البيان. (2) التفسير الكبير.

قال الضحاك: كل كأس في القرآن فهو خمر، التقدير: وخمراً ذات دهاق، أي عصرت وصفيت بالدهاق.

قال الخازن[1]: ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾ قال ابن عباس: مملوءة مترعة، وقيل متتابعة، وقيل صافية.

(1) لباب التأويل.

دَهِمَ

(دَهِمَ - حَوِيَ - خَضِرَ)

■ **الدُّهْمَةُ:** سواد الفرس وسواد الليل وسواد الجنان الواسعة الخضرة كأرض العراق ﴿مُدْهَآمَّتَانِ﴾ [الرَّحمٰن: 64].

■ **الحوّة:** السواد البالي المنطفئ ﴿فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ﴾ [الأعلى: 5].

■ **الخضرة:** الورق الأخضر الناعم كالورد ﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا﴾ [الأنعام: 99].

❊ ❊ ❊

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الدال والهاء والميم أصلٌ يدلُّ على غِشيانِ الشّيء في ظلامٍ ثم يتفرّع فيستوي الظَّلامُ وغيرُه، يقال مَرَّ دَهمٌ من اللَّيل، أي: طائفةٌ. والدُّهمة السَّواد. والدُّهَيْماءُ: تصغير الدَّهماء، وهي الدَّاهية، سُمِّيت بذلك لإظلامها. ومن الباب الدَّهْم: العدد الكثير. وادْهامَّ الزّرعُ: إذا عَلاه السَّوادُ رِيّاً. قال الله جلّ ثناؤه في صِفة الجنَّتين: ﴿مُدْهَآمَّتَانِ﴾، أي: سَوداوانِ في رأي العَين، وذلك للرّيّ والخُضْرة. ودَهمَتْهم الخيلُ تدهَمُهم: إذا غَشِيَتْهم. والدَّهماء القِدْر.

قال الجوهري[2]: دَهِمهُم الأمر يَدْهَمُهُمْ. وقد دَهِمَتْهُمُ الخيل، قال أبو عبيدة: ودَهَمَتْهُمْ بالفتح لغةٌ. والدَّهْمُ العدد الكثير، والجمع الدُّهومُ.

---

(1) معجم مقاييس اللغة. (2) الصحاح في اللغة.

والدُّهْمَةُ: السوادُ. يقال: فرسٌ أَدْهَمُ، وبعيرٌ أَدْهَمُ، وناقةٌ دَهْماءُ. وادْهَمَّ الفرسُ ادْهِماماً، أي: صار أَدْهَمَ، وادْهامَّ الشيء ادْهِيمَاماً، أي: اسوادَّ. قال تعالى: ﴿مُدۡهَآمَّتَانِ﴾، أي: سوداوان من شدَّة الخُضرة من الريِّ. والعرب تقولُ لكلِّ أخضر أسودُ. والدَّهْماءُ القِدْرُ. والوطأةُ الدَّهْماءُ: القديمةُ. والدَّهْماءُ سَحْنةُ الرجل. والشاةُ الدَّهْماءُ: الحمراءُ الخالصة الحمرة. ودُهْماءُ الناس: جماعتهم. والدُّهَيْماءُ: تصغير الدَّهْماءِ، وهي الداهية، سمِّيتْ بذلك لإظلامها. ويقال للقيد: الأدْهَمُ. والدُّهَيْمُ وأمّ الدُّهَيمِ، من أسماء الدَّواهي.

قال الفيروزآبادي[1]: الدُّهْمَةُ، بالضم: السوادُ. والأدْهَمُ: الأسْوَدُ، والجديدُ من الآثارِ، والقديمُ الدارِسُ، ضِدٌّ، والدهم من البعيرِ: الشديدُ الوُرْقةِ حتى يَذْهَبَ البياضُ، وهي دَهْماءُ. وقد ادْهَمَّ الفَرَسُ ادْهِماماً: صارَ أدْهَمَ. وادْهامَّ الشيءُ ادْهِيماماً: اسْودَّ، والقَيْدُ.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿مُدۡهَآمَّتَانِ﴾ [الرَّحمٰن: 64].

قال الفخر الرازي[2]: ﴿مُدۡهَآمَّتَانِ﴾ أي مخضرتان في غاية الخضرة، وادْهَامُ الشيء أي اسودّ لكن لا يستعمل في بعض الأشياء، والأرض إذا اخضرت غاية الخضرة تضرب إلى أسود، ويحتمل أن يقال: الأرض الخالية عن الزرع يقال لها: بياض أرض وإذا كانت معمورة يقال لها: سواد أرض كما يقال: سواد البلد، وقال النبي ﷺ: «**عليكم بالسواد الأعظم ومن كثر سواد قوم فهو منهم**». والتحقيق فيه أن ابتداء الألوان هو البياض وانتهاءها هو السواد، فإن الأبيض يقبل كل لون والأسود لا يقبل شيئاً من الألوان، ولهذا يطلق الكافر على الأسود ولا

(1) القاموس المحيط. (2) التفسير الكبير.

يطلق على لون آخر، ولما كانت الخالية عن الزرع متصفة بالبياض واللاخالية بالسواد، فهذا يدل على أنهما تحت الأوليين مكاناً، فهم إذا نظروا إلى ما فوقهم، يرون الأفنان تظلهم، وإذا نظروا إلى ما تحتهم يرون الأرض مخضرة.

قال الزمخشري(1): ﴿مُدۡهَآمَّتَانِ﴾ قد ادهامّتا من شدّة الخضرة.

قال البغوي(2): ناعمتان سوداوان من ريهما وشدة خضرتهما، لأن الخضرة إذا اشتدت ضربت إلى السواد، يقال: ادهام الزرع إذا علاه السواد رياً ادهيماماً فهو مدهام.

قال الألوسي(3): وقوله تعالى: ﴿مُدۡهَآمَّتَانِ﴾ صفة لجنتين وسط بينها الاعتراض لما تقدم من التنبيه على أن تكذيب كل من الموصوف والصفة حقيق بالإنكار والتوبيخ أو خبر مبتدأ محذوف أي هما مدهامتان من الدهمة، وهي في الأصل على ما قال الراغب سواد الليل، ويعبر عن سواد الفرس وقد يعبر بها عن الخضرة كاملة اللون كما يعبر عنها بالخضرة إذا لم تكن كاملة وذلك لتقاربهما في اللون، ويقال: ادهام ادهيماماً فهو مدهام على وزن مُفْعَال إذا اسود أو اشتدت خضرته، وفسرها هنا ابن عباس ومجاهد وابن جبير وعكرمة وعطاء بن أبي رباح وجماعة بخضراوان، بل أخرج الطبراني وابن مردويه «عن أبي أيوب رضي الله تعالى عنه قال: سألت النبي ﷺ عن قوله تعالى: ﴿مُدۡهَآمَّتَانِ﴾ فقال عليه الصلاة والسلام: خضراوان» والمراد أنهما شديدتا الخضرة، والخضرة إذا اشتدت ضربت إلى السواد وذلك من الري من الماء. كما روي عن ابن عباس وابن الزبير وأبي صالح قيل: إن في وصف هاتين الجنتين بما ذكر إشعاراً بأن الغالب عليهما النبات والرياحين المنبسطة على وجه الأرض كما أن في وصف السابقتين بذواتا أفنان إشعاراً بأن الغالب عليهما الأشجار، فإن الأشجار توصف بأنها ذوات أفنان والنبات يوصف بالخضرة الشديدة، فالاقتصار في كل منهما على أحد الأمرين

---

(1) أساس البلاغة.
(2) معالم التنزيل.
(3) روح المعاني.

مشعر بما ذكر، وبُنِيَ على هذا كون هاتين الجنتين دون الأوليين في المنزلة والقدر، كيف لا والجنة الكثيرة الظلال والثمار أعلى وأغلى من الجنة القليلة الظلال والثمار، ومن ذهب إلى تفضيل هاتين الجنتين مع اختصاص الوصف بالخضرة بالنبات وكذا كونه أغلب من وصف الأشجار به، فكثيراً ما تسمع الناس يقولون إذا مدحوا بستاناً أشجاره خضر يانعة وهو أظهر في مدحه بأنه ذو ثمار من ذي أفنان، وهو يشعر أيضاً بكثرة مائه والاعتناء بشأنه وبعده عن التصوح والهلاك.

دُهْنٌ

(دُهْنٌ - زَيْتٌ - مُهْلٌ - شَحْمٌ)

■ **الدُّهْنُ:** خلاصة الزبدة والذرة ﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهۡنِ وَصِبۡغٖ لِّلۡأٓكِلِينَ﴾ [المؤمنون: 20].

■ **الدِّهَانُ:** دُرِديّ الزيت ﴿وَرۡدَةٗ كَٱلدِّهَانِ﴾ [الرَّحمٰن: 37].

■ **الزَّيْتُ:** عُصَارة الزيتون ﴿يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ﴾ [النُّور: 35].

■ **المُهْلُ:** الزيت الفاسد المحروق الزيت المغلي ﴿كَٱلۡمُهۡلِ يَغۡلِي فِي ٱلۡبُطُونِ﴾ [الدّخان: 45].

■ **الشَّحْمُ:** مصدر الدهن في الجسم الحيّ ﴿وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ وَٱلۡغَنَمِ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتۡ ظُهُورُهُمَآ﴾ [الأنعام: 146].

❊ ❊ ❊

دَهَنَ

(دَهَنَ - لايَنَ - نافَقَ - رَاءى)

■ **الْمُدَاهَنَةُ:** تبرير الباطل لذي سلطان ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ [القلم: 9].

■ **الْمُلاَيَنَةُ:** كلامٌ ليّن مع مجرم أو مبتدع خوفاً منه، من الذين قال تعالى فيهم: ﴿وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ [التوبة: 123].

■ **النِّفَاقُ:** إظهار الإيمان وإبطان الكفر ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾ [المنافقون: 1].

■ **الرِّيَاءُ:** المظاهرة بالطاعات لوجه الناس والسمعة.

❋ ❋ ❋

شرح المعاني:

الشرك نوعان: شرك خفي وشرك علني. الشرك العلني هو أن تجعل لله ندًّا وهو خلقك، وهذا النوع من الشرك يخرج المشرك مِنَ المِلّة ولا يغفر ذنبه ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: 48]. أمَّا الشرك الخفي أو الشرك الأصغر فهو الذي يحبط العمل ولا يُخرِج من المِلّة وتكون أعمالك صالحة لكنك لم تقصد بها وجه الله تعالى. الشرك الأكبر له صيغة واحدة أما الشرك الأصغر فيأخذ عدة صور وصيغ، هي: المداهنة، الملاينة، النفاق والرياء. وهي أبرز عناصر الشرك الخفي التي حذّر منه الرسول ﷺ ويضاف إليه الشهوة الخفية. نبيّن الفروق بين هذه الكلمات القرآنية:

المداهنة: ﴿وَدُّواْ لَوۡ تُدۡهِنُ فَيُدۡهِنُونَ﴾ [القَلَم: 9] هي أن تبرر الباطل: حاكم أو جماعة تبنّت باطلاً ليس له نافذة على الحق وليس له وجه أن يبرر فيأتي واحد من الناس يجامل هذا الحاكم فيعطيه فتوى. المداهنة هي تبرير الباطل لقوي تطمع في عطائه. في بعض الدول الإسلامية نصوا أن للذكر مثل حظ الأنثى وخالفوا ما جاء في القرآن أن للذكر مثل حظ الأنثيين وقالوا أن الأُنثى في هذه الأيام تخرج للعمل وتساعد الرجل فليس هناك حاجة أن يكون حظ الذكر ضعف حظها، وهذا باطل قطعاً لأن فيه مخالفة لنص من القرآن الكريم، لكن يأتي بعض الناس ويبررون ويقولون هذا جائز وليس هناك حاجة لأن يكون للذكر مثل حظ الأُنثيين. فالمداهنة هي إيجاد الترخيص لمحظور. المشركون ودوا لو أن الرسول ﷺ يقرّ لهم ببعض باطلهم من عباداتهم ﴿وَدُّواْ لَوۡ تُدۡهِنُ فَيُدۡهِنُونَ﴾. المداهنة هي فتوى من تبرير باطل من عالم مفكر يجد تبريراً لباطل مطلق.

أن تمدح فعلاً باطلاً أمام صاحبه لتطمع في عطائه يسمى مداهنة أيضاً.

الملاينة: كلام ليّن مع مجرم قاتل خائن جاسوس تلاينه وتلاطفه في الكلام، هذا يسمى ملاينة. المفروض أن تغلظ القول لهؤلاء وأمثالهم كمن احتلّ وطنك، والقرآن الكريم أوصانا ﴿وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗۚ﴾. شعوب العالم تغلظ القول والفعل لمن ينتهك حرماتها وأعراضها ولمن يسمونهم عملاء. والملاينة نوعان: نوع محمود ونوع مذموم. قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ﴾ [آل عِمرَان: 159] هذه ملاينة محمودة فأنت تغفر ذنوب شعبك لكن ذنوب عدوك تقابلها بغلظة.

النفاق: عقيدة. أن تبطن الكفر وتظهر الإسلام وهذا كل من يوهمك بأنه مسلم وهو في الباطن كافر. قال تعالى: في سورة المنافقون ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ النفاق هو أن لا تؤمن بما تجاهر به وإنما تعني العكس ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ

رَبِّكُمْۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ [البَقَرَة: 76] هذا المنافق في الدرك الأسفل من النار ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النِّساء: 145].

الرياء: عمل، تصلي صلاة أمام الناس في غاية الروعة ولا لشيء إلا ليقال فلان ورع تقيّ، تبني مساجد أو تنفق مالك ليس لوجه الله وإنما ليقال فلان منفق سخيّ. وفي الحديث عن الرسول ﷺ عن أول من تسعر بهم النار: «**عالم ومنفق وشهيد**». كل واحد من هؤلاء كان عمله للناس وليس لوجه الله تعالى. ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ﴾ [الماعون: 6]﴿وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَهُۥ قَرِينٗا فَسَآءَ قَرِينٗا﴾ [النِّساء: 38].

إذن المداهنة فتوى أو مدح على فعل باطل (ترخيص)، والملاينة بالكلام الطيب مع عدو، والنفاق عقيدة أن تظهر عكس ما تبطن، والرياء عمل لا يقصد به وجه الله تعالى.

هذه المنظومة أخطر منظومات الذنوب. كل الذنوب لها باب وهي تنبثق من حالة معينة. كل شريحة من شرائح العاملين تختلف ذنوبهم عن ذنوب الشرائح الأخرى، ففي مجال السياسة الذنوب أكثرها من الظلم والجور والخيانة، في الوظيفة أخطر الذنوب الرشوة والضرر بمصالح الناس عمداً، وأخطر ذنوب التجارة الغش والاحتكار والظلم، وأخطر ذنوب العِلم الكبر والعجب وممالأة السلطان وأن يكسب العالم بعلمه أجراً في الدنيا «**شرّ الناس من طلب الدنيا بعمل الآخرة**» والحسد والبغضاء، وأخطر ذنوب الحرب الهروب والتولي يوم الزحف، وأخطر ذنوب الأسرة عقوق الوالدين ولأهميته جاء ذكره في حديث الثلاثة التي لا ينفع معها عمل وذكر من ضمنها عقوق الوالدين. وأخطر الذنوب في العبادات: الرياء. إذن أخطر هذه المنظومات هي الشرك الأصغر وليس فوقها إلا الشرك الأكبر. الإنسان مخلوق من طين يترقى ليصبح كريستالاً ويتدنى ليصبح وحلاً وهناك فرق بين الاثنين. بالتوحيد يترقى الطين إلى كريستال ولو تأملت بعقلك البسيط في نفسك وفيما حولك تترقى ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ [الذّاريَات: 21]. لكن أن تداهن أو تلاين عدواً أو تنافق أو ترائي فهذا يحيلك وحلاً.

انظر إلى نفسك ما أنت ومن أنت، يأتي حاكم أو قوي ذو جاه وسلطان يصدر أمراً باطلاً مطلقاً ثم يأتي من يبرر له هذا! هناك من كتب القرآن بالدّم فبرر أحدهم هذا الفعل الشنيع وغاب عن باله أن الدم نجس ولا يجوز كتابة القرآن به لكنه فعله مداهنة لحاكم ذي قوة وسلطان. كفار قريش لم يكونوا منافقين بل كان عندهم رجولة ولو بإصرارهم على الكفر لكنهم لم يبطنوا شيئاً ويظهروا شيئاً آخر كأبي لهب وأمية بن خلف وغيرهم.

هذه المنظومة من أخسّ الذنوب، والرسول ﷺ قال في حديثه: «**لا أخشى عليكم إلا الشرك الأصغر والشهوة الخفية**» والشهوة الخفية هي ما يحصل في رمضان وهذه ظاهرة، رجل صالح صائم يلاعب امرأته في يوم رمضان إلى أن جامعها وهو يعلم أن إفطار يوم في رمضان عمداً لا يكفره صيام الدهر، فالشهوة الخفية قوية وقاهرة.

المداهنة والملاينة:

دهن من المشترك اللفظي.

الدُّهن: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ﴾ [المؤمنون: 20]: عندنا دهن وزيت ومُهل: الدُّهن هو دُرْدِيُّ الزيت وهو الجزء الصلب، والزيت هو الجزء السائل، والمُهل هو الزيت المغلي.

وعندنا دَهَن: دَهَن وصبغ ولوّن: دَهَن لون واحد لامع والصبغ إذا كان مرة واحدة وليس لامعاً ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةًۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾ [البَقَرَة: 138] يعني تصبغ جداراً بلون واحد كله. ولوّن إذا كان أكثر من لون فهو تلوين ﴿قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ﴾ [البَقَرَة: 69].

دهن: المُداهن يبرر الباطل بالفتوى أو المديح، والملاينة الكلام المعسول مع من ينبغي أن يُغلَظ له القول. والنفاق عقيدة إخفاء كفر وإظهار إيمان. والرياء

أن تعمل أعمالاً عظيمة لكن بقصد الرياء وليس لوجه الله تعالى كأن تجعل أعمالك لشخص تجعله والله تعالى سواء ﴿إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشُّعَرَاء: 98]. والمداهنة والنفاق والرياء كله باطل لا يوجد نفاق صالح ولا رياء صالح ولا مداهنة صالحة. أما الملاينة فيوجد ملاينة محمودة وأخرى مذمومة، فالملاينة المذمومة تلك التي تكون مع من ينبغي أن تزجره كسارق سرق سرقة تُقْطَعُ بها يده لا تقول له بارك الله فيك أو تعذره. والملاينة هي الوحيدة في المنظومة التي فيها نوعان وقد تكون الملاينة مَعْ من يستحقها عبادة عظيمة وفضيلة تماماً كعدم الملاينة مع من لا يستحقها. الغِلظة مع اللصوص والزناة فضيلة وعدم الغِلظة مع من يقوم بخطأ بسيط فضيلة. جعفر الصادق كان له خادم، فمن هيبته (وكل آل البيت لهم هيبة خاصة) سكب الخادم عليه الطعام ففزع الخادم فما كان من جعفر الصادق إلا أنْ قال له: أنت حرٌّ لوجه الله. وفي الحديث أنَّ الرسول عليه الصلاة والسلام قال: «**إنَّ في الجنة غرفاً يُرى باطنها من ظاهرها**» قالوا: **لمن** يا رسول الله؟ قال: «**لمن أعطى الطعام وألان الكلام**». «**الكلمة اللينة صدقة**». لين الكلام مع الناس والجيران والأهل ومع من أساء إليك من مفاتيح الجنة. فالملاينة كما قال ﷺ: «**خياركم ألاينكم مناكب**» أي الذي إذا طلب منه أخوه في المسجد أن يتحرك قليلاً لرصّ الصفوف وسَدِّ الفرج ينصاع بسهولة ولين ولا يتأبّى. والرسول ﷺ كان ألين ما يكون مع المذنبين، والله تعالى أرسل لفرعون الذي ادعى الألوهية نبيين «موسى وهارون عليهما السلام» وأوصاهما ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: 44].

جيئ برجل يشرب الخمر إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام فقال عمر: ما أكثر ما يؤتى به فغضب الرسول عليه الصلاة والسلام وقال: «**لا تكونوا عون الشيطان على أخيكم**». كلما كان الإنسان ليناً مع صاحب الذنب كلما كان هذا أَدْعَى أن يتوب المذنب. قال ابن مسعود: لا تحاسبوا الناس كأنكم أرباب. وفي الحديث عن عائشة رضي الله عنها: أن رجلاً استأذن على النبي عليه الصلاة والسلام فقال: «**ائذنوا له، فلبئس ابن العشيرة**» أو بئس رجل العشيرة، فلما دخل

عليه ألان له القول. قالت عائشة: فقلت: يا رسول الله قلت له الذي قلت ثم ألنت له القول؟! قال: «**يا عائشة، إن شر الناس منزلة يوم القيامة من وَدَعه - أو تركه - الناس اتّقاء فحشه**».

هذه تثير مسألة التقيّة أو التُقية وهي أن تظهر للآخرين غير ما تبطن في حالات معينة. بعض المذاهب أطلقته على كل شيء كما في نكاح المتعة وهذا خطأ وبعض المذاهب حرّمته مطلقاً وهذا خطأ أيضاً. إذا كنت متأكداً أن شخصاً يؤذيك في سمعتك وهو ذو قوة يمكنه أن يؤذيك يمكنك أن تتقيه ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗۗ﴾ [آل عِمرَان: 28]. فالتقية تجب في بعض الحالات إذا دفعت عن نفسك شراً.

النفاق أخصّ من المرض فالمرض فيه البغض والحسد والحقد والنفاق. الرسول عليه الصلاة والسلام شهد لأهل اليمن بأنهم ألين قلوباً وهي شهادة هي لهم إلى يوم القيامة: «**أتاكم أهل اليمن هم ألين قلوباً وأرقّ أفئدة، الإيمان يماني والحكمة يمانية**». وفي الحديث رَبْطٌ بين الإيمان والحكمة فاللين علامة من علامات الايمان.

قال أحدهم لِأبي أمامة: علّمني ألين كلمة سمعتها عن رسول الله عليه الصلاة والسلام. قال أبو أمامة: سمعت رسول الله عليه الصلاة والسلام يقول: «**ألا كلكم يدخل الجنة إلا من شرد عن الله شرود البعير عن أهله**».

كل من يقول لا إلٰه إلا الله محمد رسول الله، وكل من كان يوحّد الله تعالى ومن أهل الصلاة يدخل الجنة إلا من شرد على الله شرود البعير أي: لم يعد ينتمي للأمة واصطف إلى جانب الأعداء. وهذا الحديث بشارة أن الله تعالى يغفر الذنوب ما لم يُصِرُّ المذنب. ما دام يوحد الله توحيداً أكبر وأصغر كما في الحديث: «**لا أخاف من أن تشركوا من بعدي أبداً**».

من مِنّا ليس مشركاً شركاً خفياً؟ لا بد أنه عملنا عملاً اغتريّنا به أو أحدهم مدحنا فأثار فينا العُجب والكبر. لكن الله تعالى يقول: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ

مِنۡ حَرَجٖۚ﴾ [الحَجّ: 78] من عظمة هذا الدين أن هناك كفارة لكل ما عمّت به البلوى، فعلى سبيل المثال شرع لنا كفارة المجلس فَمَهْمَا حصل في المجلس من لغط يكفّر بقول: «**سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إلٰه أنت أستغفرك وأتوب إليك**». يكفّر الله تعالى بهذا الدعاء كل من كان في مجلسه لغط. وكذلك الشرك الخفي، فكل من كان له عبادة يعبد الله تعالى بها ويعجب بنفسه يقول: «**اللهم إني أعوذ بك من أن أشرك بك شيئاً أعلمه وأستغفرك من شيء لا أعلمه**».

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الدال والهاء والنون أصلٌ واحد يدلُّ على لِينٍ وسُهولةٍ وقِلَّة. من ذلك الدُّهْن. ويقال: دَهَنْتُه أَدْهُنُه دَهْناً. والدِّهان ما يُدْهَن به. قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَكَانَتۡ وَرۡدَةٗ كَٱلدِّهَانِ﴾ [الرَّحمٰن: 37]. قالوا: هو دُرْدِيُّ الزَّيت. ويقال: دَهَنَه بالعصا دَهْناً، إذا ضربَه بها ضرْباً خفيفاً. ومن الباب: الإدهان، من المُداهَنَة، وهي المصانَعة. داهَنْتُ الرجُلَ: إذا واربْتَه وأظهرْت له خلاف ما تُضْمِرُ له، وهو من الباب، كأنّه إذا فعل ذلك فهو يدهُنُه ويسكِّن منه. وأدْهَنْتُ إدهاناً: غَشَشْتُ، ومنه قولُه جلَّ ثناؤه: ﴿وَدُّواْ لَوۡ تُدۡهِنُ فَيُدۡهِنُونَ﴾ [القَلَم: 9]. ما يُجْعَل فيه الدُّهن، وهو أحد ما جاء على مُفْعُلٍ مما يُعْتَمَلُ وأَوَّلُه ميم. ومن التشبيه به المُدْهُن: نُقْرَةٌ في الجَبل يَستَنْقِعُ فيها الماء، ومن ذلك حديث النَّهديّ: «**نَشِفَ المُدْهُنُ، ويَبِسَ الجِعْثِنُ**». والدَّهِينُ: الناقة القليلةُ الدَّرّ. ودهَنَ المطرُ الأرضَ: بَلَّها بَلّاً يَسيراً. وبنو دُهْنٍ: حيٌّ من العرب، وإليهم ينسب عَمَّارٌ الدُّهْنيّ. والدَّهْناء موضعٌ، وهو رملٌ ليِّن، والنسبة إليها دَهناوِيٌّ.

---

(1) معجم مقاييس اللغة.

قال الخليل[1]: الدُّهْنُ: الاسم. والدَّهْنُ: الفِعْل المُجاوز، والادّهانُ: الفعل اللّازم. وناقةٌ دَهِينٌ: قليلةُ اللَّبَنِ حدّاً يُمْرَى ضَرْعُها فلا يَدَرُّ قطرة.

والدُّهْنُ من المَطَر: قدْرُ ما يَبُلُّ وجهَ الأرضِ. والإدهانُ: اللِّينُ والمُصانَعةُ. قال الله تعالى: ﴿وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾. أي: تَلينُ لهم فَيلينُونَ. والمُداهِنُ: المُصانِعُ المُوارِبُ. وأصل المُدْهُنِ: مِدْهَنٌ، فلمّا كثُر على الألسُنِ ضمّوه، مثل المُنْخُل. وكلُّ مَوْضِعٍ حَفَره سَيْل، أو ماءٌ واكِفٌ في حجر فهو: مُدْهُنٌ.

والدَّهناءُ: مَوْضِعٍ كلُّهُ رَمْلٌ، والنِّسبةُ إليها: دَهْناويٌّ.

قال الجوهري[2]: الدُّهْنُ معروف. والدِّهانُ: الأديم الأحمر، ومنه قوله تعالى: ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ﴾ [الرَّحمٰن: 37]، أي: صارت حمراءَ كالأديم، من قولهم: فرس وردٌ، والأنثى وردةٌ.

والدِّهانُ أيضاً: جمع دُهْنٍ. يقال: دَهَنْتُهُ بالدِهانِ أَدْهُنُهُ. وتَدَهَّنَ هو وادَّهَنَ أيضاً، على افتعل، إذا تطلّى بالدُّهْنِ. ودَهَنْتُهُ بالعصا: ضربتُه بها. والدِّهانُ أيضاً: المطر الضعيف، واحدها دُهْنٌ بالضم. عن أبي زيد. ودَهَنَ المطرُ الأرضَ: إذا بَلَّها بَلّاً يسيراً. يقال: دَهَنَها وليٌّ، وهي مَدْهونَةٌ. وقومٌ مدَهَّنُونَ، بتشديد الهاء: عليهم آثار النِعَمِ. والمُدْهُنُ بالضم لا غير: قارورة الدُّهْنِ. وتَمَدْهَنَ الرجلُ، إذا أخذ مُدْهُناً. والجمع مَداهِنُ. والمُدْهُنُ نقرةٌ في الجبل يستنقع فيها الماء. والمُداهَنَةُ كالمصانعة. والإدْهانُ مثله، قال الله تعالى: ﴿وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ وقال قومٌ: داهَنْتُ بمعنى واريتُ، وأَدْهَنْتُ بمعنى غششتُ. وناقةٌ دَهينٌ: قليلة اللبن.

وقد دَهَنَتِ الناقةُ تَدْهُنُ دَهانَةً.

---

(1) العين. (2) الصحاح في اللغة.

المعنى المشترك لكلمة (د هـ ن)

وقد وردت كلمة (دهن) في القرآن الكريم على وجهين:

الوجه الأول: الدهان يعني الجلد الأحمر ﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ﴾ [الرَّحمٰن: 37].

الوجه الثاني: الدهن بعينه ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ﴾ [المؤمنون: 20].

في القرآن الكريم:

- **قال تعالى**: ﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ﴾ [المؤمنون: 20].

قال الطبري[1]: الدهن الذي هو من ثمره الزيت، وعن عليّ كرم الله وجهه، عن ابن عباس، قوله: ﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ﴾ يقول: هو الزيت يؤكل ويُدَّهن به.

قال البيضاوي[2]: ﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ﴾ أي تنبت ملتبساً بالدهن ومستصحباً له، ويجوز أن تكون الباء صلة معدية لـ ﴿تَنۢبُتُ﴾ كما في قولك: ذهبت بزيد، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب في رواية ﴿تَنۢبُتُ﴾ وهو إما أن أنبت بمعنى نبت. أو على تقدير ﴿تَنۢبُتُ﴾ زيتونها ملتبساً بالدهن، وقرئ على البناء للمفعول وهو كالأول وتثمر بالدهن وتخرج بالدهن وتخرج الدهن وتنبت بالدهان.

قال ابن عطية[3]: «الدهن» بحذف الباء ونصبه، وقرأ سليمان بن عبد الملك والأشهب «بالدهان» بالألف والمراد في هذه الآية تعديد نعمة الزيت على الإنسان

(1) جامع البيان.
(2) أنوار التنزيل.
(3) المحرر الوجيز.

وهي من أركان النعم التي لا غنى بالصحة عنها ويدخل في معنى الزيتونة شجر الزيت كله على اختلافه بحسب الأقطار وقرأت فرقة.

● **قال تعالى**: ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ﴾ [الرَّحمٰن: 37].

قال ابن كثير[1]: ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ﴾ كالفرس الورد. وقال العوفي عن ابن عباس: تغير لونها. وقال أبو صالح: كالبرذون الورد، ثم كانت بعد كالدهان. وحكى البغوي وغيره: أن الفرس الورد تكون في الربيع صفراء، وفي الشتاء حمراء، فإذا اشتد البرد، تغير لونها. وقال الحسن البصري: تكون ألواناً. وقال السدي: تكون كلون البغلة الوردة، وتكون كالمهل كدردي الزيت. وقال مجاهد: ﴿كَٱلدِّهَانِ﴾ كألوان الدهان. وقال عطاء الخراساني: كلون دهن الورد في الصفرة. وقال قتادة: هي اليوم خضراء، ويومئذ لونها إلى الحمرة يوم ذي ألوان. وقال أبو الجوزاء: في صفاء الدهن. وقال ابن جريج: تصير السماء كالدهن الذائب، وذلك حين يصيبها حر جهنم.

قال ابن الجوزي[2]: وفي الدِّهان قولان: أحدهما: أنه واحد، وهو الأديم الأحمر، قاله ابن عباس. والثاني: أنه جمع دُهن، والدُّهن تختلف ألوانه بخُضرة وحُمرة وصُفرة، حكاه اليزيدي، وإلى نحوه ذهب مجاهد. وقال الفراء: شبّه تلوُّن السماء بتلوُّن الوردة من الخيل، وشبّه الوردة في اختلاف ألوانها بالدُّهن.

● **قال تعالى**: ﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ﴾ [الواقعة: 81].

قال الزمخشري[3]: ﴿أَنتُم مُّدْهِنُونَ﴾ أي: متهاونون به، كمن يدهن في الأمر، أي يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاوناً به.

قال القرطبي[4]: ﴿أَنتُم مُّدْهِنُونَ﴾ أي مكذبون؛ قاله ابن عباس وعطاء

---

(1) تفسير ابن كثير.
(2) زاد المسير.
(3) الكشاف.
(4) الجامع لأحكام القرآن.

وغيرهما. والمُدْهِن الذي ظاهره خلاف باطنه، كأنه شبِّه بالدُّهن في سهولة ظاهره. وقال مقاتل بن سليمان وقتادة: مُدْهِنون كافرون؛ نظيره: ﴿وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ [القَلَم: 9]. وقال المؤرِّج: المدهِن المنافق أو الكافر الذي يُلين جانبه ليُخْفِي كفره، والإدهان والمداهنة التكذيب والكفر والنفاق، وأصله اللِّين، وأن يُسِرَّ خلاف ما يظهر.

وأدهن وداهن واحد. وقال قوم: داهنت بمعنى واريت وأدهنت بمعنى غَشَشْتَ. وقال الضحاك: «مُدْهِنُونَ» معرضون. قال مجاهد: ممالئون الكفار على الكفر به. قال ابن كيسان: المدهن الذي لا يعقل ما حقّ اللهِ عليه ويدفعه بالعلل. وقال بعض اللغويين: مدهنون تاركون للجزم في قَبُول القرآن.

قال الماوردي(1): وفي قوله مدهنون أربعة تأويلات: الأول: مكذبون.

الثاني: معرضون.

الثالث: ممالئون الكفار على الكفر به.

الرابع: منافقون في التصديق به حكاه ابن عيسى.

● **قال تعالى**: ﴿وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ [القَلَم: 9].

قال الفخر الرازي(2): المسألة الاولى: الإدهان اللين والمصانعة والمقاربة في الكلام. قال المبرد: داهن الرجل في دينه وداهن في أمره إذا خان فيه وأظهر خلاف ما يضمر، والمعنى تترك بعض ما أنت عليه مما لا يرضونه مصانعة لهم فيفعلوا مثل ذلك ويتركوا بعض مالا ترضى فتلين لهم ويلينون لك. وروى عطاء عن ابن عباس: لو تكفر فيكفرون.

المسألة الثانية: إنما رفع ﴿فَيُدْهِنُونَ﴾ ولم ينصب بإضمار أن وهو جواب التمني؛ لأنه قد عدل به إلى طريق آخر وهو أن جعل خبر مبتدأ محذوف أي فهم يدهنون.

---

(1) النكت والعيون.

(2) التفسير الكبير.

قال أبو السعود[1]: ﴿وَدُّواْ لَوۡ تُدۡهِنُ﴾ فإنَّه تعليلٌ للنَّهي أو للانتهاءِ وإنما عبَّر عنها بالطاعةِ للمبالغةِ في الزجرِ والتنفيرِ أيْ أَحبُوا لو تلاينُهُم وتسامحُهُم في بعضِ الأمورِ ﴿فَيُدۡهِنُونَ﴾ أي فهُم يُدهِنُونَ حينئذٍ أو فهُم الآنَ يُدْهِنُونَ طمعاً في إدهانِكَ، وقيلَ هو معطوفٌ على تُدهنُ داخلٌ في حيزِ «لَوْ» والمَعْنَى ودُّوا لو يُدهنُونَ عقيبَ إدهانِكَ، ويأباهُ ما سيأتِي من بدئِهِم بالإدهانِ على أن إدهانَهُم أمرٌ محققٌ لا يناسبُ إدخالَهُ تحت التمنِّي، وأيّاً ما كانَ فالمعتبرُ في جانبِهِم حقيقةُ الإدهانِ الذي هُو إظهارُ الملاينةِ وإضمارُ خلافِهَا، وأمَّا في جانبِهِ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ فالمعتبرُ بالنسبةِ إلى ودادتِهِم هو إظهارُ الملاينةِ فَقَطْ وأمَّا إضمارُ خلافِهَا فليسَ في حيزِ الاعتبارِ بلْ هُم في غايةِ الكراهةِ لهُ إنما اعتبارُهُ بالنسبةِ إليهِ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ وفي بعضِ المصاحفِ فيُدهنُوا على أنَّه جواب التمني المفهوم من «ودُّوا» أو أن ما بعده حكاية لودادتهم، وقيل على أنه عطفٌ على تُدهنُ بناءً على أنَّ «لَوْ» بمنزلةِ إنِ الناصبةِ فلا يكونُ لها جوابٌ وينسَبكُ منهَا وممَّا بعدَهَا مصدرٌ يقعُ مفعولاً «وَدُّوا» كأنَّه قيلَ ودُّوا أنْ تُدهنَ فيدهنوا، وقيلَ لَوْ على حقيقتِهَا وجوابُهَا وكذا مفعولُ ودُّوا أي ودُّوا إدهانَكَ لو تُدهنُ فيُدهنُوا لسرُّوا بذلكَ.

---

(1) إرشاد العقل السليم.

دَأَبَ

(دَأَبَ - جَدَّ - دَاْوَمَ)

■ **الدَّأْبُ / الدَّأَبُ:** مداومة العمل بِجِدٍّ ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ دَآئِبَيۡنِۖ﴾ [إبراهيم: 33].

■ **الْجِدُّ:** العمل الناجح المنصف المتقن.

■ **الدَّوَامُ:** امتداد الزمان على العمل النافع ﴿وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ﴾ [المَائدة: 117].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الدال والهمزة والباء أصلٌ واحد يدلُّ على ملازَمةٍ ودوام. فالدأبُ: العادةُ والشّأن. قال الفرّاء: الدأْب، أصله من دَأَبْتُ، إلّا أنّ العربَ حوّلت معناه إلى الشّأن. ودأَبَ الرّجُل في عمله: إذا جَدَّ. وأدْأَبْتُهُ أنا إِدْآباً. والدائِبان: اللّيلُ والنَّهار.

قال الجوهري[2]: دَأَبَ فلان في عمله، أي: جدَّ وتعِب، دَأْباً ودُؤُوباً، فهو دَائِبُ. وأَدْأَبْتُهُ أنا. والدَّائِبَانِ: الليلُ والنهارُ. والدَّأْبُ: العادةُ والشَّأْنُ، وقد يُحَرَّكُ. قال الفراء: أصله من دَأَبْتُ، إلّا أن العرب حَوَّلَتْ معناه إلى الشأن.

قال الفيروزآبادي[3]: دأَبَ في عَمَلِهِ، كَمَنَعَ، دَأْباً، ويُحَرَّكُ، ودُؤوباً،

---

(1) معجم مقاييس اللغة.

(2) الصحاح في اللغة.

(3) القاموس المحيط.

بالضم: جَدَّ وتَعِبَ، وأدْأَبَه. والدَّأْبُ، أيضاً ويُحرَّكُ: الشَّأنُ، والعادَةُ، والسَّوْقُ الشديدُ، والطَّرْدُ. والدَّائِبانِ: الجَديدانِ. ودَوْأَبٌ، كَجوْهَرٍ: فَرَسٌ لبَني العَنْبَرِ.

وبنُو دَوْأَبٍ: قَبيلةٌ. وعبدُ الرحمن بنُ دَأْبٍ: م، ومحمدُ بنُ دَأْبٍ: كَذَّابٌ، وعيسى بنُ يَزِيدَ بنِ دَأْبٍ: هالِكٌ.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى:** ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ﴾ [إبراهيم: 33].

قال الطبري(1): ﴿دَآئِبَيْنِ﴾ في اختلافهما عليكم. وقيل: معناه: أنهما دائبان في طاعة الله.

عن عكرمة، عن ابن عباس، في قوله: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ﴾ قال: دؤُوبهما في طاعة الله.

قال الفخر الرازي(2): ﴿دَآئِبَيْنِ﴾ معنى الدؤب في اللغة مرور الشيء في العمل على عادة مطردة، يقال دأب يدأب دأباً، ودؤباً وقد ذكرنا هذا في قوله: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا﴾ [يوسف: 47] قال المفسرون: قوله: ﴿دَآئِبَيْنِ﴾ معناه يدأبان في سيرهما وإنارتهما وتأثيرهما في إزالة الظلمة وفي إصلاح النبات والحيوان، فإن الشمس سلطان النهار والقمر سلطان الليل ولولا الشمس لما حصلت الفصول الأربعة، ولولاها لاختلت مصالح العالم بالكلية، وقد ذكرنا منافع الشمس والقمر بالاستقصاء في أول هذا الكتاب.

● **قال تعالى:** ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ [آل عِمرَان: 11].

---

(1) جامع البيان.

(2) التفسير الكبير.

قال ابن عطية[1]: الدأْب والدأَب، بسكون الهمزة وفتحها، مصدر دأب يدأب - إذا لازم فعل شيء ودام عليه مجتهداً فيه، ويقال للعادة - دأب - فالمعنى في الآية، تشبيه هؤلاء في لزومهم الكفر ودوامهم عليه بأولئك المتقدمين، وآخر الآية يقتضي الوعيد بأن يصيب هؤلاء مثل ما أصاب أولئك من العقاب.

والكاف في قوله: ﴿كَدَأْبِ﴾ في موضع رفع، التقدير: دأبهم ﴿كَدَأْبِ﴾، ويصح أن يكون الكاف في موضع نصب، قال الفراء: هو نعت لمصدر محذوف تقديره كفراً ﴿كَدَأْبِ﴾.

قال الماوردي[2]: قوله عَزَّوَجَلَّ : ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن الدأب: العادة، (أي) كعادة آل فرعون والذين من قبلهم.

والثاني: أن الدأب هنا الاجتهاد، مأخوذ من قولهم: دأبت في الأمر، إذا اجتهدت فيه.

فإذا قيل إنه العادة ففيما أشار إليه من عادتهم وجهان:

أحدهما: كعادتهم في التكذيب بالحق.

والثاني: كعادتهم من عقابهم على ذنوبهم.

وإذا قيل إنه الاجتهاد، احتمل ما أشار إليه من اجتهادهم وجهين:

أحدهما: كاجتهادهم في نصرة الكفر على الإيمان.

والثاني: كاجتهادهم في الجحود والبهتان.

وفيمن أشار إليهم أنهم كدأب آل فرعون قولان:

أحدهما: أنهم مشركو قريش يوم بدر، كانوا في انتقام الله منهم لرسله والمؤمنين، كآل فرعون في انتقامه منهم لموسى وبني إسرائيل، فيكون هذا على القول الأول تذكيراً للرسول والمؤمنين بنعمة سبقت، لأن هذه الآية نزلت بعد بدر

---

(1) المحرر الوجيز. (2) النكت والعيون.

استدعاء لشكرهم عليها، وعلى القول الثاني وعداً بنعمة مستقبلة لأنها نزلت قبل قتل يهود بني قينقاع، فحقق وعده وجعله معجزاً لرسوله.

قال أبو السعود[1]: ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ الدأبُ مصدر دأَبَ في العمل إذا كدح فيه وتعِب غلب استعمالُه في معنى الشأن والحال والعادة، ومحلُّ الكاف الرفعُ على أنه خبرٌ لمبتدإٍ محذوف وقد جُوِّز النصبُ بـ «لن تغني» أو بالوَقود، أي لن تغني عنهم كما لم تغنِ عن أولئك أو توقد بهم النارُ كما توقد بهم، وأنت خبير بأن المذكور في تفسير الدأب إنما هو التكذيبُ والأخذ من غير تعرُّض لعدم الإغناء لا سيما على تقدير كونِ «مِنْ» بمعنى البدل كما هو رأيُ المجوِّز، ولا لإيقاد النار فيُحمل على التعليل وهو خلافُ الظاهر على أنه يلزَمُ الفصلُ بين العامل والمعمول بالأجنبي على تقدير النصب بأن تغني وهو قوله تعالى: ﴿وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ﴾ [آل عِمرَان: 10] إلا أن يُجعل استئنافاً معطوفاً على خبر إن فالوجهُ هو الرفعُ على الخبرية أي دأبُ هؤلاءِ في الكفر وعدمِ النجاة من أخْذِ الله تعالى وعذابه كدأب آلِ فرعون.

---

(1) إرشاد العقل السليم.

دَارٌ

(دَارُ - بُرْجٌ - قَصْرٌ - بَيْتٌ - حِصْنٌ)

■ **الدَّارُ:** البيت الذي تطول فيه مدة سكن صاحبه به حتى يدور عليه جيل فيعرف بأهله ﴿سَأُوْرِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [الأعراف: 145].

■ **الْبُرْجُ:** البناء الصخري العالي لحراسته بيوت الملوك والمراقبة العالية ﴿وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النِّساء: 78].

■ **الْقَصْرُ:** المسكن المشيد بأسباب البقاء للأولاد والأحفاد. ﴿وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾ [الحجّ: 45].

■ **الْبَيْتُ:** مأوى الإنسان، يبيت فيه في الليل فيقال «بات». ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓاْ﴾ [النّمل: 52].

■ **الْحِصْنُ:** غرف على امتداد السور للمراقبة ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم﴾ [الحشر: 2].

❊ ❊ ❊

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الدال والواو والراء أصلٌ واحد يدلُّ على إحداق الشيء بالشيء من حواليه. يقال: دارَ يدُور دَوَراناً. والدَّوَّارِيُّ: الدَّهر؛ لأنَّه يَدُور بالنَّاس

(1) معجم مقاييس اللغة.

أحوالاً. قال: والدُّوَار، مثقَّل ومخفّف: حَجَرٌ كان يُؤخذ من الحرم إلى ناحيةٍ ويُطافُ به، ويقولون: هو من جِوار الكعبة التي يُطافُ بها.

والدُّوَار في الرأس هو من الباب، يقال: دِير به وأُدِير به، فهو مَدُورٌ به ومُدَار به. والدَّائرة في حَلْق الفرس: شُعَيرات تدور؛ وهي معروفة.

ويقال دارت بهم الدوائر، أي الحالات المكروهة أحدقت بهم. والدار أصلها الواو. والدار القبيلة. قال رسول الله ﷺ: «**ألاَ أُنَبِّئكم بخَيْر دُورِ الأنصار؟**» أراد بذلك القبائلَ. ومن ذلك الحديث الآخَر: «**فلم تَبْقَ دارٌ إلَّا بُنِي فيها مَسجد**». أي: لم تَبق قبيلةٌ. والدّارِيُّ العطّار: قال رسول الله ﷺ: «**مَثَلُ الجليسِ الصَّالحِ كَمثل الدّارِيّ إنْ لم يُحْذِك مِن عِطره عَلِقَكَ مِن ريحه**» أراد العَطَّار.

وإنَّما سُمِّي داريّاً من الدّار، أي هو يسكن الدّار. والدّارِيّ الرجُل المقيم في داره لا يَكاد يَبْرَح. والدَّارة: أرضٌ سَهلْة تدور بها جِبال، وفي بِلاد العرب منها داراتٌ كثيرة. وأصل الدار دَارةٌ.

قال الجوهري(1): الدارُ مؤنَّثةٌ. وإنَّما قال الله تعالى: ﴿وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [النّحل: 30] فذُكِّر على معنى المَثْوى والموضِع كما قال: ﴿نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: 31] فأنّث على المعنى. والدارَةُ أَخَصُّ من الدار.

والدارَةُ: التي حَوْلَ القمر، وهي الهالَةُ. ويقال: ما بها دُوريٌّ وما بها دَيَّارٌ، أي أَحَدٌ. وهو فَيْعالٌ من دُرْتُ، وأصله دَيْوارٌ. ودارَ الشيءُ يَدورُ دَوْراً ودَوَراناً. وأَدارَهُ غيره ودَوَّرَ به. وتدوير الشيء: جَعْلُهُ مُدَوَّراً. والمُداوَرَةُ كالمُعالجَةِ.

والدَّوَّاريُّ: الدَّهْرُ يدور بالإنسانِ أَحْوالاً. والدَّارِيُّ العَطَّارُ، وهو مَنْسوبٌ إلى دارينَ: فُرْضَةٌ بالبحرَيْنِ فيها سوقٌ كان يُحْمَل إليها مِسْكٌ من ناحية الهِنْد.

وفي الحديث: «**مَثَلُ الجَليسِ الصالِحِ مثل الدارِيِّ إنْ لم يُحْذِكَ من عِطْرِهِ عَلِقَكَ من رِيحِه**».

---

(1) الصحاح في اللغة.

والدَّارِيُّ أيضاً: رَبُّ النَعَم؛ سُمِّيَ بذلك لأنه مُقيمٌ في دارِه، فَنُسِبَ إليها. والدائرة: واحدةُ الدوائر. يقال في الفرس ثماني عشرة دائرة، والدائرة الهزيمة، يقال: عليهم دائرةُ السَوءِ. والمُدارَةُ جِلْدٌ يُدارُ ويُخْرَزُ على هيئة الدَلْوِ فيستقي بها. ودُوارٌ بالضم: صَنَمٌ، وقد يفتح.

والدُّوارُ أيضاً من دُوارِ الرأس. يقال: دِيرَ بالرجل، وأُديرَ به. ودَيْرُ النصارى، أصله الواو، والجمع أَدْيارٌ. والدَّيْرانيُّ: صاحب الدَّيْرِ.

المعنى المشترك لكلمة (د ور)

وقد وردت كلمة (دور) في القرآن الكريم على أربعة أوجه:

الوجه الأول: الدار بمعنى: المنزل ﴿فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾ [هُود: 67].

الوجه الثاني: الدار يعني: المدينة ﴿أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ﴾ [الرّعد: 31].

الوجه الثالث: الدار يعني: الجنة ﴿وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [النّحل: 30].

الوجه الرابع: الدار يعني: جهنم ﴿وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾﴾ [إبراهيم: 28-29].

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [الأنعَام: 127].

قال الفخر الرازي[1]: وفي قوله: ﴿دَارُ ٱلسَّلَٰمِ﴾ قولان:

(1) التفسير الكبير.

القول الأول: أن السلام من أسماء الله تعالى، فدار السلام هي الدار المضافة إلى الله تعالى، كما قيل للكعبة - بيت الله تعالى - وللخليفة - عبد الله -.

والقول الثاني: أن السلام صفة الدار، ثم فيه وجهان: الأول: المعنى دار السلامة، والعرب تلحق هذه الهاء في كثير من المصادر وتحذفها، يقولون ضلال وضلالة، وسفاه وسفاهة، ولذاذ ولذاذة، ورضاع ورضاعة. الثاني: أن السلام جمع السلامة، وإنما سميت الجنة بهذا الاسم لأن أنواع السلامة حاصلة فيها بأسرها.

إذا عرفت هذين القولين: فالقائلون بالقول الأول قالوا به لأنه أولى، لأن إضافة الدار إلى الله تعالى نهاية في تشريفها وتعظيمها وإكبار قدرها، فكان ذكر هذه الإضافة مبالغة في تعظيم الأمر، والقائلون بالقول الثاني رجحوا قولهم من وجهين: الأول: أن وصف الدار بكونها دار السلامة أدخل في الترغيب من إضافة الدار إلى الله تعالى، والثاني: أن وصف الله تعالى بأنه السلام في الأصل مجاز، وإنما وصف بذلك لأنه تعالى ذو السلام، فإذا أمكن حمل الكلام على حقيقته كان أولى.

قال الزمخشري[1]: ﴿دَارُ ٱلسَّلَٰمِ﴾ دار الله، يعني الجنة، أضافها إلى نفسه تعظيماً لها أو دار السلامة من كل آفة وكدر.

قال البيضاويّ[2]: ﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ﴾ دار الله، أضاف الجنة إلى نفسه تعظيماً لها، أو دار السلامة من المكاره أو دار تحيتهم فيها سلام.

● **قال تعالى**: ﴿دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾ [إبراهيم: 28].

قال الطبري[3]: ﴿وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾ [إبراهيم: 28] يقول: وأنزلوا قومهم من مُشركي قريش دار البوار، وهي دار الهلاك.

(1) الكشاف.
(2) أنوار التنزيل.
(3) جامع البيان.

عن أبي إسحاق قال: سمعت عمراً ذات مَرَّة يقول: سمعت عليًّا يقول على المنبر، وتلا هذه الآية: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾ [إبراهيم: 28]. قال: هما الأفجران من قريش، فأما أحدهما فقطع الله دابرهم يوم بدر وأما الآخر فمُتِّعوا إلى حين.

عن ابن عباس: ﴿دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾ قال: الهلاك. قال ابن جريج، قال مجاهد: ﴿وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾ [إبراهيم: 28] قال: أصحاب بدر.

قال أبو السعود[1]: ﴿دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾ دارَ الهلاك الذي لا هلاكَ وراءه.

قال ابن كثير[2]: هم الأفجران من قريش: بنو أمية، وبنو المغيرة، فأما بنو المغيرة، فأحلوا قومهم دار البوار يوم بدر، وأما بنو أمية فأحلوا قومهم دار البوار يوم أحد، وكان أبو جهل يوم بدر، وأبو سفيان يوم أحد، وأما دار البوار فهي جهنم.

● **قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ﴾** [البَقَرَة: 94].

قال ابن عطية[3]: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ﴾ الآية أمر لمحمد ﷺ أن يوبخهم، والمعنى: إن كان لكم نعيمها وحظوتها وخيرها فذلك يقتضي حرصكم على الوصول إليها ﴿فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ﴾، و﴿ٱلدَّارُ﴾ اسم ﴿كَانَتْ﴾.

قال الشوكاني[4]: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ﴾ هو ردٌّ عليهم لما ادّعوا أنهم يدخلون الجنة، ولا يشاركهم في دخولها غيرهم، وإلزام لهم بما يتبين به أنهم كاذبون في تلك الدعوى، وأنها صادرة منهم لا عن برهان.

● **قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ﴾** [البَقَرَة: 243].

---

(1) إرشاد العقل السليم.
(2) تفسير ابن كثير.
(3) المحرر الوجيز.
(4) فتح القدير.

قال الزمخشري[1]: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تقرير لمن سمع بقصتهم من أهل الكتاب وأخبار الأوّلين، وتعجيب من شأنهم. ويجوز أن يخاطب به من لم يَرَ ولم يسمع، لأنّ هذا الكلام جرى مجرى المثل في معنى التعجيب. روي: أنّ أهل داوردان - قرية قبل واسط - وقع فيها الطاعون فخرجوا هاربين، فأماتهم الله ثم أحياهم ليعتبروا ويعلموا أنه لا مفرّ من حكم الله وقضائه. وقيل مرّ عليهم حزقيل بعد زمان طويل وقد عريت عظامهم وتفرقت أوصالهم فلوى شدقه وأصابعه تعجباً مما رأى، فأوحى إليه: ناد فيهم أن قوموا بإذن الله، فنادى، فنظر إليهم قياماً يقولون: سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت. وقيل: هم قوم من بني إسرائيل دعاهم ملكهم إلى الجهاد فهربوا حذراً من الموت، فأماتهم الله ثمانية أيام ثم أحياهم.

قال الطبري[2]: يعني تعالى ذكره: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ ألم تعلم يا محمد. وهو من رؤية القلب لا رؤية العين؛ لأن نبينا محمداً ﷺ لم يدرك الذين أخبر الله عنهم هذا الخبر، ورؤية القلب: ما رآه وعلمه به. فمعنى ذلك: ألم تعلم يا محمد الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف.

● **قال تعالى**: ﴿سَأُوْرِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [الأعرَاف: 145].

قال البغوي[3]: ﴿سَأُوْرِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾، قال مجاهد: مصيرها في الآخرة. وقال الحسن وعطاء: يعني جهنم يحذركم أن تكونوا مثلهم. وقال قتادة وغيره: سأدخلكم الشأم فأريكم منازل القرون الماضية الذين خالفوا أمر الله لتعتبروا بها. وقال عطية العوفي: أراد دار فرعون وقومه وهي مصر، يدل عليه قراءة قسامة بن زهير: «سأورثكم دار الفاسقين». وقال السدي: دار الفاسقين مصارع الكفار. وقال الكلبي: ما مروا عليه إذا سافروا من منازل عاد وثمود والقرون الذين أُهلكوا.

---

(1) الكشاف.
(2) جامع البيان.
(3) معالم التنزيل.

قال أبو السعود[1]: ﴿سَأُوْرِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ تلوينٌ للخطاب وتوجيهٌ له إلى قومه عليه الصلاة والسلام بطريق الالتفاتِ حملاً لهم على الجد في الامتثال بما أُمروا به، إما على نهج الوعيدِ والترهيب - على أن المرادَ بدار الفاسقين أرضَ مصرَ وديارُ عادٍ وثمودَ وأضرابِهم، فإن رؤيتها وهي خاليةٌ عن أهلها خاويةٌ على عروشها موجبةٌ للاعتبار والانزجارِ عن مثل أعمالِ أهلِها كيلا يحِلَّ بهم ما حل بأولئك - وإما على نهج الوعدِ والترغيبِ على أن المرادَ بدار الفاسقين إما أرضُ مصرَ خاصةً أو مع أرض الجبابرةِ والعمالقةِ بالشام فإنها أيضاً مما أتيح لبني إسرائيلَ وكُتب لهم حسبما ينطِق به قولُه عَزَّوَجَلَّ : ﴿يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُواْ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [المائدة: 21].

● **قال تعالى: ﴿نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾ [المَائدة: 52].**

قال ابن عطية[2]: ﴿يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾ [المَائدة: 52] لفظ محظوظ عن عبد الله بن أبيّ، ولا محالة أنه قال بقوله منافقون كثير، والآية تعطي ذلك، و﴿دَآئِرَةٌ﴾ معناه نازلة من الزمان وحادثة من الحوادث تحوجنا إلى موالينا من اليهود، وتسمى هذه الأمور دوائر على قديم الزمان من حيث الليل والنهار في دوران، فكأن الحادث يدور بدورانها حتى ينزل فيمن نزل، ومنه قول الله تعالى: ﴿دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾ [التّوبَة: 98، الفتح: 6] و﴿وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ﴾ [التّوبَة: 98].

قال أبو السعود[3]: ﴿يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾ وهو حال من ضمير يسارعون، والدائرةُ من الصفات الغالبة التي لا يُذكر معها موصوفُها، أي تدور علينا دائرةٌ من دوائر الدهر ودَوْلةٌ من دُولِه بأن ينقلبَ الأمرُ وتكون الدولةُ للكفار. وقيل: نخشى أن يصيبنا مكروهٌ من مكاره الدهر كالجدْب والقَحْط فلا يعطونا المِيرةَ والقَرْض. روي (أن عبادة بنَ الصامت رضي الله تعالى عنه قال لرسول

(1) إرشاد العقل السليم.
(2) المحرر الوجيز.
(3) إرشاد العقل السليم.

الله ﷺ: إن لي مواليَ من اليهود كثيراً عددُهم وإني أبرأ إلى الله ورسولِه من وَلايتهم، وأُوالي الله ورسوله. فقال عبد الله بنُ أُبي: إني رجل أخاف الدوائرَ لا أبرأ من وِلاية مواليَّ) وهم يهودُ بني قَيْنُقاع، ولعله يُظهرُ للمؤمنين أنه يريد بالدوائر المعنى الأخيرَ ويُضمِرُ في نفسه المعنى الأول.

● قال تعالى: ﴿وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَۚ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: 98].

قال الشعراوي(1): ﴿وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَۚ﴾. أي يتمنى وينتظر أن يصيب المسلمين كارثة؛ فلا يأخذوا منه الزكاة التي اعتبرها مغرماً. ولماذا قال الحق: ﴿ٱلدَّوَآئِرَۚ﴾؟ نعلم أن الخطْبَ الشديد حين يصيب الإنسان أو القوم إن كان فظيعاً وقويّاً يقال: «دارت عليهم الدوائر»: أي أن المصيبة أحاطت بهم؛ فلا منفذ لهم يخرجون منه، وكان بعض من الأعراب يتربصون بالمسلمين الدوائر؛ لأنهم كارهون لدفع الزكاة ويظنون أنها غرامة، ولا يستوعبون أن الزكاة تُكْتب في الميزان، وأنها تطهير ونماء للمال، وأنها حمل لعجز العاجز، إن عجز الواحد منهم؛ فسوف يجد من يحمله.

والذي يتربص بكم الدوائر، ولا يفطن إلى حكمة الأخذ منه، هو الذي تأتي عليه دائرة السوء مصداقاً لقوله الحق: ﴿عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾؛ لأن أيّاً منهم لم يفطن وينتبه لقيمة الوجود في المجتمع الإيماني الذي يعطي له الزكاة إن عجز، فإن تربصت الدائرة بمن يأخذ منك، ولم تفطن إلى أن من يأخذ منك يصح أن يأخذ من الغير لك؛ فسوف تأتي الدائرة عليك.

وقوله الحق: ﴿عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۗ﴾ تبدو كأنها دعوة، ومن الذي يدعو؟ إنه الله. وهناك فرق بين أن يدعو غير قادر، وبين أن يدعو قادراً. إن كان ربنا هو من يقول: ﴿عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۗ﴾، فدائرة السوء قادمة لهم لا محالة.

---

(1) تفسير الشعراوي.

قال الألوسي(1): ﴿وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ﴾ أي ينتظر بكم نوب الدهر ومصائبه التي تحيط بالمرء لينقلب بها أمركم ويتبدل بها حالكم فيتخلص مما ابتلي به ﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾ دعاء عليهم بنحو ما يتربصون به، وهو اعتراض بين كلامين كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟﴾ [المَائدة: 64] وجوز أن تكون الجملة إخباراً عن وقوع ما يتربصون به عليهم، والدائرة اسم للنائبة وهي في الأصل مصدر كالعافية والكاذبة أو اسم فاعل من دار يدور وقد تقدم تمام الكلام عليها.

● **قال تعالى**: ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَـٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾ [البَقَرَة: 282].

قال ابن عجيبة(2): ﴿تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾ أي: تتعاملون فيها نقداً.

قال الزمخشري(3): (تديرونها) وبالنصب على: إلا أن تكون التجارة تجارة حاضرة كبيت الكتاب.

قال البغوي(4): ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَـٰرَةً حَاضِرَةً﴾ قرأها عاصم بالنصب على خبر كان وأضمر الاسم، مجازه: إلا أن تكون التجارة تجارة حاضرة أو المبايعة تجارة، وقرأ الباقون بالرفع، وله وجهان:

أحدهما: أن تجعل الكون بمعنى الوقوع معناه إلا أن تقع تجارة.

والثاني: أن تجعل الاسم في التجارة والخبر في الفعل وهو قوله: ﴿تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾ تقديره إلا أن تكون تجارة حاضرة دائرة بينكم، ومعنى الآية إلا أن تكون تجارة حاضرة يداً بيد تديرونها بينكم ليس فيها أجل.

---

(1) روح المعاني.
(2) البحر المديد.
(3) الكشاف.
(4) معالم التنزيل.

دُوَلٌ

(دُوَلٌ - بَلَدٌ - مَدِيْنَةٌ - قَرْيَةٌ - مِصْر)

■ **الدَّولة، الدُّولة:** ما يتداوله الكثيرون (المال) ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ﴾ [الحَشر: 7].

الدُّولة: الكثيرون يتداولون عليه، وهي الوجاهة في الحكم.

■ **الْبَلَدُ:** المكان المحيط الممدود المتأثر باجتماع ساكنيه. قال تعالى: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾ [البَلَد: 1].

والبلدة مؤنث البلد، قال تعالى: ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ [سَبَإ: 15].

■ **الْقَرْيَةُ:** البلد المزدحم بالزوار. قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَتْكَ﴾ [محَمَّد: 13].

■ **الْمَدِيْنَةُ:** العاصمة في كل وطن. قال تعالى: ﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ﴾ [القَصَص: 15].

■ **الْمِصْرُ:** كل مدينة مسورة بسور، ولهذا سميت مصر مصراً لأنها المدينة الوحيدة المسورة. قال تعالى: ﴿ٱهْبِطُواْ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ﴾ [البَقَرَة: 61].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الدال والواو واللام أصلان: أحدُهما يدلُّ على تحوُّل شيءٍ من مكان إلى مكان، والآخر يدلُّ على ضَعْفٍ واستِرخاء. أمَّا الأوَّل فقال أهل اللغة: انْدَالَ القومُ: إذا تحوَّلوا من مكان إلى مكان. ومن هذا الباب: تداوَلَ القومُ الشّيءَ بينَهم: إذا صار من بعضهم إلى بعض، والدَّولة والدُّولة لغتان.

ويقال بل الدُّولة في المال والدَّولة في الحرب، وإنَّما سُمِّيا بذلك من قياس الباب؛ لأنّه أمرٌ يتداوَلُونه، فيتحوَّل من هذا إلى ذاك، ومن ذاك إلى هذا. وأمَّا الأصل الآخَر فالدَّوِيلُ من النَّبْت: ما يَبِس لعامِهِ.

قال الخليل[2]: الدُّولةُ والدَّوْلةُ لغتان، ومنه الإدالة، قال الحَجّاج: إنّ الأرضَ ستُدالُ مِنّا كما أدَلنا منها أي نكون في بَطْنها كما كُنّا على ظَهْرها.

وبنُو الدِّول: حَيٌّ من بني حنيفة.

قال الجوهري[3]: الدَّوْلَةُ في الحرب: أن تُدالَ إحدى الفئتين على الأخرى. يقال: كانت لنا عليهم الدَّوْلَةُ. والجمع الدِّوَلُ. والدُّولَةُ بالضم، في المال. يقال: صار الفَيْءُ دُولَةً بينهم يَتَداوَلونَهُ، يكون مرّةً لهذا ومرَّةً لهذا، والجمع دُولاتٌ ودُوَلٌ.

المعنى المشترك لكلمة (د ول)

وقد وردت كلمة (دول) في القرآن الكريم على وجهين:

الوجه الأول: الدُّولة يعني: القسمة ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ﴾ [الحَشر: 7].

---

(1) معجم مقاييس اللغة.

(2) العين.

(3) الصحاح في اللغة.

الوجه الثاني: الدولة بعينها ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عِمرَان: 140].

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْۚ﴾ [الحشر: 7].

قال ابن كثير[1]: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْۚ﴾ [الحَشر: 7] أي: جعلنا هذه المصارف لمال الفيء؛ كيلا يبقى مأكلة يتغلب عليها الأغنياء، ويتصرفون فيها بمحض الشهوات والآراء، ولا يصرفون منه شيئاً إلى الفقراء.

قال ابن عجيبة[2]: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ﴾ أي: كي لا يكون الفيء الذي حقه أن يكون للفقراء يعيشون به ﴿دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْۚ﴾ أي: يتداوله الأغنياء بينهم، ويختصُّون به. والدولة: ما يدول للإنسان، أي: ما يدور له من الغنى والجدّ والغلبة وغيرها، وقيل: الدولة - بالفتح - من المُلك، وبالضم من المِلك - بالكسر -.

قال العزّ بن عبد السلام[3]: ﴿دُولَةًۢ﴾ ودَولة واحد أو بالفتح الظفر في الحرب وبالضم الغنى عن الفقر، أو بالفتح في الأيام، وبالضم في الأموال، أو بالفتح ما كان كالمستقر، وبالضم ما كان كالمستعار، أو بالفتح الظفر في الحرب، وبالضم أيام الملك وأيام السنين التي تتغير.

● **قال تعالى**: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عِمرَان: 140].

قال الزمخشري[4]: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ﴾ تلك مبتدأ، والأيام صفته. و﴿نُدَاوِلُهَا﴾

(1) تفسير ابن كثير.
(2) البحر المديد.
(3) التفسير العظيم.
(4) الكشاف.

خبره، ويجوز أن يكون ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ﴾ مبتدأ وخبراً، كما تقول: هي الأيام تبلي كل جديد. والمراد بالأيام: أوقات الظفر والغلبة، نداولها: نصرفها بين الناس نديل تارة لهؤلاء وتارة لهؤلاء، ومن أمثال العرب: الحرب سجال. وعن أبي سفيان أنه صعد الجبل يوم أحد فمكث ساعة ثم قال: أين ابن أبي كبشة، أين ابن أبي قحافة، أين ابن الخطاب. فقال عمر: هذا رسول الله ﷺ، وهذا أبو بكر، وها أنا عمر. فقال أبو سفيان يوم بيوم والأيام دول والحرب سجال. فقال عمر رضي الله عنه: لا سواء، قتلانا في الجنة، وقتلاكم في النار. فقال: إنكم تزعمون ذلك فقد خبنا إذن وخسرنا، والمداولة مثل المعاورة. يقال: داولت بينهم الشيء فتداولوه.

قال الطبري(1): يعني تعالى ذكره (بقوله): ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ أيام بدر وأُحد، ويعني بقوله: ﴿نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾: نجعلها دولاً بين الناس مصرفة، ويعني بالناس: المسلمين والمشركين. وذلك أن الله عز وجل أدال المسلمين من المشركين ببدر، فقتلوا منهم سبعين، وأسروا سبعين، وأدال المشركين من المسلمين بأُحد، فقتلوا منهم سبعين سوى من جرحوا منهم، يقال منه: أدال الله فلاناً من فلان فهو يديله منه إدالة إذا ظفر به فانتصر منه مما كان نال منه المدال منه.

عن قتادة، قوله: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾: إنه والله لولا الدول ما أوذي المؤمنون، ولكن قد يدال للكافر من المؤمن، ويبتلى المؤمن بالكافر ليعلم الله من يطيعه ممن يعصيه ويعلم الصادق من الكاذب.

قال ابن عطية(2): أخبر تعالى على جهة التسلية أن ﴿ٱلْأَيَّامُ﴾ على قديم الدهر وغابره أيضاً إنما جعلها دولاً بين البشر، أي: فلا تنكروا أن يدال عليكم الكفار، وقال تعالى: ﴿نُدَاوِلُهَا﴾ فهي مفاعلة من جهة واحدة، وإنما ساغ ذلك لأن

---

(1) جامع البيان. (2) المحرر الوجيز.

المداولة منه تعالى هي بين شيئين، فلما كان ذلك الفريقان يتداولان حسن ذلك، و«الدُّولة» بضم الدال المصدر، و«الدَّولة» بفتح الدال الفعلة الواحدة من ذلك، فلذلك يقال في دولة فلان لأنها مرة في الدهر، وسمع بعض العرب الأَقحاح قارئاً يقرأ هذه الآية، فقال: إنما هو، «وتلك الأيام نداولها بين العرب»، فقيل له: إنما هو «بين الناس» فقال: إنّا لله، ذهب ملك العرب ورب الكعبة.

داوم

(داوم - دأب - جد)

■ **الدَّوَامُ:** امتداد الزمان على العمل النافع ﴿وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ﴾ [المَائدة: 117].

■ **الدَّأْبُ:** مدوامة العمل بجد ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ دَآئِبَيۡنِۖ﴾ [إبراهيم: 33].

■ **الجِدُّ:** العمل الناجح المنصف المتقن.

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الدال والواو والميم أصلٌ واحد يدلُّ على السُّكون واللُّزوم. يقال: دامَ الشّيءُ يَدُومُ: إذا سكَنَ. والماء الدّائم: السَّاكن. ونَهى رسولُ الله ﷺ أن يُبَالَ في الماء الدائم ثم يُتَوَضَّأَ منه. والدليل على صحّة هذا التأويل أنّه روي بلَفْظَةٍ أُخرى، وهو أنّه نَهَى أن يُبَالَ في الماء القائم. ويقال: أَدَمْتُ القِدْرَ إدامةً: إذا سكَّنْتَ غليانَها بالماء.

ومن المحمول على هذا وقياسُه قياسُه، تدويم الطّائِر في الهواء؛ وذلك إذا حلَّق وكانت له عندها كالوقفة. ومن ذلك قولهم: دَوّمت الشَّمْسُ في كبد السماء، وذلك إذا بلغت ذلك الموضع. ويقول أهلُ العلم بها: إنْ لها ثَمَّ كالوَقْفة، ثم تَدْلُك. قال ذو الرُّمَّة: أي: كأنَّها لا تمضِي.

(1) معجم مقاييس اللغة.

ويقال: دَوَّمْتُ الزّعفرانَ: دُفْتُه؛ وهو القياسُ لأنّه يسكُن فيما يُداف فِيه. واستَدَمْتُ الأمْرَ: إذا رفَقْتُ به. وكذا يقولون. والمعنى أنّه إذا رَفَقَ به ولم يعْنُف ولم يَعْجَل دامَ له.

وأما قولُه: فيقولون: يُدوِّم يَبُلُّ، وليس هذا بشيء، إنّما يدوِّم يُبْقِي؛ وذلك أنّ اليائِسَ يجفُّ ريقُه. والدِّيمة: مطرٌ يدُومُ يوماً وليلةً أو أكثر. ومن الباب أنّ عائشة رضي الله عنها سُئلت عن عمل رسول الله ﷺ، فقالت: «كان عملُهُ دِيمَة» أي: دائماً. والمعنى أنّه كان يَدُوم عليه، سواء قلَّلَ أو كثَّر، ولكنه كان لا يُخِلّ. تعني بذلك في عبادته ﷺ. فأمّا قولهم دوَّمَتْه الخمر، فهو من ذاك؛ لأنها تُخَثّره حتَّى تسكُن حركاته.

والدَّأْمَاءُ: البَحْر، ولعلّه أن يكون من الباب؛ لأنّه ماءٌ مقيمٌ لا يُنْزَح ولا يَبْرَح.

قال الخليل[1]: ماء دَائِمٌ: ساكن. والدَّوْمُ مصدر دَامَ يَدُوم. ودَامَ الماءُ يَدُومُ دَوْماً وأَدَمْتُه إدامةً إذا سَكَّنتُه، وكُلُّ شيءٍ سَكَّنْتَه فقد أدَمْتَه. والدِّيمَةُ: المطر الذي يدوم دَوْماً يوماً وليلةً أو أكثر. وفي حديث عائشة: أنّها سُئِلَت هل كان رسول اللهِ ﷺ يُفَضِّلُ بعض الأيام على بعض فقالت: «كان عمله دِيمةً». ووادي الدَّوم: موضعٌ. والمُدَامةُ: الخمر، سُمِّيَتْ به لأنّه ليس من الشراب شيءٌ يُستطاعُ إدامة شُرْبه غيرُها.

والتَّدويمُ: تحليق الطائر في الهواء ودَورانُه، ودوَّمَ تدويماً أي يدورُ ويرتفع.

وتدويم الشمس: دَوَرانُها كأنّها تدور في مُضِيِّها.

ودَوَّمَتِ الكلاب أي أمعَنَت في طلب الصَّيْد. وتدويمُ الزَّعْفَران: دَوْفُه وإدارتُه في دَوْفه.

والدَّوْمُ: شَجَر المُقْلِ، الواحدة دَوْمة. واستِدامةُ الأمر: الأَناةُ فيه والنَّظَر.

---

(1) العين.

ومَفازةٌ دَيْمُومةٌ أي: دائِمةُ البعد.

قال الجوهري[1]: دامَ الشيء يَدومُ ويَدامُ، دَوْماً ودَواماً ودَيْمومَةً، وأَدامَهُ غيره. ودَوَّمَتِ الشمسُ في كبد السماء.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ [المَائدة: 117].

قال الفخر الرازي[2]: أي كنت أشهد على ما يفعلون ما دمت مقيماً فيهم.

قال الشوكاني[3]: ﴿مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ أي مدّة دوامي فيهم.

قال أبو السعود[4]: ﴿مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ ما مصدرية ظرفية تقدّر بمصدرٍ مضافٍ إليه زمانٌ، ودمت صلتها، أي كنت شهيداً عليهم مدة دوامي فيما بينهم.

● **قال تعالى**: ﴿إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا﴾ [آل عمران: 75].

قال الطبري[5]: اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا﴾ فقال بعضهم: إلا ما دمت له متقاضياً. قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا﴾: إلا ما طلبته واتبعته.

وقال آخرون: معنى ذلك: إلا ما دمت عليه قائماً على رأسه.

وأولى القولين بتأويل الآية قول من قال: معنى ذلك: إلا ما دمت عليه قائماً بالمطالبة والاقتضاء، من قولهم: قام فلان بحقي على فلان حتى استخرجه لي، أي عمل في تخليصه، وسعى في استخراجه منه حتى استخرجه، لأن

(1) الصحاح في اللغة.
(2) التفسير الكبير.
(3) فتح القدير.
(4) إرشاد العقل السليم.
(5) جامع البيان.

الله عَزَّوَجَلَّ إنما وصفهم باستحلالهم أموال الأميين، وأن منهم من لا يقضي ما عليه إلا بالاقتضاء الشديد والمطالبة، وليس القيام على رأس الذي عليه الدين، بموجب له النقلة عما هو عليه من استحلال ما هو له مستحلّ، ولكن قد يكون - مع استحلاله الذهاب بما عليه لربّ الحق - إلى استخراجه السبيلُ بالاقتضاء والمحاكمة والمخاصمة، فذلك الاقتضاء: هو قيام ربّ المال باستخراج حقه ممن هو عليه.

قال ابن عجيبة[1]: (لم يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائماً) على رأسه، مبالغاً في مطالبته. نزلت في عبد الله بن سلام، استودعه قرشي ألفاً ومائتي أوقية ذهباً، فأداها إليه، وفي فنحاص بن عازوراء اليهودي، استودعه قرشي آخر ديناراً، فجحده. وقيل: في النصارى واليهود، فإن النصارى: الغالب عليهم الأمانة، واليهود الغالب عليهم الخيانة.

قال الخازن[2]: ﴿إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا﴾ قال ابن عباس: يريد: تقوم عليه وتطالبه بالإلحاح والخصومة والملازمة، وقيل: معناه إلّا مدة دوامك عليه يا صاحب الحق قائماً على رأسه متوكلاً عليه بالمطالبة له والتعنيف بالرفع إلى الحاكم وإقامة البينة عليه. وقيل أراد أنه إن أودعته شيئاً ثم استرجعته منه في الحال وأنت قائم على رأسه لم تفارقه رده عليك.

● **قال تعالى**: ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا﴾ [المائدة: 24].

قال أبو السعود[3]: ﴿مَّا دَامُواْ فِيهَا﴾ أي في أرضهم وهو بدل من (أبداً) بدلَ البعض أو عطفُ بيان.

قال الألوسي[4]: ﴿مَّا دَامُواْ فِيهَا﴾ [المائدة: 24] أي في تلك الأرض، وهو

(1) البحر المديد.
(2) لباب التأويل.
(3) إرشاد العقل السليم.
(4) روح المعاني.

بدل من ﴿أَبَدًا﴾ بدل البعض؛ وقيل: بدل الكل من الكل، أو عطف بيان لوقوعه بين النكرتين؛ ومثله في الإبدال قوله:

وأكرم أخاك الدهر (ما دمتما) معاً كفى بالممات فرقة وتنائيا

فإن قوله: «ما دمتما» بدل من الدهر.

قال الشعراوي[1]: كأن خلاصة قولهم لموسى عليه السلام: لا ترهق نفسك معنا ووفّر عليك جهدك، فنحن لن ندخل هذه الأرض مادام هؤلاء العمالقة فيها.

(1) تفسير الشعراوي.

دَيْنٌ

(دين - رهن - قرض)

■ **الدَّيْنُ:** مبلغ من المال تأخذه من غيرك على أن ترده له في موعد محدد ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [البَقَرَة: 282].

■ **الرَّهْنُ:** ما يدفع وثيقة للدَّيْن ﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُواْ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ﴾ [البَقَرَة: 283].

■ **الْقَرْضُ:** المال الذي يدفع إلى الآخر مع ذكر مصارفه ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ [الحَديد: 11].

❋ ❋ ❋

دِيْن
(دِيْنٌ - شَرِيْعَةٌ - مِنْهَاجٌ - مِلَّةٌ)

■ **الدِّيْنُ:** الطاعة المطلقة والجزاء ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾ [النِّساء: 125].

■ **الشَّرِيْعَةُ:** ما جاء في القرآن من أحكام وشريعة ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجَاثية: 18].

■ **الْمِنْهَاجُ:** ما جاءت به السنة ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المَائدة: 48].

■ **المِلَّةُ:** اسم اتباع الدين الواحد ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الحَجّ: 78].

* * *

شرح المعاني:

الدين هو التوحيد والعقيدة ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: 19] أي: لا إلٰه إلا الله ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾ [الأنعَام: 159] عبدوا أصناماً وتركوا عبادة الله تعالى. التوحيد هو لا إلٰه إلا الله: أي تمحّصها تمحيصاً دقيقاً تخلص بها لوجه الله تعالى فلا بأس عليك بعد ذلك. وصى الله تعالى بها الأنبياء وهي غير قابلة للتعديل والتبديل أو النسخ، ولا تختلف من نبي إلى نبي آخر. والدين الحق هو الدين الثابت الذي لا يتغير، أما الشريعة فتتغير من نبي إلى نبي.

الشريعة: هي ما عدا لا إلٰه إلا الله وما يلزم لها من الغيبيات ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ [الشّورى: 13] والشريعة تتغير من نبي

إلى نبي. والشريعة ما عدا العقيدة أنواع فيها أخلاق ووجدانيات تسمى الرقائق، وفيها لسانيات تسمى الذكر وفيها أنواع الأحكام العملية: الجهاد، البيوع، الفقه (حلال وحرام). إذن الشريعة هي كل ما عدا العقيدة، والعقيدة هي الدين وهي لا إلٰه إلا الله وما يلزم لها. والدين مبني على التصديق «**من قال لا إلٰه إلا الله مصدقاً بها قلبه**» والشريعة مبنية على الطاعة ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [الأنفال: 1].

المِلّة: مبنية على الدوام. نلاحظ الدين دين الله والشريعة شريعة الله، أما المِلة فلا يقال مِلة الله وإنما يقال مِلّة إبراهيم وعيسى وموسى ومحمد ﷺ. المِلّة هي الدين إذا استمر الدين طويلاً ودام في أمة من الأمم. لا يوجد من نقول عنه نوحي أو يوسفي أو صالحي لأن شرعهم اندثر وإنما يوجد مسلم، نصراني. الأمة التي استمرت على مِلّة من ملل الأنبياء وهم جميعاً متشابهون لكنهم ينتسبون إلى هذا النبي من الأنبياء يسمون ملة إبراهيم، إسماعيل سواء كانت ملة مؤمن أو غيره ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ [يوسف: 37]. المِلّة هي الدين الذي يدوم على أمة من الأمم واستمر يسمى مِلّة ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾ [الحج: 78] ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ [البقرة: 130] إبراهيم صاحب التوحيد وهو صاحب مِلّة لأنه استعمل نظرية الشك يوصل لليقين ومحّص التوحيد ووحّد الله وآمن به عن عقل وتجربة حتى قال آمنت أنه لا إلٰه إلا الله.

﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾ [البَقَرَة: 193] هذه آية عجيبة، أنت تقاتل من ليس لديه دين، هذا الوحيد الذي يجب أن تقاتله. الدين أكرم أهل الكتاب من أول القرآن لآخره وهو يثني عليهم وعلى الموحّدين منهم خاصة، فقط بعض أهل الكتاب أشركوا. ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ﴾ [البَقَرَة: 62] والإشكال مع الذي أشرك بعد ذلك ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾ المطلوب من جميع الأنبياء ومن أصحاب القوة أن يوحدوا العالم على لا إلٰه إلا الله. الدين لا إلٰه إلا الله هذه الأساسية والشرائع متعددة ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا

مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: 48] رب العالمين يقول: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ [التوبة: 29] هذا تكريم. كما عليك أن تنقي المسلمين من الشرك ودين المسلمين من الخلل والزيغ، عليك أن تنقي عقائد النصارى واليهود الذين أشركوا وتعيدهم إلى الدين (الإسلام) الذي هو الدين الحق والدين الثابت كما قال عيسى: ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصَّف: 6]. هذا التوحيد أساسي فطري، كونك إنساناً فأنت موحّد بطبعك ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [يُونس: 22] الإيمان فطري فالأصل في الإنسان التوحيد، والشِرك طارئ وليس العكس كما يقولون الأصل عبادة الأوثان ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ [الأعراف: 172]. ليس لك عذر أنت موحد بفطرتك أنت ابن آدم والله تعالى نفخ فيه من روحه فكل الكفار في قلبهم مؤمن ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾ [النَّمل: 14] جعفر الصادق عندما سأله أحدهم عن الله تعالى قال له: أما ركبت البحر يوماً؟ قال: بلى، قال: ألم تأتِ عاصفة فقلبت السفينة؟ قال: بلى، قال: ماذا فعلت؟ قال: تشبثت بلوح من الخشب، قال: ماذا قلت؟ قال: يا الله فقال له: هو ذاك الله. فالملحد والشيوعي في ساعة العسرة يقول: «يا الله» في اللاشعور هذا هو التوحيد الفطري.

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الدال والياء والنون أصلٌ واحد إليه يرجع فروعُه كلُّها.

وهو جنسٌ من الانقياد والذُّل. فالدِّين: الطاعة، يقال: دان له يَدِين دِيناً، إذا

(1) معجم مقاييس اللغة.

أصْحَبَ وانقاد وطَاعَ. وقومٌ دِينٌ، أي: مُطِيعون منقادون. والمَدِينة كأنّها مَفْعلة، سمّيت بذلك لأنّها تقام فيها طاعةُ ذَوِي الأمر. والمدينة: الأَمَة.

والعَبْدُ مَدِينٌ، كأنّهما أذلّهما العمل.

فأمّا قولهم إنّ العادة يقال لها دينٌ، فإن كان صحيحاً فلأنَّ النفسَ إذا اعتادت شيئاً مرَّتْ معه وانقادت له.

فأمَّا قوله جلّ ثناؤه: ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلْمَلِكِ﴾ [يُوسُف: 76]، فيقال: في طاعته، ويقال في حكمه. ومنه: ﴿مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفَاتِحَة: 4]، أي يوم الحكم. وقال قومٌ: الحساب والجزاء. وأيُّ ذلك كان فهو أمرٌ يُنقاد له.

قال الجوهري[1]: الدَّيْنُ: واحد الديونِ. تقول: دِنْتُ الرجل أقرضته، فهو مدينٌ ومَدْيونٌ. ودانَ فلان يَدينُ دَيْناً: استقرض وصار عليه دَيْنٌ، فهو دائِنٌ.

ورجلٌ مَدْيونٌ: كثُر ما عليه من الدَّيْنِ.

ومِدْيانٌ: إذا كان عادتُه أن يأخذ بالديْنِ ويستقرض. وأَدانَ فلان إدانَةً: إذا باعَ من القوم إلى أجلٍ فصار له عليهم دَيْنٌ. تقول منه: أَدِنّي عشرة دراهم.

وادَّانَ: استقرض، وهو افتعل. وفي الحديث: «**ادَّانَ مُعْرِضاً**»، أي: اسْتَدانَ، وهو الذي يعترض الناس فيَسْتَدينُ ممّن أمكنه. وتَدايَنوا: تبايعوا بالدَيْنِ.

واسْتَدانوا: استقرضوا. ودايَنْتُ فلاناً: إذا عامَلتَه فأعطيت دَيْناً وأخذت بدَيْنٍ. وتَدايَنّا، كما تقول قاتلته وتقاتلنا. وبِعْتُهُ بدِينَةٍ، أي: بتأخير. والدِّينُ بالكسر: العادةُ والشأن. ودانَهُ ديناً، أي: أذلَّه واستعبده. يقال: دِنْتُهُ فدانَ. وفي الحديث: «**الكَيِّسُ من دانَ نفسَه وعَمِل لما بعد الموت**». **الجزاءُ والمكافأةُ. يقال: دانَهُ ديناً، أي: جازاه. يقال: كما تَدينُ تُدانُ، أي: كما تُجازي تُجازى، أي: تُجازى بفعلك وبحسب ما عملت. وقوله تعالى:** ﴿أَءِنَّا لَمَدِينُونَ﴾ [الصافات:

(1) الصحاح في اللغة.

53] أي مجزيُّون محاسَبون. ومنه الدَّيَّانُ في صفة الله تعالى. وقومٌ دينٌ، أي دائنونَ.

وناسٌ يقولون: ومنه سمي المِصْرُ مَدينَةً. والدينُ الطاعةُ. ودانَ له، أي أطاعه.

المعنى المشترك لكلمة (د ي ن)

وقد وردت كلمة (دين) في القرآن الكريم على خمسة أوجه:

الوجه الأول: الدين: يعني: التوحيد ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُ﴾ [آل عِمرَان: 19] [آل عمران: 19]

الوجه الثاني: الدين يعني: الحساب ﴿ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [المطفّفين: 11].

الوجه الثالث: الدين يعني: الحكم ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [يُوسُف: 76].

الوجه الرابع: الدين يعني: دين الإسلام بعينه ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾ [الفتح: 28].

الوجه الخامس: الدين يعني: الملة ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ [البَيِّنَة: 5].

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [البَقَرَة: 282].

قال الزمخشري[1]: ﴿إِذَا تَدَايَنتُم﴾ إذا داين بعضكم بعضاً. يقال: داينت

(1) الكشاف.

الرجل عاملته ﴿بِدَيْنٍ﴾ معطياً أو آخذاً كما تقول: بايعته إذا بعته أو باعك.

والمعنى: إذا تعاملتم بدين مؤجل فاكتبوه. فإن قلت: هلّا قيل: إذا تداينتم إلى أجل مسمى وأي حاجة إلى ذكر «الدين» كما قال: داينت أروى، ولم يقل: بدين؟ قلت: ذكر ليرجع الضمير إليه في قوله: ﴿فَٱكۡتُبُوهُۚ﴾ [البَقَرَة: 282].

قال أبو السعود[1]: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ﴾ [البقرة: 282] شروعٌ في بيان حال المُداينة الواقعةِ في تضاعيف المعاوضات الجاريةِ فيما بينهم ببيع السلعِ بالنقود بعد بيانِ حال الربا، أي إذا داين بعضُكم بعضاً وعامله نسيئةً معْطِياً أو آخذاً، وفائدةُ ذكرِ الدين دفعُ توهُّم كونِ التدايُن بمعنى المُجازاة أو التنبيهُ على تنوعه إلى الحالّ والمؤجّل وأنه الباعثُ على الكتابة، وتعيينُ المرجع للضمير المنصوب المتصل بالأمر.

● **قال تعالى**: ﴿مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍۗ﴾ [النساء: 11].

قال الفخر الرازي[2]: لما كان في معنى الاستثناء صار كأنه قال: إلا أن يكون هناك وصية أو دين فيكون المراد بعدهما جميعاً.

يعني جلّ ثناؤه بقوله: ﴿مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصَىٰ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ﴾ أن الذي قسم الله تبارك وتعالى لولد الميت الذكور منهم والإناث ولأبويه من تركته من بعد وفاته، إنما يقسمه لهم على ما قسمه لهم في هذه الآية من بعد قضاء دين الميت الذي مات وهو عليه من تركته ومن بعد تنفيذ وصيته في بابها، بعد قضاء دينه كله. فلم يجعل تعالى ذكره لأحد من ورثة الميت ولا لأحد ممن أوصى له بشيء إلا من بعد قضاء دينه من جميع تركته، وإن أحاط بجميع ذلك. ثم جعل أهل الوصايا بعد قضاء دينه شركاء ورثته فيما بقي لما أوصى لهم به ما لم يجاوز ذلك ثلثه، فإن جاوز ذلك ثلثه جعل الخيار في إجازة ما زاد على الثلث من ذلك أو ردّه إلى ورثته، إن أحبوا أجازوا الزيادة على ثلث ذلك، وإن شاؤوا ردّوه؛ فأما ما كان من

(1) إرشاد العقل السليم.

(2) التفسير الكبير.

ذلك إلى الثلث فهو ماض عليهم. وعلى كل ما قلنا من ذلك الأمة مجمعة. وقد رُوي عن رسول الله ﷺ بذلك خبر، وهو ما ورد عن عليّ رضي الله عنه قال: إنكم تقرؤون هذه الآية: ﴿مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصَىٰ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ﴾ أن رسول الله ﷺ قضى بالدين قبل الوصية.

قال الماوردي[1]: ﴿مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصَىٰ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ﴾ فقدم الدين والوصية على الميراث، لأن الدين حق على الميت، والوصية حق له، وهما مقدمان على حق ورثته، ثم قدم الدين على الوصية وإن كان في التلاوة مؤخراً، لأن ما على الميت من حق أولى أن يكون مقدماً على ما له من حق.

وقد روى ابن إسحاق عن الحارث الأعور عن علي رضي الله عنه قال: إنكم تقرؤون هذه الآية: ﴿مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصَىٰ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ﴾ وإن رسول الله ﷺ قضى بالدين قبل الوصية فإن قيل: فَلِمَ قدم ذكر الوصية على الدين إن كان في الحكم مؤخراً؟ قيل لأن ﴿أَوۡ﴾ لا توجب الترتيب وإنما توجب إثبات أحد الشيئين مفرداً أو مصحوباً، فصار كأنه قال: من بعد أحدهما أو من بعدهما.

● **قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾** [آل عِمرَان: 19].

قال القرطبي[2]: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾ الدِّين في هذه الآية الطاعة والمِلّة، والإسلام بمعنى الإيمان والطاعات؛ قاله أبو العالية، وعليه جمهور المتكلمين. والأصل في مسمى الإيمان والإسلام التَّغَايُر؛ لحديث جبريل. وقد يكون بمعنى المَرادَفَة، فيسمى كل واحد منهما باسم الآخر؛ كما في حديث وفد عبد القيس وأنه أمرهم بالإيمان (بالله) وحده قال: «هل تدرون ما الإيمان» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وأن تؤدوا خمساً من المغنم» الحديث. وكذلك قوله ﷺ: «**الإيمان بضع وسبعون باباً فأدناها إماطة الأذى**

(1) النكت والعيون. (2) الجامع لأحكام القرآن.

وأرفعها **قول لا إله إلا الله»** أخرجه الترمذي. وزاد مسلم «والحياء شعبة من الإيمان» ويكون أيضاً بمعنى التداخل، وهو أن يطلق أحدهما ويراد به مسماه في الأصل ومسمى الآخر، كما في هذه الآية، إذ قد دخل فيها التصديق والأعمال؛ ومنه قوله ﷺ: «**الإيمان معرفة بالقلب وقول باللسان وعمل بالأركان**» أخرجه ابن ماجه، وقد تقدّم. والحقيقة هو الأوّل وضعاً وشرعاً، وما عداه من باب التوسع.

قال البغوي(1): ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ قال: شهادة أن لا إلٰه إلا الله والإقرار بما جاء من عند الله تعالى وهو دين الله الذي شرع لنفسه وبعث به رسله ودل عليه أولياءه ولا يقبل غيره ولا يجزي إلا به.

قال العزّ بن عبد السلام(2): ﴿ٱلدِّينَ﴾ هنا الطاعة: أي طاعته هي الإسلام، من السلامة، لأنه يقود إليها، أو من التسليم، لأمره في العمل بطاعته.

● **قال تعالى**: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [النِّساء: **125**].

قال الطبري(3): وهذا قضاء من الله جلّ ثناؤه للإسلام وأهله بالفضل على سائر الملل غيره وأهلها، يقول الله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا﴾ أيها الناس، وأصوب طريقاً وأهدى سبيلاً.

قال ابن عجيبة(4): ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾ أي: لا أحد أحسن دينًا ممن انقاد بكليته إلى مولاه.

● **قال تعالى**: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ﴾ [النِّساء: **171**].

قال الفخر الرازي(5): واعلم أنه تعالى لما أجاب عن شبهات اليهود تكلم

(1) معالم التنزيل.
(2) التفسير العظيم.
(3) جامع البيان.
(4) البحر المديد.
(5) التفسير الكبير.

بعد ذلك مع النصارى في هذه الآية، والتقدير يا أهل الكتاب من النصارى لا تغلوا في دينكم: أي لا تفرطوا في تعظيم المسيح، وذلك لأنه تعالى حكى عن اليهود أنهم يبالغون في الطعن في المسيح، وهؤلاء النصارى يبالغون في تعظيمه، وكلا طرفي قصدهم ذميم، فلهذا قال للنصارى: ﴿لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ﴾.

قال الشعراوي[1]: إن أمر المنهج لا يحتاج إلى غلو، ولذلك جاء محمد ﷺ من عند الله بالدين الوسط الذي يضع كل أمر في نصابه. وشرح لنا بإخبارات النبوة وإلهامها ما سوف يحدث للإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقد حدث ما تنبأ به رسول الله ﷺ، فالخوارج كفَّروا علياً، والمسرفون بالتشيع قالوا: إنه نبي، وبعضهم زاد الإسراف فجعله إلهاً.

قال رسول الله ﷺ لعليّ - كرم الله وجهه -: «إن فيك من عيسى مثلاً. أبغضته اليهود حتى بهتوا أُمَّهُ، وأحبته النصارى حتى انزلوه المنزل الذي ليس له».

وكما قال سيدنا علي - كرم الله وجهه -: «ألا وإنه يهلك فيّ اثنان: محبٌ يقرظني بما ليس فيّ، ومبغض يحمله شنآني على أن يبهتني، ألا إني لست بنبيّ ولا يوحى إليّ، ولكني أعمل بكتاب الله وسنة نبيه - ﷺ ما استطعت، فما أمرتكم من طاعة الله فحق عليكم طاعتي فيما أحببتم وكرهتم». وقد أخبر الرسول ﷺ علياً أن المحب الذي يغالي في حبه ليس مع عليّ، وكذلك الكاره المبغض؛ فالذي يحب علياً بغلو جعل منه إلٰهاً أو رسولاً، والذي أبغض علياً جعله كافراً. وكذلك النصارى من أهل الكتاب جاؤوا إلى عيسى فأحبوه بغلو وجعلوه إلٰهاً أو ابن إلٰه أو ثالث ثلاثة، فيقول لهم الحق: ﴿لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ﴾ [النِّساء: 171]. وقوله الحق: ﴿عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ [النِّساء: 157] رد على غلو اليهود الذين رفضوا الإيمان بعيسى، وقالوا في عيسى وأمه البهتان العظيم.

(1) تفسير الشعراوي.

● **قال تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ [البقرة: 256].**

قال الزمخشري[1]: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ أي لم يجر الله أمر الإيمان على الإجبار والقسر، ولكن على التمكين والاختيار. ونحوه قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾ [يونس: 99] أي لو شاء لقسرهم على الإيمان ولكنه لم يفعل، وبنى الأمر على الاختيار.

قال ابن الجوزي[2]: قوله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ في سبب نزولها أربعة أقوال. الأول: أن المرأة من نساء الأنصار كانت في الجاهلية إذا لم يعش لها ولد، تحلف: لئن عاش لها ولد لتهوّدنّه، فلما أجليت يهود بني النضير، كان فيهم ناس من أبناء الأنصار، فقال الأنصار: يا رسول الله أبناؤنا، فنزلت هذه الآية، هذا قول ابن عباس. وقال الشعبي: قالت الأنصار: والله لنكرهن أولادنا على الإسلام، فإنا إنما جعلناهم في دين اليهود إذ لم نعلم ديناً أفضل منه، فنزلت هذه الآية. والثاني: أن رجلاً من الأنصار تنصّر لهو ولدان قبل أن يبعث النبي ﷺ، ثم قدما المدينة، فلزمهما أبوهما، وقال: والله لا أدعكما حتى تسلما، فأبيا، فاختصموا إلى النبي ﷺ، فنزلت هذه الآية، هذا قول مسروق. والثالث: أن ناساً كانوا مسترضعين في اليهود، فلما أجلى رسول الله ﷺ، بني النضير، قالوا: والله لنذهبن معهم، ولندينن بدينهم، فمنعهم أهلوهم، وأرادوا إكراههم على الإسلام، فنزلت هذه الآية. والرابع: أن رجلاً من الأنصار كان له غلام اسمه صبيح، كان يكرهه على الإسلام، فنزلت هذه الآية. والقولان عن مجاهد. واختلف علماء الناسخ والمنسوخ في هذا القدر من الآية، فذهب قوم إلى أنه محكم، وأنه من العام المخصوص، فإنه خص منه أهل الكتاب بأنهم لا يكرهون على الإسلام، بل يخيّرون بينه، وبين أداء الجزية، وهذا معنى ما روي عن ابن عباس ومجاهد وقتادة. وقال ابن الأنباري: معنى الآية: ليس الدين ما تدين به في الظاهر على جهة الإكراه

---

(1) الكشاف. (2) زاد المسير.

عليه، ولم يشهد به القلب، وتنطوي عليه الضمائر، إنما الدين هو المنعقد بالقلب. وذهب قوم إلى أنه منسوخ، وقالوا هذه الآية نزلت قبل الأمر بالقتال، فعلى قولهم، يكون منسوخاً بآية السيف، وهذا مذهب الضحاك، والسدي، وابن زيد، والدين هاهنا: أريد به الإسلام. والرشد: الحق، والغي: الباطل. وقيل: هو الإيمان والكفر. فاما الطاغوت؛ فهو اسم مأخوذ من الطغيان، وهو مجاوزة الحد، قال ابن قتيبة: الطاغوت: واحد، وجمع، ومذكر، ومؤنث.

● **قال تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ﴾** [آل عِمرَان: 83].

قال القرطبي[1]: قوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ﴾ قال الكَلْبي: إن كعب بن الأشرف وأصحابه اختصموا مع النصارى إلى النبيّ ﷺ فقالوا: أيُّنا أحق بدِين إبراهيم؟ فقال النبيّ ﷺ: «كِلاَ الفريقين بريءٌ من دِينه» فقالوا: ما نرضى بقضائك ولا نأخذ بِدينك؛ فنزل ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ﴾ يعني يطلبون. ونصبت «غير» بيبغون، أي يبغون غير دين الله. وقرأ أبو عمرو وحده «يبغون» بالياء على الخبر «وإليه ترجعون» بالتاء على المخاطبة. قال: لأن الأوّل خاصٌّ والثاني عامٌّ ففرق بينهما لافتراقهما في المعنى.

قال الفخر الرازي[2]: اعلم أنه تعالى لما بيّن في الآية الأولى أن الإيمان بمحمد عليه الصلاة والسلام شرع شرعه الله وأوجبه على جميع من مضى من الأنبياء والأمم، لزم أن كل من كره ذلك فإنه يكون طالباً ديناً غير دين الله، فلهذا قال بعده ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ﴾.

● **قال تعالى: ﴿وَلَا يَدِينُونَ دِينَ﴾** [التّوبَة: 29].

قال الطبري[3]: يقول: ولا يطيعون الله طاعة الحقّ، يعني: أنهم لا يطيعون طاعة أهل الإسلام ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [البَقَرَة: 101] وهم اليهود والنصارى،

---

(1) الجامع لأحكام القرآن.
(2) التفسير الكبير.
(3) جامع البيان.

وكل مطيع ملكاً أو ذا سلطان، فهو دائن له، يقال منه: دان فلان لفلان فهو يدين له ديناً.

قال البغوي(1): ﴿يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ﴾ [التوبة: 29]، أي: لا يدينون الدين الحق، أضاف الاسم إلى الصفة. وقال قتادة: الحق هو الله، أي: لا يدينون دينَ الله، ودينه الإسلام. وقال أبو عبيدة: معناه لا يطيعون الله تعالى طاعة أهل الحقّ.

قال ابن عجيبة(2): ﴿وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ﴾ أي: لا يدخلون في الإسلام، الذي هو الدين الحق، الناسخ لسائر الأديان ومبطلها.

● **قال تعالى**: ﴿فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ [الواقِعَة: 86].

قال الزمخشري(3): ﴿غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ غير مربوبين، من دان السلطان الرعية إذا ساسهم.

قال ابن كثير(4): ﴿فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾: غير مصدقين أنكم تدانون وتبعثون وتجزون، فردوا هذه النفس، وعن مجاهد: ﴿غَيْرَ مَدِينِينَ﴾: غير موقنين. وقال ميمون بن مهران: غير معذبين مقهورين.

قال ابن عجيبة(5): ﴿فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ غير مربوبين مقهورين، من: دان السطلان رعيته: إذا ساسهم واستعبدهم، والمحضَض عليه.

---

(1) معالم التنزيل.
(2) البحر المديد.
(3) الكشاف.
(4) تفسير ابن كثير.
(5) البحر المديد.

دُوْنَ

(دُوْنَ - تَحْتَ - أَسْفَلَ - قَعْرُ)

- **الدُّون:** القاصر عن الاتصال بمن هو فوقه ﴿لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ﴾ [آل عِمرَان: 118].
- **التَّحْتُ:** الجزء المنفصل من تحت الشيء ﴿لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ [المَائدة: 66].
- **الأَسْفَل:** الجزء المتصل من أسفل الشيء ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ [الأحزاب: 10].
- **القَعْرُ:** التحت البعيد أو النهائي ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾ [القَمَر: 20].

❊ ❊ ❊

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الدال والواو والنون أصل احِد يدلُّ على المداناةِ والمقاربة. يقال: هذا دُونَ ذاك، أي: هو أقرَبُ منه. وإذا أردْتَ تحقيرَه قلتَ: دُوَيْنَ. ولا يُشتقُّ منه فِعْلٌ. ويقال في الإِغراء: دُونَكَهُ! أي: خُذْه، أقرُبْ منه وقرِّبْه منك. ويقولون: أمرٌ دُونٌ، وثوب دُونٌ، أي: قريبُ القِيمَة. قال القتيبيّ: دانَ يَدُونُ دَوْناً: إذا ضَعُف، وأُدِين إدانةً.

قال الجوهري[2]: دون: نقيض فوق، وهو تقصير عن الغاية، ويكون ظرفاً.

---

(1) معجم مقاييس اللغة. (2) الصحاح في اللغة.

والدُّونُ: الحقير الخسيس. ولا يشتقّ منه فعل. وبعضهم يقول منه: دانَ يَدونُ دَوْناً، وأُدينَ إدانَةً. ويقال: هذا دونَ ذاك، أي: أقربُ منه. ويقال في الإغراء بالشيء: دونَكَهُ. والديوانُ أصله دَوَّانٌ، فعوّض من إحدى الواوين، لأنَّه يجمع على دَواوين.

قال الراغب[1]: يقال للقاصر عن الشيء: دون، قال بعضهم: هو مقلوب من الدنو، والأدون: الدنيء.

قال الفيروزآبادي[2]: دُونَ، بالضم: نَقيضُ فَوْقَ ويكونُ ظَرْفاً، وبمعنى أمامَ، ووراءَ، وفوقَ، ضِدٌّ، وبمعنَى غيرٍ، قيل: ومنه: «ليس فيما دونَ خَمْسِ أواقٍ صَدَقَةٌ»، أي في غيرِ خَمْسِ أواقٍ، قيل: ومنه الحَديثُ: «أجازَ الخُلْعَ دونَ عِقاصِ رأسِها»، أي: بما سِوَى عِقاصِ رأسِها، أو مَعْناهُ: بِكُلِّ شيء حتى بِعِقاصِ رأسِها، وبِمَعْنَى الشَّريفِ، والخَسِيسِ، ضِدٌّ، وبمعْنَى الأَمْرِ والوَعِيدِ.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ﴾ [آل عِمرَان: 118].

قال الزمخشري[3]: ﴿مِّن دُونِكُمْ﴾ من دون أبناء جنسكم وهم المسلمون. ويجوز تعلقه بلا تتخذوا، وببطانة على الوصف، أي بطانة كائنة من دونكم مجاوزة لكم.

قال ابن عجيبة[4]: ﴿مِّن دُونِكُمْ﴾ ليسوا على دينكم.

---

(1) مفردات الراغب.
(2) القاموس المحيط.
(3) الكشاف.
(4) البحر المديد.

قال أبو السعود[1]: ﴿مِّن دُونِكُمْ﴾ أي من دون المسلمين وهو متعلقٌ بلا تتخذوا أو بمحذوف وقعَ صفةً لبِطانة: أي كائنةً من دونكم مجاوزةً لكم.

● **قال تعالى**: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ [النِّساء: 48].

قال ابن عطية[2]: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: 48] فإنها جلت الشك وردت على الطائفتين، المرجئة والمعتزلة، وذلك أن قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ فصل مجمع عليه، وقوله: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ فصل قاطع بالمعتزلة راد على قولهم رداً لا محيد عنه، ولو وقفنا في هذا الموضع من الكلام لصح قول المرجئة، فجاء قوله: ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ راداً عليهم، موجباً أن غفران ما دون الشرك إنما هو لقوم دون قوم، بخلاف ما زعموه من أنه مغفور لكل مؤمن.

قال القاضي أبو محمد: ورامت المعتزلة أن ترد هذه الآية إلى قولها، بأن قالوا: «من يشاء» هو التائب، وما أرادوه فاسد، لأن فائدة التقسيم في الآية كانت تبطل، إذ التائب من الشرك يغفر له.

قال الفخر الرازي[3]: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ هو أن يغفره على سبيل التفضل؛ حتى يكون النفي والإثبات متواردين على معنى واحد. ألا ترى أنه لو قال: فلان لا يعطي أحدا تفضلاً، ويعطي زائداً فإنه يفهم منه أنه يعطيه تفضلاً، حتى لو صرح وقال: لا يعطي أحداً شيئاً على سبيل التفضل ويعطي أزيد على سبيل الوجوب، فكل عاقل يحكم بركاكة هذا الكلام، فثبت أن قوله: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ على سبيل التفضل. إذا ثبت هذا فنقول: وجب أن يكون المراد منه أصحاب الكبائر قبل التوبة، لأن عند المعتزلة غفران الصغيرة وغفران الكبيرة بعد التوبة

---

(1) إرشاد العقل السليم.
(2) المحرر الوجيز.
(3) التفسير الكبير.

واجب عقلاً، فلا يمكن حمل الآية عليه، فإذا تقرر ذلك لم يبق إلا حمل الآية على غفران الكبيرة قبل التوبة وهو المطلوب.

قال البيضاوي(1): ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ [النِّساء: 48] أي ما دون الشرك صغيراً كان أو كبيراً.

● **قال تعالى: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾** [المَائدة: 116].

قال الفخر الرازي(2): ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ سؤالان: أحدهما: أن الاستفهام كيف يليق بعلام الغيوب. وثانيهما: أنه كان عالماً بأن عيسى عليه السلام لم يقل ذلك فلم خاطبه به؟ فإن قلتم الغرض منه توبيخ النصارى وتقريعهم فنقول: إن أحداً من النصارى لم يذهب إلى القول بإلهية عيسى ومريم مع القول بنفي إلهية الله تعالى فكيف يجوز أن ينسب هذا القول إليهم مع أن أحداً منهم لم يقل به.

والجواب عن السؤال الأول أنه استفهام على سبيل الإنكار.

والجواب عن السؤال الثاني أن الإله هو الخالق والنصارى يعتقدون أن خالق المعجزات التي ظهرت على يد عيسى ومريم هو عيسى عليه السلام ومريم، والله تعالى ما خلقها ألبتة، وإذا كان كذلك فالنصارى قد قالوا إن خالق تلك المعجزات هو عيسى ومريم، والله تعالى ليس خالقها، فصح أنهم أثبتوا في حق بعض الأشياء كون عيسى ومريم إلهين له مع أن الله تعالى ليس إلهاً له فصح بهذا التأويل هذه الحكاية والرواية.

قال أبو السعود(3): ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ متعلق بالاتخاذ ومحله النصب على أنه حال من فاعله، أي متجاوزين الله، أو بمحذوفٍ هو صفة لإلهين، أي كائنيْن من

(1) أنوار التنزيل.
(2) التفسير الكبير.
(3) إرشاد العقل السليم.

دونه تعالى، وأياً ما كان فالمرادُ اتخاذُهما بطريق إشراكهما به سبحانه كما في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا﴾ [البَقَرَة: 165] وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يُونس: 18].

قال ابن عجيبة[1]: قلت: ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: صفة لإلهين، أو صلة ﴿ٱتَّخِذُونِي﴾.

● **قال تعالى**: ﴿لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأنعَام: 51].

قال الطبري[2]: ﴿لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ﴾ أي: ليس لهم من عذاب الله إن عذّبهم وليّ ينصرهم فيستنقذهم منه.

قال القرطبي[3]: ﴿لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ﴾ أي: من غير الله.

قال ابن عجيبة[4]: ﴿لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ﴾ أي: ينصرهم من عذابه.

قال ابن كثير[5]: ﴿مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ أي: لا قريب لهم، ولا شفيع فيهم من عذابه إن أراده بهم.

(1) البحر المديد.
(2) جامع البيان.
(3) الجامع لأحكام القرآن.
(4) البحر المديد.
(5) تفسير ابن كثير.

حرف الذال

ذبذب

(ذبذب - تحيّر - تردد - تاه)

شرح المعاني:

ذبذب: الكلمة الوحيدة في كتاب الله عز وجل التي تدخل في هذا التكوين كلمة ذبذب ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾ [النِّساء: 143]. والذبذبة هي اضطراب الحركة. والكون كله يقوم على التذبذب والتردد. الكون موجي وجميع الحركة فيه تقوم على التذبذب والتردد، وكلنا نسمع في الفضائيات أن إرسالها يتم على ذبذبة قدرها كذا ميجاهيرتز. هذا التردد في الكون هو التسبيح كما يقول بعض العارفين ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الإسراء: 44] وربما يكون صحيحاً. كل حركة تبقى تتردد في الفضاء، وهذا شأن الفيزيائيين الذين يعرفون معنى هذه الكلمات وأين مبدأها ومنتهاها، وهم أقدر الناس على تلمّس قدرة الله تعالى في الكون. نحن نتكلم عن حركة الإنسان على خلاف حركة الكون. إذا كانت حركة الكون تقوم على الذبذبة والتردد فإن حركة الإنسان تقوم على الثبات والاستقامة: الثبات على مبدأ والاستقامة باتجاهه. والثبات في هذه الأمة بل في كل المخلوقات البشرية تقوم على لا إلٰه إلا الله ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [إبراهيم: 27] فلا إلٰه إلا الله القول الثابت الذي لا

يمكن تحريفه ولا الزيادة عليه ولا نقصه. وهي قضية هذه المخلوقات البشرية الحيّة وهي رسالة الأنبياء جميعاً وإذا ثبتت لهم هذا القول الثابت أدى إلى هذه الاستقامة ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ﴾ [فصلت: 30] إن الثبات يقوم على مبدأ وهو لا إلٰه إلا الله ثم الاستقامة باتجاهه. فحركة المسلم أينما كان وكل من يؤمن بالله رباً وإلٰهاً تقوم على الثبات على التوحيد المطلق ثم الاستقامة باتجاه هذا التوحيد، ولكل دين استقامة و﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: 48] هذا الثبات قد يختل ابتداء وقد يختل انتهاءً. وعندما يكون الإنسان مختل الحركة فهو إما متردد أو متذبذب أو متحيّر أو تائه، وهذه تعبر عن شيء اصطلاحي في كتاب الله اسمه النفاق. فالمنافق هو الذي يكون إما متردداً أو متذبذباً أو متحيراً أو تائهاً.

التردد: عقلي. تريد أن تعمل مشروعاً، أن تسافر، أن تنتمي إلى دين فإما أن تكون في البداية ثابتاً ثم تستقيم على هذا الثبات، أو لست واثقاً أو أن يقينك مهزوز. أول مرحلة تبدأ وهي التردد والتردد عقلي. تريد أن تتوجه إلى الحج مثلاً: إن كنت ثابتاً تعلم أن الحج ركن من أركان الدين والذهاب إليه هذا ثبات على اعتقادك أن الحج ركن، والاستقامة أنك تعلم ماذا ينبغي لهذا الركن. هذه الصيغة الوحيدة الصحيحة ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ [يوسف: 108]. الصواب واحد والخطأ متعدد. إذا كنت ثابتاً ومستقيماً. قد تقول ما الحج؟ طواف وسعي؟ في عقلك لم يعد ثابتاً، أول بداية الخلل العقلي يسمى تردداً ﴿إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ [التوبة: 45] القضية عقلانية عقائدية. ذهب الناس للجهاد فقال أحدهم وهو جالس في بيته: أين أذهب؟ كيف أترك عيالي؟ ثم يبدأ بالفلسفة ثم يبدأ يقول: مَنْ محمد؟ بدأ الخلل في تصوره وعقله. بداية الحركة تفكير تسمى في المصطلح الديني نيّة. نيّته هنا اختلّت فهذا تردد.

التحيّر: عندما يستحكم منك التردد يؤدي بك إلى التحير. أين أتوجه؟ مع

محمد أو مع المنافقين الخوالف؟ بعد أن اختل عقلك في موضوع المبدأ اختلت نيتك في التوجه. ليس عندك مرجّح أو خطة أو غيره لهذا فأنت بينهما وهذا يسمى تحيّراً ﴿قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَـٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَـٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: 71]. هذا كان مسلماً ثم ارتدّ فيقول تعالى لمحمد ﷺ: قل لهم ﴿كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَـٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ﴾ هذا حيران، الشيطان يقول له تعال. وسبق أن ذكرنا كلمة هوى واشتقاقاتها العجيبة: هوا من الريح، وهوى من الرغبة والشهوة، وهوي السقوط ﴿أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: 31]. بعدما تردد أراد أن يتحرك فتحيّر في الحركة أين وجهته؟ بعد أن شك في المبدأ تحيّر في الوجهة التي يتحرك إليها. نحن مسلمون ﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ﴾ [آل عِمرَان: 20] استقامة كاملة ليس فيها شك ﴿إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعَام: 79] استقامة كاملة نحو الثبات الكامل.

التيه: بعدما تحرك ولا يدري أين، يسمى تيهاً. عندما تفقد الهدف أو الوجهة يسمى تيهاً ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾ [المَائدة: 26] بني إسرائيل أربعين عاماً تحركوا حركة دائمة وليس لهم وجهة يذهبون من النهار إلى الليل ثم في الليل يجدون أنفسهم في المكان الذي انطلقوا منه في النهار.

هذه المنظومة كان يُعاب أصحابها لأنهم قِلّة. في كل المجتمعات وعلى كل المستويات في حركة اليوم الليلة للبشرية كانت هذه المنظومة في غاية القبح: تقول فلان متردد، تائه، متحيّر، مذبذب أو متذبذب، لقبحها لا يتصف بها إلا قلة من الناس وهذه القلة مذمومة وغير متزنة وغير واضحة المعالم في الحركة وعندها كثير من الاختلاطات والاختلافات والخلل. هذه المنظومة تفرع منها: فلان جبان، خوّان، منافق، ذو وجهين... كلها بدأت بأن يكون الإنسان متردداً في ذهنه،

متحيراً في وجهة حركته، تائهاً في حركته الفعلية، مذبذباً في عدة وجهات ليس له التزام بشيء. المتذبذب هو ليس ملتزماً بشيء. هكذا كل حركة الكون الإنسانية تخضع لهذه المعايير. الشيء المحزن الذي أخبرنا به الرسول ﷺ: «**لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس**» وحديث الغرباء «**سيأتي يوم يكون المسلم فيه غريباً**» وتُرفع الأمانة حتى يقال: إن في بني فلان أميناً. الخلل باضطراب الحركة. اضطربت حركة البشرية جمعاء. كنا سابقاً باتجاه الأمانة عقيدة أولاً ثم استقامة، هكذا كان 90% من الناس في كل مراحل الكون البشرية عندما فقدت الثبات والاستقامة واليوم أصبح هذا سياسة. النبي ﷺ يخبرنا بحديث عجيب طُبّق في 11 سبتمبر. بدأ العالم في مرحلة جديدة. منذ خلق آدم إلى ما يسمى بأحداث 11 سبتمبر على وتيرة. كانت الأمم عندها موازين، كل الأجيال كان الناس متفقين على الأمين والخائن والسارق والشريف والصح والخطأ وكان هناك اتفاق على موازين الصواب والخطأ. ومن ذلك التاريخ اختل الميزان بالكامل بحيث أصبح الصواب خطأ والخطأ صواباً. يقول ﷺ: «**كيف أنتم إذا لم تأمروا بالمعروف ولم تنهوا عن المنكر؟ قالوا**: أوكائن ذلك يا رسول الله؟ قال: «**وأشد منه كائن. كيف أنتم إذا رأيتم المنكر معروفاً والمعروف منكراً؟** قالوا: أوكائن ذلك يا رسول الله؟ قال: «**وأشد منه كائن. كيف أنتم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف**»؟. هذا كائن الآن. دول، حكومات، إعلام، مِهن عامة، علاقات إنسانية، كل حركة هذا الكون بكل أصنافها هل هي قائمة على الثبات والاستقامة كما كان سابقاً على زمن أجدادنا وآبائنا؟؟ كلا. لأول مرة يختل هذا النظام العالمي كله. هل المنظمات الدولية لها التزام بميثاقها التي وضعته أو أنها متذبذبة بين مصالح الأمم والقوى العظمى؟! هذه ذبذبة ليس لهم موقف. منظمة الأمم المتحدة، الجامعة العربية، منظمة حقوق الإنسان وغيرها... المحتل أصبح رجل السلام، والمدافع عن أرضه أصبح إرهابياً، المعروف والمنكر نسبي من دولة لدولة ومن شعب لشعب ومن أمة لأمة.

قِس على ذلك كل شيء وكل المهن: التاجر سابقاً كان مهيباً ومتخصصاً وكان للتجار كبير يحكم بينهم، أما اليوم فأصبح التاجر يشتغل بكل شيء وذهبت قيم وثبات واستقرار التجارة. عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يقول: السوق دولة له قيمته وقوانينه. وكانت الأسواق متخصصة: سوق الورّاقين، سوق القماش، سوق الإبل، سوق الخيول والإسلام لا يقبل بالإخلال بقوانين السوق واستقراره.

كل رؤساء العالم أصابهم التردد أولاً ثم التحير ثم التيه ثم الذبذبة التي أصبحت سمت السياسة في العالم كله، وإجماع الدول على هذا الخلل لم يسبق أن حدث في الكون. وهذا إجماع خطير على مستقبل الكرة الأرضية لأن لها قوانين وضعها الله عز وجل. ليس في وسع قوة خارقة أن تستبد بالضعفاء الذين لا يستطيعون ردّها وإلا فإن الله تعالى سيتدخل مباشرة بأسباب لا أحد يستطيع دفعها. الله تعالى أغرق فرعون ودولته، والنمرود الذي ظلم الناس تدخل الله عز وجل ببعوضة تدخل في إذن الجندي فتصرعه. قوم عاد طغوا وقالوا: من أشد منا قوة؟ هذه العبارة بداية النهاية المطلقة لهذا الكون بهذه الذبذبة المعاصرة إن لم تقم قوة عالمية لإنهاء هذا العار فإن كارثة لا بد أن تقع. من عصى الله بعد أن عرفه سلّط الله عليه من لا يعرفه. وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام: 65]. بأس الكل طاقة وليس أذى. والبأس أن تفرّغ طاقتك وكل ما تستطيع.

﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ﴾ [الأنعام: 131] (القرى أي المجتمع) والمصلحون الذين يحققون العدل فيما بينهم.

يقول ابن خلدون: إن الله يُديم دولة الكفر مع العدل، ويسقط دولة الإسلام مع الظلم.

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس: الذال والباء في المضاعف أصولٌ ثلاثة: أحدها: طُوَيْئرٌ، ثم يُحمَل عليه ويشبَّه به غيرُه، والآخَر: الحَدُّ والحِدّة، والثالث: الاضطرابُ والحرَكة. فالأوّل: الذُّباب، معروف، وواحدته ذُبابة، وجمع الجمع أذِبّة.

وممّا يشبّه به ويُحمَل عليه ذُباب العَين: إنسانُها. ويقال: ذَبَبْتُ عنه: إذا دفَعْتَ عنه، كأنّك طردت عنه الذُّباب الذي يتأذّى به. وقول النابغة: فهو جمع ذُبابٍ.

والمَذْبُوبُ من الإبل: الذي يدخل الذُبَابُ منخره. والمَذْبُوبُ: الأحمق، كأنّه شُبِّه بالجمل المَذْبوبِ.

وأمّا الحَدُّ فذُبَاب أسنانِ البعير: حَدُّها.

وذُباب السَّيف: حَدُّه.

والأصل الثالث: الذَّبذَبة: نَوْس الشَّيءِ المعلَّق في الهواء. والرجل المذَبْذَب: المتردِّد بين أمرين. والذُّبْذَبُ الذَّكَر؛ لأنه يتذَبْذَب أي: يتردَّد. والذَّباذِبُ: أشياءُ تُعلَّق في هَودَجٍ أو رأس بعيرٍ. والذَّبُّ: الثَّور الوحشيّ، ويسمَّى ذَبّ الرِّياد.

وقالوا: سُمِّيَ ذبَّ الرِّياد لأنَّه يجيء ويذهب، لا يثبُت في موضعٍ واحد. ومن هذا الأصل الثالث قولُهم ذَبَّت شفَتُه: إذا ذَبُلَتْ من العطَش.

ويقال: ذَبَّ النَّبْت: إذا ذَوَى. وذَبّ جِسمُه، أي: هَزُل.. ومن الاضطراب والحركة قولهم: ذبَّبْنا ليلتَنا، أي: أتعبْنا في السَّير. ولا ينالون الماء إلاَّ بقَرَبٍ مذبِّبٍ، أي: مُسْرِعٍ.

قال الجوهري[1]: التَّذَبْذُبُ: التحرُّكُ. والذَّبْذَبَةُ: نَوْسُ الشيءِ المعلَّقِ في

(1) الصحاح في اللغة.

الهواء. والذَّبْذَبُ الذَّكَرُ. وفي الحديث: (مَنْ وُقِيَ شَرَّ ذَبْذَبِهِ). أيضاً: أشياء تُعَلَّقُ في الهودج. والمُذَبْذَبُ المتردِّد بين أمرين. قال الله تبارك وتعالى: ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ [النِّساء: 143].

قال الراغب[1]: الذُّبَابُ يقع على المعروف من الحشرات الطائرة، وعلى النحل، والزنابير ونحوهما.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا﴾ [الحَجّ: 73].

قال البغوي[2]: ﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ﴾ [الحَجّ: 73]، قال ابن عباس: كانوا يطلُون الأصنام بالزعفران، فإذا جفَّ جاء الذباب فاستلب منه.

قال أبو السعود[3]: ﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا﴾ بيان لعجزهم عن الامتناع عمَّا يفعل بهم الذُّبابُ بعد بيانِ عجزِهم عن خلقِه، أي: إنْ يأخذِ الذُّبابُ منهم شيئاً.

قال ابن عجيبة[4]: ﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا﴾ من الطيب وغيره، ﴿لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ﴾ أي: هذا الخلق الأرذل الأضعف، لو اختطف منهم شيئاً فاجتمعوا على أن يستخلصوه منه، لم يقدروا وعن ابن عباس رضي الله عنه: أنهم كانوا يطلُونها بالعسل والطيب، ويغلقون عليها الأبواب، فيدخل الذبابُ من الكُوِي فيأكله، فتعجز الأصنام عن أخذه.

(1) مفردات الراغب.
(2) معالم التنزيل.
(3) إرشاد العقل السليم.
(4) البحر المديد.

● **قال تعالى:** ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَالِكَ﴾ [النِّساء: 143].

قال الطبري[1]: يعني جلّ ثناؤه بقوله: ﴿مُّذَبْذَبِينَ﴾: متردّدين، وأصل التذبذب: التحرّك والاضطراب. وإنما عنى بذلك: أن المنافقين متحيرون في دينهم، لا يرجعون إلى اعتقاد شيء على صحةٍ فهم لا مع المؤمنين على بصيرة، ولا مع المشركين على جهالة، ولكنهم حيارى بين ذلك، فمثلهم مثل الذي ضرب لهم رسول الله ﷺ، قال: «**مَثَلُ المُنافِقِ كَمَثَل الشَّاةِ العائِرةِ بَيَنَ الغَنَمَيْنِ، تَعِيرُ إلى هَذِهِ مَرَّةً وَإلى هَذِهِ مَرَّةً، لا تَدْرِي أيَّتَهُما تَتْبَعُ**».

وعن ابن جريج، قوله: ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَالِكَ﴾ قال: لم يخلصوا الإيمان فيكونوا مع المؤمنين، وليسوا مع أهل الشرك.

قال الخازن[2]: ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَالِكَ﴾ يعني متحيرين مترددين بين الكفر والإيمان لأنهم ليسوا مع المؤمنين المخلصين ولا مع المشركين المصرحين بالشرك.

---

(1) جامع البيان. (2) لباب التأويل.

ذبح

(ذبح - خنق - حسّ - وأد - ذكو - صرع - صلب - عقر - نحر)

■ **الذَّبْحُ:** شَقُّ حلق الحيوان ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗۖ﴾ [البَقَرَة: 67].

■ **الخَنْقُ:** الموت بالمخنق، وهو حبل يلفّ على الرقبة أو باليدين حتى الموت ﴿وَٱلۡمُنۡخَنِقَةُ﴾ [المَائدة: 3].

■ **الحَسُّ:** الموت بإصابة الحواس كناية عن قطع الرأس لأنه مجمع الحواس ﴿إِذۡ تَحُسُّونَهُم بِإِذۡنِهِۦۖ﴾ [آل عِمرَان: 152].

■ **الوَأْدُ:** الموت بالدفن حياً ﴿وَإِذَا ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ سُئِلَتۡ﴾ [التكوير: 8].

■ **الذَّكَاةُ:** الموت ذبحاً بالسكين من الحلق ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيۡتُمۡ﴾ [المَائدة: 3].

■ **الصَّرْعُ:** الموت بالطرح أرضاً بقوة ﴿فَتَرَى ٱلۡقَوۡمَ فِيهَا صَرۡعَىٰ﴾ [الحَاقَّة: 7].

■ **الصَّلْبُ:** الموت بتعليق الإنسان بحبل من رقبته ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ﴾ [النِّساء: 157].

■ **العَقْرُ:** الموت بقطع الأرجل ﴿فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ﴾ [الأعرَاف: 77].

■ **النَّحْرُ:** قطع نحر الأضحية ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ﴾ [الكوثر: 2].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الذال والباء والحاء أصلٌ واحد، وهو يدلُّ على الشّقّ. فالذَّبْحُ: مصدر ذبَحْتُ الشّاةَ ذبْحاً. والذِّبْحُ. المَذْبُوحُ. والذُّبَّاح: شُقوقٌ في أصول الأصابع. ويقال: ذُبِحَ الدَّنُّ: إذا بُزِلَ. والمَذَابِحُ: سيولٌ صغار تشقُّ الأرض شقّاً. وسعدٌ الذَّابحُ: أحد السُّعود. والذِّبَحُ نبتٌ، ولعله أن يكون شاذًّا من الأصل.

قال الخليل[2]: الذَّبْح: قَطْع الحُلْقُوم من باطن عند النَّصيل، ومَوْضِعُه المَذْبَح. والذَّبيحَةُ: الشّاة المَذبُوحة. والذِّبْحُ: ما أُعِدَّ للذَّبْح وهو بمنزلة الذَّبيح والمذبوح. والمِذْبَحُ: السِّكّين الذي يُذْبَحُ به. والذَّابِحُ: شَعَرٌ يَنْبُتُ بَيْنَ النَّصيل والمَذْبَح. والذُّبْحَةُ: داءٌ يأخُذُ في الحَلْق وربَّما قَتَلَ. والذُّبَح، والذُّبَاحُ، لغة: نبات من السَّمِّ بالفارسيّة: سَغْن.

والذُّبَحُ: نباتٌ له أصلٌ يُقْشَر عنه قِشْر أسود فيَخرُجُ أبيضَ كأنّه جَزَرَةٌ، حلو طيب يُؤْكَل، والواحدة ذُبَحَةٌ. ويقال: أخَذَه الذُّبَاحُ، وهو تَشَقُّقٌ بين أصابع الصِّبيان من التُّراب. والذَّابِحُ: كوكب، يقال له: سَعْدُ الذّابح من منازل القَمَر فإذا طَلَعَ الذّابح انجَحَرَ النابح.

قال الجوهري[3]: الذَّبْحُ: الشَقُّ:

وربّما قالوا: ذَبَحْتُ الدَنَّ، أي: بَزَلتُه. والذَّبْحُ مصدر ذَبَحْتُ الشاةَ. والذِّبْحُ، بالكسر ما يُذْبَحُ: قال الله تعالى: ﴿وَفَدَيْنَهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ [الصَّافات: 107]. والذَّبِيحُ: المذبوح، والأنثى ذَبيحَةٌ. والذَّبِيحُ: الذي يَصْلُح أن يُذْبَحَ للنُسُكِ.

---

(1) معجم مقاييس اللغة.

(2) العين.

(3) الصحاح في اللغة.

واذَّبَحْتُ: اتَّخَذْتُ ذبيحاً. وتَذابَح القومُ، أي: ذَبَح بعضُهم بعضاً. يقال: التمادُح التَّذابُح. والمَذْبَحُ شَقٌّ في الأرض مقدار الشِبْرِ ونحوِه.

يقال: غادر السَيْلُ في الأرضِ أخادي ومَذَابح. والمَذابحُ أيضاً: المَحارِيبُ، سُمِّيت بذلك للقَرابين. والذُّبَّاحُ، بالضم والتشديد: شُقوق تكون في باطن الأصابع في الرِجْل. ومنه قولهم: ما دونَه شوكةٌ ولا ذُبَّاحٌ. وسَعْدٌ الذابحُ: منزِلٌ من منازل القمر، وهما كوكبان نيِّران بينهما مقدار ذِراع، وفي نَحْر واحدٍ منهم نَجْمٌ صغير قريبٌ منه كأنّه يذبحه، فسُمِّي ذَابِحاً. والذُّبَحُ نبْتٌ تأكله النَعام. والذُّبَحَةُ وَجَعٌ في الحلق. يقال: أخذته الذُّبَحَةُ. قال أبو زيد، ولم يَعْرِفِ الذَّبْحَة بالتسكين، الذي عليه العامَّةُ.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى:** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗۖ﴾ [البقرة: 67].

قال الفخر الرازي[1]: روي عن ابن عباس وسائر المفسرين أن رجلاً من بني إسرائيل قتل قريباً لكي يرثه ثم رماه في مجمع الطريق ثم شكا ذلك إلى موسى عليه السلام، فاجتهد موسى في تعرف القاتل، فلما لم يظهر قالوا له: سل لنا ربك حتى يبينه، فسأله فأوحى الله إليه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗۖ﴾ فتعجبوا من ذلك ثم شددوا على أنفسهم بالاستفهام حالاً بعد حال واستقصوا في طلب الوصف، فلما تعينت لم يجدوها بذلك النعت إلا عند إنسان معين ولم يبعها إلا بأضعاف ثمنها، فاشتروها وذبحوها وأمرهم موسى أن يأخذوا عضواً منها فيضربوا به القتيل، ففعلوا فصار المقتول حياً وسَمَّي لهم قاتله وهو الذي ابتدأ بالشكاية فقتلوه قوداً.

(1) التفسير الكبير.

قال الزمخشري[1]: ﴿يُذَبِّحُونَ﴾: بيان لقوله: ﴿يَسُومُونَكُمْ﴾ [البَقَرَة: 49] ولذلك ترك العاطف كقوله تعالى: ﴿يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [التّوبَة: 30]. وقرأ الزهري: «يذبحون» بالتخفيف كقولك: قطعت الثياب وقطعتها. وقرأ عبد الله: «يقتلون». وإنما فعلوا بهم ذلك لأنّ الكهنة أنذروا فرعون بأنه يولد مولود يكون على يده هلاكه، كما أنذر نمروذ. فلم يغن عنهما اجتهادهما في التحفظ، وكان ما شاء الله.

قال ابن عطية[2]: «يذبحون» بالتخفيف، والأول أرجح إذ الذبح متكرر. كان فرعون على ما روي قد رأى في منامه ناراً خرجت من بيت المقدس فأحرقت بيوت مصر، فأولت له رؤياه أن مولوداً من بني إسرائيل ينشأ فيخرب ملك فرعون على يديه. وقال ابن إسحاق وابن عباس وغيرهما: إن الكهنة والمنجمين قالوا لفرعون: قد أظلك زمن مولود من بني إسرائيل يخرب ملكك.

وقال ابن عباس أيضاً: إن فرعون وقومه تذاكروا وعد الله لإبراهيم أن يجعل في ذريته أنبياء وملوكاً، فأمر عند ذلك بذبح الذكور من المولودين في بني إسرائيل، ووكل بكل عشر نساء رجلاً يحفظ من يحمل منهن.

وقيل: «وكل بذلك القوابل».

وقالت طائفة: معنى ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾ يذبحون الرجال ويسمون أبناء لما كانوا كذلك، واستدل هذا القائل بقوله تعالى: ﴿نِسَآءَكُمْ﴾ [البقرة: 49].

● **قال تعالى**: ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ [الصافات: 107].

قال ابن عجيبة[3]: ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾: ضخم الجثة سمين. قال ابن عباس: هو الكبشُ الذي قرّبه هابيل فقُبل منه، وكان يرعى في الجنة حتى فُدِي به ولد إبراهيم. وعنه: لو تمت تلك الذبيحة لصارت سُنَّة، وذَبَحَ الناسُ أولادهم.

---

(1) الكشاف.
(2) المحرر الوجيز.
(3) البحر المديد.

رُوي أن الكبش هرب من إبراهيم عند الجمرة، فرماه؛ سبع حصيات، حتى أخذه، فبقيت سُنَّة في الرمي.

قلت: والجمهور: أن الشيطان تعرض له عند ذهابه لذبح ولده، ثلاث مرات، فرماه سبع حصات عند كل مرة، فبقيت سُنَّة في الرمي. ورُوي أنه لما ذبحه، قال جبريل: الله أكبر، فقال الذبيح: لا إله إلا الله، والله أكبر، فقال إبراهيم: الله أكبر ولله الحمد، فبقيت سُنَّة صبيحة العيد.

قال الطبري(1): وقوله: ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ يقول: وفدينا إسحاق بذبح عظيم، والفدية: الجزاء، يقول: جزيناه بأن جعلنا مكان ذبحه ذبح كبش عظيم، وأنقذناه من الذبح. واختلف أهل التأويل في المفديّ من الذبح من ابني إبراهيم، فقال بعضهم: هو إسحاق.

وقال آخرون: الذي فُدِي بالذِّبح العظيم من بني إبراهيم: إسماعيل.

عن مجاهد ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ قال: الذي فُدِيَ به إسماعيل، ويعني تعالى ذكره الكبش الذي فُدِيَ به إسحاق، والعرب تقول لكلّ ما أُعِدّ للذبح ذِبْح، وأما الذَّبح بفتح الذال فهو الفعل.

قال الشعراوي(2): ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ ذبح بمعنى مذبوح، وهو الكبش الذي أنزله الله، فِداءً لإسماعيل.

---

(1) جامع البيان. (2) تفسير الشعراوي.

ذرية

(ذرية - حفد - سبط)

■ **الذُّرِّيَّة:** النسل الممتد ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: 34].

■ **الحَفِيدُ:** ولد الولد ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ [النحل: 72].

■ **السِّبْطُ:** تكاثر الأحفاد حتى صاروا قبيلة ﴿وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا﴾ [الأعراف: 160].

❋ ❋ ❋

النصوص اللغوية:

قال الجوهري[1]: الذَّرُّ: جمع ذَرَّةٍ، وهي أصغر النمل. وذُرِّيَّةُ الرجل: ولده.

والجمع الذَّرَارِيُّ والذُّرِّيَّاتُ. وذَرَرْتُ الحَبَّ والدواءَ والمِلحَ أَذُرُّهُ ذَرّاً: فَرَّقْتُهُ.

والذَّرُورُ بالفتح: لغة في الذَّريرَةِ، يجمع على أَذِرَّةٍ. وذَرَّتِ الشمسُ تَذُرُّ ذُروراً بالضم: طلعت. ويقال: ذَرَّ البَقْلُ: إذا طلعَ من الأرض. وحكى الفراء: ذارَّتِ الناقةُ تذارُّ مُذارَّةً وذِراراً: أي ساء خُلُقُها، وهي مُذارٌّ، وهي في معنى العَلوق والمُذائِرِ.

قال ابن منظور[2]: ذَرَّ الشيءَ يَذُرُّه: أَخذه بأَطراف أَصابعه ثم نثره على

(1) الصحاح في اللغة. (2) اللسان.

الشيء. وذَرَّ الشيءَ يَذُرُّهُ: إذا بَدَّدَهُ. وذُرَّ. إذا بُدِّدَ. وفي حديث عمر، رضي الله عنه: ذُرّي أَحِرَّ لَكِ، أَي: ذُرِّي الدقيق في القِدْرِ لأَعمل لك حَرِيرَةً.

والذَّرُّ: مصدر ذَرَرْتُ، وهو أَخذك الشيء بأَطراف أَصابعك تَذُرُّهُ ذَرَّ الملح المسحوق على الطعام. وقال أبو زيد: في فلان ذِرارٌ، أي: إعراضٌ غَضَباً، كَذِرارِ الناقة.

قال الفيروز آبادي(1): الذَّرُّ: صِغارُ النملِ، ومئَةٌ منها زِنَةُ حَبَّةِ شعيرٍ، الواحدةُ: ذَرَّةٌ، وتفريقُ الحَبِّ والمِلْحِ ونحوِهِ، كالذَّرْذَرَةِ، وطَرْحُ الذَّرُورِ في العينِ، والنَّشْرُ. والذَّرُورُ: ما يُذَرُّ في العَيْنِ، وعِطْرٌ، كالذَّرِيرَةِ جمعه: أذِرَّةٌ. والذُّرِّيَّةُ، ويكسرُ: ولدُ الرجلِ جمعه: الذُّرِّيَّاتُ والذَّرارِي، والنِّساءُ، للواحِدِ الجميع. وذَرَّ: تَخَدَّدَ، وذر البَقْلُ، وذر الشمسُ: طَلَعا، وذر الأرضُ النَّبْتَ: أطْلَعَتْهُ، وذر الرجلُ: شاب مُقَدَّمُ رأسِهِ، يَذَرُّ فيه، بالفتح، شاذٌّ. والذَّرْذارُ: المِكثارُ، ولَقَبُ رجلٍ. والذُّرارَةُ، بالضم: ما تَناثَرَ من الذَّرُورِ. والذَّرِّيُّ: السيفُ الكثيرُ الماءِ، وفِرِنْدُهُ، وماؤُهُ. والذِّرارُ، بالكسر: الغَضَبُ، والإِعراضُ. وذارَّتِ الناقةُ مُذَارَّةً وذِراراً: ساءَ خُلُقُها، وهي مُذارٌّ. والمِذَرَّةُ: آلةٌ يُذَرُّ بها الحَبُّ.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ﴾ [البَقَرَة: 124].

قال الزمخشري(2): ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ﴾ عطف على الكاف، كأنه قال: وجاعل بعض ذريتي، كما يقال لك: سأكرمك، فتقول: وزيداً.

قال الطبري(3): القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ﴾.

(1) القاموس المحيط.
(2) الكشاف.
(3) جامع البيان.

يعني جل ثناؤه بذلك، قال إبراهِيمُ لما رفع الله منزلته وكرّمه، فأعلمه ما هو صانع به من تصييره إماما في الخيرات لمن في عصره ولمن جاء بعده من ذرّيته وسائر الناس غيرهم يهتدي بهديه ويقتدي بأفعاله وأخلاقه: يا ربّ ومن ذرّيتي فاجعل أئمة يقتدي بهم كالذي جعلتني إماما يؤتمّ به ويتقدى بي مسألة من إبراهيم ربه سأله إياها. كما حدثت عن عمار، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، قال: قال إبراهيم: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ﴾ يقول: فاجعل من ذرّيتي من يؤتمّ به ويقتدي به.

وقد زعم بعض الناس أن قول إبراهيم: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ﴾ مسألة منه ربَّه لعقبه أن يكونوا على عهده ودينه، كما قال: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ﴾ [إبراهيم: 35] فأخبر الله جل ثناؤه أن في عقبه الظالم المخالف له في دينه بقوله: ﴿لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البَقَرَة: 124]. والظاهر من التنزيل يدلّ على غير الذي قاله صاحب هذه المقالة لأن قول إبراهيم صلوات الله عليه: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ﴾ في إثر قول الله جل ثناؤه: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ﴾ [البَقَرَة: 124] فمعلوم أن الذي سأله إبراهيم لذرّيته لو كان غير الذي أخبر ربه أنه أعطاه إياه لكان مبيناً ولكن المسألة لما كانت مما جرى ذكره، اكتفى بالذكر الذي قد مضى من تكريره وإعادته، فقال: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ﴾ بمعنى: ومن ذرّيتي فاجعل مثل الذي جعلتني به من الإمامة للناس.

● **قال تعالى**: ﴿رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ﴾ [البقرة: 128].

قال الفخر الرازي(1): قوله تعالى: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ﴾ فالمعنى: واجعل من أولادنا و(من) للتبعيض وخص بعضهم لأنه تعالى أعلمهما أن في ذريتهما الظالم بقوله تعالى: ﴿لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البَقَرَة: 124] ومن الناس من قال: أراد به العرب لأنهم من ذريتهما.

(1) التفسير الكبير.

قال أبو السعود[1]: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ أي: واجعل بعضَ ذريتنا، وإنما خصهم بالدعاء لأنهم أحقُّ بالشفقة ولأنهم إذا صلَحوا صلَح الأتباع وإنما خَصّا به بعضَهم لمّا علما أن منهم ظلمةً وأن الحكمة الإلٰهية لا تقتضي اتفاقَ الكل على الإخلاص والإقبالَ الكلي على الله عَزَّوَجَلَّ فإن ذلك مما يُخلُّ بأمر المعاش، ولذلك قيل: لولا الحمقى لخَرِبَتِ الدنيا وقيل: أراد بالأمة المسلمة أمةَ محمد ﷺ.

قال ابن عجيبة[2]: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً﴾ أي: جماعة ﴿مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾؟ عَلِمَا - بوحي أو إلهام - أنه يكون من ذريتهما من يكفر بالله.

● **قال تعالى**: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النِّساء: 40].

قال الزمخشري[3]: الذرّة: النملة الصغيرة. وفي قراءة عبد الله: «مثقال نملة»، وعن ابن عباس: أنه أدخل يده في التراب فرفعه ثم نفخ فيه فقال: كل واحدة من هؤلاء ذرة. وقيل: كل جزء من أجزاء الهباء في الكوة ذرة. وفيه دليل على أنه لو نقص من الأجر أدنى شيء وأصغره، أو زاد في العقاب لكان ظلماً، وأنه لا يفعله لاستحالته في الحكمة لا لاستحالته في القدرة.

قال القرطبي[4]: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ أي: لا يبخسهم ولا ينقصهم من ثواب عملهم وزن ذرّة بل يجازيهم بها ويثيبهم عليها. والمراد من الكلام أن الله تعالى لا يظلم قليلاً ولا كثيراً؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا﴾ [يُونس: 44]، وفي صحيح مسلم عن أنس قال قال رسول الله ﷺ: «**إن الله لا يظلم مؤمناً حسنة يعطي بها في الدنيا ويجزى بها في الآخرة وأما الكافر فيطعم بحسنات ما عمِل لله بها في الدنيا حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يجزى بها**».

---

(1) إرشاد العقل السليم.
(2) البحر المديد.
(3) الكشاف.
(4) الجامع لأحكام القرآن.

ذراع

(ذراع - يد - كف)

■ **الذِّرَاعُ:** طرف الأصبع الوسطى إلى المرفق ﴿فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا﴾ [الحَاقَّة: 32].

■ **اليَدُ**: أصل الأصابع وقاعدتها ﴿إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ﴾ [المَائدة: 11].

■ **الكَفُّ:** وجه اليد ﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا﴾ [الكهف: 42].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1] : الذال والراء والعين أصلٌ واحدٌ يدلُّ على امتدادٍ وتحرُّك إلى قُدُم، ثم ترجع الفروعُ إلى هذا الأصل. فالذِّرَاعُ ذِرَاعُ الإنسان، معروفة. والذَّرْعُ مصدر ذَرَعْتُ الثَّوبَ والحائطَ وغيرَه. ثمّ يقال: ضاق بهذا الأمر ذَرْعاً: إذا تكلَّفَ أكثَرَ ممّا يطيق فَعَجَز. ويقال ذَرَعَهُ القَيء: سبقَه.

ومَذَارِعُ الدَّابة: قوائمها، والواحد مِذْرَاع. وتَذَرَّعَتِ الإبلُ الماءَ: خاضت بأذْرُعها. ومَذَارِعُ الأرض: نواحيها، كأنَّ كلَّ ناحيةٍ منها كالذِّراع. ويقال ذَرَعْتُ البعير: وَطِئْتُ على ذِرَاعِه ليركَبَ صاحبي. وتذَرَّعَتِ المرأةُ الخُوصَ: إذا تنقَّتْه، وذلك أنّها تُمِرّه مع ذراعها. قال: والذَّرِيعَةُ: ناقةٌ يتَسَتَّر بها الرّامِي يرمي الصَّيد.

(1) معجم مقاييس اللغة.

وذلك أنَّه يَتَذَرَّع معها ماشياً. ومن الباب: تَذَرَّعَ الرّجُل في كلامه. والإِذْرَاعُ: كثرةُ الكلام. وفرس ذَرِيعٌ: واسع الخَطْو بَيِّن الذَّرَاعَة.

وقوائِمُ ذَرِعاتٌ: خفيفات. والذِّراعان: نجمان، يقال هما ذِراعا الأسد. ويقال للمرأة الخفيفة اليدِ بالغَزْل: ذِرَاع. قاله الكِسائيّ. ويقال: ثورٌ مُذَرَّعٌ، إذا كان في أذرُعِهِ لُمَعٌ سُودٌ. ومطرٌ مُذَرِّع، وهو الذي إذا حُفِرَ عنه بلغ من الأرض قدر ذِراع.

والمُذَرَّعُ من الرّجال: الذي يكون أمُّه عربيّة وأبوه خسيساً غيرَ عربيّ.

وإنَّما سُمِّي مذرَّعاً بالرَّقْمَتينِ في ذِراع البغل، لأنّهما أتَتَا من قِبَل الحِمار.

ويقال للرجل تَعِدُهُ أمراً حاضراً: هو لَكَ مِنِّي على حَبْل الذِّراع.

ويقال لصَدْر القناة: ذِرَاعُ العامل. والذِّراعان: [هَضَبَتَانِ]. قال: والمَذَارِعُ: ما قرُب من الأمصار، مثل القادسيّة من الكوفة، والمَذارع من النَّخل: القريبة من البيوت. وزقٌّ مِذْرَاعٌ، أي: طويل ضَخْم. ويقال ذَرَّعَ لي فلانٌ شيئاً من خَبَرٍ، أي: خَبَّرَني. ويقال ذَرَّعَ الرجل في سَعْيِهِ: إذا عدا فاستعانَ بيديه وحرَّكهما.

ويقال للبَشير إذا أومَأَ بيده: قد ذَرَّعَ البَشيرُ. وهو علامةُ البِشارة.

قال الخليل(1): الذِّرَاعُ من طَرَف المِرْفَق إلى طرف الإِصْبَع الوُسْطى.

ذَرَعْتُ الثوب أذْرَعُ ذَرْعاً بالذِّراع، والذِّراعُ السّاعد كلّه، وهو الاسم. والرّجُلُ ذَارِعٌ. والثَّوبُ مَذْرُوعٌ. وذَرَعْتُ الحائط ونحوه. قال:

فلمّا ذَرَعْنا الأرضَ تسعين غلوة. . . . .

والمُذَرَّعُ: الممسوح بالأذْرع. ومنهم من يؤنّث الذِّراع، ومنهم من يذكّر، ويصغّرونه على ذُرَيْع فقط. والرّجلُ يُذَرِّعُ في ساحته تَذْرِيعاً: إذا اتّسع، وكذلك يَتَذَرَّعُ أي: يتوسع كيف شاء. وموتٌ ذَرِيعٌ، أي: فاشٍ، إذا لم يتدافنوا، ولم

(1) العين.

أسمع له فِعْلاً. وذَرَعَهُ القَيْء، أي: غلبه. ومِذَارِعُ الدّابّة قوائمها، ومَذَارِعُ الأرض نواحيها. وثوب مُوَشَّى المِذْارع. والذَّرَع ولدُ البقرة، بقرةٌ مُذْرِعٌ، وهنّ مُذْرِعاتٌ ومَذَارِيعُ، أي: ذوات ذِرْعان.

والذِّراعُ سِمَةٌ بني ثعلبة من اليمن، وأناس من بني مالك بن سعد من أهل الرّمال. وذِراعُ العامل: صدر القناة. وأَذْرِعاتٌ: مكان تُنْسَب إليه الخمور.

والذَّريعةُ جملٌ يُخْتَلُ به الصّيدُ، يمشي الصّيادُ إلى جنبه فإذا أمكنه الصيدُ رمى وذلك الجملُ يسيّب أوّلاً مع الوحش حتى يأتلفا. والذَّرِيعَةُ حلقةٌ يتعلّم عليها الرّمي. والذَّرِيعَةُ: الوسيلةُ. والذِّرَاعُ من النّجوم، وتقول العرب: إذا طلع الذِّرَاعُ أمرأَتِ الشّمسُ الكُراع. واشتدّ منها الشُّعاع. ويقال للثور مُذَرَّعٌ. إذا كان في أكارعه لُمَعٌ سودٌ. والمِذراع الذِّراع يُذْرَعُ به الأرض والثياب.

ومَذارِعُ القرى: ما بَعُدَ من الأمصار.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا﴾ [الحَاقَّة: 32].

قال الفخر الرازي[1]: ﴿ذَرْعُهَا﴾ معنى الذرع في اللغة التقدير بالذراع من اليد، يقال: ذرع الثوب يذرعه ذرعاً إذا قدره بذراعه، وقوله: ﴿سَبْعُونَ ذِرَاعًا﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه ليس الغرض التقدير بهذا المقدار بل الوصف بالطول، كما قال: ﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً﴾ [التّوبَة: 80] يريد مرات كثيرة والثاني: أنه مقدر بهذا المقدار ثم قالوا: كل ذراع سبعون باعاً وكل باع أبعد مما بين مكة والكوفة، وقال الحسن: الله أعلم بأي ذراع هو.

(1) التفسير الكبير.

قال الشوكاني[1]: وذرعها: طولها. قال الحسن: الله أعلم بأيّ ذراع هو. قال نوف الشامي: كل ذراع سبعون باعاً كل باع أبعد مما بينك وبين مكة، وكان نوف في رحبة الكوفة. قال مقاتل: لو أن حلقة منها وضعت على ذروة جبل لذاب كما يذوب الرصاص.

قال الخازن[2]: ﴿ذَرْعُهَا﴾ أي مقدارها والذرع التقدير بالذراع من اليد أو غيرها ﴿سَبْعُونَ ذِرَاعًا﴾ قال ابن عباس بذرع الملك. وقال نوفر البكالي: سبعون ذراعاً كل ذراع سبعون باعاً كل باع أبعد مما بينك وبين مكة وكان في رحبة الكوفة. وقال سفيان: كل ذراع سبعون ذراعاً، وقال الحسن: الله أعلم أي ذراع هو. عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**لو أن رضاضة مثل هذه وأشار إلى مثل الجمجمة أرسلت من السماء إلى الأرض وهي مسيرة خمسمائة سنة لبلغت الأرض قبل الليل ولو أنها أرسلت في رأس السلسلة لسارت أربعين خريفاً الليل والنهار قبل أن تبلغ قعرها أو أصلها**» أخرجه الترمذي وقال حديث حسن.

(1) فتح القدير.

(2) لباب التأويل.

ذرأ

(ذرأ - خلق - خزن - بثّ)

■ **الذَّرْأ:** الخلق الذي تتوالى طبقاته على مرّ الزمان، أي إخراج المخزون من مخازن إلى ظاهر الحياة في عالم الخلق ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ﴾ [النّحل: 13].

■ **الخَلْقُ:** إيجاد المخلوقات ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البَقَرَة: 29].

■ **الخَزنُ:** بعد أن يخلق الله الخلائق في عالم الأمر يخزنهم في خزائنه ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ﴾ [الحجر: 21].

■ **البَثُّ:** الانتشار بعد الولادات ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾ [النِّساء: 1].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الذال والراء والهمزة أصلان: أحدهما: لونٌ إلى البياض، والآخر: كالشَّيء يُبذَرُ ويُزْرَع. فالأوّل الذُّرْأة: وهو البياضُ من شَيبٍ وغيرِه. ومنه: ملح ذَرَآنِيٌّ وذَرْآنيٌّ. والذُّرْأة البياض. ورجل أَذْرَأُ: أشيب، والمرأة ذَرْآء. وقال الشيبانيّ: شَعْرَةٌ ذَرْآءُ، على وزن ذرعاء، أي: بيضاء. والفِعل منه:

(1) معجم مقاييس اللغة.

ذَرِئَ يَذْرَأُ. ويقال: إنَّ الذَّرْآءَ من الغنم: البَيضاء الأذُن. والأصل الآخر: قولهم ذَرَأْنا الأرضَ، أي بذَرْناها. وزرعٌ ذَرِيءٌ، [على] فعيل.

ومن هذا الباب: ذرَأَ اللهُ الخَلْق يذرؤُهُم. قال الله تعالى: ﴿يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ﴾ [الشّورى: 11]. وممّا شذّ عن الباب قولهم: أذْرَأْتُ فلاناً بكذا: أوْلَعْتُه به.

قال الخليل(1): الذُّرْأَةُ: شَيْبٌ يَبْدو في فَوْدَي الرأس قبلَ سائره،

وذَرِئَ فلانٌ فهو أَذْرَأُ، والمرأة ذَرْآءُ. وذَرَأَ اللّهُ الخلق يَذْرَؤهم ذَرْءاً أي: خَلَقهم.

والذَّرْءُ من قولكَ: ذَرَأْنا الأرضَ أي: بَذَرْناها، وزَرْعٌ ذَريءٌ بوزن فَعيل.

ويقال: ذَرَأْتُ الوَضينَ: بَسَطْتُه على وَجْه الأرض. والذَّرِئةُ في حديث عمر: النِّساء.

قال الجوهري(2): ذَرَأَ الله الخلق يذرؤُهُمْ ذرْءاً: خَلَقَهُمْ. ومنه: الذُّرِّيَّةُ، وهي نَسْلُ الثَّقَلَيْنِ، إلا أنَّ العرب تركت همزها، والجمع: الذَّرارِيّ. وفي الحديث: «ذَرْءَ النَّارِ»، أي: أنهم خُلِقوا لها، ومن قال: ذَرْوَ النَّارِ بغير همز: أراد أنهم يُذْرَونَ في النار. والذَّرَأُ بالتحريك: الشيْبُ في مُقَدَّمِ الرأس. رجل أَذْرَأُ وامرأة ذَرْآءُ.

وذَرِئَ شعره، وذَرَأَ لغتان.

والاسم الذُّرْأَةُ بالضم.

وفرسٌ أذْرَأُ، وجَدْيٌ أَذْرَأُ، أي: أَرْقَشُ الأُذُنَيْنِ، وسائِرُهُ أسودُ. وعَناقٌ ذَرْآءُ، وهو من شِياتِ المَعَزِ دون الضَّأْنِ. ومِلْحٌ ذَرَآنيٌّ وذَرْآنِيٌّ بتحريك الراء وتسكينها للمِلأْح الشديد البياض، وهو مأخوذ من الذُّرْأَةِ. وحكى بعضهم ذَرَأْتُ الأرض أي: بَذَرْتُها، وزَرْعٌ ذَريءٌ.

---

(1) العين.
(2) الصحاح في اللغة.

*** وقد وردت كلمة (ذرأ - ذرر) في القرآن الكريم على خمسة أوجه:**

الوجه الأول: الذرية: بمعنى الولد ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ [آل عِمرَان: 38].

الوجه الثاني: الذرية: يعني الآباء ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾ [يسٓ: 41].

الوجه الثالث: الذرء: يعني الخلق ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ [الأعرَاف: 179].

الوجه الرابع: الذرو: يعني النسف ﴿فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ﴾ [الكهف: 45].

الوجه الخامس: الذرة: يعني النملة الصغيرة ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾ [الزّلزَلة: 7].

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ [الأعرَاف: 179].

قال البغوي[1]: أخبر الله تعالى أنه خلق كثيراً من الجنّ والإنس للنار، وهم الذين حقت عليهم الكلمة الأزليّة بالشقاوة، ومَنْ خلقه الله لجهنم فلا حيلة له في الخلاص منها.

عن عائشة أم المؤمنين قالت: «أدرك النبي ﷺ جنازة صبي من صبيان الأنصار، فقالت عائشة: طوبى له عصفورٌ من عصافير الجنة، فقال رسول

(1) معالم التنزيل.

الله ﷺ: «**وما يدريك؟ إنْ الله خلق الجنّة وخلق لها أهلاً وهم في أصلاب آبائهم، وخلق النار وخلق لها أهلاً وهم في أصلاب آبائهم**». وقيل: اللام في قولهم «لجهنم» لام العاقبة، أي: ذرأناهم، وعاقبة أمرهم جهنم؛ كقوله تعالى: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القَصَص: 8].

قال الماوردي[1]: ﴿ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ﴾ أي: خلقنا ممن يصير إلى جهنم بكفره ومعصيته.

قال أبو السعود[2]: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا﴾ كلامٌ مستأنفٌ مقرّرٌ لمضمون ما قبله بطريق التذييلِ أي: خلقنا.

● **قال تعالى**: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا﴾ [الأنعَام: 136].

قال الطبري[3]: يقول تعالى ذكره: وجعل هؤلاء العادلون بربهم الأوثان والأصنام لربهم ﴿مِمَّا ذَرَأَ﴾ خالقهم، يعني: مما خلق من الحرث والأنعام، يقال منه: ذرأ الله الخلق يذرؤهم ذَرْأً وَذَرْواً: إذا خلقهم.

قال الزمخشري[4]: ﴿مِمَّا ذَرَأَ﴾ فيه أن الله كان أولى بأن يجعل له الزاكي، لأنه هو الذي ذرأه وزكاه، ولا يرد إلى ما لا يقدر على ذرء ولا تزكيه.

قال الشعراوي[5]: ﴿ذَرَأَ﴾ أي خلق، وبث، وبشر، والحرث يراد به الزرع، وسمى الزرع حرثاً؛ لأنه يأتي بالحرث، و﴿وَٱلْأَنْعَٰمِ﴾ وهي تتمثل في ثمانية أزواج في آية تأتي بعد ذلك، وهي الأبل، والبقر، والضأن والمعز.

● **قال تعالى**: ﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ﴾ [الشّورى: 11].

---

(1) النكت والعيون.
(2) إرشاد العقل السليم.
(3) جامع البيان.
(4) الكشاف.
(5) تفسير الشعراوي.

قال الألوسي[1] : ﴿يَذۡرَؤُكُمۡ﴾ يكثركم، يقال: ذرأ الله تعالى الخلق بثهم وكثرهم، والذرء والذر أخوان ﴿فِيهِۚ﴾ أي فيما ذكر من التدبير وهو أن جعل سبحانه للناس والأنعام أزواجاً يكون بينهم توالد وجعل التكثر في هذا الجعل لوقوعه في خلاله وأثنائه فهو كالمنبع له.

وعن ابن عباس أن معنى ﴿يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ﴾: يجعل لكم فيه معيشة تعيشون بها، وقريب منه قول ابن زيد يرزقكم فيه، والظاهر عليه أن الضمير لجعل الأزواج من الأنعام.

وقال مجاهد أي يخلقكم نسلاً بعد نسل وقرناً بعد قرن، ويتبادر منه أن الضمير للجعل المفهوم من ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا﴾ ويجوز أن يكون كما في الوجه الأول ويفهم منه أن الذرء أخص من الخلق وبه صرح ابن عطية قال: ولفظة ذرأ تزيد على لفظة خلق معنى آخر ليس في خلق وهو توالي الطبقات على مر الزمان، وقال العتبي: ضمير ﴿فِيهِۚ﴾ للبطن لأنه في حكم المذكور والمراد يخلقكم في بطون الإناث، وفي رواية عن ابن زيد أنه لما خلق من السماوات والأرض، وهو كما ترى ومثله ما قبله والله تعالى أعلم.

قال ابن عجيبة[2] : ﴿يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ﴾ أي: يكثّركم فيما ذكر من التدبير البديع، من: الذرء، وهو البث، فجعل الناس والأنعام أزواجاً، حتى كان بين ذكورهم وإناثهم التوالد والتناسل، واختير لفظ «فيه» على «به»؛ لأنه جَعَل هذا التدبير كالمنبع والمعدن للبث والتكثير. والضمير في «يذرؤكم» يرجع إلى المخاطَبين والأنعام، مغلباً فيه المخاطبون العقلاء على غيرهم.

قال الفخر الرازي[3] : ﴿يَذۡرَؤُكُمۡ﴾ أي: يكثركم، يقال: ذرأ الله الخلق، أي كثرهم، وقوله: ﴿فِيهِۚ﴾ أي في هذا التدبير، وهو التزويج وهو أن جعل الناس

(1) روح المعاني.
(2) البحر المديد.
(3) التفسير الكبير.

والأنعام أزواجاً حتى كان بين ذكورهم وإناثهم التوالد والتناسل، والضمير في ﴿يَذْرَؤُكُمْ﴾ يرجع إلى المخاطبين، إلى أنه غلب فيه جانب الناس من وجهين الأول: أنه غلب فيه جانب العقلاء على غير العقلاء الثاني: أنه غلب فيه جانب المخاطبين على الغائبين، فإن قيل ما معنى يذرؤكم في هذا التدبير، ولم لم يقل يذرؤكم به؟ قلنا جعل هذا التدبير كالمنبع والمعدن لهذا التكثير، ألا ترى أنه يقال للحيوان في خلق الأزواج تكثير، كما قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ [البقرة: 179].

● **قال تعالى: ﴿ذُرِّيَّةَۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾** [آل عِمرَان: 34].

قال ابن عاشور(1): وقوله: ﴿ذُرِّيَّةَۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍۗ﴾ حال من آل إبراهيم وآلِ عمران. والذرية تقدم تفسيرها عند قوله تعالى: ﴿قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ﴾ [البقرة: 124] وقد أجمل البعض هنا: لأنّ المقصود بيان شدّة الاتصال بين هذه الذرية، فمن للاتصال لا للتبعيض أي بين هذه الذرية اتّصال القرابة، فكل بعض فيها هو متّصل بالبعض الآخر، كما تقدم في قوله تعالى: ﴿فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾ [آل عِمرَان: 28].

قال محمد رضا(2): ﴿ذُرِّيَّةَۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍۗ﴾ قيل: إن الذرية من مادة ذرأ المهموزة؛ أي خلق، كما أن البرية من مادة برأ، وقيل: من مادة ذرو، فأصلها ذروية، وقيل: هي من الذر وأصلها فعلية كقمرية. قال الراغب: والذرية أصلها الصغار من الأولاد، وإن كان قد يقع على الصغار والكبار معا في التعارف، ويستعمل للواحد والجمع، وأصله الجمع. وقال الأستاذ الإمام: يقال: إن لفظ الذرية قد يطلق على الوالدين والأولاد خلافاً لعرف الفقهاء وهو قليل، والمشهور ما جرى عليه الفقهاء وهو أن الذرية الأولاد فقط، فقوله: بعضها من بعض ظاهر على الأول.

(1) التحرير والتنوير.

(2) تفسير المنار.

● **قال تعالى**: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾ [يس: 41].

قال الفخر الرازي(1): ﴿حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ بدل قوله: حملناهم إشارة إلى كمال النعمة أي لم تكن النعمة مقتصرة عليكم بل متعدية إلى أعقابكم إلى يوم القيامة، هذا ما قاله الزمخشري، ويحتمل عندي أن يقال على هذا إنه تعالى إنما خص الذرية بالذكر، لأن الموجودين كانوا كفاراً لا فائدة في وجودهم فقال: ﴿حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ أي لم يكن الحمل حملاً لهم، وإنما كان حملاً لما في أصلابهم من المؤمنين كما أن من حمل صندوقاً لا قيمة له وفيه جواهر إذا قيل له: لم تحمل هذا الصندوق وتتعب في حمله وهو لا يشتري بشيء؟ يقول: لا أحمل الصندوق وإنما أحمل ما فيه، الثاني: هو أن المراد بالذرية الجنس معناه حملنا أجناسهم وذلك لأن ولد الحيوان من جنسه ونوعه والذرية تطلق على الجنس ولهذا يطلق على النساء «نهى النبي ﷺ عن قتل الذراري»، أي النساء وذلك لأن المرأة وإن كانت صنفاً غير صنف الرجل لكنها من جنسه ونوعه يقال ذرارينا أي: أمثالنا فقوله: ﴿أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ أي أمثالهم وآباؤهم.

قال البيضاوي(2): ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ أولادهم الذين يبعثونهم إلى تجاراتهم، أو صبيانهم ونساءهم الذين يستصحبونهم، فإن الذرية تقع عليهن لأنهن مزارعها. وتخصيصهم لأن استقرارهم في السفن أشق وتماسكهم فيها أعجب، وقرأ نافع وابن عامر (ذرياتهم).

● **قال تعالى**: ﴿قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: 124].

قال الطبري(3): القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾.

يعني جل ثناؤه بذلك، قال إبراهيمُ لما رفع الله منزلته وكرّمه، فأعلمه ما هو

(1) التفسير الكبير.
(2) أنوار التنزيل.
(3) جامع البيان.

صانع به من تصييره إماماً في الخيرات لمن في عصره ولمن جاء بعده من ذرّيته وسائر الناس غيرهم يهتدي بهديه ويقتدي بأفعاله وأخلاقه: يا ربّ ومن ذرّيتي فاجعل أئمة يقتدي بهم كالذي جعلتني إماماً يؤتمّ به ويتقدى بي. مسألة من إبراهيم ربه سأله إياها. كما حدثت عن عمار، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، قال: قال إبراهيم: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ﴾ يقول: فاجعل من ذرّيتي من يؤتمّ به ويقتدي به.

وقد زعم بعض الناس أن قول إبراهيم: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ﴾ مسألة منه ربَّه لعقبه أن يكونوا على عهده ودينه، كما قال: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: 35] فأخبر الله جل ثناؤه أن في عقبه الظالم المخالف له في دينه بقوله: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّالِمِينَ﴾.

والظاهر من التنزيل يدلّ على غير الذي قاله صاحب هذه المقالة لأن قول إبراهيم صلوات الله عليه: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ﴾ في إثر قول الله جل ثناؤه: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًاۖ﴾ [البَقَرَة: 124] فمعلوم أن الذي سأله إبراهيم لذرّيته لو كان غير الذي أخبر ربه أنه أعطاه إياه لكان مبيناً ولكن المسألة لما كانت مما جرى ذكره، اكتفى بالذكر الذي قد مضى من تكريره وإعادته، فقال: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ﴾ بمعنى: ومن ذرّيتي فاجعل مثل الذي جعلتني به من الإمامة للناس.

● **قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِۖ﴾** [الأعراف: 179].

قال البغوي(1): أخبر الله تعالى أنه خلق كثيراً من الجنّ والإنس للنار، وهم الذين حقت عليهم الكلمة الأزليّة بالشقاوة، ومَنْ خلقه الله لجهنم فلا حيلة له في الخلاص منها.

عن عائشة أم المؤمنين قالت: «أدرك النبي ﷺ جنازة صبي من صبيان

(1) معالم التنزيل.

الأنصار، فقالت عائشة: طوبى له عصفورٌ من عصافير الجنة، فقال رسول الله ﷺ: «**وما يدريك؟ إنْ الله خلق الجنّة وخلق لها أهلاً وهم في أصلاب آبائهم، وخلق النار وخلق لها أهلاً وهم في أصلاب آبائهم**». وقيل: اللام في قولهم «لجهنم» لام العاقبة، أي: ذرأناهم، وعاقبة أمرهم جهنم؛ كقوله تعالى: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القَصَص: 8].

قال الماوردي[1]: ﴿ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ﴾ أي خلقنا ممن يصير إلى جهنم بكفره ومعصيته.

● **قال تعالى**: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ [الإسرَاء: 3].

قال ابن الجوزي[2]: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا﴾ قال مجاهد: هو نداء: يا ذرية من حملنا. قال ابن الأنباري: من قرأ: «ألاَّ تتخذوا» بالتاء، فإنه يقول: بعد الذرية مضمر حُذفَ اعتماداً على دلالة ما سبق، تلخيصه: يا ذرية من حملنا مع نوح لا تتخذوا وكيلاً، ويجوز أن يستغني عن الإضمار بقوله:

قال أبو السعود[3]: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ نُصب على الاختصاص أو النداءِ على قراءة النهي، والمرادُ تأكيدُ الحملِ على التوحيد بتذكير إنعامِه تعالى عليهم في ضمن إنجاءِ آبائِهم من الغرق في سفينة نوحٍ عليه السلام، أو على أنه أحدُ مفعولَيْ لا يتخذوا على قراءة النفي ومن دون حالٌ من وكيلاً فيكون كقوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا﴾ [آل عِمرَان: 80] وقرى بالرفع على أنه خبرُ مبتدأ محذوفٍ أو بدلٌ من واو لا تتخذوا بإبدال الظاهرِ من ضمير المخاطَب كما هو مذهبُ بعض البغادِدَة، وقرىء ذِرّية بكسر الذال (إِنَّهُ) أي إن نوحاً عليه الصلاة والسلام.

(1) النكت والعيون.
(2) زاد المسير.
(3) إرشاد العقل السليم.

ذرو

(ذرو - طار - رقى - عرج)

■ **الذَّرْوُ:** ارتفاع الشيء في الهواء إلى أعلى مكان ﴿فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ﴾ [الكهف: 45].

■ **الطَّيَرَانُ:** الطائر يسبح في الهواء برتابة ﴿وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ [الأنعام: 38].

■ **الرُّقِيُّ:** الصعود على الأقدام درجة درجة ﴿فَلْيَرْتَقُواْ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ﴾ [ص: 10].

■ **العُرُوجُ:** الصعود إلى الأعلى رأسياً ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: 4].

❊ ❊ ❊

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الذال والراء والحرف المعتل أصلان: أحدهما: الشَّيءُ يُشرِف على الشَّيء ويُظِلّه، والآخر: الشَّيء يتساقط متفرّقاً. فالذُّرْوَةُ أعْلَى السَّنامِ وغيره، والجمع ذُرًى. والذَّرَا: كلُّ شيءٍ استترْتَ به. تقول: أنا في ظِلِّ فُلانٍ، أي: ذَرَاه. والمِذْرَوَانِ: أطراف الأَلْيَتَينِ؛ لأنّهما يُشرفان على [ما] بينَهما. وأما الآخر فيقول: ذَرَا نابُ الجَمَل: إذا انكسَرَ حدُّه.

ومن الباب ذَرَت الرِّيحُ الشَّيءَ تَذْرُوه. والذَّرَا اسمٌ لما ذَرَتْهُ الرِّيح. ويقال:

(1) معجم مقاييس اللغة.

أذْرَت العينُ دمْعَها تُذْريه. وأَذْرَيْتُ الرّجُلَ عن فرَسه: رميتُه. ويقال: إنَّ الذَّرَى اسمٌ لما صُبّ من الدّمع. ومن الباب قولُهم: بلَغني عنه ذَرْوٌ مِن قولٍ، وذلك ما يُساقِطُه من أطراف كلامه غيرَ متكامِل.

قال الخليل(1): الذَّرْوُ: ذَرْوُ الريحِ التُّرابَ تحملهُ ثم تُثيبه. والمِذْارةُ: الخَشَبة التي تُذَرَّى بها الحُبُوب تَذْرِيةً، وذَرَّيْتُ الحَبَّ تَذريةً. وذَرَوتُه: والذَّرْوُ اسْمٌ لِما ذَوَرْتَه بمنزلة النَّفض اسمُ ما تنفُضُه الشَّجَر من الثَّمَرِ المتساقِطِ،

والذَّرَى: ما كَنَّكَ من الريح البارد من حائطٍ أو غيره. وتَذَرَّيتُ من بَرْد الشَّمال بحائط وبفلانٍ ونحوه. والإِبِلُ الشَّوْلُ إذا أحَسَّتْ بالبرد تَذَرَّتْ أي: استَتَرتْ بعضها ببعض، وبالعِضاهِ من بَرْدِ الرِّيح.

والذَّرَى: ما أذْرَتِ العَيْن من الدَّمْع، أي: صَبَّتْ، تُذرِي إِذْراءً.

والإِذْرَاءُ: ضَرْبُكَ الشيءَ تَرمي به أو تَصرَعُه. وضرَبْتُه بالسَّيف فأذرَيْتُ رأسه، وطَعَنْتُه فأذرَيْتُه عن فَرَسِه أي: صَرَعتُه.

والسَّيفُ يُذري ضَريبتَه، أي يرمي بها، وقد يوصف به الرَّميْ من غير قطع، كقوله في الحَرْب: شَهْباءُ تُذري لَهَباً وجَمْرا.

والذُّرَة: حَبٌّ، الواحدةُ ذُرَةٌ أي: أَرْزَنُ. والذِّرْوَةُ: أعلى السَّنام وكلِّ شيءٍ.

والذُّرْوَةُ: أرضٌ بالبادية، وجمع الذُّرْوة ذُرَى وذُرُوات.

قال الجوهري(2): وذُري الشيء بالضم: أعاليه، الواحدة ذِرْوَةٌ وذُرْوَةٌ أيضاً بالضم، وهي أعلى السَنام. والذَّرا أيضاً: اسمٌ لما ذَرَتْهُ الريح، واسمُ الدمع المصبوب. ويقال: مَرَّ فلان يَذْروُ ذَرْواً، أي يمرُّ مَرّاً سريعاً. وذَرا الشيء، أي سقط. وذَرَوْتُهُ أنا، أي طيّرته وأذهبته.

والذَّارِياتُ: الرياح. وذَرَتِ الريح الترابِ وغَيرَه تَذْروهُ وتَذْريهِ، ذَرْواً وذَرْياً،

---

(1) العين.
(2) الصحاح في اللغة.

أي سَفَتْهُ. ومنه قولهم: ذَرَّى الناس الحِنطة. وأَذْرَيْتُ الشيءَ، إذا ألقيتَه، كإلقائك الحَبَّ للزرع. وطعنه فأَذْراهُ عن ظهر دابَّته، أي ألقاه. واسْتَذْرَتِ المعزى، أي اشتهت الفحل. واسْتَذْرَيْتُ بالشجرة، أي استظللتُ بها وصرتُ في دفئها. واسْتَذْرَيْتُ بفلان، أي التجأت إليه وصرتُ في كَنَفه. وتَذْرِيَةُ الأكداس معروفة. والمِذْرى: خشبةٌ ذاتُ أطرافٍ يُذَرَّى بها الطعام وتُنَقَّى بها الأكداس من التِبْنِ. ومنه ذَرَّيْتُ ترابَ المعدن، إذا طلبت منه الذهب. قال أبو زيد: ذَرَّيْتُ الشاةَ تَذْرِيَةً، وهو أن تجزّ صوفَها وتدعَ فوق ظهرها شيئاً منه لتُعرفُ به، وذلك في الضأن خاصّةً وفي الإبل. قال: وفلانٌ يُذَرِّي حَسَبَهُ، أي يمدحُه ويرفع من شأنه.

وتَذَرَّيْتُ السنام: علوته وفَرعتُه. والمِذْوَرانِ: أطراف الأليتين، ولا واحدَ لهما. والمِذْرَوانِ من القوس: الموضِعان اللذان يقع عليهما الوتَر من أعلى ومن أسفل، ولا واحد لهما. وقولهم: جاء فلان يُنفض مِذْرَوَيْهِ، إذا جاء باغياً يتهدد.

وأَذْرَتِ العينُ دمعها: صبَّته.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا﴾ [الذّاريات: 1].

قال الطبري[1]: يقول تعالى ذكره ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا﴾ يقول: والرياح التي تذرو التراب ذرواً، يقال: ذرت الريح التراب وأذرت. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. عن خالد بن عُرعرة، قال: قام رجل إلى عليّ رضي الله عنه، فقال: ما الذاريات ذرواً، فقال: هي الريح.

قال القرطبي[2]: قوله تعالى: ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا﴾ قال أبو بكر الأنباري: حدّثنا

(1) جامع البيان. (2) الجامع لأحكام القرآن.

عبد الله بن ناجية، حدّثنا يعقوب بن إبراهيم، حدّثنا مكي بن إبراهيم، حدّثنا الجعيد بن عبد الرحمن، عن يزيد بن خصيفة، عن السائب ابن يزيد أن رجلاً قال لعمر رضي الله عنه: إني مررت برجل يسأل عن تفسير مشكل القرآن، فقال عمر: اللهم أمكني منه؛ فدخل الرجل على عمر يوماً وهو لابس ثياباً وعمامة وعمر يقرأ القرآن، فلما فرغ قام إليه الرجل فقال: يا أمير المؤمنين ما ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا﴾ فقام عمر فحسر عن ذراعيه وجعل يجلِده، ثم قال: ألبسوه ثيابه واحملوه على قَتَب وأبلغوا به حَيَّه، ثم ليقم خطيباً فليقل: إن صَبِيغاً طلب العلم فأخطأه، فلم يزل وضيعاً في قومه بعد أن كان سيداً فيهم. وعن عامر بن واثلة أن ابن الكوّاء سأل علياً رضي الله عنه، فقال: يا أمير المؤمنين ما ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا﴾ (قال): ويلك سَلْ تَفَقُّهاً ولا تسأل تَعَنُّتاً ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا﴾ الرياح.

قال الماوردي[1]: قوله تعالى: ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا﴾ الذاريات: الرياح، واحدتها ذارية لأنها تذرو التراب والتبن أي تفرقه في الهواء، كما قال تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ﴾ [الكهف: 45] وفي قوله: ﴿ذَرْوًا﴾ وجهان:

أحدهما: مصدر. الثاني: أنه بمعنى ما ذرت، قاله الكلبي. فكأنما أقسم بالرياح وما ذرت الرياح. ويحتمل قولاً ثالثاً: أن الذاريات النساء الولودات لأن في ترائبهن ذرو الخلق، لأنهن يذرين الأولاد فصرن ذاريات، وأقسم بهن لما في ترائبهن من خيرة عباده الصالحين، وخص النساء بذلك دون الرجال وإن كان كل واحد منهما ذارياً لأمرين. أحدهما: لأنهن اوعية دون الرجال فلاجتماع الذروين خصصن بالذكر.

الثاني: أن الذرو فيهن أطول زماناً وهن بالمباشرة أقرب عهداً.

● **قال تعالى**: ﴿تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ﴾ [الكهف: 45].

قال ابن عطية[2]: ﴿تَذْرُوهُ﴾، بمعنى تفرقه، وقرأ ابن عباس: «تذريه»،

(1) النكت والعيون. (2) المحرر الوجيز.

والمعنى: تقلعه وترمي به، وقرأ الحسن «تذروه الريح» بالإفراد، وهي قراءة طلحة والنخعي والأعمش.

قال أبو السعود[1]: ﴿تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ﴾ تفرّقه، وقرىء تُذْريه من أذراه وتذروه الريحُ، وليس المشبَّهُ به نفسَ الماء بل هو الهيئةُ المنتزَعةُ من الجملة.

قال الألوسي[2]: ﴿تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ﴾ أي تفرقه كما قال أبو عبيدة، وقال الأخفش: ترفعه، وقال ابن كيسان: تجيء به وتذهب. وقرأ ابن مسعود (تذريه) من أذرى رباعياً وهو لغة في ذرى. وقرأ زيد بن علي والحسن والنخعي والأعمش وطلحة وابن أبي ليلى وابن محيصن وخلف وابن عيسى وابن جرير (تذروه الريح) بالإفراد، وليس المشبه به نفس الماء بل هو الهيئة المنتزعة من الجملة وهي حال النبات المنبت بالماء يكون أخضر مهتزاً ثم يصير يابساً تطيره الرياح حتى كأنه لم يكن، وعبر بالفاء في الآية للإشعار بسرعة زواله وصيرورته بتلك الصفة فليست فصيحة، وقيل هي فصيحة والتقدير فزها ومكث مدة فأصبح هشيماً.

(1) إرشاد العقل السليم.
(2) روح المعاني.

ذعن

(ذعن - خبت - خشع - خضع - ضرع - عنت - قنت)

■ **الإِذْعَانُ:** انكسار الحركة رغبة ﴿وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓاْ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾ [النُّور: 49].

■ **الإِخْبَاتُ:** انكسار القلب مع سكون الجوارح ﴿فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحَجّ: 54].

■ **الخُشُوعُ:** انكسار الصوت مع المهابة ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ [طه: 108].

■ **الخُضُوعُ:** التكسر في الصوت والجسد تحبباً ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ﴾ [الأحزاب: 32].

■ **الضَّرَاعَةُ:** هي إخبات بزيادة، رفع اليدين والجثّو على الركب ﴿فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ [الأنعام: 42].

■ **العَنَتُ:** انكسار القوة ضعفاً وخوفاً ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ﴾ [طه: 111].

■ **القُنُوتُ:** انحسار الفكر باتجاه واحد تستسلم له ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾ [الرُّوم: 26].

شرح المعاني:

منظومة الإذعان للغير أو الانقياد للغير منظومة دقيقة حساسة لأنها من قوانين هذا الكون فما من إنسان إلا وهو منقاد لإنسان آخر ويسمى في لغة القرآن بالإمام ﴿يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَٰمِهِمْۖ﴾ [الإسراء: 71]. هذا الإمام الذي ينقاد له الآخرون قد يكون ملكاً أو رئيساً أو حاكماً أو شيخ قبيلة أو رئيس حزب أو ما شاكل ذلك. من حيث القوانين الكونية في هذا الكون فكل مخلوق لا بد أن ينقاد لمخلوق آخر حتى الملائكة لهم رئيسهم. هذه المنظومة في كتاب الله عز وجل : الإذعان، الخضوع، الذل، الاستسلام، الإخبات، الاستجابة، الاستكانة، الطاعة. كل نوع من هذه الأنواع التي تدل على انقيادك للآخر لها في كتاب الله تعالى مدلول منضبط تماماً، وبين كل انقياد وانقياد بناء على هذه المصطلحات بينها فروق دقيقة حيث تعلم أن لغة القرآن معجزة وأن كل كلمة تدل على نوع من أنواع انقياد إنسان لإنسان أو انقياد عبد لخالقه عز وجل أو انقياد مواطن لحاكمه. وكل كلمة لها فرق دقيق مع الكلمة الأخرى فلا تُغني كلمة عن كلمة ولذا يتم لنا الإثبات أنه ليس في القرآن الكريم مترادف.

كل انقياد له سببه على مستوى الملوك مثلاً: كل شعب ينقاد لملكه أو رئيسه. في الكتاب والسنة النبوية تستعمل كلمة الملك للدلالة على كل حاكم. الملك ينقاد له الناس لأسباب معينة وكل نوع من أنواع الانقياد له كلمة مخصوصة في هذه اللغة الأعجوبة التي ما من لغة على وجه الأرض يمكن أن تحمل المطلق الإلٰهي والفهم النسبي لله عز وجل إلا هذه اللغة. من الناس من يخضع لملكه لأنه عريق في نسبه يعرفونه أباً عن جدّ، أو لبراعته في فنون الحرب أو لبراعته في الاقتصاد أو ما شاكل ذلك فالناس ينقادون له. أو يكون الملك رؤوفاً بشعبه يعفو عن مسيئهم ويرعاهم ويكلؤهم فينقاد الناس له، وقد يكون الملك قاسياً مجرماً

قاتلاً معذباً كفرعون مثلاً فينقاد له الناس انقياداً من جراء ذلك. والفراعين في هذا الزمان كثيرون. أكثر الانقيادات في العالم الآن هي من هذا الرعب القاتل حيث شاعت السجون السرية والتعذيب التي تنخلع له القلوب وليس هناك دولة على وجه الأرض إلا ما رحم ربي تخلو من هذا النوع من الترهيب بحيث ينقاد له الناس من حيث هذا الذي يسمونه عما يدور في السجون فينقاد الناس مرعوبين على تفاوت في ذلك خاصة في العالم الإسلامي.

نتأمل في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ لنعرف كيف استعمل القرآن هذه العناوين على كل نوع من أنواع الانقيادات:

الإذعان: ﴿وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾ [النُّور: **49**] هو انقياد بسلاسة ولين طوعاً من غير قهر بعد امتناع. مواطن معارض للحكم يعلن معارضته ثم صار بينه وبين الحكومة حوار ونقاش فاقتنع هذا المعترض بلطف وسلاسة فعاد وأطاعهم وانقاد لهم يسمى هذا إذعاناً. كل انقياد بعد امتناع يتم بسلاسة وحوار ولطف ولين من غير عنف وقهر يسمى إذعاناً كما هو الحال بين المتنافسين في العلم كعالمين مختلفين في قضية علمية أحدهما يحاول إقناع الآخر بلطف. فالإذعان إذن سلميٌ بعد اقتناع من غير عنف ولا قهر.

الذُّل: إن كان الإذعان قهريًا يسمى ذُلّاً ﴿وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَـٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِىٍّ ۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَـٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾ [الشّورى: **45**] المشركون الذين يشركون بالله عَزَّوَجَلَّ ويعبدون غير الله تعالى، يوم القيامة يرون النار وينظرون إليها خاشعين من الذل، هذا ذل قهري من شدة رعبهم وخوفهم ذلّوا. كما قال تعالى على بني إسرائيل أن فيهم ذِلّة. عندنا ذِلّة وذُلّ: الذُلّ انقياد بمهانة، عندما تذل إنساناً وتقهره على أن يفعل شيئاً يقال: انقاد له أو ذُلّ له، قال تعالى في الأبوين: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ [الإسراء: **24**]

من هذا القهر الشديد أنت مذلول لأبيك وأمك وتنقاد لهما قهراً ولا تستطيع أن تقول لهما أف وهذا ذُلٌّ عبقري كريم يحبه الله تعالى ورسوله تنقاد لأبويك دون أن تقول لهما مَه أو أف. أما الذِّل فهو بدون قهر وهو ما نسميه بالشعور بالنقص ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [البَقَرَة: 61] اليهود في التاريخ إذا تمكنوا من بلد وعلوا فيه انتقموا من أهله بإذلال الشعب وتحقيق مصالحهم على حساب مصالح البلد والشعب الذي يسيطرون عليه وهذه بداية إبادتهم وهذا نسقهم في التاريخ ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأعـراف: 167]. فالذِلّة هي سمتٌ عام في كل مجتمع فهناك من هو مهزوز ذليل بطبعه ولديه شعور بالنقص والهوان. ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المَائدة: 54] هذا أمر من الله تعالى بأن تذل أمام إخوانك المسلمين وهذا من الذُلّ. إذن الإذعان هو انقياد بالنقاش والحوار والذُلّ انقياد بالقهر والقوة والعنف كالمستعمر الذي يملي عليك إرادته.

الخضوع: انقياد بسكون تام. قال تعالى: ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَـٰقُهُمْ لَهَا خَـٰضِعِينَ﴾ [الشُّعَرَاء: 4] أريد أن أُريك شيئاً يُدخل الرعب في نفسك فتنقاد بسكون تام فلا تتحرك. سجين يرى تعذيباً هائلاً على غيره فينقاد بسكون من غير أن ينطق بكلمة من شدة الرعب الذي يراه هذا يسمى خضوعاً. فالخضوع إذن انقياد بسكون تام وهذا السكون إما أن يكون عن رعب أو عن شدة احترام، كأن تقف بين يدي الله تعالى ولشدة شعورك بهيبته وحبك له تسكن له سكوناً لا تتحرك وتنقاد له بمنتهى السكون. هذا خضوع لله تعالى محبة له سبحانه، وقد كان عروة بن الورد إذا صلّى وقفت الطير على رأسه لشدة سكونه في قيام الليل. فالانقياد بسكون تام يسمى خضوعاً، بنو إسرائيل رأوا الجبل قد رُفع فوقهم فسكنوا وخضعوا.

الاستسلام: أسلم واستسلم. قال تعالى: ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [النَّمل: 44] هو أن تفقد إرادتك بالكامل لمن انقدت له. من هنا أُخذ الإسلام والاستسلام: أنا منقاد لله تعالى في كل شؤوني ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا﴾ [الأنعام: 79]. والإسلام أن تنقاد انقياداً شاملاً ليس لك مع الله تعالى إرادة وليس لك مع من تنقاد له انقياداً شيئاً فكل أمرك بيد سيدك ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ [الأنعام: 59] لا تملك شيئاً ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي ٱلصُّدُورُ﴾ [غافر: 19] لا تملك من أمرك شيئاً هذا هو الإسلام والاستسلام.

الإخبات: ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُواْ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ﴾ [الحَجّ: 34]. قد يتم الاستسلام أحياناً بتمرّد من الداخل كخادم ينقاد لسيده ولكن في داخله تمرّد. إذا كان الاستسلام يرافقه تواضع يسمى هذا إخباتاً. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [هُود: 23] كلنا آمنا بالله تعالى ولكن ليس عندنا تواضع وعندنا في بعض الأحيان لوم واعتراض على رب العالمين لكن هناك من عباد الله تعالى من ينقاد له انقياداً شاملاً مع التواضع. قال بعض الصالحين بعد أن قُطعت يده وفُقئت عينه وبُترت رجله قال: يا رب وعزتك وجلالك لو قطعتني إرباً إرباً لما شكوت منك. هذا مخبت: استسلام مع تواضع شديد «من تواضع لله رفعه» وهناك فرق هائل بين الإخبات والاستسلام. وكل اختلاف في المعنى يؤدي إلى اختلاف في المبنى على هذا النسق الرائع في القرآن.

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الذال والعين والنون أصلٌ واحدٌ يدلُّ على الإصحاب والانقياد. يقال: أَذْعَنَ الرَّجُل: إذا انقاد، يُذْعِنُ إِذْعاناً، وبناؤه ذَعَنَ، إلاَّ أنَّ استعماله أَذْعَنَ. ويقال: ناقةٌ مِذْعانٌ: سَلِسَة الرأسِ منقادة.

قال الجوهري[2]: أَذْعَنِ له، أي: خضعَ وذلّ.

قال الخليل[3]: يقال: أَذْعَنَ إِذْعاناً، وذَعِنَ يذْعَن أيضاً، أي: انقاد وسَلِسَ.

ناقةٌ مِذعانٌ سَلِسَةُ الرأسِ منقادةٌ لقائدها. وفي القرآن: ﴿مُذْعِنِينَ﴾ أي: طائعين.

قال الزمخشري[4]: ذعن له: إذا سلس وانقاد، وهو له مذعن.

وتقول: هو في الإساءة إليك ممعن وأنت منقاد له مذعن.

وأَذْعَنَ فلان بحقي: أقر به.

وناقة مِذْعَانُ: سلسة القياد.

ويقال: رجل مذعان مطواع.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓاْ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾ [النُّور: 49].

قال الطبري[5]: يقول تعالى ذكره: وإن يكن الحقّ لهؤلاء الذين يدعون إلى

---

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) الصحاح في اللغة.
(3) العين.
(4) أساس البلاغة.
(5) جامع البيان.

الله ورسوله ليحكم بينهم، فيأبَون ويُعْرِضون عن الإجابة إلى ذلك، قِبَلَ الذين يدعونهم إلى الله ورسوله، يأتوا إلى رسول الله مذعنين، يقول: ﴿مُذْعِنِينَ﴾ منقادين لحكمه، مقرّين به طائعين غير مكرهين يقال منه: قد أذعن فلان بحقه: إذا أقرّ به طائعاً غير مستكْرَه وانقاد له وسلَّم. وكان مجاهد فيما ذكر عنه يقول في ذلك، ما: عن ابن جُرَيج، عن مجاهد، قوله: ﴿يَأْتُوٓاْ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾ قال: سِراعاً.

قال الفخر الرازي[1]: ﴿وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓاْ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾ على أنهم إنما يعرضون متى عرفوا الحق لغيرهم أوشكوا فأما إذا عرفوه لأنفسهم عدلوا عن الإعراض بل سارعوا إلى الحكم وأذعنوا ببذل الرضا، وفي ذلك دلالة على أنه ليس بهم اتباع الحق، وإنما يريدون النفع المعجل، وذلك أيضاً نفاق.

قال البيضاويّ[2]: ﴿يَأْتُوٓاْ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾ منقادين لعلمهم بأنه يحكم لهم.

قال ابن عطية[3]: ﴿مُذْعِنِينَ﴾ أي مظهرين للانقياد والطاعة وهم إنما فعلوا ذلك حيث أيقنوا بالنجح وأما إذا طلبوا بحق فهم عنه.

قال العزّ بن عبد السلام[4]: ﴿مُذْعِنِينَ﴾ طائعين، أو خاضعين، أو مسرعين، أو مقرين.

---

(1) التفسير الكبير.

(2) أنوار التنزيل.

(3) المحرر الوجيز.

(4) التفسير العظيم.

ذقن

(ذقن)

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الذال والقاف والنون كلمةٌ واحدة إليها يرجع سائرُ ما يشتقّ من الباب. فالذَّقَنُ ذَقَن الإنسان وغيرِه: مَجمَع لَحْيَيه. ويقال: ناقةٌ ذَقُونٌ: تحرِّك رأسَها إذا سارت. والذّاقنة: طرَف الحلقوم الناتئُ. وهو في حديث عائشة: «تُوفِّيَ رسول الله ﷺ بين سَحْرِي ونَحْري وحاقِنَتِي وذاقِنَتِي». وتقول: ذَقَنْتُ الرّجل أَذْقُنُه، إذا دَفعْتَ بجُمْع كفِّك في لِهْزِمَتِه. ودَلْوٌ ذَقونٌ: إذا لم تكُنْ مستويةً، بل تكون ضخمةً مائلة.

قال الجوهري[2]: ذَقَنُ الإنسان: مَجمع لَحْييه. وفي المثل: مُثْقَلٌ استعانَ بذَقَنِهِ، يضرب لرجل ذليل يستعين برجل آخرَ مثله. وأصله البعيرُ يحمل عليه الحِمْل الثقيل فلا يقدر على النهوض فيعتمد بذَقَنِهِ على الأرض. وذَقَنْتُهُ: ضربتُ ذَقَنَهُ. والذاقِنَةُ: طرَف الحلقوم الناتئ. وفي المثل: لأُلحِقَنَّ حواقنك بذَواقِنِكَ. وقال أبو زيد: الذَّواقِنُ: أسفل البطن. وناقةٌ ذَقونٌ: تُرخي ذَقَنَها في السير. ودلوٌ ذَقونٌ. وقد ذَقِنَتْ بالكسر: إذا خرزتَها فجاءت شَفتُها مائلة.

قال الفيروزآبادي[3]: الذِّقْنُ، بالكسر: الشيخ الهرِمُّ، وبالتحريكِ: مُجْتَمَعُ اللَّحْيَيْنِ من أسْفَلِهِما، ويُكْسَرُ، مُذَكَّرٌجمعه: أذْقَانٌ، ومنه: «مُثْقَلٌ اسْتَعَانَ بِذَقَنِه»:

---

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) الصحاح في اللغة.
(3) القاموس المحيط.

يُضْرَبُ لِمَنِ اسْتَعانَ بأذَلَّ منه، وأصْلُه البعيرُ يُحْمَلُ عليه ثَقَلٌ، ولا يَقْدِرُ يَنْهَضُ، فَيَعْتَمِدُ بذَقَنِهِ على الأرضِ. والذاقِنةُ: ما تَحْتَ الذَّقَنِ، أو رأسُ الحُلْقومِ، أو طَرَفُهُ الناتِئُ، أو التَّرْقُوَةُ، أو أسْفَلُ البَطْنِ مما يَلي السُّرَّةَ، أو ثُغْرَةُ النَّحْرِ، أو أعْلَى البَطْنِ.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى:** ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: 109].

قال الفخر الرازي(1): ﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ [الإسراء: 107] وفيه أقوال: القول الأول: قال الزجاج: الذقن مجمع اللحيين وكلما يبتدىء الإنسان بالخرور إلى السجود فأقرب الأشياء من الجبهة إلى الأرض الذقن. والقول الثاني: أن الأذقان كناية عن اللحى والإنسان إذا بالغ عند السجود في الخضوع والخشوع ربما مسح لحيته على التراب فإن اللحية يبالغ في تنظيفها فإذا عفرها الإنسان بالتراب فقد أتى بغاية التعظيم.

والقول الثالث: أن الإنسان إذا استولى عليه خوف الله تعالى فربما سقط على الأرض في معرض السجود كالمغشي عليه ومتى كان الأمر كذلك كان خروره على الذقن في موضع السجود فقوله: ﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ﴾ [الإسراء: 107] كناية عن غاية ولهه وخوفه وخشيته ثم بقي في الآية سؤالان. السؤال الأول: لم قال: ﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ [الإسراء: 107] ولم يقل يسجدون؟ والجواب المقصود من ذكر هذا اللفظ مسارعتهم إلى ذلك حتى أنهم يسقطون. السؤال الثاني: لم قال: ﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ﴾ [الإسراء: 107] ولم يقل على الأذقان والجواب العرب تقول إذا خر الرجل فوقع على وجهه خر للذقن، والله أعلم.

---

(1) التفسير الكبير.

قال الزمخشري[1]: ما معنى الخرور للذقن؟ قلت: السقوط على الوجه، وإنما ذكر الذقن وهو مجتمع اللحيين، لأنّ الساجد أول ما يلقى به الأرض من وجهه الذقن، فإن قلت: حرف الاستعلاء ظاهر المعنى إذا قلت خرّ على وجهه وعلى ذقنه، فما معنى اللام في خرّ لذقنه ولوجهه؟

قلت: معناه جعل ذقنه ووجهه للخرور واختصه به؛ لأن اللام للاختصاص. فإن قلت: لم كرّر يخرون للأذقان؟ قلت: لاختلاف الحالين وهما خرورهم في حال كونهم ساجدين، وخرورهم في حال كونهم باكين.

قال البغوي[2]: ﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ﴾ أي: يسقطون على الأذقان، قال ابن عباس: أراد بها الوجوه، ﴿سُجَّدًا﴾.

﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ﴾، أي: يقعون على الوجوه يبكون، البكاء مستحب عند قراءة القرآن.

قال أبو السعود[3]: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ﴾ كرر الخُرورَ للأذقان لاختلاف السبب فإن (الأولَ) لتعظيم أمر الله تعالى أو الشكرِ لإنجاز الوعدِ (والثاني) لِما أثّر فيهم من مواعظ القرآنِ حالَ كونِهم باكين من خشية الله.

قال ابن عجيبة[4]: ﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ﴾ أي: يسقطون على وجوههم.

والأذقان: جمع ذقن، وهو: أسفل الوجه حيث اللحية. وخصها بالذكر؛ لأنها أول ما تلقى في الأرض من وجه الساجد.

(1) الكشاف.
(2) معالم التنزيل.
(3) إرشاد العقل السليم.
(4) البحر المديد.

ذكر

(ذكر - فرقان - قرآن - كتاب)

■ **الذِّكْرُ:** القرآن لأنه أعظم ما أمر الله به من ذكره ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: 35].

ذي الذكر: لأن فيه كل أنواع الذكر:

* ذكر الله عَزَّوَجَلَّ .

* ذكر الآخرة.

* ذكر الأمم السابقة.

■ **الفُرْقَانُ:** لأنه يفرق بين الحق والباطل في الاعتقاد ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ [الفرقان: 1].

■ **القُرْآنُ:** لأنه أكرم ما يقرأ لإعجاز لغته بين الكتب السماوية ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ [الإسراء: 106].

■ **الكِتَابُ:** لأنه أكرم ما يكتب حيث لا باطل فيه ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾﴾ [البقرة: 1-2].

* * *

شرح المعاني:

الذِّكر هو اسم من أسماء القرآن الكريم وأسماء القرآن في القرآن: الذِّكر، القرآن، الفرقان، والكتاب. ولعل بعض الناس يظن أن هذه الكلمات بمعنى واحد

والجواب لا. الاسم الأصلي لهذا الكتاب هو القرآن: القرآن الكريم الذي جعله الله تعالى عَلَماً على الكتاب الذي أُنزل على محمد ﷺ كما جعل التوراة علماً على الكتاب الذي أُنزل على موسى عليه السلام والإنجيل علماً على الكتاب الذي أُنزل على عيسى عليه السلام وغير ذلك. والعَلَم الأصلي لكتاب الله المنزل على محمد ﷺ هو القرآن وله اسم آخر يدل على زاوية أخرى من زوايا هذا الكتاب: الفرقان، واسم آخر يدل على زاوية أخرى من زواياه هو: الذِّكر، واسم آخر يدل على زاوية أخرى من زواياه وهو الكتاب.

القرآن: قرأ يقرأ قراءة وقرأ يقرأ قرآناً. المصدر فعلان مثل جحدان ونكران في غاية الغِلظة، أي أن العقل بلغ مداه في المعنى. كفر يكفر كُفر(هذا كفر نسبي) وكفر يكفر كفراناً (بلغ منتهاه في الكفر). رجح يرجح رجوحاً هذا نسبي ورجح يرجح رجحاناً هذا بلغ القمة.

قراءة جاءت من قرأ، لكن بنسبة، لكن قرآناً مثل رجحان هذه قضية بلغت المدى في العمق أي ما تقرأه فيه عمق لا نهائي وأنت توغل في هذه القراءة فهماً بحيث تصل إلى غاية ما يمكن أن يدركه عقلك في زمانك ثم يأتي كل جيل يقرأ ويفهم ما لم تفهمه أنت. كل جيل يقرأ قراءة يستنبط معانيه هذا قرآن وهذا سر هذا الكتاب العزيز. القرآن هو الكلام المنزل على محمد ﷺ وينبغي أن تقرأه قرآناً (فمنهم ظالم لنفسه يقرأ ببساطة، ومنهم مقتصد بفهمه ويتعلم أحكامه ليس عميقاً كفاية ومنهم سابق بالخيرات في زمانه واسع المدى). لم يقرأ أحد مثل عبد الله ابن عباس (ترجمان القرآن) وعلي بن أبي طالب (سيد الفهم) هذا فهم خاص يؤتيه الله تعالى من يشاء من عباده. ثم جاء الرازي وغيره فهموا من القرآن ما لم يفهمه غيرهم. كل جيل يبعث الله تعالى من يفهم القرآن فهماً جديداً نافعاً يعطي معاني جديدة لم يسبق لأحد الوصول إليها وهذا لا ينقطع فهو كتاب لا تنقضي عجائبه. المطلوب من المسلمين أن يوغلوا في القرآن ويغوصوا في معانيه إلى يوم القيامة كما قال تعالى ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ﴾ [الأعراف: 53]. في زماننا هذا اكتشفت معجزات

وأسرار لم تنتبه إليها الأزمان السابقة مما فتح الله تعالى على الناس من اختراعات. القرآن مجموعة من الكتب ﴿فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾ [البينة: 3] لو جمعنا الكتب تؤلف كتاباً (كتاب الصلاة، كتاب النفس، كتاب الطهارة، كتاب الموت وغيرها) ننظر بها مجتمعة هذا ما يسمى ترتيلاً ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المُزمّل: 4].

القرآن من حيث عمقه ينبغي أن تكون قراءته قراءة عقلية ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ [آل عِمرَان: 7] الذين يغوصون في معاني المتشابه منه غوصاً يدل أن الله واحد وأن هذا الكلام كلام الله تعالى وأنه لا احتمال أن يكون هذا الكلام من صنع البشر لأن ما فيه من معلومات لا يمكن لمحمد ولا جيله أن يعرفها - كما قال موريس بوكاي العالم الفرنسي الذي أسلم -. القرآن بالنسبة لعمق المعنى الذي فيه والذي يقتضي قراءة عظيمة من أصحاب العقول الرشيدة (العقل الراشد لب العقول وذروتها وهو غاية الحكم والفهم والمعرفة) هذا هو القرآن.

الفرقان: القرآن من حيث كونه معجزاً: فإنه يحسم الموقف (واحد دخل في مشكلة مع واحد فقال كلاماً يحسم الموقف) ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾ [الأنفال: 41] حجة بليغة قوية تحسم الموقف بحيث لا يستطيع أحد في الدنيا أن يشك فيها. (يوم الفرقان: يوم) بدر، كيف أن 312 رجلاً تنزل الملائكة تقاتل معهم هذا فرقان قضية محسومة. ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [الأنبياء: 48] الضياء التوراة والذِّكر جزء منها والفرقان جزء منها. معجزة موسى وعيسى عليهما السلام أقام الحجة على الكافرين. هذه المعجزات هي الفرقان لأنها تحسم الموقف، موسى معجزته خارج التوراة (اليد، العصا، القُمّل، الضفادع، الدم وغيرها) هذه التي ما إن رآها السحرة حتى خروا ساجدين حسمت الموقف وهذا فرقان معجزة. القرآن الكريم هو نفسه المعجزة. هذا الفرق بين القرآن والكتب السابقة لأن الكتب السابقة كانت المعجزة خارجها (إحياء الموتى لعيسى عليه السلام من خارج الإنجيل). القرآن هو معجز لذا سمي فرقاناً ﴿تَبَارَكَ

﴿ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: 1] من معانيه اللانهائية، في كل جيل هناك من يكتشف في القرآن معنى جديداً لم يعرضه أحد من قبله. هذا القرآن لأنه معجز في كلامه يحسم المواقف فهو فرقان. الفرقان قد يكون للأنبياء أو الأولياء أو الصالحين أو كل من يعطيه الله تعالى كلاماً حاسماً.

الذِّكر: نوعان: قلبي ولساني ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾ [الحجر: 9] كلاهما اللسان والقلب نوعان إما ذكر عن نسيان وإما ذكر لإدامة الحفظ. والذكر الذي وصفه القرآن هو الحفظ عن ظهر قلب وظاهرة الحفظ لا تضاهيها ظاهرة. ملايين الناس يحفظونه لا يعلمون معناه. هذه الظاهرة لم تتوفر إلا لهذا الكتاب العزيز منذ نزل القرآن إلى اليوم وهو محفوظ في الصدور، وكلما تخلّت الأمة عن العمل به كلما سخّر الله تعالى من يقوم برعايته من حيث كتابته وطباعته وحفظه وأنواع الخدمات العظيمة. في هذا الزمان الذين يحفظون القرآن آلاف الأضعاف مما كانوا يحفظونه في عهد النبي ﷺ. نساءً ورجالاً وأطفالاً وتركاً، وفرساً، وصينيين يحفظونه وهناك مطابع في كل مكان ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: 17] هذا القرآن يسّر الله تعالى حفظه للناس وهذا من إعجازه.

الكتاب: موضوع معين له عدة آيات تناقش هذا الموضوع يسمى كتاباً. كتاب الطهارة، البيوع، الصلاة، هذا المصحف فيه كتب قيمة. وكل موضوع كتاب: كتاب الموت، النصر، الهزيمة، العادات، الذكر، الصدقة، الصوم. هنا علينا أن نقرأها ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [المزمل: 4] أي ضع الآيات التي تتعامل مع موضوع واحد وادرسها مع بعضها ولا تقسم ما لا ينقسم. هكذا جميع الآيات المتعلقة بكتاب واحد تؤخذ مجتمعة ويُنظر بها مجتمعة. وهذا سبب الاختلاف المذهبي. تضع الآيات في موضوع واحد تنظر إليها كرّة واحدة رتلاً رتلاً على نسق واحد. الرتل متناظر متقدم باتجاه واحد وقانون واحد.

كما يعرف أهل اللغة (أل) إما تكون للعهد الذهني، نقول: جاء الأمير أي: عندنا أمير في البلد فالكل يعرف أن الأمير هو المقصود. وأحياناً تأتي

لاستغراق الجنس: جميع الأمراء يقال لهم الأمير. كذلك كلمة الكتاب ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: 48] رب العالمين عَزَّوَجَلَّ أنزل الكتاب (أل) للعهد الذهني أي القرآن ليصدق ما بين يديه من الكتب المنزلة كلها (التوراة والإنجيل والزبور والصحف). كلمة الكتاب الأولى للعهد الذهني وهو القرآن والثانية لاستغراق الجنس تعني كل الكتب المنزلة قبل القرآن. والله تعالى يقول أن هذا الكتاب مهيمن على الكتب السابقة. كلمة مهيمن كلمة مشتركة في اللغة وتعني القريب والحافظ والشاهد والمتفوق والأمين والمؤتمن. بمعنى أن القرآن رقيب محافظ شاهد متفوق مؤتمن أمين على الكتب السابقة. كل معنى أثبته القرآن والواقع المعاش:

الرقيب الذي يرصد حسنات وأخطاء الآخر: وهكذا هو القرآن دلّ على حسن أو سوء الأداء في كل ما جاء في القرآن من تقريرات عن التوراة والإنجيل والزبور.

كان للرسول ﷺ معجزات كثيرة ولكن المعجزة الحقيقية كانت القرآن الكريم وهو الوحيد الذي كتابه معجزة وكل الأنبياء كانت معجزاتهم خارج كتبهم وكانت تحصل فقط في زمانهم أما الرسول ﷺ فمعجزته باقية إلى يوم القيامة.

ذكر

(ذكر - كلام - نطق - همس - لفظ - قول - حديث - خطاب - بيان)

شرح المعاني:

بما أن كلمة الذكر من الكلمات المشتركة حيث أن القرآن ليس فيه ألفاظ مترادفة وإنما مشتركة أي للكلمة أكثر من معنى. تحدثنا عن معنى كلمة الذكر على أنها علم من أعلام القرآن وهنا نتحدث عنها وظيفة من وظائف اللسان.

الكلام: من وظائف اللسان الكلام. كل صوت فيه حروف تشكل كلمة لها معنى أو بلا معنى يسمى كلاماً. شخص صيني يتكلم أمامك لا تعرف ما يقوله، كلام الطفل يشكل حروف ليس له معنى ولكنه كلام. الكلام اسم جنس: كل صوت فيه حرف يسمى كلاماً بغض النظر عن نوعه وقيمته وشكله ومفيد أو غير مفيد. فالكلام اسم جنس والكلمة جمعها كلِم ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فَاطِر: 10]. ابن مالك كان دقيقاً عندما قال: كلامنا لفظ مفيد كاستقم واسم وفعل ثم حرف الكلِم.

ورب العالمين سبحانه في كتابه العزيز أطلق الكلِمة على كثير من الأشياء: خطبة، كلمة، عيسى كلمة ﴿رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ﴾ [النساء: 171]، القرآن سمّاه كلمة. فالكلمة لها معانٍ عديدة كلها تعني صوت فيه حروف، منها ما هو قصيدة ومنها ما هو قرآن. فعيسى سُمي كلمة لأن وجوده كان بكلمة، وُجِد بكلمة (كن). كل ما تسمعه صوتاً فيه حروف يسمى كلاماً.

النطق: هذا الكلام إذا كان بصوت مسموع يسمى نطقاً، تقول: نطق. قد

يتكلم الإنسان بهمس لكن إذا رفع صوته فقد نطق. كان ساكتاً فرفع صوته فنطق ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾ [النمل: 16]. والنطق غير الصوت: الصوت للحيوانات (رغاء للإبل، ثغاء للغنم، صهيل للخيل، نهيق للحمار) فكيف سمّاه القرآن منطقاً؟ لأن سليمان عليه السلام كان يفهم صوت الطير كأنه يتكلم بكلمات فسماها منطقاً.

الهمس: الكلام بصوت خفيض يسمى همساً. ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه: 108] فالهمس من وظائف اللسان.

اللفظ: عندما تخرج الكلمة من فمك بقوة وحماسة. متى تفعل ذلك؟ إما أن تكون خطيباً أو مدافعاً أو مهاجماً أو شاتماً أو مادحاً أو ذاكراً أو كافراً. كلما كان كلامك فيه دافع من نفسك عاطفي أو عقائدي أو غضب أو فصل الخطاب يسمى لفظاً. لفظ الأشياء رميها. فالأرض تلفظ النتن أي: ترمي. اللفظ هو الكلمة التي تخرج من فمك بقوة. من دقة القرآن الكريم قال تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: 18] ليس أي كلام تقوله عليه رقيب لكن الكلام الذي ترميه بقوة وعناية وبنيّة يسمى لفظاً. اللفظ الكلمة القوية التي تخرج من الفم بقوة كما تلفظ النواة من التمرة. ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: 18] عندما تقول كلاماً قوياً في أي مجال مدحاً أو قدحاً أو غيبة أو سباً أو مدحاً يرصد الملك كل ذلك فعليك أن تكون حذراً من أي خلل يوردك المهالك.

الذكر: الكلمة أو الكلام الذي تقوله فيما يُحمد أو يذم ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ﴾ [الزخرف: 44] ﴿وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: 63] ﴿قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ﴾ [الأنبياء: 60] أي كل كلمة قوية هي حق وصدق تسمى ذكراً. الذكر هو الكلام الطيب ﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ﴾ [الشعراء: 84]﴿أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ [طه: 113] الذكر من وظائف اللسان لكن لا تطلق إلا على الحق والشيء المهم تقول لي ذكر لي فلان أنه ناجح ﴿ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ﴾ [يوسف: 42] القضايا المهمة تقول لها ذكر وكل شيء فيه حق ومدح وذم يسمى ذكراً.

القول: كل كلام مفهوم للمقابل يسمى قولاً. أمامك شخص صيني أو أفريقي يتكلم كلاماً لا تعرفه فتسأل ماذا يقول؟ أي ما معنى كلامه؟ القول هو الكلام المفهوم الواضح ولهذا لما بعث تعالى موسى وهارون إلى فرعون قال: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ [طه: 44] حتى تقوم الحجة عليه فموسى تكلم مع فرعون بلغة يفهمها ولم يتكلم معه بالعبرية التي لا يفهمها فرعون. من تفريعاته أقوال (لِما كان صواباً) وأقاويل (قول سيئ). ويقال: نهى عن قال وقيل. القالة أو الكلمة السيئة التي تشيع عن إنسان معين (وقيله يا رب).

الحديث: الكلام في موضوع واحد ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ﴾ [الزمر: 23] ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ﴾ [يوسف: 111] إذا تكلم عن فرعون، فالحديث عن فرعون وعندما نتكلم في التلفزيون عن موضوع يقال تحدث حديثاً. أي موضوع واحد.

الخطاب: ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾ [صٓ: 20] ﴿وَلَا تُخَـٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟﴾ [هُود: 37] كلام لهم بين يدي ملك أو جمع له قيمة. وفرق بين الغوغاء أي الناس الذين لا قيمة لهم أي كلام تقول لهم يضحكون له أو ما شابه والملأ أو الجمهور الذي له قيمة. مسرحية كوميدية يضحك الناس لا يقتضي وصفاً مهماً لهؤلاء الحضور لكن يفهمون لغة المتحدث فيضحكون. لكن أمام الأطباء أو السياسيين أو العلماء يسمى الكلام خطاباً لأن الحضور يجب أن يكونوا من أهل الاختصاص في جمهور يفهم ما تقوله حتى يفهموا الخطاب. ومنها المخاطبة: واحد يرد على الثاني ﴿وَلَا تُخَـٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾ [هُود: 37]. حتى الخِطبة بكسر الخاء سميت خِطبة لأنه جرى العرف أن الذي يخطب فتاة يلقي كلمة تسمى خُطبة من أجل الخِطبة، والآن بطلت هذه العادة، الخِطبة هي الحفل الذي يلقي فيه الخاطب خطبة. ومنها الخطْب (ما خطبكما) أي المصيبة الكبرى وصاحب المصيبة الكبرى كثير الكلام يشكو ويبكي ولهذا يسمى خطْبًا.

البيان: الكلام البليغ من لسان فصيح. الفصاحة وصف للسان والبلاغة وصف للكلام. يقال: كلام بليغ ولسان فصيح. موسى كان في غاية الدقة

والفصاحة فقال ﴿هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا﴾ [القصص: 34] لم يقل أبلغ مني لساناً. البيان يعني لغة الشعراء والأدباء والمتحدثين البارعين وأصحاب الباع الطويل في صناعة الكلام والجمل، أهل البيان. وأعظم بيان هو القرآن الكريم ومن إعجازه أن علّمك الله تعالى البيان ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ ۝ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝﴾ [الرحمٰن: 3-4]، ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ [القيامة: 19] كل كلام شرّاح الفقه واللغة يسمى بياناً لأنهم يوضحون الأمر بكلام بليغ من لسان فصيح. اشتقاقاتها: بان وتبين واستبان.

هذه هي وظائف اللسان. وباختصار: الكلام صوت فيه حروف تشكل كلمة، النطق الكلام بصوت مسموع بعد سكون، الهمس الكلام بدون صوت، اللفظ رمي الكلام أو إخراجه بقوة لحماسة أو حب أو مدح أو ذم، القول هو الكلام المفهوم، الحديث الكلام عن موضوع واحد، الخطاب كلام مهم بين يدي ملك أو جمع له قيمة في ذلك الاختصاص، الذكر كلام مهم وهو كلام حق لكل الناس أفراداً وجماعات، البيان كلام بليغ من لسان فصيح.

إذاً الذكر هو الكلام الجميل. فلان يذكرك بخير، فلان له ذكرٌ بين الناس. لكل عبد ذكر في السماء كما له ذكر في الأرض، كل واحد له صيت في الدنيا، يقال: فلان العالِم، المجاهد، الكريم، العادل، وفي الملأ الأعلى له نفس الصيت. يقال عن عمر بن عبد العزيز عمر العادل. الذكر هو الكلام الجميل بمنظومة الجمال المتعددة بذكر محاسنه ومآثره، نصائح، مآثر. بتغنيك به: تتغنى بأمك، بأبيك، بشعبك، بأرضك كلها ذكر، وأعظم ما يقول اللسان وما من كلمة من كلمات هذه المنظومة التي هي من وظائف اللسان أقدس من كلمة الذكر فأجلّ وظائف اللسان هي الذكر. كل من لهم ذكر فهو جميل. وأعظم أنواع الذكر أن تذكر الله عَزَّ وَجَلَّ. عندما تقول كلمة الذكر مضافة (ذكر الملك، ذكر العلم) لكن عندما تطلق كلمة الذكر فهي تعني ذكر الله. الذكر هذا ذكر الله من خصائص هذه الأمة وهذا من خيريتها ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ [آل عمران: 110] ما من أمة على وجه الأرض ذكر الله عَزَّ وَجَلَّ على لسانها على مدى الساعة والدقيقة إلا هذه الأمة. على

مدى النهار الله تعالى ملازم لكل عبارة من عبارات التخاطب. هذه الأمة تذكر الله تعالى على مدار الدقيقة، إن الله عَزَّوَجَلَّ في قلوبها، وما من أمة بلغ حبها لله تعالى ولرسوله كما بلغت عند هذه الأمة. عندما تسمع أحاديث الترغيب أو البشائر كما قال تعالى ﴿لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا﴾ [مريم: 97] «**من قال لا إله إلا الله مصدقاً بها قلبه دخل الجنة وإن زنى وإن سرق**» عقولنا لا تحيط بالله تعالى وكذلك لا تحيط بكرمه أيضاً فهو سبحانه كريم وجواد. ليس في قدرتك الإحاطة بكرم الله تعالى مع هذا عندما تتأمل وترى كم أن الأمة ذكّارة: من أن تستيقظ إلى ساعة ما تنام وهي تذكر الله تعالى طول النهار. هذا من حيث العموم وكذلك جعل الله تعالى لهذه الأمة عبادة لم تسبق إليها أمة في كل الأمم وهي ذكر الله تعالى ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ﴾ [العنكبوت: 45] ذكر الله أكبر من الصلاة كيف نفهم هذا؟ أيهما أعظم؟ أن تبني للملك مشروعاً اقتصادياً هائلاً أو قصراً عظيماً أو تخترع له آلة جديدة أو أنك تقول فيه كلاماً جميلاً يدخل السعادة والرضى على قلبه؟. هناك فرق بين من ترضي عقله ومن ترضي قلبه: قصيدة واحد أو كلمة طيبة واحدة أو عبارة مدح واحدة لملك من الملوك الكرماء قد تنال من رضاه وعطائه وحبه ما لا ينال صاحب مشروع عظيم قضى عمره فيه. واحد جلس ساعة يقول سبحان الله وبحمده والآخر في هذه الساعة كان يصلي ويصوم ويجاهد أو ينفق أو يعمل عملاً صالحاً. هذه الساعة التي كان هذا يسبح فيها الله، أحب إلى الله تعالى وأعظم أجراً وعطاء من كل ما فعل الآخرون المجاهدون والمعلمون والحكام والبارون بوالديهم. «**ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وخير من إنفاق الورق والذهب وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فيضربوا رقابكم وتضربوا رقابهم؟** قالوا: بلى يا رسول الله، قال: **ذكر الله**» قال تعالى: ﴿مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ﴾ [إبراهيم: 24-25] لا إله إلا الله تصعد وحدها كالشهاب والأعمال الصالحة ترفعها الملائكة. أنت عملت عملاً فسمعه

الملك بأُذنيه منك مباشرة، وغيرك عمل عملاً أُخبِر به الملك من غيرك ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: 10] جميع الأعمال الصالحة ترفعها الملائكة إلا الكلم الطيب أو التوحيد (لا إلٰه إلا الله) فتصعد لوحدها فيها قوة اندفاع وتبقى تتردد إلى يوم القيامة ويتوالى ثوابها.

فالذكر أعظم العبادات كما في الأحاديث.

كل عبادة لها حدود، فالصلاة حدود: أركان وشروط وأزمنة، والصيام كذلك له حدود، والزكاة كذلك، إلا الذكر فهو مطلق بلا زمان ولا مكان ولا عدد ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ﴾ [البَقَرَة: 203] ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ﴾ [الأحزَاب: 35] هذه العبادة مطلقة افعلها ما شئت. وهناك حديث عجيب: «**اذكروا الله حتى يقال مجنون**» معناه: أنه لا قيد عليك: قعوداً ﴿قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: 191]. أدِّها كما تريد بذوقك والقيد الوحيد هو أن لا تصرخ «**رويدكم فإنكم لا تدعون أصم**» ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [البَقَرَة: 190] أي الصراخ والصوت العالي جداً في الدعاء. ما عدا هذا يمكنك أن تذكر الله تعالى في كل طريقة وفي كل حال وحدك، قائماً، قاعداً، وعلى جنبك فهذا ما يوصلك إلى الله تعالى بمسافة أقل من عبادات أخرى.

هذه الأمة محدّثة وفيها خوارق كما في سائر الأمم كان لهم خوارق (عيسى وموسى وأممهم وغيرهم) لكن ليس بالشيوع والكثرة التي عند هذه الأمة. كل واحد يحاول أن يكون له ورد محدود، فالذكر المحسوب المحدد تأثيره أكثر من غيره (تسبيح 33 مرة، تهليل 33 مرة، تكبير 33 مرة)، مئة مرة سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم، استغفار للمؤمنين والمؤمنات 25 مرة، 7 مرات تقول: حسبنا الله ونعم الوكيل، هذا المعدود يؤثر تأثيراً كاملاً. هذه الأوراد المأثورة عن الرسول ﷺ في الكتاب والسنة إذا داومت عليها بشكل معين في الثلث الأخير من الليل، بعد أن تصلي ركعيتن تهجّداً وتجلس على مصلاّك ولك ورد يومي في هذه الساعة. وهناك مأثورات كثيرة اختر منها ما تشاء بخشوع وحضور قلب، فمن

النادر ألا ترى شيئاً خارقاً. (الصحابي الذي قرأ البقرة فقط حتى نزلت الملائكة تستمع إليه).

كل من يذكر الله عَزَّوَجَلَّ بشكل دؤوب ومرتب ومنظّم بمواعيد معينة ثم يدعو الله تعالى بإحضار القلب لا بد في النهاية إلا أن يرى شيئاً، نوراً، فتحاً، حركة، يسمع آخرين لا يراهم يرددون معه نفس الذكر على شرط أن يكون قلبه قوياً لأن بعض الناس فقدوا عقولهم. تأثير الذكر في النفس الإسلامية تأثير عجيب إذا داومت عليه يقول تعالى في الحديث القدسي: **(أنا جليس من ذكرني)** كلما ذكرته سبحانه وتعالى جالسك الله تعالى: لم يقل: هو جليسي ولكنه تعالى قال: «**أنا جليس من ذكرني**»، فماذا تنتظر من جماعة الله تعالى جليسهم؟.

حديث: «**إن الرجل ليلقي بالكلمة لا يلقي لها بالاً تهوي به في النار سبعين خريفاً**» الكلمة التي تؤدي لسخط الله تعالى هي الشِرك، الغيبة، البهتان، النميمة، كلمة زور أو كلمة تساعد **على** قتل أو إيذاء مسلم «**من أعان على قتل مسلم بشق كلمة بُعث يوم القيامة مكتوباً على جبهته آيس من رحمة الله**»، «**إذا التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول في النار**». بينما كلمة لا إلٰه إلا الله، كلمة حق وكلمة حق عند سلطان جائر، شهادة حق كلها من الكلمة الطيبة. لا إلٰه إلا الله كلمة لها قيمة، وكم من العباد يقولون الحق في موطن قد يكلفهم أنفسهم أو يدفعون حياتهم ثمناً لها. ومن أعظمها اليوم، عندما تكون في مجلس يغتاب فيه أحد فقال أحدهم: اتقوا الله لا تغتابوا، ودافع عن الذي يغتابونه وحمى ظهره، فهذه وحدها تنجيه يوم القيامة والله تعالى يحاسبه عليها حساب الكِرام. رب العالمين يجزي الطيبين بأحسن الذي كانوا يعملون، ويجزي السيئين بأسوأ الذي كانوا يعملون (غيبة، شرك، بهتان لا يتجاوز عنها الله تعالى) لكرم الله تعالى وجوده وسخائه والسخاء خُلُق الله تعالى الأعظم: فالكلمة الواحدة قد تهلك الإنسان والكلمة الواحدة قد تنجيه نجاة ما بعدها هلاك. الذكر يختزل كل العبادات فقد تكون

الصلاة أو الصوم أو الزكاة غير خاشعة ومنضبطة لكن ذكرك لله تعالىٰ كان ذكراً يحبه الله تعالى خفية وخيفة وقياماً وقعوداً بهذا الذكر تختزل جميع العبادات الأخرى كما في الأحاديث المتفق على صحتها. ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: 21] لم يقل: صلى وصام وزكى وإنما قال: وذكر، لأن الذكر أعظم. (ذكراً كثيراً) ذكر مطلق ليس كالعبادات بعدد وكما ذكرنا في الحديث: «**اذكروا الله حتى يقول المنافقون مراؤون**» ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ [المُزمّل: 8] لا يكون بلسانك فقط وإنما بلسانك ويمس شغاف قلبك، في الأوقات التي فيها نصوص تنقطع عن الدنيا وتتأمل أن الله تعالى جليسك بما يليق بجلاله يحدث لها فتوحات ربانية في العلم والفهم والكرامات بشكل غير منقطع.

﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ [النِّساء: 103] أي في كل حال. ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفَال: 2] ارتباط القلب باللسان عند الذكر ضرورة. ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الحديد: 16]. الذكر يأتي عادة بعد العبادات ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [البَقَرَة: 200] وهو قمة العبادة. «**أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني**» «قالوا: يا رسول الله أي الأعمال أفضل؟ قال: **أن تموت ولسانك رطب بذكر الله**» **يقول** ﷺ في اختزال العبادات: «**من عجِز عن الليل أن يكابده ومن بخل بالمال أن ينفقه ومن جَبُن عن العدو أن يجاهده فليكثر من ذكر الله**» قال ﷺ: «**سبق المفردون**، قالوا: من هم يا رسول الله؟ قال: **الذاكرين الله والذاكرات يضع الذكر عنهم أوزارهم**» «**المولعون بذكر الله المستهترون الذين لا يبالون ما يقال فيهم**» «**لا تجعلوني كقدح الراكب**» الله تعالى لا يقبل الدعاء أو الذكر إلا إذا كان بين صلاتين عن النبي ﷺ. «**إنما اجعلوني في أول الدعاء وفي آخره وفي أوسطه**».

من المجالس المشهودة من الملائكة: هناك مجالس شريفة، العبد فيها ضامن

على الله يخرج منها مغفوراً له كيوم ولدته أمه: زيارة مريض لوجه الله عَزَّوَجَلَّ ، مجلس إمام عادل، أو رئيس دولة عادل منصف يحب شعبه ويحبه شعبه؛ إذا جلست عنده فنصحته إذا رأيت خطأ تخرج من ذنوبك كيوم ولدتك أمك. ومنها مجالس الذكر «**إن لله ملائكة سيارين يتتبعون حلق الذكر**» مهمتهم أنهم يتبعون هذه المجالس ومولعون بها ولعاً شديداً. والله تعالى في الحديث في البخاري ومسلم يقول: **أشهدكم أني قد غفرت لهم. قالوا: يا رب إن فيهم فلاناً الخطّاء جاء لحاجة يقول تعالى بكرمه وفضله: وله غفرت إنهم القوم لا يشقى جليسهم**». مجلس علم أو ذكر تحضره الملائكة يغفر لمن فيه حتى الخطّاء الذي ليس من هؤلاء القوم، وإنما مرّ مروراً يغفر له من أجلهم. هذا الزمن الذي فيه الفتن، مجالس الذكر أصبح بعض الناس يحذرون منها، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه، وهذا الزمن سوّقت فيه البغضاء. فإياك والسفه وإياك أن تبغض أحداً وهو يقول: لا إله إلا الله فإنك هالك وتمسك بدين الأعرابي.

«**من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته من خير ما أعطي السائلين**» هناك فرح بالمنعم وفرح بالنعمة. الكرماء إذا أعطوك تحبهم لأنهم أكرموك وأنت فرح بعطائهم، ولكن هناك من إذا أُعطوا لا يفرح بالعطاء وإنما بالمعطي. هناك طبقة من أمة محمد ﷺ ومن كل الأمم السابقة من أتباع الأنبياء عشقوا الله تعالى عشقاً، فعندما يعطيه الله تعالى لا يهمه، لكنه فرِح بأن الله تعالى خصّه بالنعمة. هذا الذي يذكر الله تعالى وليس في ذهنه شيء سوى الله تعالى. «**والله لو ألقيتني في النار ما شكوت منك**» هؤلاء ثلة من الأولين وقليل من الآخرين.

ومن الأوقات الشريفة للذكر بين المغرب والعشاء.

إذاً من أعظم وظائف اللسان أن تذكر الله عَزَّوَجَلَّ ، والحديث عن ذكر الله عظيم.

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الذال والكاف والراء أصلان، عنهما يتفرَّع كَلِمُ الباب. فالمُذْكِرُ: التي وَلَدَتْ ذكراً. والمِذْكَارُ. التي تَلِد الذُّكْرانَ عادةً. والأصل الآخر: ذَكَرْتُ الشيء: خلافُ نسِيتُه. ثم حمل عليه الذِّكْر باللِّسان. ويقولون: اجعلْه منك على ذُكْرٍ، بضم الذال، أي: لا تَنْسَه. والذِّكر والشَّرَف. وهو قياس الأصل. ويقال: رجلٌ ذَكِرٌ وذكيرٌ، أي: جيِّد الذِّكْر شَهْمٌ.

قال الخليل[2]: الذِّكْرُ: الحفظ للشيء تذكره، وهو مني على ذكر. والذِّكرُ: جري الشيء على لسانك، تقول جرى منه ذِكر. والذِّكْر: الشرف والصوت، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف: 44] والذِّكْرُ: الكتاب الذي فيه تفصيل الدين. وكل كتاب للأنبياء: ذِكرٌ. والذِّكْرُ: الصلاة، والدعاء، والثناء. والأنبياء إذا حزبهم أمر فزعوا إلى ذكر الله، أي: الصلاة. والذِّكَرَى: اسم للتذكير، والتذكير مجاوز.

والذَّكَر من الحديد: أيبسه وأشده، وبه سمي السيف مُذَكَّراً، وبه يُذَكَّرُ القدوم، والفأس ونحوه. وامرأة مُذَكَّرَةٌ، وناقة مُذَكَّرَةٌ: إذا كانت في خلقة الذَّكَر، أو شبيهه في شمائلها. وأذْكَرتِ الناقة والمرأة: إذا ولدت ذَكَراً. وامرأة مِذْكَارٌ: إذا أكثرت من ولادة الذُّكُور. ويقال للحبلى في الدعاء: أيسرت وأَذْكَرَتْ، أي: يسر عليها وولدت ذكراً. والاسْتِذْكَارُ: الدراسة للحفظ. والتَّذَكُّر: طالب ما قد فات.

قال الجوهري[3]: الذَّكَرُ: خلاف الأُنْثى. والجمع ذُكورٌ، وذُكْرانٌ، وذِكارَةٌ أيضاً. والذَّكَرُ العَوْفُ، والجمع المَذاكيرُ على غير قياس، كأنَّهم فرَّقوا بَيْنَ الذَّكَرِ

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) العين.
(3) الصحاح في اللغة.

الذي هو الفَحْلَ وبين الذَّكَرِ الذي هو العضْو، في الجمع. ورجل ذِكِّيرٌ: جيّد الذِّكْرِ والحِفْظِ. والتَّذْكِيرُ: خلاف التأنيث. والذِّكْرُ والذِّكْرى، بالكسر: خلاف النِسْيانِ. وكذلك الذُّكْرَةُ.

المعنى المشترك لكلمة (ذ ك ر)

وقد وردت كلمة (ذكر) في القرآن الكريم على ثمانية عشر وجهاً:

الوجه الأول: الذكر يعني به العمل الصالح ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البَقَرَة: 152].

الوجه الثاني: الذكر باللسان ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ [البَقَرَة: 200].

الوجه الثالث: الذكر بالقلب ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عِمرَان: 135].

الوجه الرابع: الذكر بمعنى: اذكر أمري عند فلان ﴿ٱذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ [يُوسُف: 42].

الوجه الخامس: الذكر بمعنى: الحفظ ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البَقَرَة: 63].

الوجه السادس: الذكر بمعنى: العظة ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾ [الأنعَام: 44].

الوجه السابع: الذكر بمعنى: الشرف ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزّخرُف: 44].

الوجه الثامن: الذكر بمعنى: الخبر ﴿هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي﴾ [الأنبيَاء: 24].

الوجه التاسع: الذكر بمعنى: الوحي ﴿أَءُلْقِيَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا﴾ [القمر: 25].

الوجه العاشر: الذكر يعني: القرآن الكريم ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحِجر: 9].

الوجه الحادي عشر: الذكر يعني: التوراة ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾ [النّحل: 43].

الوجه الثاني عشر: الذكر يعني: اللوح المحفوظ ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّـٰلِحُونَ﴾ [الأنبياء: 105].

الوجه الثالث عشر: الذكر يعني: البيان ﴿صٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ﴾ [ص: 1].

الوجه الرابع عشر: الذكر يعني: التفكر ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾ [ص: 87].

الوجه الخامس عشر: الذكر يعني: الصلوات الخمس ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾ [البَقَرَة: 239].

الوجه السادس عشر: الذكر يعني: الصلاة الواحدة ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الجُمُعَة: 9].

الوجه السابع عشر: الذكر يعني: التوحيد ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: 124].

الوجه الثامن عشر: الذكر يعني: الرسول ﷺ: ﴿قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾ [الطّلَاق: 10].

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَـٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء: 10].

قال الفخر الرازي[1]: ﴿ذِكْرُكُمْ﴾ وفيه ثلاثة أوجه: أحدها؛ ذكر شرفكم وصيتكم، كما قال: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزّخرُف: 44]. وثانيها: المراد فيه

(1) التفسير الكبير.

تذكرة لكم لتحذروا ما لا يحل وترغبوا فيما يجب، ويكون المراد بالذكر الوعد والوعيد، كما قال: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذّاريَات: 55]. وثالثها: المراد ذكر دينكم ما يلزم وما لا يلزم لتفوزوا بالجنة إذا تمسكتم به وكل ذلك محتمل، وقوله: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ كالبعث على التدبر في القرآن لأنهم كانوا غفلاء لأن الخوض من لوازم الغفلة والتدبر دافع لذلك الخوض ودفع الضرر عن النفس من لوازم الفعل فمن لم يتدبر فكأنه خرج عن العقل.

قال الشعراوي(1): وقوله تعالى: ﴿فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ [الأنبيَاء: 10].. الذكر: سبق أنْ أوضحنا أن الذكر يُطلق بمعنى: القرآن، أو بمعنى: الكتب المنزّلة، أو بمعنى: الصِّيت والشرف. أو بمعنى: التذكير أو التسبيح والتحميد. والذكر هنا قد يُرَاد به تذكيرهم بالله خالقاً، وبمنهجه الحق دستوراً، ولو أنكم تنبهتم لما جاء به القرآن لعرفتُم أن الفطرة تهدي إليه وتتفق معه، ولعرفتم أن القرآن لم يتعصّب ضدكم، بدليل أنه أقرَّ بعض الأمور التي اهتديتم إليها بالفطرة السليمة ووافقكم عليها. ومن ذلك مثلاً الدِّيَة في القتل هي نفس الدية التي حدَّدها القرآن، مسائل الخطبة والزواج والمهر كانت أموراً موجودة أقرها القرآن، كثيرون منهم كانوا يُحرِّمون الخمر ولا يشربونها، هكذا بالفطرة، وكثيرون كانوا لا يسجدون للأصنام، إذن: الفطرة السليمة قد تهتدي إلى الحق، ولا تتعارض ومنهجَ الله. أو: يكون معنى ﴿ذِكْرُكُمْ﴾ [الأنبيَاء: 10]... شرفكم وصيْتكم ومكانتكم ونباهة شأنكم بين الأمم؛ لأن القرآن الذي نزل للدنيا كلها نزل بلغتكم، فكأن الله تعالى يثني عقول الناس جميعاً، ويثني قلوبهم للغتكم، ويحثّهم على تعلّمها ومعرفتها والحديث بها ونشرها في الناس، فمَنْ لم يستطع ذلك ترجمها، وأيُّ شرف بعد هذا؟!.

● **قال تعالى**: ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ [الأنبياء: 50].

---

(1) تفسير الشعراوي.

قال الطبري(1): يقول جلّ ثناؤه: وهذا القرآن الذي أنزلناه إلى محمد ﷺ ذِكْرٌ لمن تذكر به، وموعظة لمن اتعظ به.

قال البيضاويّ(2): ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ﴾ يعني القرآن.

قال أبو السعود(3): ﴿وَهَٰذَا﴾ أي القرآنُ الكريم أشير إليه بهذا إيذاناً بغاية وضوحِ أمرِه ﴿ذِكْرٌ﴾ يُتذكّر، وُصف بالوصف الأخير للتوراة لمناسبة المقام وموافقتِه لما مر في صدر السورةِ الكريمة.

● **قال تعالى**: ﴿هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ ۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: 24].

قال العزّ بن عبد السلام(4): (ذِكْرُ مَن مَّعِىَ) بما يلزمهم من حلال وحرام ﴿وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ۗ﴾ ممن نجا بالإيمان وهلك بالشرك، أو ذِكرُ من معي بإخلاص التوحيد في القرآن وذِكرُ من قبلي في التوراة والإنجيل.

قال الماوردي(5): ﴿هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ۗ﴾ فيه وجهان: أحدهما: هذا ذكر من معي بما يلزمهم من الحلال والحرام، وذكر من قبلي ممن يخاطب من الأمم بالإيمان، وهلك بالشرك، قاله قتادة.

الثاني: ذكر من معي بإخلاص التوحيد في القرآن، وذكر من قبلي في التوراة والإنجيل، حكاه ابن عيسى.

● **قال تعالى**: ﴿صٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ﴾ [ص: 1].

قال الزمخشري(6): ومعناه: أقسم بالسورة الشريفة والقرآن ذي الذكر، كما تقول: مررت بالرجل الكريم وبالنسمة المباركة، ولا تريد بالنسمة غير الرجل.

---

(1) جامع البيان.
(2) أنوار التنزيل.
(3) إرشاد العقل السليم.
(4) التفسير العظيم.
(5) النكت والعيون.
(6) الكشاف.

والذكر: الشرف والشهرة، من قولك: فلان مذكور، ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزّخرُف: 44] أو الذكرى والموعظة، أو ذكر ما يحتاج إليه في الدين من الشرائع وغيرها، كأقاصيص الأنبياء والوعد والوعيد.

قال ابن عجيبة(1): ﴿ذِى ٱلذِّكْرِ﴾ أي: ذي الشرف التام، الباقي، المخلَّد لمَن تمسّك به، أو ذي الوعظ البليغ لمَن اتعظ به، أو ذي الذكر للأمم والقصص والغيوب. أو: يراد به الجميع. وجواب القسم: محذوف، أي: إنه لكلام معجز، أو: إنه لَمن عند الله، أو: إن محمداً لصادق، أو: ما الأمر كما يزعمون، أو: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [يس: 3] وقيل: ﴿إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ﴾ [ص: 14] أو: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ﴾ [ص: 64] وهو بعيد.

● **قال تعالى**: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النّحل: 43].

قال الشعراوي(2): ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ . أي: إذا غابتْ عنكم هذه القضية، قضية إرسال الرسل من البشر - ولا أظنها تغيب - لأنها عامة في الرسالات كلها. وما كانت لتخفَى عليكم خصوصاً وعندكم أهل العلم بالأديان السابقة، مثل ورقة بن نوفل وغيره، وعندكم أهل السِّيَر والتاريخ، وعندكم اليهود والنصارى. . فاسألوا هؤلاء جميعاً عن بشرية الرسل. فهذه قضية واضحة لا تُنكر، ولا يمكن المخالفة فيها. . وماذا سيقول اليهود والنصارى؟. . موسى وعيسى. . إذنْ بشر.

قال الواحدي(3): ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾ يعني: أهل التَّوراة فيخبرونكم أنَّ الأنبياء كلَّهم كانوا بشراً.

● **قال تعالى**: ﴿قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ۝١٠ رَّسُولًا يَتْلُوا۟﴾ [الطلاق: 10-11].

---

(1) البحر المديد.
(2) تفسير الشعراوي.
(3) الوجيز.

قال القرطبي[1]: إن المعنى قد أنزل الله إليكم صاحب ذكر رسولاً؛ ف «رسولاً» نعت للذكر على تقدير حذف المضاف. وقيل: إن رسولاً معمول للذكر لأنه مصدر؛ والتقدير: قد أنزل الله إليكم رسولاً. ويكون ذكره الرسول قوله: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ [الفَتْح: 29]. ويجوز أن يكون «رَسُولاً» بدلا من ذكر، على أن يكون «رَسُولاً» بمعنى رسالة، أو على أن يكون على بابه ويكون محمولا على المعنى، كأنه قال: قد أظهر الله لكم ذكراً رسولاً، فيكون من باب بدل الشيء من الشيء وهو هو. ويجوز أن ينتصب «رَسُولاً» على الإغراء كأنه قال: اتبعوا رسولاً. وقيل: الذكر هنا الشرف، نحو قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ [الأنبياء: 10]، وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزّخرُف: 44]، ثم بيّن هذا الشرف فقال: «رَسُولاً». والأكثر على أن المراد بالرسول هنا محمد ﷺ. وقال الكلبيّ: هو جبريل، فيكونان جميعاً منزلين. ﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [الطّلَاق: 11] نعت لرسول. و«آياتِ الله» القرآن. (مُبَيَّناتٍ) قراءة العامة بفتح الياء؛ أي بيّنها الله. وقرأ ابن عامر وحفص وحمزة والكسائي بكسرها، أي يبيّن لكم ما تحتاجون إليه من الأحكام. والأولى قراءة ابن عباس واختيار أبي عبيد وأبي حاتم، لقوله تعالى: ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ [آل عِمرَان: 118]. ﴿لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الطّلَاق: 11] أي من سبق له ذلك في علم الله. ﴿مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ [البَقَرَة: 257] أي من الكفر. ﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البَقَرَة: 257] الهدى والإيمان. قال ابن عباس: نزلت في مؤمني أهل الكتاب. وأضاف الإخراج إلى الرسول لأن الإيمان يحصل منه بطاعته.

● **قال تعالى:** ﴿فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ﴾ [الكهف: 63].

---

(1) الجامع لأحكام القرآن.

قال الطبري[1]: ﴿أَنْ أَذْكُرَهُۥ﴾ [الكهف: 63] فأن في موضع نصب ردّاً على الحوت، لأن معنى الكلام: وما أنساني أن أذكر الحوت إلا الشيطان سبق الحوت إلى الفعل، وردّ عليه قوله ﴿أَنْ أَذْكُرَهُۥ﴾ [الكهف: 63] وقد ذكر أن ذلك في مصحف عبد الله: «وما أنسانيه أن أذكره إلا الشيطان».

قال الألوسي[2]: ﴿أَنْ أَذْكُرَهُۥ﴾ [الكهف: 63] بدل اشتمال من الهاء أي ما أنساني ذكره لك إلا الشيطان، قيل وفي تعليق الفعل بضمير الحوت أولاً وبذكره له ثانياً على طريق الإبدال المنبىء عن تنحيته المبدل منه إشارة إلى أن متعلق النسيان ليس نفس الحوت بل ذكر أمره. وفي مصحف عبد الله وقراءته (أن أذكركه). وفي إيثار أن والفعل على المصدر نوع مبالغة لا تخفى.

● **قال تعالى**: ﴿فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [البقرة: 198].

قال الفخر الرازي[3]: ﴿فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ﴾ تدل على أن الذكر عند المشعر الحرام يحصل عقيب الإفاضة من عرفات، وما ذاك إلا بالبيتوتة بالمزدلفة.

اختلفوا في الذكر المأمور به عند المشعر الحرام فقال بعضهم: المراد منه الجمع بين صلاتي المغرب والعشاء هناك والصلاة تسمى ذكراً قال الله تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ﴾ [طه: 14] والدليل عليه أن قوله: ﴿فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ﴾ أمر وهو للوجوب، ولا ذكر هناك يجب إلا هذا، وأما الجمهور فقالوا: المراد منه ذكر الله بالتسبيح والتحميد والتهليل، وعن ابن عباس أنه نظر إلى الناس في هذه الليلة وقال: كان الناس إذا أدركوا هذه الليلة لا ينامون. أما قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ﴾: والمعنى أن توقيف الذكر

(1) جامع البيان.
(2) روح المعاني.
(3) التفسير الكبير.

على المشعر الحرام فيه إقامة لوظائف الشريعة، فإذا عرفت هذا قربت إلى مراتب الحقيقة، وهو أن ينقطع قلبك عن المشعر الحرام، بل عن من سواه فيصير مستغرقاً في نور جلاله وصمديته، ويذكره لأنه هو الذي يستحق لهذا الذكر ولأن هذا الذكر يعطيك نسبة شريفة إليه بكونك في هذه الحالة تكون في مقام العروج ذاكراً له ومشتغلاً بالثناء عليه، وإنما بدأ بالأول وثنى بالثاني لأن العبد في هذه الحالة يكون في مقام العروج فيصعد من الأدنى إلى الأعلى وهذا مقام شريف لا يشرحه المقال ولا يعبر عنه الخيال، ومن أراد أن يصل إليه، فليكن من الواصلين إلى العين، دون السامعين للأثر.

● **قال تعالى:** ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ [البقرة: 200].

قال الزمخشري[1]: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ﴾ فأكثروا ذكر الله وبالغوا فيه كما تفعلون في ذكر آبائكم ومفاخرهم وأيامهم.

وكانوا إذا قضوا مناسكهم وقفوا بين المسجد بمنى وبين الجبل، فيعدّدون فضائل آبائهم ويذكرون محاسن أيامهم. ﴿أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ في موضع جر عطف على ما أضيف إليه الذكر في قوله: ﴿كَذِكْرِكُمْ﴾ كما تقول كذكر قريش آباءهم، أو قوم أشدّ منهم ذكراً. أو في موضع نصب عطف على آباءكم، بمعنى أو أشدّ ذكراً من آبائكم، على أن ذكراً من فعل المذكور ﴿فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ﴾ معناه أكثروا ذكر الله ودعاءه فإنّ الناس من بين مقل لا يطلب بذكر الله إلا أعراض الدنيا، ومكثر يطلب خير الدارين، فكونوا من المكثرين.

قال العزّ بن عبد السلام[2]: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ بالتكبير أيام منى، أو بجميع ما سُّن من الأدعية بمواطن الحج كلها. ﴿كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ﴾ كانوا إذا فرغوا من الحج

(1) الكشاف. (2) التفسير العظيم.

جلسوا بمنى وافتخروا بمناقب آبائهم فنزلت، أو كذكر: الصغير لأبيه إذا قال: يا بابا، أو كان أحدهم يقول: اللهم إن أبي كان عظيم الجفنة عظيم القبة كثير المال فاعطني مثل ما أعطيته فلا يذكر غير أبيه.

● **قال تعالى**: ﴿لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان: 1].

قال الطبري(1): ومعنى قوله: ﴿لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾: لم يكن شيئاً له نباهة ولا رفعة، ولا شرف، إنما كان طيناً لازباً وحمأ مسنوناً.

وقال آخرون: لا حدّ للحين في هذا الموضع وقد يدخل هذا القول من أن الله أخبَر أنه أتى على الإنسان حين من الدهر، وغير مفهوم في الكلام أن يقال: أتى على الإنسان حين قبل أن يوجد، وقبل أن يكون شيئاً، وإذا أُريد ذلك قيل: أتى حين قبل أن يُخلق، ولم يقل أتى عليه. وأما الدهر في هذا الموضع، فلا حدّ له يوقف عليه.

قال الشوكاني(2): ﴿لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ في قال الفراء، وقطرب، وثعلب: المعنى أنه كان جسداً مصوّراً تراباً وطيناً لا يذكر، ولا يعرف ولا يدرى ما اسمه، ولا ما يراد به، ثم نفخ فيه الروح فصار مذكوراً. وقال يحيى بن سلام: لم يكن شيئاً مذكوراً في الخلق، وإن كان عند الله شيئاً مذكوراً. وقيل: ليس المراد بالذكر هنا الإخبار، فإن إخبار الربّ عن الكائنات قديم، بل هو الذكر بمعنى الخطر والشرف، كما في قوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف: 44]. قال القشيري: ما كان مذكوراً للخلق وإن كان مذكوراً لله سبحانه. قال الفراء: كان شيئاً ولم يكن مذكوراً. فجعل النفي متوجهاً إلى القيد. وقيل المعنى: قد مضت أزمنة وما كان آدم شيئاً، ولا مخلوقاً ولا مذكوراً لأحد من الخليقة. وقال مقاتل: في الكلام تقديم وتأخير، وتقديره: هل أتى حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً؛ لأنه خلقه بعد خلق الحيوان كله، ولم يخلق بعده حيوان.

---

(1) جامع البيان.
(2) فتح القدير.

● قال تعالى: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا﴾ [مريَم: 67].

قال القرطبي[1]: أي أولاً يذكر هذا القائل: ﴿أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ﴾ أي من قبل سؤاله وقوله هذا القول ﴿وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا﴾ فالإعادة مثل الابتداء فلم يناقض. وقرأ أهل الكوفة إلا عاصماً، وأهل مكة وأبو عمرو وأبو جعفر «أَوَلاَ يَذَّكَّرُ». وقرأ شيبة ونافع وعاصم ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ﴾ بالتخفيف. والاختيار التشديد وأصله يتذكر؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الرّعد: 19] وأخواتها. وفي حرف أبيّ «أَوَلاَ يَتَذَكَّرُ» وهذه القراءة على التفسير لأنها مخالفة لخط المصحف. ومعنى «يَتَذَكَّرُ» يتفكر، ومعنى «يَذْكُرُ» يتنبه ويعلم؛ قاله النحاس.

قال الشعراوي[2]: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ [مريَم: 67] أي: لو تذكّر هذه الحقيقة ما كذَّب بالبعث، وقد عولجت هذه المسألة أيضاً في قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ [يس: 78]. فلو تذكّر خَلْقه الأول ما ضرب لنا هذا المثل. ثم يأتي الجواب منطقياً: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: 79].

● قال تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العَنكبوت: 45].

قال ابن عجيبة[3]: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾، أي: ولذكر الله، على الدوام، أكبر، في النهي من الفحشاء والمنكر، من الصلاة؛ لأنها في بعض الأوقات. فالجزء الذي في الصلاة ينهى عن الفحشاء الظاهرة، والباقي ينهى عن الفحشاء الباطنة، وهو أعظم، ولأن الانتهاء لا يكون إلا من ذاكرٍ لله، مراقبٍ له، وثواب ذلك الذكر أن يذكر الله تعالى؛ لقوله: ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البَقَرَة: 152]. ومن ذَكَرَه

(1) الجامع لأحكام القرآن.
(2) تفسير الشعراوي.
(3) البحر المديد.

حَفِظَهُ ورعاه. أو: لذكر الله أكبر؛ أجراً، من الصلاة، ومن سائر الطاعات، كما في الحديث: «ألا أنبئكم بخيرِ أعمالكمْ، وأزكْاهَا عند مليككم، وأرفَعِهَا في درجاتكم، وخيرٍ لكم من إنفاق الذهب والوَرِق، وخيرٍ لكم من أن تَلْقَوْا عدوكم فتضربُوا أعناقهم ويضربوا اعناقكمْ؟ قالوا: وما ذلك يا رسول الله؟ قال ذِكْرُ الله» وسئل أي الأعمال أفضل؟ قال: «أن تموتَ ولسانُكَ رَطْبٌ من ذكر الله».

قيل: المراد بذكر الله هو الصلاة نفسها، أي: وَللصلواتُ أكبر من سائر الطاعات، وإنما عبّر عنها بذكر الله؛ ليشعر بالتعليل، كأنه قال: والصلاة أكبر؛ لأنها ذكر الله. وعن ابن عباس: ولذكر الله لكم إياكم، برحمته، أكبر من ذكركم إياه بطاعته. وقال ابن عطاء ذكر الله لكم أكبر من ذكركم له؛ لأن ذكره بلا علة، وذكركم مشوب بالعلل والأماني، ولأن ذكره لا يفنى، وذكركم يفنى. أو: لذكر الله أكبر من أن تفهمه أفهامكم وعقولكم. أو: ذكر الله أكبر من أن تبقى معه معصية.

● **قال تعالى**: ﴿وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [صٓ: 43].

قال أبو السعود(1): ولتذكيرِهم بذلك ليصبروا على الشَّدائدِ كما صبرَ ويلجأوا إلى الله عزَّ وجلّ فيما يحيقُ بهم كما لجأ ليفعلَ بهم ما فعلَ به من حُسن العاقبةِ.

قال الخازن(2): ﴿وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ يعني سلَّطنا البلاء عليه فصبر، ثم أزلناه عنه وكشفنا ضره فشكر فهو موعظة لذوي العقول والبصائر.

قال العزّ بن عبد السلام(3): ﴿وَذِكۡرَىٰ﴾ عبرة لذوي العقول.

● **قال تعالى**: ﴿وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الذّاريات: 55].

قال الفخر الرازي(4): يعني ليس التولي مطلقاً، بل تول وأقبل وأعرض

(1) إرشاد العقل السليم.
(2) لباب التأويل.
(3) التفسير العظيم.
(4) التفسير الكبير.

وادع، فلا التولي يضرك إذا كان عنهم، ولا التذكير ينفع إلا إذا كان مع المؤمنين، وفيه معنى آخر ألطف منه، وهو أن الهادي إذا كانت هدايته نافعة يكون ثوابه أكثر، فلما قال تعالى: ﴿فَتَوَلَّ﴾ [الذاريات: 54] كان يقع لمتوهم أن يقول، فحينئذ لا يكون للنبي ﷺ ثواب عظيم، فقل بلى وذلك لأن في المؤمنين كثرة، فإذا ذكرتهم زاد هداهم، وزيادة الهدى من قوله كزيادة القوم، فإن قوماً كثيراً إذا صلّى كل واحد ركعة أو ركعتين، وقوماً قليلاً إذا صلّى كل واحد ألف ركعة تكون العبادة في الكثرة كالعبادة عن زيادة العدد، فالهادي له على عبادة كل مهتد أجر، ولا ينقص أجر المهتدي، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا﴾ [القَلَم: 3] أي وإن توليت بسبب انتفاع المؤمنين بل وحالة إعراضك عن المعاندين، وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ يحتمل وجوهاً: أحدها: أن يراد قوة يقينهم كما قال تعالى: ﴿لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا﴾ [الفَتْح: 4] وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [التّوبَة: 124] وقال تعالى: ﴿زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾ [محَمَّد: 17] ثانيها: تنفع المؤمنين الذين بعدك فكأنك إذا أكثرت التذكير بالتكرير نقل عنك ذلك بالتواتر فينتفع به من يجيء بعدك من المؤمنين ثالثها: هو أن الذكرى إن أفاد إيمان كافر فقد نفع مؤمناً لأنه صار مؤمناً، وإن لم يفد يوجد حسنة ويزاد في حسنة المؤمنين فينتفعوا، وهذا هو الذي قيل في قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا﴾ [الزخرف: 72].

قال البغوي[1]: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، فطابت أنفسهم. قال مقاتل: معناه عِظْ بالقرآن كفار مكة، فإن الذكرى تنفع من [سبق] في علم الله أن يؤمن منهم. وقال الكلبي: عِظْ بالقرآن من آمن من قومك فإن الذكرى تنفعهم.

● **قال تعالى**: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾ [عَبَس: 11].

قال الألوسي[2]: ﴿كَلَّآ﴾ مبالغة في إرشاده ﷺ إلى عدم معاودة ما عوتب

(1) معالم التنزيل. (2) روح المعاني.

عليه ﷺ وقد نزل ذلك كما في خبر رواه ابن جرير وابن مردويه عن ابن عباس بعد أن قضى عليه الصلاة والسلام نجواه وذهب إلى أهله. وجوز كونه إرشاداً بليغاً إلى ترك المعاتب عليه عليه الصلاة والسلام بناء على أن النزول في أثناء ذلك وقبل انقضائه. وفي بعض الآثار أنه ﷺ بَعْدُ ما عبس في وجه فقير ولا تصدى لغني وتأدب الناس بذلك أدباً حسناً فقد روي عن سفيان الثوري أن الفقراء كانوا في مجلسه أمراء. والضمير في قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا﴾ للقرآن العظيم والتأنيث لتأنيث الخبر أعني قوله سبحانه: ﴿تَذْكِرَةٌ﴾ أي موعظة يجب أن يتعظ بها ويعمل بموجبها وكذا الضمير في قوله عزّ وجلّ: ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾ [المدَّثِّر: 55].

قال ابن عجيبة[1]: ﴿إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾؛ موعظة يجب أن يُتعظ بها، ويُعمل بموجبها، وهو تعليل للردع عما ذكر ببيان رتبة القرآن العظيم الذي استغنى عنه مَن تصدّى له، ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾ أي: فمَن شاء اللّهُ أن يذكره ذكره. أي: ألهمه الله الاتعاظ به، أو: مَن شاء حفظه واتعظ به، ومَن رغب عنها، كما فعله المستغني، فلا حاجة إلى الاهتمام بأمره.

وذكّر الضمير؛ لأنَّ التذكرة في معنى الذكر والوعظ. وقال أبو السعود: الضميران للقرآن، وتأنيث الأول لتأنيث خبره، وقيل: الأول للسورة، أو للآيات السابقة، والثاني للتذكرة؛ لأنها في معنى الذكر والوعظ، وليس بذلك؛ فإنَّ السورة والآيات وإن كانت متصفة بما سيأتي من الصفات الشريفة، لكنها ليست مما ألقي على المستغنى عنه، واستحق بسبب ذلك ما سيأتي من الدعاء عليه، والتعجب مِن كفره المفرط، لنزولها بعد الحادثة، وأمّا مَن جَوْز رجوعهما إلى العتاب المذكور، فقد أخطأ وأساء الأدب، وخبط خبطاً يقضي منه العجب، فتأمّل. هـ.

وحاصِلُ المعنى: أنَّ هذه الآيات - أي آيات القرآن - تذكرة، فمَن شاء فليتعظ بها، حاصلة.

(1) البحر المديد.

● **قال تعالى:** ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ﴾ [إبراهيم: 5].

قال الطبري[1]: ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ﴾ يقول عَزَّوَجَلَّ: وعظهم بما سلف من نعمي عليهم في الأيام التي خلت. فاجتزىء بذكر الأيام من ذكر النعم التي عناها، لأنها أيام كانت معلومة عندهم، أنعم الله عليهم فيها نعماً جليلة، أنقذهم فيها من آل فرعون بعد ما كانوا فيما كانوا من العذاب المهين، وغرق عدوّهم فرعون وقومه، وأورثهم أرضهم وديارهم وأموالهم. وكان بعض أهل العربية يقول: معناه: خوّفهم بما نزل بعاد وثمود وأشباههم من العذاب، وبالعفو عن الآخرين. قال: وهو في المعنى كقولك: خذهم بالشدّة واللين. وقال آخرون منهم: قد وجدنا لتسمية النعم بالأيام شاهداً في كلامهم.

وقال: فهذا شاهد لمن قال: ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ﴾ بنعم الله. ثم قال: وقد يكون تسميتها غرّاً، لعلوّهم على الملك وامتناعهم منه، فأيامهم غرّ لهم وطوال على أعدائهم. قال أبو جعفر: وليس للذي قال هذا القول، من أن في هذا البيت دليلاً على أن الأيام معناها النعم وجهٌ، لأن عمرو بن كلثوم إنما وصف ما وصف من الأيام بأنها غرّ، لعزّ عشيرته فيها، وامتناعهم على الملك من الإذعان له بالطاعة، وذلك كقول الناس: ما كان لفلان قطّ يوم أبيض، يعنون بذلك: أنه لم يكن له يوم مذكور بخير. حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، عن الثوري، عن عبيد الله أو غيره، عن مجاهد: ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ﴾ قال: بنعم الله.

قال ابن عطية[2]: ﴿وَذَكِّرْهُم﴾ الآية. أمر الله عَزَّوَجَلَّ موسى أن يعظ قومه بالتهديد بنقم الله التي أحلها بالأمم الكافرة قبلهم وبالتعديد لنعمه عليهم في المواطن المتقدمة، وعلى غيرهم من أهل طاعته ليكون جريهم على منهاج الذين أنعم عليهم وهربهم من طريق الذين حلت بهم النقمات، وعبر عن النعم والنقم بـ

(1) جامع البيان.
(2) المحرر الوجيز.

«الأيام» إذ هي في أيام، وفي هذه العبارة تعظيم هذه الكوائن المذكر بها، ومن هذا المعنى قولهم: يوم عصيب، ويوم عبوس، ويوم بسام، وإنما الحقيقة وصف ما وقع فيه من شدة أو سرور. وحكى الطبري عن فرقة أنها قالت: (أيام الله): نعمه: وعن فرقة أنها قالت: (أيام الله): نقمه.

● **قال تعالى:** ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البَقَرَة: 152].

قال ابن الجوزي(1): ﴿فَاذْكُرُونِي﴾ قال ابن عباس، وابن جبير: اذكروني بطاعتي أذكرْكم بمغفرتي. وقال إبراهيم بن السري: كما أنعمت عليكم بالرسالة، فاذكروني بتوحيدي وتصديق نبيي. قال: فان قيل: كيف يكون جواب: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا﴾ [البَقَرَة: 151]: ﴿فَاذْكُرُونِي﴾؟ فان قوله: ﴿فَاذْكُرُونِي﴾ أمر وقوله: ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ [البَقَرَة: 152] جزاؤه؛ فالجواب أن المعنى: إن تذكروني أذكركم.

قال ابن العربي(2): ﴿فَاذْكُرُونِي﴾ بالإجابة والطاعة والإرادة ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ بالمزيد والتوالي للسلوك وإفاضة نور اليقين.

● **قال تعالى:** ﴿يَبَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ﴾ [البَقَرَة: 40].

قال ابن عجيبة(3): يقول الحقّ جلّ جلاله: ﴿يَبَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ﴾ التي خصصتُكم بها، بأن فضلتكم على أهل زمانكم، وجعلت فيكم أنبياء ورسلاً، كلما انقرض نبيّ بعثت نبيّاً آخر، وجعلتكم ملوكاً وحكاماً على الناس، قبل أن تفسدوا في الأرض بقتل الأنبياء، فتكفروا بهذه النعم، فإن الإنسان حسود غيورٌ بالطبع، فإذا نظر إلى ما أنعم الله على غيره حمله الحسد والغيرة على السخط والكفران، وإذا نظر إلى ما أنعم الله به عليه حمله حب النعمة على الرضا والشكر، فاذكروا ما أنعمت به عليكم، وقيدوه بالشكر.

---

(1) زاد المسير.
(2) تفسير القرآن.
(3) البحر المديد.

قال الألوسي[1] : ﴿اذْكُرُوا﴾ أمر الذكر - بكسر الذال وضمها - بمعنى واحد، ويكونان باللسان والجنان، وقال الكسائي: هو بالكسر - للسان - وبالضم - للقلب - وضد الأول الصمت، وضد الثاني النسيان. وعلى العموم: فإما أن يكون مشتركاً بينهما، أو موضوعاً لمعنى عام شامل لهما والظاهر هو الأول، والمقصود من الأمر بذلك - الشكر على النعمة والقيامة بحقوقها - لا مجرد الأخطار بالجنان، أو التفوه باللسان، وإضافة النعمة إلى ضميره تعالى لتشريفها، وإيجاب تخصيص شكرها به سبحانه، وقد قال بعض المحققين: إنها تفيد الاستغراق - إذ لا عهد - ولمناسبته بمقام الدعوة إلى الإيمان، فهي شاملة للنعم العامة والخاصة بالمخاطبين، وفائدة التقييد بكونها عليهم أنها - من هذه الحيثية أدعى للشكر - فإن الإنسان حسود غيور، وقال قتادة: أريد بها ما أنعم به على آبائهم - مما قصه سبحانه في كتابه - وعليهم من فنون النعمة التي أجلها - إدراك زمن أشرف الأنبياء - وجعلهم من جملة أمة الدعوة له، ويحتاج تصحيح الخطاب حينئذ إلى اعتبار التغليب، أو جعل نعم الآباء نعمهم، فلا جمع بين الحقيقة والمجاز -.

● **قال تعالى**: ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾ [آل عِمرَان: 36].

قال الطبري[2] : ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾ لأن الذكر أقوى على الخدمة وأقوم بها، وأن الأنثى لا تصلح في بعض الأحوال لدخول القدْس والقيام بخدمة الكنيسة لما يعتريها من الحيض والنفاس.

عن قتادة: ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾ كانت المرأة لا تستطيع أن يصنع بها ذلك، يعني أن تحرَّر للكنيسة فتجعل فيها تقوم عليها وتكنسها فلا تبرحها مما يصيبها من الحيض والأذى، فعند ذلك قالت: ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾.

---

(1) روح المعاني.

(2) جامع البيان.

قال القرطبي(1) : ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾ [آل عِمرَان: 36] استدل به بعض الشافعية على أن المطاوعة في نهار رمضان لزوجها على الوطء لا تساويه في وجوب الكفارة عليها، ابنُ العربيّ، وهذه منه غفلة، فإن هذا خبر عن شرع من قبلنا وهم لا يقولون به، وهذه الصالحة إنما قصدت بكلامها ما تشهد له به بيّنة حالها ومَقْطع كلامها، فإنها نذرت خدمة المسجد في ولدها، فلما رأته أُنثى لا تصلح وأنها عورة اعتذرت إلى ربّها من وجودها لها على خلاف ما قصدته فيها. ولم ينصرف «مريم» لأنه مؤنث معرفة، وهو أيضاً أعجمي؛ قاله النحاس. والله تعالى أعلم.

● **قال تعالى**: ﴿قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ [الأنعام: 144].

قال البيضاوي(2) : والمعنى إنكار أن الله حرم شيئاً من الأجناس الأربعة ذكراً كان أو أنثى أو ما تحمل إناثها رداً عليهم، فإنهم كانوا يحرمون ذكور الأنعام تارة وإناثها تارة أخرى وأولادها كيف كانت تارة زاعمين أن الله حرمها. ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ﴾ [البَقَرَة: 133] بل أكنتم شاهدين حاضرين.

قال أبو السعود(3) : ﴿ءَآلذَّكَرَيْنِ﴾ منهما ﴿حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ من ذينك النوعين، والمعنى إنكارُ أن الله سبحانه حرَّم عليهم شيئاً من الأنواع الأربعةِ وإظهارُ كذبِهم في ذلك وتفصيلُ ما ذُكر من الذكور والإناثِ وما في بطونها للمبالغة في الرد عليهم بإيراد الإنكارِ على كل مادةٍ من موادّ افترائِهم، فإنهم كانوا يحرِّمون ذكورَ الأنعامِ تارةً وإناثَها تارة وأولادَها كيفما كانت تارة أخرى مسندين ذلك كلَّه إلى الله سبحانه، وإنما عُقّب تفصيلُ كلِّ واحدٍ من نوعي الصغارِ ونوعي الكبارِ بما ذكر من الأمر بالاستفهام والإنكارِ مع حصول التبكيتِ بإيراد الأمرِ عقيبَ تفصيلِ الأنواعِ الأربعةِ بأن يقال: قل آلذكورَ حرّم أم

(1) الجامع لأحكام القرآن.
(2) أنوار التنزيل.
(3) إرشاد العقل السليم.

الإناثَ أم ما اشتملت عليه أرحامُ الإناث لما في التثنية والتكريرِ من المبالغة في التبكيت والإلزام.

● **قال تعالى**: ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا﴾ [الشّورى: 50].

قال الطبري(1): يقول تعالى ذكره: لله سلطان السموات السبع والأرضين، يفعل في سلطانه ما يشاء، ويخلق ما يحبّ خلقه، يهب لمن يشاء من خلقه من الولد الإناث دون الذكور، بأن يجعل كل ما حملت زوجته من حمل منه أنثى ﴿وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ﴾ [الشّورى: 49] يقول: ويهب لمن يشاء منهم الذكور، بأن يجعل كلّ حمل حملته امرأته ذكراً لا أنثى فيهم. قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا﴾ قال: يخلط بينهم يقول: التزويج: أن تلد المرأة غلاماً، ثم تلد جارية، ثم تلد غلاماً، ثم تلد جارية.

عن السديّ، في قول الله عز وجل: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ﴾ [الشورى: 49] ليست معهم إناث ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا﴾ قال: يهب لهم إناثاً وذكراناً، ويجعل من يشاء عقيماً لا يُولدَ له.

(1) جامع البيان.

ذكو

(ذكو - ذبح - خنق - حسّ - وأد - صرع - صلب - عقر)

■ **الذَّكَاةُ:** الموت ذبحاً بالسكين من الحلق ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ [المَائدة: 3].

■ **الذَّبْحُ:** شق حلق الحيوان ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً﴾ [البَقَرَة: 67].

■ **الخَنْقُ:** الموت بالمخنق، وهو حبل يلفّ على الرقبة أو باليدين حتى الموت ﴿وَٱلْمُنْخَنِقَةُ﴾ [المَائدة: 3].

■ **الحَسُّ:** الموت بإصابة الحواس كناية عن قطع الرأس لأنه مجمع الحواس ﴿إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ﴾ [آل عِمرَان: 152].

■ **الوَأْد:** الموت بالدفن حياً ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ﴾ [التكوير: 8].

■ **الصَّرْعُ:** الموت بالطرح أرضاً بقوة ﴿فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ﴾ [الحَاقَّة: 7].

■ **الصَّلْبُ:** الموت بتعليق الإنسان بحبل من رقبته ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ﴾ [النِّساء: 157].

■ **العَقْرُ:** الموت بقطع الأرجل ﴿فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ﴾ [الأعرَاف: 77].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس(1): الذال والكاف والحرف المعتلّ أصلٌ واحد مطّردٌ منقاس

(1) معجم مقاييس اللغة.

يدلُّ على حِدَّةٍ [في] الشَّيء ونفاذٍ. يقال للشَّمس: «ذُكاءُ» لأنَّها تذكو كما تذكو النّار. والصُّبح: ابنُ ذُكاءَ، لأنّه من ضوئها. ومن الباب: ذكَّيتُ الذَبيحة أُذَكِّيها، وذكّيت النّار أذكّيها، وذَكَوْتُهَا أذْكُوها. والفَرَس المُذكِّي: الذي يأتي عليه بعد القُروح سنة؛ يقال ذكّى يُذَكِّي. والعرب تقول: «جَرْيُ المذَكِّياتِ غِلابٌ»، وغِلاءٌ أيضاً. والذّكاء: ذكاء القلب.

والذَّكَاءُ: سُرعة الفِطنة، والفعل منه ذَكِيَ يَذْكَى. ويقال في الحرب والنّار: أَذكَيت أيضاً. والشَّيء الذي تُذْكَى به ذُكْوةٌ.

قال الجوهري[1]: الذَّكَاءُ ممدودٌ: حِدّة القلب. وقد ذَكيَ الرجل بالكسر يَذْكى ذَكاءً، فهو ذَكيٌّ. والذَّكاءُ أيضاً: السنُّ. وقال الحجاج: فُرْرْتُ عن ذَكاءٍ. وبلغت الدابةُ الذَّكاءَ، أي: السنّ. وذُكاءُ بالضم غير مصروف: اسمٌ للشمس معرفة لا تدخلها الألف واللام. تقول: هذه ذُكاءُ طالعةً. ويقال للصبح: ابن ذُكاءَ، لأنَّها من ضوئها.

قال الراغب[2]: ذَكَتِ النار تَذْكُو: اتقدت وأضاءت، وذَكَيْتُها تَذْكِية. وذُكَاءُ اسم للشمس، وابن ذُكَاء للصبح، وذلك أنه تارة يتصور الصبح ابناً للشمس، وتارة حاجباً لها فقيل: حاجب الشمس، وعبر عن سرعة الإدراك وحدة الفهم بالذَّكَاء، كقولهم: فلان هو شعلة نار. وذَكَّيْتُ الشاة: ذبحتها. وحقيقة التَّذْكِيَة: إخراج الحرارة الغريزية، لكن خص في الشرع بإبطال الحياة على وجه دون وجه، ويدل على هذا الاشتقاق قولهم في الميت: خامد وهامد، وفي النار الهامدة: ميتة.

---

(1) الصحاح في اللغة.

(2) مفردات الراغب.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى:** ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ [المَائدة: 3].

قال الزمخشري[1]: ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ إلا ما أدركتم ذكاته وهو يضطرب اضطراب المذبوح وتشخب أوداجه.

قال الماوردي[2]: وفى مأكولة السبع التي تحل بالذكاة قولان: أحدهما: أن تكون لها عين تطرف أو ذنب يتحرك.

والثاني: أن تكون فيها حركة قوية لا كحركة المذبوح، وهو قول الشافعي، ومالك.

قال أبو السعود[3]: ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ إلا ما أدركتم ذَكاتَه وفيه بقيةُ حياةٍ يضطرِبُ اضطرابَ المذبوح. وقيل: الاستثناء مخصوص بما أكل السبع. والذَكاةُ في الشرع بقطع الحُلقومِ والمَرِيء بمُحدَّد.

قال ابن عجيبة[4]: ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ أي: إلا ما أدركتم ذكاته وفيه حياة مستقرة من ذلك. قاله البيضاوي. وقال ابن جُزَيّ: قيل: إنه استثناء منقطع، وذلك إذا أُريد بالمنخنقة وأخواتها: ما مات من ذلك بالخنق وما بعده، أي: حُرِّمَت عليكم هذه الأشياء، لكن ما ذكَّيتم من غيرها فهو حلال، وهذا ضعيف، وقيل: إنه استثناء متصل، وذلك إن أُريد بالمنخنقة وأخواتها ما أصابته تلك الأسباب وأدركت حياته. والمعنى: إلا ما أدركتم حياته من هذه الأشياء، فهو حلال، واختلف أهل هذا القول؛ هل يُشتَرَط أن يكون لم تنفذ مقاتله، أم لا؟ فالأئمة كلهم على عدم الاشتراط إلا مالكاً رَحِمَهُ اللهُ، وأما مَن لم تُشرِف على الموت من هذه الأسباب، فذكاتها جائزة باتفاق.

---

(1) الكشاف.
(2) النكت والعيون.
(3) إرشاد العقل السليم.
(4) البحر المديد.

ذلّ

(ذلّ - دخر - ذم - صغر)

■ **الذُلُّ:** ما كان عن قهر وغلبة ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ [آل عِمرَان: 123].

■ **الدَّخَرُ:** ما كان عن جرم شديد ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غَافر: 60].

■ **الذَّمُّ:** ما كان عن فعل غير محمود ﴿لَّوْلَآ أَن تَدَارَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ [القَلَم: 49].

■ **الصَّغَارُ:** المنزلة الدنية ﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ [التّوبَة: 29].

❋ ❋ ❋

النصوص اللغوية

قال ابن فارس[1]: الذال واللام في التضعيف والمطابقة أصلٌ واحد يدلُّ على الخُضوع، والاستكانة، واللِّين. فالذُّل: ضِدّ العِزّ. وهذه مقابلةٌ في التضادّ صحيحة، تدلُّ على الحكمة التي خُصَّتْ بها العرب دون سائر الأمم؛ لأنّ العزّ من العَزَازِ، وهي الأرض الصُّلْبة الشديدة. والذِّلُّ خلاف الصُّعوبة. وحُكي عن بعضهم أنَّه قال: «بعضُ الذِّلِّ - بكسر الذال - أبْقَى للأهْلِ والمال». يقال من

(1) معجم مقاييس اللغة.

هذا: دابّةٌ ذَلُولٌ، بيِّن الذُّلِّ. ومن الأوّل: رجلٌ ذليل بَيِّن الذُّلّ والمَذَلّة والذِّلّةِ. ويقال لما وُطِئَ من الطَّريق ذِلٌّ. وذُلِّل القِطْفُ تذليلاً: إذا لانَ وتَدَلّى. ويقال: أَجْرِ الأمورَ على أذلالها، أي: استقامتها، أي على الأمر الذي تَطُوع فيه وتَنْقاد. ومن الباب: ذَلاذِل القميص، وهو ما يلي الأرض من أسافِلِه، الواحدة ذِلْذِلٌ. ويقولون: اذْلَوْلَى الرّجُل اذلِيلاءً: إذا أسرَعَ.

قال الخليل[1]: الذُّلُّ مصدر الذَّلُول أي: المُنْقاد من الدوابِّ، ذَلَّ يَذِلُّ، ودابَّةٌ ذَلُولٌ: بَيِّنَة الذُّلِّ، ومن كل شيءٍ أيضاً، وذلَّلْتُه تَذليلاً. ويقال للكَرْم إذا دُلِّيت عَناقيدُه: قد ذُلِّلَ تَذليلاً. والذُّلُّ: مصدر الذَّليل، ذَلَّ يَذِلُّ وكذلك الذِّلَّةُ.

والذُّلْذُل: أسفل القميص والقَباء ونحوه ذلك، ويقال: شَمِّرْ ذَلاذِلَكَ.

قال الجوهري[2]: الذُّلُّ: ضدُّ العز. ورجلٌ ذليلٌ بيِّن الذُّلّ والذِّلَّةِ والمَذَلَّةِ، من قوم أذِلاَّءَ وأَذِلَّةٍ. والذِّلُّ بالكسر: اللين، وهو ضدُّ الصعوبة يقال: دابةٌ ذَلولٌ بيِّنة الذِّلِّ، من دَوابَّ ذُلُلٍ. ومنه قولهم: بعضُ الذِّلّ أبقى للأهل والمال. وعَيْرُ المَذَلَّة: الوتِدُ، لأنّه يُشَجُّ رأسه. وأَذَلَّهُ وذَلَّلَهُ واسْتَذَلَّهُ، كلُّهُ بمعنىً.

وقوله تعالى: ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ [الإنسان: 14]، أي: سُوِّيَتْ عناقيدها ودُلِّيَتْ. وتَذَلَّلَ له، أي: خَضَع. وأَذَلَّ الرجلُ، أي: صار أصحابُه أَذِلاَّءَ. وقولهم: جاء من أَذْلالِهِ، أي: على وَجْهه. يقال: دَعْهُ على أَذْلالِهِ، أي على حاله. وأمور الله جاريةٌ على أَذْلالِها، أي: على مَجاريها وطُرقها.

المعنى المشترك لكلمة (ذ ل ل)

وقد وردت كلمة (ذلل) في القرآن الكريم على سبعة أوجه:

الوجه الأول: أذلة يعني: قليلين ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ [آل عِمرَان: 123].

(1) العين. (2) الصحاح في اللغة.

الوجه الثاني: الذلة يعني: التواضع ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المَائدة: 54].

الوجه الثالث: الذلة تعني: الجزية ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ﴾ [البقرة: 61].

الوجه الرابع: التذليل يعني: التسخير ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ [الإنسَان: 14].

الوجه الخامس: أذلة يعني: مغلولة أعناقهم ﴿وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً﴾ [النَّمل: 37].

الوجه السادس: الذلول يعني: المطواع السليم ﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ﴾ [البَقَرَة: 71].

الوجه السابع: الذلة يعني: الكآبة أي: سواد الوجه ﴿وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ [يونس: 27].

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾ [الإسرَاء: 24].

قال ابن عجيبة[1]: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ﴾؛ أَلِنْ لهما جانبك الذليل، وتذلل لهما وتواضع. استعار للذل جناحاً، وأضافه إليه؛ مبالغة؛ فإنَّ الطير إذا تذلل أرخى جناحه إلى الأرض، كذلك الولد، ينبغي أن يخضع لأبويه، ويلين جانبه، ويتذلل لهما غاية جهده.

قال الشعراوي[2]: ﴿جَنَاحَ ٱلذُّلِّ﴾: الطائر معروف أنه يرفع جناحه ويُرفْرِف به، إنْ أراد أن يطير، ويخفضه إنْ أراد أن يحنوَ على صغاره، ويحتضنهم ويغذيهم. يدعونا الحق سبحانه وتعالى أن نقتدي به، وأن نعامل الوالدين هذه المعاملة، فنحنو عليهم، ونخفض لهم الجناح، كنايةً عن الطاعة والحنان والتواضع لهما، وإياك أن تكون كالطائر الذي يرفع جناحيه ليطير بهما مُتعالياً على

(1) البحر المديد. (2) تفسير الشعراوي.

غيره. وكثيراً ما يُعطينا الشرع الحكيم أمثلة ونماذج للرأفة والرحمة في الطيور، ويجعلها قدوة لنا بني البشر. والذي يرى الطائر يحتضن صغاره تحت جناحه، ويزقّهم الغذاء يرى عجباً، فالصغار لا يقدرون على مضغ الطعام وتكسيره، وليس لديهم اللعاب الذي يساعدهم على أنْ يزدردوا الطعام فيقوم الوالدان بهذه المهمة، ثم يناولانهم غذاءهم جاهزاً يسهل بَلْعه، وإنْ تيسر لك رؤية هذا المنظر فسوف ترى الطائر وفراخه يتراقصون فرحة وسعادة. إذن: قوله تعالى: ﴿جَنَاحَ ٱلذُّلِّ. . .﴾. كناية عن الخضوع والتواضع، والذُّل قد يأتي بمعنى القهر والغلبة، وقد يأتي بمعنى العطف والرحمة، يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ. . .﴾ [المَائدة: 54]. فلو كانت الذلّة هنا بمعنى القهر لقال: أذلة للمؤمنين، ولكن المعنى: عطوفين على المؤمنين.

● **قال تعالى:** ﴿خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۚ﴾ [المعارج: 44].

قال القرطبي(1): ﴿تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۚ﴾ أي يغشاهم الهوان. قال قتادة: هو سواد الوجوه. والرهَقُ: الغشيان، ومنه غلام مراهق إذا غشي الاحتلام. رهِقه (بالكسر) يرهَقه رَهَقاً أي: غَشِيَه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا يَرۡهَقُ وُجُوهَهُمۡ قَتَرٞ وَلَا ذِلَّةٌۚ﴾ [يُونس: 26].

قال أبو السعود(2): ﴿تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۚ﴾ تغشاهُم ذِلةٌ شديدةٌ.

قال ابن كثير(3): ﴿تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۚ﴾ أي: في مقابلة ما استكبروا في الدنيا عن الطاعة.

● **قال تعالى:** ﴿وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلۡمَسۡكَنَةُ﴾ [البَقَرَة: 61].

قال الفخر الرازي(4): ﴿وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ﴾ فالمعنى جعلت الذلة محيطة

---

(1) الجامع لأحكام القرآن.
(2) إرشاد العقل السليم.
(3) تفسير ابن كثير.
(4) التفسير الكبير.

بهم حتى مشتملة عليهم فهم فيها كمن يكون في القبة المضروبة أو ألصقت بهم حتى لزمتهم ضربة لازم كما يضرب الطين على الحائط فيلزمه والأقرب في الذلة أن يكون المراد منها ما يجري مجرى الاستحقاق كقوله تعالى فيمن يحارب ويفسد: ﴿ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا﴾ [المائدة: 33] فأما من يقول المراد به الجزية خاصة على ما قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة: 29] فقوله بعيد لأن الجزية ما كانت مضروبة عليهم من أول الأمر.

قال الزمخشري(1): ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ﴾ جعلت الذلة محيطة بهم مشتملة عليهم، فهم فيها كما يكون في القبة من ضربت عليه. أو ألصقت بهم حتى لزمتهم ضربة لازب، كما يضرب الطين على الحائط فيلزمه، فاليهود صاغرون أذلاء أهل مسكنة ومدقعة، إما على الحقيقة وإما لتصاغرهم وتفاقرهم، خيفة أن تضاعف عليهم الجزية.

قال العزّ بن عبد السلام(2): ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ﴾: أي: ألزموها، قال الفراء: الذلة والذل: بمعنى واحد وقال الحسن: هي الجزية.

● **قال تعالى**: ﴿إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ﴾ [البَقَرَة: 71].

قال أبو السعود(3): أي لم تُذلَّلْ للكِراب وسقْي الحَرْث، و(لا ذلول) صفةٌ لبقرةٌ بمعنى غيرُ ذَلول و(لا) الثانية لتأكيد الأولى والفعلان صفتا ذلول كأنه قيل: لا ذلولٌ مثيرةٌ وساقية، وقرىء لا ذلول بالفتح أي حيث هي كقولك: مررت برجل لا بخيلٍ ولا جبان.

قال ابن عجيبة(4): يقول: إنها مسلمة من العمل ليست ذلولاً، أي: مذللة بالعمل.

قال الزمخشري(5): ﴿لَّا ذَلُولٌ﴾ صفة لبقرة بمعنى بقرة غير ذلول، يعني لم

(1) الكشاف.
(2) التفسير العظيم.
(3) إرشاد العقل السليم.
(4) البحر المديد.
(5) الكشاف.

تذلل للكراب وإثارة الأرض، ولا هي من النواضح التي يسنى عليها لسقي الحروث، و(لا) الأولى للنفي، والثانية مزيدة لتوكيد الأولى، لأن المعنى: لا ذلول تثير وتسقي. على أنّ الفعلين صفتان لذلول، كأنه قيل: لا ذلول مثيرة وساقية. وقرأ أبو عبد الرحمان السلمي: لا ذلول، بمعنى لا ذلول هناك: أي حيث هي، وهو نفي لذلها؛ ولأن توصف به فيقال: هي ذلول. ونحوه قولك: مررت بقوم لا بخيل ولا جبان. أي فيهم، أو حيث هم.

● **قال تعالى:** ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المَائدة: 54].

قال الفخر الرازي(1): ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المَائدة: 54] وهو صفة أبي بكر أيضاً الدليل الذي ذكرناه، ويؤكده ما روي في الخبر المستفيض أنه عليه الصلاة والسلام قال: «**أرحم أمتي بأمتي أبو بكر**» فكان موصوفاً بالرحمة والشفقة على المؤمنين وبالشدة مع الكفار، ألا ترى أن في أول الأمر حين كان الرسول ﷺ في مكة وكان في غاية الضعف كيف كان يذب عن الرسول عليه الصلاة والسلام، وكيف كان يلازمه ويخدمه، وما كان يبالي بأحد من جبابرة الكفار وشياطينهم، وفي آخر الأمر أعني وقت خلافته كيف لم يلتفت إلى قول أحد، وأصر على أنه لا بدّ من المحاربة مع مانعي الزكاة حتى آل الأمر إلى أن خرج إلى قتال القوم وحده، حتى جاء أكابر الصحابة وتضرعوا إليه ومنعوه من الذهاب، ثم لما بلغ بعث العسكر إليهم انهزموا وجعل الله تعالى ذلك مبدأ لدولة الإسلام، فكان قوله: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ لا يليق إلا به.

قال الطبري(2): ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: أرقاء عليهم رحماء بهم، من قول القائل: ذلّ فلان لفلان: إذا خضع له واستكان. ويعني بقوله: ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: أشدّاء عليهم غلظاء بهم، من قول القائل: قد عزّني فلان: إذا أظهر العزّة من نفسه له، وأبدى له الجفوة والغلظة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل

(1) التفسير الكبير. (2) جامع البيان.

التأويل. ذكر من قال ذلك: عن أبي أيوب، عن عليّ رضي الله عنه في قوله: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: أهل رقة على أهل دينهم، ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: أهل غلظة على من خالفهم في دينهم.

● **قال تعالى:** ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ [آل عِمرَان: 123].

قال أبو السعود(1): ﴿وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ حالٌ من مفعول نصركم وأذلةٌ جمعُ ذليلٍ وإنما جُمع جَمْعُ قِلةً للإيذان باتصافهم حينئذ بوصفي القِلة والذِلة، إذ كانوا ثلثمائةٍ وبضعةَ عشرَ وكان ضعفُ حالِهم في الغاية خرجوا على النواضِح يعتقِبُ النفرُ منهم على البعير الواحدِ ولم يكن في العسكر إلا فرسٌ واحدٌ، وقيل: فرَسانِ للمقداد ومرْثَد وتسعون بعيراً وستُّ أدرعٍ وثمانيةُ سيوفٍ وكان العدو زهاءَ ألفٍ ومعهم مائةُ فرسٍ وشكة وشوْكة.

قال العزّ بن عبد السلام(2): ﴿أَذِلَّةٌ﴾ ضعفاء عن مقاومة العدو، أو قليل عددكم ضعيف حالكم، كان المهاجرون يومئذ سبعة وسبعين، وكانت الأنصار مائتين وستة وثلاثين، والمشركون ما بين تسعمائة وألف.

قال البغوي(3): ﴿وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾، جمع: ذليل، وأراد به قلة العدد فإنهم كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، فنصرهم الله مع قلة عَدَدِهم.

● **قال تعالى:** ﴿فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا﴾ [النّحل: 69].

قال الزمخشري(4): ﴿ذُلُلًا﴾ جمع ذلول، وهي حال من السبل؛ لأنّ الله ذللها لها ووطأها وسهلها، كقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا﴾ [الملك: 15] أو من الضمير في ﴿فَٱسْلُكِى﴾ أي: وأنت ذلل منقادة لما أمرت به غير ممتنعة.

(1) إرشاد العقل السليم.
(2) التفسير العظيم.
(3) معالم التنزيل.
(4) الكشاف.

قال ابن عطية[1]: ﴿ذُلُلًا﴾ يحتمل أن يكون حالاً من ﴿ٱلنَّحْلِ﴾ [النّحل: 68]، أي مطيعة منقادة لما يسرت له، قاله قتادة، وقال ابن زيد: فهم يخرجون بالنحل ينتجعون وهي تتبعهم، وقرأ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا فَهُمْ لَهَا مَـٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَـٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [يس: 71-72].

قال البيضاويّ[2]: ﴿ذُلُلًا﴾ جمع ذلول وهي حال من السبل، أي مذللة ذللها الله تعالى وسهلها لك، أو من الضمير في أسلكي أي وأنت ذلل منقادة لما أمرت به.

● **قال تعالى**: ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ [الإنسَان: 14].

قال الفخر الرازي[3]: ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ ذكروا في ذللت وجهين الأول: قال ابن قتيبة: ذللت: أدنيت منهم من قولهم: حائط ذليل إذا كان قصير السمك، والثاني: أي جعلت منقادة ولا تمتنع على قطافها كيف شاءوا. قال البراء بن عازب: ذللت لهم فهم يتناولون منها كيف شاءوا، فمن أكل قائماً لم يؤذه ومن أكل جالساً لم يؤذه ومن أكل مضطجعاً لم يؤذه.

قال القرطبي[4]: ﴿وَذُلِّلَتْ﴾ أي سُخِّرت لهم ﴿قُطُوفُهَا﴾ أي ثمارها ﴿تَذْلِيلًا﴾ أي تسخيراً، فيتناولها القائم والقاعد والمضطجع، لا يرد أيديهم عنها بُعدٌ ولا شوك؛ قاله قتادة. وقال مجاهد: إن قام أحد لرتفعت له، وإن جلس تدلّت عليه، وإن اضطجع دنت منه فأكل منها. وعنه أيضاً: أرض الجنة من وَرِق، وترابها الزعفران، وطيبها مسك أذفر، وأصول شجرها ذهب وورِق، وأفنانها اللؤلؤ والزبرجد والياقوت، والثمر تحت ذلك كله؛ فمن أكل منها قائماً لم تؤذِه، ومن أكل منها قاعداً لم تؤذِه، ومن أكل منها مضطجعاً لم تؤذِه.

---

(1) المحرر الوجيز.
(2) أنوار التنزيل.
(3) التفسير الكبير.
(4) الجامع لأحكام القرآن.

قال أبو السعود[1]: ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ أي سُخرتْ ثمارُها لمتناوليها وسُهلَ أخذُها من الذُّلِّ وهو ضدُّ الصعوبةِ. والجملةُ حالٌ من دانيةً أي تدنُو ظلالُها عليهم مُذلَّلة لهم قطوفُها. أو معطوفةٌ على دانيةً أي دانيةً عليهم ظلالُها ومذللةً قطوفُها، وعلى تقديرِ رفعِ دانيةً فهيَ جملةٌ فعليةٌ معطوفةٌ على جُملةٍ اسميةٍ.

(1) إرشاد العقل السليم.

ذم

(ذم - طعن - همز - لمز - نبز - قبح)

- **الذَّمُّ:** ذكر الشيء بصفات قبيحة ﴿مَذْمُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الإسراء: 18].
- **الطَّعْنُ:** إنكار الصفات الحسنة ﴿وَطَعَنُوا۟ فِى دِينِكُمْ﴾ [التوبة: 12].
- **الهَمْزُ:** الذم في إشارة اليد أو العين استهزاء ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ﴾ [الهُمَزة: 1].
- **اللَّمْزُ:** الذم بعيب ليس عيباً ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [التوبة: 58].
- **النَّبْزُ:** الذم باللقب ﴿وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ﴾ [الحُجرَات: 11].
- **التَّقْبِيحُ:** الذم بما تشمئز منه النفوس السليمة ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ﴾ [القَصَص: 42].

* * *

شرح المعاني:

هذه الكلمات تدخل في منظومة الذنوب اللسانية وهي خطيرة جداً يوم القيامة؛ «**إن الرجل ليقول الكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً ما يدري ما تبلغ يوم القيامة**»، «**المسلم من سلِم المسلمون من لسانه ويده**» فاللسان أذى واليد ضرر وهذا هو الفرق بين الضرر والأذى: قال تعالى: ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ [آل عِمرَان: 111] أي شتائم، وقال تعالى: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا﴾ [آل عِمرَان: 186] سب وشتم وقدح ولعن واتهامات باطلة. منذ أن جاء

الإسلام إلى اليوم ليس لغير المسلمين من أهل الكتاب إلا الطعن بالمسلمين بشتى الأنواع: أفلام، أقلام وصور ولا يكفون ولا يهدؤون، وصدق الله تعالى إذ قال ذلك وقال: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [آل عِمرَان: 186]. من دقة الإعجاز القرآني في استعمال الكلمة في هذا الكتاب العزيز نجد كل كلمة ترسم زاوية محددة يعني السبّ غير الشتم والاستهزاء غير السخرية واللمز والهمز والغمز والنبز تختلف عن بعضها لترسم صورة دقيقة للمعنى بحيث ليس هناك أي اختلاف عليه. وهذا الإعجاز لا يمكن أن يفعله إلا رب العالمين سبحانه وتعالى.

الذمّ: كل شيء يتعلق بذمتك وأنت قد أخللت به. كل ما تُذمّ عليه عكسه هو ما تُمدح عليه. الخيانة تتعلق بالذّمة تُذم عليها ذمّاً عظيماً ويبقى هذا الذم متوارثاً. أن يكون الإنسان خائناً ويعترف بخيانته علناً يتوارثه الأبناء عن الآباء لأنه يتعلق بالذّمة فكما تُمدح على الأمانة تُذم على الخيانة. وكل إخلال بالذمام وكل إخلال بحقوق الآخرين (زوجتك، أهلك، وطنك، شعبك، وظيفتك) كل إخلال بما هو في ذمتك ومن مسؤولياتك هذا النوع من العيب يُذم عليه الإنسان. قال تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الإسرَاء: 18] بحيث أن ذنوبه من النوع الخياني الذي يخل بالذّمة.

القذف والرمي: خاصة بالعِرض. قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النُّور: 23] كل كلمة قذف أو رمي بكذا تعني اتّهام بالزنا تتهمه، تذمه أو تشتمه بما يتعلق بعِرضه.

التقبيح: الشيء الذي يشمئز منه الناس. قال تعالى: ﴿وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُم مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾ [القَصَص: 42] المقبوح هو الذي تقشعر منه. يوم القيامة تكون وجوه أهل النار مسودة سواداً حالكاً يُرعب منهم من يراهم وتقشعر منه النفوس ﴿وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ [الزمر: 60] يُرعب الناس منهم ومن صراخهم ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا﴾ [فاطر: 37] وكون بعضهم يتبرأ من بعض ﴿الْأَخِلَّاءُ

يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الزّخرُف: 67] الإنسان يومئذ يفتدي ببنيه وأهله وفصيلته. هذه الأوضاع المنكرة تسمى قبيح. كل من تُقبّحه لا تقبّحه إلا لشيء تشمئز منه. كثير من الأعمال السيئة التي تشمئز منها النفوس كأن يقتل المسلمون بعضهم بعضاً كما يحصل الآن في العراق هذا عمل مقبوح، أن يحرق المسلم مسجداً أو مصحفاً. فالتقبيح هو ذكر فعل منكر بشكل تشمئز منه النفوس.

الغمز واللمز والهمز والنبز: هي من عائلة واحدة لكن تختلف في معناها:

الغمز: يكون بالجفن أو باليد ﴿وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾ [المطفّفين: 30] التغامز والغمز هو أن تشتم الآخر بإشارة من يدك أو جفنك امتطاطاً أو اشمئزازاً بدون كلام. والغمز يكون أمام الشخص.

اللمز: يكون خلف الرجل لا أمامه. اللمز في غيبته ولكن اللمز بكل العيوب. اللمز هناك عيب في فلان لا تذكره به مواجهة وإنما تذكره في غيبته ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَـٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ۙ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: 79] ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَـٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ [التوبة: 58] ليس أمام الرسول ﷺ وإنما في غيبته. فاللمز يكون في غيبة الملموز ويكون بتراخي بعد مدة وليس سريعاً. ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ [الحُجرات: 11].

الهمز: الاغتياب السريع بعد الافتراق. كأن تكون جالساً في مجلس فيخرج أحد الحضور من المجلس مباشرة ذمّه واحد يسمى همزاً. عبد الله بن مسعود قال: «كنا عند النبي ﷺ فانصرف أحد الناس فوقع فيه رجل فقال النبي ﷺ: **تحلل من هذا فقد أكلت لحم أخيك**». لو قلت: سمعت اليوم فلاناً همز فلان فإذا كنت تُحسن اللسان العربي فستفهم أنه فعلها بعد أن كان في المجلس وخرج أي بعد أن افترق سريعاً طعن فيه. يقول تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الهُمَزة: 1].

النبز: يكون بتلقيب إنسان بلقب سيء، تضيف عليه لقباً يُضحك الناس.

يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّۖ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الحُجرَات: 11].

الغيبة: أن تتكلم على إنسان خلف ظهره بكل شيء وليس بعيب واحد وإنما عموماً مطلقاً. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحُجرَات: 12].

السخرية: هو كل كلام يثير الضحك، تقول على فلان شيئاً يضحك عليه الآخرون. قال تعالى: ﴿وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُواْ مِنْهُۚ قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ [هُـــود: 38] ﴿فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾ [المؤمنون: 110]. السخرية تكون من فعل، يقال: سخر فلان من فلان أي: من أفعاله. وسخر فعل يتعدى بـ (من).

الاستهزاء: تستهزىء من الشخص كأن تقول: شكله مضحك، أو أن تستهزىء بقصر قامته أو استهزأت به بذاته يسمى استهزاءً. الاستهزاء يكون من ذاته وفعل استهزأ يتعدى بالباء (استهزأ فلان بفلان) أنه من ذاته. فالاستهزاء يكون من الشخص والسخرية تكون من فعل. قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾ [التّوبَة: 65] ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِي بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾ [الفُرقان: 41].

هذا هو الفرق بين هذه الكمات القرآنية من حيث استعمال القرآن لها بدقة عجيبة. هذه المنظومة التي تُخِلّ بالآداب وتُخِلّ بالأخلاق وتُخِلّ بشخصية المؤمن يقول ﷺ في الحديث الشريف: «**ليس المؤمن طعّاناً ولا لعّاناً ولا فاحشاً ولا متفحشاً**». لذا إذا أردت أن تعرف كمال الإيمان في المسلم فانظر إلى لسانه فإذا عفّ لسانه فقد بلغ المقام. قد يكون المسلم عفّ اليد لكن الكمال يكون بعفة

اللسان. كل الأدبيات والأحاديث والآيات تتحدث عن عفة اللسان وعلينا أن نفهم أن الإسلام والإيمان يقوم على قاعدة إيمانية هائلة: «**أقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً**» «**إن العبد ليبلغ بحُسن الخُلُق**» فحسن الخُلُق دين هذه الأمة لذلك تحدث تعالى عن هذه المنظومة في القرآن بما ينبغي علينا أن لا نفعل هذه القاذورات حتى ننجو وكما في الحديث: «**ويحك ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس على وجوههم في النار إلا حصائد ألسنتهم**». متى ما رأيت صاحب مذهب يلعن مسلماً فاعلم أنه هالك. بنى الله تعالى الكون على نظام الامتحانات المستمرة ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ﴾ [العَنكبوت: 2] كل الناس تصلي وتصوم وتزكي فإذا ظنوا أنهم الفرقة الناجية فهذا هراء، فيوم القيامة ﴿ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبًا﴾ [الإسرَاء: 14] «**إذا قال الرجل هلك الناس فهو أهلكهم**». هذا القبح السائد اليوم بين المسلمين بعضهم يقتل بعضاً ويهدم مساجد بعض لأول مرة هذا غير ما نزل في القرآن الكريم ﴿يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيۡدِيهِمۡ وَأَيۡدِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ [الحَشر: 2] ولهذا لا بد أن يصب الله تعالى على هذه الأمة البلاء ليطهرها، والبلاء على هذه الأمة في الدنيا ليس عقاباً لها كما هي الحال مع المشركين لأن الله تعالى يعاقبهم في الدنيا وفي الآخرة ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَدۡنَىٰ دُونَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَكۡبَرِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ [السَّجدَة: 21]. هذا كله من باب تطهير الذنوب حتى الشوكة يشاكها المسلم تكفر الخطايا «**لا تكرهوا الفتن فإن فيها صلاحاً**». لكن المسلمين من الحصافة والذكاء ونصوص الدين واضحة بحيث يعلموا كيف ينجون وكيف يهلكون. قد يصلي أحدهم مليون صلاة ويصوم مليون يوم ويزكي لكنه يُكبّ في النار والعكس صحيح.

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الذال والميم في المضاعف أصلٌ واحد يدلُّ كلُّه على خلافِ الحمد. يقال: ذَمَمْتُ فلاناً أذُمُّه، فهو ذميمٌ ومَذْمُومٌ: إذا كان غير حميد.

ومن هذا الباب: الذَّمَّة، وهي البئر القليلةُ الماء. وفي الحديث: «**أنّه أتى على بئرٍ ذَمَّةٍ**». وجمع الذَّمَّة ذِمام.

فأمّا العَهْد فإنَّه يسمَّى ذِماماً لأن الإنسان يُذَمُّ على إضاعته منه. وهذه طريقة للعرب مستعملةٌ، وذلك كقولهم: فلانٌ حامي الذِّمار، أي: يَحْمي الشَّيءَ الذي يُغضِب. وحامي الحقيقة، أي: يَحْمِي ما يحقّ عليه أن يمنَعَه. وأهل الذِّمّة: أهلُ العَقْد. قال أبو عُبيد: الذمَّة الأمان، في قوله ﷺ: «**ويَسعَى بذمَّتهم**». ويقال أهل الذّمّة لأنهم أدَّوا الجِزْية فأمِنُوا على دمائهم وأموالهم. ويقال في الذِّمام: مَذَمَّة وَمَذِمَّة، بالفتح والكسر، وفي الذَّمِّ مَذَمَّة بالفتح. وجاء في الحديث: «أنّ رجلاً سأل النبي ﷺ: ما يُذْهِب عني مَذَمَّة الرَّضاع؟ فقال: **غُرَّةٌ عبدٌ أو أمَةٌ**». يعني بمذِمَّة الرِّضاع ذِمامَ المُرضِعة. وكان النّخَعيّ يقول في تفسير هذا الحديث: إنّهم كانوا يستحبُّون أن يَرْضَخوا عند فِصال الصبيّ للظّئْر بشيءٍ سِوى الأَجْر. فكأنّه سأله: ما يُسقط عنِّي حقَّ التي أرضَعتْني حتّى أكونَ قد أدّيْتُ حقَّها كاملاً. حدّثنا بذلك القطَّان عن المفسِّر عن القُتَيبيّ. والعرب تقول: أذْهِبْ مَذَمَّتَهم بشيءٍ؛ أي: أعطِهِم شيئاً؛ فإنّ لهم عليك ذِمَاماً. ويقال: افْعَلْ كذا وخَلاَك ذَمٌّ، أي: ولا ذمَّ عليك.

ويقال: أذَمَّ فلانٌ بفلانٍ: إذا تهاوَنَ به. وأذَمَّ به بعيرُه: إذا أَخَّرَ وانقطَعَ عن سائر الإبل. وشيءٌ مُذِمٌّ، أي: مَعيب. ورجلٌ مُذِمٌّ: لا حَرَاك به. وحكى ابنُ الأعرابيّ. بئرٌ ذميمٌ، وهي مِثْلُ الذَّمَّة.

---

(1) معجم مقاييس اللغة.

وحكى ابنُ قتيبة أنَّ الذَّميم البَولُ الذي يَذِمُّ ويَذِنُّ من قضيب التيس.

قال الخليل[1]: الذَّمُّ: اللَّوْمُ في الإساءة، ومنه التَّذَمُّم، فيقال من التَّذَمُّم: قد قَضَيْتُ مَذَمَّةَ صاحبي، أي: أَحْسَنْتُ أن لا أُذَمَّ. ويقال: افعَلْ كذا وكذا وخَلاكَ ذَمٌّ، أي: خَلاك لَوْمٌ. والذِّمامُ: كُلُّ حُرْمة تَلزَمُك، إذا ضَيَّعْتَها، المَذَمَّةُ، ومنه سُمِّيَ أهلُ العَهْد أهْلَ الذِّمةِ الذين يَرُدّون الجِزْية على رُءوسِهم من المشركين كلِّهم. والذَّمُّ: المذمُومُ الذَّميم. وفي حديث يونس عليه السلام أنّ الحوتَ قاءه زَرِيّاً ذَمّاً أي: مذموماً مَهْزولاً يُشبِه الهالكَ. والذَّميمُ: بَثْرٌ أمثال بَيْض النَّمْل تخرُج على الأنف من الحَرِّ ونحوه، الواحدةُ ذَميمة، ويُجمَع على ذِمامٍ، ورَكِيَّةٌ ذَمَّةٌ: قليلةُ الماء، والجمع الذِّمام.

قال الجوهري[2]: الذَّمُّ: نقيض المدح. يقال: ذَمَمْتُهُ فهو ذَميمٌ. قال ابن السكيت: يقال: افعلْ كذا وكذا وخلاك ذَمٌّ. قال: ولا تقل وخلاكَ ذنبٌ.

والمعنى خلا منك ذَمٌّ، أي لا تَذُمُّ. وبئرٌ ذَمّةٌ: قليلة الماء؛ وجمعها ذِمامٌ.

وماءٌ ذَميمٌ، أي: مكروهٌ.

والذَّميمُ: المُخاطُ والبولُ الذي يَذِمُّ ويَذِنُّ من قضيب التَيس. وكذلك اللبنُ من أخلاف الشاة. والذَّميمُ أيضاً: شيء يخرج من مَسامّ المارِنِ، كبَيْضِ النمل.

وقد ذَمَّ أنفُه وذَنَّ. والذِّمامُ: الحُرْمَةُ. وأهل الذِّمَّةِ: أهلُ العَقْد. قال أبو عبيد: الذِّمَّةُ: الأمانُ، في قوله عليه الصلاة والسلام: «**ويَسْعى بِذِمَّتِهِمْ أَدْناهُمْ**» وأَذَمَّهُ، أي: أجارَه. وأَذَمَّهُ، أي: وجده مَذموماً. يقال: أتيتُ موضعَ كذا فأَذْمَمْتُهُ، أي: وجدتُه مَذْموماً. وأَذَمَّ به: تهاوَنَ. وأَذَمَّ الرجلُ: أتى بما يُذَمُّ عليه.

وأَذَمَّ به بعيره. وأَذَمَّتْ ركابُ القوم، أي أعيت وتأَخَّرَتْ عن جماعة الإبل ولم تلحقْ بها. وأخذتني منه مَذَمَّةٌ ومَذِمَّةٌ، أي: رِقّةٌ وعارٌ من ترك الحُرْمَةِ.

ويقال: أَذْهِبَ مَذَمَّتَهُمْ بشيءٍ، أي: أعطِهِم شيئاً فإنَّ لهم ذِماماً. والبخلُ مَذَمَّةٌ

(1) العين. (2) الصحاح في اللغة.

بالفتح لا غير، أي: مما يُذَمُّ عليه وهو خلاف المَحمَدة. واسْتَذَمَّ الرجل إلى الناس، أي: أتى بما يُذَمُّ عليه. وتذمَّمَ، أي: استنكَفَ. يقال: لو لم أترك الكذبَ تأثُّماً لتركته تَذَمُّماً. ورجلٌ مُذَمَّمٌ، أي: مَذمومٌ جداً. ورجلٌ مُذِمٌّ: لا حراك به.

وشيء مُذِمٌّ، أي: مَعيبٌ.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿مَذْمُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الإسرَاء: 18].

قال الطبري[1]: ﴿مَذْمُومًا﴾ على قلة شكره إيانا، وسوء صنيعه فيما سلف من أيادينا عنده في الدنيا.

قال الفخر الرازي[2]: ﴿مَذْمُومًا﴾ إشارة إلى الإهانة والذم.

قال القرطبي[3]: ﴿مَذْمُومًا مَّدْحُورًا﴾ أي مطروداً مبعداً من رحمة الله. وهذه صفة المنافقين الفاسقين، والمرائين المداجين، يلبِسون الإسلام والطاعة لينالوا عاجل الدنيا من الغنائم وغيرها، فلا يقبل ذلك العمل منهم في الآخرة ولا يُعطون في الدنيا إلا ما قُسم لهم.

قال أبو السعود[4]: ﴿مَذْمُومًا مَّدْحُورًا﴾ مطروداً من رحمة الله تعالى، وقيل: الآية في المنافقين كانوا يُراؤون المسلمين ويغزون معهم ولم يكن غرضُهم إلا مساهمتَهم في الغنائم ونحوِها، ويأباه ما يقال إن السورةَ مكيةٌ سوى آياتٍ معينة.

● قال تعالى: ﴿فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾ [الإسرَاء: 22].

---

(1) جامع البيان.
(2) التفسير الكبير.
(3) الجامع لأحكام القرآن.
(4) إرشاد العقل السليم.

قال ابن عاشور[1]: والمذموم: المذكور بالسوء والعيب.

قال الخازن[2]: ﴿فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا﴾ أي من غير حمد.

قال النسفي[3]: ﴿فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾ فتصير جامعاً على نفسك الذم والخذلان. وقيل: مشتوماً بالإهانة محروماً عن الإعانة، إذ الخذلان ضد النصر والعون. دليله قوله تعالى: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ﴾ [آل عِمرَان: 160] حيث ذكر الخذلان بمقابلة النصر.

قال أبو السعود[4]: ﴿مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾ خبران أو حالان أي جامعاً على نفسك الذمَّ من الملائكة والمؤمنين والخِذلانَ من الله تعالى، وفيه إشعارٌ بأن الموحِّدَ جامعٌ بين المدح والنُّصرة.

(1) التحرير والتنوير.
(2) لباب التأويل.
(3) مدارك التنزيل.
(4) إرشاد العقل السليم.

ذنب

(ذنب - حنث - إثم - جرم - جناح - حوب - خطأ - زلل - سيئة - فاحشة - رجس)

■ **الذَّنْبُ:** كل فعل يعاقب عليه صغيراً كان أو كبيراً ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ﴾ [الزُّمَر: 53].

■ **الحِنْثُ:** المسؤولية عن الذنب ﴿وَخُذۡ بِيَدِكَ ضِغۡثٗا فَٱضۡرِب بِّهِۦ وَلَا تَحۡنَثۡۗ﴾ [ص: 44].

■ **الإِثْمُ:** الذنب المتعدي الذي يبطئ بصاحبه عن جنس الطاعات كلها ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ﴾ [البَقَرَة: 219].

■ **الجُرْمُ:** الذنب الثابت المستحق للعقاب المحددّ ﴿يَتَسَآءَلُونَ ۝٤٠ عَنِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ۝٤١ مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ ۝٤٢﴾ [المدثر: 40-42].

■ **الجُنَاحُ:** اللوم عن الذنوب كالنزوع إلى الذنب قبل الشروع فيه ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا عَرَّضۡتُم بِهِۦ مِنۡ خِطۡبَةِ ٱلنِّسَآءِ﴾ [البَقَرَة: 235].

■ **الحُوْبُ:** الذنب الذي يعجل الله عقابه في الدنيا ﴿وَءَاتُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰٓ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلۡخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِۖ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَهُمۡ إِلَىٰٓ أَمۡوَٰلِكُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبٗا كَبِيرٗا﴾ [النِّساء: 2].

■ **الخَطَأُ:** ذنب غير متعمد ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٍ أَن يَقۡتُلَ مُؤۡمِنًا إِلَّا خَطَـٔٗاۚ﴾ [النساء: 92].

■ **(الخَطِيئَةُ):** الكبيرة التي تحبط الحسنات. ﴿وَمَن يَكۡسِبۡ خَطِيٓـَٔةً أَوۡ إِثۡمٗا ثُمَّ يَرۡمِ بِهِۦ بَرِيٓـٔٗا فَقَدِ ٱحۡتَمَلَ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا﴾ [النِّساء: 112].

■ **الزَّلَلُ:** سرعة الوقوع في الذنب ﴿فَإِن زَلَلْتُم مِّنْ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البَقَرَة: 209].

■ **السَّيِّئَةُ:** المعصية عموماً ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ [البَقَرَة: 81] والإحاطة: إحباط العمل.

■ **الفَاحِشَةُ:** ما عظم قبحه عند الناس من الذنوب ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ [النَّمل: 54].

■ **الرِّجس:** الفعل القذر تأباه الفطرة من نتنه. ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: 33]، ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [المَائدة: 90].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الذال والنون والباء أصول ثلاثة: أحدها الجُرم، والآخر مؤخَّر الشيء، والثالث كالحظِّ والنّصيب. فالأوّل الذّنب والجُرم. يقال: أَذْنَبَ يُذْنِبُ. والاسم الذَّنب، وهو مُذْنِبٌ. والأصل الآخر الذَّنَبُ، وهو مؤخر الدوابّ، ولذلك سُمِّي الأتباعُ: الذُّنابَى. والمَذَانِب: مَذانب التِّلاع، وهي مَسَايل الماء فيها. والمُذَنِّب من الرُّطَب: ما أَرْطَبَ بَعضُه. ويقال للفرس الطويل الذَّنَب: ذَنُوب. والذِّنَاب: عَقِبُ كلِّ شيء. والذَّانِبُ: التابع؛ وكذلك المُسْتَذْنِبُ: الذي يكون عند أذناب الإبل.

قال الخليل[2]: الأذناب جمع الذَّنَب. والذَّنْب: الإِثْمُ والمَعصِية، والجمع الذُّنُوب. والمِذْنَبُ: مَسيل الماء بحضيض الأرض وليس بجِدٍّ واسعٍ، وإنْ كان في

(1) معجم مقاييس اللغة. (2) العين.

سَفْح أو سَنَدٍ فهو التَّلْعةُ. ويقال لمِسيل ما بين التَّلْعَتَيْنِ: ذَنَبُ التَّلْعة. والذّانِبُ: التابع للشيء على أَثَره. والمُستَذنِبُ الذي يتلو الذَّنَب لا يُفارق أَثَرَه.

والذَّنوبُ: الفَرَسُ الواسعُ هُلْبِ الذَّنَب. والذَّنوبُ: مِلءُ دَلْوٍ من ماءٍ، ويكون النَّصيبُ من كلِّ شيءٍ كذلك.

والذِّنابُ آخِر كلِّ شيءٍ:

الذِّنَابُ أيضاً من مَذانِب المَسايل، وهو شبيه أن يكون جِماعَ الذَّنَب، وقد يجمَعُون على الذَّنائب. والذُّنابَى: موضع مَنْبِت الذَّنَب. والتَّذنوبُ، الواحدة تَذْنوبةٌ هي البُسْرَة المُذَنَّبةُ التي قد أرطَبَ طَرَفُها من قِبَل ذَنَبها. وذَنَّبَ الجرادُ: سَمِنَ وسِمَنُه في أذنابه. والتَّذْنِيبُ: التَّعاظُل للضِّبابِ والفَراش والجَراد ونحوها، والتَّذنيب: إخراجُها أذنابَها من جِحَرتِها وضَربها على أفواه جِحَرتِها.

قال الجوهري[1]: الذَّنَبُ: واحدُ الأذنابِ. والذُّنابى: ذَنَبُ الطائر، وهي أكثر من الذَّنَبِ. وذَنَبُ الفرس والبعير وذُناباهُما، وذَنَبٌ أكثَرُ من ذُنابى فيهما. وفي جناح الطائر أَرْبَعُ ذُنابى بعد الخوافي. والذُّنابى: الأتباعُ. الفراء: الذُّنابى شبه المخاط يقع من أنوف الإبل. والذِّنابُ بكسر الذال: عَقِبُ كُلِّ شيءٍ. وذُنابة الوادي أيضاً: الموضع الذي ينتهي إليه سَيْلُهُ وكذلك ذَنَبُهُ، وذُنابتَهُ أكثرُ من ذَنَبِهِ. والمِذْنَبُ المِغْرَفَةُ. والمِذْنَبُ أيضاً: مَسيلُ ماءٍ في الحضيض والتَلعة في السنَد؛ وكذلك الذِنابَةُ والذُنابَةُ بالضم. والذَانِبُ: التابعُ.

والمُستذنب: الذي يكون عند أذناب الإبل.

والتَّذْنوبُ: البُسْرُ الذي قد بَدَأ فيه الإرطابُ من قِبَلِ ذَنَبِهِ. وقد ذَنَّبَتُ البُسْرَةُ فهي مُذَنِّبَةٌ. وتَذَنَّبَ المُعْتَمُّ، أي: ذَنَّبَ عِمامَتَه، وذلك إذا أَفْضَلَ منها شيئاً فأرخاه كالذَّنَبِ. والذَّنوبُ الفرسُ الطويلُ الذَنَبِ. والذَّنوبُ: النَصيبُ. والذَّنوبُ: لَحْمُ

(1) الصحاح في اللغة.

أَسْفَلِ المَتْنِ. والذَّنوبُ: الدَلْوُ المَلأَى ماءً. وقال ابن السكيت: فيها ماءٌ قريبٌ من المِلْءِ، تُؤَنَّثُ وتُذَكَّرُ. ولا يقال لها وهي فارغةٌ ذَنوبُ. والجمع في أدنى العَدَدِ أَذْنِبَةٌ، والكثير ذَنائِبُ، والذَّنْبُ: الجُرْمُ. وقد أذنبَ الرجل. الذَّنَبانُ، بالتحريك: نَبْت.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ﴾ [الذّاريَات: 59].

قال الطبري(1): يقول تعالى ذكره: فإن للذين أشركوا بالله من قريش وغيرهم ذنوباً، وهي الدلو العظيمة، وهو السجل أيضاً إذا مُلئت أو قاربت الملء، وإنما أريد بالذنوب في هذا الموضع: الحظّ والنصيب ومنه قول علقمة بن عبدة:

وفي كُلّ قَوْمٍ قَدْ خَبَطْتَ بنِعْمَةٍ ... فَحُقَّ لِشَأْس مِنْ نَدَاكَ ذَنَوبُ

أي نصيب، وأصله ما ذكرت ومنه قول الراجز:

لَنَا ذَنُوبٌ ولَكُمْ ذَنُوبُ ... فإن أَبَيْتُمْ فَلَنَا الْقَلِيبُ

ومعنى الكلام: فإن للذين ظلموا من عذاب الله نصيباً وحظاً نازلاً بهم، مثل نصيب أصحابهم الذين مضوا من قبلهم من الأمم، على منهاجهم من العذاب، فلا يستعجلون به. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك: حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، عن عليّ رضي الله عنه، عن ابن عباس، قوله: ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذَنُوبًا﴾ يقول: دلواً.

قال البيضاويّ(2): ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذَنُوبًا﴾ أي للذين ظلموا رسول الله ﷺ

---

(1) جامع البيان.

(2) أنوار التنزيل.

بالتكذيب نصيباً من العذاب. ﴿مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ﴾ مثل نصيب نظرائهم من الأمم السالفة، وهو مأخوذ من مقاسمة السقاة الماء بالدلاء، فإن الذنوب هو الدلو العظيم المملوء.

● **قال تعالى**: ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [آل عِمرَان: 11].

قال الألوسي(1): ﴿بِذُنُوبِهِمْ﴾ أي بسببها أو متلبسين بها غير تائبين، والمراد من الذنوب على الأول: التكذيب بالآيات المتعددة، وجيء بالسببية تأكيداً لما تفيده الفاء، وعلى الثاني: سائر الذنوب، وفي ذلك إشارة إلى أن لهم ذنوباً أخر، وأصل الذنب التلو والتابع، ثم أطلق على الجريمة لأنها يتلو - أي يتبع -.

قال أبو السعود(2): ﴿بِذُنُوبِهِمْ﴾ إن أريد بها تكذيبُهم بالآيات فالباء للسببية جيء بها تأكيداً لما تفيده الفاء من سببية ما قبلها لما بعدها وإن أريد بها سائرُ ذنوبهم فالباء للملابسة جيء بها للدلالة على أن لهم ذنوباً أخرى أي فأخذهم ملتبسين بذنوبهم غيرَ تائبين عنها كما في قوله تعالى: ﴿وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [التّوبَة: 55] والذنب في الأصل التِلْوُ والتابع، وسُمّيت الجريمةُ ذنباً لأنها تتلو أي يتبعُ عقابُها فاعلَها ﴿وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ تذييلٌ مقرِّر لمضمون ما قبله من الأخذ وتكملةٌ له.

● **قال تعالى**: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ﴾ [العَنكبوت: 40].

قال ابن كثير(3): ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ﴾ أي كانت عقوبته بما يناسبه.

قال البيضاويّ(4): ﴿فَكُلًّا﴾ من المذكورين. ﴿أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ﴾ عاقبناه بذنبه.

قال الشعراوي(5): والأخذ هنا بسبب الذنوب ﴿بِذَنۢبِهِۦ..﴾ ليس ظلماً ولا

---

(1) روح المعاني.
(2) إرشاد العقل السليم.
(3) تفسير ابن كثير.
(4) أنوار التنزيل.
(5) تفسير الشعراوي.

جبروتاً ولا جزافاً، إنما جزاءً بذنوبهم وعدلاً؛ ولذلك يأتي في تذييل الآية: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ [العَنكبوت: 40].

● **قال تعالى:** ﴿فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عِمرَان: 135].

قال الفخر الرازي[1]: ﴿فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ﴾ وهذا يدل على أن الاستغفار كالأثر، والنتيجة لذلك: الذكر، ومعلوم أن الذكر الذي يوجب الاستغفار ليس إلا ذكر عقاب الله، ونهيه ووعيده، ونظير هذه الآية قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ﴾ [الأعراف: 201] والقول الثاني: أن المراد بهذا الذكر ذكر الله بالثناء والتعظيم والإجلال، وذلك لأن من أراد أن يسأل الله مسألة، فالواجب أن يقدم على تلك المسألة الثناء على الله، فهنا لما كان المراد الاستغفار من الذنوب قدموا عليه الثناء على الله تعالى، ثم اشتغلوا بالاستغفار عن الذنوب.

ثم قال: ﴿فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ﴾ والمراد منه الإتيان بالتوبة على الوجه الصحيح، وهو الندم على فعل ما مضى مع العزم على ترك مثله في المستقبل، فهذا هو حقيقة التوبة، فأما الاستغفار باللسان، فذاك لا أثر له في إزالة الذنب، بل يجب إظهار هذا الاستغفار لإزالة التهمة، ولإظهار كونه منقطعاً إلى الله تعالى، وقوله: ﴿لِذُنُوبِهِمۡ﴾ أي لأجل ذنوبهم. ثم قال: ﴿وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ والمقصود منه أن لا يطلب العبد المغفرة إلا منه، وذلك لأنه تعالى هو القادر على عقاب العبد في الدنيا والآخرة، فكان هو القادر على إزالة ذلك العقاب عنه، فصح أنه لا يجوز طلب الاستغفار إلا منه. ثم قال: ﴿وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ﴾ واعلم أن قوله: ﴿وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه، والتقدير: فاستغفروا لذنوبهم ولم يصروا على ما فعلوا.

---

(1) التفسير الكبير.

قال الزمخشري[1]: ﴿فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ﴾ فتابوا عنها لقبحها نادمين عازمين ﴿وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ وصف لذاته بسعة الرحمة وقرب المغفرة وإنّ التائب من الذنب عنده كمن لا ذنب له، وأنه لا مفزع للمذنبين إلا فضله وكرمه، وأنّ عدله يوجب المغفرة للتائب، لأن العبد إذا جاء في الاعتذار والتنصل بأقصى ما يقدر عليه وجب العفو والتجاوز وفيه تطييب لنفوس العباد، وتنشيط للتوبة، وبعث عليها وردع عن اليأس والقنوط وأن الذنوب وإن جلت فإن عفوه أجل وكرمه أعظم. والمعنى: أنه وحده معه مصححات المغفرة وهذه جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه ﴿وَلَمۡ يُصِرُّواْ﴾ [آل عِمرَان: 135] ولم يقيموا على قبيح فعلهم غير مستغفرين. وعن النبي ﷺ: «**ما أصرّ من استغفر وإن عاد في اليوم سبعين مرّة**» وروي: «**لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الإصرار**».

(1) الكشاف.

ذهب

(ذهب - مضى - ولّى)

■ **الذَّهَابُ:** على نية عدم الرجوع ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ﴾ [هُود: 74].

■ **المُضِيُّ:** النفاذ نهائياً ﴿وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الزّخرُف: 8].

■ **التَّوَلِّي:** ذهب غاضباً ﴿إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ﴾ [الغَاشِيَة: 23].

❋ ❋ ❋

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الذال والهاء والباء أُصَيْلٌ يدلُّ على حُسْنٍ ونَضارة. من ذلك الذَّهبُ معروف، وقد يؤنَّث فيقال: ذَهَبة، ويجمع على الأذْهَاب. والمَذَاهب: سُيورٌ تُموَّهُ بالذّهَب، أو خِلَلٌ من سُيوف. وكلُّ شيءٍ مموَّهٍ بذَهَبٍ فهو مُذْهَبٌ.

ويقال رجلٌ ذَهِبٌ: إذا رأى مَعْدِنَ الذّهب فَدُهِش. وكميتٌ مُذْهَبٌ: إذا علتْهُ حُمْرةٌ إلى اصفرار. فأمّا الذِّهْبة فمطرٌ جَوْدٌ. وهي قياس الباب؛ لأنَّ بها تَنْضُر الأرضُ والنّبات. والجمع ذِهابٌ. قال ذو الرُّمّة: فهذا معظمُ الباب. وبقي أصلٌ آخر، وهو ذَهاب الشيء: مُضِيُّه. يقال: ذَهَب يَذْهَب ذَهاباً وذُهوباً. وقد ذَهَبَ مَذْهباً حَسناً.

قال الخليل[2]: الذَّهَبُ: التِّبْرُ. وأهلُ الحجاز يقولون: هي الذَّهَبُ، وبلغتهم

---

(1) معجم مقاييس اللغة. (2) العين.

نزلت: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: 34]، ولولا ذلك لَغَلَبَ المُذَكَّرُ المؤنَّثَ. والقطعة منها: ذَهَبة، وغيرهم يقول: هو الذَّهب. المُذْهَبُ: الشّيء المَطْلي بماء الذَّهب،

والمُذْهِبُ: اسم شيطانٍ من ولد إبليس عليه لَعْنةُ اللهِ، يبدو للقرّاء فيفتنهم في الوُضوءِ أو غيره. والذَّهابُ والذُّهوبُ، لغتان، مصدر ذهبت. والمَذْهَبُ: يكون مصدراً كالذَّهاب، ويكون اسماً للمَضِع، ويكون وقتاً من الزَّمان.

والمَذْهَبُ: المُتَوَضَّأ، بلغة أَهْلِ الحجاز. والذَّهْبَةُ: المَطْرةُ الجَوْدة، والجميعُ: الذِّهاب.

والذِّهْبَةُ: الواحدة من الذِّهاب. والذَّهَبُ: مِكيالٌ لأهْل اليَمَنِ: ويجمع على ذِهاب وأَذْهاب، ثمّ على الأَذاهِب جمع الجمع.

قال الجوهري(1): الذَّهَبُ معروف، وربما أُنِّثَ، والقطعة منه ذَهَبَةٌ؛ ويجمع على الأَذْهابِ والذُّهوبِ. والذَّهَبُ أيضاً: مكيالٌ لأهل اليمن معروفٌ، والجمع أذهابٌ، وجمع الجمع أَذاهِبُ. وذَهِبَ الرجُلُ بالكسر: إذا رأى ذَهَباً في المَعْدِنِ فَبرقَ بَصَرُهُ من عِظَمِهِ في عَيْنِهِ. والمذاهبُ: سُيورٌ تُمَوَّهُ بالذهب. وكل شيءٍ مُوِّهَ بالذهب فهو مُذْهَبُ، والفاعل مُذْهِبٌ. والإذهابُ والتذهيبُ واحدٌ، وهو التمويهُ بالذهب. والذَّهابُ المرورُ؛ يقال: ذهب فلانٌ ذَهاباً وذُهوباً، وأَذْهَبَهُ غيره. وذهب فلان مذهباً حسناً. وقولهم: به مُذْهِبٌ يَعْنونَ به الموسوسةَ في الماء وكثرة استعماله في الوضوء. والذِّهْبَةُ بالكسر: المَطْرَةُ، والجمع الذِّهاب.

المعنى المشترك لكلمة (ذ هـ ب)

وقد وردت كلمة (ذهب) في القرآن الكريم على ستة أوجه:

الوجه الأول: الذهاب يعني: الكلام ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ [التكوير: 26].

---

(1) الصحاح في اللغة.

الوجه الثاني: الذهاب يعني: الدعوة ﴿ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ [طه: 24].

الوجه الثالث: الذهاب يعني: الهجرة ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهۡدِينِ﴾ [الصَّافات: 99].

الوجه الرابع: الذهاب يعني: الانفراد بالشيء ﴿إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ﴾ [المؤمنون: 91].

الوجه الخامس: الذهاب بعينه ﴿فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ﴾ [المَائدة: 24].

الوجه السادس: الإذهاب يعني: الاستيفاء ﴿أَذۡهَبۡتُمۡ طَيِّبَٰتِكُمۡ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنۡيَا﴾ [الأحقاف: 20].

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهۡدِينِ﴾ [الصَّافات: 99].

قال الطبري(1): يقول: وقال إبراهيم لما أفْلَجَه الله على قومه ونجاه من كيدهم: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾ يقول: إني مهاجِرٌ من بلدة قومي إلى الله: أي إلى الأرض المقدَّسة، ومفارقهم، فمعتزلهم لعبادة الله. وكان قتادة يقول في ذلك ما: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهۡدِينِ﴾: ذاهب بعمله وقلبه ونيته. وقال آخرون في ذلك: إنما قال إبراهيم ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾ حين أرادوا أن يُلْقُوه في النار. ذكر من قال ذلك: حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا أبو داود، قال: ثنا شعبة، عن أبي إسحاق، قال: سمعت سليمان بن صُرَدَ يقول: لما أرادوا أن يُلْقوا إبراهيم في النار ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهۡدِينِ﴾ فجمع الحطب، فجاءت عجوز على ظهرها حطب، فقيل لها: أين

(1) جامع البيان.

تريدين؟ قالت: أريد أذهب إلى هذا الرجل الذي يُلْقَى في النار فلما أُلقي فيها، قال: حَسْبِيَ الله عليه توكلت، أو قال: حسبي الله ونعم الوكيل، قال: فقال الله: ﴿يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الأنبيَاء: 69] قال: فقال ابن لُوط، أو ابن أخي لوط: إن النار لم تحرقه من أجلي، وكان بينهما قرابة، فأرسل الله عليه عُنُقاً من النار فأحرقته. وإنما اخترت القول الذي قلت في ذلك، لأن الله تبارك وتعالى ذكر خبره وخبر قومه في موضع آخر، فأخبر أنه لما نجاه مما حاول قومه من إحراقه ﴿وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ﴾ [العَنكبوت: 26] ففسر أهل التأويل ذلك أن معناه: إني مهاجر إلى أرض الشام، فكذلك قوله: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾ لأنه كقوله: ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ﴾.

قال الزمخشري[1]: أراد بذهابه إلى ربه: مهاجرته إلى حيث أمره بالمهاجرة إليه من أرض الشام؛ كما قال: ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ﴾.

قال ابن عطية[2]: قالت فرقة: إن قول إبراهيم: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ﴾ كان بعد خروجه من النار، وإنه أشار بذهابه إلى هجرته من أرض بابل حيث كانت مملكة نمرود فخرج إلى الشام ويروى إلى بلاد مصر، وقالت فرقة: قوله: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ﴾ ليس مراده به الهجرة كما في آية أخرى وإنما مراده لقاء الله بعد الاحتراق ولأنه ظن أن النار سيموت فيها، فقال هذه المقالة قبل أن يطرح في النار، فكأنه قال إني سائر بهذا العمل إلى ربي، وهو سيهديني إلى الجنة، نحا إلى هذا المعنى قتادة، وللعارفين بهذا الذهاب تمسك واحتجاج في الصفاء وهو محمل حسن في ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ﴾ وحده، والأول أظهر من نمط الآية بما بعده، لأن الهداية معه تترتب، والدعاء في الولد كذلك، ولا يصح مع ذهاب الفناء.

● **قال تعالى**: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ﴾ [هُود: 74].

قال الفخر الرازي[3]: واعلم أن الروع هو الخوف، وهو ما أوجس من

---

(1) الكشاف.
(2) المحرر الوجيز.
(3) التفسير الكبير.

الخيفة حين أنكر أضيافه والمعنى: أنه لما زال الخوف وحصل السرور بسبب مجيء البشرى بحصول الولد، أخذ يجادلنا في قوم لوط وجواب لما هو قوله: (أخَذ) إلا أنه حذف في اللفظ لدلالة الكلام عليه، وقيل تقديره: لما ذهب عن إبراهيم الروع جادلنا.

قال أبو السعود[1]: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ﴾ أي ما أوجس منهم من الخِيفة واطمأن قلبُه بعِرفانهم وعرفانِ سببِ مجيئِهم، والفاءُ لربط بعض أحوالِ إبراهيمَ عليه الصلاة والسلام ببعضٍ غِبَّ انفصالِها بما ليس بأجنبي من كل وجهٍ بل له مدخلٌ تامٌّ في السباق والسياق، وتأخيرُ الفاعلِ عن الظرف لأنه مصبُّ الفائدةِ، فإن بتأخير ما حقُّه التقديمُ تبقى النفسُ منتظرةً إلى وروده فيتمكن فيها عند ورودِه إليها فضلُ تمكّنٍ.

● **قال تعالى**: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ﴾ [فَاطِر: 8].

قال البغوي[2]: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ﴾، فيكون معناه: أفمن زين له سوء عمله فأضله الله ذهبت نفسك عليه حسرة، أي تتحسر عليه فلا تذهب نفسك عليهم حسرات. وقال الحسين بن الفضل: فيه تقديم وتأخير مجازه: أفمن زُيّن له سوء عمله فرآه حسناً فلا تذهب نفسك عليهم حسرات، فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء، والحسرة شدة الحزن على ما فات من الأمر، ومعنى الآية: لا تغتم بكفرهم وهلاكهم إن لم يؤمنوا.

قال أبو السعود[3]: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ﴾ دلالة بيِّنةٌ. وإمَّا تمهيدٌ لصرفِه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ عمَّا كانَ عليه من الحرصِ الشَّديدِ على إسلامِهم والمبالغةِ في دعوتِهم إليه ببيانِ استحالةِ تحويلِهم عن الكفرِ لكونِه في غايةِ الحسنِ عندهم، أي أبعدَ ما ذُكر من زُيِّن له الكفرُ من قبل الشَّيطانِ فرآه حسناً فانهمك فيه

(1) إرشاد العقل السليم.
(2) معالم التنزيل.
(3) إرشاد العقل السليم.

يقبلُ الهدايةَ حتَّى تطمعَ في إسلامِه وتُتعبَ نفسَك في دعوتِه. فحُذف ما حُذف لدلالةِ ما مرَّ من قولِه تعالى ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ﴾ [فاطر: 8] إلخ على أنَّه ممن شاء الله تعالى أنْ يضلَّه فمن يهدي مَن أضلَّ الله وما لهم مِن ناصرين.

وقُرِىء فلا تُذهب نفسك وقولُه تعالى: ﴿حَسَرَٰتٍ﴾. إمَّا مفعول له أي فلا تهلك نفسك للحسرات والجمعُ للدِّلالةِ على تضاعفِ اغتمامِه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ على أحوالِهم أو على كثرةِ قبائحِ أعمالِهم الموجبةِ للتَّأسُّفِ والتَّحسرِ وعليهم. صلةُ تذهب كما يقال: هَلك عليه حيَّاً ومات عليه حُزناً أو هو بيانٌ للمتحسَّر عليهِ ولا يجوزُ أنْ يتعلَّق بحسراتٍ لأنَّ المصدرَ لا تتقدَّمُ عليه صلتُه، وإمَّا حالٌ كأن كلها صارت حسرات.

● **قال تعالى**: ﴿إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ﴾ [إبراهيم: 19].

قال الفخر الرازي(1): ﴿إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ﴾ والمعنى: أن من كان قادراً على خلق السمٰوات والأرض بالحق، فبأن يقدر على إفناء قوم وإماتتهم وعلى إيجاد آخرين وإحيائهم كان أولى، لأن القادر على الأصعب الأعظم بأن يكون قادراً على الأسهل الأضعف أولى. قال ابن عباس: هذا الخطاب مع كفار مكة، يريد أميتكم يا معشر الكفار، وأخلق قوماً خيراً منكم وأطوع منكم.

● **قال تعالى**: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا﴾ [الأحزاب: 33].

قال الفخر الرازي(2): يعني ليس المنتفع بتكليفكن هو الله ولا تنفعن الله فيما تأتين به. وإنما نفعه لكن وأمره تعالى إياكن لمصلحتكن، وقوله تعالى: ﴿لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ﴾ فيه لطيفة وهي أن الرجس قد يزول عيناً ولا يطهر المحل فقوله تعالى: ﴿لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ﴾ أي يزيل عنكم الذنوب

(1) التفسير الكبير.
(2) التفسير الكبير.

ويطهركم أي يلبسكم خلع الكرامة، ثم إن الله تعالى ترك خطاب المؤنثات وخاطب بخطاب المذكرين بقوله: ﴿لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ﴾ ليدخل فيه نساء أهل بيته ورجالهم، واختلفت الأقوال في أهل البيت، والأولى أن يقال هم أولاده وأزواجه والحسن والحسين منهم وعلي منهم لأنه كان من أهل بيته بسبب معاشرته ببنت النبي ﷺ وملازمته للنبي.

قال الطبري(1): إنما يريد الله ليذهب عنكم السوء والفحشاء يا أهل بيت محمد، ويطهركم من الدنس الذي يكون في أهل معاصي الله تطهيراً.

● **قال تعالى**: ﴿فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفَال: 46].

قال الفخر الرازي(2): ﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ أي نصرتكم، وذهبت ريح أصحاب محمد حين تنازعوا يوم أحد.

قال أبو السعود(3): «وتذهب ريحكم» بالنصب عطفٌ على جواب النهي وقرىء بالجزم على تقدير عطفِ فتفشلوا على النهي أي تذهبَ دولتُكم وشَوْكتُكم فإنها مستعارةٌ للدولة من حيث إنها في تمشّي أمرِها ونفاذِه مشبهةٌ بها في هُبوبها وجَرَيانها. وقيل: المرادُ بها الحقيقةُ فإن النُصرةَ لا تكون إلا بريح يبعثها الله تعالى وفي الحديث «نُصِرتُ بالصَّبا وأُهكلتْ عادٌ بالدَّبور».

● **قال تعالى**: ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ [البَقَرَة: 17].

قال الزمخشري(4): ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾؟ قلت: يكون كلاماً مستأنفاً. كأنهم لما شبهت حالهم بحال المستوقد الذي طفئت ناره، اعترض سائل فقال: ما بالهم قد أشبهت حالهم حال هذا المستوقد؟ فقيل له: ذهب الله بنورهم. أو يكون بدلاً من جملة التمثيل على سبيل البيان. فإن قلت: قد رجع الضمير في هذا الوجه إلى

(1) جامع البيان.
(2) التفسير الكبير.
(3) إرشاد العقل السليم.
(4) الكشاف.

المنافقين فما مرجعه في الوجه الثاني؟ قلت: مرجعه الذي استوقد؛ لأنه في معنى الجمع. وأما جمع هذا الضمير وتوحيده في ﴿حَوْلَهُۥ﴾، فللحمل على اللفظ تارة، وعلى المعنى أخرى. فإن قلت: فما معنى إسناد الفعل إلى الله تعالى في قوله: ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾؟ قلت: إذا طفئت النار بسبب سماوي ريح أو مطر، فقد أطفأها الله تعالى وذهب بنور المستوقد. ووجه آخر، وهو أن يكون المستوقد في هذا الوجه مستوقد نار لا يرضاها الله. ثم إما أن تكون ناراً مجازية كنار الفتنة والعداوة للإسلام، وتلك النار متقاصرة مدّة اشتعالها قليلة البقاء. ألا ترى إلى قوله: ﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ﴾ [المائدة: 64]، وإما ناراً حقيقية أوقدها الغواة ليتوصلوا بالاستضاءة بها إلى بعض المعاصي، ويتهدوا بها في طرق العبث، فأطفأها الله وخيب أمانيهم. فإن قلت: كيف صح في النار المجازية أن توصف بإضاءة ما حول المستوقد؟ قلت: هو خارج على طريقة المجاز المرشح فأحسن تدبره.

ذهل

(ذهل - شغل - نسي - غفل - سها - سمد)

- **الذُّهولُ:** خوف يورث حزناً ونسياناً ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ﴾ [الحجّ: 2].
- **الانْشِغالُ:** عارض يورث نسياناً ﴿شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا﴾ [الفتح: 11].
- **النِّسيَانُ:** شغل يورث غياب معلومة مهمة ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ [طه: 115].
- **الغَفْلَةُ:** نسيان لعدم الشعور بالأهمية ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: 22].
- **السَّهْوُ:** نسيان بسبب شدة أو كربة ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ﴾ [الذّاريات: 11].
- **السُّمودُ:** نسيان من اللهو ﴿وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾﴾ [النجم: 60-61].

* * *

شرح المعاني:

الذهول: تتعطل الذاكرة لوجود حدث مخيف عظيم غير مريح يلهيك عن محبوب فتذهل عنه بحيث تنظر إليه ولا تراه. حرب، قنبلة، فيضان أو أي شيء مخيف يعطّل الذاكرة. هذا الذهول يجعلك تنظر إلى من تحب ولا تراه ﴿يَوْمَ

تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحجّ: 2].

الانشغال: إذا كان الحدث محبوباً وهذا الحديث يلهيك عن واجب يسمى انشغالاً ﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا﴾ [الفتْح: 11] واجب جهادي أو ثقافي أو وظيفي أو سياسي أو مادي فشغلك عن أداء واجبك عطّلت ذاكرتك عن وجوب التحاقك بعملك ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ﴾ [يس: 55] منشغلون عن كل واجب وليس في الجنة واجبات، ونعيمها المقيم المتكرر يشغل بال أهلها عن كل شيء فهم منشغلون.

الذهول إذن عكس الانشغال فالذهول بحدث مكروه والانشغال بحدث محبوب.

السمود: نسيان من شدة اللهو غروراً وتكبراً ﴿وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾﴾ [النجم: 60-61].

النسيان: قانون بشري يمنع التذكّر بما مضى مما ينبغي أن تتذكره. النسيان يشغلك عن شيء مضى ولم تعد تذكره.

السهو: يكون عن شيء حالي أو مستقبلي. الذاكرة تتعطل بالنسيان عما مضى وبالسهو عما هو آت. إذا سهوت عن صلاة العشاء مثلاً ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [المَاعون: 5] لمن هم تاركو الصلاة الآن وفي المستقبل. أما النسيان فشيء آخر ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [التّوبة: 67] ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ [طه: 115] فالنسيان والسهو قانون بشري، النسيان يتكلم عن الماضي والسهو عن الحال والمستقبل ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ﴾ [الذّاريَات: 11] الآن.

الغفلة: تعذّر الذاكرة عن شيء لم يستقر فيها وليس واضحاً، أي إدراكك له ضعيف لا تدرك أهميته وأبعاده فأهملته ذاكرتك لعدم استقرار صورته وحقيقته في عقلك وفي ذاكرتك (وهم في غفلة معرضون) الحساب قادم وسريع وأقرب ما يكون وحينئذ كل ما مات فقد قامت قيامته، ما إن تموت حتى تبدأ قيامتك ثم يبدأ الحساب من ساعة قيامة قيامتك. من قبل أن تخرج روحك من جسدك يبدأ التعامل معك على أنك من العالم الآخر لأن البرزخ من العالم الآخر ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [الواقعة: 83-85]. كل يوم نرى جنازة تُدفن ولا يخطر ببالنا أننا سنموت إلا من رحم الله عَزَّوَجَلَّ ولهذا فاتّباع الجنائز في الإسلام عبادة عظيمة لأنها تذكرك ولعلك تصحح أخطاءك ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: 1] ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم: 39] إدراك الموضوع في عقلك يكون معدوماً فهو غافل. ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾ [الرُّوم: 7]. والغفلة أخطر ما تعاني منه البشرية من آدم إلى قيام الساعة. عندما اقتتل ابنا آدم فقتل أحدهما الآخر حتماً القاتل كان غافلاً عن جريمة القتل وعن هول ما يلقاه القاتل يوم القيامة وأول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة قبل الصلاة والصيام والحج هو الدماء: أنه أسال دماً من آخر، هل كان حقاً؟ أو باطلاً؟ فيحاسب على هذا الأساس.

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس(1): الذال والهاء واللام أصلٌ واحد يدلُّ على شغْلٍ عن شيءٍ بذُعْرٍ أو غيره. ذَهِلْتُ عن الشّيء أَذْهَل، إذا نسيتَه أو شُغِلْت. وأذْهَلَنِي عنه كذا.

(1) معجم مقاييس اللغة.

هذا هو الأصل. وحُكي عن اللِّحياني: [جاء بَعْدَ] ذُهْلٍ من الليل وذَهْل، كما تقول: مرَّ هُدْءٌ من اللّيل. ويجوز أن يكون ذلك لإظلامه وأنّه يُذْهَل فيه عن الأشياء. ومما شذّ عن الباب قولهم للفرَس الجواد ذُهْلُولٌ.

قال الخليل(1): ذهل: الذُّهْلُول: الفَرَسُ الدَّقيق الجواد. والذَّهْلُ: تَرْكُك الشَّيء تَناساه على عَمْد، أو يشغَلُك عنه شاغل. ذَهَلْت عنه، وذَهِلْت، لغتان تركتُه، وأَذْهَلَني كذا عنه كذا وكذا. والذُّهلانِ: حيّانِ من ربيعة؛ بنو ذُهْل بن شيبانَ، وبنو ذُهْل بن ثَعْلَبة.

قال الجوهري(2): ذَهَلْتُ عن الشيء أَذْهَلُ ذَهْلاً: نَسِيته وغَفَلْت عنه. وأَذْهَلَني عنه كذا. وفيه لغةٌ أخرى: ذَهِلَتْ بالكسر ذُهُولاً. قال اللِحياني: يقال: جاء بعد ذَهْلٍ من الليل ودَهْل، أي بعد هَدءٍ.

قال الفيروزآبادي(3): ذَهَلَهُ، وعنه، كمَنع، ذَهْلاً وذُهُولاً: تَرَكَهُ على عَهْدٍ، أو نَسِيَهُ لشُغْلٍ، أو هو السُّلُوُّ، وطِيبُ النَّفْسِ عن الإِلْفِ. وذَهْلٌ من الليلِ، ويُضَمُّ: ساعةٌ. والذهْلولُ، بالضم: الفرسُ الجَوادُ.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ﴾ [الحَجّ: 2].

قال الزمخشري(4): ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا﴾ منصوب بتذهل. والضمير للزلزلة. وقرىء «تذهل كل مرضعة» على البناء للمفعول: وتذهل كل مرضعة أي: تذهلها الزلزلة. والذهول: الذهاب عن الأمر مع دهشة.

(1) العين.
(2) الصحاح في اللغة.
(3) القاموس المحيط.
(4) الكشاف.

قال الفخر الرازي[1]: أي تذهلها الزلزلة والذهول الذهاب عن الأمر مع دهشة.

قال أبو السعود[2]: وقوله تعالى: ﴿يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا﴾ منتصبٌ بما بعدَهُ قُدِّمَ عليهِ اهتماماً بهِ. والضميرُ للزَّلزلةِ أي وقتَ رؤيتِكم إيَّاها ومشاهدتِكم لهولِ مطلعِها ﴿تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ﴾ أي مباشرةٍ للإرضاعِ. ﴿عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ﴾ أي تغفلُ وتذهلُ مع دهشةٍ عمَّا هيَ بصددِ إرضاعِه من طفلِها الذي ألقمتْهُ ثديَها. والتعبيرُ عنه بمَا دونِ مَنْ لتأكيدِ الذهولِ وكونِه بحيثُ لا يخطرُ ببالِها أنَّه ماذا لا أنها تعرف شيئيته لكن لا تدري من هو بخصوصه، وقيل: مَا مصدريةٌ أي تذهلُ عنْ إرضاعِها. والأولُ أدلُّ على شدةِ الهولِ وكمالِ الانزعاجِ. وقُرِىءَ تُذهَل من الإذهالِ مبنياً للمفعولِ أو مبنياً للفاعلِ مع نصبِ كلُّ، أي تُذهلها الزلزلةُ.

قال الألوسي[3]: وقرىء ﴿تَذۡهَلُ﴾ من الإذهال مبنياً للمفعول، وقرأ ابن أبي عبلة واليماني ﴿تَذۡهَلُ﴾ منه مبنياً للفاعل و(كل) بالنصب أي يوم تذهل الزلزلة، وقيل: الساعة كل مرضعة.

قال الشعراوي[4]: ومعنى: ﴿تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ. . .﴾ [الحج: 2] الذهول: هو انصراف جارحة عن مهمتها الحقيقية لهوْلٍ رأتْه فتنشغل بما رأته عن تأديةِ وظيفتها، كما يذهل الخادم حين يرى شخصاً مهيباً أو عظيماً، فيسقط ما بيده مثلاً، فالذهول - إذن - سلوك لا إرادي قد يكون ذهولاً عن شيء تفرضه العاطفة، أو عن شيء تفرضه الغريزة.

---

(1) التفسير الكبير.
(2) إرشاد العقل السليم.
(3) روح المعاني.
(4) تفسير الشعراوي.

ذوق

(ذوق - أكل - زاد - طعم)

■ **الذَّوْقُ:** وجود الطعام بالفم فيما يقل تناوله ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ﴾ [هُود: 9].

■ **الأَكْل** - بالفتح: تناول المطعم: ﴿فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ﴾ [الصافات: 66].

■ **الأُكُل** - بالضم: كل ما يؤكل ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾ [الرعد: 35].

■ **الزَّادُ:** الطعام المدّخر ﴿فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [البَقَرَة: 197].

■ **الطَّعَامُ:** ما يتناول ساعة الأكل ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسَان: 8].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الذال والواو والقاف أصلٌ واحد، وهو اختبار الشيء من جِهَةِ تَطعُّم، ثم يشتق منه مجازاً فيقال: ذُقْت المأكولَ أذُوقه ذَوْقاً. وذُقْت ما عند فلانٍ: اختبرتُه. وكلُّ ما نزَلَ بإنسانٍ مِن مكروه فقد ذَاقَه. ويقال: ذاقَ القوسَ، إذا نظَرَ ما مقدارُ إعطائها وكيف قُوّتُها.

قال الخليل[2]: ذوق: ذاقَ يذوقُ ذَوْقاً ومَذاقة ومَذاقاً وذَواقاً. وذَواقُه ومَذاقُه

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) العين.

طيب أي طعمه. وذُقْتُ فلاناً وذُقْتُ ما عنده، وما نزل بك مكروه فقد ذُقْتَه، وقال الله عز وجل: ﴿ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ﴾ [الدّخان: 49]. وفي الحديث: «**إن الله لا يحب الذَّوّاقين والذَّواقاتِ**» أي: كلما تزوجا كرها ومدَّا أعينهما إلى غيرهما.

قال الراغب[1]: الذَّوق: وجود الطعم بالفم، وأصله فيما يقل تناوله دون ما يكثر، فإن ما يكثر منه يقال له: الأكل، واختير في القرآن لفظ الذوق في العذاب؛ لأن ذلك - وإن كان في التعارف للقليل - فهو مستصلح للكثير، فخصه بالذكر ليعم الأمرين، وكثر استعماله في العذاب، نحو: ﴿لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ﴾ [النساء: 56]، ﴿وَقِيلَ لَهُمۡ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [السَّجدَة: 20].

المعنى المشترك لكلمة (ذ و ق)

وقد وردت كلمة (ذوق) في القرآن الكريم على خمسة أوجه:

الوجه الأول: الذوق يعني: الإنالة ﴿وَلَئِنۡ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةً﴾ [هُود: 9].

الوجه الثاني: الذوق يعني: الوجود ﴿فَذَاقَتۡ وَبَالَ أَمۡرِهَا﴾ [الطّلَاق: 9].

الوجه الثالث: ذاق بمعنى: أكل ﴿فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا﴾ [الأعراف: 22].

الوجه الرابع: الذوق يعني: العذاب ﴿فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ﴾ [النّحل: 112].

الوجه الخامس: الذوق يعني المعاينة ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ﴾ [آل عمران: 185].

---

(1) مفردات الراغب.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النِّساء: 56].

قال البغوي[1]: ﴿لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ﴾ ولم يقل: لتذوق وقال عبد العزيز بن يحيى: إنّ الله عز وجل يُلبس أهلَ النار جلوداً لا تألم، فيكون زيادة عذاب عليهم، كلّما احترق جلدٌ بدَّلهم جلداً غيره، كما قال: ﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ﴾ [إبراهيم: 50].

قال أبو السعود[2]: ﴿لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ﴾ ليدومَ ذَوْقُهم ولا ينقطِعَ، كقولك للعزيز: أعزَّك الله، وقيل: يخلُق مكانَه جلداً آخرَ، والعذابُ للنفس العاصيةِ لا لآلة إدراكِها. قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: يُبدَّلون جلوداً بيضاءَ كأمثال القراطيسِ، وروي أن هذه الآيةَ قُرئت عند عمرَ رضي الله تعالى عنه فقال للقارىء: أعِدْها فأعادها وكان عنده معاذُ بنُ جبلٍ، فقال معاذٌ: عندي تفسيرُها: يُبَدّل في ساعةٍ مائةَ مرةٍ، فقال عمر رضي الله عنه: هكذا سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول. وقال الحسنُ: تأكلُهم النارُ كلَّ يومٍ سبعين ألفِ مرةٍ كلما أكلتْهم قيل لهم: عودوا فيعودون كما كانوا. وروى أبو هريرةَ عن النبي ﷺ: «أن بين منكِبَي الكافرِ مسيرةَ ثلاثةِ أيامٍ للراكبِ المسرعِ»، وعن أبي هريرة أنه قال رسولُ الله ﷺ: «**ضِرْسُ الكافرِ أو نابُ الكافرِ مثلُ أُحُدٍ، وغِلَظُ جلدِه مسيرةُ ثلاثةِ أيامٍ**» والتعبيرُ عن إدراك العذابِ بالذوق ليس لبيان قلّتِه بل لبيان أن إحساسَهم بالعذاب في كل مرةٍ كإحساس الذائقِ بالمذوق من حيث إنه لا يدخُله نقصانٌ بدوام الملابَسةِ إو للإشعار بمرارة العذابِ مع إيلامه، أو للتنبيه على شدة تأثيرِه من حيث إن القوةَ الذائقةَ أشدُّ الحواسِّ تأثراً أو على سِرايته للباطن، ولعل السرَّ في تبديل الجلودِ - مع قدرتِه تعالى على إبقاء إدراكِ العذابِ وذوقِه بحاله مع الاحتراق أو مع إبقاء

(1) معالم التنزيل. (2) إرشاد العقل السليم.

أبدانِهم على حالها مَصونةً عن الاحتراق - أن النفسَ ربما تتوهّم زوالَ الإدراكِ بالاحتراق ولا تستبعد كلَّ الاستبعادِ أن تكون مصونةً عن التألم والعذابِ صيانةَ بدنِها عن الاحتراق.

● **قال تعالى**: ﴿وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾﴾ [السجدة: 20- 21].

قال القرطبي[1]: ﴿ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ والذوق يُستعمل محسوساً ومعنًى. وقد مضى في هذه السورة بيانه.

﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ﴾ قال الحسن وأبو العالية والضحاك وأُبَيّ بن كعب وإبراهيم النَّخَعِيّ: العذاب الأدنى مصائب الدنيا وأسقامها مما يُبْتَلَى به العبيد حتى يتوبوا؛ وقاله ابن عباس. وعنه أيضاً أنه الحدود. وقال ابن مسعود والحسين بن عليّ وعبد الله بن الحارث: هو القتل بالسيف يوم بدر. وقال مقاتل: الجوع سبع سنين بمكة حتى أكلوا الجِيف؛ وقاله مجاهد.

وعنه أيضاً: العذاب الأدنى عذاب القبر؛ وقاله البراء بن عازب. قالوا: والأكبر عذاب يوم القيامة. قال القشيريّ: وقيل عذاب القبر.

قال ابن كثير[2]: ﴿وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ أي: يقال لهم ذلك تقريعاً وتوبيخاً.

قال ابن عباس: يعني بالعذاب الأدنى مصائب الدنيا وأسقامها وآفاتها، وما يحل بأهلها؛ مما يبتلي الله به عباده؛ ليتوبوا إليه. وقال ابن عباس في رواية عنه: يعني به: إقامة الحدود عليهم. وقال البراء بن عازب ومجاهد وأبو عبيدة: يعني به: عذاب القبر. وقال النسائي: أخبرنا عمرو بن علي، أخبرنا عبد الرحمن بن

(1) الجامع لأحكام القرآن. (2) تفسير ابن كثير.

مهدي عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص، وأبي عبيدة عن عبد الله: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ﴾ قال: سنون أصابتهم.

● **قال تعالى:** ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَـٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَـٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ﴾ [هود: 9-10].

قال الطبري(1): يقول تعالى ذكره: ولئن أذقنا الإنسان منا رخاء وسعة في الرزق والعيش، فبسطنا عليه من الدنيا، وهي الرحمة التي ذكرها تعالى ذكره في هذا الموضع.

ويقول تعالى ذكره: ولئن نحن بسطنا للإنسان في دنياه، ورزقناه رخاء في عيشه، ووسعنا عليه في رزقه وذلك هي النعم التي قال الله جلّ ثناؤه: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَـٰهُ نَعْمَآءَ﴾. وقوله: ﴿بَعْدَ ضَرَّآءَ﴾ بعد ضيق من العيش كان فيه وعسرة كان يعالجها.

قال ابن عطية(2): ﴿أَذَقْنَا﴾ ها هنا مستعارة، لأن «الرحمة» ها هنا تعم جميع ما ينتفع به من مطعوم وملبوس وجاه وغير ذلك. و﴿ٱلْإِنسَـٰنَ﴾ ها هنا اسم الجنس والمعنى أن هذا الخلق في سجية الناس، ثم استثنى منهم الذين ردتهم الشرائع والإيمان إلى الصبر والعمل الصالح.

قال القرطبي(3): ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَـٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ﴾ أي صحة ورخاء وسعة في الرزق.

● **قال تعالى:** ﴿فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ﴾ [النّحل: 112].

قال الشعراوي(4): ﴿فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ. . .﴾. من الذوق، نقول: ذاق وتذوّق الطعام إذا وضعه على لسانه وتذوّقه. والذَّوْق لا يتجاوز حلمات اللسان. إذن:

(1) جامع البيان.
(2) المحرر الوجيز.
(3) الجامع لأحكام القرآن.
(4) تفسير الشعراوي.

الذوْق خاصٌّ بطعْم الأشياء، لكن الله سبحانه لم يقُلْ: أذاقها طعم الجوع، بل قال: ﴿لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ. . .﴾. فجعل الجوع والخوف وكأنهما لباسٌ يلبسه الإنسان، والمتأمل في الآية يطالع دِقّة التعبير القرآني، فقد يتحول الجوع والخوف إلى لباس يرتديه الجائع والخائف، كيف ذلك؟ الجوع يظهر أولاً كإحساس في البطن، فإذا لم يجد طعاماً عوّض من المخزون في الجسم من شحوم، فإذا ما انتهتْ الشحوم تغذّى الجسم على اللحم، ثم بدأ ينحت العظام، ومع شدة الجوع نلاحظ على البشرة شحوباً، وعلى الجلد هُزَالاً وذبولاً، ثم ينكمش ويجفّ، وبذلك يتحول الجوع إلى شكل خارجي على الجلد، وكأنه لباس يرتديه الجائع. وتستطيع أن تتعرف على الجوع ليس من بطن الجائع، ولكن من هيئته وشُحوب لونه وتغيُّر بشرته، كما قال تعالى عن الفقراء الذين لا يستطيعون ضرباً في الأرض: ﴿تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا. . .﴾ [البقرة: 273]. وكذلك الخوف وإنْ كان موضعه القلب، إلا أنه يظهر على الجسم كذلك، فإذا زاد الخوف ترتعد الفرائص، فإذا زاد الخوف يرتعش الجسم كله، فيظهر الخوف عليه كثوب يرتديه.

وهكذا جَسَّد لنا التعبير القرآني هذه الأحاسيس الداخلية، وجعلها محسوسة تراها العيون، ولكنه أدخلها تحت حاسَّة التذوق؛ لأنها أقوى الحواسّ.

قال الفخر الرازي[1]: عذبهم الله بالجوع سبع سنين حتى أكلوا الجيف والعظام والعلهز والقد، أما الخوف فهو أن النبي ﷺ كان يبعث إليهم السرايا فيغيرون عليهم. ونقل أن ابن الراوندي قال لابن الأعرابي الأديب: هل يذاق اللباس؟ قال ابن الأعرابي: لا باس ولا لباس يا أيها النسناس، هب أنك تشك أن محمداً ما كان نبياً أما كان عربياً وكان مقصود ابن الراوندي الطعن في هذه الآية، وهو أن اللباس لا يذاق بل يلبس فكان الواجب أن يقال: فكساهم الله لباس الجوع، أو يقال: فأذاقهم الله طعم الجوع.

(1) التفسير الكبير.

لباس الجوع والخوف هو ما ظهر عليهم من الضمور وشحوب اللون ونهكة البدن وتغير الحال وكسوف البال فكما تقول: تعرفت سوء أثر الخوف والجوع على فلان، كذلك يجوز أن تقول: ذقت لباس الجوع والخوف على فلان.

● **قال تعالى:** ﴿إِذَآ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةً﴾ [الشورى: 48].

قال الطبري(1): ﴿وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةً فَرِحَ بِهَاۖ﴾ يقول تعالى ذكره: فإنا إذا أغنينا ابن آدم فأعطيناه من عندنا سعة، وذلك هو الرحمة التي ذكرها جلّ ثناؤه، فرح بها: يقول: سرّ بما أعطيناه من الغِنى، ورزقناه من السَّعة وكثرة المال.

قال أبو السعود(2): ﴿وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةً﴾ أي نعمةً منَ الصحةِ والغنَى والأمنِ.

قال الفخر الرازي(3): ﴿وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةً فَرِحَ بِهَاۖ﴾ ونعم الله في الدنيا وإن كانت عظيمة إلا أنها بالنسبة إلى السعادات المعدة في الآخرة كالقطرة بالنسبة إلى البحر، فلذلك سماها ذوقاً. فبيّن تعالى أن الإنسان إذا فاز بهذا القدر الحقير الذي حصل في الدنيا فإنه يفرح بها ويعظم غروره بسببها ويقع في العجب والكبر، ويظن أنه فاز بكل المنى ووصل إلى أقاصي السعادات، وهذه طريقة من يضعف اعتقاده في سعادات الآخرة، وهذه الطريقة مخالفة لطريقة المؤمن الذي لا يعد نعم الدنيا إلا كالوصلة إلى نعم الآخرة، ثم بيّن أنه متى أصبتهم سيئة أي شيء يسوءهم في الحال كالمرض والفقر وغيرهما فإنه يظهر منه الكفر.

---

(1) جامع البيان.
(2) إرشاد العقل السليم.
(3) التفسير الكبير.

ذئب

(ذئب - سبع - قسورة)

■ **الذِّئْبُ:** الحيوان المعروف ﴿فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾ [يُوسُف: 17].

■ **السَّبُعُ:** الحيوان المعروف وسمي بذلك لتمام قوته ﴿وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ﴾ [المَائدة: 3].

■ **القَسْوَرَةُ:** الأسد من الغلبة والقهر ﴿حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾﴾ [المدثر: 50- 51].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الذال والهمزة والباء أصلٌ واحد يدلُّ على قِلّةِ استقرارٍ، وألاّ يكونَ للشَّيء في حركته جهةٌ واحدة. من ذلك الذِّئب، سمِّي بذلك لتذَؤُّبِه من غير جهةٍ واحدة. ويقال: ذُئِبَ الرّجُل إذا وقَع في غنَمه الذئب. تذأَّبت الرِّيح: أتت من كل جانب. وأرض مَذْأَبَةٌ: كثيرة الذئاب. وذَؤُب الرّجُل: إذا صار ذئباً خبيثاً. وجمع الذِّئب أذؤبٌ وذِئاب وذُؤبَانٌ. ويقال: تذاءبْتُ النّاقة تذاؤُباً، على تفاعلْتُ: إذا ظأرتَها على ولدها فتَشَبَّهْتَ لها بالذئب، ليكون أرْأَمَ لها عليه. وقال [قومٌ]: الإِذْآب: الفِرار.

يشبَّه الشَّيءُ بالذِّئب. فالذِّئبة من القَتَب: ما تحت مُلْتَقى الحِنْوَين، وهو يقع على المِنْسَج.

(1) معجم مقاييس اللغة.

قال الجوهري[1]: الذئب يهمز ولا يهمز، وأصله الهمزُ، والأنثى ذئبةٌ، وجمع القليل أَذْؤُبٌ، والكثير ذئابٌ وذُؤْبانٌ. وذُؤْبانُ العرب أيضاً: صعاليكها الذين يتلصصون. وأرضٌ مَذْأَبَةٌ، أي: ذاتُ ذِئابٍ. الذِّئْبانُ: الشَعَرُ على عُنُقِ البعير ومِشْفَرِهِ. وقال الفراء: الذِّئْبانُ بقية الوبَر. قال: وهو واحدٌ. والذئبةُ: فُرْجَةُ ما بين دَفَّتَي السَّرْجِ والرَحْلِ، تحت ملتقى الحِنْوَيْنِ، وهو يعق على المِنْسَج. وذَأَبَهُ، أي طرده وحَقَرَهُ. وذَأَبْتُ الإبلَ ذَأْباً: سُقْتُها. وأَذْأَبَ الرجل: فَزِعَ.

قال الفيروزآبادي[2]: الذِّئْبُ، بالكسرِ ويُتْرَكُ هَمْزُهُ: كَلْبُ البَرِّ، جمعه: أَذْؤُبٌ وذئابٌ وذُؤْبانٌ، (بالضم)، وهي بِهاءٍ. وأرضٌ مَذْأَبَةٌ: كثيرَتُهُ. ورجلٌ مَذْؤُوبٌ: وَقَعَ الذِّئْبُ في غَنَمِه. وقد ذُئِبَ كَعُنِيَ. وذُؤْبانُ العَرَبِ: لُصُوصُهُمْ وصَعالِيكُهُمْ. وذِئابُ الغَضَى: بَنُو كَعْبِ بنِ مالِك بنِ حَنْظَلَةَ. وذَؤُبَ، كَكَرُمَ وفَرِحَ: خَبُثَ، وصارَ كالذِّئْبِ، كتَذَأْبَ. والذِّئْبَانُ، كَسِرْحانٍ: الشَّعَرُ على عُنُقِ البَعِيرِ ومِشْفَرِهِ، وبَقِيَّةُ الوَبَرِ. والذِّئْبَانِ، مُثَنًّى: كَوْكَبانِ أَبْيَضانِ بَيْنَ العَوائِذِ والفَرْقَدَيْنِ. وأَظْفارُ الذِّئْبِ: كواكبُ صِغارٌ قُدَّامَهُما. والذُّؤَيْبانِ، مُصَغراً: ماءانِ لهم.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾ [يوسف: 17].

قال الفخر الرازي[3]: ﴿فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾ قيل أكل الذئب يوسف وقيل عرَّضوا وأرادوا أكل الذئب المتاع، والوجه هو الأول.

قال أبو السعود[4]: ﴿فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾ عقيبَ ذلك من غير مُضيٍّ زمانٍ يعتاد

(1) الصحاح في اللغة.
(2) القاموس المحيط.
(3) التفسير الكبير.
(4) إرشاد العقل السليم.

فيه التفقدُ والتعهدُ. وحيث لا يكاد يُطرح المتاعُ عادة إلا في مقام يُؤْمن فيه الغوائلُ لم يعُدْ تركُه ﷺ عنده من باب الغفلة وتركِ الحظ الملتزَم لا سيما إذا لم يبرحوه ولم يغيبوا عنه، فكأنهم قالوا: إنا لم نقصِّر في محافظته ولم نغفُلْ عن مراقبته بل تركناه في مأمننا ومجمعنا بمرأىً منا لأن ميدانَ السباق لا يكون عادة إلا بحيث يتراءى غايتاه وما فارقناه إلا ساعةً يسيرةً بيننا وبينه مسافةٌ قصيرة فكان ما كان.

قال الألوسي[1]: ﴿فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾ عقيب ذلك من غير مضي زمان يعتاد فيه التفقد والتعهد وحيث لا يكاد يطرح المتاع عادة إلا في مقام يؤمن فيه الغوائل لم يعهد تركه ﷺ عنده ن باب الغفلة وترك الحفظ الملتزم لا سيما إذ لم يغيبوا عنه فكأنهم قالوا: إنا لم نقصر في محافظته ولم نغفل عن مراقبته بل تركناه في مأمننا ومجمعنا بمرأى منا وما فارقناه إلا ساعة يسيرة بيننا وبينه مسافة قصيرة فكان ما كان قاله شيخ الإسلام، والظاهر أنهم لم يريدوا إلا أن الذئب أكل يوسف ولم يقصدوا بذلك تعريضاً فما قيل: إنهم عرضوا وأرادوا أكل الذئب المتاع لا يلتفت إليه لما فيه من الخروج عن الجادة من غير موجب.

(1) روح المعاني.

ذود

(ذود - طرد)

■ **الذَّوْدُ:** طرد الذود أي، الإبل ﴿وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾ [القَصَص: 23].

■ **الطَّرْدُ:** الإزعاج والإبعاد على طريق الاستحقاق ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ [الأنعَام: 52].

❋ ❋ ❋

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس(1): الذال والواو والدال أصلان: أحدهما تنْحِية الشّيء عن الشيء، والآخَر جماعةُ الإبل. ومحتملٌ أن يكون البابان راجعَينِ إلى أصل واحد. فالأوّل قولهم: ذُدْت فلاناً عن الشيء أَذُودُه ذَوْداً، وذُدْت إِبِلي أذودُها ذَوداً وذِياداً. ويقال: أذَدْتُ فلاناً: أعنتُه على ذِياد إبلِه. والأصل الآخر: الذَّوْد من النَّعَم. قال أبو زيد: الذَّود من الثلاثة إلى العشرة.

قال الخليل(2): الذَّوْد من الإِبِل من الثلاث إلى العشر. وذُدْتُه أذودُه عن كذا أي: دَفَعته.

قال الجوهري(3): الذَّوْدُ من الإبل: ما بين الثلاث إلى العشر؛ وهي مؤنثة لا

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) العين.
(3) الصحاح في اللغة.

واحدِ لها من لفظها، والكثير أَذْواد. وفي المثل: الذَّوْدُ إلى الذَّوْدِ إبِلٌ، قولهم إلى بمعنى مَعَ، أي: إذا جمعت القليلَ مع القليل صار كثيراً. والذِّيادُ: الطرْدُ، تقول: ذُدْتُه عن كذا. وذُدْتُ الإبلَ: سُقْتُها وطَرَدْتُها. والتَّذْويد مثله. وأَذَدْتُ الرجل: أَعَنْتُه على ذِياد إبله. ورجل ذائد وذَوَّادٌ، أي: حامي الحقيقة دَفَّاعٌ. والمِذْوَدُ اللسان.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى:** ﴿وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِۖ﴾ [القَصص: 23].

قال الفخر الرازي(1): ﴿ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِۖ﴾ والذود الدفع والطرد فقوله (تذودان) أي: تحبسان، ثم فيه أقوال: الأول: تحبسان أغنامهما واختلفوا في علة ذلك الحبس على وجوه: أحدها: قال الزجاج لأن على الماء من كان أقوى منهما فلا يتمكنان من السقي، وثانيها: كانتا تكرهان المزاحمة على الماء، وثالثها: لئلا تختلط أغنامهما بأغنامهم، ورابعها: لئلا تختلطا بالرجال القول: الثاني: كانتا تذودان عن وجوههما نظراً الناظر ليراهما، والقول الثالث: تذودان الناس عن غنمهما، القول الرابع: قال الفراء تحبسانها عن أن تتفرق وتتسرب.

قال الطبري(2): ﴿وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِۖ﴾ يقول: ووجد من دون أمة الناس الذين هم على الماء، امرأتين تذودان، يعني بقوله: ﴿تَذُودَانِۖ﴾ تَحبِسان غنمهما يقال منه: ذاد فلان غنمه وماشيته: إذا أراد شيء من ذلك يَشِذّ ويذهب، فردّه ومنعه يذودها ذَوْداً. وقال بعض أهل العربية من الكوفيين: لا يجوز أن يقال: ذدت الرجل بمعنى: حبسته، إنما يقال ذلك للغنم والإبل. وقد

(1) التفسير الكبير. (2) جامع البيان.

رُوي عن النبيّ ﷺ: «**إني لبِعُقْرِ حَوْضِي أذُودُ النَّاسَ عَنْهُ بَعَصَايَ**» فقد جعل الذَّود ﷺ في الناس ومن الذَّود. وعن السديّ ﴿وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ﴾ يقول: تحبِان غنمهما. واختلف أهل التأويل في الذي كانت عنه تذود هاتان المرأتان، فقال بعضهم: كانتا تذودان غنمهما عن الماء، حتى يَصْدُر عنه مواشي الناس، ثم تسقيان ماشيتهما لضعفهما.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: تذودان الناس عن غنمهما.

وأولى التأويلين في ذلك بالصواب قول من قال معناه: تحبسان غنمهما عن الناس حتى يفرغوا من سقي مواشيهم.

قال أبو السعود[1]: ﴿ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ﴾ أي تمنعانِ ما معهما من الأغنامِ عن التقدمِ إلى البئرِ كيلا تختلطَ بأغنامِهم مع عدمِ الفائدة في التَّقدمِ ﴿قَالَ﴾ عَلَيْهِ السَّلَامُ لهما حينَ رآهُما على ما هُما عليهِ من التَّأخرِ والذودِ.

قال الشعراوي[2]: ﴿ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ. . .﴾ أي: تكفّان الغنم وتمنعانها من الشُّرْب لكثرة الزحام على الماء.

---

(1) إرشاد العقل السليم.

(2) تفسير الشعراوي.

ذأم

(ذأم - دحر - دخر - هزم - قهر)

■ **الذَّأْمُ:** الطرد من عيب ارتكبه وهو أشد من الذم ﴿قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا﴾ [الأعرَاف: 18].

■ **الدَّحْرُ:** طرد العدو بعد هزيمته من المعركة ﴿قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الأعراف: 18].

■ **الدَّخْرُ:** إذلال العدو عن دحره ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غَافر: 60].

■ **الهَزْمُ:** تحطيم العدو في أرض المعركة ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البَقَرَة: 251].

■ **القَهْرُ:** الاستيلاء على إرادة العدو بعد هزيمته ودحره ودخره.

❊ ❊ ❊

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس(1): الذال والهمزة والميم أصلٌ يدلُّ على كراهَةٍ وعَيب. يقال: أذْأَمْتَني على كذا، أي: أكرَهْتَني عليه. ويقولون: ذأَمْتُه، أي: حَقَرْتُه. والذّأم: العَيب، وهو مذؤومٌ. فأما الذَّانُ بالنون، فليس أصلاً، لأنَّ النونَ فيه مبدلة من ميم. قال: ردَدْنا الكتيبةَ مَلمومةً بها أَفْنُها وبها ذانُها.

(1) معجم مقاييس اللغة.

قال الخليل[1]: ذَأَمْتُه ذَأْماً فهو مَذْؤومٌ، أي: حَقَرْتُه فهو مَحْقور، ويقال: ما يلزَمُك منه لَوْمٌ ولاذَمٌّ ولا ذَأْمٌ ولا عيب.

قال الجوهري[2]: الذَّامُ: العيبُ، يهمز ولا يهمز. يقال: ذَأَمَهُ يَذْأَمُهُ. إذا عابه وحقَّره، فهو مذؤُومٌ.

قال ابن منظور[3]: ذَأَمَ الرجلَ يَذْأَمُهُ ذَأْماً: حقَّره وذَمَّهُ وعابه، وقيل: حقره وطرده، فهو مَذْؤُومٌ، كَذَأَبهُ؛ واذْأَم وذَأَمَهُ ذَأْماً: طرده. وفي التنزيل العزيز: ﴿ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الأعراف: 18]؛ يكون معناه مذموماً ويكون مطروداً. وقال مجاهد: مَذْؤوماً منفيّاً، ومَدْحوراً مطروداً. وذأَمَه ذَأْماً: أَخزاه. والذَّأْمُ: العيب، يُهْمَزُ ولا يهمز. وفي حديث عائشة، رضي الله عنها: «قالت لليَهُود عليكم السامُ والذَّأْمُ».

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا﴾ [الأعراف: 18].

قال الزمخشري[4]: ﴿مَذْءُومًا﴾ من ذأمه إذا ذمّه. وقرأ الزهري: «مذوما»، بالتخفيف، مثل مسول في مسؤول.

اعلم أن إبليس لما وعد بالإفساد الذي ذكره، خاطبه الله تعالى بما يدل على الزجر والإهانة فقال: ﴿ٱخْرُجْ مِنْهَا﴾ من الجنة أو من السماء ﴿مَذْءُومًا﴾ قال الليث: ذأمت الرجل فهو مذؤم أي: محقور والذام الاحتقار، وقال الفراء: ذأمته إذا عبته يقولون في المثل: لا تعدم الحسناء ذاماً. وقال ابن الأنباري: المذؤوم المذموم، قال ابن قتيبة: مذؤماً مذموماً بأبلغ الذم.

(1) العين.
(2) الصحاح في اللغة.
(3) اللسان.
(4) الكشاف.

قال القرطبي[1]: «مَذْؤُوماً» أي مذموماً. والذَّأْمُ: العيب، بتخفيف الميم. قال ابن زيد: مذؤوماً ومذموماً سواء؛ يقال: ذأَمْته وذَمَمته وذِمْته بمعنىً واحد. وقرأ الأعمش «مَذُوماً». والمعنى واحد؛ إلا أنه خفف الهمزة. وقال مجاهد: المذْمُوم المنفيّ. والمعنيان متقاربان.

قال الألوسي[2]: ﴿مَذْءُومًا﴾ أي مذموماً كما روي عن ابن زيد، أو مهاناً لعيناً كما روي عن ابن عباس وقتادة، وفعله ذأم. وقرأ الزهري ﴿مذوماً﴾ بذال مضمومة وواو ساكنة وفيه احتمالان الأول أن يكون مخففاً من المهموز بنقل حركة الهمزة إلى الساكن ثم حذفها، والثاني أن يكون من ذام بالألف كباع وكان قياسه على هذا مذيم كمبيع إلا أنه أبدلت الواو من الياء على حد قولهم؛ مكول في مكيل مع أنه من الكيل، ونصبه على الحال.

---

(1) الجامع لأحكام القرآن. (2) روح المعاني.

فهرس المحتويات

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الذال